

تاريخ علوم الحديث الشريف
في المشرق والمغرب

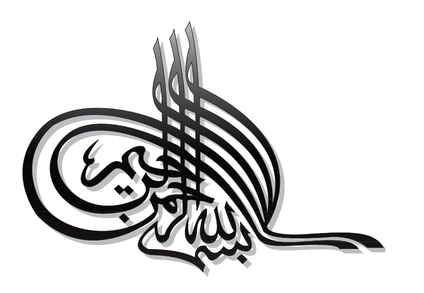
تأليف :

الدكتور محمد المختار ولد ابّاه

منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ 1431هـ/2010م

رقم الإيداع القانوني : 2009/MO2082
ردمك 978-9981-26-461-X

التصفيف والتوضيب والسحب في الإيسيسكو
الرباط - المملكة المغربية



تقديم

تميزت العقود الأخيرة من القرن الماضي، بتزايد الاهتمام بدراسة علوم الحديث في الكليات الجامعية والمعاهد الدينية والمدارس العليا المتخصصة وفق المناهج التعليمية والأكاديمية الحديثة، على نحو غير معهود من قبل. ولا يزال هذا الاهتمام بعلوم الحديث متواصلاً إلى اليوم، مؤكداً على إحدى الحقائق التي سطعت في هذا العصر، وهي انتشار العلوم الشرعية وترسيخها والإقبال على دراستها والتفقه فيها في المجتمعات الإسلامية، خاصة علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وتنامي الوعي بقيمة الثقافة الإسلامية وبعناصرها المؤثرة في حركة بناء الفكر وصياغة الثقافة وتربية الفرد والجماعة على القيم الإسلامية المثلى المستمدة أساساً من المنبعين الأصليين معاً : كتاب الله العزيز وحديث رسولهﷺ. وقد تأسَّس هذا الاهتمام المتزايد بدراسة علوم الحديث، على قاعدة من العناية الفائقة بتحقيق المصنفات الحديثية وأمهات الكتب في هذه العلوم المعتمدة عصراً بعد عصر، ونشرها على نطاق واسع، والتي بدأت طلائعها تظهر بدءاً من الثلث الأول من القرن التاسع عشر، من خلال الكتب المهمة من التراث الإسلامي التي صدرت عن المطبعة الأميرية المعروفة بمطبعة بولاق في القاهرة، وتلك التي صدرت عن مطبعة دائرة المعارف العثمانية في حيدرآباد في الهند، والكتب التي صدرت في مناطق أخرى من العالم الإسلامي، خاصة في استانبول وبغداد وطهران وبيروت وفاس، وفي عدد من العواصم الغربية التي اهتم فيها المستشرقون بتحقيق طائفة من الكتب الإسلامية المشتهرة ونشرها هناك منذ وقت مبكر.

ثم اطردت حركة تحقيق التراث الإسلامي في حقل علوم الحديث ونشره في النصف الأول من القرن العشرين، حتى أصبحت المكتبة الإسلامية المعاصرة زاخرة بأمهات كتب الحديث النبوي، سواء منها الكتب الصحاح، أو المسانيد والمجاميع، أو الكتب التي صُنفت في شرح الصحاح، وفي الاستدراك، وفي العلل، وفي الجرح والتعديل، وفي طبقات المحدثين، أو الموسوعات الحديثية المتخصصة التي قدمت خدمة جليلة للباحثين والدارسين ولعموم القراء ممن لهم شغف بالقراءة والاطلاع في هذا الحقل العلمي الزاخر بأعظم العطاءات، والاقتطاف من هذه الشجرة الزكية المباركة المثقلة بأينع الثمرات.

ولقد بلغ الاهتمام بعلوم الحديث في هذا العصر، من حيث التوثيق والفهرسة والدراسة والبحث والتحقيق والنشر، حداً لم يبلغه في أي عصر من العصور. وتلك ظاهرة جديرة بالتأمل، تؤكد بشكل قاطع، أن الله سبحانه وتعالى يسّر لحديث رسوله الكريم محمد بن عبد الله، عليه الصلاة والسلام، من أسباب الذيوع والانتشار ومن وسائل التمكين والتحقيق، ما ثبَّت به الرسالة الإسلامية الخالدة، ونصر به دينه القيم، وأعزَّ الإسلام والمسلمين. فعلى الرغم من مظاهر التجنّي على هذا الدين الحنيف، والطعن في صحة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتشكيك في الكتب الصحاح المعتمدة، خاصة صحيح البخاري وصحيح مسلم، وعلى الرغم من الحرب المعلنة ضد الإسلام عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وأمة، من خلال أساليب ومناهج ظاهرها العلم والمعرفة والبحث عن الحقائق وباطنها التحريف والتزييف والتضليل والدس والافتراء، فإن علوم القرآن وعلوم الحديث تنمو وتزدهر بصورة مطردة، سواء في أوساط الجامعات والمعاهد والمدارس العليا المتخصصة، أو بواسطة وسائل الإعلام ووسائط الاتصال الحديثة، أو عن طريق التوعية والتثقيف والدعوة الإسلامية الحكيمة.

وإذا كانت المكتبة الإسلامية المعاصرة تتوفر حالياً على كنوز من المصنفات العصرية في علوم الحديث الشريف، على تعدد المدارس العلمية واختلاف المناهج التأليفية، فإن الكتاب الذي تصدره اليوم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة للعلامة الفقيه المحدث المحقق المدقق الأستاذ الدكتور محمد المختار ولد ابّاه بعنوان : (**تاريخ علوم الحديث الشريف في المشرق والمغرب**)، يشكل إضافة نوعية في التأليف في هذا الفرع من فروع علوم الحديث، فهو يجمع بين التأريخ للحديث وبين علم الحديث. وهذا نمط في التأليف قلما اجتمع في كتاب واحد؛ إذ جرى التقليد المتبع أن يتعرف الباحثون من خلال الكتب المؤرخة للحديث على التاريخ، ويبقى نهمهم إلى علم الحديث منوطاً بالرجوع إلى المصادر الحديثية نفسها رواية ودراسة، مما قد يتيسر أو يتعذر حسب الأحوال. وقد قيض الله سبحانه وتعالى للمؤلف الفاضل أن يجمع بين الأمرين. وتلك ميزة من المزايا الكثيرة وفضيلة من الفضائل الغزيرة التي توافرت لهذا الكتاب الذي يسعد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة أن تنشره ضمن إصداراتها، بل يسعدني شخصياً أن أقدمه إلى القارئ المتخصص والقارئ العام، ليكون له مرجعاً للمعرفة الحديثية وزاداً للثقافة الإسلامية.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري
المدير العام للمنظمة الإسلامية
للتربية والعلوم والثقافة

بين يدي الكتاب

الحمد لله الهادي المبين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خاتم النبيئين وإمام المرسلين المبعوث رحمة مهداة إلى العالمين، والرّضا والرِّضوان على أصحابه الغر الميامين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، حَمَلَة مشعل الهداية، الذين فقهوا عن رسول الله علمه، ونقلوا لفظه ورسمه، فكانت الأمة الإسلامية بهم أمة إسناد أكرمها الله بنقل الوحي في الصدور والسُّطور، وحمّلها أمانة تحمله وأدائه بصيانته وتجديد فهمه، وأناط بها مهمة نفي انتحال المُبطلين والغالين وسوء تأويل الجاهلين عن سُنّة وسيرة سيد الأولين والآخرين وبعد :

فإن الاشتغال بالحديث الشريف يُورث النّضارة والنظر، فالنّضارة في الوجه في الدنيا لقول رسول اللهﷺ : «نضّرَ الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها، فرُبّ مبلّغ أوعى من سامع». والنظر نظر إلى وجه الله الكريم يوم يتجلّى سبحانه إلى خلقه من الذين أحسنوا الحُسنى بعد أن وفّى حسابهم وحان وقت الزيادة.

وقد عرف من عرف قدر هذا الأجر العظيم العميم من رجالات الإسلام الذين لقطوا الأقوال والأفعال من رسول اللهﷺ، وأدركوا قيمة وأمانة نقلها إلى العالمين، فكانت زينة مجالس علمهم، وحلية مُذاكرة أوليائهم وأصفيائهم، ومدار رواية ودراية حُجّاجهم وعُمّارهم، وبغيتهم في حلّهم وترحالهم، حتى قال الإمام مالك رضي الله عنه : «وأيم الله إنا كُنّا نلتقط السنن من أهل الفقه والثقة ونتعلمها شبيهاً بتعلمنا آي القرآن».

وقد توارثت الأمة عبر أجيالها هذا الخير العميم سطراً وصدراً، رغم تقلُّبات الدهر وتصرُّفات عواديه التي مرّت بالأمة الإسلامية عبر تاريخها المليء بالآلام والآمال، فكان في كل عصر ومصر رجال حملوا مشعل الأمانة، فرحلوا، وسمعوا، وحفظوا، ودوّنوا، وشرحوا، واختصروا، وعلّقوا، وجمعوا، وقارنوا، ودرسوا، وأجازوا خلاصات علمهم لنجباء الحفظة والفقهاء من تلاميذهم، حتى وصلنا هذا النور بعد أربعة عشر قرناً من وفاة الحليم الرشيد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

فحملنا الأمانة في زمن ليس ككل الأزمان التي مضت، زمن كثُر فيه العلم وقلّ فيه الحلم والفهم، واتخذ الناس رؤوساً من الجهال فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا، زمن طُوي فيه العلم طيّ الكتاب ورحل إلينا دون أن نتجشم صعاب الرحلة إليه حتى خشينا على أنفسنا من كثرة النعم طغياناً وكفراً نسأل الله تعالى أن يبدلنا خيراً منه زكاة

وأقرب رحماً، والعاصم من كل ذلك ترسم منهج أهل الحديث في حمل الأمانة، والعمل على خدمة السنة النبوية بفهم جديد سديد، يشرب من عين الأولين ويسقي ظمأ الآخرين، ويمد حبل الود إلى الأجيال القادمة لتتحمل كما تحملوا وتنقل كما نقلوا وتلبي حاجات عصرها من قيم وأحكام الشريعة الإسلامية بروح التجديد في الفهم والعمل.

ومدخل ذلك تعريفها بتاريخ هذا الفن ورجالاته وأعلامه ومؤلفاته ومناهجه في الرواية والدراية، وقد حفلت بذلك بطون الكتب عبر الأزمان، في كل عصر وقطر، وقد سعى بعض علمائنا المعاصرين إلى تقديم هذا التاريخ مُختصراً مُحرّراً كما فعل عبد البديع الخولي في مفتاح السنة أو تاريخ فنون الحديث وأبو زهرة في الحديث والمحدثون ومحمد الصبّاغ في الحديث النبوي وغيرهم، إلا أن الجمع بين التأريخ للحديث وعلم الحديث قلّما اجتمع في كتاب، إذ يتعرف الباحثون من خلال الكتب المؤرخة للحديث إلى التاريخ، ويبقى نهمهم إلى علم الحديث منُوطاً بالرجوع إلى المصادر الحديثية نفسها رواية ودراية مما قد يتيسر أو يتعذر حسب الأحوال، فظلت الأمة الإسلامية تتشوف إلى من يجمع بين الأمرين إلى أن قيّض الله هذا العمل الذي نسأل الله أن يُحقّق به الأمل، فقدّمنا فيه للمشتغلين بالحديث الشريف زبدة تاريخه من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، كما نقدم فيه أمهات مصادر السنة رواية ودراية مع الحديث عن منهجها وصنيع العلماء فيها مع الإشارة إلى ما طُبع منها وما يُنتظر، كما نقدم فيه تعريفاً بأهم رجالات الحديث في كل عصر ومصر، وجهودهم مشرقاً ومغرباً في العناية بالسنة النبوية، كما يتضمن الكتاب إشارات إلى أماكن كانت إلى عهد قريب غفلاً وخاصة في بلاد شنقيط والتكرور والمغرب والأندلس، لم تحظ بالدراسة الكافية رغم ما عُرف فيها من جهد في خدمة السنة النبوية.

كما حرصنا على أن لا يخلو الكتاب من الحديث عن مواقف العلماء في الاحتياط لرواية السنة النبوية وحرصهم على الجمع بين الرواية والدراية من خلال إبراز منهجهم في التأليف ووصاياهم إلى تلاميذهم بالتدقيق في التحمل والأداء، والحاجة اليوم ماسة إلى ترسم هذا المنهاج العلمي والأخلاقي للعلماء في التعامل مع السنة للسنة النبوية الشريفة.

كل ذلك بمنهج جديد نحسب أنه مفيد يجمع بين التطور الزمني التاريخي لمدرسة الحديث زماناً ومكاناً، والتطور الحاصل داخل كل فن على حدة من فنون الحديث، مع حديث عن المنهج من خلال سوق مجموعة من النصوص والنماذج والأمثلة من المصادر الحديثية نفسها تقريباً للمقتصد وترغيباً للمجتهد.

نسأل الله العون والرشاد والتوفيق والسداد وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

مقدمة حول علوم الحديث

1. كيف حفظت السنة

أ) تلقي الصحابة للحكمة النبوية :

لقد كان فضل الله عظيماً على نبيه محمدﷺ الذي علّمه ما لم يعلم، وكان فضله عظيماً على المسلمين الذين منّ عليهم ببعثه إليهم رسولاً، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.

ولقد تكفل الله سبحانه بحفظ الكتاب وعَهِدَ إلى نبيه عليه الصلاة والسلام بتبليغ الرسالة وحفظ الحكمة، ليبيّن للناس ما أنزل إليهم وليهديهم إلى الصراط المستقيم.

ولقد أدّى صلى الله عليه وسلم أمانة الرسالة ونصح الأمة، فأقرأهم القرآن، وعمل على صيانته وتحفيظه وتثبيته بالكتابة بكل الوسائل المتاحة في عهده.

وبثّ الحكمة في صدور صحابته، وأوضح لهم شريعة الهدى، وبيّن لهم ما أُحِلَّ لهم من الطيّبات وما حُرّم عليهم من الخبائث.

واجتهد في إبلاغ تعاليم ربه إليهم، وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب، ودعا بالخير لمن وعى مقالته، فأدّاها كما سمعها، وأمرهم أن يُحدثّوا عنه، ولا حرج، إلا أنه أوعد بعذاب النار كل من كذب عليه متعمدا.

ولقد استجاب صحابته لأمره، فكانوا يستمعون إليه، وكأن على رؤوسهم الطير، وعندما يخرجون من مجلسه، يراجعون ما حدثهم به، فيزرع في قلوبهم، وتنشرح به صدورهم، فيزداد تطلعهم إلى مزيد من العلم والمعرفة. وكانوا يعجبهم البدوي الذي يَفِدُ عليهم ويسأله فيستفيدون من جوابه، وفي بعض الحالات تتنزل عليهم رحمة ربهم، الذي يعلم ما في قلوبهم فيبعث روح القدس إلى نبيهمﷺ ليعلمهم دينهم، يسأله عن أركان الإسلام، وعن شُعب الإيمان ومراتب الإحسان، فتثبت أجوبته في صدورهم ويتناقلونها فيما بينهم.

وبعدما التحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى لم تَخْبُ جذوة استجابة صحابته لما ترك لهم من حكمة بالغة. فقد بقيت أحاديثه تتردد في أسماعهم، وأفعاله ماثلة أمام أعينهم، واتبع طريقةُ خليفته الأول أبو بكر بن أبي قحافة، الذي سلك نهجه، فأخمد نار الردة، وحمى بيضة الإسلام. ومن أعماله الجليلة جمع القرآن الكريم وحفظه في صحائف مكتوبة، فجعله في مأمن من أن يلتبس به غيره.

ب) رفع الحرج عن كتابة الحديث :

وعند ذاك ارتفع الحرج عن علماء الصحابة في شأن كتابة الحديث التي قد سبق أن قال فيهاﷺ : «لا تكتبوا عنّي شيئا غير القرآن، ومن كتب عنّي شيئا غير القرآن فليمحه»[1]. عرف الصحابة سبب هذا النهي، وتقيّدوا به، وكان ذلك من مظاهر حفظ القرآن الكريم الذي تكفّل به سبحانه وتعالى، ولولا هذا النهي لتسرّبت إلى المصحف الشريف نصوص نبوية، أو أحاديث قدسية ليس لها صفة الكتاب المعجز والمتعبد بتلاوته. ولهذا سهل على القراء أن يتفقوا على أن سورة الحفد الواردة في مصحف أبي بن كعب ليست مما أنزل من القرآن الكريم.

ولم تتسع دائرة كتابة الحديث في أول العهد الراشدي، ولم يؤثر إلا صحائف محدودة ورسائل معدودة عند قليل من الصحابة، منها تلك التي كانت في قِرَاب سيف الإمام علي بن أبي طالب تشتمل على بعض الأحكام.

وكذلك الصحيفة المعزوة لعبد الله بن عمرو بن العاص الذي قال عنه أبو هريرة : «ما كان أحد أعلم بحديث رسول اللهﷺ منّي إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتبه بيده ويعيه بقلبه، وكنت أعيه بقلبي ولا أكتبه بيدي»[2]، ويُذكر أن عبد الله بن عمرو لما نُهي عن كتابة الحديث لجأ إلى النبيﷺ فأذن له بها لأنه لا ينطق عن الهوى، ولا يصدر عنه إلا الحق[3].

---

(1) رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري.

(2) رواه البخاري في كتاب العلم باب كتابة العلم من حديث أبي هريرة.

(3) روى الدارمي في سننه باب من رخص في كتابة العلم قال : «أخبرنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله بن الأخنس قال حدثني الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى اللهم عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى اللهم عليه وسلم ورسول الله صلى اللهم عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى اللهم عليه وسلم فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق».

جـ) تثبت الصحابة في شأن الحديث :

وحرص رواة الحديث من الصحابة أن يبذلوا أقصى جهد في التثبُّت مِمّا حفظوا، فكان منهم من يسافر شهراً ليتأكد من صحة روايته، فقد روى الحاكم أن أبا أيوب ذهب إلى مصر ليسأل عقبة بن عامر عن حديث سمعه من رسول اللهﷺ لم يسمعه غيرهما، وهو أن «من ستر عن مؤمن خزية ستره الله يوم القيامة»[1]. وذكر الإمام البخاري أن جابرا بن عبد الله رحل مسيرة شهر ليسأل عبد الله بن أنيس عن حديث واحد[2].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب من أشد الناس تثبتاً في التحديث. وله موقف معروف من الذين يحدثون في الأمصار، فكان لا يأذن لبعضهم في الخروج إلا إذا تعهد له بأن يعلم الناس سنة النبيﷺ لكنه كان يتتبع أخبارهم، وربما ذهب بنفسه ليتفقد أحوالهم، مثل ما روى في شأن أبي الدرداء، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري، فقد روى عبد الرحمن بن عوف قوله : «ما مات عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حتى بعث إلى أصحاب رسول اللهﷺ فجمعهم من الآفاق : عبد الله ابن حذافة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر رضي الله عنهم، فقال : ما هذه الأحاديث التي أنشأتم عن رسول اللهﷺ في الآفاق ؟ قالوا : تنهانا ؟ قال : لا، أقيموا عندي لا تفارقوني ما عشت، نحن نعلم ما نأخذ ونرد عليكم، فما فارقوه حتى استشهد»[3]. وأخرج الطبراني في الأوسط عن إبراهيم عن عبد الرحمن : أن عمر بعث إلى ابن مسعود وأبي الدرداء، وقال : ما هذا الحديث الذي تكثرون عن رسول اللهﷺ، فحبسهم في المدينة حتى استشهد[4].

وروى عن مكحول : دخلت أنا وأبو الأزهر على وائلة بن الأسقع رضي الله عنه، فقلنا له حدثنا حديثاً سمعته عن رسول اللهﷺ ليس فيه وهم، ولا زيادة، ولا نقصان، قال : هل قرأ أحدكم الليلة شيئاً من القرآن، قالا : نعم، وما نحن بحافظين له حتى أننا لنزيد الواو والألف، فقال هذا القرآن بين أظهركم لا تألون حفظه، وأنتم تزعمون أنكم

(1) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري، باب ذكر أول نوع من أنواع علم الحديث، ص 8، طبعة دار إحياء العلوم بيروت، ط 1، 1986.

(2) رواه البخاري في كتاب العلم باب الخروج في طلب العلم.

(3) انظر هذا النص وغيره في موقف عمر رضي الله عنه من الإكثار من رواية الحديث في المحدث الفاصل للرامهرمزي، تحقيق عجاج الخطيب، ص 553.

(4) أخرجه الطبراني في الأوسط باب الحاء، من اسمه الحسن، حديث رقم 3585.

تزيدون أو تنقصون، فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله ﷺ عسى ألا نكون سمعناها منه إلا مرة واحدة، حسبكم إذا حدثتكم بالحديث على المعنى[1].

وعن محمد بن سيرين قال : كان أنس مع أنه معدود من المكثرين قليل الحديث عن رسول الله ﷺ، وكان إذا حدث حديثا ففرغ منه، قال : أو كما قال رسول الله ﷺ[2].

وعن أبي إدريس الخولاني قال : رأيت أبا الدرداء إذا فرغ من الحديث عن رسول الله ﷺ، قال : كهذا، أو نحوه، أو شكله، أو إن لم يكن هذا فكشكله[3].

2. نشأة المدارس الحديثية

لقد شهد القرن الأول نشأة مدارس حديثية في الحواضر الإسلامية، بدأت في المدينة المنورة، دار الهجرة، وعاصمة الخلافة في العهد الراشدي الأول، وموطن علماء الصحابة من المهاجرين والأنصار. وكان الخلفاء فيها مُحاطين بجمهور حفظة الحديث، الذي ما زالت عباراته تملأ أسماعهم، ومشاهدها أمام أعينهم.

فكانوا يستندون في مجمل سلوكهم إلى ما سمعوا منه ﷺ، وشاهدوه من أفعاله وتقاريره. وبعدما توجسوا ضياع هذا العلم، طلبوا من الخليفة عمر بن الخطاب أن يدون لهم الحديث، لكنه استخار ورفض أن يكتب شيئاً مع كتاب الله تعالى.

أ) ظهور المكثرين في المدينة المنورة :

وبعد وفاة عمر بن الخطاب استدعت الظروف أن يقع مزيد من الاهتمام باستظهار نصوص الحديث، حيثُ انتقصت قوة الاجتهاد التي كان يمارسها هذا الخليفة الفذ، وارتفعت القيود التي كان المحدثون مُلزمين بها في عهده، فانطلق التحديث بكميات كبيرة. لعل الذي يرمز لها هو أبو هريرة الدوسي، الذي كان في طليعة المُكثرين من الحديث في المدينة. لكن ظهر بإزائه عبد الله بن عمر الذي ورث عن والده التثبت في الرواية، فكان من بين المكثرين إلا أن أحاديثه تناولت بصورة خاصة مسائل الأحكام الدينية، والاجتهاد في تطبيقاتها العلمية، مثله في ذلك مثل عائشة التي روت الكثير من أقوال رسول الله ﷺ وتلقّت الكثير من عمله، فكانت تستند على تجربتها

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، ذِكْرُ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) رواه الدارمي في سننه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، باب من هاب الفتيا مخافة السقط.

(3) رواه الطبراني في مُسْنَدُ الشَّامِيِّين، باب مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ مُسْنَدِ أَبِي زَبْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَلَاءِ من حديث عَبْدُ اللَّهِ، عَنْ بُسْرِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ.

الخاصة في بيت رسول الله ﷺ، وتحرص على فحص متون الأحاديث التي تسمعها من غيرها، وتقابلها بمضامين القرآن الكريم، وتصحح ما سمعته من ابن عمر وابن عباس، من كون الميّت يعذب ببكاء أهله عليه، وتستنكر ما روي لها عن أبي هريرة في الأخبار التي تقول إن الصلاة يقطعها مرور المرأة والكلب والحمار[1]. أو أن الشؤم في المرأة والدار[2].

وتحت إشراف هؤلاء الثلاثة، تأسست في المدينة مدرسة الحديث في دار الهجرة، بفضل مجموعة من علماء التابعين، سلكوا في تكوين هذه المدرسة طريقتين متوازيتين إلا أنهما متباينتان في المنهج والنتائج.

فكانت المجموعة الأولى من رواة الحديث المعتمدين أمثال نافع، مولى ابن عمر، وعبد الله بن دينار، وعبد الله بن حزم الأنصاري، وإسحق بن عبد الله بن أبي طلحة.

والمجموعة الثانية من علماء الرواة، ومنهم فقهاء المدينة المشهورون، مثل سعيد ابن المسيّب، الذي كانت تربطه بأبي هريرة علاقة مصاهرة. وعروة بن الزبير، والقاسم ابن محمد، راوي علم عائشة، وسالم بن عبد الله بن عمر، حامل علم والده، وخارجة بن زيد بن ثابت، وهو من نقلة علم أبيه، وعلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

ب) انتشار مدارس الحديث في الأمصار:

وامتدّت مدرسة الحديث في المدينة إلى الحرم المكي الذي تهوي إليه أفئدة المسلمين في كل سنة، ليؤدوا فروض الحج وليشهدوا منافع لهم من أجَلِّها التذاكر في العلم، وتبادل المعارف الأثرية. وكان من بين الصحابة الذي أسهموا في تأسيس المدرسة المكية للحديث، حَبْر الأمّة عبد الله بن عباس، وعالمها جابر بن عبد الله، وعنهما أخذت علية التابعين أمثال عطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار. وعن هؤلاء برز أئمة منهم سفيان بن عيينة، وعبد الملك بن جريج في مكة، ومعمر بن راشد في اليمن.

وكانت الكوفة والبصرة في هذا العهد مهداً لحركة علمية حديثية حثيثة، قادها في الكوفة، مدينة العلم الإمام علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود الذي كان كُنيفاً

---

(1) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب الاعتراض بين يدي المصلي، قال: حدثني عمرو بن علي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بكر بن حفص عن عروة بن الزبير قال: قالت عائشة: ما يقطع الصلاة؟ قال: فقلنا: المرأة والحمار، فقالت: «إن المرأة لدابة سوء لقد رأيتني بين يدي رسول الله ﷺ معترضة كاعتراض الجنازة وهو يصلي».

(2) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما يذكر في شؤم الفرس.

مُلِئ علماً، ونهل من معينها أبو سلمة الرياحي، وزر بن حبيش، وعلقمة بن قيس النخعي، وابن أخيه إبراهيم.

وتزعّم أنس بن مالك، خادم النبيﷺ مدرسة الحديث في البصرة، فأفاض سيبه على الحسن البصري وابن سيرين وأبي الشعثاء الأزدي وأبي رجاء العطاردي وأيوب السختياني، وقتادة بن دعامة الدوسي.

ثم كان لمعاذ بن جبل وأبي الدرداء وأبي إدريس الخولاني دورهم في تثبيت نصوص الحديث في الشام، ثم قادها من بعدهم الأوزاعي ومكحول[1].

جـ) دور الموالي في حفظ الحديث :

وهكذا برز في كل من هذه الحواضر علماء من أعلام التابعين كان لهم الفضل في تأسيس هذه المدارس الحديثية، وأصبحوا قادة وقدوة لجمهور الأمة الإسلامية، وأثبتوا وجود تحول في تقاليد المجتمع، حيث أصبح العلم والتقوى هما معايير السيادة، بدلاً من الأصول العرقية، وكان جُلّ حملة العلم في هذه الفترة من علماء الموالي.

ويروي الحاكم في كتاب "علوم الحديث" أن عبد الملك بن مروان سأل الزهري عمن يسود الأمصار، فذكر له عطاء بن أبي رباح في مكة، وطاووس بن كيسان في اليمن، والحسن بن أبي الحسن في البصرة، ويزيد بن أبي حبيب في مصر، والضحاك بن مزاحم في خراسان، وميمون بن مهران في الجزيرة، ومكحول في الشام. ويسأل الخليفة المرواني : هل هؤلاء من العرب أم من الموالي ؟ ويشتد امتعاض عبد الملك كُلّما قيل له إنهم من غير العرب، ويعرب عن تحسره، معلقاً على مكانة مكحول، ويقول إنه معتوق لامرأة من هذيل. ولم تهدأ فورة غضبه إلا حينما قال له الزهري إن إبراهيم النخعي العربي يسود في الكوفة[2].

قد يكون لازم هذا الخبر صحيحاً، وشاهداً على ميول خلفاء بني مروان للعرب، ومُبَرْهِناً على تمسك الأمة بالحديث الشريف القائل أن : «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»[3].

---

(1) انظر تفاصيل تفرق الصحابة في الأمصار في كتاب معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوي، النوع الثاني والأربعون من أنواع علوم الحديث، معرفة بلدان رواة الحديث وأوطانهم، ص190 وما بعدها، طبعة دار إحياء العلوم، 1986.

(2) معرفة علوم الحديث، ذكر النوع الثالث والأربعين من علوم الحديث، معرفة الموالي وأولاد الموالي من رواة الحديث، ص 196 وما بعدها، طبعة دار إحياء العلوم، 1986.

(3) رواه الإمام أحمد في مسند الأنصار.

وقد لا نستغرب أن يسأل عبد الملك بن مروان محمد بن شهاب الزهري عن أبرز شخصيات مكة العلمية، ولا غرابة أيضاً في ذكر عطاء ولو لم يك منفرداً، غير أن المستغرب هو سؤاله عن سادة حواضر لم يزرها الزهري، ولعل الخليفة أعلم بأمرها منه، فعيونه ترصد أحوالها، وولاته تبعث أخبارها، ومن أغرب ما في الأمر سؤال الخليفة، وهو في الشام عمّن يسود في الشام، وكأنه غير عارف بشأنه؛ كما أن ميموناً المذكور بصفته سيّداً في الجزيرة، كان فيها موظفاً عند أحد أبناء عبد الملك نفسه، ففي جُلِّ هذه القضايا، نعتقد أن السائل فيها أعلم من المسؤول.

ومهما يكن من أمر، فإن هؤلاء السادة المحدثين المذكورين في هذه القصة كان لهم دور متميز في جمع الحديث وتدوينه، وهذا يتبين بما ضمنت هذه المقالة، إذ نسب للزهري قوله لعبد الملك : «إنما هو أمر الله ودينه، من حفظه ساد، ومن ضيّعه سقط»[1].

3. بداية حركة التدوين

وفي السنوات الأولى من القرن الثاني انطلقت عملية تدوين الحديث. واستمرّت طيلة قرنين، بدأت بأمر الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز، واستكملت بسنن أبي عبد الرحمن النسائي المتوفى سنة 303هـ.

لقد حقّق عمر بن عبد العزيز ما تردد جده أمير المؤمنين في الإقدام عليه. فقد روى الزهري عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن، واستشار أصحاب رسول الله ﷺ، فأشار عليه عامتهم بذلك، فلبث عمر مدة طويلة يستخير الله تعالى في ذلك شاكاً فيه، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال : «إني ذكرت لكم في كتابة السنن ما قد علمتم، ثم تذكرت، فإذا أناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كُتُبا فأكبُّوا عليها وتركوا كتاب الله وأني والله لا ألبس كتاب الله بشيء، فترك كتابة السنن»[2].

كان ذلك رأي عمر بن الخطاب في الإحجام عن التدوين في عهد توافر الصحابة، وحضور التعاليم النبوية في أذهان علماء الأئمة، وقبل أن يُثبت الخليفة عثمان بن عفان نص المصحف الشريف، لكن الظروف تغيرت في أيام عمر بن عبد العزيز، إذ لم يكد يبقى على قيد الحياة آنذاك من الصحابة نفس منفوسة. ولم تعد أي خشية من إهمال النص القرآني الذي انتشرت مصاحفه وحفظته.

---

(1) معرفة علوم الحديث، ذكر النوع الثالث والأربعين من علوم الحديث، معرفة الموالي وأولاد الموالي من رواة الحديث، ص 196 وما بعدها، طبعة دار إحياء العلوم، 1986.

(2) جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر بن عبد البر، باب ذكر كراهية كتابة العلم وتخليده في الصحف، ص77، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، 1995.

ولكن الذي خشى منه عمر بن عبد العزيز هو ضياع العلم وانتزاعه بموت حملته، فعقد العزم على تدوينه، وأصدر أمره بذلك إلى أبي بكر بن حزم الأنصاري، وهو يدرك أن هذه الانطلاقة لن تكون إلا من المدينة عرفاناً بمكانتها العلمية، وتقديراً لعلمائها.

أ) دور محمد بن شهاب الزهري (تـ 124هـ) :

وقد شارك في بدء هذه الانطلاقة الربيع بن صُبيح وسعيد بن أبي عروبة وصالح بن كيسان، ولكن محمد بن شهاب الزهري كان له القدح المعلّى في هذه العملية، فكان من أبرز فرسانها.

والغريب في أمر الزهري أنه لم يكن يكتب الأحاديث بيده، وإنما رزق ذاكرة خارقة، جعلته يحفظ عشرات آلاف الحديث في صدره، ويمليها على آلاف الطلبة فيملأون منها عشرات الصناديق من الكتب.

وتذكر المصادر أن هشام بن عبد الملك أراد أن يختبر حفظه، وبعدما أملى على أبنائه أربعمائة حديث في مجلس واحد، أخبره بعد أيام بضياع ما كتب أبناؤه عنه، وكان للخليفة العجب لما أعاد الزهري إملاء الأحاديث كما هي[1].

وفي عهد هؤلاء الرواد تم جمع ما قد سبق أن كتب في الصحائف القديمة، وما أمكن تلقيه من أفواه علماء كبار التابعين.

ب) تأليف المدونات في الحديث :

ومن الذين كتبوا الكثير عن الحديث الإمام مالك بن أنس الذي قطعت مرحلة التدوين في عهده شوطاً كبيراً، إذ أخرج أوّل مُدونة حُرّرت في الحديث والفقه في المدينة، وهو موطؤه الذي اتبع منهجاً خاصاً، وذلك لما اطّلع على كتاب عبد العزيز بن الماجشون الذي دوّن الفقه دُون الحديث، فقال مالك : «ما أحسن ما عمل، ولو كنت أنا لبدأتُ بالآثار ثم شددتُ ذلك بالكلام»[2].

---

(1) انظر الرَّامَهُرْمُزِيِّ في كتاب الْمُحَدِّثُ الْفَاصِلُ بَيْنَ الرَّاوِي وَالْوَاعِي، باب مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَإِذَا حِفْظَهُ مَحَاه، حديث 345، قال : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي حَسَّانَ الْأَنْمَاطِيُّ، ثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، أنا الْوَلِيدُ، عَنْ سَعِيدٍ : «أَنَّ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ سَأَلَ الزُّهْرِيَّ أَنْ يُمْلِيَ عَلَى بَعْضِ وَلَدِهِ شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ، فَدَعَا بِكَاتِبٍ، وَأَمْلَى عَلَيْهِ أَرْبَعُمِائَةَ حَدِيث، فَخَرَجَ الزُّهْرِيُّ مِنْ عِنْدِ هِشَام، فَقَالَ : أَيْنَ أَنْتُمْ يَا أَصْحَابَ الْحَدِيثِ، فَحَدَّثَهُمْ بِتِلْكَ الْأَرْبَعِمِائَةِ، ثُمَّ لَقِيَ هِشَامًا بَعْدَ شَهْرٍ أَوْ نَحْوِهِ، فَقَالَ الزُّهْرِيِّ إِنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ قَدْ ضَاعَ قَالَ : لَا عَلَيْكَ، فَدَعَا بِكَاتِبٍ، فَأَمْلَاهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَابَلَ هِشَامٌ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ، فَمَا غَادَرَ حَرْفًا وَاحِدًا».

(2) التمهيد لابن عبد البر، ج 1، ص 86.

وظهر في عهده ما كتبه ابن جريج في مكة، وما رُوِي عن معمر بن راشد في اليمن، وعن سفيان الثوري وحمّاد بن سلمة وهشيم بن بشير في العراق، وأعمال الأوزاعي بالشام، وجرير بن عبد الحميد بالريّ، وعبد الله بن المبارك بخراسان.

ففي هذه الفترة بدأ التصنيف في مؤلفات منها ما رُتب بحسب المواضيع مثل الموطأت وكتب الجوامع والسنن، مثل كتب الأئمة الستة المشهورين، ومنها ما وضع ترتيبه حسب رواته، فعرف بالمسانيد، وكان من أشهرها مسند الإمام أحمد بن حنبل. والمسانيد من غيره بلغت العشرات. كما ظهرت الكتب المرتبة على المواضيع، وهي المصنفات. ومن العلماء من جمع بينهما في مؤلف واحد مثل ما صنع بقي بن مخلد الذي كان لنا عجبا أن لم يتم ضم كتابه إلى الصحاح الستة.

4. عقبات التدوين

أ) تمييز الصحيح من السقيم :

ثم حاول أئمة التدوين تذليل عقبات كبرى وَاجَهَتْهُم قي هذه العملية، من أخطرها مشكلة التمييز بين صحيح الخبر وسقيمه، وبين ثقات الرواة وضعفائهم، وسبر مناهجهم في التحديث.

وقد بدأت الشكوك حول صحة بعض الأخبار المعزوة إلى النبيﷺ في عهد الصحابة، إذ يقول ابن عباس : كنا إذا سمعنا من يقول : قال رسول اللهﷺ، ابتدرنا بالاستماع إليه. ولمّا ركب الناس الصعب والذّلول صرنا لا نأخذ إلا ما نعرف»[1].

وقد تنامى الشعور بأن الناس في فترة التدوين رووا بعض الأخبار المكذوبة، منها غرائب القُصّاص، ووضع الزنادقة أعداء الإسلام، واختلاق غلاة الطوائف السياسية والعقدية، وأولي التعصب للأقطار والمدن. أضف إلى هؤلاء ما قد يعتري الروايات من تحريف وزيادة بسبب الغفلة والسهو والنسيان والاختلاط.

وقد اتّبع أئمة التدوين في هذا العمل خطوتين، **أولاً** أنهم جمعوا ما سمعوا من الرواة، واجتهدوا **ثانياً** في تصفية الصحيح من السقيم والسمين من الغث. فروي مثلاً أن الإمام مالكاً روى عن ابن شهاب الزهري أكثر من مائة ألف حديث ولكنه لم يثبت منها في الموطأ من مروياته عنه إلا مائة وخمسين حديثاً. وقد وُجدت في داره بعد

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب في الضعفاء والكذابين ومن يرغب عن حديثهم من حديث عبد الله بن عباس.

وفاته صناديق ملئت من الأحاديث التي لم يحدث بها ولم يدونها، وعرف عنه شدة تحريه وحرصه على الرواية عن علماء الثقات[1].

وروى الإمام البخاري أنه جمع صحيحه من ثلاثمائة ألف حديث حفظها ولم يُبقِ منها في جامعه من أصولها إلا أربعة آلاف حديث، من غير المكرر، وكان من الذين أَوْلَوا اهتماماً خاصاً للرواة، وقد ألف في رجال الحديث كتاب "التاريخ الكبير" الذي تناول فيه مجمل الرواة وكذلك "التاريخ الصغير". وحذا حذوه في ذلك الإمام مسلم بن الحجاج الذي ذكر في مقدمته طبقات المحدثين، وبيّن درجاتهم في التوثيق.

ويعتقد علماء الحديث أنه لم يفت هذين الشيخين من الصحيح إلا أقله، بل قال محي الدين النووي في التقريب أنه لم يفت الخمسة من الصحيح إلا النزر القليل، واتفقوا على أن أصح الحديث ما اتفقا عليه.

وصرح أبو داود السجستاني بصلاحية كل حديث سكت عنه، واهتم أبو عيسى الترمذي ببيان العلل التي قد تقدح في الحديث، كما خصص أبو شعيب النسائي مؤلفاً للضعفاء والمتروكين.

ثم عني هؤلاء مع جهابذة النقاد في هذا العصر بفحص الأسانيد، ووضع مقاييس صحتها، والتنبيه على غوامضها، ولقد أثمرت هذه الجهود عن علم المصطلح الذي سنتناوله في باب خاص.

ونورد هنا مثالين يتعلقان بظاهرتين إحداهما صعبة ودقيقة، وهي تتمثل في نقد صنيع بعض ثقات المحدثين ممن عرف بالتدليس. والثانية تتعلق بظاهرة الوضع في الحديث، وطرق اكتشافها واضحة.

ب) ظاهرة التدليس :

أمّا مسألة التدليس فقد أقضّت مضاجع المُحّدثين، فاضطربت فيها أقوالهم واختلفت آراؤهم، فمنهم من اشتهر بكراهيته ومنهم من جعله مثل الإرسال، ثم تساهلوا مع من يُدلّس عن الثقات، وإذا استفسر صرّح بمن حدثه، فقبلوا هذا من بعض كبار المحدثين، واشترطوا في صحة تصحيح أحاديثهم عدم قبول العنعنة، إلا مع تحقق اللُّقيا.

وحذروا من المدلّسين عن الضعفاء والمجهولين، كالذين يحذفون الراوي الضعيف من السند أو يُسمُّونه باسم أو كُنية لا يُعرف بها، وسوف نرى بعض تفاصيل هذه الأصناف في الباب الرابع من هذا الكتاب.

---

(1) انظر مقدمة ترتيب المدارك للقاضي عياض للوقوف على قيمة كتاب الموطأ للإمام مالك وأقواله في تدوينه.

ولكن نكتفي في هذه المقدمة بإعطاء مثال في الحديث عن هشيم بن بشير الواسطي، الحافظ الحجة الذي قيل إنه من أول من اهتم بتدوين الحديث في واسط، ثم انتقل إلى بغداد، فكان من أبرز شيوخ الإمام ابن حنبل الذي لازمه ملازمة التلميذ للأستاذ. وقد اعترف له جهابذة النُّقاد بالفضل والصدق، فقال الإمام مالك رحمه الله : «وهل بالعراق إلا ذاك الرجل هشيم ؟». وقال يزيد ابن هارون : «ما رأيت أحفظ من هشيم إلا سفيان الثوري»، وقال شعبة، وهو من عُرف برفض التدليس : «إذا حدثكم هشيم عن عمر بن الخطاب فصدقوه، وإذا حدثكم عن عيسى بن مريم فصدقوه». وقال عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد : «هشيم في حُصين أثبت من سفيان وشعبة، وقد روى عنه مالك والبخاري ومسلم وأحمد وغيرهم». ومع هذا كله فإنهم اتفقوا أنه كان يدلس وسأله ابن المبارك، لم تدلس وأنت كثير الحديث ؟ فقال إن كبيرَيْك دلّسا : الأعمش وسفيان. وفي جواب آخر عن نفس السؤال قال : إن التدليس أشهى شيء[1].

كيف إذًا يكون إماماً حجة صدوقاً وهو مدلس، وما هي نوعية التدليس التي كان يمارسها ؟ يقول الخطيب في "الكفاية" إن أبا الأحوص البغوي يقول إنه جلس إلى جانب هشيم وهو يحدث، فجعل يقول : أخبرنا، يرفع صوته ثم يسكت، فيقول فيما بينه وبين نفسه "فلان"، ثم يرفع صوته ويقول : «داود عن الشعبي عن فلان عن فلان[2] فإذا كان فلان الذي قال سراً ضعيفاً فإن هذا من قبيل ما يعرف بتدليس التسوية المذموم. وإذا كان ثقة، وأخفى لسبب ما، فإن المحدثين يغتفرون هذا النوع من التدليس، إذا تحققوا من صنيع الراوي.

والطريف في أمر هشيم أنه كان يجاهر بصنيعه، ويمتحن طلبته في اكتشاف تدليسه، ويذكر الحاكم في علوم الحديث أن أصحاب هشيم اجتمعوا يوما وقرروا أن يأخذوا عنه التدليس ففطن لهم، فكان يقول في كل حديث يذكره : حدثنا حصين ومغيرة عن إبراهيم، فلما فرغ قال لهم : هل دلست لكم اليوم ؟ فقالوا : لا، قال : «لم أسمع من مغيرة حرفاً مما ذكرته، إنما قلت حدثني حصين، ومغيرة غير مسموع لي»[3]. وهذا مما

(1) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد، الجزء السابع الطبقة الثامنة، قال : «هشيم بن بشير ويكنى أبا معاوية مولى لبني سليم وكان ثقة كثير الحديث ثبتا يدلس كثيرا فما قال في حديثه أخبرنا فهو حجة وما لم يقل فيه أخبرنا فليس بشيء أخبرنا سعيد بن هشيم قال ولد أبي في أول سنة خمس ومائة وتوفي ببغداد في شعبان سنة ثلاث وثمانين ومائة في خلافة هارون وهو يومئذ ابن تسع وسبعين سنة ودفن في مقابر الخيزران».

(2) انظر الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، باب الكلام في أحكام الأداء وشروطه، ص 165، طبعة دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

(3) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص 105، طبعة دار إحياء العلوم، 1986.

عرف عند المحدثين بتدليس العطف، وتتبع نقاد جهابذة المحدثين يدل على ما يبذلونه من جهود في وضع آليات التقويم واختيار الصحيح.

جـ) الوضع في الحديث :

ومن العقبات التي اعترضت أعمال أئمة التدوين ظاهرة الوضع في الحديث. والملاحظ أن أحاديث المناقب قد تكون عادة عرضة لزيادات يعتقد أن بعض ضعفاء الرواة يقحمونها في الأحاديث الصحيحة الأصل، لتقوية حجج بعض الفرق والطوائف في منازعاتها حول مذاهبهم الخاصة. وقد يرد بعض هذه الأحاديث في المسانيد خاصة، فمنها ما يتناول أموراً غيبية تعظم من شأن أحد الخلفاء أو الصحابة، رداً على من يتعرض لأحقيته بالخلافة أو للتشكيك في أفضليته.

ومنها ما يتناول فضائل القبائل والمدن. فمن ذلك ما رواه البزار في مسنده عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : لما عرج بي إلى السماء ما مررت بسماء إلا وجدت اسمي فيها مكتوبا : محمد رسول الله، أبو بكر الصديق. ويقول الهيتمي إن فيه عبد الله الغفاري وهو ضعيف[1].

وروى الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : في الجنة شجرة (أو ما في الجنة شجرة، شك علي بن جميل) إلا مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين. وفي سند هذا الخبر علي بن جميل الرقّي وهو ضعيف[2].

وروى الطبراني في "الأوسط" عن أبي سعيد الخدري : لو كان الله باعثاً رسولاً بعدي لبعث عمر بن الخطاب، وفي إسناده عبد المنعم بن سنبر، وهو ضعيف[3].

وروى أبو يعلى عن حفصة أن رسول الله ﷺ قال لعثمان : إنك مقتول مستشهد، فاصبر صبَّرك الله، ولا تخلع قميصاً قمّصك الله عز وجل اثنتي عشرة سنة وستة أشهر حتى تلقى الله وهو عنك راض، وفي إسناده إبراهيم بن عمر بن عثمان، وهو ضعيف[4].

---

(1) أخرجه البزار عن ابن عمر مرفوعاً، وله طرق وأسانيد واهية.

(2) الطبراني في المعجم الكبير، باب من اسمه عبد الله، وما أسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد عن ابن عباس، الحديث رقم 10932.

(3) الحديث رواه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضوان الله عليهم، من مناقب أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من حديث عقبة بن عامر قال : قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ»، قال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(4) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده من حديث حفصة أم المومنين رضي الله عنها، الحديث رقم 6891.

وروى الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : مكتوب على باب الجنة : لا إله إلا الله محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، عليٌّ أخو النبي ﷺ قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة، وفي إسناده أشعث بن عم الحسن بن صالح، وهو ضعيف[1].

ولا شك أن هؤلاء الخلفاء الأربعة لهم ما يكفي من المناقب العظيمة الواردة في الأحاديث الصحيحة، وهذه الروايات غير ضرورية في إثبات ما لهم عند الله ورسوله وعند أمة المسلمين من مكانة عالية.

وقد روى الترمذي والطبراني حديثاً عن جبير بن نفير وعبد الله بن حوالة الأزدي أن «من اتبع معاوية يكون على هدى»[2]. وروى الطبراني في "الأوسط" عن عائشة لما كان يوم أم حبيبة من النبي ﷺ دق الباب داقٌ، قال النبي ﷺ : انظروا من هذا ؟ قالوا : معاوية، قال : إئذنوا له، ودخل على أذنه قلمٌ يخط، فقال : ما هذا القلم على أذنك يا معاوية قال : قلم أعددته لله ولرسوله، فقال : جزاك الله عنا خيرا، والله ما استكتبتك إلا بوحي من الله عز وجل، كيف بك لو قمّصك الله قميصاً بمعنى الخلافة. فقالت أم حبيبة، فقلت : يا رسول الله وإن الله مُقمِّص أخي قميصاً ؟ قال : نعم، ولكن فيه هنات وهنات وهنات. قلت : يا رسول الله، ادع الله له، فقال : اللهم اهده بالهدى وجنّبه الردى واغفر له في الآخرة والأولى. وهذا في إسناده السري بن عاصم، وهو ضعيف[3].

وقد روى الطبراني في "الأوسط" و"الكبير" عن ابن عباس قال في حديث له : هذا العباس قد أقبل وعليه ثياب بيض وسيلبس ولده من بعده السواد، ويملك منهم اثنا عشر رجلا. وفي إسناده جماعة مجهولون[4].

وروى الطبراني في "الكبير" والبزار عن طلحة بن عبيد الله : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا عمرو إنك ذو رأي سديد في الإسلام، وفي إسناد الطبراني من لم يُعرف، وفي إسناد البزار إسحق بن يحيى بن طلحة، وهو متروك[5].

---

(1) رواه الطبراني في الأوسط باب الميم من اسمه محمد، وانظر الحديث في سلسلة الأحاديث الضعيفة للأباني، مجلد 10، رقم 4901.

(2) رواه الطبراني في مسند الشاميين، الحديث رقم 1945.

(3) رواه الطبراني في الأوسط باب الألف، من اسمه أحمد، الحديث رقم 1907، وقال تفرد به السري.

(4) رواه الطبراني في الأوسط، باب الألف، من اسمه أحمد، الحديث رقم 601، وقال تفرد به محمد بن صالح.

(5) انظر مجمع الزوائد للهيتمي، المجلد التاسع، الحديث رقم 15894.

فلو صحّت هذه الأحاديث التي تتحدث عن الخلافة لجنبت الأمة الفتنة التي ابتليت بها بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه.

ومن هذا النوع ما ذكر عن القبائل والمواضع، فقد وردت عدة أحاديث في فضل اليمن واليمانيين، وفي الشام كذلك مثل ما روى جبير بن نفير في مسند أحمد في فضل الشام. ويقول الهيتمي إن في إسناده أبا بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف[1].

كما روى الطبراني عن عبد الله بن حوالة أن رسول الله ﷺ قال : رأيت ليلة أسري بي عمودا أبيض كأنه لؤلؤة تحمله الملائكة، قلت : ما تحملون ؟ قالوا : عمود الكتاب أمرنا أن نضعه بالشام ؛ وفيه عفير بن عمدان، وهو مُجمع على ضعفه[2]. وقد وردت فيها عدة أحاديث، منها أن أهل الشام طردوا إبليس، فباض وفرخ في مصر. وإن بها تسعة أعشار الخير، والعشر الباقي في الناس كافة، وأن ليس بها إلا عشر الشر وأن التسعة الأعشار الباقية في سائر البلدان. وأنها أرض البدلاء الذين يصرف الله بهم العذاب عن أهل الشام، . والمعروف أن في كل هذه الأمصار خيراً كثيراً وفضلاً جماً، ولكن الحديث يتطلب كامل الاحتراز في هذه المواضيع.

وروى أيضاً عن كعب بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا فُتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم دماً ورحماً[3].

وحكى القاضي عياض في "الغُنية" في ترجمة أحمد بن قاسم الصنهاجي، وقال إنه شيخ لا بأس به، قال : حدّثني رحمه الله، قال : أخبرني الفقيه أبو علي بن خالد وأبو عبد الله محمد بن عيسى بن البليشي، قالا : نا الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن الشيخ، قال : نا وهب بن مسرة عن محمد بن وضاح عن سحنون عن ابن القاسم عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ الخبر المذكور في سبتة وأنا أتبرأ من عهدته، ولولا شهرة الحديث له بها ما ذكرته، ونصه : قال سمعت عبد الله بن عمر يقول : في المغرب مدينة، سمعت رسول الله ﷺ يقول فيها : إنها على مجمع مجرى المغرب، وهي مدينة بناها سبت بن سام بن نوح، واشتق لها اسماً من اسمه، فهي سبتة ودعا لها بالبركة والنصر. فلا يريد بها أحد سوءاً، أو بأهلها إلا ردّ الله دائرة السوء عليه. وقد سمعت غير واحد من شيوخنا يذكر هذا الخبر من رواية ابن الشيخ ووجدته بخط

---

(1) قال الشوكاني في نيل الأوطار، ج 8، ص 43 حديث معاذ في إسناده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف وفي إسناده أيضا رجل لم يسم وقد أخرجه الطبراني.

(2) رواه الطبراني في مسند الشاميين، باب ما انتهى إلينا من مسند عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، الحديث رقم 586.

(3) رواه البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي بن كعب، الحديث رقم 2585.

كبرائهم، وهو حديث موضوع لا شك فيه، ولم يخرج إلا عن ابن الشيخ، وهو في فضله وعلمه ودينه ممن لا يتهم، لكن لا أدري من حيث دخلت عليه فيه الداخلة والحمل فيه عليه بكل حال[1].

5. محاولة تهذيب الآثار

ومع كل هذه الجهود، فإن مُدوّنات الحديث (وبالخصوص ما ورد في الزوائد والمسانيد) أثارت جملة من الانتقادات تعود إلى عوامل متعددة منها أن عملية التدوين استكملت في القرن الثالث الهجري، وصادفت نهايتها حركة فكرية عارمة اكتسحت العراق الذي كانت حواضره مراكز اصطدام حادّ بين مجموعات الفرق، وخلاف بين أهل السنة والمعتزلة الذين قادوا محنة أهل الحديث في عهد المأمون العباسي وابنه المعتصم ووزيره ابن أبي دؤاد.

وإذا كان أئمة الحديث صمدوا في هذه الفتنة، فإنهم مع ذلك تعرضوا لكثير من التُّهم، وسددت إليهم الأسهم من جميع الفرق التي كان يعج بها العراق آنذاك، حتى من نظرائهم من أهل السنة، ومن أهل القياس المتشددين في تقبل الأخبار. كما أنهم أُصيبوا من داخلهم بمصائب الوضّاعين والقصّاصين الذين مزجوا صفاء أحاديثهم بروايات مشبوهة، وأقاصيص أساءت إلى الجهود الجليلة التي بذلها أئمة التدوين في انتقاء الأحاديث وتصفيتها.

فكان لابد أيضاً من قيام عمل تصحيحي لتنسيق روايات الحديث وتهذيب طرقها وشرح غريب ألفاظها وتوضيح مُشكلها وإزالة الشُّبه فيما يبدو متناقضاً فيها والرد على منتقديها. فكان ذلك من عمل الإمام الشافعي في كتاب "مختلف الحديث" وكتب ابن قتيبة، والقاسم بن سلام، وإبراهيم الحربي، وأبي جعفر الطبري، وأبي جعفر الطحاوي. وكان لعمل هؤلاء العلماء النقاد أثر كبير في عملية تهذيب الآثار.

6. نشأة علم المصطلح

وبعد جهود هؤلاء الأئمة في شرح غريب الحديث، وتأويل مشكله، وتهذيب نصوصه، دخل هذا العلم في مرحلة جديدة تتمثل في تقنين علومه، وضبط مقاييسه، وتقويم أسانيده ومتونه، وبيان شروط صحته، وكيفية تحمله، وتوضيح غوامضه،

---

(1) الغنية للقاضي عياض، ص 117.

ومعرفة رواته، وهو ما عُرف بالمصطلح، واعتباراً لأهمية المرحلة صارت كتبها تحمل عناوين علوم الحديث.

بدأت هذه المرحلة مع القاضي المُحدّث الحسن ابن خلاّد، صاحب "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي"، وانتهت عملياً بأعمال ابن حجر والسخاوي والسيوطي، مُروراً بالحاكم النيسابوري، والخطيب البغدادي والقاضي عِياض، وابن الصلاح، صاحب المقدمة المشهورة.

في هذه المرحلة التي استندت إلى البحوث التي سبقتها استكمل علم الحديث صورته النهائية، فمثّل منهجاً فريداً في التوثيق، اعتمد في تصحيح الأخبار على قاعدة الإسناد، الذي لولاه لقال من شاء ما شاء، واستعمل التدقيق في الأسماء والكُنى والألقاب لتمييز المؤتلف والمختلف والمتشابه، واستعان النُّقّاد بالتواريخ للتحقق من إمكان اللقاء بين الراوي وبين من أسند إليه، فكان من شعار النُّقّاد اهتمامهم بالتاريخ، ووضع سُلّمين أحدهما لدرجات العدالة، والثاني لصفات التجريح؛ ونبّهوا على الذين اختلطوا في آخر حياتهم، وعلى الذين أخذوا عنهم قبل الاختلاط أو بعده. ومن أهم ما قاموا به في هذا المجال التنبيه على ما يقع من التباس أسماء الرواة في بعض الأسانيد.

ومن أمثلة اختلاف الأسماء في الأسانيد تعددها لشخص واحد، ومثله ما يذكر عن محمد بن السائب الكلبي المفسر، والمعدود من الضعفاء، فهو "أبو النضر" الذي روى عنه باذان عن ابن عباس حديث تميم الداري، وعدي بن البداء وهو "حماد بن السائب" الذي روى عنه إسحق بن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس حديث ذكاة كل مَسْكٍ دباغه، وقد غلط فيه النسائي، وهو "أبو سعيد" الذي يروي عنه عطية العوفي في التفسير موهما أنه أبو سعيد الخدري، وهو نفسه "أبو هشام" كناه بها القاسم بن الوليد الهمداني الذي روى عنه عن أبي صالح عن ابن عباس حديث : لما نزلت : ﴿ قل هو القادر ﴾[1] الآية، وهو أيضاً محمد بن السائب بن بشر الذي يروي عن ابن إسحق[2].

ووضع أصحاب المصطلح علامات دقيقة لمعرفة المروي عنه، فمن ذلك في التفرقة بين الحمّادين، وذلك حينما يقول الراوي : حدثنا "حماد" من غير أن ينسبه، فإذا

---

(1) الأنعام، 65.

(2) انظر هذا المثال وغيره في تدريب الراوي للسيوطي النوع الثامن والأربعون : معرفة من ذكر بأسماء أو صفات مختلفة.

روى سليمان بن حرب عن حمّاد فهو حمّاد بن زيد، وإذا كان الرّاوي عفّان بن مسلم فهو حمّاد بن سلمة.

وفي باب الألقاب، ذكروا أن لقب غُندر مثلاً يطلق على عدة محدثين لكن أشهرهم محمد بن جعفر الذي أطلق عليه ابن جريج هذا اللقب لأنه كان مشاغباً. ومن الألقاب المغلطة قولهم معاوية الضال، لأنه ضل في طريق مكة، وعبد الله بن محمد الضّعيف، وهو ضعيف الجسم، قوي الرواية، بخلاف يونس بن يزيد القوي في التعبد، الضعيف في الحديث[1].

ومن الحُفّاظ الذين قد يقع الاشتباه في نسبتهم : الدارمي، وقد اشتهر منهم اثنان هما عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي (تـ 255هـ) صاحب "المصنف" و"التفسير" و"الجامع"، وقد حدّث عنه الإمام مسلم والترمذي وأبو داود، والدارمي الثاني هو الحافظ عثمان بن سعيد السجستاني (تـ 280هـ) محدث هراة، وقد أخذ عن ابن المديني، وله المسند الكبير والرد على الجهمية.

ومن هؤلاء كذلك من عُرف بالبغوي مثل أحمد بن منيع (تـ 240هـ) وسبطه الحافظ أبو القاسم البغوي شيخ الدارقطني المتوفى سنة 312هـ، وصاحب المصابيح وشرح السنّة أبو محمد الحسين بن مسعود الفرّاء المتوفى سنة 516هـ.

وفي باب الكُنَى نبّهوا إلى معرفة الفرق بين الرواة الذين اشتهروا بكنية واحدة، ولعل من أشهرهم أبا زرعة الذي عُرف به عشرة من كبار المحدثين منهم ذلك الذي وقع الخلاف في اسمه قديماً، وقد ورد في حديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان : إذ قال حدثنا زهير بن حرب، حدثنا جرير بن عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال : قال رسول اللهﷺ : سلوني، فهابوا أن يسألوه...، الحديث. ثم قال مسلم : وأبو زرعة اسمه عبد الله، وروى عنه الحسن بن عبد الله، وهو كوفي من أشجع[2].

ويقول أبو علي الجياني في كتاب "التنبيه على الأوهام الواقعة في صحيح مسلم"، «وقع كلام مسلم هذا في رواية أبي العلاء بن ماهان خاصة، وليس في رواية الجلودي ولا الكسائي منه شيء وبين أهل العلم خلاف في هذه الجملة التي حكينا عن مسلم رحمه الله،.... وأما قوله : وأبو زرعة هذا روى عنه الحسن بن عبيد الله فقد قاله البخاري أيضاً، وقد خولفا في ذلك أيضاً، فقيل إن أبا زرعة الذي يروي عنه الحسن بن

---

(1) تدريب الراوي، ص 254، طبعة دار الكتاب العربي.

(2) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة.

عبيد الله رجل آخر، يروي عن ثابت بن قيس اسمه هرم قال ذلك على ابن المديني، وإليه ذهب أبو محمد ابن الجارود في كتاب الكُنَى»[1].

وأمّا ما جاء في رواية ابن ماهان أنه كوفي من أشجع، فهو غير معلوم، وكيف يكون من أشجع وهو في هذا الإسناد يقال إنه ابن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي، وأين يجتمع بجيلة وأشجع.

وممّن حمل هذه الكُنية عبد الله بن عبد الكريم القرشي (تـ 264هـ)، وعبد الرحمن بن عمرو النضري (تـ 281هـ)، ومحمد بن يوسف الكشّي الجرجاني (تـ 393هـ)، ومحمد ابن إبراهيم الأستراباذي اليمني (تـ 390هـ) وأحمد بن الحسين الرازي الصغير (تـ 375هـ) والرازي الأصغر (تـ 423هـ) والأستراباذي الصغير (تـ 382هـ).

ومن المعروف أن لزين الدين العراقي ولداً من علماء الحديث عُرف بأبي زرعة.

7. أصحاب الموسوعات الحديثية

وبعد استكمال مراحل بناء صرح علوم الحديث، ظهرت نزعة إلى تأليف موسوعات شاملة لجمع حصيلة الجهود السابقة، وأخذت هذه النزعة اتجاهين اثنين :

أحدهما : سعى إلى إحصاء جميع رواة الحديث والتعريف بهم، وبيان درجاتهم في الجرح والتعديل.

والثاني : حاول استقصاء جميع المرويات وبيان رتبتها في الصحة والضعف، وعزوها إلى مدوناتها الأصلية.

بدأ أصحاب الاتجاه الأول في حصر الرواة وتصنيفهم على ثلاثة أقسام :

والقسم الأول : رواة الصحابة، وقد حاول الحافظ بن حجر جمعهم في كتاب "الإصابة" ملخصاً فيه جهود من سبقه من الذين كتبوا عنهم أمثال ابن سعد في طبقاته، والإمام البخاري في تاريخه الكبير، وأبي بكر البرقي، وابن قانع البغدادي، وابن السّكن المصري، وأبي القاسم البغوي، وأبي نعيم الأصبهاني، وابن عبد البر، وابن الأثير الجزري.

والقسم الثاني تناول حصر ثقات رواة المحدثين.

---

(1) التنبيه على الأوهام الواقعة في صحيح مسلم لأبي علي الغساني، دراسة وتحقيق محمد أبو الفضل، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، سنة 2000.

والجدير بالبيان أن جمهور النُّقّاد اعتبروا أن من روى له الشيخان، البخاري ومسلم، فقد جاوز القنطرة، فبدأوا برجال الصحيحين، مثل ما عمل أبو الفضل ابن القيسراني محمد بن طاهر المقدسي (تـ 507هـ)، الذي جمع كتاب أبي نصر الكلاباذي في رجال البخاري، وكتاب ابن منجويه في رجال مسلم، ثم أتى بعده الحافظ عبد الغني الدمشقي (تـ 600هـ) الذي جمع رواة الصحاح الستة في كتاب "الكمال".

وكان واسطة هذا العقد هو كتاب أبي الحجاج المزي الموسوم بـ "تهذيب الكمال" الذي نُشر أخيراً في خمسة وثلاثين مجلداً، بتحقيق الدكتور بشار عواد، وصار مُنطلقاً لمجموعة من الكتب التكميلية مثل كتاب مُغُلْطايْ ابن قليج، و"تذكرة" محمد بن علي الدمشقي الذي أضاف له رجال الموطإ، و"اختصار" الذهبي في "الكاشف"، و"إكمال" ابن الملقن، ومن هذه السلسلة "تهذيب" ابن حجر و"تقريبه".

ولم تك هذه الأعمال مُقتصرة على الصحاح الستة والموطأ، بل أُلّفت أيضاً مصنفات في الثقات من أشهرها كتب ابن حبان وأحمد بن عبد الله العجلي، وأحمد بن شاهين وابن قطلوبغا الذي كتب عن الثقات من غير رواة الكتب الستة.

إن من أهم مهام جهابذة الحديث التمييز بين الثقات والضعفاء من الرواة، وهذا يتوقف على التأكد من معرفتهم، إذ قد تشتبه أسماؤهم وكُناهم وألقابهم ونسبهم إلى القبائل والأوطان، ومنذ حركة التدوين بدأ الاهتمام في "تواريخ" الإمام البخاري، وفي كتاب " الكُنى والأسماء" للإمام مسلم و"الأسماء والكنى" لأحمد بن حنبل، ومثله لأبي بشر الدولابي (تـ 310هـ)، وتوالت المؤلفات في هذا الموضوع مثل كتاب أبي أحمد الحاكم النيسابوري، وكُتُب الخطيب البغدادي وابن عبد البر والدارقطني وابن بشكوال. وتُعتبر كُتُب ابن ماكولا (تـ 475هـ) العمدة الموسوعية في هذا الباب. فمؤلفه الذي سماه "الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والألقاب"، كان مصدراً ومنطلقاً لما بعده مثل "تكملة" الحافظ ابن نقطة (تـ 626هـ)، وكتاب "المشتبه" لشمس الدين الذهبي، وكتاب أبي حامد الصّابوني، وابن العمادية وكتاب "نزهة الألباب" و"تبصير المنتبه وتحرير المشتبه" لابن حجر، وكتاب "المغنى" لمحمد طاهر بن علي الهندي.

القسم الثالث : أما القسم الثالث فقد اهتم بذكر الضعفاء من الرواة، وقد كان الإمام البخاري رائداً في هذا الميدان، حيث خصص جُلّ كلامه في "تاريخه الصغير" للضعفاء، وسار على نهجه في هذا الاتجاه ابن أبي حاتم الرازي والنسائي وأبو جعفر العقيلي وأبو حفص بن شاهين والدارقطني.

وفي إمكاننا أن نعتبر كتاب "الكامل" لأبي عدي العمدة الموسوعية في هذا الباب الذي انطلقت منه أعمال من جاءوا بعده، استكمالاً واختصاراً.

ومن أشهر هذه المجموعة "كتاب الضعفاء والمتروكين" لابن الجوزي، و"ميزان الاعتدال" للذهبي و"لسان الميزان" لابن حجر.

أ) ضبط المرويات :

لقد اهتم الباحثون بحصر جميع الأحاديث النبوية. وكان من أول من قام بمحاولة هذا الحصر مجد الدين رزين بن معاوية العبدري الأندلسي، المتوفى بمكة سنة 524هـ. وقد جمع أصول أمهات الحديث من كتب الصحاح الستة[1].

ثم تلاه الإمام مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، فجمع تجريد رزين مع زيادة ما في الموطإ، وزوائد ابن ماجه، إلا أنه نبّه أنه وجد في زيادات رُزين التي أوردها بعض الأحاديث التي لم يجد أصلها في أمهات الكتب، وقد انتقده الإمام الشوكاني في "فوائده"، قائلاً : إن هذه الزيادات كانت من باب الموضوعات. غير أن صاحب "تنقيح المشكاة" ذكر أنه وجد أكثر زيادات رُزين في مدونات الحديث وبيّن مواضعها.

والخطوة الثالثة كانت من عمل الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (تـ 707هـ)، فجمع زوائد مسند الإمام أحمد، وأبي يعلى الموصلي وأبي بكر البزار ومعاجم الطبراني الثلاثة في مصنف بديع ونفيس سماه "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد".

والخطوة الرابعة هي التي قام بها الإمام السيوطي في "الجامع الكبير".

ثم جاء أخيراً "مجمع الفوائد في جامع الأصول ومجمع الزوائد" للحافظ المغربي محمد بن محمد بن سليمان الرّوداني[2]، الذي جمع أعمال ابن الأثير والهيتمي

---

(1) رزين بن معاوية بن عمار العبدري السرقسطي الأندلسي أبو الحسن إمام الحرمين، نسبته إلى سرقسطة من بلاد الأندلس، جاور بمكة زمناً طويلاً وتوفي بها، له تصانيف منها التجريد للصحاح الستة. ذكره ابن خير وقال : "تجريد أصول الدين مما اشتمل عليه الصحاح الستة الدواوين بحذف الأسانيد وتقعيد المسائل مع استقصاء مضمون الحديث"، وذكر قبله في نفس الموضع كتابا آخر سماه "الكتاب الجامع لما في كتاب الموطأ والبخاري ومسلم والنسائي وأبي داود والترمذي من الحديث وهو المسمى بتجريد الصحاح". وقد ذكر ابن خير أنه رحمه الله كان يقرأه كتبه هذه بالمسجد الحرام تجاه الكعبة عام حج وذلك عام 505هـ. قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : «أدخل بالكتاب زيادات واهية لو تنزه عنها لأجاد وهذه الصحاح هي البخاري ومسلم والموطأ وأبو داود والترمذي والنسائي وهو أول من عد الموطأ سادس الكتب الستة وتبعه ابن الأثير في جامع الأصول». توفي سنة 524هـ. انظر فهرست ابن خير، ص 123-124، وبغية الملتمس، الضبي، ج 1، ص 369. وانظر الرسالة المستطرفة، الكتاني، ص 173، والأعلام، للزركلي، ج 3، ص 20.

(2) جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد لمحمد بن سليمان المغربي، تـ 1093هـ، تحقيق سليمان بن دريع أبو علي، مكتبة ابن كثير، دار ابن حزم، ط 1، 1998.

وأضاف لها سنن الدرامي وزوائد ابن ماجه. وقد جمع فيه عشرة آلاف وخمسة وثلاثين حديثاً.

ولا شكّ أن هذا الرقم يثير الانتباه حول ما تذكره المصادر عن عدد الأحاديث النبوية، التي تختلف التقديرات فيها بين هذه المصادر.

ولكن إذا حاولنا أن نصل إلى عدد تقريبي، فإن علينا أن نُميّز بين قسمين من أنواع الحديث، ففي القسم الأول نوعان :

النوع الأول : هو الأحاديث الصحيحة، وقد روي أن صحيحي البخاري ومسلم لم يفتهما منها إلا القليل. وهذا القليل لا يمكن أن يكون أكثر مِمّا في كتابيهما. فعلى هذا الأساس فإن الأحاديث الصحيحة بأكملها قد تكون أقل من عشرين ألف حديث.

النوع الثاني : الأحاديث الضعيفة، وقد يصعب حصرها لأن الوضاعين كُثر، والموضوعات أكثر.

غير أن أغلب الأحاديث الضعيفة التي لم يُجمع على طرحها، وردت أكثرها في زوائد المدونات العامة، وقد بلغ بها الألباني ألفي حديث.

ويتضمن القسم الثاني نوعين كذلك :

ب) أحاديث الأصول : و تتمثل في المصنفات الجامعة لمتن الحديث المروي.

ج) فروع الأصول : وهي الأحاديث المكررة بأسانيد مختلفة، وصيغ متنوعة، بزيادة أو نقصان، أو استبدال لفظ بآخر، أو إدراج كلام ليس من الحديث أو حذفه. والأصل الواحد من هذه الأحاديث قد يتكرّر عدة مرات، ولنا أمثلة كثيرة من هذا النوع في صحيحي البخاري ومسلم. غير أن هذا التّكرار قد اعتُبر في تقدير الكميات التي أشرنا إليها.

وإذا ما عرضنا هذه التقادير إلى حساب المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحدِّث فيها، فإنا قد نصل إلى نتائج أكثر معقولية.

ذلك أنّا نعلم أن الرسولﷺ مكث في المدينة المنورة نحواً من عشر سنين، وأن أغلب الأحاديث النبوية كانت كلها مدنية، حتى تلك التي تتعلق بفترة حياته في مكة، فأحاديث نزول الوحي، وحديث الإسراء والمعراج، دخول أول أهل مكة في الإسلام، ومُعاناة الرسول في دعوته، وبيعات أهل العقبة، قد رُويت في المدينة. فإذاً يمكن أن نفترض أن الحديث كله مدني.

وإذا ما عرفنا أن مدة حياة الرسولﷺ بعد الهجرة لا تتعدى ثلاثة آلاف وخمسمائة وستين يوماً، وإذا ما قسمنا رقم الأحاديث على عدد الأيام، فإننا سنجد أنهﷺ كان يلقي على كل يوم نحو ثلاثة أحاديث.

وأن هذه النتيجة تتعارض مع ما نقرأه في بعض المصادر أن أحد المُحدّثين كان يحفظ ألف ألف حديث، وفي هذا الرقم مبالغة لا يصدقها المنطق السليم.

من أجل هذا، نُقدّر أن أصول الحديث قريبة من الأرقام التي رأيناها عند محمد ابن سليمان الروداني، والتي لا تزيد على عشرة آلاف إلا قليلا، لأن نسبتها مع التحديث اليومي ثلاثة أحاديث كل يوم.

محاولة تصور تاريخ علوم الحديث

والباحث في علوم الحديث يدرك بسهولة ضخامة الجهود التي بذلها علماء هذا الفن في حفظ الآثار وتدوينها وتصنيفها، وشرح غريبها وتوضيح مشكل آثارها، وفي وضع آليات التقويم في أسانيدها ومتونها لتمييز صحيحها من سقيمها.

إنها حصيلة يستحيل على المؤرخ أن يستعرضها كاملة، أو أن يعطي عنها صورة تامة، فكان لا محيد عن الاقتصار على أمثلة مقتضبة عن نشأة هذا العلم، وعن مراحل تطوره، وذكر أبرز أعلامه، وبيان الظروف التاريخية التي أحاطت بهذه المرحلة.

ولعل أهم ما يقوم به المؤرخ هو التنبيه على ما لا يستطيع أن يقوم به. وقد قيل إنه علم نضج واحترق، ولم يعد لأحد أن يُضيف إليه جديداً، فعلينا إذا أن نُبادر بالقول بأن هذا المصنف ليس كتاب حديث جديد، وإنما جاء محاولة للتعريف بجهود أهل الحديث.

والذي نأمله أن يساعد الإطار المرسوم لهذا الكتاب على تصور شامل قدمت في عناوينه، وتمت الإشارة إلى مضامينه. وهذا هو التصميم الذي اخترناه لهذا العمل، معترفين بالنواقص التي لا يمكن تفاديها، سواء في المنهج أو في عرض البحوث.

ما الدّاعي إلى بيان أن هذا التاريخ يتناول المشرق والمغرب ؟ إنه تساؤل في محله، نظراً لوحدة الأمة التي استحفظت هذا العلم، ولارتباط علمائه، واختزالهم المسافات في تحصيله ونشره، فعلم الحديث اقترن بالرّحلات بين الأمصار الإسلامية، ولم يأنف علماء المغاربة من الحرص على القيام برحلاتهم العلمية إلى حواضر المشرق لأخذ علوم الحديث من ينابيعه الأصلية، حيث كانت نشأته الأولى، غير أنّ جهود علماء المغرب لم تنتشر في مدونات هذا العلم ولم تنل ما تستحقه من شهرة.

فلا أحد من غير المختصين يعرف أو يعترف بأعمال علي بن زياد وبقي بن مخلد وابن وضّاح الذين تبوأوا رتبة كبار أئمة المحدثين مثل البخاري ومسلم. وقليل من غير المُختصين يعرف أو يعترف بجهود أبي الوليد الباجي وأبي علي الجياني وأبي علي الصدفي وابن القطان في هذا الميدان.

وإذا كان القاضي عياض قد انتزع مكانه بين أقرانه، "بمشارق أنواره"، فإن علماء المشرق تعجبوا من طلوع الشمس بالمغرب، وأطلقوا الكلمة الشائعة أنه: لولا عياض لما ذكر المغرب، وكأنهم بذلك يرددون صدى قول ابن حزم :

أنا الشمس في جو السماء منيرة ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

ومن هؤلاء الأعلام المغاربة أبو عبد الله بن الصبّاغ المكناسي[1] الذي أملى أربعمائة فائدة على حديث : يا أبا عمير ما فعل النُّغير، وأبو الغيث التونسي الذي كانت في خزانته ألف نسخة من صحيح البخاري، وأبو العباس أحمد بن يوسف الفاسي[2] وهو من كانت تُصحّح عليه نسخ البخاري ومسلم من حفظه.

ولا زال هذا الشعور ينتاب أبناء المغرب إلى اليوم، كما ذهب إلى ذلك غير واحد من علماء المغرب المعاصرين كالشيخ محمد الشاذلي النيفر والدكتور إبراهيم بن الصديق وغيرهم.

---

(1) محمد بن محمد المفضل الخزرجي المكناسي المحدث، تـ 750هـ. انظر الإتحاف لابن زيدان، ج3، ص 581، وشجرة النور الزكية، ص 221. وانظر الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية لعبد العزيز بن عبد الله، ج 2، ص 23.

(2) أحمد بن يوسف بن محمد الفاسي الفهري الشيخ الحافظ، تـ 1021هـ. انظر الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج 4، ص 8، وتاريخ تطوان، ج2، ص 326، وانظر الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية لعبد العزيز بن عبد الله، ج 3، ص 159.

الباب الأول

نشأة مدارس الحديث فيما قبل عصر التدوين

تمهيد

لقد مرّ تأسيس هذه المدارس بعدة مراحل قبل التدوين، بدأ أولاً بفقهاء الصحابة الذين تلقّوا تعاليم الرسولﷺ فوعوها في قلوبهم وطبّقوها في أعمالهم وبلّغوها لمن حولهم. ثم أخذها عنهم شيوخ ألِبِّاء من كبار التابعين، اجتهدوا في استظهار ما سمعوا، وحفظه في الأذهان والأوراق، وأنشأوا حلقات المذاكرة والتعليم، وحمل علمهم جيل ثالث من أتباعهم جدُّوا في جمع ما تفرق عند أساتذتهم فحصّلوا ما في الصدور والصحائف، ووضعوا الأسس الأولى لقواعد ما عرف فيما بعد بعلوم الحديث، فاستكملت بعدهم عملية التدوين على يد جهابذة من أئمة السنن والآثار.

تأسست هذه المدارس في الفترة ما بين الثانية عشر من الهجرة إلى نهاية القرن الأول من الهجرة. ابتداء من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث انتهت مشاغل حروب الردة واستقرّ نظام الخلافة، وبدأت دولة الإسلام تتسع وتنتظم، ففيها فُتح العراق والشام ومصر، وأرسل إلى الأمصار علماء الصحابة الذين حفظوا القرآن الكريم، واستظهروا تعاليم الرسولﷺ في بيان الشريعة.

وبقيت المدينة دار الخلافة، وموطن علماء الصحابة، ومهد المعارف النبوية، ومصدر الإشعاع والتوجيه الديني، ففيها تم جمع القرآن على يد الخليفة أبي بكر، ورُسمت أسس الإدارة في عهد عمر، وتوالت الفتوح في عهد عثمان، وانتهت عملية كتابة المصحف الشريف وبُعثت نسخ منه إلى حواضر الأمصار.

وبالرغم ممّا وقع من فتن واضطراب في آخر العهد الراشدي، وقيام الدولة الأموية، فإن الحركة المعرفية لم تتوقف؛ إذ نشأت مراكز علمية في المدينة التي ظلّت وفية للاتجاه العُمَري. وفي العراق حيث تركز علم الإمام علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، أما الشام الذي تحولت إليه قاعدة الدولة سنة أربعين للهجرة، فقد عَرف هو أيضاً مدرسة معاذ بن جبل وأبي الدرداء.

وكان من الطبيعي أن يبدأ الاهتمام بالحديث النبوي في دار هجرة الرسولﷺ، التي مكث فيها العشر الأواخر من سني حياته، فكانت كلماته هدياً وإرشاداً وتشريعاً وتنظيماً لحياة الأمة، في عباداتها ومعاملاتها، مُبيّناً ما نزل، ومُقرّراً فيما ليس فيه

وحي، وحاكماً فيما وقع فيه تنازع، كل هذا كان في العهد المدني. وهكذا نلاحظ أن كافة المحدثين عنه، وبالخصوص المكثرين منهم، كانوا مدنيين مثل أبي هريرة وأنس وابن عمر وعائشة. وقد رأينا أن أكثر الأحاديث المأثورة عنهﷺ رُويت في هذه الفترة حتى تلك التي تناولت تاريخه في مكة؛ مثل حديث الإسراء والمعراج وإسلام عمر وحمزة وبيعات الأنصار.

ولم يقع التفكير في جمع الأحاديث وكتابتها في العهد النبوي لعدة أسباب منها النهي الذي ورد أن لا يُكتب عنه شيءٌ ومن كتب شيئا فليمحه[1]. وذلك خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، حتى أن الأحاديث القدسية، وإن كانت من الوحي، فإنها لم تكن مدونة في عهد النبيﷺ.

ومنها أن السنة والأحاديث تتجدد، وتصدر فيها أوامر لظروف مُعيّنة وتنسخ عندما تتغير الأحوال، مثل ادّخار لحم الأضاحي وزيارة القبور، كما أن توافر الصحابة وقوة الحافظة جعلت هذه الكتابة أمرا غير ضروري لحفظ التعاليم النبوية.

ولما انتهت دواعي النهي، تأسست أول مدرسة للحديث في الحجاز وتفرعت منها مدارس الأمصار في العراق والشام ومصر.

(1) روى الإمام مسلم في صحيحه قال : حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا عَنِّي، وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ ـ قَالَ هَمَّامٌ : أَحْسِبُهُ قَالَ ـ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.

الفصل الأول : مدرسة الحجاز

1. مدرسة المدينة

إنّها طيبة التي هاجر إليها الرسول عليه الصلاة والسلام، من أحبِّ بلد إليه إلى أحبِّ بلد إلى ربه، مكث فيهاﷺ عشر سنين بين أصحابه من المهاجرين والأنصار يجتمع بهم خمس مرات في اليوم للصلاة، ويستقبلهم في بيوته ليعلمهم الكتاب والحكمة، ويهديهم إلى أداء حق خالقهم وحقوق عباده فيما بينهم، يبلغهم أوامر الله ونواهيه، فيحلّ لهم الطيّبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم ويُنبئ السائلين ويحكم بين المتنازعين ويرشد الحائرين.

وكانت جماهير أصحابه حوله يستمعون القول ويتبعون أحسنه، يحفظون عنه كتاب الله ويتدارسون أحاديثه، ويتّبعون هديه وسنته، وكانت طائفة منهم في مغازيه في الجهاد في سبيل الله تغتنم مُلازمته للتفقه في الدين ولترسيخ تعاليم الإسلام. وفي هذه الفترة اجتمعت لدى الأمة مجموعة من أحاديثه، حرص صحابته على حفظها وتدارسها والعمل بها، وبعدما التحق بالرفيق الأعلى تابع خليفته وصدّيقه وصاحبه في الغار سُنّته، وهكذا بقيت أحاديثهﷺ محفوظة في الصدور، وثابتة في القلوب.

وفي عهد الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بدأت فتوح الأمصار، وانتقل إليها بعض علماء الصحابة، وجد التفكير في تدوين الأحاديث النبوية، لكن الخليفة عمر ابن الخطاب، الذي تدبر طيلة شهر كامل في تدوين الحديث، رفض فكرة التدوين خيفة أن يلتبس بكتاب الله ما ليس منه، كما قرّر أن يحدّ من نشر التحديث فأرسل إلى أبي الدرداء وحذيفة وأمرهما بالبقاء بالمدينة تحت رعايته، وقد كان أبو هريرة يقول إنه لا يستطيع التوسع في التحديث بحضرة عمر، الذي نهاه عن التحديث وإلا فإنه سوف يُلحقه بدوس. وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه اتّسعت رقعة الفتوح، وانتشرت نشاطات القُرّاء والمحدثين، فتدارك شأن اختلاف القراءات بجمع القرآن، ولم ير ضرورة تدوين الحديث للاعتبار الذي جعل أمير المؤمنين عمر يرفضه. ومع ذلك فإنه في هذه الفترة بدأت قضية ضبط الأحاديث تستأثر باهتمام الصحابة من الجيل الثاني. وقد تحدث ابن عباس أن الناس في عهده قد ركبت الصعب والذّلول في رواية الحديث.

وروى الإمام البخاري أن عبد الله بن عمر حدثّه أبو هريرة، فعمد إلى عائشة ليسألها عن صحة هذا الحديث.

وهكذا نشأ ما سيُعرف فيما بعد بعلوم الحديث. حيث بدأت في المدينة المنورة مدرسة الحديث، وكان من أقطابها أربعة من مُحدّثي الصحابة وهم : عبد الله بن عمر، وعائشة، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وهؤلاء الأربعة ممن عُرفوا بكثرة الرواية، فقيل إن أبا هريرة روى أكثر من خمسة آلاف حديث، ولابن عمر أكثر من ألفين وخمسمائة حديث، ولعائشة وأبي سعيد أكثر من ألف حديث.

1. عبد الله بن عمر بن الخطاب[1]

حياته وسلوكه :

لقد كان من صغار الصحابة سناً، ومن كبارهم علماً، ومن أكثرهم روايةً. هاجر مع أبيه فظنّ بعضهم أنه أسلم قبله، ولم يشهد بدراً لحداثة سنه، كما رُوي أنه استُصْغِر في أُحُدٍ، فرده النبيﷺ. وأول ما شهده مع رسول اللهﷺ غزوة الخندق، وشهد غزوة مؤتة مع جعفر بن أبي طالب، وشارك في معركة اليرموك، وفي فتح مصر وإفريقية.

وقد منعه ورعه من المشاركة في المشاجرة بين الصحابة، فرفض اقتراح الترشيح للخلافة، كما رفض خلع يزيد بن معاوية؛ إلا أن بعض الروايات تقول إنه عبّر عن ندمه على عدم القتال مع الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ضد الفئة الباغية. وفي مفاضلة الصحابة، يقول بأفضلية الشيخين، ولكنه يذكر أن علي بن أبي طالب له مناقب جمة.

وكان ابن عمر ورعاً متّبِعاً لسنن الرسول وآثاره، فكان يتحرّى النزول في المواضع التي نزل بها، وروي أنه كان يتعهد شجرة نزل تحتها النبيﷺ فيسقيها خشية أن تيبس.

فهو عالم أهل المدينة وحافظها الذي انتهى إليه علم أبيه، فروى ابن وهب عن مالك أنه مكث بعد النبيﷺ ستين سنة يفتي الناس في الموسم وغيره.

قال عنه النبيﷺ أنه رجل صالح. وروي أنه كان يأخذ بيده ويقول له : «كن في الدنيا كأنّك غريب، أو كأنّك عابر سبيل، وأنه ليس ثم دينار ولا درهم، إنما هي حسنات

(1) انظر أسد الغابة لابن الأثير، المجلد الثالث، ص 236 وما بعدها.

وسيئات، جزاء بجزاء وقصاصا بقصاص، ولا تتبرأ من ولدك في الدنيا فيتبرأ الله منك في الآخرة فيفضحك على رؤوس الأشهاد، ومن جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[1]. وقد روى عن النبيﷺ أكثر من ألفين وستمائة حديث، منها ما هو عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وأبي ذر، ومعاذ بن جبل، ورافع بن خديج، وأبي هريرة، وعائشة. وروى عنه من الصحابة ابن عباس وجابر والأغر المُزني، ومن التابعين بنوه سالم، وعبد الله، وحمزة، كما روى عنه سعيد بن المسيّب وأبو سلمة، وحُميد ابنا عبد الرحمن وسُمي مولى عمر ومولياه نافع، وعبد الله بن دينار، وغيرهم كثير.

نماذج من مروياته :

وأغلب ما روِي عن ابن عمر كان من الأحاديث المشهورة الواردة في أكثر مُدوّنات الحديث وجلُّها في بيان العبادات، مثل مناسك الحج الذي يقوم به سنوياً، وكان قدوة لجماهير الحُجَّاج في عمله، ولاسيّما في الفترة التي عقبت العهد الراشدي، حتى أن آخر حجة حجّها كان مع الحَجَّاج بن يوسف الذي أمره عبد الملك بن مروان باتباع عمله في الحج. وتقول الروايات إن الحَجاج انتهز فرصة الازدحام، فأوعز إلى أحد رجاله ينخسه بمُدية مسمومة مات على أثرها بعد سنة[2].

وتناولت أحاديثه أيضاً أحكام الصلاة في الفريضة والنوافل والمحرّمات من الأشربة، والممنوعات من البيوع.

وقد روى الإمام مالك عن نافع عنه ستة وستين حديثاً، منها في باب الطهارة : إن الرجال والنساء في زمن النبيﷺ كانوا يتوضأون جميعاً[3]، ومنها الأمر بغسل الجمعة[4]، وأن صلاة الليل مثنى مثنى[5]، ومنها أنهﷺ كان يصلي ركعتين خفيفتين قبل أن تقام صلاة الصبح إذا سكت المؤذن عن الآذان[6]، ومنها أنه كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد صلاة العشاء

---

(1) روى البخاري في صحيحه قال : دَّثنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْمُنْذِرِ الطُّفَاوِيُّ، عَنْ سُلَيْمَانَ الأَعْمَش، قَالَ : حَدَّثَنِي مُجَاهِدٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ : «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ». وفي رواية ابن ماجة في كتاب الزهد زيادة «وعد نفسك من أهل القبور».

(2) انظر الروايات المختلفة عن مقتل ووفاة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في أسد الغابة، الجزء الثالث، ص 240.

(3) رواه البخاري في كتاب الوضوء.

(4) رواه أبو داود في سننه كتاب الطهارة.

(5) رواه البخاري في كتاب الصلاة.

(6) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار.

ركعتين، وكان لا يصلي بعد الجمعة، حتى ينصرف فيركع ركعتين[1]، ومنها أمر المؤذن الناس أن يصلوا في الرحال ليالي المطر[2]، وأن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة[3]، وأن من فاته العصر فكأنما وتر أهله[4]، ومنه أنه كانﷺ يجمع بين المغرب والعشاء إذا عجل به السير[5]، ومنها النهي عن تحري الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها. والنهي عن البصاق في قبلة المصلي[6]. ومنها حكم صلاة الخوف وكيفيتها[7].

وفي الزكاة روى عنه فرض زكاة الفطر على الناس من رمضان صاعاً من تمر وصاعاً من شعير عن كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين[8].

وفي الصوم : أن لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له[9].

أما في الحج، فقد بيّن أن أهل المدينة يُهلُّون من ذي الحليفة، وأهل الشام من الجحفة، وأهل نجد من قرن. وبلغه أن رسول اللهﷺ قال : إن أهل اليمن يهلون من يلملم. ولم يذكر ميقات أهل العراق، ولعل ذلك يعود لكونها لم تفتح على عهد النبيﷺ[10]. وذكر النهي للمحرم عن لبس القميص والعمائم والسراويلات والبرانس والخفاف، ثم ذكر تلبية النبيﷺ وكان ابن عمر يزيد فيها : «سعديك ولبيك والخير بيديك، لبيك والرغباء إليك والعمل»[11].

وفي المعاملات : النهي عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها[12]، وعن بيع حَبل الحَبلَة[13] وأن من ابتاع طعاماً فلا يبيعه حتى يستوفيه[14]، وأن البيّعان بالخيار ما لم

---

(1) رواه مالك في الموطإ، كتاب النداء للصلاة.

(2) رواه البخاري في كتاب الأذان.

(3) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(4) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة.

(5) رواه مالك في الموطأ، كتاب النداء للصلاة.

(6) رواه مالك في الموطأ في كتاب الصلاة، باب النهي عن البصاق في القبلة.

(7) رواه البخاري في كتاب الجمعة.

(8) رواه البخاري في كتاب الزكاة.

(9) رواه البخاري في كتاب الصوم.

(10) رواه أبو داود في سننه، كتاب المناسك.

(11) رواه مسلم في كتاب الحج.

(12) رواه البخاري في كتاب الزكاة.

(13) رواه البخاري في كتاب البيوع، وقال في بيع حبل الحبلة : «وَكَانَ بَيْعًا يَتَبَايَعُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ الرَّجُلُ يَبْتَاعُ الْجَزُورَ إِلَى أَنْ تُنْتَجَ النَّاقَةُ ثُمَّ تُنْتَجُ الَّتِي فِي بَطْنِهَا».

(14) رواه البخاري في كتاب البيوع.

يتفرقا إلا بيع الخيار[1]، وأن لا يبيع أحد على بيع أخيه ولا يخطب على خطبته[2]، وأن لا يحتلبن احد ماشية أحد بغير إذنه[3].

وفي مكارم الأخلاق : الحث على صدقة التطوع، والتعفف عن المسألة، وأن اليد العليا وهي المنفقة خير من اليد السفلى وهي السائلة[4].

2. عائشة، أم المؤمنين رضي الله عنها

حياتها[5] :

لقد ارتقت أم المؤمنين عائشة إلى مصافّ كبار علماء الصحابة. لقد مكثت في بيت النبيﷺ ثماني سنوات وخمسة أشهر، استطاعت خلالها أن تستوعب منه ما سمعته من أقواله، وأن تعي ما رأته من أفعاله. كانت لها موهبة فائقة في الحفظ، وذاكرة قوية للضبط، حتى صارت مرجعاً موثوقاً للصحابة والتابعين.

وروى أبو بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه، قال : «ما أشكل علينا أصحاب محمدﷺ حديثاً فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً»[6]، ولعله يشير إلى حديث في الغسل رواه عثمان بن عفان وعلي والزبير وطلحة وخالفتهم روايتها هي، واتّبع العلماء روايتها فيه.

ويقول عنها ابن أختها عروة بن الزبير : ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحلال وحرام، ولا بشعر، ولا بحديث العرب والنسب من عائشة.

وقد روى عنها علماء الأمصار، فمن مكة مجاهد بن جبر وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح. ومن أهل الكوفة مسروق بن الأجدع الهمداني الذي قيل إنها تبنته، والأسود بن يزيد النخعي وعلي بن شراحبيل الشعبي. ومن الشام قبيصة بن ذؤيب الذي كان على خاتم عبد الملك بن مروان. غير أن رواتها البارزين كانوا من أهل المدينة : فكان من أوعية علمها ابن أختها عروة بن الزبير وابن أخيها القاسم بن محمد،

---

(1) رواه البخاري في كتاب البيوع.

(2) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(3) رواه مالك في الموطإ، كتاب الجامع، وابن ماجة في سننه، كتاب التجارات.

(4) رواه البخاري في كتاب الزكاة.

(5) أسد الغابة لابن الأثير، الجزء 6 الخاص بتراجم النساء، ص 188 وما بعدها.

(6) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، وقال هذا حديث صحيح حسن غريب.

فهؤلاء كانوا من ملازميها الأقربين. كما روى عنها من علماء المدينة سعيد بن المسيب وصفية بنت أبي عبيد، زوج ابن عمر ومولاتها سائبة.

نماذج من أحاديثها :

لقد روت أحاديث النبيﷺ مباشرة، وروت عنه بواسطة في حديث نزول الوحي[1] وحديث رضاع الغيلة[2]. وكانت تصحح روايات علماء الصحابة مثل عدد عُمُرات الرسولﷺ التي خالفها فيها ابن عمر وخالفت ابن عباس فيما يحرم على من ساق الهدي، وتفسيرآيات من سورة الأحقاف.

ومن الأحاديث التي روتها مجموعة تتعلق بأحكام النساء في الوضوء وأحكام الرضاعة، وعملهن في الإحرام والدفاع عن كرامتهن، من ذلك ما بلغها أن ابن عمر يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن، فقالت : يا عجبا لابن عمر وهو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن، أفلا يأمرهن أن يحلقن ؟ كنت أنا ورسول اللهﷺ نغتسل من إناء واحد فما أزيد على أن أفرغ على رأسي ثلاث إفراغات[3]. وعن أبي مليكة عن ابن الزبير عن عائشة : «لا تحرم المصة والمصتان»[4].

---

(1) روى البخاري في كتاب بدء الوحي من صحيحه قال : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾... الحديث.

(2) روى مسلم في كتاب النكاح من صحيحه قال : حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ح وحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَاللَّفْظُ لَهُ قَالَ قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَوْفَلٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ جُدَامَةَ بِنْتِ وَهْبٍ الْأَسَدِيَّةِ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ.

(3) روى مسلم في كتاب الحيض من صحيحه قال حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ قَالَ يَحْيَى أَخْبَرَنَا إِسْمَعِيلُ ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ بَلَغَ عَائِشَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَأْمُرُ النِّسَاءَ إِذَا اغْتَسَلْنَ أَنْ يَنْقُضْنَ رُءُوسَهُنَّ فَقَالَتْ يَا عَجَبًا لِابْنِ عَمْرٍو هَذَا يَأْمُرُ النِّسَاءَ إِذَا اغْتَسَلْنَ أَنْ يَنْقُضْنَ رُءُوسَهُنَّ أَفَلَا يَأْمُرُهُنَّ أَنْ يَحْلِقْنَ رُءُوسَهُنَّ لَقَدْ كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ وَلَا أَزِيدُ عَلَى أَنْ أُفْرِغَ عَلَى رَأْسِي ثَلَاثَ إِفْرَاغَاتٍ.

(4) روى مسلم في كتاب الرضاع من صحيحه قال : حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ح وحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ ح وحَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ كِلَاهُمَا عَنْ أَيُّوبَ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ سُوَيْدٌ وَزُهَيْرٌ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تُحَرِّمُ الْمَصَّةُ وَالْمَصَّتَانِ.

ورُوي عنها قولها : كان الركبان يجرون ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا حاذونا أسدلت إحدانا جلبابها من رأسها فإذا جاوزونا كشفنا[1].

وعن الأسود عنها أنها بلغها أن ناسا يقولون إن الصلاة يقطعها الكلب والحمار والمرأة، قالت : لا أراهم قد عدلونا بالكلاب والحمير، ألا أرى رسول الله ﷺ يصلي وأنا على السرير بينه وبين القبلة فتكون لي حاجة فأستل من قبل رجل السرير كراهية أن أستقبله بوجهي[2].

عَنْ عُرْوَةَ، عَنها، قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَكِفُ فَيُخْرِجُ إِلَيَّ رَأْسَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ فَأَغْسِلُهُ وَأَنَا حَائِضٌ[3].

وقد روت عنها عمرة : كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يُحرّمن، ثم نُسخن بخمس معلومات فتوفيّ رسول الله ﷺ وهي مِمّا يُقرأ من القرآن[4].

وجل أحاديثها في موطإ الإمام مالك تتعلق بالعبادات سوى أحاديث يسيرة، كما روت أحاديث في أحكام الصلاة، فقد روى ابن شهاب لعروة عنها أن النبي ﷺ كان يغتسل في إناء يقال له الفرق[5]، كما روى بهذا الإسناد أنه ﷺ ما خُير بين أمرين إلا اختار أيسرهما[6]، وأنها ما رأته يُصلّي سبحة الضحى[7]، وأنه يترك العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يُفرض على الناس، مثل عدم خروجه للناس في المسجد

---

(1) روى البخاري في كتاب المناسك من صحيحه قال حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ الرُّكْبَانُ يَمُرُّونَ بِنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْرِمَاتٌ فَإِذَا حَاذَوْا بِنَا سَدَلَتْ إِحْدَانَا جِلْبَابَهَا مِنْ رَأْسِهَا عَلَى وَجْهِهَا فَإِذَا جَاوَزُونَا كَشَفْنَاهُ.

(2) روى البخاري في كتاب الصلاة من صحيحه قال : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ عَنِ الْأَسْوَدِ عَنْ عَائِشَةَ ح قَالَ الْأَعْمَشُ وَحَدَّثَنِي مُسْلِمٌ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ ذُكِرَ عِنْدَهَا مَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ وَالْمَرْأَةُ فَقَالَتْ شَبَّهْتُمُونَا بِالْحُمُرِ وَالْكِلَابِ وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَإِنِّي عَلَى السَّرِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ مُضْطَجِعَةً فَتَبْدُو لِيَ الْحَاجَةُ فَأَكْرَهُ أَنْ أَجْلِسَ فَأُوذِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْسَلُّ مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ.

(3) روى البخاري في كتاب الحيض من صحيحه قال حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كُنْتُ أُرَجِّلُ رَأْسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا حَائِضٌ.

(4) رواه مسلم في كتاب الرضاع.

(5) رواه البخاري في كتاب الغسل.

(6) رواه البخاري في كتاب المناقب.

(7) رواه البخاري في كتاب الجمعة.

لصلاة رمضان. وروت أنه كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة[1].

عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي الْبَيْتِ وَالْبَابُ عَلَيْهِ مُغْلَقٌ فَجِئْتُ فَمَشَى حَتَّى فَتَحَ لِي ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَقَامِهِ وَوَصَفَتْ أَنَّ الْبَابَ فِي الْقِبْلَةِ[2].

ووصفت حجّه، وذكرت أنها كانت تُطيّبه لإحرامه، وتفتل قلائد هديه. وعَنْ أَبِي عَطِيَّةَ، قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ إِنِّي لَأَعْلَمُ كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُلَبِّي قَالَ ثُمَّ سَمِعْتُهَا تُلَبِّي تَقُولُ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ[3].

وروى عنها أبو هريرة حديث استعاذة النبي ﷺ وقوله : أعوذ برضاك من سخطك وبمُعافاتك من عقوبتك وبك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[4].

وعَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ : «كَانَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَتْهُ نَفْسِي»[5].

وروت دعاء الشفاء وهو : «اذهب البأس رب الناس واشف إنك أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما»[6].

وعن هِشَام بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عنها، قَالَتْ : مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَادِمًا لَهُ قَطُّ وَلَا امْرَأَةً لَهُ قَطُّ وَلَا ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ فَانْتَقَمَهُ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ مَحَارِمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا عُرِضَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنْ الْآخَرِ إِلَّا أَخَذَ بِأَيْسَرِهِمَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَأْثَمًا فَإِنْ كَانَ مَأْثَمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ[7]. وعَنْ سُفْيَانَ، قَالَ حَدَّثَنِي مَنْصُورٌ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَمَّتِهِ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ»[8].

---

(1) رواه البخاري في كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(2) رواه الترمذي في سننه، كتاب الجمعة، وقال حديث حسن غريب.

(3) رواه البخاري في كتاب الحج.

(4) رواه مسلم في كتاب الصلاة.

(5) رواه الإمام أحمد في بقية مسند الأنصار.

(6) رواه البخاري في كتاب المرضى.

(7) رواه الإمام أحمد في بقية مسند الأنصار.

(8) رواه النسائي في سننه، كتاب البيوع.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ النَّاسِ يَبْلُغُون أَنْ يكُونُوا مِائَةً فَيَشْفَعُوا لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ[1].

وعَنْ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ سُئِلَتْ عَائِشَةُ وَأُمُّ سَلَمَةَ أَيُّ الْعَمَلِ كَانَ أَعْجَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتَا : «مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ»[2].

وعَنْ عُرْوَةَ، عَنْهَا، أَنَّ أَبَا بكْرٍ، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ تَضْرِبَانِ بِدُفَّيْنِ فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بكْرٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْهُنَّ فَإِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا»[3].

وقد روى عنها في مسند أحمد بن حنبل حديث أم زرع عن طريق مجاهد.

3. أبو هريرة (تـ 58)[4]

حياته :

ومن أشهر المكثرين من الحديث أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي الأزدي. اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، وذكر منها برير بن عشرقة، وسكين بن دومة. ونقل ابنه أن اسمه كان عبد عمرو؛ وعن ابن اسحق أن اسمه كان في الجاهلية عبد شمس، وأن رسول اللهﷺ سمّاه عبد الرحمن وهو أشهر أسمائه. كما اختُلف في سبب كنيته التي عُرف بها.

أسلم عام خيبر، ولازم النبيﷺ، وروى عنه أكثر من خمسة آلاف حديث. فكان على رأس المكثرين حتى روي عنه قوله : إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن الرسولﷺ والله الموعد، كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول اللهﷺ على ملء بطني، وكان المُهاجرون يشغلهم الصفق في الأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، وقال رسول اللهﷺ : «من بسط ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه عنّي، فبسطتُ ثوبي حتى قضى حديثه ثم ضممتُه إليّ فما نسيتُ شيئاً سمعته بعدُ»[5].

---

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب الجنائز، وقال حديث حسن صحيح، وقد أوقفه بعضهم ولم يرفعه.

(2) رواه الإمام أحمد في بقية مسند الأنصار.

(3) وردت هذه الرواية في سنن النسائي، كتاب العيدين ووردت بصيغ أخرى عند البخاري في كتاب الجمعة وكتاب المناقب ومسلم في كتاب صلاة العيدين.

(4) انظر ترجمته المفصلة في جزء الكنى من كتاب أسد الغابة لابن الأثير، ج 5، ص 318.

(5) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة.

ويقول البخاري إنه قد روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من صاحب وتابع، فمن الصحابة : ابن عباس، وابن عمر، وجابر، وأنس، وواثلة بن الأسقع. وممن روى عنه من التابعين صهره سعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج.

ويذكر أن من أصح الأسانيد إليه ما رواه الزهري عن سعيد بن المسيّب عنه، وعن معمر بن راشد الأزدي عن همّام بن منبه اليماني عنه. وقد اعتمد الإمام مالك عنه في موطإه ما رواه عن أبي الزناد عن الأعرج عنه.

استعمله عمر بن الخطاب على البحرين ثم عزله، وبعد ذلك سكن المدينة وأقام بها حتى توفي سنة ثمان وخمسين للهجرة.

وأثار إكثاره انتباه الصحابة حتى صار يتحاشى التحديث أمام عمر بن الخطاب، بينما يقول لجمع من الصحابة، لما روى حديث : «لا يمنعن أحدكم جاره خشبة أن يغرزها في جداره، مالي أراكم عنها معرضين، والله لأرمين بها بين أكتافكم»[1].

كما روى أيضا حديثا يقول إنه تلقّى من الرسولﷺ نوعين من العلم نشر أحدهما بين الناس، والآخر لو بثه لقُطع منه البلعوم[2]، واختلف العلماء في العلم الذي اضطر لكتمانه وفسره الجمهور بقضايا الفتن.

والملاحظ أن جل أحاديثه في الموطإ تتناول الأخبار بالمُغيّبات مثل حديث حِجاج موسى وآدم، وما تأكله الأرض من ابن آدم، ودرجات جهنّم، وأجر الصوم والجهاد، وتعاقب ملائكة الليل والنهار، وقصة الرجل الذي أمر أن يُحرق بعد موته، وأن يذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، واختتان إبراهيم بالقادوم وهو ابن مائة وعشرين سنة، وأنه عاش بعدها ثمانين سنة. ومن الصحابة من كان يوجه إليه نقدا لطيفا، حتى يقول بعضهم لما سمع حديثه : «إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يدخلها في إناء وضوءه فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده»، فيقول ماذا تصنع بالمهراس.

ومن المعروف أن علماء الشيعة الإمامية رغبوا عن الرواية عنه، بل إن لهم بعض المآخذ عليه، مِمّا حمل الأعظمي على الدفاع عنه في دراسة خاصة، ركّز فيها على شواهد روايته.

---

(1) رواه البخاري في كتاب المظالم والغصب.

(2) رواه البخاري في كتاب العلم.

نماذج من أحاديثه :

أحاديث أحكام الصلاة، ومنها :

حديث «إذا استيقظ أحدكم فليغسل يده قبل أن يدخلها في الوضوء»[1]، وحديث «غسل إناء ولغ فيه كلب»[2]، وحديث «من أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح»[3].

وعن ابن عجلان عن سعيد عن أبي هريرة قال : قال رجل كم يكفي رأسي في الغسل من الجنابة قال : «كان رسول الله ﷺ يصب بيده على رأسه ثلاثاً قال إن شعري كثير قال كان شعر رسول الله ﷺ أكثر وأطيب»[4].

وعن ابن أبي سعيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء ولأخرت العشاء إلى ثلث الليل أو شطر الليل»[5].

وعن سُمي مولى أبي بكر عن أبي صالح السّمان : فضل النداء والصف الأول في الصلاة[6]، وحديث نعي النبي ﷺ للنجاشي والصلاة عليه صلاة الغائب[7]،

---

(1) رواه البخاري في كتاب الوضوء.

(2) روى البخاري في كتاب الوضوء قال : حدثني علي بن حجر السعدي حدثنا علي بن مسهر أخبرنا الأعمش عن أبي رزين وأبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه ثم ليغسله سبع مرار وحدثني محمد بن الصباح حدثنا إسمعيل بن زكرياء عن الأعمش بهذا الإسناد مثله ولم يقل فليرقه.

(3) روى البخاري في كتاب مواقيت الصلاة قال : حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار وعن بسر بن سعيد وعن الأعرج يحدثونه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر.

(4) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(5) رواه مسلم في كتاب الطهارة.

(6) روى البخاري في كتاب الأذان قال : حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا».

(7) روى النسائي في سننه في كتاب الجنائز قال : أخبرنا محمد بن رافع قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة قال نعى رسول الله ﷺ النجاشي لأصحابه بالمدينة فصفوا خلفه فصلى عليه وكبر أربعاً.

وحديث الترخيص في الصلاة في ثوب واحد[1]. وأجرالتهجير والعَتَمة في الصبح[2]. وحديث التأسي بعد الفاتحة[3]. وحديث عن أبي الزناد عن الأعرج عنه أن رسول اللهﷺ قال : أترون قبلتي هذه، فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم إني لأراكم من وراء ظهري[4]. وحديث عن زيد بن رباح عنه : «صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواه»[5]. وحديث «إذا اشتد الحر فابردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم»[6].

وحديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار : قال قال رسول اللهﷺ : «اشتكت النار إلى ربها فقالت أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين في كل عام : نفس في الشتاء ونفس في الصيف»[7].

وحديث تفاضل السابقين إلى المسجد يوم الجمعة[8]. وحديث قولهﷺ : «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[9]. وحديث «من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الصلاة غُفر له الله ما تقدم من ذنبه»[10]. وحديث عن أبي محمد بن عمرو بن حريث

---

(1) روى البخاري في كتاب الصلاة قال : حدثنا أبو نعيم قال حدثنا شيبان عن يحيى بن أبي كثير عن عكرمة قال سمعته أو كنت سألته قال سمعت أبا هريرة يقول أشهد أني سمعت رسول اللهﷺ يقول : «من صلى في ثوب واحد فليخالف بين طرفيه».

(2) روى البخاري في كتاب الأذان قال : حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال : «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا».

(3) لم أقف عليه.

(4) رواه مالك في الموطأ كتاب النداء للصلاة.

(5) رواه البخاري في كتاب الجمعة.

(6) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة.

(7) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق.

(8) روى البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة قال : حدثنا عبدالله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي اللهم عنهم أن رسول اللهﷺ قال : «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

(9) رواه البخاري في كتاب الصلاة.

(10) رواه البخاري في كتاب الدعوات.

العدوي قال مرة عن أبي عمرو بن محمد بن حريث عن جده سمعت أبا هريرة يقول : قال أبو القاسمﷺ : «إذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئاً فإن لم يجد شيئاً فلينصب عصا فإن لم يكن معه عصا فليخط خطا ولا يضره ما مر بين يديه»[1].

وعن ابن جريج أخبرني العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب أن أبا السائب أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول اللهﷺ : «من صلّى صلاة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خداج غير تمام»[2].

وعن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول اللهﷺ : «رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلّت وأيقظت زوجها فصلّى فإن أبي نضحت في وجهه الماء»[3].

وعنه قال صليت مع أبي هريرة صلاة العَتَمة أو قال صلاة العشاء فقرأ ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ فسجد فيها، فقلت يا أبا هريرة، فقال : «سجدتُ فيها خلف أبي القاسمﷺ فلا أزال أسجدها حتى ألقاه»[4].

وعن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول اللهﷺ : صلاة الرجل في جماعة تزيد عن صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعا وعشرين درجة وذلك أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا يُريد إلا الصلاة لا ينهزه إلا الصلاة لم يخط خُطوة إلا رفع له بها درجة وحط بها عنه خطيئة حتى يدخل المسجد فإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه والملائكة يصلون على أحدهم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون اللهم اغفر له اللهم ارحمه اللهم تُب عليه ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه»[5]. وحديث مالك عن نافع : «أسرعوا بجنائزكم إنما هو خير تقدمونهم إليه أو شر تضعونه عن رقابكم». «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء»[6]. وحديث : «من شك في صلاته يسجد سجدتين»[7].

(1) رواه أبو داود في كتاب الصلاة.

(2) رواه مسلم في كتاب الصلاة.

(3) رواه النسائي في سننه، كتاب قيام الليل وتطوع النهار.

(4) رواه البخاري في كتاب الأذان.

(5) رواه البخاري في كتاب الأذان.

(6) رواه البخاري في كتاب الجمعة.

(7) رواه النسائي في كتاب السهو، وأبو داود في كتاب الصلاة، من حديث عبد الله بن جعفر.

ولـه أحـاديث عـن سـعـيـد بـن المسيب في حـرم المدينـة[1]، ومـقـدار فضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ[2]، وحديث : «من يملك نفسه عند الغضب»[3].

وعن أبي رافع عنه أن رسول اللهﷺ رأى نخامة في قبلة المسجد، فأقبل على الناس فقال : «ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخم أمامه أيحب أحدكم أن يستقبل، فيتنخم في وجهه إذا تنخم أحدكم فليتنخم عن يساره أو تحت قدمه فإن لم يجد فليتفل هكذا في ثوبه فوصف القاسم فتفل في ثوبه ثم مسح بعضه ببعض»[4].

وعن أبي زرعة عنه قال : سُئل رسول اللهﷺ : «أيُّ الصدقة أفضل قال لتنبأن أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخاف الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ألا وقد كان لفلان»[5].

وله حديث : «من أصبح جنباً فلا صيام له». أنكرته عليه عائشة وأم سلمة، فقال إنه لم يسمعه من رسول اللهﷺ وإنما أخبره به مخبر[6].

وحديث : «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»[7].

وعنه عن النبيﷺ قال : «إن ربكم عز وجل يقول يا ابن آدم بكل حسنة عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة والصوم لي وأنا أجزي به، والصوم جُنّة

(1) لم أقف عليه.

(2) روى مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضيع الصلاة قال : حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا أفلح عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن سلمان الأغر عن أبي هريرة قال : قال رسول اللهﷺ : «صلاة الجماعة تعدل خمسا وعشرين من صلاة الفذ».

(3) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب قال حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي اللهم عنهم أن رسول اللهﷺ قال : «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

(4) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(5) رواه البخاري في كتاب الزكاة.

(6) روى أحمد في باقي مسند الأنصار قال حدثنا علي بن عاصم عن خالد عن أبي قلابة عن عبد الرحمن بن عتاب قال : كان أبو هريرة يقول : «من أصبح جنبا فلا صوم له قال فأرسلني مروان بن الحكم أنا ورجلا آخر إلى عائشة وأم سلمة نسألهما عن الجنب يصبح في رمضان قبل أن يغتسل قال فقالت إحداهما قد كان رسول اللهﷺ يصبح جنبا ثم يغتسل ويتم صيام يومه قال وقالت الأخرى كان يصبح جنبا من غير أن يحتلم ثم يتم صومه قال فرجعا فأخبرا مروان بذلك فقال لعبد الرحمن أخبر أبا هريرة بما قالتا فقال أبو هريرة كذا كنت أحسب وكذا كنت أظن قال فقال له مروان بأظن وبأحسب تفتي الناس».

(7) رواه البخاري في كتاب الإيمان.

من النار، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، فإن جهل على أحدكم جاهل وهو صائم فليقل إني صائم»[1].

وعن عبد الرحمن بن عوف عنه : أن رجلاً أفطر في رمضان فأمره رسول الله ﷺ أن يُكفّر بعتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكيناً، فقال لا أجد، فأُوتي رسول الله ﷺ بعرق فقال خذ هذا فتصدق به، فقال : لا أجد أحوج مني، فضحك الرسول ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال : «كُلْه وصُم يوما مكان ما أصبت»[2].

وله في فضل أبي بكر : عن حُميد عنه أيضاً حديث : «من أنفق زوجين في سبيل الله نُودي في الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعِي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعيّ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعِي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعِي من باب الرّيان، فقال أبو بكر الصديق : ما على من يُدعى من هذه الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من هذه الأبواب ؟ فقال : نعم وأرجو أن تكون منهم»[3].

وله في الجهاد : حديث «لا يُكْلَمُ أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا وجاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح مسك»[4].

وله حديث «لكل نبي دعوة يدعوها فأريد أن اختبأ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»[5].

وعن أبي سلمة أيضاً عنه حديث : «ينزل ربنا تبارك وتعلى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»[6].

---

(1) رواه البخاري في كتاب الصيام.

(2) روى البخاري في كتاب كفارات الأيمان قال : حدثنا محمد بن محبوب حدثنا عبد الواحد حدثنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي اللهم عنهم قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال هلكت فقال وما ذاك قال وقعت بأهلي في رمضان قال تجد رقبة قال لا قال هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال لا قال فتستطيع أن تطعم ستين مسكينا قال لا قال فجاء رجل من الأنصار بعرق والعرق المكتل فيه تمر فقال اذهب بهذا فتصدق به قال أعلى أحوج منا يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما بين لابتيها أهل بيت أحوج منا ثم قال اذهب فأطعمه أهلك».

(3) رواه البخاري في كتاب المناقب.

(4) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير.

(5) رواه البخاري في كتاب التوحيد.

(6) رواه الترمذي في كتاب الدعوات وقال حديث حسن صحيح.

وعن ابن شهاب عن الأعرج حدثنا سفيان عن الزهري عن الأعرج عن أبي هريرة قال سفيان سألته عنه كيف الطعام أي طعام الأغنياء قال أخبرني الأعرج عن أبي هريرة «شر الطعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويترك المساكين ومن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله»[1].

وله حديث عبد الله بن منير أنه سمع أبا النضر يقول حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله يعني ابن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال : «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم»[2].

وعن مالك عن نعيم بن المجمر عنه : «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»[3].

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن لقاء أبي هريرة وكعب بالطور، وفيه ساعة الجمعة، وفيه أيضاً لا يعمل المطي إلا لثلاثة، وفيه غلط يزيد بن الهادي في لقاء أبي نصر»[4].

واشترك مع أبي سعيد في رواية حديث : «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله»[5].

وحديث مالك بن خبيب : «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»[6].

وحديث : «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[7].

وحديث : «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[8].

(1) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.
(2) رواه البخاري في كتاب الرقاق.
(3) رواه البخاري في كتاب الحج.
(4) رواه النسائي في كتاب الجمعة.
(5) رواه البخاري في كتاب الأذان.
(6) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.
(7) رواه مالك في الموطأ، كتاب النداء للصلاة.
(8) رواه البخاري في كتاب الحج.

وحديث : «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه فإذا قضى أحدكم نهمته فليعجل إلى أهله»[1].

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمل الأنصاري عن عطاء بن يسار عنه أن رسول اللهﷺ قال : «أين المتحابون لجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»[2].

واختلف هو وابن عباس في عدة الحامل، فقال ابن عباس آخر الأجلين، وقال أبو هريرة : إذا ولدت فقد حلت ووافقته أم سلمة واستدلت بحديث سبيعة الأسلمية التي ألقت حملها بعد نصف شهر، فقال رسول اللهﷺ : «فحللت فانكحي من شئت»[3].

ومن أحاديث المغيبات التي رواها عنه ابن ماجه في سننه : حديث ليس من شيء من الإنسان إلا يبلى إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة[4] وأن النار تأكل ابن آدم إلا أثر السجود[5].

ومنها مصير الميت إلى القبر، وما يراه المؤمن من فرجة إلى الجنة وإلى النار، ونجاة المحسن والمسيء.

ومنها «أن النار أوقدت ألف سنة فابيضت، ثم أوقدت ألف سنة فاحمرت، ثم أوقدت ألف سنة فاسودت فهي كسواد الليل المظلم»[6].

وحديث : «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». ثم قال أقرؤوا ما شئتم : «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون». وكان أبو هريرة يقرؤها : قُرأت أعين»[7].

ووصف أول زمرة تدخل الجنة «فمنهم من هو كالبدر، ومنهم من هو كالكواكب الدرية، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً»[8]. وروى حديث محاضرة الله عز وجل لأهل الجنة وذهابهم عنه ومرورهم بسوقها وكيف استقبلتهم نساؤهم[9].

---

(1) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير.

(2) رواه مالك في الموطأ كتاب الجامع.

(3) رواه مسلم في كتاب الطلاق.

(4) رواه ابن ماجة في كتاب الزهد.

(5) رواه ابن ماجة في كتاب الزهد.

(6) رواه ابن ماجة في كتاب الزهد.

(7) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق.

(8) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة أهلها ونعيمها.

(9) رواه ابن ماجة في كتاب الزهد والترمذي في كتاب صفة الجنة وقال هذا حديث غريب.

وحديث : «يضحك الله للرجلين يقتل أحدهما الآخر، يقاتل هذه في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل فيستشهد»[1].

وحديث : «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كهيئته يوم ولدته أمه»[2].

وحديث : «قال أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر»[3].

وحديث : «خمس من الفطرة الختان والاستحداد وتقليم الأظفار ونتف الإبط وقص الشارب»[4].

وحديث : «لا يقتسم ورثتي دينارا ولا درهما ما تركت بعد نفقة نسائي ومئونة عاملي فهو صدقة»[5].

وحديث إدبار الشيطان إذا سمع الأذان[6].

وعن محمد بن عبد الرحمن بن صعصعة عن أبي الحباب سعيد بي يسار عنه أن الرسولﷺ قال : «من يرد الله به خيرا يصب منه»[7].

وعن موسى بن تميم عنه أن رسول اللهﷺ قال : «الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما»[8].

وحديث «تعرض أعمال الناس كل يوم جمعة مرتين، يوم الخميس ويوم الاثنين، فيغفر لكل مؤمن إلا عبدا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال اتركوا هذين حتى يفيئا»[9].

---

(1) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير.

(2) رواه البخاري في كتاب الحج.

(3) رواه البخاري في كتاب الجمعة.

(4) رواه مسلم في كتاب الطهارة.

(5) رواه البخاري في كتاب الوصايا.

(6) روى البخاري في كتاب الأذان من صحيحه قال حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال : «إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى».

(7) رواه البخاري في كتاب المرضى.

(8) رواه مسلم في كتاب المساقاة.

(9) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآدب.

وحديث «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم»[1].

وحديث «لتؤدن الحقوق إلى أهلها حتى تقاد الشاة الجمّاء من الشاة القرناء يوم القيامة»[2].

وحديث «الإيمان بضع وسبعون بابا أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة العظم عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»[3].

وحديث «لو سلكت الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت شعب الأنصار أو وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، فقال أبو هريرة فما ظلم بأبي وأمي ﷺ لأووه ونصروه، قال : وأحسبه قال : وواسوه»[4].

وعن أيوب عن محمد اختصم الرجال والنساء أيهم في الجنة أكثر فقال أبو هريرة قال أبو القاسم ﷺ : «أول من يدخل الجنة مثل القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أضوأ كوكب دري لكل رجل منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب»[5].

وحديث «سفيان عن عمرو سمع طاوساً سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ : «احتج آدم وموسى عليهما السلام فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيّبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم يا موسى أنت اصطفاك الله بكلامه وقال مرة برسالته وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال حج آدم موسى حج آدم موسى»[6].

و له في فضائل الأعمال : حديث «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مئة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحداً عمل أكثر من ذلك»[7].

---

(1) رواه مسلم في كتاب الحج.

(2) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآدب.

(3) رواه أبو داود في سننه كتاب السنة.

(4) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(5) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(6) رواه البخاري في كتاب القدر.

(7) رواه البخاري في كتاب الدعوات.

وحديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد هو شك يعني الأعمش قال قال رسول الله ﷺ : «إن لله مملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيؤون فيخفون بهم إلى السماء الدنيا فيقول الله أي شيء تركتم عبادي يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك يمجدونك ويذكرونك فيقول هل رأوني فيقولون لا فيقول فكيف فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تحميداً وتمجيداً وذكراً فيقول فأي شيء يطلبون فيقولون يطلبون الجنة فيقول وهل رأوها قال فيقولون لا فيقول فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً قال فيقول ومن أي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول وهل رأوها فيقولون لا قال فيقول فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانو أشد منها هربا وأشد منها خوفاً قال فيقول أني أشهدكم أني قد غفرت لهم قال فيقولون فإن فيهم فلاناً الخطّاء لم يردهم إنما جاء لحاجة فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[1].

وحديث «الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة ثم هم بعد ذلك منازل لا يتغوطون ولا يبولون ولا يتمخطون ولا يبزقون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة أخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم ستين ذراعاً»[2].

عَنِ ابْنِ دَارةَ، مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ إِنَّا لَبِالْبَقِيعِ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ إِذْ سَمِعْنَاهُ يَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ فَتَدَاكَّ النَّاسُ عَلَيْهِ فَقَالُوا إِيهٍ يَرْحَمُكَ اللَّهُ قَالَ يَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ عَبْدٍ مُسْلِمٍ لَقِيَكَ مُؤْمِنٌ بِي لَا يُشْرِكُ بِكَ»[3].

(1) رواه البخاري في كتاب الدعوات.

(2) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء.

(3) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

4. أبو سعيد الخدري (تـ 74)

حياته :

هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، ممن شهد بيعة الرضوان. كان من أهل الصفة، ولد قبل الهجرة بنحو عشر سنين وتوفي سنة أربع وسبعين للهجرة.

وكان من الذين استصغروا يوم أحد لأنه لم يبلغ الخامسة عشرة آنذاك ولمّا استشهد أبوه يوم أحد أتى النبيﷺ، لأن أباه لم يترك شيئا فواساه الرسولﷺ ونصحه وقال له : «من يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله». ورضي أبو سعيد بهذه النصيحة الخالدة وبايع رسوله على أن لا تأخذه في الله لومة لائم.

وهو من الذين حملوا عن النبيﷺ العلم والحديث وروى حديث : لا يمنعن أحدكم مخافة أن يتكلم بالحق إذ رآه أو علمه. ويقول أبو سعيد إن ذلك حمله إلى معاوية فملأ أذنيه بالحق ثم رجع.

كان من علماء الصحابة ومحدثيهم، وأهل الفتوى منهم. روى عنه من الصحابة ابن عمر وجابر بن عبد الله، ومن التابعين ابنه عبد الرحمن وهو كثير الحديث، إلا أنه استُضعف من طرف النقاد، وعن أبي سعيد روى نافع مولى ابن عمر وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو نضرة العيدي وعامر بن سعد وعمرو بن سليم. له في الصحيحين مائة وأربعون حديثا، انفرد البخاري بستة عشرة منها وانفرد مسلم باثنين وخمسين[1].

نماذج من مروياته :

روى عنه اسحق بن أبي طلحة في موطإ الإمام مالك : «إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه تماثيل أو تصاوير»[2]، شك اسحق في أيهما المذكور في الحديث، وشك حفص بن عاصم في رواية حديث : «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله»[3]، هل هي عنه أم عن أبي هريرة، وقد روي أنهما عنهما معا، وروى عنه ربيعة بن أبي عبد الرحمن حديث النهي عن لحوم الأضاحي بعد ثلاث والحديث الوارد بعد هذا النهي[4]، وروى عنه ابنه

---

(1) انظر ترجمته في أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، ج 2، ص 312 وما بعدها، طبعة دار الفكر.

(2) رواه مالك في الموطأ في كتاب الجامع.

(3) رواه البخاري في كتاب الزكاة من حديث أبي هريرة.

(4) رواه مسلم في كتاب الأضاحي.

عبد الرحمن حديث : «إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه، فليدرأ ما استطاع فإن أبي فليقاتله إنما هو شيطان»[1].

وروى ابنه أبو صعصعة حديث مقادير الزكاة في الوَرق والتمر والإبل[2].

وعن نافع عنه قالﷺ : «لا تبيعوا الذهب إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها شيئاً غائباً بناجز»[3].

ومن باقي مشاهير المحدثين في مدرسة المدينة نذكر الأعلام التالية :

1. **سعيد بن المسيب** (تـ 91هـ)، أبو محمد المخزومي، الإمام الجليل، أحد الفقهاء السبعة المدنيين. سمع عمر وهو يخطب، وسمع عثمان، وزيد بن ثابت، وعائشة، وأبا هريرة. عرف بسعة العلم وصحة الرواية. وكان أعلم الناس بقضاء عمر، وحديث أبي هريرة الذي كان زوج ابنته. وقد روى عنه علماء عصره من الفقهاء والمحدثين.

لم يرو عن أحد من الصحابة إلا عن أبي هريرة لأن ابنته كانت عنده. كان يقال له راوية عمر. وقال قتادة : ما حدثنا الحسن عن بدري ولا ابن المسيب إلا عن سعد بن مالك. وقال إن ابن عمر كان يرسل إليه يسأله عن أقضية عمر.

ولد لسنتين من خلافة عمر، وأخرج له البخاري في ذكر الملائكة عن الزهري عنه عن عمر. وأخرج له عن عثمان وعلي وسعد بن أبي وقاص، وحكيم بن حزام، وابن عمر وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعائشة وأبيه حزن[4].

2. **نفيع المدني مولى آل عمر** (تـ 97هـ)، أبو رافع الصائغ، أدرك الجاهلية. وحدّث عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأبيّ بن كعب، وأبي موسى، وأبي هريرة. وروى عنه الحسن البصري وثابت البُناني وقتادة[5].

---

(1) رواه مسلم في كتاب الصلاة.

(2) روى البخاري في كتاب الزكاة قال : حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة المازني عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي اللهم عنهم أن رسول اللهﷺ قال : «ليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة وليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة».

(3) رواه البخاري في كتاب البيوع.

(4) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 54.

(5) انظر ترجمته في أسد الغابة لابن الأثير، جزء الكنى، ص 107، طبعة دار الفطر.

3. علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (تـ 94هـ)، أبو الحسين زين العابدين الهاشمي. حضر مأساة كربلاء. روى عن أبيه وعمه الإمام الحسن بن علي، وعن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر. وروى عنه بنوه : محمد وزيد وعمر وعبد الله، كما روى عنه زيد بن أسلم وعاصم بن عمر والزهري ويحيى بن سعيد وأبو الزناد[1].

4. عروة بن الزبير بن العوام (تـ 94هـ)، أبو عبد الله الأسدي، عالم المدينة. روى عن زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وسعيد بن زيد وعائشة وأبي هريرة. وحدّث عنه بنوه : هشام ومحمد وعثمان ويحيى وعبد الله، وحفيده عمر بن عبد الله، ويتيمه أبو الأسود. كما روى عنه الزهري وأبو الزناد وصالح بن كيسان. وقال الزهري عنه إنه بحر لا ينزف. وقيل إنه كان يصوم الدهر[2].

5. أبو سلمة بن عبد الرحمن (تـ 94هـ)، أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني الحافظ. روى عن عثمان وأبي قتادة، وعن عائشة وأبي هريرة. وروى عنه سالم أبو النضر والقاضي سعد بن إبراهيم وأبو الزناد، والزهري ويحيى بن سعيد، ويحيى بن أبي كثير. ويقال إنه اسمه كنيته[3].

6. أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (تـ 94هـ)، أحد الفقهاء السبعة، روى عن أبيه، وعن عمار بن ياسر وأبي مسعود البدري. وعن عائشة وأبي هريرة. وروى عنه بنوه : عبد الله وعبد الملك وعمر وسلمة، والحكم ابن عتبة والزهري وعمرو بن دينار[4].

7. عبيد الله بن عبد الله بن مسعود (تـ 98هـ)، أحد فقهاء المدينة السبعة. كان عالما، محدثا، أديبا شاعرا. أخذ عن عائشة وأبي هريرة وابن عباس وأبي سعيد الخدري. وعنه رفيقه عراك بن مالك، كما أخذ عنه الزهري وصالح بن كيسان وأبو الزناد. وكان مؤذن الخليفة عمر بن عبد العزيز[5].

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 74.

(2) المصدر نفسه، ص 62.

(3) المصدر نفسه، ص 63.

(4) المصدر نفسه، ص 63.

(5) المصدر نفسه، ص 78.

8. عطاء بن يسار (تـ 103هـ) وقيل توفي بعد التسعين، أبو محمد المدني، مولى ميمونة أم المؤمنين الفقيه الواعظ. روى عن زيد بن ثابت وأبي أيوب، وعن عائشة وأبي هريرة. وعنه زيد بن أسلم وعمرو بن دينار. كان حجة ثقة جليلا من أوعية العلم. وأخوه سليمان (تـ 104هـ) مثله في العلم والفهم[1].

9. سالم بن عبد الله بن عمر العدوي (تـ 106هـ)، سمع من أبيه وعائشة، ورافع بن خديج، وسفينة. وعنه عمرو بن دينار والزهري وعبيد الله بن عمر وصالح بن كيسان وموسى بن عقبة. كان أبوه يقول فيه :

يلومونني في سالم وألومهم وجلدة بين العين والإنف سالم[2].

10. القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (تـ 107هـ)، أبو عبد الرحمن الإمام القدوة. سمع عمته عائشة وابن عباس وابن عمر. وروى عنه ابنه عبد الرحمن والزهري وابن المنكدر وابن عون وربيعة الرأي وأيوب. تربى في حضن أم المؤمنين عائشة فتفقه بها. وقال يحيى بن سعيد الأنصاري : ما أدركنا فقيها في المدينة أحدا نفضله على القاسم بن محمد[3].

11. عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (تـ 117هـ)، مولى ربيعة بن الحرث بن عبد الملك الهاشمي، **كاتب المصاحف**. سمع أبا هريرة وأبا سعيد الخدري وعبد الله بن بجينة. وحدّث عنه الزهري وأبو الزناد وصالح بن كيسان ويحيى بن سعيد وعبد الله بن لهيعة، كان ثقة ثبتا، رابط في آخر عمره بالإسكدرية، وبها توفي[4].

12. الإمام نافع مولى ابن عمر (تـ 117هـ)، أبو عبد الله العدوي، حدّث عن مولاه ابن عمر، وعن عائشة، وأم سلمة، وأبي هريرة، ورافع بن خديح. وعنه مالك وأيوب وعبيد الله بن عمر وابن عون وابن خديج والليث والأوزاعي. خدم ابن عمر ثلاثين سنة. كان يعتب على الزهري لأنه يسمع منه الحديث ثم يحدث به عن سالم[5].

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 90.

(2) المصدر نفسه، ص 88.

(3) المصدر نفسه، ص 96.

(4) المصدر نفسه، ص 97.

(5) المصدر نفسه، ص 99.

13. **زيد بن أسلم** (تـ 136هـ)، أبوعبد الله المدني، مولى عبد الله بن عمر. كان له حلقة في المسجد. روى عن مولاه ابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعطاء بن يسار، وعلي بن الحسين. وعنه مالك والسفيانيان، وعبد العزيز الدراوردي[1].

14. **أبو حازم سلمة بن دينار** (تـ 140هـ)، مولى بني مخزوم، عالم المدينة وقاضيها. سمع سهل بن سعد الساعدي، وسعيد بن المسيب، وأبا صالح السمان. وعنه مالك والسفيانيان والحمادان. كان فارسيا وأمه رومية، وكان فقيها كبير القدر[2].

15. **عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم** (تـ 147هـ)، أبو عثمان العدوي الحافظ الحجة. روى حديثاً واحداً عن أم خالد بنت خالد الصحابية، وعن سالم والقاسم وعطاء، ونافع وسعيد بن أبي سعيد المضيري، والزهري. وعنه شعبة والسفيانيان ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرزاق. كان عابدا صالحا، ويقول ابن معين : «عبيد الله عن القاسم عن عائشة : الذهب المسبوك بالدر»[3].

16. **جعفر الصادق بن محمد الباقر** (تـ 148هـ)، أبو عبد الله، أحد السادة الأعلام، أمه بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمها بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، فكان أبو بكر جدّه مرتين. حدّث عن جده القاسم، وعن أبيه محمد الباقر، وعن عروة بن الزبير وعطاء ونافع. وعنه الإمام مالك والسفيانيان ويحيى بن سعيد القطان وأبو عاصم النبيل وغيرهم. وعنه يقول أبو حنيفة : ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد[4].

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 132.

(2) المصدر نفسه، ص 133.

(3) المصدر نفسه، ص 160.

(4) المصدر نفسه، ص 166.

2. مدرسة مكة المكرمة

إنها البلد الذي كرمّه الله سبحانه ببيته العتيق ومسجده الحرام، فجعله للناس مثابة وأمناً، وخصه بشعائر الحج، وبمولد نبيه الأكرم. فكانت مكة مهبط الوحي إليه، ومنطلق رسالته الحق إلى الناس. جاهد فيها النبيﷺ لتبليغ ما أنزل الله إليه ودعوته إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له والتصديق برسالته، وعندما كذّبه قومه، واستضعفوا من اتبعه من المؤمنين، أذن الله له في الهجرة إلى المدينة المنورة مع من آمن معه. ثم أذن له بقتال الظلمة الذين فتنوا المستضعفين فأخرجوهم من ديارهم بغير حق سوى أنهم قالوا إن ربهم الله، وأن عبادة الأوثان لا تغني عنهم شيئا في الدنيا والآخرة. وبعد سنوات من الجهاد، نصر الله المسلمين فيها ببدر، وبعدما مادَّهم الرسولﷺ في صلح الحديبية، غدر مشركو قريش، ونكثوا عهودهم، فوعد الحق سبحانه نبيه بالفتح المبين وبالنصر العزيز، وتحقق هذا الفتح سنة ثمان من الهجرة.

ولما فتحت مكة ومكث فيها الرسولﷺ أياماً قلائل قضى فيها على مظاهر الشرك، فارتفع فيها صوت بلال بن رباح وتعلم أبو محذورة كيف يؤذن وهو غير مستهزئ بعزة الإسلام، وفرح عَتاب بأن أسيد يموت والده قبل أن يسمع الأذان على كعبة قريش، ولكنه تحول بعد أن ولاه أكرم الناس وأوصلهم على مكة وأوصاه بالعدل والقناعة فامتثل.

وهكذا عاد نور الإيمان إلى مكة، وتنكرت لأصنامها، وأسلمت نساؤها واستأمنت لرجالهن فاطمأن الطلقاء، فكمل الفتح، ونصر الله عبده وهزم الأحزاب وحده، وأعاد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى مكة حرمتها ووطد فيها دعائم الإيمان.

عند ذلك تتساءل الأنصار ماذا سيفعل رسول الله بعد أن فتح أحب البلاد إليه ؟ فكان جوابه أن المحيا محياهم والممات مماتهم، ثم ما لبث أن رجع إلى دار هجرته، ومأوى أصحابه وأنصاره، وعرفوا أن الهجرة عبادة لا رجعة فيها، وأن لا يحل للمهاجرين العودة إلى ديارهم ولا الإقامة فيها ما عدا أيام الحج والعمرة.

فلم تحظ مكة إذاً بمقام علماء الصحابة ومحدثيهم، وإنما كانت تنعم في مواسم المناسك بالعلماء من المدينة في العهد الراشدي. ففي حياته كان النبيﷺ يلقي فيها

خطبه للهدي والإرشاد ويتعلم منه الحاضرون أحكام الحج والحدود والأمر بمكارم الأخلاق وكان يدعو الحاضر ليبلغ الغائب، واتبع خلفاؤه الراشدون سنته في الحج والتعليم. وكانت أحاديثه وسنته في مناسك الحج ثروة حرص المحدثون الأوائل على اقتنائها وحفظها وكتابتها، فيقول الإمام أحمد أنه أخذ عن هشيم بن بشير ألف حديث في كتاب الحج.

فإذا كان أكثر الحديث قد رُويَ في المدينة، فإن كثيرا منه قد رُويَ حول مكة المكرمة.

وفي نهاية العهد الراشدي تأسست مدرسة الحديث في مكة، وكان من أئمتها من الصحابة جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب، الذي سكنها في آخر حياته، والذي كانت بينه وبين مكة صلات قديمة ووثيقة في عهد والده الذي كان صاحب السقاية فيها، وأخيه قثم الذي كان والياً عليها في عهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فكان هو وجابر بن عبد الله الصحابيين اللذين أخذ عنهما أئمة الحديث في مكة حتى ذكر أن أصح أسانيدها سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر، وبهذا السند وردت عدة أحاديث عن ابن عباس رضي الله عنه.

وهكذا واكبت مدرسة المدينة في الحديث حركة مماثلة بمكة المكرمة اتصلت بحبر الأمة عبد الله بن عباس، وتركزت حول أئمة من أبرزهم مجاهد بن جبر صاحب "التفسير"، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الذي اعتُبر من رواد حركة التدوين، حتى قيل إنه أول من رتب الأحاديث ترتيبا موضوعيا. وقد أوثر عنه كتاب "السنن"، ولم يوجد كاملا، إلا أن أبا محمد بن مخلد العطار أورد نبذة منه في كتابة له بعنوان "ما رواه الأكابر عن مالك ويحيى بن سعيد وابن جريج. وله أيضاً كتاب في "التدليس" أفاد منه محمد بن جرير الطبري برواية الحسن ابن قائم الهمذاني عن الحسن بن داوود المصيصي عن حجاج ابن محمد المصيصي.

1. عبد الله بن عباس بن عبد المطلب[1]

حياته :

كان أكبر أبناء أبيه العباس. ولد في سنوات حصار بني هاشم في الشِّعب، أمه لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية أخت أم المؤمنين ميمونة وحنّكه الرسولﷺ بريقه، وتربى في كنفه في بيت الرسالة، وتحت شجرة النبوءة، وفي معدن العلم انه ابن مكة المكرمة.

دعا له النبيﷺ أن يعلمه الله الحكمة والتأويل، فكان يبيت معه في بيت خالته ميمونة ويصلي جنبه، وقد أردفه في السفر، ولقّنه كلمات الحفظ واليقين وهي قوله : «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسئل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف»[2].

واستجابت دعوة الرسولﷺ لابن عمه، فكان حَبْر الأمة وبحرها لسعة علمه، وحدة فهمه. ويقول عنه تلميذه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنه فات بخصال كثيرة، بعلم من سبقه، وفق فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم ونسب وتأويل. لا أعلم بما سبق من حديث رسول اللهﷺ منه، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان ولا أفقه في رأي منه ولا أعلم بشعر أو عربية أو حساب أو فريضة. كان يجلس يوما ولا يذكر فيه إلا الفقه، ويوما للتأويل، ويوما للمغازي، ويوما للشعر وأيام العرب، وما رأيت عالما جلس معه إلا خضع له، وما رأيت سائلا سأله إلا وجد عنده علماً.

وكان عمر يستشيره مع شيوخ أهل بدر، وإذا جاءته معضلة، قال له : أنت لها ولأمثالها، ثم يأخذ بقوله.

وتوفي الرسول عليه الصلاة والسلام وسنه لا تتجاوز ست عشرة سنة، وروى عنه أحاديث يسيرة، إلا أنه أخذ عن كبار الصحابة مثل أمير المؤمنين عمر، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبي ذر، ولازم الإمام عليا بن أبي طالب، ونهل من بحره، وتأدب بعلمه.

---

(1) انظر ترجمته في أسد الغابة، الجزء 3، ص 186.

(2) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع وقال حديث حسن صحيح.

وروى عنه قرناؤه من الصحابة مثل ابن عمر وأنس بن مالك وسهل بن حنيف، وحمل علمه مواليه عكرمة وكريب وأبو معبد، وكبار التابعين : مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وسعيد بن المسيّب، وعلي بن الحسين والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير وسليمان بن يسار.

ومن المكثرين عنه مولاه عكرمة الذي أثير جدل حوله بين نقاد الحديث، فوثقه بعضهم وتكلم فيه آخرون، فقد أخرج له الشيخان وأصحاب السنن. وقد استعرض الحافظ بن حجر كل ما قيل عنه في "هدي الساري" ورجّح توثيقه.

والذين تكلموا فيه منهم من اتهمه بالقدرية، ومنهم من اعتبر ما روي عن سعيد بن المسيب أنه قال لمولاه برد : لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس. ومما احتجوا به أن الإمام مالكاً لم يصرح بالرواية عنه في موطئه، في رواية يحيى بن يحيى الليثي، ومع أن بعض الرواة ذكر أنه صرح بالرواية عنه في الحج.

وقد روى عن عكرمة الأئمة الموثوقون أمثال سعيد بن جبير وأيوب السختياني وأبو الأسود يتيم عروة والشعبي وسماك بن حرب وخالد الحذاء، ومنهم من تكلموا فيه مثل شهر بن حوشب الذي تركه بعض النقاد، وجابر الجعفي المعدود من أهل الأهواء، ومن الرواة عنه عباد بن منصور، الذي روى عن ابن عباس عن النبيﷺ قال : «ما مررت بملإٍ من الملائكة ليلة أسري بي إلا قالوا عليك بالحجامة»[1]. ويقول ابن أبي حاتم في "العلل" أنه سأل أباه عن هذا الحديث، فقال : هذا حديث منكر. يقال إن عباد بن منصور أخذه عن إبراهيم بن أبي يحيى عن داوود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس فما كان من المناكير فهو من ذلك.

نماذج من مروياته :

منها أن النبيﷺ دعا له بالحكمة. وقد روى أحمد في مسنده : «حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، مَسَحَ النَّبِيُّﷺ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْحِكْمَةِ»[2].

ومنها أحاديث : استفتاء سعد بن عبادة عن نذر أمه. وحديث الانتفاع بجلد الميتة، ورد النبيﷺ للحمار الوحشي لأنه محرم[3]. وحديث : «التيمم لكل صلاة»[4].

(1) رواه الترمذي في كتاب الطب وقال حديث حسن غريب.

(2) رواه أحمد في مسند بني هاشم.

(3) انظر البخاري في كتاب الجهاد والسير ومالك في كتاب الحج وأحمد في باقي مسند الأنصار.

(4) رواه الدارقطني بإسناد ضعيف.

وله حديث في أوقات الصلاة : عن عبد الرَّزَّاق، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ، حَدَّثَنِي حكِيمُ بْنُ حكِيمٍ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَّنِي جِبْرِيلُ عِنْدَ الْبَيْتِ فَصَلَّى بِي الظُّهْرَ حِينَ زَالَتْ الشَّمْسُ فَكَانَتْ بِقَدْرِ الشِّرَاكِ ثُمَّ صَلَّى بِي الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ ثُمَّ صَلَّى بِي الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ ثُمَّ صَلَّى بِي الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ ثُمَّ صَلَّى بِي الْفَجْرَ حِينَ حَرُمَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ عَلَى الصَّائِمِ ثُمَّ صَلَّى الْغَدَ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ ثُمَّ صَلَّى بِي الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ ثُمَّ صَلَّى بِي الْمَغْرِبَ حِينَ أَفْطَرَ الصَّائِمُ ثُمَّ صَلَّى بِي الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ثُمَّ صَلَّى بِي الْفَجْرَ فَأَسْفَرَ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا وَقْتُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ الْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ»[1].

وفي الصلاة : عن ابن شهاب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : مروره أمام الصف، وقد ناهز الحلم[2].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا فَقَامَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ لِأُصَلِّيَ بِصَلَاتِهِ قَالَ فَأَخَذَ بِذُؤَابَةٍ كَانَتْ لِي أَوْ بِرَأْسِي حَتَّى جَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ[3].

وعن ابْنِ سِيرِينَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَافَرَ مِنْ الْمَدِينَةِ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعَ[4].

وعن عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ فِي السَّفَرِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَالظُّهْرِ وَالْعَصْرِ»[5].

وعن حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَسْتَاكُ»[6].

---

(1) رواه الترمذي في كتاب الصلاة وقال حديث حسن صحيح.

(2) رواه مسلم في كتاب الحج قال حدثنا إسحاق أخبرنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخي ابن شهاب عن عمه أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن عباس رضي اللهم عنهمما قال أقبلت وقد ناهزت الحلم أسير على أتان لي ورسول الله ﷺ قائم يصلي بمنى حتى سرت بين يدي بعض الصف الأول ثم نزلت عنها فرتعت فصففت مع الناس وراء رسول الله ﷺ وقال يونس عن ابن شهاب بمنى في حجة الوداع.

(3) رواه احمد في مسند بني هاشم.

(4) رواه أحمد في مسند بني هاشم.

(5) رواه أحمد في مسند بني هاشم.

(6) رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة وسننها.

وعن عَطَاءٍ، وَابْنِ، جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ أَخَّرَهَا حَتَّى ذَهَبَ مِنْ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَامَ النِّسَاءُ وَالْوِلْدَانُ فَخَرَجَ فَقَالَ لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُصَلُّوهَا هَذِهِ السَّاعَةَ»[1].

طَاوُس، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِﷺ أَنْ يَسْجُدَ عَلَى سَبْعٍ وَنُهِيَ أَنْ يَكُفَّ شَعَرَهُ وَثِيَابَه»[2].

وفي الصوم : له خروجهﷺ عام الفتح وفطره حين بلغ كديد، وأفطر الناس وكانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمر رسول اللهﷺ[3].

وروى حديث الصدقة بدينار لمن أتى امرأته وهي حائض[4]، رواه الخمسة. وعن سُفْيَانَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُنَيْنٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَجِبْتُ مِمَّنْ يَتَقَدَّمُ الشَّهْرَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْهُ أَوْ قَالَ صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ»[5].

وله عن الحسن بن علي : أن النبيﷺ علمه : «اللهم اهدني فيمن هديت وعافيني في من عافيت وتولني في من توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك»[6].

وله في الحج : عَنْ عِكْرِمَةَ، عنه، أَنَّ النَّبِيَّﷺ طَافَ بِالْبَيْتِ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ وَاسْتَلَمَ الْحَجَرَ بِمِحْجَنٍ كَانَ مَعَهُ قَالَ وَأَتَى السِّقَايَةَ فَقَالَ اسْقُونِي فَقَالُوا إِنَّ هَذَا يَخُوضُهُ النَّاسُ وَلَكِنَّا نَأْتِيكَ بِهِ مِنْ الْبَيْتِ فَقَالَ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ اسْقُونِي مِمَّا يَشْرَبُ مِنْهُ النَّاسُ..»[7].

وعن كُرَيْبٍ، عَنه، قَالَ كَانَ النَّبِيُّﷺ بِالرَّوْحَاءِ فَلَقِيَ رَكْبًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ مَنْ الْقَوْمُ قَالُوا الْمُسْلِمُونَ قَالُوا فَمَنْ أَنْتُمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ فَفَزِعَتْ امْرَأَةٌ فَأَخَذَتْ بِعَضُدِ صَبِيٍّ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ مِحَفَّتِهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لِهَذَا حَجٌّ قَالَ نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ»[8].

---

(1) رواه أحمد في مسند بني هاشم.

(2) رواه البخاري في كتاب الأذان.

(3) الحديث رواه أحمد في مسند المدنيين وباقي مسند الأنصار عن رجل من أصحاب النبيﷺ ولم يرد في سنده ابن عباس رضي الله عنه.

(4) رواه النسائي في كتاب الطهارة قال : أخبرنا عمرو بن علي قال حدثنا يحيى عن شعبة عن الحكم عن عبد الحميد عن مقسم عن ابن عباس عن النبيﷺ في الرجل يأتي امرأته وهي حائض يتصدق بدينار أو بنصف دينار.

(5) رواه الترمذي في كتاب الصوم وقال حديث حسن صحيح.

(6) رواه الخمسة وزاد البيهقي والطبراني : ولا يعز من عاديت.

(7) رواه أحمد في مسند بني هاشم.

(8) رواه أبو داود في كتاب المناسك.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنه، يَقُولُ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ فَخَرَّ رَجُلٌ عَنْ بَعِيرِهِ فَوُقِصَ فَمَاتَ وَهُوَ مُحْرِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ غَسِّلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَادْفِنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُهِلًّا»(1).

وعن عَطَاءٍ، عَنه، إِنَّمَا سعى رَسُولُ اللَّهِﷺ بالبيت وبين الصفا والمروة لِيُرِيَ الْمُشْرِكِينَ قوته»(2).

وعن سُفْيَانَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي مَعْبَدٍ، عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَالَ لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ وَلَا تُسَافِرُ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ وَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ إِلَى الْحَجِّ وَإِنِّي اكْتَتَبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا قَالَ انْطَلِقْ فَاحْجُجْ مَعَ امْرَأَتِكَ(3).

وعن سُفْيَانَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ طَاوُسٍ، عنه، كَانَ النَّاسُ يَنْصَرِفُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ لَا يَنْفِرُ أَحَدٌ حَتَّى يكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ بِالْبَيْتِ»(4).

وعن عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِﷺ وَقَالَ: «إِذَا لَمْ يَجِدْ الْمُحْرِمُ إِزَارًا فَلْيَلْبَسْ السَّرَاوِيلَ وَإِذَا لَمْ يَجِدْ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ الْخُفَّيْنِ»(5).

وعن أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ جَمْعٍ هَلُمَّ الْقُطْ لِي فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ مِنْ حَصَى الْخَذْفِ فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ نَعَمْ بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ»(6).

وعَطَاءٍ، عنه أَنَّ النَّبِيﷺ سُئِلَ عَمَّنْ حلَقَ قَبْلَ أَنْ يَذْبَحَ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «لَا حَرَجَ لَا حَرَجَ»(7).

وعن مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا «أَنَّ النَّبِيَّﷺ احْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ وَاحْتَجَمَ وَهُوَ صَائِمٌ»(8).

---

(1) رواه أحمد في مسند بني هاشم.

(2) رواه البخاري في كتاب المغازي.

(3) رواه مسلم في كتاب الحج.

(4) رواه مسلم في كتاب الحج.

(5) رواه البخاري في كتاب الحج.

(6) رواه النسائي في كتاب مناسك الحج.

(7) رواه البخاري في كتاب الحج.

(8) رواه البخاري في كتاب الصوم.

وله في النذور : مما روى له حديث عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاس، أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، سَأَلَ النَّبِيﷺ عَنْ نَذْرٍ كَانَ عَلَى أُمِّهِ تُوُفِّيَتْ قَبْلَ أَنْ تَقْضِيَهُ فَقَالَ : «اقْضِهِ عَنْهَا».

وله في أحكام النساء : حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْل، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْر، عَنِ ابْنِ عَبَّاس، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّﷺ «الثَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا وَالْبِكْرُ يَسْتَأْمِرُهَا أَبُوهَا فِي نَفْسِهَا وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا»[1].

وحديث عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاس، أَشْهَدُ عَلَى أَنّ رَسُولِ اللَّهِﷺ «صَلَّى قَبْلَ الْخُطْبَةِ فِي الْعِيدِ ثُمَّ خَطَبَ فَرَأَى أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعْ النِّسَاءَ فَأَتَاهُنَّ فَذَكَّرَهُنَّ وَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ فَجَعَلَتْ الْمَرْأَةُ تُلْقِي الْخُرْصَ وَالْخَاتَمَ وَالشَّيْءَ»[2].

وله في الفرائض : حديث سُفْيَان، عَنْ عَمْرو، عنْ عَوْسَجَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاس، «رَجُلٌ مَاتَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِﷺ وَلَمْ يَتْرُكْ وَارِثًا إِلَّا عَبْدًا هُوَ أَعْتَقَهُ فَأَعْطَاهُ مِيرَاثَهُ»[3].

وله في السلف : حديث سُفْيَان، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيح، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِير، عَنْ أَبِي الْمِنْهَالِ، عنه، «قَدِمَ النَّبِيُّﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يُسَلِّفُونَ فِي التَّمْرِ السَّنَتَيْنِ وَالثَّلَاثَ فَقَالَ مَنْ سَلَّفَ فَلْيُسَلِّفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ»[4].

2. جابر بن عبد الله بن حرام (تـ 78)[5]

حياته :

شهد جابر بن عبد الله بيعة العقبة الأخيرة، وكان يمتح الماء للمسلمين يوم بدر، وخلفه والده على أخواته يوم أحد، وشهد الخندق وبيعة الرضوان، وامتدت به

(1) رواه مسلم في كتاب النكاح.

(2) رواه أحمد في مسند بني هاشم.

(3) رواه الترمذي في كتاب الفرائض.

(4) رواه البخاري في كتاب السلم.

(5) انظر ترجمته في أسد الغابة، الجزء 1، ص 307، وتذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 43 وما بعدها.

الحياة بعد النبيﷺ إلى سنة ثمان وسبعين للهجرة، فكان فقيه المدينة ومفتيها زمانا، ثم ارتحل إلى مكة وبث فيها علما كثيرا، وروى حديث الحج الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، وسمع منه الحسن البصري وسالم بن أبي الجعد.

وأخذ عنه عطاء بن أبي رباح وأبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس، ويقول عطاء بن أبي رباح كنا نكون عند جابر فيحدثنا فإذا خرجنا تذاكرنا، فكان أبو الزبير أحفظنا للحديث. وكان ابن عيينة من أواخر الذين سمعوا عنه.

لقد كان جابر بن عبد الله مثل ابن عمر وابن عباس، من علماء الصحابة الذين نشروا العلم في الأمصار.

نماذج من مروياته :

ومن أشهرها حديث المناسك، وقوله :

أمرنا النبيﷺ بعد ما طفنا أن نحل، قال : «وإذا أردتم أن تنطلقوا إلى منى، فأهلوا فأهللنا من الأبطح»[1].

وعنه أنه رأى رسول اللهﷺ يرمي عن راحلته يوم النحر يقول لنا : «خذوا عنّي مناسككم فإني لا أدري لعلي لن أحج بعد حجتي هذه»[2].

وعن يحيى حدثنا جعفر : حدثني أبي قال : أتينا جابر بن عبد الله وهو في بني سلمة، فسألناه عن حجة النبيﷺ، فحدثنا أن رسول اللهﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس أن رسول اللهﷺ حاج هذا العام، فنزل بالمدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتَمّ برسول اللهﷺ ويفعل مثل ما يفعل. فخرج رسول اللهﷺ لعشر بقين من ذي القعدة وخرجنا معه حتى أتى ذا الحليفة، نفست أسماء بنت عميس بمحمد بن أبي بكر فأرسلت إلى رسول اللهﷺ كيف أصنع ؟ قال : اغتسلي ثم استثفري بثوب وأحرمي. فخرج رسول اللهﷺ حتى إذا استوت به ناقته على البيداء أهلّ بالتوحيد : «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، لبيك إن الحمد والنعمة لك، لا شريك لك»، ولبى الناس، والناس يزيدون : ذا المعارج ونحوه من الكلام، والنبيﷺ يسمع ولم يقل لهم شيئا ؛ فنظرت مدّ بصري بين يدي رسول اللهﷺ من راكب وماش، ومن خلفه مثل ذلك، وعن يمينه مثل ذلك، وعن شماله مثل ذلك.

---

(1) رواه مسلم في كتاب الحج.

(2) رواه مسلم في كتاب الحج.

قال جابر : ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ينزل عليه القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل من شيء عملنا به، فخرجنا لا ننوي إلا الحج، حتى أتينا الكعبة فاستلم نبي الله ﷺ الحجر الأسود ثم رمل ثلاثة ومشى أربعة، حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين ثم قرأ : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾، قال أبي، قال أبو عبد الله يعني جعفرا : فقرأ فيها بالتوحيد، و﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾، ثم استلم الحجر وخرج إلى الصفا، ثم قرأ : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾، ثم قال : نبدأ بما بدأ الله به، فرقى على الصفا حتى إذا نظر إلى البيت كبّر؛ قال : ﴿ لا إله الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله، أنجز وعده، وصدق عبده، وغلب الأحزاب وحده ﴾، ثم دعا ثم رجع إلى هذا الكلام، ثم نزل حتى إذا انصبت قدماه في الوادي رمل، حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة فرقى عليها حتى إذا نظر إلى البيت فقال عليها كما قال على الصفا، فلما كان السابع عند المروة قال : «يا أيها الناس إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولجعلتها عمرة، فمن لم يكن معه هدي فليحلل، وليجعلها عمرة»، فحل الناس كلهم.

فقال سراقة بن مالك بن جعشم، وهو في أسفل المروة : ألعامنا هذا أو للأبد ؟ فقال : للأبد ثلاث مرات، ثم قال : دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة.

وقدم عليٌّ بن أبي طالب من اليمن، وقال النبي ﷺ : بم أهللت ؟ قال : قلت اللهم إني أهل بما أهل به رسولك ﷺ، قال ومعي الهدي، قال : فلا تحل ؛ فكان الهدي الذي أتى به النبي ﷺ والذي أتى به عليّ من اليمن مائة بدنة، نحر منها رسول الله ﷺ ثلاثا وستين، ثم أعطى عليا فنحر ما غبر، ثم أشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فأكلا من لحمها وشربا من مرقها.

ثم قال نبي الله ﷺ : «قد نحرت هـهنا ومنى كلها منحر، ووقف بعرفة فقال وقفت هـهنا وعرفة كلها موقف، ووقف بالمزدلفة فقال قد وقفت هـهنا والمزدلفة كلها موقف»[1].

عن ابن جريج عن عطاء : أهللنا، أصحاب النبي ﷺ بالحج خالصاً ليس معه غيره، خالصاً وحده، فقدمنا مكة صبح رابعة مضت من ذي الحجة، فقال النبي ﷺ : «حلوا واجعلوها عمرة، فبلغه أنا نقول لم يكن بيننا وبين مكة إلى خمس فنحل فيروح

(1) رواه مسلم في كتاب الحج.

إلى منى ناس منا ومذاكيرنا تقطر منيا، فخطبنا فقال : لقد بلغني الذي قلتم وإني لأتقاكم وأبركم، ولولا الهدي ما حللت ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، حلوا واجعلوها عمرة»[1].

وعن عطاء عن جابر قال : بعد ذلك أتينا عرفات ثم انصرفنا منها، ثم إن عائشة التي كانت قد أصابها الأذى من قبل بِسَرِفٍ قبل الحج، دخل عليها رسول اللهﷺ وهي تبكي، فقال : «مالكِ تبكين إنما أنت من بنات آدم يصيبك ما أصابهن، قالت : إني أجد في نفسي، قد اعتمروا، قال : إن لك مالهم، قالت : إني أجد في نفسي، فوقف بأعلى مكة وأمر أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر فأردفها حتى بلغت التنعيم ثم أقبلت»[2].

وعن عطاء عن جابر : نحر رسول اللهﷺ وحلق وجلس للناس، فما سُئل عن شيء إلا قال : «لا حرج، لا حرج»، فجاء رجل فقال : حلقت قبل أن أنحر، قال : «لا حرج». ثم جاء آخر فقال : يا رسول الله حلقت قبل أن أرمي، فقال : «لا حرج». وقالﷺ : «عرفة كلها موقف، والمزدلفة كلها موقف، ومنى كلها منحر، وكل فجاج مكة طريق ومنحر»[3].

وعن ابن لهيعة عن أبي الزبير قال : سألت جابرا متى كان يرمي رسول اللهﷺ ؟ : فقال : أما أول يوم فضحى، وأما بعد ذلك فعند زوال الشمس.

وعن حماد بن سلمة عن علي بن زيد وعاصم الأحول عن جابر بن عبد الله قال : «تمتعنا متعتين على عهد رسول اللهﷺ : الحج والنساء، فنهانا عمر عنهما فانتهينا»[4].

وعن عطاء أيضا : «فقام القوم كلهم حتى كان يوم التروية، وأرادوا التوجه إلى منى أهلوا بالحج فكان الهدي على من وجد، والصيام على من لم يجد، وأشرك بينهم في هديهم، الجزور بين سبعة والبقرة بين سبعة، وكان طوافهم بالبيت وسعيهم بين الصفا والمروة لحجهم وعمرتهم طوافاً واحداً وسعياً واحداً»[5].

---

(1) رواه مسلم في كتاب الحج.

(2) رواه أبو داود في كتاب المناسك.

(3) رواه أحمد في مسند باقي المكثرين.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه.

ومن حديث جعفر عن أبيه أنهﷺ بعد ما عاد إلى الحجر ذهب إلى زمزم فشرب منها وصب على رأسه ثم رجع فاستلم الركن ثم رجع إلى الصفا فقال : «أبدأ بما بدأ به الله»[1].

وعن الأعمش عن أبي صالح عن جابر قال : خطبنا رسول اللهﷺ يوم النحر، فقال : «أي يوم أعظم حرمة ؟ فقالوا : يومنا هذا. فقال : فأي شهر أعظم حرمة ؟ قالوا : شهرنا هذا، قال : أي بلد أعظم حرمة ؟ قالوا : بلدنا هذا، قال : فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، هل بلّغت ؟! قالوا : نعم، قال : اللهم فاشهد»[2].

ويقول في قصة دفن والده :

«والله لولا أني تركت بنات لي بعدي لأحببت أن تقتل بين يدي، قال فينما أنا في النظارين إذ جاءت عمتي بأبي وخالي على ناضح فدخلت بهم المدينة لتدفنهما في مقابرنا إذ دخل رجل ينادي ألا إن النبيﷺ يأمركم أن ترجعوا بالقتلى فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت فرجعنا بهما فدفناهما حيث قتلا فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال : يا جابر بن عبد الله والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا فخرج طائفة منه فاتبعته فوجدته على النحو الذي دفنته لم يتغير إلا مالا يدع القتل من القتيل فواريته...»[3].

وفي قصة قضاء دينه يقول :

وترك أبي عليه دينا من التمر فاشتد علي بعض غرمائه في التقاضي فأتيتُ نبي اللهﷺ فقلت : يا نبي الله إن أبي أُصيب يوم كذا وكذا، وترك علي دينا من تمر واشتد علي بعض غرمائه في التقاضي، فأحب أن تعينني عليه لعله أن ينظرني طائفة من تمره إلى هذا الصرام المقبل، فقال : نعم آتيك إن شاء الله قريباً من وسط النهار وجاء معه حواريه ثم استأذن ودخل، فقلت لامرأتي إن النبيﷺ جاءني اليوم وسط النهار فلا أريتك ولا تؤذي رسول اللهﷺ في بيتي بشيء ولا تكلميه فدخل ففرشت له فراشاً ووسادة فوضع رأسه فنام قال : وقلت لمولى لي اذبح هذه العناق وهي داجن سمينة وعجل افرغ قبل أن يستيقظ رسول اللهﷺ وأنا معك فلم نزل فيها

---

(1) رواه أحمد في مسند باقي المكثرين.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

حتى فرغنا منها وهو نائم فقلت له إن رسول اللهﷺ إذا استيقظ يدعو بالطهور وإني أخاف إذا فرغ أن يقوم فلا يفرغن من وضوءه حتى تضع العناق بين يديه، فلما قام قال يا جابر ائتني بطهور فلم يفرغ منه حتى وضعت العناق عنده فنظر إلي فقال كأنك قد علمت حُبّنا للّحم، ادع لي أبا بكر قال ثم دعا حواريه الذي معه فدخلوا فضرب رسول اللهﷺ بيده وقال : بسم الله كلوا، فأكلوا حتى شبعوا وفضل لحم منها كثير.

قال : والله إن مجلس بني لينظرون إليه وهو أحب إليهم من أعينهم ما يقربه رجل منهم مخافة أن يؤذوه فلما فرغ قام، وقام أصحابه فخرجوا بين يديه وكان يقول : خلوا ظهري للملائكة، واتبعتُهم حتى بلغوا أسكُفة الباب، قال : وأخرجت امرأتي صدرها وكانت مستترة بسقيف في البيت قالت : يا رسول الله صلّ عليّ وعلى زوجي صلى اللّه عليك فقال : «صلى الله عليك وعلى زوجك»، ثم قال ادع لي فلانا لغريمي الذي اشتد علي في الطلب، قال فجاءه، فقال : أيسر جابر بن عبد الله، يعني إلى الميسرة طائفة من دينك الذي على أبيه إلى هذا الصرام المقبل، قال : ما أنا بفاعل واعتل، وقال : إنما هو مال يتامى، فقال أين جابر ؟ فقال : أناذا يا رسول الله، قال كِلْ له فإن الله عز وجل سوف يوفه، فنظرت في السماء فإذا الشمس قد دلكت قال الصلاة يا أبا بكر فاندفعوا إلى المسجد فقلت قرب أوعيتك فكِلْتُ له من العجوة فوفاه الله عز وجل وفضل لنا من التمر كذا وكذا، فجئت أسعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده كأني شرارة، فوجدت رسول اللهﷺ قد صلى، فقلت : يا رسول الله ألم تر أني كلت غريمي تمره فوفاه الله وفضل لنا من التمر كذا وكذا، فقال : أين عمر بن الخطاب ؟ فجاء يهرول، فقال : سل جابر بن عبد الله عن غريمه وتمره، فقال : ما أنا سائله قد علمت أن الله عز وجل سوف يوفيه إذ أخبرت أن الله عز وجل سوف يوفيه، فكرر عليه هذه الكلمة ثلاث مرات كل ذلك يقول ما أنا بسائله وكان لا يراجع بعد المرة، فقال : يا جابر ما فعل غريمك وتمرك، قال : قلت وفاه الله عز وجل وفضل لنا من التمر كذا وكذا، فرجع إلى امرأته فقال ألم أكن نهيتك أن تكلمي رسول اللهﷺ، قالت : أكنت تظن أن الله عز وجل يورد رسول اللهﷺ بيتي ثم يخرج ولا أسأله الصلاة علي وعلى زوجي قبل أن يخرج...»[1].

(1) رواه أحمد في مسند باقي المكثرين.

باقي أشهر المحدثين في مكة

1. **عبيد بن عمير الليثي** (تـ 74هـ) أبو عاصم المكي، روى عن عمر وعلي وعائشة. وعنه عطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة وعمرو بن دينار، وابن أبي الزبير، وعبد العزيز بن رفيع. كان واعظا عالما، كبير القدر. قيل إن ابن عمر كان يحضر حلقته في الحرم المكي[1].

2. **مجاهد بن جبر** (تـ 104هـ)، أبو الحجاج المخزومي المكي الحافظ، سمع أبا هريرة، وعائشة، وعبد الله بن عمر، ولزم ابن عباس وقرأ عليه القرآن، وبرع في التفسير. وحدث عنه عمرو بن دينار وقتادة والحكم بن عتبة، وابن عون. وقال عنه الأعمش : كنت إذا رأيت مجاهدا ازدريته متبذلا كأنه خرندج قد حل حماره، فإذا تكلم خرج من فيه اللؤلؤ. كان إذا سمع بأعجوبة ذهب ليراها، فقيل إنه ذهب إلى حضرموت ليرى بئر برهون، وإلى بابل ليرى هاروت وماروت[2].

3. **عطاء بن أبي رباح** (تـ 114هـ)، أبو محمد القرشي المكي، سمع أبا هريرة وعائشة وأم سلمة وابن عباس. وعنه ابن جريج وجرير بن حازم. ورُوي عن ابن عباس قوله : أتجتمعون عندي وفيكم عطاء، ويقول عنه أبو حنيفة : ما رأيت أفضل من عطاء[3].

4. **ابن أبي مليكة** (تـ 117هـ)، أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان القرشي التيمي، قاضي مكة زمن ابن الزبير. سمع من عائشة وأم سلمة وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وطائفة. وعنه عمرو ابن دينار وابن جريج ونافع بن عمر الجمحي والليث بن سعد. كان فقيها، إماما حُجّة[4].

5. **عمرو بن دينار** (تـ 127هـ)، أبو محمد الجمحي مولاهم، سمع من ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وأبي الشعثاء وطاوس. وحدّث عنه الشعبي وابن جريج، والحمادان، ولزمه سفيان بن عيينة. وحدّث عنه الثوري. وقال

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 50.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 92.

(3) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 98.

(4) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 101.

عنه ابن عيينة : ثقة، ثقة، ثقة، وقال عنه : ما عندنا أحفظ ولا أعلم من عمرو بن دينار[1].

6. **عبد الملك بن جريج** (تـ 150هـ)، أبو الوليد عبد الملك بن جريج الرومي الأموي مولاهم، أدرك صغار الصحابة لكن لم يحفظ منهم، وحدّث عن ميمون بن مهران، وعمرو بن شعيب، ونافع والزهري. وعنه السفيانيان ووكيع وعبد الرزاق. وقيل إنه أول من صنف في علم الحديث بمكة[2].

7. **سفيان بن عيينة، حافظ العصر**، (ولد سنة 107هـ وتوفي سنة 198هـ)، روى عن الزهري، وأكثر عن عمرو بن دينار وسمع من أبي إسحاق السبيعي وعبد الله بن دينار، وعبد الكريم الجزري وهشام بن عروة، وعبد الله أبي بكر بن حزم، وحصين بن عبد الرحمن وشعبة وسفيان الثوري، وغيرهم، ومن كبار الذين أخذوا عنه الأعمش وابن جريج وشعبة وهم من شيوخه، ومن المكثرين عنه الحميدي وابن المديني والإمام أحمد والإمام الشافعي، الذي قال إن أصول الأحكام نيف وخمسمائة حديث، كلها عند مالك إلا ثلاثين حديثاً، وكلها عند ابن عيينة إلا ستة أحاديث.

وروى أحمد بن نصر أنه سأله عن حديث «إن الله يضع السماوات على أصبع»، وحديث «إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»، وحديث «إن الله يعجب» أو «يضحك» ممن يذكره في الأسواق» فقال سفيان هي كما جاءت نقر بها ونحدث بها بلا كيف[3].

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 113.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 196.

(3) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 8، ص 454.

الفصل الثاني : مدرسة العراق

1. مدرسة الكوفة

إنها المدينة التي بعث إليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كنيفا ملئ علما وهو عبد الله بن مسعود، ورحل إليها باب مدينة العلم علي بن أبي طالب بعد ما بويع بالخلافة، ولم تحل نزاعات المشاجرة دون قيام نهضة علمية قوية في هذه المدينة، كان من مصادرها ما سُمع من الإمام علي وابن مسعود وأبي موسى الأشعري، وممّن تتلمذ عليهم من كبار التابعين.

وقد سكنها من الصحابة كذلك : سهل بن حنيف، وأبو قتادة، وسلمان الفارسي، وسعد بن أبي وقاص، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسى الأشعري، وأبو مسعود الأنصاري، والبراء بن عازب، والمغيرة بن شعبة، وجرير بن عبد الله البجلي، وعبد الله بن أبي أوفى، وسمرة بن جندب، وحنظلة الكاتب.

يقول أبو عبد الله الحاكم إنه دخلها سنة 341هـ، فكان أبو الحسن بن عقبة الشيباني يدله على مساجد الصحابة فيها. وكانت عامرة كثيرة. وكان يأوي فيها إلى مسجد جرير بن عبد الله البجلي، وبعد أربع سنوات عاد إليها فوجد مسجد ابن عقبة صار خرابا، وكان أبو القاسم السكوني يدور به على سواري المساجد، ويدلّه على أسطوانة جرير، وأسطوانة عبد الله، وأسطوانة البراء بن عازب.

وذكر من أصح أسانيدها : محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي.

ويقول ابن المديني إن أجودها : ابن عون عن محمد عن عبيدة عن علي.

وعن سفيان الثوري قوله : عن منصور عن المعتمر عن إبراهيم بن يزيد النخعي عن ابن مسعود. أو هي أسانيد ابن مسعود : شريك عن أبي فزارة عن أبي زيد عن عبد الله، وأبو فزارة راشد بن كيسان ثقة.

ومن أسانيد أهل البيت فيها : جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب.

والأحاديث التي تفرد فيها أهل الكوفة : منها : حديث صالح بن محمد بن حبيب الحافظ : قال حدثنا علي بن حكيم قال : حدثنا شريك عن أبي الحسناء عن الحكم بن عتبة عن حنش قال : كان علي رضي الله عنه يضحي بكبشين بكبش عن النبيﷺ وبكبش عن نفسه، وقال : «أمرني رسول اللهﷺ أن أضحي عنه وأنا أضحي عنه أبداً»[1].

وممن أخذ عن الإمام علي وعن إبن مسعود مسروق بن الأجدع وعبيدة بن عمرو الذي أسلم عام الفتح في اليمن فكاد أن يكون صحابياً واشتهر بالفقه والقضاء، ويقول ابن سيرين إنه ما رأى من هو أشد منه توقيا، وروى عنه الشعبي وإبراهيم النخعي وأبو اسحق السبيعي (82هـ).

مراجعها

1. الإمام علي بن أبي طالب[2]

حياته :

أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، يقال إنها أول هاشمية ولدت هاشميا، كنيته أبو الحسن، وكنّاه رسول اللهﷺ بأبي تراب، وذلك أن النبيﷺ جاء فاطمة وقال : «أين ابن عمك». قالت : جرى بيننا كلام وخرج مغضبا إلى المسجد فذهب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المسجد فوجد عليا مضطجعا على الأرض، فجعل ينفض عنه الغبار بيده الكريمة ويقول : «قم يا أبا تراب ! قم أبا تراب !». وأمه من المسلمات المهاجرات، توفيت في المدينة واعتنى الرسولﷺ بتجهيزها ودفنها.

أما أبوه، أبو طالب، فإن تاريخه يرتبط ارتباطا وثيقا بنحو من خمسين سنة من حياة الرسول، لقد رأينا أنه احتضنه بعد وفاة عبد المطلب، واعتنى برعاية طفولته وشبابه، وبدت له منه إرهاصات عرفته أنه سيكون له شأن، فحرص أن لا يفارقه في حضر أو سفر. وحين بلغ مبلغ الرجال، تولى تزويجه من خديجة، وظل يرقب تطور الأحداث في أمره، وحينما بعث رسولا، وثارت عليه ثائرة قريش، هبّ لنصرته والدفاع عنه، ولما توفى أبو طالب حزن رسول اللهﷺ لفراق عمه الحبيب أبي طالب الذي كفله

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب الأضاحي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من طريق شريك.

(2) انظر ترجمته الموسعة في أسد الغابة، الجزء 3، ص 588 وما بعدها.

صغيرا، ونصره يافعا، وحماه رسولا. ذلك هو أبو طالب الذي كَبُر عليه ما يلاقي ابن أخيه من قريش فسلَّ دونه سيفه ولسانه فهو الذي يقول :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها

وإن حصلت أشراف عبد منافها ... ففي هاشم أشرافها وقديمها

وإن فخرت يوما فإن محمداً ... هو المصطفى من سرها وكريمها

وله في رسول الله ﷺ، لاميته المشهورة نذكر منها خطابه لقريش :

كذبتم وبيتِ الله نسلم محمداً ... ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع دونه ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وينهض قوم بالحديد إليكم ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

ومنها :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في رحمة وفواضل

هكذا كان يقول أبو طالب، وكان يفعل أحسن مما يقول، وإذا كان الكلام قد كثر في إسلامه وعدمه، فإن أمامه ربّا رؤوفا رحيما، يخرج من النار كل من في قبله مثقال حبة من الخردل من خير، وفي قلب أبي طالب كثير من الخير.

ولما أحس الرسول بما يلقي عنه أبو طالب من ضائقة اليد أراد أن يخفف عنه مؤنة عياله، فآوى عليا في بيت خديجة، وتربى علي بن أبي طالب في هذا البيت أحسن تربية، فلقد كان من أول الناس إسلاما، ويروى أنه أول من صلى مع رسول الله ﷺ ولازم الرسول ملازمة الظل للجسم ودرس في مدرسة الأرقم بن أبي الأرقم حتى صار باب مدينة علم الرسول ﷺ.

عُرف ابن أبي طالب بالبطولة والشجاعة، ذلك أن تفانيه في حياة الرسول يجعله لا يعطي لحياته الدنيا قيمة إلا بقدر ما تسهم في إعلاء كلمة الرسالة. فلقد نام في فراش النبي ﷺ ليلة هجرته، لا يبالي أضربته قريش ضربة رجل واحد أم لم يضربوه، ورد أمانات الرسول إلى أهلها، وتجشم مخاطر الهجرة حتى التحق بالرسول في قباء. وأثناء غزوات الرسول وسراياه، كان يحمل لواءه في كل مشهد يتحدى كل من يدعو إلى المبارزة ويغمد سيفه في كل من يريد إطفاء نور الإسلام، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم

أحد وبايعه على الموت، ولما جرى ما وقع بينه وبين ابن معيط نزل فيه قوله تعالى : ﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ﴾[1].

ولما آخى النبي بين المهاجرين، آثر عليا بأُخوته، ووضع يده على منكبه وقال : «أنت أخي ترثني وأرثك». ولما خلفه على المدينة في غزوة تبوك وقع في نفس عليّ من ذلك شيء، وقال لرسول الله أتخلفني في النساء والصبيان ؟ متسائلا هل كان استخلافه يعني أنه قد أخذ عليه ما يكره، فتضاحك الرسول من قول عليٍّ وخاطبه قائلاً : «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي». وأعطاه الراية يوم خيبر وبصق في عينه فبرئ ما بها من رمد، وقال إن الله يحبه ورسوله، وفتح الله على يديه حصن خيبر.

وقال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة : كان لعلي ما شئت من ضرس قاطع في العلم وكان له بسطة في العشيرة، والقدم في الإسلام، والعهد برسول الله ﷺ، والفقه في السنة، والنجدة في الحرب، والجود في المال.

وهو مع هذا كله زوج فاطمة بنت محمد ﷺ، بضعة الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد كان يدعوه هو وفاطمة وحسنا وحسينا ويقول : «اللهم هؤلاء أهلي»، أخرجه مسلم. وأخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشي بن جنادة. وقال رسول الله ﷺ : «أنا من علي وعلي مني». وقال عنه يوم غدير خم : «من كنتُ مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه». وبعثه قاضيا إلى اليمن ودعا له بتثبيت اللسان وهداية القلب؛ فهو باب مدينة العلم ورابع الخلفاء الراشدين، وأبو حفدة رسول الله ﷺ.

بويع له بالخلافة بعد عثمان، وتولى أمر المسلمين منه خليفة عدل القضاء، وكريم النفس، كان يقسم ما في بيت المال ويجلس في محله ويصلي ويتمثل بقول ذي الطوق اللخمي :

هذا جناي وخياره فِيهْ   إذ كل جان يده إلى فيه

وبعد وفاة الرسول ﷺ لم يخبُ شهاب الهجرة في نفس عليّ، ولم يضعف نور الجهاد في قلبه، فكان الساعد الأيمن لأبي بكر، والسند القوي لعمر بن الخطاب، والمستشار الأمين لعثمان بن عفان، ولما ثارت الفتنة على عثمان جهد عليٌّ في

(1) سورة السجدة، الآية 18.

إطفائها، ولما قُتل، قال للغادرين : «تبا لكم آخر الدهر»، وحين بويع للخلافة أخذ مهامه بقوة وثبات، وأراد أن يجعل من الحق المقياس الوحيد لعمله وسلوكه. ولما لاقى من الأمة ما لقي، رأى النبيﷺ في المنام، وشكا إليه ما يرى من الناس، فكانت عاقبة أمره أن استشهد في سبيل إعلاء كلمة الرسالة وسيْرِها على الجادة النبوية، فبدله الله خيرا من الناس، وأبدلهم الله شرا منه، وهو إلى كل هذه الخصال الشاعر الحكيم وقد قال المبرد أنه كتب على سيفه :

للناس حرص على الدنيا بتدبير	وصفوها لك ممزوج بتكدير
لم يرزقوها بعقل بعدما قسمت	لاكنهم رزقوها بالمقادير
كم من أديب لبيب لا تساعده	وأحمق نال دنياه بتقدير
لو كان عن قوة أو عن مطالبة	طار البزاة بأرزاق العصافير

ويرى الفيروزابادي في "القاموس المحيط"، عازيا للمازني، أن عليا لم يتكلم بشيء من الشعر ما عدا بيتين وهما :

تلكم قريش تمناني لتقتلني	فلا وربك ما بروا وما ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمتي لهم	بذات ودقين لا يعفو لها أثر

ولعل قريشا لم تنس ما كانت تلاقيه من ابن أبي طالب حينما كانت تحارب الله ورسوله فتمنت قتله ولم تظفر به، وإنما فاز بالشهادة على يد أشقى الناس عبد الرحمن بن ملجم فترك داهية ذات ودقين لا يعفو لها أثر إلى اليوم.

والحديث عن علي قد يطول، وكفاه فخرا أن جميع المنتمين إلى النسب الشريف هم من سلالته. فإبنة أبي العاص بن الربيع انقطع عقبها بعد ابنها يحيى بن المغيرة بن نوفل. وابن عثمان من رقية بنت النبيﷺ توفي صغيرا. فيبقى ولله الحمد الشرفاء والسادة من أبناء الحسن والحسين، وعقب زينب بنت علي ابن أبي طالب التي كانت عند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأبناؤهم : الزينبيون. وكانت أم كلثوم ابنة علي من فاطمة عند عمر بن الخطاب ورزقت ولدين ماتا صغيرين ولم يعقبا.

نماذج من حديثه :

روى عنه أحمد في مسنده سبعمائة وخمسة وتسعين حديثا في الحج والطهارة والاستشفاء، وفي فضائل ابن مسعود. وفي الكذب في الحلم، وفي صلاة ركعتي الفجر عند الإقامة، وفي أمره له بالصلاة في السحر. وفي القضاء في مسألة الزبية وفي قصة

حاطب بن أبي بلتعة. وقصة صلح الحديبية. وفي ما يحل للخليفة من مال المسلمين وهو قصعتان. وفي الوتر آخر الليل، وفي النهي عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية، والنظر إلى المجذومين، والجلوس مع أهل النجوم، ووعيد من كذب عليه متعمدا. والنهي عن إدخار النسك بعد ثلاثة أيام، وقصة صلح الحديبية، وحديث المارقين من الدين. وقوله إن آخر كلامهﷺ : «الصلاة وما ملكت أيمانكم».

وروى عنه الإمام أحمد في فضائل الشيخين أبي بكر وعمر أربعة أحاديث، فيقول :

حدثنا عبد الله، حدثنا صالح بن عبد الله الترمذي، حدثنا حماد عن عاصم، وحدثنا عبد الله القواريري، حدثنا حماد قال القواريري في حديثه، حدثنا عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن أبي جحيفة[1] قال : سمعت عليا رضي الله عنه يقول «ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر، ثم قال : ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر ؟ عمر رضي الله عنه»[2]، ورواه عبد الله عن نصر بن علي الأزدي عن بشر بن المفضل عن شعبة عن حبيب ابن أبي ثابت عن عبيد عن علي.

حدثني وهب بن بغية الواسطي، حدثنا عمرو بن يونس يعني اليامي عن عبد الله بن عمر اليامي عن الحسن بن زيد بن الحسن، حدثني أبي عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال : «كنت عند النبيﷺ فاقبل أبو بكر وعمر، فقال : يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيئين والمرسلين»[3].

وعن علي بن اسحق بن المبارك أخبرنا عمر بن سعيد بن أبي الحسين عن أبي المليكة، أنه سمع ابن عباس يقول : «وضع عمر على سرير فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع، وأنا فيهم فلم يرعني إلى رجل أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفتُّ فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال : ما خلقت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله تعالى بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن ليجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت أكثر أن أسمع رسول اللهﷺ يقول : «فذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»[4].

---

(1) أبو جحيفة : وهب بن عبيد السواني.

(2) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(3) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(4) رواه البخاري في كتاب المناقب.

حدثنا عبد الله، حدثنا محمد بن جعفر الوركاني، حدثنا أبو معشر نجيح المديني، مولى بني هاشم، عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال : «وضع عمر بين المنبر والقبر، فجاء علي حتى قام بين الصفوف، فقال : هو هذا ثلاث مرات، ثم قال : رحمة الله عليك ما من خلق الله تعالى أحب إلي من أن ألقاه بصحيفة بعد صحيفة النبيﷺ من هذا المُسجّى عليه ثوبه»[1].

وروى عنه في شأن الولاية والوصية حديث غدير غم ودعائه له، قال :

حدثنا أسود بن عامر، حدثني عبد الحميد بن جعفر الفراء عن إسرائيل عن أبي إسحق عن زيد بن يشيع عن علي رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله من يأمر بعدك ؟ قال : «إن تأمروا أبا بكر رضي الله عنه تجدوه أمينا زاهدا في الدنيا، راغبا في الآخرة، وإن تأمروا عمر تجدوه قويا أمينا لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تأمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم»[2].

حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا عبد الملك بن عبد الرحمن الكندي عن زاذان بن عمر قال : سمعت عليا في الرحبة وهو ينشد الناس : «من شهد رسول اللهﷺ يوم غدير خم وهو يقول ما قال، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول اللهﷺ يقول من كنت مولاهٍ فعلي مولاه»[3].

عن سفيان عن مطرف عن الشعبي عن أبي جحيفة قال : «سألنا علياً هل عندكم من رسول اللهﷺ شيء بعد القرآن ؟ قال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فَهْمٌ يؤتيه الله عز وجل رجلا في القرآن أو ما في الصحيفة، قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر»[4].

حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا شريك عن مخارق عن طارق بن شهاب، قال : شهدت علياً رضي الله عنه وهو يقول على المنبر : «والله ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم إلا كتاب الله تعالى، وهذه الصحيفة معلقة بسيفه أخذتها من رسول اللهﷺ فيها فرائض الصدقة معلقة بسيف له، حليته حديد أو قال : بكراته حديد، أي جلفه»[5].

---

(1) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(2) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(3) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(4) رواه البخاري في كتاب العلم.

(5) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

حدثنا محمد بن جعفر الوركاني، حدثنا شريك عن مخارق عن طارق قال: خطبنا علي رضي الله عنه قال: «ما عندنا شيء من الوحي، أو قال كتاب من رسول الله ﷺ إلا ما في كتاب الله، وهذه الصحيفة المقرونة بسيفي، وعليه سيف حليته حديد وفيها فرائض الصدقات»[1].

حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه، قال: خطبنا علي رضي الله عنه، فقال: «من زعم أن عندنا شيء نقرأه غير كتاب الله وهذه الصحيفة، صحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات فقد كذب، قال: وفيها قال رسول الله ﷺ: المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا، ومن إدعى إلى غير أبيه، وتولى غير مواليه فعليه لعنة الله والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم»[2].

حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا محمد يعني ابن راشد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن **فضالة ابن أبي فضالة الأنصاري**، وكان من أهل بدر قال: خرجت مع أبي عائدا لعلي بن أبي طالب من مرض أصابه ثقل منه فقال له أبي ما يقيمك في منزلك هذا لو أصابك أجلك لم يك إلا أعراب جهينة، تحمل إلى المدينة فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك، قال علي رضي الله عنه: «عهد ألا أموت حتى أومَّر، ثم تخضب هذه يعني لحيته من دم هذه يعني هامته فقتل، وقتل أبو فضالة مع علي في صفين»[3].

حدثني محمد بن أبي بكر المقدسي، حدثنا فضيل بن سليمان ـ يعني النميري ـ حدثنا محمد بن أبي يحيى عن إياس بن عمرو الأسلمي، عن علي ابن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون بعدي اختلاف فإن استطعت أن تكون السلم، فافعل»[4].

عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن علي رضي الله عنه: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا حديث، قلت: تبعثني إلى قوم بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء، قال: إن الله سيهدي لسانك ويثبت قلبك، فما شككت في قضاء بين أثنين بعد»[5].

---

(1) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض.

(3) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(4) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(5) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال : «عهد إلى النبيﷺ أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»[1].

ورُوي عنه في فضائل الحسن والحسين وظهور المهدي وفرقة الروافض :

حديث نصر بن نصر الأزدي عن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي قال : حدثني أخي موسى عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن رسول اللهﷺ أخد بيد حسن وحسين رضي الله عنهما، فقال : «من أحب هذين وأحب أباهما وأحب أمهما كان معي في درجة يوم القيامة»[2].

حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا شرحبيل بن مدرك عن عبد الله بن يحيى عن أبيه إنه سار مع علي، وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى، وهو منطلق إلى صفين، فنادى علي : أصبر يا أبا عبد الله ! أصبر يا أبا عبد الله بشط الفرات ! قلت : وماذا ؟ قال : دخلت على رسول اللهﷺ ذات يوم وعيناه تفيضان، فقلت : يا نبي الله أأغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان ؟ قال : بل قام من عندي جبريل قبل، فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات، قال : فقال هل لك أن أشمك من تربته ؟ قال : قلت نعم، قال : فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا»[3].

حدثنا فضل بن دكين، حدثنا ياسين العجلي عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال : «قال رسول اللهﷺ المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة»[4].

حدثنا عبد الله، حدثنا محمد بن جعفر الوركاني في سنة 227، حدثنا أبو عقيل يحيى المتوكل عن كثير النوّاء عن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي عن أبيه عن جده قال : قال علي رضي الله عنه قال رسول اللهﷺ : «يظهر في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام»[5].

(1) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(2) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(3) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(4) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الفتن، ورواه أحمد في مسند العشرة الميشرين بالجنة.

(5) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

2. عبد الله بن مسعود الهذلي[1]

حياته :

أسلم من السابقين الأولين، حيث أنه كان من الستة الأولى آمنوا برسول اللهﷺ. ويذكر أنه كان يرعى غنم عقبة بن أبي معيط فأتاه محمد بن عبد اللهﷺ وطلب منه أن يسقيه، وأعرض ابن مسعود أن يتصرف في غنم لا يملكها. وقَبِلَ أخيرا أن يُعطيه شاة لم تلد قط، واشتدت دهشة ابن مسعود حينما رأى شاة لم يعلها فحل تدر اللبن لمّا اعتقلها محمد بن عبد الله، وحلب منها ما شاء من لبن وأعاد ضرعها على ما كان عليه، وحينئذ عرف ابن مسعود أن محمدا رسول الله فآمن به واتبعه وصحبه وأحبه، وتفرس فيه الرسولﷺ الذكاء وقال : إنه غلام معلم.

أقام ابن مسعود في مدرسة الرسول ﷺ، يزداد كل يوم إيمانا وعلما، ينمو في قلبه حبه للرسولﷺ، وتتضاعف في نفسه الرغبة في التقرب منه.

ويقول ابن مسعود، إنه في هذه الفترة قرأ سبعين سورة من القرآن لا ينازعه فيها أحد، واستمد ابن مسعود من القرآن قوّته وشجاعته، فلقد كان أول من تجرأ على قريش وقرأ عليهم القرآن جهرا بين الركن والمقام، عرض على رفاقه من المسلمين أن يتحدى قريشا في الحرم، فخاف عليه إخوانه ورفاقه، قائلين له إنه ليس له عشيرة تحميه من أذى قريش. بيد أن إيمان ابن مسعود أقوى من العشائر والعصبيات، فقال : دعوني فإن الله سيحميني، ثم دخل الحرم ورفع صوته يتلو : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم، الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان... ﴾ واهتز لكلامه الملأ من قريش، فجعلوا يضربون وجهه وهو يقول : ما كان أعداء الله أهون عليَ منهم، ولم أشاء لراجعتهم بمثلها غدا.

هاجر ابن مسعود إلى الحبشة، ولما بلغه نبأ هجرة الرسولﷺ إلى المدينة أسرع للالتحاق به، يحدوه الشوق إلى رؤيته، والمقام معه، لينعم بالسعادة في العيش في ظله والمقام في جواره وذمته، فكان له ما أراد.

ولقد كان ابن مسعود عند رسول اللهﷺ بمكان، يدخل عليه بلا استئذان، حينما يسمع سواده، ويوقظه من النوم، ويستره إذا أراد أن يغتسل، ويلبسه نعليه، ويمشي أمامه، ويتردد على بيته، هو وأمه، أمُّ عبد، حتى ظن أبو موسى الأشعري أنهما من أهل

---

(1) انظر ترجمته المفصلة في أسد الغابة، الجزء 3، ص 280.

البيت. عرف من سره ما لم يعلمه غيره، واستفاد من دعواته. فأجاره الله من الشيطان، أقرأه القرآن غضاً، وأمره أن يقرئ أمته، وطلب منه أن يسمعه القرآن. ولما تلا عليه قوله تعالى: ﴿ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ فاضت عينا رسول الله ﷺ بالدموع.

وقال: «إن رجله وهو أحمش الساقين أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحُد.

وبعد وفاة الرسول ﷺ عرف الخلفاء لإبن مسعود قدره ومكانته، فعينه عمر بن الخطاب معلما ووزيرا في الكوفة مع أميرها عمّار بن ياسر، وعلم منه أهل الكوفة خيرا كثيرا وقرأوا منه القرآن الكريم وشاهدوا سمت النبي وأخلاقه.

ولما استدعاه عثمان إلى المدينة أبى إلا أن يسمع ويطيع، فعاد إلى بلد الهجرة، ولم تطل به الأيام حتى التحق بنبيه وحبيبه سنة 32هـ على الراجح وقيل سنة 33 وكان عمره بضعاً وستين سنة.

نماذج من أحاديثه:

عن عبد الرحمن بن يزيد أن عبد الله حدثهم أن نبي الله ﷺ قال: «إذنك عليّ أن نرفع الحجب وأن تستمع سوادي حتى أنهاك»[1].

وعن عاصم عن زر عن عبد الله أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بشراه أن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد»[2].

وعن شقيق بن سلمة قال: «خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، وزيد بن ثابت غلام له ذؤابتان يلعب مع الغلمان»[3].

وعن أبي وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «بئسما لأحدكم أو أحدكم أن يقول أنسيت آية كيت وكيت، بل هو نسي واستذكروا القرآن فإنه أشد تفلتا من صدور الرجال من النعم من عُقلها، قال: أو قال من عقله»[4].

وعن زر بن حبيش أن رجلاً قال لابن مسعود: «كيف تعرف هذا الحرف؟ ماء غير ياسن، أم ءاسن. قال فكل القرآن قد قرأت؟ قال: إني لأقرأ المفصل كله في ركعة واحدة.

---

(1) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب المقدمة.

(2) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب المقدمة.

(3) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب القرآن.

قال ابن مسعود : أهذًا كهذِّ الشعر لا أبالك ! قد علمت قراءة رسول الله ﷺ التي كان يقرن قرينتين قرينتين من أول المفصل، وكان أول مفصل ابن مسعود الرحمن»[1].

وعن رجل من همدان من أصحاب عبد الله، لما أراد عبد الله أن يأتي المدينة جمع أصحابه فقال : إني لأرجو أن يكون قد أصبح اليوم فيكم من أفضل ما أصبح من أخبار المسلمين من الدين والفقه والعلم بالقرآن، هذا القرآن الذي أنزل على حروف، والله إن كان الرجلان ليختصمان أشد ما اختصما في شيء قط، فإذا قال القارئ هذا وأقرأني قال (يعني النبي ﷺ) أحسنت، وإذا قال الأخر، قال كلاكما محسن، فأقرأنا إن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار، واعتبروا ذلك بقول أحدكم كذب وفجر، وبقوله إذا صدقه صدقت وبررت. إن هذا القرآن لا يخلق ولا يتشان ولا يتفه لكثرة رد، فمن قرأه على حرف فلا يدعه رغبة عنه، ومن قرأه على شيء من تلك الحروف التي علّم رسول الله ﷺ فلا يدعه رغبة عنه، فإن من يجحد بآية منه يجحد به كله، فإنما هو كقول أحدكم لصاحبه اعجل، وحي هلا. والله لو أعلم رجلا أعلم مني بما أنزل الله على محمد ﷺ لطلبته حتى أزداد علمه على علمي، أنه سيكون قوما يميتون صلاتهم فصلوا الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم تطوعا، وإن رسول الله ﷺ كان يعارض بالقرآن، وفي العام الذي قبض فيه مرتين، فأنبأني أي محسن، وقد قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة»[2].

وعن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله في قوله تعالى : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾[3] قال رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض»[4].

وعن زر عن ابن مسعود أنه قال في هذه الآية : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾[5]. قال رسول الله ﷺ : رأيت جبريل عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح. ينثر من ريشه التهاويل الدر والياقوت»[6].

(1) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(2) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(3) سورة النجم، الآية 11.

(4) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن وقال هذا حديث حسن صحيح.

(5) سورة النجم، الآية 13.

(6) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

حدثنا عبد الله حدثني أبي، ثنا يزيد، أنبأنا محمد بن طلعة عن زبيد عن مرة عن عبد الله قال : «قال رسول اللهﷺ حبسونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله بطونهم وقبورهم نارا»[1].

وعن علقمة عن عبد الله قال : «رأيت النبيﷺ يكبر في كل رفع ووضع وقيام وقعود ويسلم عن يمينه وعن شماله : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته حتى أرى بياض خده وأريت أبا بكر وعمر يفعلان ذلك»[2].

وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود قال : «رأيت رسول اللهﷺ أكل لحما ثم قام إلى الصلاة ولم يمس الماء»[3].

حدثنا عبد الله حدثني أبي، ثنا ابن أبي عدي عن سليمان عن أبي عثمان عن ابن مسعود أن رسول اللهﷺ قال : «لا يمنعن أحدكم أذان بلال من سحوره فإنه إنما ينادي أو قال يؤذن ليرجع قائمكم وينبه نائمكم ليس أن يقول هكذا ولكن حتى يقول هكذا وضم ابن أبي عدي أبو عمرو أصابعه وصوّبها وفتح ما بين أصبعيه السبابتين يعني الفجر»[4].

وعن أبي موسى الهلالي عن أبيه أن رجلا كان في سفر فولدت امرأته فاحتبس لبنها فجعل يمصه ويمجه، فأتى أبا موسى فقال : «حرمت عليك، قال فأتى ابن مسعود فسأله فقال : قال رسول اللهﷺ لا يحرم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم»[5].

وعن أبي ماجد قال أتى رجل ابن مسعود بابن أخ له فقال : إن هذا ابن أخي وقد شرب، فقال عبد الله : لقد علمت أول حدٍّ كان في الإسلام، امرأة سرقت فقطعت يدها، فتغير لذلك وجه رسول اللهﷺ تغيرا شديدا ثم قال : ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم واللّه غفور رحيم ﴾[6]»[7].

عن عبد الله حدثني أبي، حدثني يزيد، أخبرنا شعبة بن الحجاج عن يزيد عن أبي زياد عن أبي سعد عن أبي كنود عن عبد الله قال : «نهانا رسول اللهﷺ عن خاتم الذهب أو حلقة الذهب»[8].

---

(1) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الصلاة.

(2) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(3) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(4) رواه البخاري في كتاب الأذان.

(5) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(6) سورة النور، الآية 22.

(7) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(8) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

وعن عبد الرحمن عن عبد الله عن أبيه أن النبيﷺ قال : «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[1].

وعن المعرور بن سويد عن عبد الله قال : قالت أم حبيبة اللهم متعني بزوجي رسول اللهﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية. فقال لها النبيﷺ : «إنك سألت الله لآجال مضروبة وأرزاق مقسومة وآثار مبلوغة لا يعجل منها شيئا قبل حله، ولا يؤخر منها شيء قبل حله، ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيرا»[2].

حدثنا عبد الله حدثني أبي، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة عن أبي اسحق عن أبي عبيد عن عبد الله أن النبيﷺ كان مما يكثر أن يقول سبحانك ربنا ولك الحمد اللهم اغفر لي، قال فلما نزلت ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ قال : «سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم»[3].

حدثنا عبد الله حدثني أبي، ثنا محمد، ثنا شعبة قال سمعت أبا إسحق يحدث عن أبي عبيدة عن عبد الله عن النبيﷺ قال : علّمنا خطبة الحاجة الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم قرأ ثلاث آيات ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[4]. ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام ﴾[5]»[6].

حدثنا عبد الله حدثني أبي، ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن عبد الله عن النبيﷺ أنه قال : «المرء مع من أحب»[7].

عن عبد الله بن مسعود عن النبيﷺ قال : «إن آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط فينكب به مرة ويمشي مرة وتسفعه النار فإذا جاوز الصراط التفت إليها،

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود.

(2) رواه مسلم في كتاب القدر.

(3) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(4) سورة آل عمران، الآية 102.

(5) سورة النساء، الآية 1.

(6) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(7) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب.

فقال تبارك الله الذي نجاني منك لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا من الأولين والآخرين، قال فترفع له شجرة فينظر إليها فيقول : يا رب أدنني من هذه الشجرة فأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول : أي عبدي فلعلي إن أدنيتك منها سألتني غيرها، فيقول : لا يا رب ويعاهد الله أن لا يسأله غيرها، والرب عز وجل يعلم أنه سيسأله لأنه يرى مالا صبر له، يعني عليه فيدنيه منها ثم تُرفع له شجرة وهي أحسن منها، فيقول : يا رب أدنني من هذه الشجرة فأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول : أي عبدي ألم تعاهدني، يعني أنك لا تسألني غيرها، فيقول : يا رب هذه لا أسألك غيرها ويعاهده، والرب يعلم أنه سيسأله غيرها، فيدنيه منها فترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن منها، فيقول : يا رب أدنني من هذه الشجرة فأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول : أي عبدي ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها، فيقول : يا رب هذه الشجرة لا أسألك غيرها ويعاهده، والرب يعلم أنه سيسأله غيرها لأنه يرى مالا صبر له عليه، فيدنيه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول : يا رب الجنة الجنة، فيقول : عبدي أيرضيك أن أعطيك من الجنة الدنيا ومثلها معها، قال : فيقول أتهزؤ بي وأنت رب العزة ؟ قال : فضحك عبد الله حتى بدت نواجذه ثم قال ألا تسألوني لم ضحكت ؟ قالوا : لم ضحكت ؟ قال : لضحك رسول الله ﷺ، ثم قال لنا رسول الله ﷺ : ألا تسألوني لم ضحكت ؟ قالوا : لم ضحكت يا رسول الله ؟ قال لضحك الرب حين قال أتهزؤ بي وأنت رب العزة»[1].

ومن أشهر المحدثين في الكوفة

1. سويد بن غفلة (تـ 81هـ)، ولد عام الفيل ووصل المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ بقليل، فحدث عن أبي بكر وعمر وعلي وأُبَيّ، وشهد اليرموك، وروى عنه أئمة الحديث[2].

2. علقمة بن قيس (تـ 62هـ على الراجح)، وفي طليعة محدثيها من التابعين علقمة بن قيس النخعي، المولود في حياة النبي ﷺ والذي سمع من عمر وعثمان وعلي وابن مسعود الذي جوّد عليه القرآن، وقال عنه : ما أقرأ شيئا ولا أعلم شيئا إلا وعلمته يقرأه ويعلمه. وذكر أنه كان يشبه شيخه ابن مسعود في هديه ودلّه وسمته.

وروى عن أبي طيسان أن ناسا من الصحابة كانوا يأتون ويستفتونه. واستطاع علقمة أن ينشأ مدرسة علمية كان من أبرز من تخرج منها ابن أخيه الأسود بن يزيد

(1) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 53.

العالم العابد الذي قيل إنه حج ثمانين حجة وعمرة، وأنه كان يصلي سبعمائة ركعة في اليوم ؛ وابن أخته إبراهيم، فقيه العراق المشهور[1].

3. **الربيع بن خيثم (82هـ)**، ومنهم كذلك الربيع بن خيثم، صاحب ابن مسعود الذي كان من معادن الصدق[2].

4. **مسروق بن الأجدع (63هـ)**، الحافظ، أبو عائشة الهمداني الكوفي، ابن أخت عمرو بن معدي كرب. أخذ عن عمر وعلي وابن مسعود. وعنه إبراهيم النخعي والشعبي وأبو إسحاق[3].

5. **أبو وائل شقيق بن سلمة (تـ 82هـ)**، الحافظ الأسدي الكوفي، روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود. وعنه الأعمش ومنصور وحصين. وقيل إنه أسلم في حياة النبيﷺ[4].

6. **الحافظ الشعبي، أبو عامر بن شراحيل الشعبي الهمداني، (تـ 105هـ)**، ومن مشاهير مدرسة الكوفة عامر بن شراحيل الهمداني الشعبي، الذي أدرك خمسمائة من الصحابة، وروى عن عمران بن حصين وجرير بن عبد الله، وأرسل عن الإمام علي بن أبي طالب، ويقال إن مرسله صحيح، وروى عنه الأعمش وأبو حنيفة وابن عون وغيرهم.

عرف بصبره على طلب العلم، واشتهر بأنه جمع بين النسك والعقل، وأنه أفصح أهل زمانه. وقد سمعه ابن عمر يتحدث على المغازي فقال : لقد شهد القوم، ولَهذا أحفظ لها وأعلم مني.

وكان تقيا صدوقا، شديد التحري والحيطة، فقد روي عنه قوله : ما كذب علي أحد مثل ما كذب علي، وذكر أنه في دمشق سمع واحدا من الصحابة يحدث عن رسول اللهﷺ أنه قال : «اعبدوا ربكم ولا تشركوا به شيئا، وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة، وأطيعوا أمراءكم، فإن كان خيرا فلكم، وإن كان شرا فعليهم، وأنتم منه براء»، فقال له الشعبي كذبتَ[5].

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 48.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 57.

(3) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 49.

(4) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 60.

(5) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 79. وانظر ذكر الرواية وتعليق الشعبي في نفس الكتاب، ج 1، ص 83.

وروى الذهبي أن ابن عيينة قال : العلماء ثلاثة : ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه والثوري في زمانه. عرف بسعة العلم، وقوة الحافظة، فكان لا يكتب. هرب من المختار الثقفي، وخرج على الحجاج مع ابن الأشعث فاختفى زماناً، والتحق بجيش قتيبة، ثم أدخل على الحجاج فاعتذر له ونجا من بطشه[1].

7. سعيد بن جبير الوالبي (تـ 95هـ)، سمع من ابن عباس وعدي بن حاتم وابن عمر. وروى عنه الأعمش وعطاء ابن السائب وأيوب. قتله الحجاج بن يوسف في قصة مشهورة. كان ابن عباس إذا جاء إلى الكوفة وسألوه يقول : أليس فيكم سعيد بن جبير. وكان يقال له جهبذ العلماء. وروي عن ميمون بن مهران : مات بن جبير وما على ظهر الأرض رجل إلا وهو يحتاج إلى علمه[2].

8. إبراهيم النخعي (تـ 95هـ)، فقيه العراق، أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود الكوفي النخعي. روى عن علقمة بن قيس النخعي، صاحب ابن مسعود، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد بن قيس النخعي، خال إبراهيم. ودخل على عائشة وهو صبي. أخذ عنه حماد بن أبي سليمان، والحكم بن عتيبة وابن عون والأعمش ومنصور بن المعتمر وسماك بن حرب. قيل عنه إنه كان صيرفياً في الحديث[3].

9. الحكم بن عتيبة (تـ 114هـ)، الحافظ الفقيه أبو عمرو الكندي مولاهم الكوفي. حدّث عن أبي وائل وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير. وعنه شعبة وأبو عوانة. وقال عنه أحمد بن حنبل إنه أثبت الناس في إبراهيم[4].

10. أبو إسحق السّبِيعي (تـ 127هـ)، عمرو بن عبد الله الهمداني الحافظ الكوفي. رأى الإمام علياً وهو يخطب. وروى عن زيد بن أرقم، وعدي بن حاتم، والبراء ابن عازب. وروى عنه الأعمش وشعبة والثوري وسفيان بن عيينة. قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي والأسود بن يزيد النخعي. ورُوي عن أبي داود الطيالسي إنه قال : وجدنا الحديث عند أربعة : الزهري وقتادة وأبي إسحق والأعمش، فكان قتادة أعلمهم بالاختلاف، والزهري أعلمهم بالإسناد، وأبو إسحق أعلمهم بحديث علي وابن مسعود، وكان عند الأعمش كل هذا[5].

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 79.

(2) المصدر نفسه، ص 76.

(3) المصدر نفسه، ص 73.

(4) المصدر نفسه، ص 117.

(5) المصدر نفسه، ص 114.

11. عبد الملك بن عمير (تـ 130هـ)، أبو عمرو الكوفي اللخمي، ولي قضاء الكوفة بعد الشعبي، وحدّث عن جابر بن سمرة، وعدي بن حاتم، وابن الزبير. وحدّث عنه السفيانيان وإسرائيل وعبيدة بن حميد، وآخرون. يقول ابن معين إنه اختلط في كبره، لأنه عاش أكثر من مائة سنة[1].

12. منصور بن المعتمر (تـ 132هـ)، الإمام الحافظ الحجة، أبو عتاب السلمي الكوفي، حدّث عن إبراهيم النخعي، وعن الشعبي، وسعيد بن حبير. وعنه شعبة والسفيانيان. وقال عنه شعبه إنه ما كتب حديثا قط. ويقول ابن مهدي إنه لم يك في الكوفة أحفظ منه. وقيل إنه لا أحد أثبت منه. عده الإمام مسلم من أعلى طبقة في الإتقان. وروي أنه صام أربعين سنة[2].

13. حصين بن عبد الرحمن (تـ 136هـ)، السلمي الكوفي أبو هذيل، ابن عم منصور بن المعتمر. حدّث عن جابر بن سمرة، وابن أبي ليلى، وأبي وائل. وعنه شعبة والثوري وأبو عوانة وعلي بن عاصم. وعاش ثلاثاً وتسعين سنة[3].

14. مغيرة بن مقسم الضبي الكوفي الأعمى، الفقيه الحافظ، كان عجباً في الذكاء والحفظ. حدّث عن الشعبي وعن إبراهيم النخعي، ومجاهد. وحدّث عنه شعبة وهشيم والثوري. ويقال إنه كان عثمانياً مع أنه كوفي.

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 135.

(2) المصدر نفسه، ص 142.

(3) المصدر نفسه، ص 143.

2. مدرسة البصرة

لقد سكن البصرة من الصحابة : أنس بن مالك، وعتبة بن غزوان، وعمران بن حصين، وأبو برزة الأسلمي، وعبد الله بن مغفل المزني، وأبو بكرة، وأبو زيد الأنصاري، ومعاوية بن حيدة، وغيرهم.

مراجعها :

1. أنس بن مالك بن النضر[1]

حياته :

أما أنس بن مالك فإن دوره في الإسلام كان مهما جدا فيما يتعلق بتحمل العلم والتشريع. فهو من العلماء الذين أرسوا سنة رسول اللهﷺ من بعده، ونشروا تعاليمه وسيرته وأعطوا من أنفسهم مثالا على العمل الخالص لعبادة ربهم والإقتداء بسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

كان أنس غلاما لا يتجاوز العاشرة حينما قدم رسول اللهﷺ إلى المدينة. وأخذ أبو طلحة بيد أنس وذهب به إلى رسول اللهﷺ قائلاً : «إن أنسا غلام ذكي وأرجو أن يكون في خدمتك» ورضي النبيﷺ بأنس خادما له ومكث معه عشر سنين ويقول أنس في هذه المدة التي كنت أخدم فيها رسول اللهﷺ، لم يقل لي إذا فعلت شيئا : لم فعلت كذا ؟ وإذا لم أفعل شيئا لم يقل لي قط لمَ لمْ تفعل كذا ؟ وهذه العبارة من أبلغ ما يوصف به حسن خلق من الذي خُلُقُه القرآن ولم يكن فظا ولا غليظا ولا فحاشا. وإنما لينا لأصحابه وبهم كان رحيماً.

في هذه العشر السنوات لازم أنس رسول اللهﷺ، في سفره وحضره، وحرص أن يعقل ما كان يرى من رسول اللهﷺ، وصار فيما بعد يبث عنه الحديث الكثير ويصف خَلْقَه وخُلُقَه. فهو الذي يقول لنا إن رسول اللهﷺ كان أحسن الناس وجها وأحسن الناس خُلُقا، ليس بالطويل ولا بالقصير، مربوعا بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ

(1) انظر ترجمته في أسد الغابة، ج 1، ص 151.

شحمة أذنه ووجهه مثل القمر، وأنه ما مسّ حريراً ولا ديباجاً ألين من كفه، ولا شمّ عطراً أطيب من عرقه. وإذا كان أنس عرف خَلْق رسول الله ﷺ، فقد عرف أيضاً من خُلُقه ما كان يرضيه ويضاعف في نفسه الحب والإعجاب. عرف منه ذلك الرسول الذي لا يتكبر وليس للعجب ولا للرياء إلى نفسه سبيل. فكان يروي عنه أنه قال : من بسط الله له رزقه فلْيَصِلْ رحمَه وكان يذهب في صلة الرحم وعيادة المرضى. حتى أنه ذهب معه يوماً ليعود شاباً يهودياً مريضاً كان يخدمه بعض الأحيان. ويجلس رسول الله ﷺ عند رأس الشاب المريض ويأمره أن يسلم. وينظر أبو اليهودي إلى رسول الله ﷺ، ويقول لابنه : «أطع أبا القاسم» ويستجيب الابن المريض ويخرج النبي ﷺ، مستبشراً قائلاً : «الحمد لله الذي أنقذه من النار» وعرف منه أنس التواضع لله والرحمة بالأمة، والكرم بالمال حتى أنه والمسلمون كلهم تحت تصرفه، قد التحق بالرفيق الأعلى ودرعه مرهونة عند يهودي تاجر في ثمن أمداد من شعير اشتراها لنفقة آل بيته، ومن تواضعه أنه قد كان يستدعيه الخياط إلى بيته ويطعم عنده ويدعو له بالخير.

وعـرف أنـس من رسول الله ﷺ شفقته ورحمته بأمّته فسمعه يقول لمعاذ بن جبل : «إن من قال لا إله إلا الله من أمته حرّمه الله على النار»، وسمعه يعظ النساء ويقول لهن : «إن أي امرأة مات لها ثلاثة من الأبناء لم يبلغوا الحلم كانوا لها ستراً من النار». ويراجعن رسول الله ﷺ في اثنين ويقبل ذلك لهن ويدعو لهن.

وكان أنس من أحفظ الناس لعبادة رسول الله ﷺ، ويعبر لنا عنه بهذا القول : لا تحب أن تراه صائماً إلا رأيته، ولا مفطراً إلا رأيته، ولا قائماً إلا رأيته ولا نائماً إلا رأيته. فكان يصوم الدهر حتى تقول لا يفطر، ويفطر حتى تقول لا يصوم. وهذه العبادة تدل على المواظبة دون تكليف النفس ما لا تطيق. فيعطي العبادة حقها والبدن حقه.

ويتحدث أنس عن صلاة رسول الله ﷺ ويقول إنه كان يوجزها ويكملها. وإذا رفع من الركوع قام حتى تقول قد نسي، وكذلك يعد السجود، وكان يعتدل في سجوده ولا يبسط ذراعيه على الأرض. ويأمر أصحابه أن يقيموا الركوع ويحسنوا الصفوف، ويقول إنه يراهم من وراء ظهره. وكان يصلي الظهر بالهاجرة، والعصر والشمس نقية، يذهب السائر بعدها إلى قباء ويأتيه والشمس مرتفعة، ويصلي المغرب إذا وجبت الشمس. وأما العشاء فإذا رأى أصحابه اجتمعوا عجلها. وإن أبطأوا تأنى بها. وقد أخرها مرة إلى نصف الليل، وكان يبكر بالجمعة ويقيل بعدها. وكان إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر إلى وقت العصر فنزل فجمع بينهما. وإن زاغت قبل أن يرتحل صلى الظهر وركب، وربما جمع بين المغرب والعشاء.

وكان أنس ممن حج مع رسول الله ﷺ، واعتمر معه أربع مرات. عمرة الحديبية المشهورة، وعمرة القضاء وهي كانت في المدّة التي مادّ فيها رسول الله ﷺ كفار قريش. وعمرة الجعرانة بعد قسم غنائم حنين، والعمرة الرابعة التي كانت مع حجه. ويذكر أنس هنا أنهم ساروا من منى إلى عرفات، منهم من يكبر، ومنهم من يلبي، ولا يعيب أحد على أحد ما فعل.

إن هذا لقليل مما أتانا به أنس من الأحكام والعلوم فهو الذي حفظ الوثيقة الجامعة في الزكاة وهي التي كتبها له أبو بكر حين ولّاه عاملا على البحرين.

وقد طال عُمُرُ أنس بعد رسول الله ﷺ، ولبث نحوا من سبعين سنة بعده يحدث عنه كثيرا، ويصف خلقه ويبكي عليه، وعلى ما كان يعهده في أيامه من عبادة وزهد. ويتذكر يوم كان يزور بيته ويصلي فيه وتقول له أم سليم : يا رسول الله إن لي خويصة، فيقول لها رسول الله ما هي خويصتك ؟ فتقول : خادمك أنس، فيدعو له بكل خير وبطول العمر وكثرة الولد والمال، فكان أنس أكثر الأنصار مالا وولدا ومن أطول الصحابة عمراً.

وممن روى عنه تلامذته وأبناؤه وحفدته مثل ثابت وثمامة بن عبد الله بن أنس وابن أخيه إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، كما روى عنه مولاه وكاتبه محمد بن سيرين، وكذلك صاحبه الذي كان منقطعا إليه وهو قتادة بن دعامة السدوسي.

نماذج من حديثه :

عن حميد عن أنس : «أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه إذا دخل في الصلاة، وإذا ركع»[1].

عن قتادة، عن أنس بن مالك : أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا يفتتحون الصلاة بـ «الحمد لله رب العالمين»[2].

عن قتادة عن أنس : «صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم»[3].

(1) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها.

(2) رواه البخاري في كتاب الأذان.

(3) رواه مسلم في كتاب الصلاة.

عن قتادة عن أنس أنه حدثه قال : «صليت خلف النبيﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها»[1].

وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، أنه سمع أنس بن مالك قال : «صليت خلف النبيﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها»[2].

وعن ثابت عن أنس قال : «صليت مع النبيﷺ، ومع أبي بكر وعمر فلم يجهروا ببسم الله الرحمن الرحيم»[3].

وعن الحسن عن أنس بن مالك : أن رسول اللهﷺ كان يسر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة وأبو بكر وعمر.

وعن حميد الطويل عن أنس قال : صليت مع النبيﷺ وأبي بكر وعمر وكانوا يفتتحون بالحمد[4].

وعن مالك بن دينار عن أنس بن مالك قال : صليت خلف النبيﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين ويقرؤون «مالك يوم الدين».

وعن منصور بن زاذان عن أنس بن مالك قال : صلى بنا رسول اللهﷺ فلم يسمعنا قراءة بسم الله الرحمن الرحيم[5].

وعن أبي نعامة الحنفي عن أنس قال : كان رسول اللهﷺ وأبو بكر وعمر لا يقرؤون، يعني لا يجهرون[6].

وعن بكر بن عبد الله عن أنس بن مالك قال : كنا نصلي مع النبيﷺ في شدة الحر، فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن وجهه من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه[7].

---

(1) رواه مسلم في كتاب الصلاة.

(2) رواه مسلم في كتاب الصلاة.

(3) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(4) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(5) رواه النسائي في كتاب الافتتاح.

(6) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(7) رواه البخاري في كتاب الجمعة.

وعن عَبْدِ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ حَدَّثَنِي ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطَبَاتٌ فَتَمَرَاتٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ[1].

وعن عَبْدِ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ثَابِتٍ، وَأَبَانَ، وَغَيْرِ، وَاحِدٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا شِغَارَ فِي الْإِسْلَامِ[2].

وعن عَبْدِ الرَّزَّاقِ، قَالَ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ وَلَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ[3].

وعن عَبْدِ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ[4].

وعن عَبْدِ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ الْأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَبِيرٍ أَحْمَدُ عَلَيْهِ نَفْسِي إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ[5].

وعن حَجَّاج، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ فَعَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ قَالَ فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ فَقَالَ الرَّجُلُ يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَجَبْتُكَ فَقَالَ الرَّجُلُ إِنِّي يَا مُحَمَّدُ سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ فَقَالَ سَلْ مَا بَدَا لَكَ فَقَالَ الرَّجُلُ نَشَدْتُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى

---

(1) رواه الترمذي في كتاب الصوم.

(2) رواه مسلم في كتاب النكاح.

(3) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة وقال حديث حسن غريب.

(4) رواه البخاري في كتاب الأدب.

(5) رواه البخاري في كتاب المناقب.

النَّاس كُلِّهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنْ السَّنَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنْشُدُكَ اللَّهَ آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتُقَسِّمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ الرَّجُلُ آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي قَالَ وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ[1].

وعن حجَّاج، حدَّثني شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي صَدَقَةَ، مَوْلَى أَنَس وَأَثْنَى عَلَيْهِ شُعْبَةُ خَيْرًا قَالَ سَأَلْتُ أَنَسًا عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الظُّهْرَ إِذَا زَالَتْ الشَّمْسُ وَالْعَصْرَ بَيْنَ صَلَاتَيْكُمْ هَاتَيْنِ وَالْمَغْرِبَ إِذَا غَرَبَتْ الشَّمْسُ وَالْعِشَاءَ إِذَا غَابَ الشَّفَقُ وَالصُّبْحَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ إِلَى أَنْ يَنْفَسِحَ الْبَصَرُ[2].

2. عمران بن حصين : أبو نجيد الخزاعي[3]

حياته :

أسلم عام سبع، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم. كان رجلاً صالحاً مجاب الدعوة، من ألباء الصحابة وفضلائهم. توفي سنة 52هـ هو وأبو بكرة الثقفي وكعب بن عجرة ومعاوية بن خديج وهم من الذين اعتزلوا صفين.

بعثه عمر بن الخطاب إلى أهل البصرة ليفقههم في الدين، وولي القضاء فيها. وممن حدث عنه الحسن البصري الذي كان يحلف بالله ما قدم البصرة خير لهم من عمران. وممن روى عنه ابن سيرين وأبو رجاء العطاردي والشعبي ومطرف بن عبد الله بن الشخير.

باقي أشهر شيوخ مدرسة البصرة

1. أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي (تـ 73هـ)، صاحب ابن عباس الذي قال عنه : تسألوني عن شيء وفيكم جابر بن زيد، وأن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر ابن زيد لأوسعهم علما عما في كتاب الله، ولقيه ابن عمر في الطواف، فقال له إنك يا جابر من فقهاء البصرة، وإنك تستفتى فلا تُفتين إلا بقرآن ناطق وسنة ماضية، فإن لم

---

(1) رواه البخاري في كتاب العلم.

(2) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(3) انظر ترجمته في أسد الغابة، ج 3، ص 728.

تفعل هلكت وأهلكت. وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحدا أعلم بالفتيا من جابر بن زيد. وقال قتادة لما دفن أبو الشعثاء إنه دفن علم الأرض[1].

2. **أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي (تـ 107هـ)**، وهو ممن روى عن أنس بن مالك، وسمرة بن جندب، وأرسل عن حذيفة وعائشة، وطُلب للقضاء فتغيّب ونزل الشام ومات بها وأوصى بكتبه لأيوب السختياني[2].

3. **أبو رجاء العطاردي عمران بن تميم بن ملحان البصري (تـ 107هـ)**، أسلم زمن الفتح ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه رحل وسمع من عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري، وأخذ القرآن عن أبي موسى الأشعري وعرضه على ابن عباس[3].

4. **الحسن البصري بن أبي الحسن يسار، (تـ 110هـ)**، هو الذي يصفه المؤرخون بأنه شيخ الإسلام، نشأ في المدينة ورضع لبان الفصاحة من ثدي أم سلمة، وتلقى أصول العلم عن ابن عمر وابن عباس، وحفظ القرآن في عهد عثمان. وانتقل إلى البصرة وشارك في الجهاد وفي الدعوة؛ فكان خطيبا مفوها ومعلما بارزا. انتظمت على يده مدرسة البصرة، بأقطابها البارزين الذين قال عنهم سفيان بن عيينة: دخلت البصرة فلم أر فيها مثل أربعة : أيوب السختياني وعبد الله بن عون ويونس بن عبيد وسليمان التيمي.

لقد كان حافظا ثقة مأمونا، ويقول ابن سعد إن ما أرسله ليس بحجة، ويعلق الذهبي على ذلك قائلاً : إنه مدلس لا يحتج عمن لم يدركه وقد يدلس عمن لقيه فيسقط الراوي بينهما، ولكنه مع ذلك من بحور العلم، فقيه النفس كثير الشأن، عديم النظير، أنه أفرد له كتابا خاصا سماه "الزخرف القصري".

وقد اشتهرت قراءته التي روها عنه. وهي من القراءات الأربعة عشرة. وقد توفي سنة مائة وعشر وله ثمان وثمانون سنة[4].

5. **محمد بن سيرين (تـ 110هـ)**، توفي بعد الحسن البصري بمائة يوم، وكان عمره نيفاً وثمانين سنة). اشتهر عند العامة بتفسير الأحلام، لكن شهرته بالعلم والورع

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 72.

(2) المصدر نفسه، ص 94.

(3) انظر ترجمته في أسد الغابة لابن الأثير، ج 3، ص 776.

(4) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 71.

أقوى. فقد كان مولى أنس بن مالك وحامل علمه، وأمه مولاة لأبي بكر الصديق. أخذ العلم عن ابن عمر وابن عباس، وسمع من أبي هريرة وعمران بن حصين. وروى عنه أيوب وابن عون وقرة بن خالد. ويقول ابن عون : لم تر عيناي مثل ابن سيرين والقاسم ورجاء بن حيوة. ويقول أبو عوانة : رأيت ابن سيرين فما رآه أحد إلا ذكر الله[1].

6. **أيوب السختياني (131هـ)**، أحد أعلام الحفاظ في البصرة، اشتهر بالزهد والتقوى، والابتعاد عن الرياء، فكان يقيم الليل كله، وإذا دنى الصبح رفع صوته بالقرآن ليخفي ابتداء قيامه. وروي أنه حج أربعين مرة، وكانت له كرامات مشهورة منها أنه في أحد أسفاره، أصيب هو ورفقاؤه بعطش شديد، ثم قال لهم أتخافون عليّ، ثم ضرب الأرض برجله فانفجر الماء حتى شربوا جميعاً. ويقول عنه شعبة أنه سيد العلماء، ويقول ابن عيينة إنه لم يلق مثله، ويقول حماد بن زيد إنه أفضل من جالسه وأشده اتباعاً للسنة، ويقول الحسن أنه سيد شباب أهل البصرة. وقال هشام بن عروة إنه لم ير بالبصرة مثل أيوب. سمع من عمرو بن أبي سلمة الجرمي، وأبي العالية الرياحي، وسعيد بن جبير. وعنه راجية بن الحجاج ومعمر بن راشد والسفيانيان والحمادان ومعمر بن سليمان[2].

7. **قتادة بن دعامة، أبو الخطاب السدوسي (118هـ)** البصري الضرير. قال عنه أحمد بن حنبل : قتادة عالم بالتفسير واختلاف العلماء وأنه أحفظ أهل البصرة لا يسمع شيئاً إلا حفظه، قرأت عليه صحيفة جابر مرة فحفظها. وقال سعيد بن المسيب : ما أتانا عراقي أحفظ من قتادة. ويقول معمر إنه مكث مع ابن المسيب ثمانية أيام فقال في اليوم الثالث ارتحل يا أعمى فقد أنزفتني. وقال شعبة قصصت على قتادة سبعين حديثاً كلها يقول فيها سمعت أنس بن مالك إلا أربعة. وقال سفيان الثوري : أوَ كان في الدنيا مثل قتادة. ويقول قتادة عن نفسه : ما قلت لمحدث قط أعد علي، وما سمعت أذناي شيئاً إلا وعاه قلبي، وما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً، وما أفتيت في شيء من رأي منذ عشرين سنة.

ومع حفظه وعلمه بالحديث فقد كان رأساً في العربية وأيام العرب والأنساب. وقد روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب ومعاذة وأبي الطفيل. وعنه مسعر بن كدام وابن أبي عروبة، وشعبة ومعمر وأبو عوانة وحماد بن سلمة.

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 77.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 130.

ويقال إنه ممن عُرف بالتدليس، فقيل إنه لم يسمع من ابن جبير ولا من مجاهد ولا من أبي العالية. كما أنه كان يرمى بالقول بالقدر، لكن ذلك لم يمنع الأئمة من الرواية عنه وتوثيقه فيما روى إذا ما صرح بالسماع[1].

8. **يونس بن عبيد (تـ 139هـ)** : إنه الحافظ الحجة أبو عبد الله العبدي مولاهم، إمام أهل البصرة. كان من الأعلام الحفظة الذين لم يكتبوا شيئا قط. وقد قال عنه سعيد بن عامر : ما رأيت رجلا قط أفضل منه، ويقول حماد بن زيد لما مرض يونس بن عبيد، قال أيوب السختياني : ما في العيش بعدك خير. لقد رآه أنسا وحدث عن الحسن وابن سيرين وحميد بن هلال وإبراهيم النخعي ونافع العمري. وعنه أقطاب البصرة مثل شعبة والحمادين وسفيان الثوري وهشيم وابن علية. وروى له الذهبي في "التذكرة" حديثاً جيّد الإسناد، قال إنه ليس في الكتب الستة، وهو عن الحسن عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يسترعي الله عبدا رعية فيموت وهو غاش إلا حرم الله عليه الجنة[2].

9. **سليمان التيمي :** نعته الذهبي بشيخ الإسلام، والحافظ الإمام، أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي، (تـ 187هـ) عابد البصرة وعالمها. اشتهر بعلم السير. يقول عنه شعبة : ما رأيت أحدا أصدق منه، كان صواما. قال ابنه إنه مكث أربعين سنة يصوم يوما ويفطر يوما ويصلي الصبح بوضوء العشاء، ويسبح في سجوده سبعين مرة ويسبح من العصر إلى المغرب. غاية في الورع حتى قيل إنه لا يعرف كيف يعصي الله، شديد الكراهية لمخالطة أهل البدع والأهواء، حتى أنه يستحلف من يريد حديثه، فإذا كان قدريا امتنع من تحديثه، وقيل إنه بكى مرة مخافة أن يحاسب على تسلميه على أحد القدريين. وقال عنه يحيى بن سعيد القطان : ما رأيت أخوف لله منه، وقال : لم ير سليمان التيمي ساعة إلا تصدق بشيء أو صلى ركعتين. سمع أنس بن مالك وأبا عثمان النهدي والحسن. وعنه شعبة وابن المبارك ويزيد بن هارون[3].

10. **عبد الله بن عون :** إنه شيخ أهل البصرة، عبد الله بن عون بن أرطبان المزني، مولاهم (تـ 151هـ). قال هشام بن حسان : لم تر عيناي مثله. ويقول ابن المبارك : ما رأيت أحدا أفضل منه. وقال شعبة : شك ابن عون خير من يقين غيره. وقال

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 122.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 145.

(3) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 150.

الأوزاعي : إذا مات ابن عون وسفيان استوى الناس، وقال ابن معين : إنه ثقة في كل شيء. وقال قرة : كنا نعجب من ورع ابن سيرين فأنساناه ابن عون. وقال ابن مهدي : ما كان بالعراق أعلم من ابن عون. حدّث عن سعيد بن جبير وأبي وائل وإبراهيم النخعي والشعبي وعطاء والقاسم بن محمد، وروى عنه حماد بن زيد وإسماعيل بن علية ويزيد بن هارون ومسلم بن هارون[1].

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 156.

الفصل الثالث : مدرسة الشام ومصر

1. مدرسة الشام

لقد سكن الشام من الصحابة : أبو عبيدة بن الجراح، وعبادة بن الصامت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وشرحبيل بن حسنة، وعياض بن غنم، والفضل بن عباس، ومعاوية بن أبي سفيان، وواثلة بن الأسقع، وبشر بن أبي أرطاة، والمقداد بن معدي كرب، وأبو هند الداري، وسلمة بن نميل، وغطيف بن الحرث، وعطية بن عمر السعدي، وفروة بن عمرو الجذامي.

مشايخها :

1. معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري (تـ 18)[1]

حياته :

كان معاذ ممن شهد العقبة، وشهد بدراً وجميع المشاهد مع رسول اللهﷺ. قيل إنه أعلم الصحابة بالحلال والحرام، وأنه يأتي أمام العلماء برتوة، فكان عمر بن الخطاب يستشهد بهذا الحديث تمنيا لاستخلافه على الأمة من بعده. ويقول : من كان يريد الفقه فليأت معاذا. لقد كان رجلاً كريماً جميلاً طوالاً، برّاق الثنايا، حلو المنطق، يشبهه الصحابة بإبراهيم الخليل. صحب النبيﷺ وربما أردفه وبشره بأن من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة. ويعيّنه النبيﷺ قاضياً في اليمن واستفسره بما سيقضي، ورضي النبيﷺ عن حكمه بالكتاب والسنة وعن اجتهاده فيما ليس فيه نص منهما. وشق عليه ذهابه، فبكى معاذ لفراق حبيبه ونبيه، ثم عاد وتابع جهاده في سبيل الله، وكان ممن أسس مدرسة الشام، حيث تنتظم حوله حلقات طلبة العلم، مع حضور غزاة الصحابة، ويعودون إلى رأيه في كل ما اشتبه عليهم من الأحكام. فروى عنه علماء الصحابة مثل أنس بن مالك وأبي الطفيل وأسلم مولى عمر، وكبار التابعين مثل أبي وائل وقيس بن أبي حازم، وأخذ عنه علماء الشام: أبو مسلم الخولاني وعبد الرحمن بن

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 19.

غنم. وتوفى معاذ بن جبل في طاعون عمواس بالأردن سنة ثمان عشرة للهجرة وعمره خمس وثلاثون سنة.

نماذج من أحاديثه :

منها أنه لما رجع من اليمن وقال للنبي صلى الله عليه وسلم إنه رأى رجالا يسجد بعضهم لبعض فاستأذنه للسجود له فرد عليه قائلا : «لو كنت آمرا بشرا أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[1].

ومنها قولهﷺ : يا معاذ «اتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[2].

ومنها ما رواه الإمام مالك في موطئه وهو من بلاغاته التي لم يصلها ابن عبد البر، وهو قوله «أن حسّن خلقك للناس». وله أحاديث في جمع الصلوات ووجوب الوتر، وفي زكاة البقر وزكاة الثمار ، ومنها ما ورد في حق الله على العباد أن لا يشركوا به شيئا، وحقهم عليه أن يدخلهم الجنة، وأن محبته جل وعلا وجبت للمتحابين في الله، وعنه أنّ منْ كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة.

ومنها حديث شعبة عن أبي عون عن الحرث بن عمرو بن أبي أخي المغيرة بن شعبة عن ناس من أصحاب معاذ من أهل حمص عن معاذ أن رسول اللهﷺ حين بعثه إلى اليمن فقال : «كيف تصنع إن عرض لك قضاء ؟ قال : أقضي بما في كتاب الله ؛ قال فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول اللهﷺ؛ قال فإن لم يكن في سنة رسول اللهﷺ ؟ قال اجتهد رأي ولا آلو، فضرب رسول اللهﷺ صدري ثم قال الحمد لله الذي وفق رسول رسول اللهﷺ لما يرضي الله ولما يرضي رسول اللهﷺ»[3]. وهو الحديث الشهير الذي كان محل اعتماد وبحث واختلاف عند الفقهاء.

ومما روى عنه الحديث الذي كان مكحول يحدث به جبير بن نفير عن مالك بن يخامر عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح قسطنطينية خروج الدجال ثم ضرب على فخذه أو على منكبه وقال إن هذا لحق كما أنك قاعد»[4].

---

(1) رواه أحمد في مسند الأنصار.

(2) رواه أحمد في مسند الأنصار.

(3) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية.

(4) رواه أبو داود في سننه كتاب الملاحم.

ومن أحاديث عبد الرحمن بن عياش الحضرمي أن معاذ بن جبل قال : احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرص الشمس فخرج رسول الله ﷺ سريعاً فثوّب بالصلاة وصلى وتجوز في صلاته فلما سمع قال : «كما أنتم على مصافكم» ثم أقبل إلينا، فقال : «إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى إذا استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال : يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري يا ربي، قال : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت : لا أدري يا ربي. قال : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري يا ربي. فرأيته وضع كفه بين كتفيّ حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت، فقال : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : في الكفارات، قال : وما الكفارات ؟ قلت : نقل الأقدام إلى الجمعات وجلوس في المساجد بعد الصلاة وإسباغ الوضوء عند الكريهات. قال وما الدرجات ؟ قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام. قال : سل ؛ قلت : اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة قوم فتوفني إليك غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك، قال رسول الله ﷺ فادرسوها وتعلموها»[1].

2. أبو الدرداء (ت 31)[2]

حياته :

ومن بني الحارث بن الخزرج عويمر بن زيد المعروف بأبي الدرداء، سبق إسلامه وإن كان من آخر قومه إسلاما. ولما رأى ابن خالته عبد الله بن رواحة أنه لم يبادر إلى الإسلام والتخلي على الأصنام. وافاه وكسر أصنامه وصار يخاطبه بقوله :

تبرأ من أسماء الشياطين كلها ألا كل ما يدعى مع الله باطل

فأسلم أبو الدرداء وحسن إسلامه، ولعله لم يرض عن تأخره في الركب فأراد أن يجد السير في دينه الجديد فانقطع عن تجارته، وتخلى عن كل ما كان يشغله من متاع الحياة وانقطع للعبادة.

وكان صديقه وأخوه سلمان الفارسي ينصحه في إعراضه عن الدنيا بقوله : إن لربك عليه حقا، ولنفسك عليك حقاً.

(1) رواه الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن، وقال حديث حسن صحيح.

(2) انظر ترجمته في أسد الغابة، قسم الكنى، ص 97.

وكان أبو الدرداء من الذين يحدثون عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويتحرج من أن لا ينطق باللفظ الذي صدر عن النبي عليه الصلاة والسلام، فكان يقول إذا حدث بالحديث : «إن لم يكن هكذا فشبهه».

ولعله كان مؤذنا لأهل الشام ثم انتقل إلى القضاء، فقد روى عنه قوله لما عُيّن قاضيا في دمشق : «إن القاضي على مهواة مزلتها أبعد من عَدَن أَبْيَن، ولو علم الناس ما في القضاء لابتعدوا عنه، ولو علموا ما في الآذان لرغبوا فيه».

وأبو الدرداء كان أيضا كما ذكرنا من أهل العبادة وأهل الزهد. فلقد كان يقول : تفكر ساعة خير من قيام ليلة، ويقول : أحِبُّ الفقر تواضعا لربي، وأحب الموت اشتياقا إلى ربي، وأحب المرض تكفيرا لخطيئتي.

غير أن العبادة المتواصلة والتفكير والاعتبار، كل هذا لم يمنع أبا الدرداء من أن يكون من فرسان الجهاد. فقد روى ابن سعد أنه أثار إعجاب رسول الله ﷺ يوم قال : نعم الفارس عويمر غير آفة (أي غير ثقيل). وقد ظل أبو الدرداء خفيفا إلى الجهاد، ثقيلا على أعداء الإسلام، وشارك في فتوح الشام تحت إمرة يزيد بن أبي سفيان، ثم استوطن دمشق وصار فيها قاضيا بين المسلمين حتى توفي سنة إحدى وثلاثين.

نماذج من أحاديثه :

لقد أوثرت عن أبي الدرداء مجموعة من الأحاديث جلها عن أم الدرداء أو عن إبنه بلال. وممن روى عنه أيضا سعدان بن أبي طلحة، وأبو بحرية وجبير بن نفير. وبعض هذه الأحاديث في فضائل الذكر، والتسبيح والحمد مائة مرة كل يوم، وثلاثا وثلاثين دبر كل صلاة مع الحمد والتكبير.

وفضائل سورة الإخلاص وإنها تعدل ثلث القرآن، وإن أول سورة الكهف عصمة من الدجال. ومنها أدعية مأثورة كما روى عنه صلى الله عليه وسلم قوله : «اللهم اعط منفقا خلفا، واعط ممسكا تلفا»[1]، وأن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ومنها الحث على نصرة الضعيف، وقوله عليه الصلاة والسلام : «أبغوني في ضعفائكم فإنكم إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم»[2].

(1) رواه أحمد في مسند الأنصار.

(2) رواه الترمذي في كتاب الجهاد، وقال حديث حسن صحيح.

ومنها عن محمود بن خداش البغدادي قال حدثنا محمد بن يزيد الواسطي حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا أخي فقال حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول اللهﷺ قال أما جئت لحاجة قال لا قال أما قدمت لتجارة قال لا قال ما جئت إلا في طلب هذا الحديث قال فإني سمعت رسول اللهﷺ يقول: «من سلك طريقا يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر». قال أبو عيسى ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة وليس هو عندي بمتصل هكذا حدثنا محمود بن خداش هذا الحديث وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبيﷺ وهذا أصح من حديث محمود بن خداش ورأي محمد بن إسمعيل هذا أصح[1].

ومن طرائف ما روي عنه أن النبيﷺ قال: حبك الشيء يعمي ويُصِم، وأن فسطاط المسلمين يوم الملحمة الغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق، وأنهﷺ قال: «بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به فأتبعته بصري فعُمِدَ به إلى الشام. ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام»[2].

3. معاوية بن أبي سفيان[3]

روى له الإمام أحمد مائة وثمانين حديثاً، كثُر فيها التكرار. ومن أصولها ما رواه في الأذان، وقول سامعه: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عند قول المؤذن: «حي على الصلاة، وحي على الفلاح»[4]، وأن المؤذنين أطول الناس أعناقاً يوم القيامة، ومنها ما ورد في صوم عاشوراء. ومنها النهي عن وصل الشعر، وعن لبس الحرير، والذهب إلا مقطعاً، والنهي عن شرب الخمر والأمر بقتل من أعاد شربها أربع مرات. والنهي عن

---

(1) رواه الترمذي في سننه كتاب العلم.

(2) رواه أحمد في مسند الأنصار.

(3) انظر ترجمته في الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة، لأبي بكر العامري اليمني، ص 254، منشورات مكتبة المعارف، بيروت.

(4) رواه النسائي في كتاب الأذان.

الجمع بين الحج والعمرة، وخولف في هذه الأخيرة. ومنها أنه أخذ من أطراف شعر النبي صلى الله عليه وسلم بمشقص وهو محرم، وقد خولف أيضاً فيها.

ومن أحاديثه المتكررة قول النبيﷺ : «إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين...»[1]. وفضل الشاكرين، والنهي عن التمادح، وأن هذا المال حلو خضر من يأخذه بحقه يبارك له فيه. وقوله إنه سمع من رسول اللهﷺ دعاء : «اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك إلا الجد»[2].

ومن الأحاديث التي رواها أن الهجرة لا تنقطع، وأن من أحب الأنصار أحبّه الله عز وجل، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله.

ومنها أنه سمع النبيﷺ يقول : «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم ظافرون على الناس»[3]. ولما روى هذا الحديث قام مالك بن يخامر السكسكي فقال : يا أمير المؤمنين سمعت معاذ بن جبل يقول : وهم أهل الشام، فقال معاوية ورفع صوته : هذا مالك يزعم أنه سمع معاذا يقول : وهم أهل الشام.

وقد أنكر على عبد الله بن عمرو بن العاص في حديثه أنه سيملك رجل من قحطان العرب. وقال : إنه بلغني أن رجالا منكم يحدثون أحاديث ليست في كتاب الله، ولا تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك جهالكم، فإياكم والأماني التي تضل الناس فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن هذا الأمر في قريش لا ينازعهم أحد إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين»[4].

باقي أشهر شيوخ مدرسة الشام

1. أبو مسلم الخولالي (تـ 62هـ)، روى عن عمر ومعاذ وأبي عبيدة. وعنه أبو إدريس الخولاني، وأبو العالية الرياحي، وجبير بن نفير[5].

---

(1) رواه البخاري في كتاب العلم.

(2) رواه البخاري في كتاب الأذان.

(3) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة.

(4) رواه البخاري في كتاب المناقب.

(5) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج 1، ص 49.

2. **عبد الرحمن بن غنم الأشعري (تـ 78هـ)**، فقيه الشام وشيخ فلسطين، روى عن عمرو ومعاذ. بعثه عمر ليفقه الناس ، وهو الذي تفقه عليه التابعون في الشام، أخذ عنه أبو سلام ممطور ورجاء بن حيوة ومكحول[1].

3. **كثير بن مرة الحضرمي الحمصي**، عالم أهل حمص، أدرك سبعين بدريا، وحدث عن معاذ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت. وعنه خالد بن معدان ومكحول وسليم بن عامر وعبد الرحمن بن جبير[2].

4. **جبير بن نفير الحمصي الحضرمي**، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، حدّث عن أبي بكر وعمر وأبي ذر وأبي الدرداء، وعنه عبد الرحمن بن جبير وخالد بن معدان وسليم بن عامر ومكحول[3].

5. **أبو إدريس الخولاني (تـ 80هـ)**، عائذ الله بن عبد الله الدمشقي، أخذ عن عطاء وأبي ذر وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وعوف بن مالك وأبي هريرة. كان واعظ أهل دمشق وقاضيهم. قال الزهري: إنه عالم أهل الشام بعد أبي الدرداء. أخذ عنه الزهري ومكحول وربيعة القصير ويحيى بن يحيى الغساني ويونس بن ميسرة[4].

6. **قبيصة بن ذؤيب (تـ 86هـ)**، كان على خاتم عبد الملك، حدّث عن الشيخين وعن أبي الدرداء. قال مكحول: ما رأيت أعلم منه والشعبي، وكان أعلم الناس بقضاء زيد بن ثابت[5].

7. **خالد بن معدان (تـ 104هـ)**، أبو عبد الله الكلاعي الحمصي، عالم أهل زمانه، سمع ثوبان ومعاوية وأبا أمامة والمقدام بن معدي كرب وجبير بن نفير وكثير بن مرة، وأرسل عن معاذ. حدث عنه يحيى بن سعيد وثور بن يزيد وجرير بن عثمان وصفوان بن عمرو وعبدة ابنته. يقول إنه لقي سبعين صحابياً. وكان علمه في صحائف لها أزرار، وكان عابداً زاهداً إذا كثرت حلقته انصرف، وهو من الأثبات، إلا أنه كان يدلس ويرسل[6].

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج 1، ص 51.

(2) المصدر نفسه، ص 51.

(3) المصدر نفسه، ص 52.

(4) المصدر نفسه، ص 56.

(5) المصدر نفسه، ص 60.

(6) المصدر نفسه، ص 93.

8. مكحول : أبو عبد الله بن أبي مسلم الهذلي : أصله من كابل وهو من أولاد كسرى. سكن دمشق، قيل إنه كان يدلس روى عن أبي بن كعب، وعبادة بن الصامت وعائشة. وروى عن أبي أمامة الباهلي وواثلة وأنس ومحمود بن الربيع وعبد الرحمن بن غنم وأبي إدريس الخولاني وأبي سلام وممطور. وعنه أيوب وموسى والعلاء بن الحرث وحجاج بن أرطاه والأوزاعي[1].

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج 1، ص 107.

2. مدرسة مصر

مراجعها :

1. عبد الله بن عمرو بن العاص (تـ 55)[1]

حياتـه :

يقول جلال الدين السيوطي إن ثلاثمائة صحابي دخلوا مصر، غير أن أشهرهم ممن روي عنه الحديث هو عبد الله بن عمرو بن العاص الذي نعتبره أهم مراجع الحديث في مصر. ويقول الذهبي أن النبيﷺ كان يفضله على والده. وكان عابداً، حافظاً، اعترف له أبو هريرة بأنه أكثر من الراوية لأنه كان يكتب الحديث.

كان يتأثم من المشاركة في المشاجرة ولم يقعد برورا بوالده، فحضر صفين ولم يسل سيفا. دخل مصر وحمل أهلها عنه العلم الكثير، ونظر في جملة من كتب أهل الكتاب، وأدمن النظر فيها وروى العجائب.

حدث عنه ابن المسيّب وعكرمة وابن أبي مليكة، واشتهرت رواية حفيده عمرو بن شعيب. توفى بالفسطاط سنة خمس وخمسين أيام الحصار بين مروان بن الحكم وابن الزبير.

اشتهر بالعبادة والزهد وأراد أن يحيى حياة رهبانية، فشكاه أبوه إلى النبيﷺ، فقال له : «إني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

نماذج من مروياته :

وقد روى عنه ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب حديث : «من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوّ مقعده من النار»[2]. وروى عنه أبو كبشة السلولي : بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[3].

---

(1) انظر ترجمته في أسد الغابة، الجزء 3، ص 245.

(2) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب المقدمة.

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء.

وعن أبي قابوس حديث : «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء، والرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصلته، ومن قطعها بتته»[1].

وروى عبد الرحمن بن زرب الكعبة، قال : «سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث : وذكر ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر. فقال : أدخلت رأسي بين الناس، فقلت أنشدك الله آنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار بيده إلى أذنه فقال سمعته أذناي ووعاه قلبي، قال : فقلت : هذا ابن عمك يعني معاوية، يأمرنا بأكل أموالنا بيننا بالباطل وأن نقتل أنفسنا وقد قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين ءامنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾، قال : فجمع يديه على جبهته ثم نكس هنيهة، ثم رفع رأسه فقال : أطعه في طاعة الله وأعصه في معصية الله عز وجل»[2].

وروى عبد الله بن الحرث قال : إني لأسير مع معاوية في منصرفه من صفين بينه وبين عمرو بن العاص : فقال عبد الله بن عمرو بن العاص : يا أبت أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار : «ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية»، قال : فقال عمرو لمعاوية : أما تسمع ما يقول هذا، فقال معاوية : لا تزال تأتينا بهنة، أنحن قتلناه إنما قتله الذي جاء به»[3].

وعن حنظلة بن خويلد العنبري قال : بينما أنا عند معاوية إذ جاء رجلان يختصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منهما أنا قتلته. فقال عبد الله بن عمرو : ليطب به أحدكما نفسا لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «تقتله الفئة الباغية»، قال معاوية : ما بالك معنا، قال : إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال لي : «أطع أباك ما دام حيا ولا تعصه، فأنا معكم ولست أقاتل»[4].

وروى يوسف بن ماهك أنه قال : كنت أكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا : إنك تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الرضا

(1) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

والغضب فأمسكت عن الكتابة، وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «أكتب والذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق»[1].

وأحاديثه كثيرة في الأحكام والفتن وأشراط الساعة ومصير العباد. وقيل إن حديثه في صحيفة تُسمّى الصادقة.

وممن أكثر في الرواية عنه عبد الرحمن الجبلي. ومن الروايات المشهورة عنه ما يحدث به عمرو بن شعيب. وقد اختلف في وصل هذا السند. فقيل إن شعيب لم يرو عن عبد الله، غير أن الإمام أحمد ذكر له حديثا عن ثابت عن شعيب عن والده وهو : «أنه ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل متكئا قط ولا يطأ عقبيه رجلان»[2].

وروى عِيسَى بْن طَلْحَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاص، قَالَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفًا عَلَى رَاحِلَتِهِ بِمِنًى فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُرَى أَنَّ الْحَلْقَ قَبْلَ الذَّبْحِ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ قَالَ اذْبَحْ وَلَا حَرَجَ ثُمَّ جَاءَهُ آخَرُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُرَى أَنَّ الذَّبْحَ قَبْلَ الرَّمْيِ فَذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ فَقَالَ ارْمِ وَلَا حَرَجَ قَالَ فَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قَدَّمَهُ رَجُلٌ قَبْلَ شَيْءٍ إِلَّا قَالَ افْعَلْ وَلَا حَرَجَ»[3].

وروى مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ زَوَّجَنِي أَبِي امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيَّ جَعَلْتُ لَا أَنْحَاشُ لَهَا مِمَّا بِي مِنْ الْقُوَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ مِنْ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ فَجَاءَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى كَنَّتِهِ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهَا كَيْفَ وَجَدْتِ بَعْلَكِ قَالَتْ خَيْرَ الرِّجَالِ أَوْ كَخَيْرِ الْبُعُولَةِ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا وَلَمْ يَعْرِفْ لَنَا فِرَاشًا فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَعَذَمَنِي وَعَضَّنِي بِلِسَانِهِ فَقَالَ أَنْكَحْتُكَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ ذَاتَ حَسَبٍ فَعَضَلْتَهَا وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَكَانِي فَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ لِي أَتَصُومُ النَّهَارَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَمَسُّ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي قَالَ اقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ قُلْتُ إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشَرَةِ أَيَّامٍ قُلْتُ إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِمَّا حُصَيْنٌ وَإِمَّا مُغِيرَةُ قَالَ فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ قَالَ ثُمَّ قَالَ صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ قُلْتُ إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُنِي حَتَّى قَالَ صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الصِّيَامِ وَهُوَ صِيَامُ أَخِي دَاوُدَ قَالَ حُصَيْنٌ فِي حَدِيثِهِ ثُمَّ

---

(1) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(2) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأطعمة.

(3) رواه البخاري في كتاب العلم.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ لِكُلِّ عَابِدٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً فَإِمَّا إِلَى سُنَّةٍ وَإِمَّا إِلَى بِدْعَةٍ فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّة فَقَدْ اهْتَدَى وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ قَالَ مُجَاهِدٌ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو حَيْثُ ضَعُفَ وَكَبِرَ يَصُومُ الْأَيَّامَ كَذَلِكَ يَصِلُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ لِيَتَقَوَّى بِذَلِكَ ثُمَّ يُفْطِرُ بِعَدِّ تِلْكَ الْأَيَّامِ قَالَ وَكَانَ يَقْرَأُ فِي كُلِّ حِزْبِهِ كَذَلِكَ يَزِيدُ أَحْيَانًا وَيَنْقُصُ أَحْيَانًا غَيْرَ أَنَّهُ يُوفِي الْعَدَدَ إِمَّا فِي سَبْعٍ وَإِمَّا فِي ثَلَاثٍ قَالَ ثُمَّ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ لَأَنْ أَكُونَ قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ أَوْ عَدَلَ لَكِنِّي فَارَقْتُهُ عَلَى أَمْرٍ أَكْرَهُ أَنْ أُخَالِفَهُ إِلَى غَيْرِهِ»[1].

وروى الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنَابِرَ مِنْ لُؤْلُؤٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْ الرَّحْمَنِ بِمَا أَقْسَطُوا فِي الدُّنْيَا»[2].

وروى سُفْيَانُ، عَنْ دَاوُدَ يَعْنِي ابْنَ شَابُورَ، وَبَشِيرٍ أَبِي إِسْمَاعِيلَ، عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[3].

ابْنُ لَهِيعَةَ، حَدَّثَنَا حُيَيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو يَقُولُ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَظُلْمَنَا وَهَزْلَنَا وَجِدَّنَا وَعَمْدَنَا وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدَنَا»[4].

2. عقبة بن عامر الجهني (تـ 58هـ)[5]

كان فقيهاً قارئاً، بصيراً بالفرائض، شاعراً، كتب مصحفه بخطه. ولاه معاوية ولاية مصر ثم عزله. حدث عنه جبير بن نفير الشامي، وأبو عثمان حيي بن يؤمن، وقيل حيي بن هانئ المعافريان وبعجة بن عبد الله الجهني وسعيد المقبري.

وهو الذي رحل إليه أبو أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله ليتأكدا من متن حديث سمعاه معاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(1) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(2) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(3) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب.

(4) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(5) انظر ترجمته في أسد الغابة، الجزء 3، ص 551.

باقي أشهر شيوخ مدرسة مصر

1. مرثد بن عبد الله أبو الخير المصري (تـ 90هـ) مرثد بن عبد الله اليزني، مفتي أهل مصر. روى عن أبي أيوب الأنصاري، وعقبة بن عامر الجهني، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمرو بن العاص. وعنه عبد الرحمن بن شماسة وجعفر بن ربيعة ويزيد بن أبي حبيب[1].

2. عبيد الله بن جعفر أبو بكر الليثي المصري المغربي (تـ 106هـ)، الفقيه القدوة، سمع أبا سلمة بن عبد الرحمن والأعرج وحمزة بن عبد الله بن عمر وعطاء بن أبي رباح. كان عالما زاهدا. قال ابن سعد إنه كان ثقة في زمانه. ويقول سليمان بن أبي داوود: ما رأت عيني عالما زاهدا إلا عبيد الله بن أبي جعفر[2].

3. أبو رجاء الأزدي (53-128هـ)، مولاهم المصري الفقيه، يزيد بن أبي حبيب. أخذ عن عبد الله بن الحرث الزبيدي وأبي الطفيل وسعيد بن أبي هند وعراك بن مالك. حدث عنه سعيد بن أبي أيوب وحيوة بن شريح ويحيى بن أيوب ومحمد بن إسحق والليث بن سعد. وهو أول من أظهر العلم بمصر حيث تولى خطبة الإفتاء بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز. ويقول عنه الليث: يزيد عالمنا وسيدنا. وقد كان نوبيا أسود، ولد من أسرة شيعية، فردهم عثمانية. وروى عن أبي لهيعة، قال مرض يزيد فعاده الحوزة بن سهيل، أمير مصر، وقال: يا أبا رجاء ما تقول في الصلاة في الثوب وفيه دم البراغيث؟ فنظر إليه، وقال: تقتل كل يوم خلقا وتسألني عن دم البراغيث[3].

4. عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري (تـ 148هـ)، أبو أمية المصري الفقيه المقرئ، مولى قيس بن سعد بن عبادة. حدّث عن أبي يونس، مولى أبي هريرة. وعن عمرو بن دينار، ويزيد بن أبي حبيب. وعنه الليث بن سعد، والإمام مالك، وبكر بن مضر، وابن وهب الذي قال إنه ما رأى أحفظ منه. وإنه لو بقي لهم ما احتاجوا إلى مالك. وقال النسائي إنه أحفظ من ابن جريج. وكان ربيعة يقول في المغرب فقه ما دام فيهم ذلك القصير يعني عمرو بن الحارث. كان بصيرا باللغة والشعر والحساب[4].

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج 1، ص 73.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج 1، ص 136.

(3) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج 1، ص 129.

(4) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج 1، ص 183.

الباب الثاني

حركة التدوين

تمهيد

لقد تم انطلاق حركة التدوين في مستهل القرن الثاني الهجري بإملاء من الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، الذي كان أميرا في المدينة المنورة، وثيق الصلات بأئمتها المحدثين، وبدأ بتوجيه الأوامر إلى أبي بكر بن حزم الأنصاري، قائلاً له : «انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه، فإني أخاف دروس العلم وذهاب العلماء». ويذكر أنه طلب منه أيضا أن يكتب ما عند القاسم بن محمد، وعمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية التي كانت من حملة علم أم المؤمين عائشة، وهي خالة أبي بكر بن محمد الذي عُهد إليه بهذا الأمر.

ثم كان لمحمد بن شهاب الزهري وصالح بن كيسان دور بارز في هذه الإنطلاقة. وقد سبق أن رأينا الجهود التي قام بها علماء التابعين في الحواضر التي فتحت في العهد الراشدي، وكانت ثمرة هذه الأعمال تتمثل في أجزاء مستقلة وصحائف مكتوبة عند بعض أعلام حفاظ الحديث.

والملاحظ أن وفيات أغلب هؤلاء الأئمة من صغار التابعين وكبار أتباعهم كانت في النصف الأول من القرن الهجري، وفي حدود هذه الفترة ظهرت بوادر مدونات الحديث المكتوبة، ويقول ابن حجر في مقدمة كتاب "فتح الباري": «أعلم علمني الله وإياك أن آثار النبيﷺ لم تكن في عصر النبيﷺ، وعصر أصحابه وتابعيهم مدونة الجوامع، ولا مرتبة، لوجهين، **أحدهما** : أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نُهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم. **والثاني** : سعة حفظهم وسيلان أذهانهم، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة»[1].

ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لمّا انتشر العلماء بالأمصار وكثر الابتداع من الخوارج والروافض، ومنكري الأقدار؛ فأول من جمع ذلك الربيع ابن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة، وغيرهما، فكانوا يصنفون في كل باب على حدة، إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة في منتصف القرن الثاني، فدوّنوا الأحكام، فصنّف الإمام مالك "الموطأ" وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز، ومزجه بأقوال الصحابة والتابعين ومن

---

(1) هدي الساري، مقدمة فتح الباري لابن حجر، ص 6.

بعدهم. وصنّف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بمكة، وأبو عمرو عبد الرحمن الأوزاعي بالشام، وأبو عبد الله سفيان الثوري بالكوفة، وحماد بن سلمة بن دينار بالبصرة، وهشيم بواسط، ومعمر باليمن، وابن المبارك بخراسان، وجرير بن عبد الحميد بالري، وكان هؤلاء في عصر واحد، فلا يدرى أيهم سبق، ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم إلى أن رأى بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث النبيﷺ خاصة، وذلك على رأس المائتين، فصنّفوا المسانيد؛ فصنّف عبيد الله بن موسى العبسي مسندا، ثم صنف نعيم بن حماد الخزاعي، نزيل مصر، مسنداً، ثم اقتفى الأئمة أثرهم في ذلك؛ فقلَّ إمام من الحفاظ إلا وصنّف حديثه في المسانيد كالإمام أحمد بن حنبل، وإسحق بن راهويه، وعثمان بن أبي شيبة، وغيرهم. ومنهم من صنّف على الأبواب والمسانيد معا كأبي بكر بن شيبة».

كانت هذه المرحلة الأولى التي بقي منها موطأ مالك، الذي يمكن اعتباره أول مدونة في الحديث تم اعتمادها من طرف أئمة الحديث والفقه. وبموازاة موطإ الإمام مالك، ظهر مسند أبي حنيفة، وبعده مسند الإمام الشافعي، وكتابه في اختلاف الحديث.

غير أن طفرة التدوين لم تبرز إلا في النصف الأول من القرن الثاني الهجري عندما كُتبت الجوامع الصحاح، والسنن والمصنفات، والمسانيد. وفي فصول هذا الباب سنعمل على تقديم أهم هذه الأعمال الجليلة مع مراعاة الاختصار الذي تقتضيه الحدود المرسومة لهذا الكتاب.

وعملية التدوين هذه ذات أهمية قصوى لصيانة الدين الإسلامي، وحفظ الخطاب التشريعي المستمد من القرآن الكريم، ذلك أن النصوص القرآنية يستحيل فهمها على الحقيقة دون الرجوع إلى السنة التي تفسر مجملها، وتخصص عمومها، وتقيد مطلقها. وهذا ما صرح به النبي صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا القرآن بطاعته، والذي ترك لأمته أمرين لن يضلوا بعدهما، وهما : كتاب الله وسنة رسوله.

وإذا كان هذا التدوين يشمل الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث النبوية، فإن جهابذة علمائه ونقاده استطاعوا إنشاء علم فريد في منهجه، وصارم في ضبطه، وتصفية ما صح، وبيان ما ضعف، فجاءت مجمل أعمالهم تاريخاً محكماً يقول عنه مناظر الكيناني إنه ليس تاريخ المسلمين فحسب، بل إنه تاريخ كامل لعصر الانقلاب البشري العظيم، وقد قام بنقله في صورتة الأصلية، وبجميع صفاته، لا مئات الآلاف، بل الملايين من البشر، وصرفوا جهودهم في حفظه، واختاروا له كل أسباب التوفيق التي يمكن أن يفكر فيها العقل البشري، بل عملت عمله بعض العوامل الغيبية، مما لم يتيسر، ولن يتيسر لأي حادث تاريخي آخر.

الفصل الأول

الإمام مالك ودوره في تدوين السنة

1. مكانته وشيوخه

إننا لا نحتاج إلى بسط الحديث في ترجمة عالم المدينة الإمام مالك بن أنس، ذلك أن شخصيته الفذة، وظروف زمانه ومكانه تفسر لنا مكانته العالية ودوره في تدوين الحديث. ويكفينا أن نقتصر على عبارة أوردها الذهبي في "تذكرة الحفاظ"[1]، وفيها يقول: «اتفق لمالك مناقب ما عرفتها لغيره: **إحداها**: طول العمر وعلو الرواية. **ثانيها**: الذهن الثاقب والفهم وسعة العلم. **ثالثها**: اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية. **رابعها**: تجمعهم على تديُّنه وعدالته وإتباعه للسنن. **خامسها**: تقدمه في الفقه والفتوى وصحة روايته»، ولعل أحسن ما ينعت به قول الإمام الشافعي: «إذا ذكر العلماء فمالك النجم».

لقد عاش الإمام مالك في مستهل عصر تدوين العلوم الإسلامية وأخذ السنن عن نخبة من علماء المدينة المنورة، التي كانت مهبط الوحي التشريعي، ودار هجرة الرسولﷺ وأصحابه الأولين، ثم ظلت عاصمة الخلفاء الراشدين، ومركز القضاء والفتوى، ومقر جمهور حملة الحديث من الصحابة والتابعين، فصارت بحكم موقعها وتاريخها مَهْدَ السنة النبوية، والآثار التي يتناقلها الجمهور عن الجمهور، واعتبارا لهذه المميزات فإن الإمام مالكا اعتمد على أهل المدينة ولم ير لأحد الخروج على إجماعهم حسبما أورده في رسالته المشهورة التي بعث بها إلى الليث بن سعد[2]. ثم إنه كاد يقتصر على شيوخهم، فلم يرو في كتاب الموطإ عن غيرهم ما عدا ستة فقط وهم:

1. **محمد بن مسلم الأسدي المعروف بأبي الزبير المكي** المتوفى سنة 128هـ. وقد أخذ عن ابن عباس وجابر وابن عمر وابن الزبير وعائشة، وقد وثقه ابن المديني وابن معين وضعفه ابن عيينة[3].

---

(1) تذكرة الحفاظ، ترجمة الإمام مالك، ج 1، ص 207.

(2) راجع ترتيب المدارك، ج 1، ص 41.

(3) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 126.

2. أيوب بن أبي تميمة السختياني البصري، كان ثقة، رأى أنسا، وروى عن الحسن وسعيد بن جبير. توفي سنة 131هـ[1].

3. حميد بن أبي حميد (الطويل)، مولى الطلحات البصري المتوفى سنة 143هـ. وقد روى عن أنس والحسن وعكرمة، وثّقه ابن معين وأبو حاتم[2].

4. عطاء بن عبد الله بن أبي مسلم البلخي الخرساني، نزل الشام وروى عن الزهري، وسعيد بن المسيب، وثّقه ابن معين وأبو حاتم والدارقطني، وقال ابن حبان إنه كان رديء الحفظ كثير الوهم. توفى سنة 135هـ[3].

5. عبد الكريم بن مالك الجزري الحراني، مولى بني أمية، روى عن سعيد بن المسيب، وأبي ليلى وسعيد بن جبير وطاووس وعكرمة، كان ثقة كثير الحديث، توفي سنة 127هـ[4].

6. إبراهيم بن عبلة الدمشقي، روى عن ابن عمر وأنس وواثلة بن الأسقع، وثّقه ابن معين وابن المديني والنسائي، توفي سنة 152هـ[5].

أما مشاهير شيوخه المدنيين فمن أبرزهم :

1. محمد بن شهاب الزهري، الذي كتب عنه مالك مائتي ألف حديث، وقال : إنه ماله في الدنيا نظير؛ وهو الذي يقول عن نفسه إنه : ما استودع قلبه شيئا قط فنسيه. ويقول عنه صالح بن كيسان (وهو أيضا من شيوخ مالك) : إنهما بدآ في كتابة السنن واختلفا هل آثار الصحابة سنة، فقال صالح إنها ليست سنة ولم يكتبها، وكتبها الزهري، فوصل إلى ما وصل إليه. واعتبر مالك الزهري محدثا ذا مادة غزيرة، وعالما حجة في نقله وروايته. غير أنه لم يعتبره القدوة في كل آرائه الفقهية، ولذلك لم يحدث عنه إلا بنحو مائة وخمسين حديثا ولم يتابعه في جميع اجتهاداته الخاصة[6].

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 130.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 152.

(3) انظر ترجمته ومصادرها في الأعلام للزركلي، ج 4، ص 235.

(4) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 140.

(5) انظر ترجمته ومصادرها في الأعلام للزركلي، ج 1، ص 32.

(6) لقد خالف الإمام مالك الزهري في عدة مسائل : منها المسح في التيمم بالأيدي إلى المناكب، والوضوء مما مسته النار، وغسل باطن الأذنين في الوضوء، واعتبار الولي ليس ركنا في النكاح.

2. **يحيى بن سعيد الأنصاري**، وقد روى عنه نحوا من مائة حديث بطرق مختلفة، وتناولت مواضيع مختلفة، من أحكام وفضائل ودعوات، يظهر أن مالكا انتقاها اعتبارا لصحة نقلها لكنها لا تدل بسبب تنوعها على أنها أصول لمسائله المذهبية[1].

3. **أبو الزناد** : روى عنه زهاء خمسين حديثا كلها عن الأعرج عن أبي هريرة، جلها في قضايا أصول الدين، وفضائل الأعمال وبعض المتابعات في الأحكام. وكونه جعل أبا الزناد واسطة عن الأعرج تؤيد ما قد نعتقده أنه لم يأخذ عن عبد الرحمن ابن هرمز مباشرة[2].

فهؤلاء الثلاثة هم "الصيادلة" الكبار الذين أخذ منهم الإمام مالك معظم مادته من الحديث.

ولم يلبث الإمام مالك أن عرف أن مادته هذه تحتاج إلى تصفية، لمّا فيها من اختلاف واضطراب، حتى قال تلميذه ابن وهب: لقد أخذت عن ثلاثمائة شيخ، ولولا مالك والليث لضللت. ذلك أن الإمام مالكا تحاشى الرواية عن الصحابة الذين لم يتصل برواتهم، واستبعد كل ما شك في صحته، وتشدد في الرواية عمن لا يثق فيه. فلم يكثر الرواية عن بعض أئمة الصحابة مثل علي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود لأنه لم يلق رجالهم. وتوقف عن الأخذ عن رواتهم من أهل العراق، لأنه لاحظ أنهم لما يأتون إلى المدينة يأخذون عن غير الثقات[3]. وأحجم عن الرواية عن عشرات العلماء والزهاد في المدينة لأنهم ليسوا من أهل هذا الشأن. كل هذا كان من أدوات تصفية الحديث عنده، لكنها ليست إلا الخطوة الأولى في عملية الانتقاء.

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1 ، ص 137.

(2) لاشك أن الأعرج الذي يروي عنه الإمام مالك بوساطة أبي الزناد هو عبد الرحمن بن هرمز المتوفى سنة 117هـ في الإسكندرية. ولكن من هو ابن هرمز المعدود من شيوخ مالك مباشرة؟ والذي قيل إن مالكا انقطع إليه سبع سنين وجالسه ستة عشر سنة في علم لم يبثه للناس، وكان يتبادل النصح معه، فيقول القاضي عياض في المدارك (ج 1، ص 17) : إن إبن هرمز مر يوما بدار بعض أهل الأقدار، وهو واقف مع مولاة له، فقال يا هذا إنك على الطريق وهذا لا يحل. فقال له : هذه داري وهذي مولاتي، وقال لعبيده: طئوا بطنه. فوطئوه حتى حمل إلى منزله وعاده الناس وفيهم مالك، والناس يدعون ومالك ساكت، ثم تكلم وعاتب ابن هرمز، وخطأه في تعرضه لإهانة أهل الأقدار. فكل هذه الصلات بين مالك وابن هرمز تدل على أن المعني قد لا يكون الأعرج، وإنما الأصم أبو بكر عبد الله بن هرمز المتوفى سنة 148هـ المعدود في شيوخ مالك. ويراجع في هذا ما كتبه د. محمد الدرديري في تخريج أحاديث المدونة (ج 1، ص 121). وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 5، ص 445.

(3) لما قدم حماد بن زيد المدينة لم يأته أحد من أصحاب مالك، فراح حماد فشكا ذلك إليه، قال أنا أمرتهم بذلك، فقال ولم؟ يا أبا عبد الله لأنكم يا أهل العراق تكتبون في المدينة عمن لا شهادة له عندنا، فنتوهم أنكم تفعلون هكذا في بلادكم، فرجع حماد فأسقط عامة علمه (المدارك، ج 1، ص 173).

أما الخطوة الثانية، فإنها تمثلت في اختياره للشيوخ الذين بيّنوا له أحاديث السنة التطبيقية، نذكر من بين هؤلاء ثلاثة اعتمدهم في هذا الباب، وهم **نافع**، **وزيد بن أسلم**، **وعبد الله بن دينار**، والثلاثة من موالي ابن عمر. وأخذ منهم صنيع ابن عمر في التقيد بالسنة الأثرية، وامتثاله لأوامر النبي صلى الله عليه وسلم وتقليده لأفعاله[1].

فكانت أحاديثهم هي الأسس التي جعلها أدلة لكثير من أقواله، وكان إذا سمع الحديث من نافع مولى ابن عمر لا يبالي بما سمع من غيره، وإن كان من عادته أن يشفع بعض أحاديثه بما روى عن قرينه عبد الله بن دينار. أما أحاديث زيد بن أسلم فقال إنه يجعلها في آخر الباب لأنها كالسراج تضيء ما قبلها.

ثم أخذ الإمام مالك منهجه في وضع القواعد لاستثمار الحديث، من مجموعة ثالثة من شيوخه من "أطباء الفقه" وهم :

1. ربيعة بن أبي عبد الرحمن، المعروف بربيعة الرأي[2]، الذي كان أول أساتذته في الفقه، وروى أن أمه أمرته أن يتعلم من أدبه قبل علمه، فكان يجلس إليه مع أربعين مُعْتَمًا، ولما رأى ربيعة فيه علامات النبوغ قربه إليه مع ثلاثة من زملائه وهؤلاء هم : كثير بن فرقد الذي عاجلته المنية، وعبد العزيز بن الماجشون الذي اشتغل بالأغاليط، وعبد الرحمن بن عطاء الذي غرب نفسه، فلم يبق مع ربيعة إلا مالك، وما مالك؟ مالك خير من ذلك. وإذا كان مالك لم يرو عن ربيعة إلا أحاديث معدودة، فإنه قد تأثر تأثرا بالغا بمنهجه في تقرير عمل المدينة، وهذا هو الرأي الذي دافع عنه مالك دفاعا قويا، وقاوم كل من عارضه، وبيّن أن السنة هو ما عليه علماء المدينة، لتواتر نقلهم فيما شأنه التوقيف، واستقامة اجتهادهم في تفسير الآثار، وصحة تميزهم للأخبار التي صاحبها العمل، والأخبار التي لم يصاحبها. لقد كان ربيعة الرأي صاحب هذا الرأي.

وإذا كان الإمام مالك فارق حلقة ربيعة، وهو في ريعان شبابه، واتخذ لنفسه حلقة خاصة، انتقل إليها كثير من طلاب ربيعة، فإن مالكا لم ينس شيخه الذي قال عنه بعد وفاته : ذهبت حلاوة العلم بعد ربيعة.

---

(1) أخذ الإمام مالك من هذا المنهج فكرة اعتبار المصالح التي اشتهر بها، ومن أبرز مظاهرها جوابه لعبد العزيز الذي خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن النفس الزكية، لما سأله لمَ لمْ يناصره، فقال له إن عمر بن عبد العزيز لم يخلع بيعة يزيد بن عبد الملك مخافة الفتنة. ولعل مالكا يتذكر أن ابن عمر حج مع الحجاج.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 157.

ومن هذه المجموعة التي أسهمت في تأسيس المنهج المالكي، نذكر :

2. **محمد بن أبي بكر بن حزم الأنصاري** الذي كان قاضيا في المدينة، وكان أخوه عبد الله محدثا. وقال مالك إنه صاحب صدق وحديث، وكان يعاتب أخاه محمدا عندما يحكم في أمر بخلاف الحديث بقوله : لمَ لمْ تحكم بما في الحديث ؟ فيجيبه محمد قائلاً : أين الناس منه ؟ وأورد مالك هذه المحاورة التي نبهته إلى قولة ربيعة المشهورة : ألف عن ألف أحب إلي من واحد عن واحد[1]. ونلاحظ أن رواياته عن عبد الله بن أبي بكر كانت في مجموعها من أحاديث أمهات الأحكام.

3. **هشام بن عروة :** ومن أساتذته من فقهاء المحدثين هشام بن عروة بن الزبير الذي حمل علم والده. وقد روى عنه الإمام مالك أكثر من أربعين حديثا أكثرها عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين. وقد انتقل في آخر عمره إلى العراق فأخذ عنه الحمّادان وعبيد الله بن موسى، وتوفي في بغداد سنة 146هـ[2].

2. كتاب الموطأ

أ) أولويته وسبب تصنيفه :

عرف القرن الثاني الهجري انطلاقة عصر تدوين السنن والآثار، وكان أول من دون الفقه في المدينة عبد العزيز بن الماجشون، وعمله كلاما بغير حديث، ولما رآه مالك قال : ما أحسن ما عمل، ولو كنت أنا لبدأت بالآثار ثم شددت ذلك بالكلام[3].

ويقول القاضي عياض إن سبب تأليف موطأ مالك هو أن أبا جعفر المنصور قال لمالك : ضع كتابا أدلهم عليه، فإنك أنت أعلم الناس. قال مالك : فقلت لا، فقال : بلى، ولكنك تكتم ذلك ولئن بقيت لكتبت كتبك بماء الذهب. وفي رواية كما تكتب المصاحف، ثم أعلقها في الكعبة فأحمل الناس عليها. فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن كتابي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول الصحابة، وقول التابعين، ورأيي هو إجماع أهل المدينة لم أخرج عنهم، غير أني لا أرى أن تعلق في الكعبة، وقال له أبو جعفر: اجعل العلم واحدا، فقال مالك : يا أمير المؤمنين إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في البلاد فأفتى كل في عصره بما رأى. وفي رواية أخرى أن أبا جعفر قال

---

(1) ترتيب المدارك للقاضي عياض، ج 1، ص 46.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 144.

(3) التمهيد، ج 1، ص 86.

له يا أبا عبد الله ضم هذا العلم، ودوِّن كتبا وتجنب فيها شدائد عبد الله بن عمر، ورُخص ابن عباس، وشواذ ابن مسعود واقصد أوسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة[1].

ب) منزلته بين كتب الحديث :

أُلِّفَ موطأ مالك قبل كتاب صحيحي البخاري ومسلم بأكثر من قرن، وفي عهد تأليفه لم تأخذ صنعة الحديث وعلومه طابعها النهائي. كما أن الشروط التي وضعت في بداية القرن الثالث الهجري لم تكن مقننة بصورة شائعة، مع العلم بأن الموطأ ـ وهو كتاب حديث وفقه ـ ما كان ليقتصر على الأحاديث المجردة، وإنما أراد جمع السنة العامة التي استند عليها التشريع في عهد الإمام مالك. مع أنه توخّى الصحة في المضمون أكثر مما اعتبر سرد الأسانيد والرواة، فلم يتقيد بشرط الصحة الشكلية التي تجعل في عداد الضعيف كل حديث لم يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، واستدل بالأحاديث المرسلة، لكن من غير الصواب أن تعد مراسيله من الضعيف.

ذلك أنه قد جرت العادة في عهد مالك أن يرسل الحديث إذا ما تعددت روايته عن مجموعة من الصحابة. ويقول ابن عبد البر في "التمهيد" : قد يكون العالم إذا اجتمع له جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره في حديث واحد، يرسله إلى المعزى إليه الحديث، ويستثقل أن يسنده أحيانا عن الجماعة الكثيرة، ألا ترى ما ذكرنا في صدر هذا الديوان عن إبراهيم النخعي، أنه قيل له مرة : تقول مرة، قال عبد الله بن مسعود، ومرة تسمي من حدثك عنه فقال : إذا أسندت لك الحديث عنه فاعلم أن حدثني من سميت لك عنه، وإن لم أُسمِّ لك أحدا فاعلم أنه حدثنيه جماعة[2].

ويقول أبو عمر بن عبد البر : إن ما أرسله الإمام مالك عن ابن مسعود فقد رواه عن عبد الله ابن إدريس الأودي، وما أرسله عن غيره فعن عبد الرحمن بن مهدي[3]. كما يقول السيوطي إنه إذا قال حدثني "الثقة" عن ابن عمر فإنه يعني نافعا مولاه، وأن "الثقة" عن عمرو بن شعيب يقصد بها الزهري أو عبد الله بن وهب، كما أن "الثقة" عن بكير بن عبد الله ابن الأشج هو مخرمة بن بكير أو عمرو بن الحرث. ويطلق عبارة "من لا أتهم" على الليث بن سعد.

(1) ترتيب المدارك للقاضي عياض، ج 2، ص 72 و73.

(2) التمهيد، ج 1، ص 44.

(3) التمهيد، ج 1، ص 38.

ويزيد ابن عبد البر : وإلى هذا نزع من أصحابنا من زعم أن مرسل الإمام أولى من مسنده، لأن في هذا الخبر ما يدل على أن مراسيل إبراهيم النخعي أقوى من مسانيده[1]. وعقّب ابن عبد البر على هذا الرأي بصفته إماماً من أئمة الحديث الذين يعتقدون أن الإسناد من شروط صحة الخبر، فهبّ يتتبع جميع أحاديث "الموطأ" ليسندها ما عدا أربعة معدودة، هي :

1. «إني لا أنسَى ولكن أُنسَى لأسنَّ»[2].
2. «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمّتِه أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر»[3].
3. قول معاذ : آخر ما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وضعت رجلاي في الغرز : «أن حسّن خلقك للناس»[4].
4. وقول رسول الله صلى اللهم عليه وسلم : «إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة»[5].

ولقد كتب الحافظ ابن الصلاح رسالة في وصل هذه الأحاديث، ونشرت بتحقيق أبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق. وقد ذكر ابن الصلاح لهذه الأحاديث عدة أسانيد تتفاوت صحتها في الأسانيد والمتون.

1. مقارنة بين الموطإ وصحيح البخاري :

يقول جلال الدين السيوطي نقلا عن أبي بكر الأبهري : إن جملة ما في الموطإ من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة والتابعين ألف وسبعمائة وعشرون حديثا، المسند منها ستمائة، والمرسل مائتان واثنان وعشرون حديثا، والموقوف ستمائة وثلاثة عشر، ومن قول التابعين مائتان وخمسة وثمانون. ثم روى السيوطي عن ابن حزم أنه أحصى خمسمائة ونيفا من المسند، وثلاثمائة ونيفا من

(1) المصدر نفسه : ج 1، ص 38.

(2) رواه مالك في الموطأ، كتاب النداء للصلاة.

(3) رواه مالك في الموطأ، كتاب الاعتكاف.

(4) رواه مالك في الموطإ، كتاب الجامع.

(5) رواه مالك في الموطإ، كتاب النداء للصلاة.

المرسل، منها نيف وسبعون حديثا قد ترك مالك نفسه العمل بها، وإن فيه أحاديث ضعيفة رواها جمهور العلماء[1].

إن موطأ مالك كتاب حديث وفقه، مثل ما هو الشأن في صحيح البخاري، غير أن كثيرا من الناس لم يولوا العناية للجانب الفقهي في صحيح البخاري، ولا الجانب الحديثي في الموطإ، وقد ظهر هذا الموقف عند عامة الفقهاء الذين كثيرا ما اعتبروا النصوص الحديثية تقرأ للتعبد وإن فروع الفقه تؤخذ من مدوناته المشهورة.

فالذين درسوا صحيح البخاري اهتموا أساسا بالرواية، فبحثوا في الرجال، وشرح ألفاظ المتون، وصنيع الحديث وتعليقه، وتبويبه، وشارحو الموطإ من الفقهاء التقليديين عنوا بالأحكام الفرعية، مثل ما فعل أبو الوليد الباجي في كتاب "المنتقي". سوى ما كان من أمر ابن عبد البر والقاضي عياض وأبي بكر بن العربي، الذي يقول في المقارنة بين الموطإ وصحيح البخاري : «إن الموطأ هو الأصل واللباب، وإن صحيح البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب وعليهما بنى الجميع»[2].

ولنا أن نتساءل عن السبب الذي جعل أحاديث البخاري أضعاف ما في الموطإ، ولعل الجواب فيما أخرجه أبو الحسن بن فهر أن عتيق بن يعقوب الزبيري قال : وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة آلاف حديث فلم يزل ينظر فيه كل سنة، ويسقط منه حتى بقي منه هذا. وقال سليمان بن بلال : «لقد وضع مالك الموطأ وفيه أربعة آلاف حديث، ومات وهي ألف حديث ونيف يلخصها عاما عاما»[3].

وبالمقارنة مع صحيح البخاري، الذي يشمل بالمكرر سبعة آلاف حديث ونيف، وأربعة آلاف حديث بدون المكرر، نرى أن ما بقي من أحاديث مالك بعد إسقاطه نحو ثمانمائة حديث، ما بين المسند والمرسل. فما هي إذن الأحاديث التي أسقطها مالك ؟.

نلاحظ أولا في الموطإ غياب الأحاديث القصصية مثل حديث أبي سفيان مع هرقل، وقصة الخضر وموسى، وأصحاب الغار، كما لا نرى فيه أخبار المغازي وأحاديث الأنبياء والمناقب. وفي رواية يحيى بن يحيى الليثي لا يوجد كتاب التفسير، غير أن ابن العربي استخرج منه صفحات كتبها عن شيخه أبي عبد الله المصيصي[4]، كما لا يوجد

---

(1) تنوير الحوالك للسيوطي، ج 1، ص 9.

(2) مقدمة "تنوير الحوالك" للسيوطي، ص 11.

(3) ترتيب المدارك للقاضي عياض، ج 2، ص 73.

(4) "القبس" لابن العربي، ص 146.

في الموطـإ حديث الشفـاعـة والإسراء والمعراج، ولـعل مـالكـاً أراد أن يدون للنـاس الأحاديث التي تتناول ما لا يسع جهله من أمور الدين. وهذا ما قاله سليمان بن بلال أنه ترك فيه ما يرى أنه أصلح للمسلمين وأمثل للدين. وهذا الانتقاء هو الذي أعطى لكتاب الموطإ قيمته حتى تنافست في روايته مشاهير رواة الأمصار وعلماء الأمة.

2. آراء العلماء في الموطإ :

لقد أوضحنا من قبل أن الإمام مالكاً كان محدثاً وناقداً، وأنه تحرج من رواية كل من يشك في ورعه أو علمه، مراعاة لصدق الحديث وصحة أدائه للمعنى التشريعي المقصود. والأحاديث المسندة في الموطإ تعتبر من أصح الروايات، حتى صارت مضرب الأمثال، عند أهل السنة الذين لم يبق لأحدهم قولاً حينما يسمع مثلاً : «عن مالك عن نافع عن ابن عمر». أما الموقوفة التي انتهى سندها عند الصحابي، والمرسلة التي رفعها التابعي إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، فإن العلماء لم يتماروا في صحتها من حيث المتن.

ولقد عرف علماء عصره قيمته العلمية وقدّروه حق تقديره. فقال عنه عبد الرحمن بن مهدي : ما بعد كتاب الله أنفع للناس من موطإ مالك بن أنس، ولا علم من علم الناس بعد القرءان أصح من موطإ مالك[1]، وقال عنه الإمام الشافعي : ما في الأرض كتاب في العلم أكثر صواباً من كتاب مالك، وما كتب الناس بعد القرءان شيئاً هو أنفع من موطإ مالك، وإذا جاء الأثر من كتاب مالك فهو الثريا[2]. ويقول الإمام أحمد بن حنبل : ما أحسن الموطأ لمن دان به[4].

ويقول القاضي عياض : لم يعن الناس بكتاب من كتب الفقه والحديث اعتناءهم بالموطإ، وعدّد ثمانين من العلماء عنُوا بشرحه، والتعريف برجاله ومسانيده ورواياته، وممن ذكر منهم القاضي إسماعيل، وأبا الحسن القابسي، وأبا عبد الرحمن النسائي، وأبا العرب التميمي، وأبا عمر بن عبد البر، ومحمد بن عيشون الطليطلي، وأبا الحسن الدارقطني. وممن ألف في رجاله ابن حبيب، وأبو عمر الطلمنكي، والقاضي ابن الحذاء. وممن اختصره محمد بن أبي زمنين، وابن وهب، وعيسى بن دينار، وعبد الله بن نافع.

---

(1) المصدر السابق، ص 230.

(2) المصدر السابق، ص 321.

(3) المصدر السابق، ص 154.

(4) المصدر السابق، ص 468.

كما روى عن ابن وهب : من كتب موطأ مالك فلا عليه أن لا يكتب من الحلال والحرام شيئاً.

ولم يزل الثناء مسترسلاً عليه، نثراً وشعراً ونورد من ذلك قول القاضي عياض :

إذ ذُكرتْ كُتْبُ العلوم فخيرُها ... كتابُ الموطا من تصانيف مالك

أصحُّ أسانيداً وأثبتُ سنةً ... وأوضحُها في الفقه نهجاً لسالك

أسانيدُ أمثالُ الرواسي صحيحةً ... ورأيٌ كأنوار النُّجوم الحوالكِ[1]

3. روايات الموطإ :

يذكر القاضي عياض أنه أحصى ألفاً وثلاثمائة ممن رووا عن مالك، وعد من رواة الموطإ ستين عالماً. ومن هؤلاء الرواة نذكر ثلاث فئات :

أولاً : روايات الفقهاء :

1. رواية ابن القاسم : لزم عبد الرحمن بن القاسم[2] الإمام مالكاً عشرين سنة، وسمع منه عشرين كتاباً في ثلاثمائة مجلد. وكان لرحلته إليه قصة مشهورة ملخصها أنه تلقى في المنام أمراً بالذهاب إلى عالم الآفاق، وشاهد في الرؤيا صورته، ولما حج ولقي مالكاً تعرفه وتأكد من صدق الرؤيا. فلم يغادره حتى بلغ منه ما يريد.

ومن المشهور أن الإمام مالكاً كان يفرق بين تدريس الحديث النبوي وبين تدريس المسائل، فإن أكثر ما روى عنه ابن القاسم كان في المسائل، ما عدا أحاديث الموطإ التي حفظها حفظاً، إذ كان في قراءته لها لا يزيد في اليوم على ثلاثة أحاديث. فاتسمت روايته بالضبط والإتقان، حتى صار عند العلماء أثبتَ منْ روى عن مالك. وقال النسائي عنه : ما أحسن حديثه وأصحه عن مالك، ليس يختلف في كلمة، ولم يرو أحد الموطأ عن مالك أثبت من ابن القاسم[3]. وقد سئل مالك عنه وعن ابن وهب فقال : ابن وهب عالم، وابن القاسم فقيه. ولقد صدق هذا القول في هذا العالم الجليل الذي احتضن فقه مالك في آخر حياته، ثم بثه في الغرب الإسلامي، متمثلاً في "مدونة" أسد

(1) انظر باب في ذكر ماقيل في الموطإ من الشعر وباب اعتناء الناس بكتاب الموطأ ، وذكر من روى الموطأ من الجلة والأئمة والمشاهير والثقات عن مالك رحمة الله في الجزء الثاني من كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض، الصفحة 80 وما بعدها.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 356.

(3) ترتيب المدارك للقاضي عياض، ج 3، ص 245.

بن الفرات التي هذّبها سحنون على يديه، فصارت عمدة أئمة المذهب، وأصبح قوله فيها مضرب الأمثال في الشهرة والصحة.

وبسبب تبحر ابن القاسم في المسائل، لم ير ضرورة ربط الفقه المالكي بأصوله الأثرية، وصار جله موقوفاً على نقل ابن القاسم، وعلى اجتهاد إمام المذهب، فابتعد عن طريق المحدثين. ولهذا نلاحظ أن البخاري مثلا لم يرو عن ابن القاسم في صحيحه إلا حديثاً واحداً عن سعيد بن عيسى بن تليد المصري عنه، وهو : رحم الله لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد[1]، وأورد له أبو داوود حديثاً واحداً مرسلاً في صفة نعله صلى الله عليه وسلم غير أن النسائي أخرج له نحواً من مائة حديث كلها في موطئه.

وقد نشرت رواية ابن القاسم مع تلخيص القابسي بتحقيق الأستاذ الشيخ محمد بن علوي المالكي[2].

2. رواية علي بن زياد العبسي : ومن أشهر رواة "الموطإ" علي بن زياد العبسي التونسي. ويقول القاضي عياض : إنه أول من أدخل "الموطأ" و"جامع سفيان" المغرب[3]. وهو الذي تفقه به سحنون قبل رحلته، وسمع منه البهلول بن راشد القيرواني وأسد بن الفرات، وكان ابن زياد وعبد الله بن فروخ الفارسي والقاضي عبد الله بن غانم من الذين نقلوا فقه الإمام مالك وحديثه، ومهدوا السبيل لترسيخ مذهبه المتمثل فيما قام به أسد بن الفرات وسحنون بتقنينه في كتاب "المدونة".

3. رواية يحيى بن يحيى الليثي المصمودي (234هـ)[4]، وهي أشهر هذه الروايات، وقد تداولها الناس واعتمدها الشراح، وقال أبو عمر بن عبد البر إنه اعتمدها لموضع يحيى من الثقة والفضل والفهم، ولأن الشيوخ توارثوها، وبما أنها السائدة في قطره الأندلسي، وقال إنه ينبغي لكل قوم اتباع سلفهم في الذي سبق إليهم من الخير[5].

(1) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء.

(2) منشورات دار الشروق بجدة. انظر مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة القديمة والحديثة لمحيي الدين عطية وصلاح الدين حنفي ومحمد خير رمضان يوسف، ج 2، ص 935، منشورات دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1995.

(3) ترتيب المدارك للقاضي عياض، ج 3، ص 80.

(4) انظر ترجمته في شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لابن مخلوف، ص 63، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، 1349هـ.

(5) التمهيد لابن عبد البر، ج 1، ص 10.

ولقد كان جد يحيى هذا في جيش القائد الفاتح طارق بن زياد وهو من مصمودة طنجة، إلا أن جده أسلم على يد يزيد بن عامر الليثي فنسب إلى ليث كناية، وقد رحل يحيى إلى الحج، وسمع من مالك موطأه ما عدا مسائل الاعتكاف، وجوّد رواية ابن وهب، ومسائل ابن القاسم في مصر، وكان ابن القاسم يحذره من أحاديث ابن وهب التي لم يصاحبها العمل، ويحذره ابن وهب من مسائل ابن القاسم التي أكثرها رأي، ويقول إن كليهما مصيب.

وقدم يحيى الأندلس بعلم وافر فدارت عليه الفتوى بعد عيسى بن دينار، وبهما انتشر مذهب مالك في الأندلس، وكان ثقة عاقلا، ويقول أبو عمر إنه لم يك له بصر بالحديث. ومع التزامه بمذهب مالك فإنه تتبع الليث في مسائل قليلة فكان لا يرى القنوت في الصبح، ولا يقضي باليمين والشاهد، ويجيز كراء الأرض بما يخرج منها.

وكان يحيى بن يحيى مع الغاز بن قيس وعيسى بن دينار وعبد الملك بن حبيب هم الأساطين الذين بُنِيَ عليهم صرح المذهب المالكي الشامخ في الأندلس، وفي كتاب "التمهيد" قال إنه إذا أسقط حديثاً من أمهات الأحكام في روايته أورده من غيره، مثل حديث طلحة الأيلي في النذور، وإنه إذا لاحظ عليه وهما صححه[1].

وفي كتاب "التجريد" لابن عبد البر الذي يصدق عليه قول القائل : يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر، ذكر نحوا من خمسين حديثا غير موجودة في رواية يحيى.

4. رواية أبي مصعب المدني : وهو زهري من حفدة عبد الرحمن بن عوف، وكان قاضيا في المدينة، واشتهر بوضع مختصر في أقوال مالك. ويقول القاضي عياض إنه كان فقيه أهل المدينة غير مدافع، واعتبر من أهل الفقه والرأي، وصار بذلك ينافس أهل العراق حتى روي أنه قال لأهل المدينة : لا تزالون ظاهرين على أهل العراق

(1) لقد نبه أبو عمر بن عبد البر على مجموعة من المسائل، قال إن يحي بن يحي وهم فيها، وهي أغلاط وردت في أسماء بعض الرواة وأنسابهم، منها حديث الجارية التي سئلت : "أين الله". فقد نقل في سنده عن عمر بن الحكم، والصواب معاوية، وذكر في حديث عتبان، رواية عن محمود بن لبيد، والصواب محمود بن الربيع، وفي حديث الغيبة، رواه يحي عن المطلب بن حويطب، والصواب حنطب، وفي حديث تحريم شراء الصاع بصاعين أورده عن عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف، والصواب عبد المجيد. وذكر يحي أن أبا جهم الذي خطب فاطمة بنت قيس هو ابن هشام، والصواب إنه ابن حذيفة بن الغانم العدوي. وروى أيضا حديث الفريعة عن سعد بن اسحق بن كعب بن عجرة، والصواب سعيد بن كعب. وقال إنه وهم في سند حديث الخميصة المهداة إليه صلى الله عليه وسلم، إذ رواه عن علقمة عن عائشة والصواب أنه عن علقمة عن أمه عن عائشة، وفي حديث تحريم الرضاعة لما يحرم من الولادة رواه يحي عن عطاء بن يسار وعروة بن الزبير، والصواب روايته عن عطاء عن عروة، ونلاحظ أن كل هذه المسائل لا تخل بمتون الأحاديث المروية.

مادمت لكم حيا؛ ولقد امتدت له الحياة تسعين سنة، وإذا كان بعض المحدثين رغبوا عن الكتابة عنه بسبب ميله إلى الرأي، فإن ذلك لم يمنع الشيخين أن يخرجا له في صحيحيهما. ويذكر أبو عمر أنه انفرد في موطئه بحديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم : لا يأكل الضب ولا يحرمه.

5. روايتا سليمان بن برد وابن بكير : وهما من فقهاء مصر الأعلام، وقد قيل عن سليمان إنه لا يوجد أحد أعلم بالقضاء، منه ويقول محمد بن عبد الحكم إن موطئه أصح الموطئات؛ أما ابن بكير فهو فقيه الفقهاء بمصر وأسمه يحيى بن عبد الله بن بكير مولى بني مخزوم، سمع من مالك ومن الليث، وكان أثبت فيه من غيره، وقد روى له البخاري في صحيحه، وأحمد في مسنده، ويذكر أبو عمر أنه انفرد برواية حديث الوصية بالجار عن الإمام مالك.

وقد قيل إن عبد الله واسحق إبنا يحيى الليثي عتبا على بقي بن مخلد لأنه قدّم رواية أبي مصعب وابن بكير على رواية أبيهما، فقال لهما : أما ابن مصعب فلأنه قريشي، لقول رسول الله ﷺ : فقدموا قريشا ولا تَقَدَّموها، وأما ابن بكير، فلأنه أكبر سنا، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : كبِّر، كبَّر، مع أنه سمع الموطأ من مالك سبع عشرة مرة، ولم يسمعه أبوكما إلا مرة واحدة، ولم يعودا إليه بعد ذلك[1].

ثانياً : روايات المحدثين :

1. رواية ابن وهب : إنها رواية متميزة، لمكانة عبد الله بن وهب[2] الذي صحب مالكا وكلاهما في عنفوان العمر. لقد أدرك معه عشرين من أصحاب ابن شهاب، وروى عن الليث بن سعد، وأكثر من سماع الشيوخ الذين قال إنهم كانوا نحو أربعمائة. وأخيرا استقر اختياره على مالك، فاتخذه أستاذا وموجها، فكان يعرض عليه أحاديث كثيرة. وقد قيل إن أحاديثه بلغت مائة ألف، فيقول له مالك: دَعْ هذا وخُذْ هذا. فاعترف بأنه لولا مالك والليث لضل في متاهات الروايات المتعددة. وأُعجب مالك بذكائه، وإن لم يك راضياً كل الرضا عن إكثاره من الروايات، فقال عنه: أي فتى لولا الإكثار.

ثم توطدت العلاقات بين التلميذ وأستاذه حتى صار مالك يسميه بصديقه المصري، وروى عنه بعض الأحاديث مثل النهي عن بيع العربان، وتخليل أصابع

(1) انظر ذكر من روى الموطأ من الجلة والأئمة والمشاهير والثقات عن مالك رحمة الله في الجزء الثاني من كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض، الصفحة 80 وما بعدها.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 304.

الرجلين، وعندما يكتب إليه، يقول : "إلى عبد الله فقيه مصر"، أو "إلى أبي محمد المفتي". وشهد له أقرانه بالتفوق فقال أصبغ إنه أعلم الناس بالسنن والآثار، لأنه جمع الفقه والرواية حتى لقب "ديوان العلم"، فيقول يوسف بن عدي : أدركتُ الناس بين فقيه غير محدث، أو محدث غير فقيه، ما خلا عبد الله بن وهب، فإنه فقيه ومحدث[1].

وبعد وفاة مالك اعتبر ابن وهب مرجعا في علم مالك، فكان أصحابه يحتكمون إليه فيما اختلفوا فيه عن مالك لعلمهم أنه أثبت الناس فيه، وإذا كانت روايته للموطإ لم تدون في مصنف خاص بها، فإنها من أهم أصول الموطئات الأخرى، مما يدل على ذلك رحلة يحيى بن يحيى إليه، وأخذه الحديث عنه، واعتماد سحنون عليه في الآثار التي أوردها في "المدونة"، كما أن الشيخين أخرجا له في الصحيحين.

واشتهر ابن وهب بالتعليم والجهاد وكثرة الحج، حتى ذكر أنه من أعلم الناس بالمناسك، فقيل إن علم ابن القاسم هو البيوع، وإن علمه هو المناسك، وكان هو وابن القاسم فرسي رهان في العلم والتقوى، فقال عنهما يحيى : إن آثار ابن وهب هدي، ومسائل ابن القاسم رشد.

2. رواية القعنبي : يقال إن رواية عبد الله بن مسلمة القعنبي المصري (تـ 221هـ)[2] من آخر ما روي عن الإمام مالك، وصاحبها لزم مالكا عشرين سنة. وكان مالك يجله ويصفه بأنه خير أهل الأرض، وهي شهادة كبيرة. وإذا سمع بقدومه من سفر انتقل إليه للسلام عليه، وهي معاملة خاصة ذات دلالة. وقال عنه أبو زرعة : ما كتبت عن أحد أجل في نفسي من القعنبي[3]، فكان ثقة ثبتا، وقد أخرج له الشيخان في صحيحهما عن مالك. وقد تأسى به إخوته إسماعيل ويحيى وعبد الملك فرووا عن مالك، وعده أبو عمر بن عبد البر من فقهاء أصحاب مالك، ومع ذلك فإنه بثّ حديث مالك، أكثر مما بث فقهه. وأورد ابن عبد البر في "التجريد" ثلاثة أحاديث انفرد بها عن سائر رواة مالك، واثنان منهما في موطئه، وهما حديث نهيه صلى الله عليه وسلم عن إطرائه مثل إطراء النصارى للمسيح، والثاني في حراسة سعد بن أبي وقاص له حتى نام، والحديث الثالث رواه عن مالك في زياداته خارج الموطإ، وهو حديث تخييره صلى الله عليه وسلم بين امتداد عمره وبين التحاقه بالرفيق الأعلى.

---

(1) ترتيب المدارك للقاضي عياض، ج 3، ص 231.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 383.

(3) المدارك، ج 3، ص 199.

3. رواية سعيد بن كثير بن عفير[1] **:** ومن جماعة رواة الموطإ يطالعنا سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري (تـ 226هـ) الذي عاش جيلا بعد ابن وهب. وكان مثله في ميله إلى رواية الحديث، وقد روى له الشيخان في صحيحيهما، وذكر أبو عمر أنه انفرد في موطئه بحديثين هما : ما روي عنهﷺ في الرفق بالإبل في السفر، والثاني في وصية المرأة بطاعة زوجها.

4. رواية يحيى بن يحيى التميمي، مولى بني منقر (تـ 226هـ)[2]، وهو راوية الموطإ في خراسان. قال الإمام أحمد عنه إنه ما أخرجت خراسان بعد ابن المبارك أحدا مثله. لقد كان محدثا مأمونا مرضيا، اشتهر بتحري الصدق، فكان يعرب عن شكه في الحديث حتى سُمّي الشكاك. فقيل إنه ما رؤي محدثا أورع منه ولا أعقل. وقد أخرج له الشيخان، واعتمد مسلم روايته عن مالك[3].

5. رواية عبد الرحمن بن مهدي البصري (تـ 198هـ)، قال ابن المديني : كان ابن مهدي يذهب إلى قول مالك، ومالك إلى قول ابن يسار، وابن يسار إلى قول عمر. كان من أعلم الناس بالحديث. كان محدثا ثقة له كتاب في السنة[4].

6. رواية معن بن عيسى وابن أبي أويس (تـ 198هـ)[5] : رواية معن بن عيسى لها معنى خاص، لأن صاحبها ربيب مالك وملازمه الذي كان يتوسد عتبة داره ويكتب كل ما سمعه منه، حتى قيل إنه جمع من سماعه عنه أربعين ألف مسألة. وهذا ما خوله أن يخلفه في الفتوى، واتفق أهل العلم على توثيقه، وصحة نقله. وممن اعتمده في الرواية عن مالك أبو عيسى الترمذي، كما روى عنه الإمام أحمد وابن أبي شيبة. وذكر أبو عمر في "التجريد" أنه انفرد في موطئه برواية أربعة أحاديث منها تفسير قوله تعالى : ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ الآية، وقولهﷺ : «كل مسكر حرام»، وحديث عائشة في انتظارهﷺ للمؤذن قبل الفجر، وفي عادة نسف الشعير ونفخه.

وفي غير الموطإ انفرد بروايته عن مالك حديث : «خير دور الأنصار».

ويشارك معنىً هذا في القرابة من مالك، إسماعيل بن أبي أويس (تـ 226هـ)، وهو زوج ابنته وابن أخته وابن عمه وملازمه؛ إلا أنه لم يبلغ درجة مَعْن بن عيسى في العلم

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 427.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 415.

(3) انظر رواية الموطإ ليحيى بن يحيى الليثي في فهرست بن خير، ص 77.

(4) ترتيب المدارك، للقاضي عياض، ج 3، ص 20.

(5) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 332.

والتثبت. فاختُلف في توثيقه فقيل إن محله الصدق، ولكنه كان مغفلا ومع ذلك فقد أثنى عليه ابن وضاح، وأخرج له الشيخان في صحيحيهما. وأما أخوه أبو بكر (223هـ) المعروف بالأعشى، فقد كان صاحب عربية وقراءة ولم يؤثر عنه رواية للموطإ، ويروى عن الباجي أن مطرف بن عبد الباري كان ابن أخت مالك، وهو أيضا من رواة الموطإ المشهورين.

وكان لمالك أيضا كاتب معروف وهو حبيب ابن أبي حبيب (تـ 218هـ)، غير أن الناس لم يرضوا عن عرضه وسلوكه، وهو الذي انتقل إلى مصر، وصار يأخذ الأجرة على عرض أحاديث مالك، ولذلك ضعّفه العلماء وذموا صنيعه وتركوا الرواية عنه.

7. رواية مصعب الزبيري[1] : يقال عن مصعب هذا إنه عَلاَّمَةُ قريش وأديبها، كان إخباريا عالما بالأنساب، وشاعرا ظريفا، وراويا ثقة، سمع من أبيه عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، وعُرف أنه كان ورعا يتحرج من الكلام في القدر، والخصومة في العقائد، واشتهر بشدته في الأمر بالمعروف، حتى صار أهل الغناء يلهجون بمواقفه، فيقول القاضي عياض : إن أحمد بن هشام قال له يوما : لقد شهّرك الموصلي في لحنه حين قال :

لام فيها مصعب وصباح فعصينا مصعبا وصباحا

فرد عليه مصعب قائلا : لم يشهرني إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما أنت فقد شهرك بقوله :

فما ذر قرن الشمس حتى رأيتني من العي أحكي أحمد بن هشام

وقد سمع عن مالك هو ووالده عبد الله وعمه بكار وابن أخيه الزبير بن بكار، صاحب الأنساب الذي كان قاضيا بمكة. وليس هؤلاء وحدهم من الزبيريين الذين كانوا من تلاميذ الإمام مالك، فاشتهر منهم عبد الله بن نافع الأصغر، وهو حفيد ثابت بن عبد الله بن الزبير؛ وهو من رواة حديث مالك المعروفين، وربما التبس على الناس بعبد الله بن نافع الصائغ. وقد كان من ملازميه أيضا من هذه الأسرة، عتيق بن يعقوب الزبيري الذي روى عنه الكثير، وكان من الذين دخلوا داره بعد وفاته، وأخرجوا مروياته عن ابن شهاب في كثير من الصناديق، كما أخذ عنه منهم الزبير بن حبيب بن ثابت ومصعب بن عثمان وعامر بن صالح بن عبد الله.

---

(1) انظر ترجمته ومصادرها في الأعلام للزركلي، ج 7، ص 248.

8. رواية التنيسي : عبد الله بن يوسف الدمشقي التنيسي، أبو محمد الكلاعي[1] (تـ 218هـ)، كان حافظا حجة، اعتمده البخاري في الرواية عن مالك، وقال إنه من أثبت الشاميين، ويقول ابن معين : من أثبت الناس في مالك.

9. رواية الوليد بن مسلم (تـ 195هـ) **:** وهو شامي ومولى بني أمية، ممن أكثر من الرواية عن مالك، وسمع من الأوزاعي أيضا، وهو صاحب قصة الخلاف المأثور في قصْر أهل مكة بمنى أيام التشريق. ومن الشاميين كذلك إسحق بن عيسى بن نجيح المعروف بابن الطباع، وهو ممن صحب مالكا وسمع منه، وروى له مسلم في صحيحه. ويذكر أبو عمر أنه انفرد في موطئه برواية حديث : «خير دور الأنصار»، الذي رواه معن بن عيسى خارج الموطإ[2].

ثالثاً : روايات الأئمة المجتهدين :

1. رواية محمد بن الحسن الشيباني (تـ 189هـ)[3]، لقد نشأ محمد بن الحسن بالكوفة، ولقي أعلامها وطلب الحديث، وحضر مجلس أبي حنيفة سنتين، ولازم صاحبه أبا يوسف، ونشر فقههما في جامعه الكبير؛ ولقيه الشافعي وناظره وقال إنه حمل عنه وقر بعير من العلم، ثم التحق ببلاط الرشيد فكان له قاضيا. ويقول ابن خلكان : إنه كان ابن خالة الفراء النحوي، وأنه توفي هو والكسائي في يوم واحد، وروايته للموطإ محفوظة، وقد طبعت أخيراً[4].

2. رواية الشافعي (204هـ) **:** ويعد من رواة الموطإ الإمام الشافعي، وهو راو ليس مثل الآخرين، لقد كانت حياته العلمية، وتأثيره الفكري قويا. بدأ بدارسة اللغة حتى صار حجة فيها بعد ما روى الغريب والأشعار من معاقلها في هذيل، واستطاع في مكة أن يظهر معالم النبوغ أثناء دراسته على مسلم بن خالد الزنجي، ثم انتبه له عبد الله بن ثابت الزبيري، ونصح له بالرحلة إلى سيد العلماء في المدينة الإمام مالك بن أنس. ولما التقى الشافعي بمالك وجد بغيته ومراده. ومكّنه ذكاؤه وسرعة حفظه من أن يستكمل رواية الموطإ عنه في مدة يسيرة، وظل الشافعي برهة من الزمان يدور في فلك أستاذه ومعلمه مالك، الذي يقول إنه لا أحد أمنّ عليه منه في العلم. وفي إقامته باليمن

---

(1) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 10، ص 357.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 302.

(3) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 9، ص 134.

(4) منشورات المكتبة العلمية بمكة المكرمة، 1399هـ.

والعراق استمر يدافع عن صاحبه وشيخه، بقوة عارضته المشهورة، حتى قيل إنه لو أراد أن يثبت أن عمود الحجارة من خشب لاستطاع لقدرته على المناظرة والحِجَاج.

ولقد كان مقام الشافعي بالعراق فرصة له إذ فتح فيه أقفال العلم، فناظر محمد بن الحسن في الرأي واستحق لقب "ناصر السنة"، ولقيه الإمام أحمد بن حنبل فأفاد منه، فكان يقول له ولابن مهدي : أما أنتما فأعلمُ بالحديث مني، فإذا كان صحيحا فأعلموني أذهب إليه.

ثم انتهت به الرحلة العلمية إلى مصر، فنزل مكرما عند بني عبد الحكم المالكيين، فملأ الفراغ الذي نشأ بعد وفاة ابن القاسم وابن وهب، واعتُبر أبرز فقيه مالكي؛ غير أن خلافاته مع أشهب بن عبد العزيز، ومنازعاته مع فتيان بن أبي سمح جعلته يتميز بمذهبه الجديد ويستقل برأيه، ويبين أسسه في رسالته التي ما زالت الوثيقة الأولى في علم أصول الفقه، فكان له الفضل في تنظير هذا العلم.

ولم يفتأ علماء المالكية يحسبونه مفخرة من تلاميذ مالك، لكن بعضهم لم يتقبل بسهولة انفصاله عنه، وارتكازه على المسائل التي خالف فيها مالكا، فكثرت تصانيف الرد عليه، تارة بأدب مثل ما هو صنيع القاضي عبد الوهاب في كتاب "الإشراف في مسائل الخلاف"، وتارة بعنف وتحامل مثل ما كان من ابن اللبّاد في كتاب "الرد على الشافعي".

وبالرغم من كل هذا الخلاف، فإن الإمام الشافعي ما يزال في أعين أهل السنة، شمس الدنيا وعافية الناس، والفقيه المفكر الذي أقام منهج بيان معنى النصوص، وضوابط قبولها، وطرق استنباط الأحكام منها. فكان اهتمامه بالحديث بصفته فقيها مفكرا، لا جامعا حاطب ليل، يؤثر الانتقاء على كثرة الرواة، وهذا ما جعل يحيى بن معين وعلي بن المديني لم يستسيغا منهجه، فأساءا في حقه، ولعل أصحاب الصحيح تأثرا بهما فلم يرووا عنه مع أنه إمام حجة[1].

4. تصور الإمام مالك للسنة من خلال كتاب الموطإ

إن المعارف التي تلقاها الإمام مالك عن شيوخه، وصلة كل منهم بمنهج معين من كبار التابعين وعلماء الصحابة، أقرت في نفسه صورة متكاملة، عما عبّر عنه "بالسنة". فهي في نظره تلك الأحاديث التي دوّن ابن شهاب كثيرا منها، وأورد رواة ابن

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 361.

عمر آدابها وسلوكها، وبيّن ربيعة ضوابط صحتها وقواعد استثمارها، ولعل هذا ما يلخصه القاضي عياض حين ينقل عن حميد بن الأسود أن إمام أهل المدينة بعد عمر ابن الخطاب هو زيد بن ثابت، ويقول علي بن المديني : إن أحداً وعشرين عالماً أخذوا عن زيد، وذكر منهم فقهاء المدينة السبعة المعروفين، وأن علم هؤلاء كلهم صار إلى مالك[1]. حتى قال عبد الرحمن بن المهدي : إن الثوري إمام في الحديث وليس إماماً في السنة، وإن الأوزاعي إمام في السنة وليس إماماً في الحديث، وإن مالكاً إمام في السنة وإمام في الحديث[2].

لقد جمع الإمام مالك بين الإمامة في الحديث والإمامة في السنة، وقديما سئل العلماء عن الفرق بين السنة والحديث، وكان الجواب أن السنة هنا هي ما يقابل البدعة. وإذا كان هذا من معاني ″السنة″، فإنه لا يتفق مع سياق كلام ابن مهدي، لأن الثوري لم يذكر أحد أنه كان من أهل البدع والأهواء. وهذا ما يحدونا إلى الاعتقاد بأن ″السنة″ المقصودة تعني مدلولا أوسع مما ذكروا كثيرا. وقد يتضح ذلك المعنى حينما نذكر بأن السنة قد تستعمل في معناها اللغوي، وفي اصطلاحاتها الفقهية والأصولية.

ولقد اعتاد الإمام مالك رحمه الله أن يتحدث عن السنة تارة في معناها اللغوي وذلك في قول عبد الرحمن بن عوف لعمر بن الخطاب في معاملة المجوس : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «سُنُّوا بهم سنة أهل الكتاب».

وفي معناها الفقهي، يقول الإمام مالك : إن غسل الجمعة واجب في السنة، غير أنه في أغلب الأحيان يذكر السنة بصفتها دليلاً أصولياً، وهي عنده بمثابة عمل تواطأ عليه أهل العلم ببلده، وتناقله فقهاؤهم جيلاً عن جيل. نرى ذلك حينما يقول : إنه لا نداء ولا إقامة في عيد الفطر ولا في الأضحى، منذ زمان رسول الله ﷺ، وتلك السنة التي لا اختلاف فيها عندنا كما يقول : السنة التي لا اختلاف فيها، والذي أدركت عليه أهل العلم ببلدنا أنه لا يرث المسلم الكافر[3]. ويقول في قضايا أخرى : السنة التي لا اختلاف فيها عندنا أنه ليس في شيء من الفواكه صدقة، وأن الزكاة تجب في عشرين دينارا عينا كما تجب في مائتي درهم[4]. ويقول إنه لا يجب على وارث زكاة في مال ورثه حتى

(1) ترتيب المدارك للقاضي عياض، ج 1، ص 159.

(2) ترتيب المدارك للقاضي عياض، ج 1، ص 153.

(3) الموطأ، كتاب الزكاة.

(4) الموطأ، ج 1، ص 242.

يحول الحول على ثمن ما باع من نصيبه[1]. وهذا النوع من السنة عنده يمكن أن نسميه إجماعاً يستند على السنة، أو بالسنة المجمع عليها.

وفي بعض الأحيان يكتفي بالعبارات التالية : "السنة عندنا" أو "مضت السنة" و"تلك السنة"، ومن ذلك قوله : "السنة عندنا" والذي أدركت عليه أهل العلم ببلدنا أنه لا يُضيق على المسلمين في زكاتهم وأن يقبل منهم ما دفعوا[2]. كما قال روايةً عن ابن شهاب أن من أدرك ركعة من الجمعة فليصل إليها أخرى وهي "السنة" وعلى هذا أدركت أهل العلم ببلدنا[3]. وقال إن الشهداء لا يصلى عليهم ولا يغسلون ويدفنون في الثياب التي قتلوا فيها، قال مالك : "وتلك السنة" فيمن قتل في المعترك[4]. و"مضت السنة" أن لا جزية على نساء أهل الكتاب ولا على صبيانهم[5].

وهذا النوع من السنة قريب من الذي قبله وإن لم يصرح بالنصوص التي اعتمدها فيه : وفي كلا الحالتين فإن السنة تعني في كلا المعنيين الدليل الأصولي.

رتبة السنة في التشريع عند الإمام مالك :

يقول القاضي عياض في "المدارك" كان مالك كثيرا ما يتمثل بقول الشاعر :

وَخَيْرُ أمور الدين ما كان سنّة   وشر الأمور المحدثات البدائع[6]

ولقد استدل بنوعين منها :

النوع الأول : السنة المرفوعة، المتمثلة في الأحاديث الصحيحة سواء كانت خبر آحاد أو متواترة.

والنوع الثاني : هو السنة الأثرية، وهي أقوال الصحابة، وفتاويهم، وعمل أهل المدينة وأعرافهم.

ولقد فرق الإمام مالك في التدريس بين هذين النوعين، وجعل مسائل الفقه أقرب إلى العمل والعرف حتى أنه كان يسأل الطالب إذا جاءه، هل يريد أن يدرس المسائل، أو

---

(1) الموطأ، ج 1، ص 246.

(2) الموطأ، ج 1، ص 256.

(3) الموطأ، ج 1، ص 127.

(4) الموطأ، ج 2، ص 19.

(5) الموطأ، ج 1، ص 265.

(6) المدارك، ج 2، ص 14.

يريد دراسة الحديث[1]. ولقد كان منشأ هذه التفرقة مبالغته في احترام مجالس الحديث، وحرصه على أن لا يجعل فتاويه على مستوى ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يفسر لنا في آن واحد تشدده في رواية الحديث واعتماده في الرأي والمسائل على أقوال الصحابة وآرائهم وعمل أهل المدينة، أي على "السنة الأثرية". كما يفسر لنا أنه لم ير ضرورة وصل جميع الأحاديث التي استدل بها في موطئه، مكتفيا بإسناد متنها وتفسيرها إلى من يثق في عملهم من الصحابة والتابعين[2].

ومن شدة احتياطه في الحديث أنه تحرج من رواية عدة رجال وردت أحاديثهم فيما بعد في صحيحي البخاري ومسلم. كما أنه أدرك عشرات من رجال الدين ولم يرو عنهم لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، والشأن هنا هو استنتاج الأحكام الصائبة من الأخبار الصحيحة وفقا لمقاصد الشريعة ومصالح الأمة الإسلامية.

وحينما نتتبع تطور المذهب المالكي، يتبين لنا أن أصحابه قد انقسموا إلى قسمين، منهم من تأثر بمدرسة الحديث، وأعطاه كامل عنايته، مثل ابن الماجشون[3]، وابن وهب[4]، وابن حبيب[5]، وابن أبي زمنين[6]، لكن لم يكتب لهذا الاتجاه أن يشمل المذهب كله.

الفريق الثاني تأثر بالمسائل وانتشر منحاه على يد عبد الرحمن بن القاسم[7]، وحملة علمه في إفريقيا أمثال سحنون[8]، وابن أبي زيد[9]. وفي الأندلس على يد مجموعة

---

(1) ترتيب المدارك للقاضي عياض، ج 2، ص 14.

(2) راجع "التمهيد" لابن عبد البر، ج 1، ص 39.

(3) عبد الملك بن الماجشون : أخذ عن أبيه عبد العزيز وعن مالك، وكان مفتي أهل المدينة في زمانه، توفي سنة 212هـ وقيل 213هـ.

(4) عبد الله بن وهب : تفقه بمالك، وروى عن الليث والثوري وابن عيينة وابن جريح وعبد العزيز بن الماجشون وغيرهم. وممن أخذ عنه أصبغ وسحنون، قال أصبغ : إنه أعلم أصحاب مالك بالسنن والآثار. قال : أكثرت في الحديث فحيرني فكنت أعرضه على مالك فيقول خذ هذا ودع هذا (المدارك، ج 3، ص 236)، توفي سنة 179.

(5) عبد الملك بن حبيب : قال ابن الفرضي : كان ابن حبيب فقيها، غير أنه لم يكن له علم بالحديث ولا معرفة بصحيحه وسقيمه. (المدارك، ج 4، ص 123)، كان فقهه على نهج أهل المدينة وكتابه "الواضحة" يشمل السنن وغريب الحديث وتفسير الموطإ. وهذا ما جعلنا ندرجه في اتجاه الأثريين من علماء المالكية، توفي سنة 237هـ.

(6) ابن أبي زمنين : هو الحافظ الفقيه محمد بن أبي زمنين، تفقه بابن مسرة وله مختصر بديع للمدونة. توفي سنة 399هـ.

(7) ابن القاسم صحب الإمام مالك 20 سنة، وهو من أثبت أصحابه وأكثرهم شهرة، توفي سنة 191هـ.

(8) عبد السلام بن سعد، سحنون القيرواني تفقه بأصحاب مالك وتفقه به خلق كثير. انتهت إليه رئاسة العلم بالمغرب وتولى القضاء في عهد الأغالبة، ومن أعماله الجليلة جمعه وترتيبه للمدونة المعروفة باسمه، توفي سنة 240هـ.

(9) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد إمام المالكية في عصره، أخذ عن أبي اللباد وأبي الفضل الميمني والأبياني وغيرهم، وتفقه به خلق كثير منهم البرادعي وأبو بكر بن عبد الرحمن. له كتاب "النوادر" و"مختصر المدونة" و"الرسالة" المشهورة، توفي سنة 386هـ.

من العلماء أمثال عيسى بن دينار[1]، ومحمد بن عتاب[2]، ومحمد بن رشد[3]. واحتضنه المغرب على أيدي أعلامه المشهورين.

فالاتجاه الذي ساد في المذهب المالكي، هو الفقه الذي اعتمد قبل كل شيء على السنة الأثرية، وما تقتضي من مسايرة العمل، ومن اتخاذ عمل أهل المدينة عملا مثاليا ومفسرا للسنة.

ولقد حاول بعض متأخري المالكية التوفيق بين كلا الاتجاهين، فاجتهد أبو عمر ابن عبد البر[4] في تصحيح أحاديث الموطإ ووصلها، واهتم القاضي عياض[5] والأبي[6] بصلتها بالأحكام، لكن هذه الجهود لم تغير الخط الذي رسمه ابن القاسم.

ونُذَكر هنا بما جرى ليحيى بن يحيى[7] مع ابن وهب وابن القاسم، فلقد كان ابن وهب يحذره من الآراء التي لا تستند على الآثار، كما كان ابن القاسم يحذره من الآثار التي لا يصاحبها العمل[8]. والذي يبدو أن كل هذه الآراء تعتمد في الحقيقة السنة الأثرية والعمل المتواتر.

والنتيجة التي نصل إليها هنا، هو أن مالكا كان يفرق بين الحديث الذي صاحبه العمل، والحديث الذي لم يصاحبه العمل. ولقد كانت هذه التفرقة أمرا مرضيا عند علماء

---

(1) عيسى بن دينار تفقه بابن القاسم وكان عليه مدار الفتيا بقرطبة، قال ابن وضاح : عيسى أعلم أهل الأندلس بالفقه. توفي سنة 212هـ.

(2) محمد بن عتاب، شيخ المفتين في زمانه، تفقه بابن بشر وأخذ عنه ابنه عبد الرحمن وابن رزق، له فهرسة. توفي سنة 462هـ.

(3) محمد بن رشد : فقيه جليل وأصولي ماهر، أخذ عن ابن رزق، وعنه أخذ القاضي عياض وأبو بكر الإشبيلي، توفي سنة 520هـ.

(4) يوسف بن عبد البر : تفقه بابن المكوي وابن الفرضي، وسمع من أبي ذر الهروي. أخذ عنه أبو العباس الدلائي وأبو عبد الله الحميدي، كان محدثا جليلا وفقيها منشأ وأديبا بارعا ومن شعره :

تذكرت من يبكي على مداوما ... فلم أر غير العلم والآي والأثر

فأجابه جدنا بابه بن أحمد بيبه :

بلى قد بكتك الناس شرقا مغربا ... وقد حق أن يبكي عليك أبا عمر

توفي سنة 463هـ.

(5) عياض : قاضي الأئمة وإمام القضاة، فقيه محدث أديب، اشتهر بعلمه وكتبه، أخذ عن ابن رشد وابن الحاج وابن عتاب وغيرهم، توفي سنة 544هـ.

(6) الأبي : أبو عبد الله محمد بن خلفة، عالم تونسي شهير، له كتاب "إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم"، توفي سنة 827هـ.

(7) يحي بن يحي الليثي المصمودي، صاحب الرواية المشهورة لموطإ مالك، توفي سنة 234هـ انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 415.

(8) ترتيب المدارك للقاضي عياض، ج 3، ص 387.

عصره، فقد كان سفيان بن عيينة يجلس إليه ليسمع الأحاديث المعمول بها. وهنا نريد أن نفرق بين منهجين : أحدهما اتبعه الإمام الشافعي في الاستدلال بالحديث، والثاني هو المنهج المالكي.

فالشافعي مثلاً يقول : سمعت لفظ التشهد من جماعة رووا أن عمر بن الخطاب كان يعلمه للناس في المسجد بحضور الصحابة، لكني لمّا سمعت رواية متّصلة بالرسول عليه الصلاة والسلام وذكرت لفظاً مخالفاً، أخذت الطريقة المرفوعة بالسند المتصل، لأن التعبد إنما يأتي بما بلغ من الرسول نفسه، لا بما جاءنا من الآثار بعده[1].

أما الإمام مالك فلم يجعل من اتصال السند في رواية الآحاد دليلاً أقوى من المراسيل التي تواترت عنده وروتها الجماعة عن الجماعة، لأن اقتناعه الوثيق أن تواتر العمل يستحيل أن يكون صادراً إلا عن المشرع نفسه، ولم لا نفترض أنه ـ وهو أمير المؤمنين في الحديث ـ يعرف سند الأحاديث التي رواها مرسلة واكتفى بتبيين من أخذ عنهم من رواتها أمثال أبي الزناد وابن هرمز والزهري الذين أخذوا عن علماء المدينة السبعة[2]، وكانت روايتهم وتفسيرهم لها هو ما يعني الإمام مالك بعمل أهل المدينة[3].

وقد نبه ابن خلدون، وهو على صواب، على خطإ من يعتقد أن عمل أهل المدينة يدخل تحت باب الإجماع حيث قال : لقد ذكرنا أن هذا الإجماع لا يعتبر عند محققي المالكية من قبيل الدليل الكلي، وإنما يؤكد صحة الآثار وتفسيرها التطبيقي. وقد أوضح أبو الوليد الباجي في كتاب "الفصول" هذا الوجه حينما قال : لقد أكثر أصحاب مالك رحمة الله عليه في ذكر إجماع أهل المدينة والاحتجاج به، وحمل ذلك بعضهم على غير وجهه في المجمع به والمخالف عليه وذلك أن مالكاً رحمه الله إنما عوّل على أقوال أهل المدينة وجعلها حجة فيما طريقه النقل كمسألة الأذان، وترك الجهر بسم الله الرحمن الرحيم... هذا إذا كانت متواترة، ويزيد أبو الوليد قائلاً : وما نقلوه (أهل المدينة) من سنن الرسولﷺ من طريق الآحاد، وما أدركوه من طريق الاستنباط والاجتهاد فهذا لا فرق فيه بين علماء أهل المدينة وعلماء غيرهم.

(1) الرسالة، ص 269.

(2) علماء المدينة السبعة : عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عروة بن الزبير، القاسم بن محمد بن أبي بكر، سعيد بن المسيب، سليمان بن يسار، خارجة بن زيد بن ثابت، أبو بكر بن عبد الرحمن، الحرث بن هشام، وقد قيل إن السابع أبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف، أو سالم بن عبد الله بن عمر.

(3) المدارك، ج 1، ص 44.

الفصل الثاني

البخاري ومسلم

إنهما إمامان جمعتهما روابط عدة، فعاشا في حواضر متجاورة من خراسان، واشتركا في فترة واحدة من حياتهما، فكان بين تاريخي ميلادهما خمس سنوات وبين وفاتهما خمس سنوات، لقد توفي البخاري سنة 256هـ، ومسلم سنة261هـ، وجمعتهما الدراسة والعلم، فكان أكبرهما، وهو محمد بن إسماعيل البخاري شيخا بارعا لتلميذه المتفوق وزميله المتبحر مسلم بن الحجاج القشيري. وقف كل منهما حياته لعلوم الحديث، فارتحلا في الآفاق لطلبه، وسمعا منه من أئمته أكثر من ألف شيخ.

وكلاهما ألف في هذا الفن مجموعة من المصنفات المتخصصة في جملة علم الحديث، واشتهرا بصحيحيهما اللذين توخيا فيهما أعلى شروط التحقيق وأقوم مناهج التدقيق، فتلقت الأمة هذين الكتابين بأعلى درجات التقبل، ووضعتهما في أسمى مراتب الصحة، حيث أجمع أهل هذه الصنعة أن أصح خبر هو ما اتفقا عليه، ويليه ما انفرد به البخاري، ثم ما انفرد به مسلم، أو ما كان على شرط الأول، ثم ما كان على شرط الثاني.

وهكذا اتفق العلماء على تبريزهما في هذه الصنعة، وذكروا أنه لم يفتهما من صحيح الأحاديث إلا القليل، واجتهدوا في الجمع بينهما، والتخريج عليهما في مصنفات معروفة، واختلفوا في تفضيل صنيع أي منهما في كتابه، وبيّنوا أن لكل منهما ميزات وخصائص. فكان الإمام البخاري أشد تحريا في الرجال، وأكثر تشددا في صنعة الأسانيد، وكان الإمام مسلم أوضح منهجا وأحسن تصنيفاً.

وقد أفرد العلماء لهما، معا، عدة مصنفات تناولت الجمع بين الصحيحين مثل فعل محمد بن عبد الله الجوزقي (تـ 388هـ)، ومحمد بن أبي نصر الحميدي (تـ 488هـ)، **وأبي نعيم عبد الله** الحسن بن أحمد بن الحداد (تـ 517هـ)، وعبد الحق الإشبيلي (تـ 581هـ). ومنهم من أفرد ما اتفقا عليه مثل أبي المجد إسماعيل بن هبة الله الموصلي ابن بابطين (تـ 655هـ)، وأحمد بن عبد الرحمن المقدسي الحريري (تـ 758هـ)، ومحمد حبيب الله الجكني الشنقيطي. وآخرون اهتموا برجالهما مثل ابن البيع

والدارقطني ومحمد بن طاهر بن القيسراني (تـ 507هـ) ومحمد بن إسماعيل بن خلفون (تـ 636هـ). ومنهم من تناول غريب حديثهما مثل القاضي عياض وابن الجوزي.

وسوف نستعرض في هذا الفصل جوانب من جهودهما في علوم الحديث وأهميتهما في مجال التدوين والتوثيق وتأثير جهودهما في تطور هذا العلوم.

نبدأ مع محمد بن إسماعيل البخاري.

1. الإمام البخاري (تـ 256)

إمام الحفاظ : شيوخه ورحلته العلمية

إنه إمام الحُفاظ وعميد المحدثين، محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري[1]، قال عنه ابن خزيمة : ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري. وقال هو عن نفسه إنه يحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح.

بدأ سماع الحديث وعمره إحدى عشرة سنة. وحفظ تصانيف عبد الله بن المبارك وهو صبي. وقبل الخامسة عشر من عمره سمع مرويات أئمة بلده مثل محمد بن سلام البيكندي، محدث بخارى وحافظها، وإسماعيل بن جعفر المديني وهشيم بن بشير الواسطي وأبي إسحق الفزاري الذي كانت له مصنفات في كل باب من العلم، ومحمد بن يوسف البيكندي، أستاذه وإمام الحديث فيما وراء النهر، وأبي جعفر محمد بن عبد الله المسندي الجعفي البخاري الذي نقل له سماع الحافظ شعبة وعبد الرزاق. وسمع ببلخ من مكي بن إبراهيم الخراساني التميمي الحنظلي، وبمرو من عبدان بن عثمان وعلي بن الحسن بن ثقيف وصدقة بن الفضل. ثم بدأ رحلة علمية قادته إلى العراق والحجاز والشام، تصحبه أثنائها حافظة خارقة، واجتهاد منقطع النظير.

ويذكر أحد زملائه في الدراسة أنه كان يختلف معه إلى السماع، وكان لا يكتب شيئا، فقيل له في ذلك، فقال لزملائه أن يعرضوا عليه ما كتبوا، فزاد ما كتبوه على خمسة عشر ألف حديث، فأملاها عليهم عن ظهر قلبه، فصاروا يُحكّمون كتبهم على حفظه، واشتهرت أيضا قصته مع أهل بغداد لما امتحنوه بمائة حديث، مقلوبة الأسانيد انتدبوا لها عشرة منهم، فلما انتهوا من عرضها سردها عليهم بأسانيدها الصحيحة.

وفي رحلته العلمية كتب عن أكثر من ألف رجل في الحواضر التي زارها، نذكر بعض مشاهيرهم :

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 555.

لقد سمع ببغداد من عفان بن مسلم الأنصاري البصري، محدث بغداد (تـ 220هـ) رواية شعبة وحماد بن سلمة، ويقول ابن معين : إن أصحاب الحديث خمسة : مالك وابن جريج والثوري وشعبة وعفان[1].

وبالبصرة سمع من أبي عاصم الشيباني النبيل، وهو الضحاك بن مخلد، وروى عن جعفر بن محمد حديثاً واحداً، وسمع ابن جريج. قال أبو داود : إنه كان يحفظ ألف حديث، ولم يحدث إلا من حفظه.

وبالكوفة من عبيد الله بن موسى، وهو الحافظ الثبت، ويقول الذهبي: إنه من كبار العلماء الشيعة. وهو ثقة صندوق عابد، قرأ القرآن على حمزة الزيات، وكان من أثبت الرواة عن إسرائيل. وروى عن هشام بن عروة والثوري وابن جريج والأعمش. وحدّث عنه الجماعة ما عدا أبا داود الذي وصفه بأنه شيعي محترق.

وسمع في رحلته أيضاً بمكة من الإمام المُقْري عبد الله بن أبي زيد العمري العدوي المكي، وقد سمع المقري من ابن عون وأبي حنيفة وشعبة وعبد الرحمن الأفريقي (تـ 213هـ) وحديثه عال في القطيعيات.

وبالمدينة من إسماعيل بن أويس، وأيوب بن سليمان بن بلال، وعبد العزيز الأويسي.

وبدمشق من أبي مسهر الغساني الحافظ، الذي حدّث عن مالك وسعيد بن عبد العزيز وعبد الله بن العلاء بن زيد. وكان ممن امتحنه المأمون، وأكره على الاستجابة في المحنـــة (تـ 210هـ). وسمع من أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الخولاني الحمصي، محدث الشام الذي روى عن صفوان بن عمرو وحرب بن عثمان وأرطاة بن المنذر (212هـ) وعن الأوزاعي.

وحدث عن الفرياني، وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف الضبي، مولاهم، التركي، الذي أخذ عن الأوزاعي والثوري وحرب بن حازم (تـ 212هـ)، كان حافظاً ثبتاً ورعاً، يقول عنه البخاري : إنه من أفضل أهل زمانه.

وبحمص من أبي اليمان، وهو الحكم ابن نافع البهراني الحمصي، سمع من جرير ابن عثمان وصفوان بن عمرو وأرطاة بن المنذر وأبي بكر بن أبي مريم وعقبة بن عبدان

---

(1) واشتهر قوله في مجلس مع أبي المديني وابن أبي شيبة والإمام أحمد، فقال ثلاثة يضعفون في ثلاثة : علي بن المديني في حماد بن زيد، وأحمد في إبراهيم، وابن أبي شيبة في مالك، فقال المديني على وجه المزاح وعفان في شعبة.

وشعيب بن أبي حمزة. وكان من نبلاء الثقات ولم يسمع من شعيب إلا حديثا واحدا، وما سوى ذلك فبالإجازة.

وبعسقلان من آدم بن أبي إياس الخراساني المروزي، ثم العسقلاني، الذي سمع من ابن أبي ذئب وشعبة وإسرائيل والليث. ويقول أحمد بن حنبل : إنه كان من الستة الذين يضبطون الحديث عند شعبة.

وبمصر من سعيد بن أبي مريم، وأحمد بن إشكاب، وأصبغ.

ويقول ابن حجر إن أشياخ البخاري ينحصرون في خمس طبقات، وهم :

1. **الرواة من التابعين :** مثل محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثه عن حميد، ومكي بن إبراهيم البلخي عن يزيد بن أبي عبد الله، وعبيد الله بن موسى وإسماعيل بن أبي خالد.

2. **الطبقة الثانية :** والمعاصرون لهذه الطبقة إلا أنهم لم يسمعوا من ثقات التابعين. ومن هؤلاء آدم بن أبي إياس، وأبو مسهر عبد الله بن مسهر، وسعيد بن أبي مريم وأمثالهم.

3. **الطبقة الثالثة :** وهم من أخذوا عن كبار تابعي التابعين كسليمان بن حرب، وقتيبة بن سعيد، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وابن حنبل، وابن راهويه، وأبي بكر بن أبي شيبة، وأخيه عثمان. وقد شاركه الإمام مسلم في الأخذ عن هذه الطبقة.

4. **الطبقة الرابعة :** وهم نظراؤه في الطلب مثل محمد بن يحيى الذهلي، وأبي حاتم الرازي، ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة، وعبد الرحمن بن حميد، وأحمد بن النضر وجماعة من نظرائهم. وقد أخذ عن هؤلاء ما لم يجد عند غيرهم.

5. **الطبقة الخامسة :** ومن هم في عداد طلبته، كعبد الله بن حماد الإيلي، وعبد الله بن أبي العاص الخوارزمي، وحسين بن محمد القباني. وقد روى عنهم أحاديث يسيرة اعتبارا لما روى عثمان بن أبي شيبة عن وكيع، قال : لن يكون الرجل عالما حتى يحدث عن من هو فوقه، ومن هو مثله، ومن هو دونه.

تلامذته

أخذ عن الإمام البخاري أعلام الشيوخ وكبار المحدثين بما فيهم مسلم والترمذي، ونذكر منهم :

1. **محمد بن نصر المروزي** (294هـ) : شيخ الإسلام، سمع من يحيى بن يحيى التميمي، وابن راهويه، وابن نمير، وهشام بن عمار. وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة. روى عن ابن الشرقي وابن الأخرم[1].

2. **صالح بن محمد جزرة :** شيخ ما وراء النهر (205-293هـ)، أخذ عن علي بن الجعد وابن حنبل وابن معين، وعنه مسلم في غير الصحيح، وقد لقب بجزرة لأنه صحَّف حديثا وردت فيه لفظة الخرزة[2].

3. **الحافظ الكبير محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي الكوفي** (تـ 297هـ)، كان من أوعية العلم، حدّث عنه الطبراني، الذي قال عنه إنه ثقة جبل. وتكلم فيه أبو جعفر العبسي، وهو كلام الأقران، وهو ثقة بعكس العبسي[3].

4. **أبو بكر محمد بن إسحق ابن خزيمة النيسابوري** (223-311هـ) : الحافظ الكبير، إمام الأئمة، سمع من إسحق بن راهويه، ومحمد بن حميد الرازي، ولم يحدث عنهما لصغر سنه. حدث عنه الشيخان خارج صحيحهما. وكان يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ السور. صاحب الدعوة والخلاف والمناظرات مع أبي علي الثقفي، كان يأخذ النكت في الحديث بالمنقاش[4].

5. **أبو قريش، محمد بن جمعة القهستاني الأصم** (تـ 313هـ) : سمع من محمد بن حميد الرازي، وأحمد بن منيع. وروى عنه أبو علي النيسابوري. صنف "المسند الكبير". والمصنف على الأبواب، وحديث مالك وسفيان وشعبة[5].

6. **أبو محمد ابن صاعد يحيى بن محمد بن صاعد** (318هـ)، الإمام الثقة، مولى أبي جعفر المنصور، سمع من لُوَيْن وأحمد بن منيع. حدّث عنه أبو القاسم البغوي والدارقطني. قال أبو علي النيسابوري : لم يكن في أقرانه في العراق مثله في الفتح، وسئل الحجاني : هل ابن صاعد يحفظ فيهم ؟ فقال : لا يقال محمد يحفظ، فإن محمد "يدري"[6].

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 650.

(2) المصدر نفسه، ص 641.

(3) المصدر نفسه، ص 662.

(4) المصدر نفسه، ص 720.

(5) المصدر نفسه، ص 766.

(6) المصدر نفسه، ص 776.

7. **أبو عبد الله المحاملي :** الحسين بن إسماعيل (235-330هـ)، كان في مكانة أبي حاتم الرازي، وكان فقيها، بيته دار ندوة العلماء والمحدثين. تولى قضاء الكوفة ستين سنة. له كتاب "الأمالي"[1].

8. **إبراهيم بن معقل النسفي** (295هـ) : وروايته أيضاً مشهورة، كتب عنها يوسف بن الحسن بن المبرد[2].

9. **الفربري محمد بن يوسف بن مطر بن صالح**، وقد اعتمدت روايته من قبل شراح الصحيح. وقد أخذها عنه الكشميهني، وأخذ الهروي عن الكشميهني[3].

مؤلفاته

بدأ الإمام البخاري في التصنيف قبل الثامنة عشر من عمره بقضايا الصحابة والتابعين في أيامه مع عبيد الله بن موسى الكوفي، وذكروا أنه صنف "التاريخ" بجوار قبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي الليالي المقمرة.

وزيادة على "الجامع الصحيح"، ألف الإمام البخاري مصنفات عدة. وفي العقائد ألف كتبا في التوحيد، واحد منها حول خلق أفعال العباد والرد على الجهمية، وقد طبع في دلهي سنة 1306، بتحقيق شمس الحق عظيم آبادي، وكتاب "العقيدة" أو التوحيد. وعليه "كفاية المقتصد الحميد على خلاصة التوحيد"، تأليف عبد الرحمن بن عبد الله الصعيدي الموتكي، والكتاب الثالث بعنوان "أخبار الصفات". وله مؤلفان في مسائل من الفقه أحدها في رفع اليدين في الصلاة، والثاني حول القراءة خلف الإمام.

وكتب في أحوال الرواة عدة كتب، وهي :

1. "التاريخ الكبير"، وقد طبع في حيدرآباد في أربع مجلدات، وألف ابن أبي حاتم الرازي (327هـ) نقدا له بعنوان "بيان خطإ البخاري في تاريخه".
2. "التاريخ الأوسط"، وهو الأقدم زمنيا، وقد نقل عنه ابن حجر في "الإصابة" و"التهذيب".
3. "التاريخ الصغير"، وقد حققه محمد الجعفري في حيدرآباد وأحمدآباد.

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 824.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 686.

(3) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 15، ص 10.

4. ″التواريخ والأنساب″.

5. كتاب ″الضعفاء الصغير″، طبع في أكرا والاهـآباد.

6. كتاب ″الكنز″، طبع في حيدرآباد.

صحيح البخاري

أما صحيحه الذي طبقت العالم شهرته، فإنه من أعظم ما ألف في الحديث، وعنوانه الكامل : ″الجامع الصحيح المسند من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه″.

أ) مكانته ومقارنته مع صحيح مسلم :

قال الإمام البخاري : كنا عند إسحق بن راهويه، قال : لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقع في قلبه ذلك الوقت أن أقوم بهذا العمل الجليل. ويقول أبو علي الغساني : إنه خرّجه من ستمائة ألف حديث، وإنه قال : لم أخرج منه إلا الصحيح، وما تركت من الصحيح أكثر حتى لا يطول. ولمّا ألفه عرضه على أحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة، إلا في أربعة أحاديث، قال الطفيلي : والقول فيها قول البخاري، فصار هو وصحيح مسلم أوثق مرجع في هذا الفن[1].

وقد اختلف الناس في التفضيل بينهما إلا أن أصحاب الحديث لاحظوا أن الذين انفرد البخاري بالإخراج عنهم دون مسلم أربعمائة وبضع وثلاثون رجلا، تكلموا في ثمانين منهم، وانفرد مسلم بالإخراج عن ستمائة وعشرين رجلا، ضعف منهم مائة وستون وإن الذين انفرد البخاري بهم، وتكلم فيهم قلّت أحاديثهم في الكتاب وليس لواحد منهم نسخة كاملة، إلا ترجمة عكرمة عن ابن عباس، بخلاف مسلم فإنه أخرج أكثر تلك النسخ كأبي الزبير عن جابر، وسهيل ابن أبي صالح عن أبيه، والعلاء بن عبد الرحمن عن أبيه، وحماد بن سلمة عن ثابت.

وأن الذين انفرد البخاري بالرواية عنهم وتكلم فيهم أكثرهم من شيوخه الذين لقيهم وعرفهم، واطلع على أحاديثهم، فميز بين صحيحها وسقيمها، بينما أخرج مسلم

(1) انظر أقوال العلماء في دواعي تأليف البخاري لكتابه ومكانته عند العلماء في مقدمة فتح الباري (هدي الساري)، ص 7.

عمن تقدم في عصره من التابعين وغيرهم. وأن البخاري يخرج من الطبقة الثانية انتقاء ومسلم يخرجها أصولاً.

وهكذا فإن صحيح البخاري صار عمدة المحدثين ومنطلق الباحثين، فكتب عنه عشرات المصنفات في شرحه واستجلاء غوامضه، واختصاره وتسهيل استعماله، والتعريف برجاله، وتصحيح نسخه ورواياته.

ب) شروح صحيح البخاري :

لقد كتب العلماء عن صحيح البخاري نحو سبعين مصنفا، منها شروح جامعة، ومنها مؤلفات اقتصرت على شرح غريبه وتوضيح مشكلاته، وبيان فوائده أو مختصارت مضامينه مع مجموعة من التعاليق والحواشي.

ومن أشهر شروحه الشاملة :

1. "أعلام السنن" للحافظ حمَّد الخطابي (386هـ)، ولعله من أول شروحه[1].
2. "الكواكب الدراري" لمحمد بن يوسف علي الكرماني (786هـ)[2].
3. "فتح الباري" لابن حجر (852هـ)، وهو من أهم شروحه، وسنعود إليه في الكلام على مؤلفه، وله شهرة واسعة[3].
4. "عمدة القارئ" لمحمود بن أحمد بن موسى العيني (855هـ)[4].
5. "إرشاد الساري" لأحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (923هـ)، وهو شرح نفيس ومتداول[5].

والأربعة الأخيرة من هذه الشروح متداولة ومعروفة.

(1) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق ودراسة محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى، نشر مركز إحياء الترتث الإسلامي، سنة 1409هـ.

(2) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لشمس الدين محمد بن يوسف الكرماني (تـ 786هـ) اعتنى به عبد الفتاح أبةو غدة منشورات مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، 1414هـ.

(3) طبع عدة مرات ومنها طبعة دار الكتاب الجديد بالقاهرة، تحقيق السيد أحمد صقر، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1390هـ.

(4) نشر بالقاهرة، دار إحياء الكتب العربية سنة 1392هـ وكذا ببيروت، دار الفكر، 1390هـ.

(5) المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1327هـ.

وتذكر له المصادر شروحا أخرى متعددة مثل :

1. شرح أبي الحسن علي بن خلف القرطبي ابن بطال (449هـ)[1]، وقد طبع أخيراً.

2. شرح مسند البخاري لمحمد بن سعيد الدبيثي الواسطي (627هـ).

3. شرح النووي (676هـ) المعروف بالمقتبسات.

4. التوضيح لشرح الجامع الصحيح لعثمان بن علي بن الملقن (805هـ)، وقد طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر.

5. الكوكب الساري في شرح البخاري لمحمد بن أحمد بن موسي الكفيري (831هـ).

6. شروح أحاديث صحيح البخاري لمحمد بن عمر الصفيري الحلبي (956هـ).

7. بغية السامع والقارئ بشرح صحيح البخاري لجمال الدين أبي يوسف بن عمر حسين العباسي.

8. شرح شيخ الإسلام محمد بن عبد الصمد الدهلوي (تـ بعد 1150هـ).

ومما كتب عن مشكلاته وشرح غريبه ومبهمه :

1. "شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح" لابن مالك، صاحب الألفية، (تـ 672هـ) وهو مصنف فريد من نوعه[2].

2. "العقد الجلي في حل إشكال الجامع الصحيح" لأحمد بن أحمد الكردي (763هـ).

3. "التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح" لمحمد بن بهادر الزركشي (794هـ)، وقد طبع بالقاهرة قديماً.

4. "الإفهام لما في الصحيحين من الإبهام" لعبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني.

5. "التلقيح لفهم الصحيح" لإبراهيم بن محمد، سبط ابن العجمي (841هـ).

---

(1) هكذا ذكرته المصادر دون أن تشير إليه بعنوان معين، وتلك كانت عادة الشراح ؛ إذ يعرف الشرح باسم صاحبه، ولذلك عرف الكتاب بشرح ابن بطال لصحيح البخاري. وقد ذكره ابن بشكوال في الصلة وقال : «رواه الناس عنه»، وقال القاضي عياض في ترتيب المدارك : «... وألف شرحا لكتاب البخاري كبير يتنافس فيه كثير الفائدة». وقد عرف الكتاب عند المتأخرين، فقد ذكره عبد العزيز بنعبد الله في معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى، وذكره الزركلي في الأعلام، وقال منه الجزء الأول والثالث والرابع في الأزهرية والثاني في خزانة القرويين بفاس والخامس والأخير منه في شستربتي 4785، ومنه قطعة مخطوطة في استنبول أولها باب زيادة الإيمان ونقصانه، وذكر في الهامش أن منه نسخة بخزانة القرويين تحت رقم 127/40 (انظر خالد الصمدي، مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، ج 1، ص 297 وما بعدها، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 2006).

(2) تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، منشورات مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1386هـ.

6. "تيسير منهل القاري في تفسير مشكل البخاري" لمحمد بن أحمد بن يوسف الشافعي المنزلي (852هـ).
7. "التوضيح للأوهام الواقعة في الصحيح" لأحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي (884هـ).
8. "فيض الباري في شرح غريب البخاري" لعبد الرحمن بن عبد الرحمن العباسي (963هـ).
9. "كلمات البخاري" للباحث الدكتور يوسف الكتاني مؤلف مدرسة الإمام البخاري.

وعليه من الحواشي والتعاليق :

1. تعليق على البخاري لمحمد بن محمد بن علي النوري (857هـ).
2. "التوشيح على الجامع الصحيح" للسيوطي (911هـ)[1].
3. "تشنيف المسامع ببعض فوائد الجامع" (الحواشي الفريدة) لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف (1036هـ).
4. "حاشية البخاري" لابن زكري.
5. حاشية محمد بن علي السنواني (تـ 1233هـ).
6. "النور الساري على متن مختصر البخاري" لأحمد بن أحمد السجاعي (تـ 1197هـ).

ج) أشهر مختصراته :

1. المختصر النصيح في تهذيب الجامع الصحيح للمهلب بن أبي صفرة الأندلسي (تـ 435هـ)[2].
2. جمع النهاية في بدء الخير والغاية لأبي محمد عبد الله بن سعد بن أبي جمرة الأزدي (تـ 695هـ)[3]. وشرحه بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة ما لها ما عليها، وهو كتاب نفيس ومتداول يقع في مجلدين.
3. التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح لزين الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي[4].

---

(1) تحقيق علاء إبراهيم الأزهري، منشورات دار الكتب العلمية، 2000.

(2) قام بتحقيقه ونشره الأستاذ الشريف ولد ابَّاه، اعتماداً على نسخة قد تكون فريدة في المكتبة الحسنية.

(3) طبع بالقاهرة، مطبعة حسن أحمد الطوخي، سنة 1302هـ.

(4) تحقيق إبراهيم بركة، منشورات دار النفائس ببيروت، 1409هـ.

شرط الإمام البخاري وروايته عن الأفراد :

يقول أبو عبد الله الحاكم إن أقسام الصحيح خمسة :

فالقسم الأول من المتفق عليها : اختيار البخاري ومسلم وهو الدرجة الأولى من الصحيح، مثاله الحديث الذي يرويه الصحابي المشهور برواية عن الرسولﷺ وله راويان ثقتان، ثم يرويه عنه التابعي المشهور بالرواية عن الصحابة وله راويان ثقتان، ثم يرويه عنه من أتباع التابعين الحافظ المتقن المشهور، وله رواة ثقات من الطبقة الرابعة، ثم يكون شيخ البخاري ومسلم حافظا متقنا مشهورا بالعدالة في روايته، فهذه الدرجة الأولى من الصحيح؛ والأحاديث المروية بهذه الشريطة لا يبلغ عددها عشرة آلاف حديث.

والقسم الثاني من الصحيح المتفق عليها : الحديث الصحيح بنقل العدل عن العدل، رواه الثقات الحفاظ إلى الصحابي، وليس لهذا الصحابي إلا راو واحد، ومثاله حديث عروة بن مضرس الطائي أنه قال : «أتيت النبيﷺ وهو بالمزدلفة...» الحديث. وهذا الحديث من أصول الشريعة مقبول متداول بين الفقهاء ورواته كلهم ثقات، ولم يخرجه البخاري ولا مسلم في الصحيحين إذ ليس له راو عن عروة بن مضرس غير الشعبي، وشواهد هذا كثيرة في الصحابة كعمير بن قتادة الليثي ليس له راو غير ابنه عبيد وأسامة بن شريك وقطبة بن مالك على اشتهارهما في الصحابة ليس لهما راو غير زياد بن علاقة وهو من كبار التابعين، ومرداس بن مالك الأسلمي، والمستورد بن شداد الفهري، ودكين المزني كلهم من الصحابة وليس لهم راو غير قيس بن أبي حازم، والشواهد لما ذكرناه كثيرة، ولم يخرج البخاري ومسلم هذا النوع من الصحيح.

والقسم الثالث من الصحيح المتفق عليها : أخبار جماعة من التابعين عن الصحابة والتابعون ثقات إلا أنه ليس لكل واحد منهم إلا الراوي الواحد.

والقسم الرابع من الصحيح المتفق عليها : هذه الأحاديث الأفراد والغرائب التي يرويها الثقات العدول تفرد بها ثقة من الثقات ليس لها طرق مخرجة في الكتب.

والقسم الخامس من الصحيح : أحاديث جماعة من الأئمة عن آبائهم عن أجدادهم، ولم تتوافر الرواية عن آبائهم عن أجدادهم بها إلا عنهم.

قال : وهذه الأقسام مخرجة في كتب الأئمة، محتج بها ولم يخرج في الصحيحين منها حديث لما بيّنا في كل قسم منها[1].

ويرد عليه الحازمي قائلاً : «أما قول الحاكم في القسم الأول إن اختيار البخاري ومسلم إخراج الحديث عن عدلين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهذا غير صحيح طردا وعكساً، بل لو عكس القضية وحكم كان أسلم له، وقد صرح بنحو ما قلت من هو أمكن منه في الحديث وهو أبو حاتم محمد بن حبان البستي. أخبرني أبو المحاسن محمد بن عبد الملك بن علي الهمداني، أنبأنا أبو القاسم المستملي، أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد بن علي، أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزني، حدثنا ابن حبان البستي قال : وأما الأخبار فإنها كلها أخبار الآحاد لأنه ليس يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر من رواية عدلين، روى أحدهما عن عدلين، وكل واحد منهما عن عدلين حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما استحال هذا وبطل ثبت أن الأخبار كلها أخبار الآحاد. ومن اشترط ذلك فقد عمد إلى ترك السنن كلها لعدم وجود السنن إلا من رواية الآحاد. هذا آخر كلام ابن حبان».

«ومن سبر مطالع الأخبار عرف أن ما ذكره ابن حبان أقرب إلى الصواب وأما قوله : إن الموجود المروي من الأحاديث على الوتيرة التي لم تسلم يبلغ قريبا من عشرة آلاف فهذا ظن منه بأنهما لم يخرجا إلا على ما رسم، وليس كذلك فإن أقصى ما يمكن اعتباره في الصحة هو شرط البخاري ولا يوجد في كتابه من النحو الذي أشار إليه إلا القدر اليسير».

«وأما قوله : إن شرط الشيخين إخراج الحديث عن عدلين وهلم جراً، إلى أن يتصل الحديث، فليس كذلك أيضاً لأنهما قد خرّجا في كتابيهما أحاديث جماعة من الصحابة ليس لهم إلا راو واحد، وأحاديث لا تعرف إلا من جهة واحدة، وأنا أذكر من كل نوع أحاديث تدل على نقيض ما ادعاه فمن ذلك :

ـ حديث مرداس الأسلمي : «يذهب الصالحون الأول فالأول»[2] الحديث، وهذا تفرد البخاري بإخراجه ولم يروه غير قيس بن أبي حازم، رواه البخاري عن يحيى ابن

(1) المدخل إلى الإكليل، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ابن البيِّع الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة 504، باب ذكر معرفة الصحيح، ص 3 وما بعدها، منشورات دار الكتب العلمية على هامش كتاب المنار المنيف لابن القيم رحمه الله.

(2) رواه البخاي في كتاب الرقاق.

حماد عن أبي عوانة، عن بيان، عن قيس، عن مرداس وليس لمرداس في كتاب البخاري سوى هذا الحديث. وقد ذكر الحاكم في القسم الثاني مرداس بن مالك الأسلمي وعده فيمن لم يخرج عنه في الصحاح شيء. وهذا الحديث يرد عليه قوله ويبين خطأه».

«ـ ومنها حديث حزن بن أبي وهب المخزومي، خرج عنه البخاري حديثين أحدهما : «قال : جاء سيل في الجاهلية فكسا ما بين الجبلين...»[1]. والثاني : «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : ما اسمك قال حزن، قال أنت سهل...»[2] الحديث. وقد انفرد بهما عنه ابنه المسيب، وعن المسيب ابنه سعيد بن المسيب».

«ـ ومنهم زاهر بن الأسود الأسلمي، خرّج عنه البخاري حديثا واحدا وهو : «إني لأوقد تحت القدور بلحوم الحمر إذ نادى منادي رسول الله صلى الله عليم وسلم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاكم عن لحوم الحمر»[3]، وقد تفرد بالرواية عنه ابنه مجزأة بن زاهر».

«ـ ومنهم عبد الله بن هشام بن زهرة القرشي، أخرج البخاري عنه حديثين أحدهما : «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر، فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي...»[4] الحديث. والثاني عن معبد : «قال : ذهبت به أمه زينب بنت حميد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت يا رسول الله : بايعه، فقال : هو صغير. فمسح رأسه ودعا له...»[5] الحديث. وقد تفرد بالرواية عنه ابن ابنه زهرة بن معبد».

ـ ومنهم عمرو بن تغلب أخرج عنه البخاري حديثين أحدهما : «إني لأعطي الرجل وأدع الرجل...»[6] الحديث. والثاني : «إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوما ينتعلون نعال الشعر...»[7] الحديث. وقد تفرد برواية هذين الحديثين عنه الحسن بن أبي الحسن، ولا يعرف له راو غيره.

---

(1) رواه البخاري في كتاب المناقب.

(2) المصدر نفسه، كتاب الأدب.

(3) المصدر نفسه، كتاب المغازي.

(4) المصدر نفسه، كتاب الأيمان والنذور.

(5) المصدر نفسه، كتاب الشركة.

(6) المصدر نفسه، كتاب الجمعة وكتاب التوحيد.

(7) المصدر نفسه، كتاب الجهاد والسير.

«ومنهم عبد الله بن ثعلبة بن صعير، أخرج عنه البخاري حديثاً واحداً موقوفاً تفرد به «الزهري عنه ولا يعرف له راو غير الزهري».

«ومنهم سنين أبو جميلة السلمي من أنفسهم، أخرج البخاري عنه طرفاً من حديث، ولم يرو عنه غير الزهري من وجه يصح».

«ومنهم أبو سعيد بن المعلى أخرج عنه البخاري حديثاً واحداً، «قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ثم أتيته، فقلت : يا رسول الله إني كنت أصلي...»[1] الحديث، وقد تفرد به عنه حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، ولا رواة عنه غير خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يساف».

«ومنهم أبو عقبة سويد بن النعمان بن مالك بن عامر الأنصاري، وكان من أصحاب الشجرة أخرج عنه البخاري حديثاً واحداً : «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام خيبر حتى إذا كنا بالصهباء، وهي من أدنى خيبر...»[2] الحديث. وقد تفرد به عنه بشير بن يسار».

«ومنهم خولة بنت ثامر، وقد أخرج لها البخاري منفرداً به حديث أبي الأسود عن النعمان بن أبي عياش عن خولة بنت ثامر عن النبي صلى الله عليه وسلم : «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق...»[3] الحديث. قال الدارقطني : ولا تعرف خولة بنت ثامر إلا من هذا الحديث. ولم يرو عنها غير النعمان بن أبي عياش. وهذا اللفظ يشبه لفظ عبيد عن خولة بنت قيس بن قهد، امرأة حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم فإن كانت هي التي روى عنها النعمان بن أبي عياش نسبها إلى ثامر، فالحديث مشهور، وأن كانتا امرأتين فابنة ثامر لم يرو عنها غير النعمان بن أبي عياش.

أهم الإشكالات التي تعترض دارس صحيح البخاري :

لقد لاحظنا في لائحة شروح صحيح البخاري عدة مؤلفات تتحدث عن إشكالات هذا الكتاب، وهي تتعلق في مجملها بخمس مسائل : وهي الإبهام في رجال الإسناد، وتكرار الحديث وتقطيعه، وإخراجه معلقا. وبدء الباب بتراجم خاصة.

أولاً : الإبهام في الإسناد : وجله يتمثل في ذكر أسماء غير منسوبة في بعض المواضع، مما يتطلب البحث عن الراوي المدرج في السند.

(1) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن.

(2) رواه البخاري في كتاب المغازي.

(3) رواه البخاري في كتاب فرض الخمس.

ومن أمثلته : عن أحمد غير منسوب عن يعلى بن عبيد وعثمان بن عمرو وعمرو بن عاصم وعبيد الله بن موسى. ويقول الحاكم : «وهو عندنا أحمد بن إسحق السلمي السرماري. ويذكره أيضا غير منسوب عن عبد الله بن وهب، هل هو أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن أخي عبد الله بن وهب. وهو من الضعفاء أم هو الإمام الثقة أحمد بن صالح المصري الشهير، الذي اتفق أن مقالة النسائي في حقه ليست سوى تحامل لا محل له، أم هو أحمد بن عيسى التستري».

كما أخرج في التوحيد عن أحمد غير منسوب عن محمد بن أبي بكر المقدمي، ويعتقد الكلاباذي أنه أحمد بن يسار بن أيوب المروزي.

وفي غير موضع يروى عن محمد غير منسوب، ومن ذلك ما وقع في أول كتاب التوحيد، ويعتقد الكلاباذي أنه محمد بن يحيى الذهلي، والمعروف أنه قد روى عنه عدة أحاديث دون التصريح باسم شهرته، فنسبه تارة إلى جده، فقال محمد بن عبد الله، وتارة يقول محمد بن خالد نسبة إلى جد أبيه. ولم يعتبر المحدثون هذا النوع من باب التدليس الذي منه أن يوهم أنه سمع ممن لقيه ما لم يسمع منه، وبعضهم يعزو عدم التصريح به إلى ما وقع بينهما في "مسألة اللفظ" المشهورة.

ثانياً : التكرار : مما يلاحظ في صحيح البخاري وجود عدد كثير من الأحاديث المكررة حتى صار المدافعون يدافعون عنه في بيتين طريفين، وهما :

قالوا لمسلم فضل   قلت البخاري أعلى

قالوا المكرر فيه   قلت المكرر أحلى

لكن العلماء المتبصرين نبهوا على أن الإمام البخاري يميز بين الحديث المكرر والحديث المعاد، ولذلك فقد قلّ جدا أن يعيد الحديث كليا بنفس المتن وبنفس الإسناد، بل إنه نبّه على ذلك تلويحا حين قال بعض شراحه ("هدي الساري"، ص 25) : إن في بعض النسخ بعد بابِ قصْر الخُطبة بعرفة، وذكرِ تعجيل الوقوف، قال أبو عبد الله يزاد في هذا الباب حديث مالك عن ابن شهاب، ولكن لا أريد أن أدخل فيه مُعادا.

أما التكرار عنده فإنه يَرِد على صيغ مختلفة، لكل منها معنى خاص بها، فمنها مثلا حديث البيعة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم، فقد أخرجه في كتاب الإيمان عن مسدد عن يحيى عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله؛ وأخرجه في كتاب مواقيت الصلاة عن محمد بن المثنى. وفي كتاب الزكاة عن عبد الله بن يحيى عن أبيه عن إسماعيل. وفي كتاب البيوع عن علي بن عبد الله بن

سفيان عن إسماعيل، وفي كتاب الشروط عن أبي نعيم عن سفيان عن زياد عن علاقة عن جرير، وفي كتاب الأحكام عن يعقوب بن إبراهيم عن هشيم عن يسار عن الشعبي عن جرير. وهكذا فإنه في هذا الحديث كرره بأسانيده عن رواة متعددين مع بعض الزيادة أو النقص في المتن، وفقا للموضوع الذي أورد فيه الحديث واعتبارا لألفاظ الرواة.

ثالثاً : التقطيع : أما مسألة تقطيع الحديث الذي يتضمن جملة من الأحكام، وذكر كل جزء من الحديث في بابه الخاص به، مع الاقتصار على الجزء الذي يناسب أحكام الباب الذي أورد فيه الحديث، وغالبا ما يسوقه كاملا في أحد هذه الأبواب، وربما غيَّر الأسانيد حسب الروايات التي اعتمدها.

يقول الخطيب البغدادي في شأن التقطيع عموماً : «لأصحاب الحديث نسخ مشهورة، كل نسخة منها تشتمل على أحاديث كثيرة، يذكر الراوي إسناد النسخة في المتن الأول، ثم يقول فيما بعده بإسناده إلى آخرها. فمنها نسخة يرويها أبو اليمان الحكم بن نافع عن شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، ونسخة أخرى عن أبي اليمان عن شعيب أيضا عن نافع عن ابن عمر، ونسخة عند يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة، ونسخة عند عبد الرزاق بن همام عن معمر بن راشد عن همام بن منبه عن أبي هريرة.

وسوى هذا نسخ يطول ذكرها، فيجوز لسامعها أن يفرد ما شاء منها بالإسناد المذكور في أول النسخة لأن ذلك بمنزلة الحديث الواحد المتضمن لحكمين لا تعلق لأحدهما بالآخر. فالإسناد هو لكل واحد من الحكمين، ولهذا جاز تقطيع المتن في بابين وأكثر على ما تقدم ذكرنا له»[1].

وفي هذا النص زيادة على بيان جواز إسناد الأحاديث المقطعة فإنه أيضا يلقي الضوء على أن جل كبار المحدثين كانت لديهم كتب يدونون فيها سماعهم ويجيزون لرواتهم أن يحدثوا بها بصيغ السماع المعروفة.

رابعاً : مسألة التعليق : التعليق من القضايا التي استأثرت باهتمام الباحثين في صحيح البخاري؛ وقد أفرد لها الحافظ ابن حجر كتابا مستقلا وصفه بأنه شامل وحافل، وذكر أن من دواعي تصنيفه ما سمعه عن ابن رشيد في ضرورة تناول هذا

---

(1) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص 214. وانظر موقف البغدادي من التقطيع في نفس الكتاب، باب ما جاء في تقطيع المتن الواحد وتفريقه على الأبواب، ص 193 وما بعدها.

الموضوع في كتاب مستقل. كما أنه استعرض أهم جوانبه في فصل خاص، ضمن مقدمته الموسومة بـ "هدي الساري"[1]، نلخص منه ما يلي :

«التعليق هو حذف واحد أو أكثر من أول الإسناد أو حذفه كلياً، وقد يقع في الحديث المرفوع، وفي الموقوف»، وفي بعض الأحيان يأتي بالحديث المرفوع معلقاً في باب، موصولا في باب آخر، وأمثلته كثيرة بينها الحافظ ابن حجر في "هدي الساري" وفي مواضعها مع شرحها. أما الحديث المرفوع الذي لا يرد إلا معلقاً، فإنه يأتي عنده بصيغة الجزم أو بصيغة التمريض.

فالصيغة الأولى تفيد صحته عند من علّقه عنه، ولو لم يكن سمعه منه مباشرة، ومثاله قوله : قال عثمان بن الهيثم : حدثنا عوف، حدثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة رمضان، الحديث... وأخرجه في مواضع أخرى ولم يقل فيها حدثنا عثمان، فيبدو أنه لم يسمعه منه. وربما ذكر في هذا النوع الواسطة بينه وبين من علّق عنه، مثله قوله في "التاريخ" : قال إبراهيم بن موسى : حدثنا هشام بن يوسف وذكر حدثنا عنهم، ثم قال : حدثوني بهذا عن إبراهيم، وقد يكون الحديث المعلق بالجزم صحيحاً على شرط غيره مثل قوله في الطهارة : قالت عائشة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه. وهذا الحديث صحيح على شرط الإمام مسلم وأخرجه في صحيحه. وقد اتّبع نفس المنهج في الأحاديث الموقوفة وفتاوي الصحابة والتابعين، وأكثر ما يروى فيها عن طريق المتابعة»[2].

خامساً : التراجم : ومما يلاحظ في صيغ الإمام البخاري في صحيحه، بدء الباب بعنوان خاص، قد يكون آية من كتاب الله، وقد يكون حديثاً معلقاً، وهذه العناوين عرفت بمصطلح التراجم، وقد درسها العلماء ونبهوا على مقاصدها، حتى قيل إنها تمثل فقه الإمام البخاري. ومع ذلك فإنها كانت مثار بحث لأن منها ما لا تتضح العلاقة بينه وبين الباب الذي يبدأ به. وفي بعض الأحيان لا يرد بعد الترجمة إلا حديث واحد، وفي بعض الأحيان لا يوجد شيء البتة في الباب، وهذا ما أشكل فهمه على كثير من الناس، غير أن أبا الوليد الباجي أعطى تفسيرا استحسنه الحافظ ابن حجر. ونقله عنه في مقدمته (هدي الساري) قال : «وقد أوضح السبب في ذلك الإمام أبو الوليد الباجي المالكي في مقدمة

---

(1) انظر هدي الساري، الفصل الرابع في باب السبب في إيراد البخاري للأحاديث المعلقة، مرفوعة وموقوفة، وشرح أحكام ذلك، ص 17.

(2) انظر تفصيل ذلك في هدي الساري، الفصل الرابع في باب السبب في إيراد البخاري للأحاديث المعلقة، مرفوعة وموقوفة، وشرح أحكام ذلك، ص 17.

كتابه في أسماء رجال قال : أخبرني الهروي قال : حدثنا أبو اسحق المستملي، قال انتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه الفربري، فرأيت فيه أشياء لم تتم، وأشياء مبيضة منها تراجم لم يثبت بعدها شي، ومنها أحاديث لم يترجم لها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض. قال أبو الوليد الباجي : ومما يدل على صحة هذا القول أن رواية أبي إسحق المستملي ورواية أبي محمد السرخسي ورواية أبي الهيثم الكشمهيني ورواية أبي زيد المروزي مختلفة بالتقديم والتأخير، مع أنهم استنسخوا من أصل واحد، وإنما ذلك بحسب ما قدر لكل واحد منهم فيما كان في طرة أو رقعة مضافة، إنه من موضع ما فأضافه إليه. وبين ذلك بأنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث، قال الباجي : وإنما أوردت هذا هنا لما عني بعض أهل بلدنا من طلب معنى يجمع بين الترجمة والحديث الذي يليها، وتكلفهم من ذلك من تعسف التأويل ما لا يسوغ»[1].

وقد اهتم بعض المحدثين بمشكلة التراجم في صحيح البخاري وأفردوا لها كتابات مثل ما فعل ابن رشيد السبتي في كتابه "ترجمان التراجم"[2]. ومحمد بن منظور المغراوي في كتاب "حل أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة"[3].

---

(1) انظر هدي الساري، الفصل الثاني في بيان موضوعه والكشف عن مغزاه فيه، ص 8 وما بعدها.

(2) كتاب "ترجمان التراجم في إبداء وجه مناسبات تراجم صحيح البخاري"، يعتبر في عداد المفقود، ولا نملك منه إلا ما نقل عنه شراح البخاري بعده منه من نصوص كابن حجر الذي قال فيه : «وقفت على مجلد من كتاب اسمه ترجمان التراجم لأبي عبد الله بن رشيد السبتي يشتمل على هذا المقصد وصل فيه إلى كتاب الصيام ولو تم لكان في غاية الإفادة وإنه لكثير الفائدة مع نقصه». قال حاجي خليفة في كشف الظنون : «وهو على أبواب الكتاب ولم يكمله». وقال أبو العباس بن القاضي في درة الحجال : «ترجمان التراجم في إبداء وجه مناسبة تراجم صحيح البخاري لما تحتها مما ترجمت عليه، ويبدو أن موضوع الكتاب لا يخرج عن سياق المؤلفات التي كتبت في هذا الباب قبل ابن رشيد، ككتاب أبي العباس بن رشيق (توفي سنة 646هـ) في تراجم البخاري وشرح ما أشكل منها، وكتاب ابن حمامة المغراوي (توفي سنة 700هـ) حل اعراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة. انظر مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، خالد الصمدي، ج 1، ص 423.

(3) حظيت تراجم البخاري في الجامع الصحيح باهتمام بالغ من لدن المحدثين، حتى قيل "فقه البخاري في تراجمه"، إذ تبدل الصناعة الدقيقة لهذه التراجم من حيث لغتها وإحاطتها بمعاني ما تحتها من النصوص واختصارها على ما أفاء الله به على الإمام البخاري من حكمة ونباهة، وللتأمل في أسرار هذه التراجم ومناسبتها لما يندرج تحتها، أفردها علماؤنا في الغرب الإسلامي بالتأليف، فألف أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب المتوفي سنة 646هـ كتابه المعروف "بتراجم صحيح البخاري ومعاني ما أشكل منها"، وألف محب الدين محمد بن رشيد السبتي المتوفي سنة 721هـ كتابه "ترجمان التراجم في إبداء وجه مناسبة تراجم صحيح البخاري"، ذكر صاحب كشف الطنون أنه لم يكمل، وبين ابن رشيق وابن رشيد، ألف محمد بن منصور بن حمامة المغراوي السجلماسي كتابه الموسوم "بحل أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة"، قال فيه ابن حجر في مقدمة معرض حديثه عن المؤلفات في تراجم البخاري وتكلم على ذلك أيضا بعض المغاربة وهو محمد بن منصور بن حمامة السجلماسي ولم يكثر من ذلك بل جملة ما في كتابه نحو مائة ترجمة وسماه : فك أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة،، وذكره صاحب كشف الظنون وقال : فيه مائة ترجمة، كما ذكره العلامة عبد الله كنون في النبوغ ضمن آثار المغاربة في الحديث والتفسير في عصر المرينيين، انظر مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، خالد الصمدي، ج 1، ص 418.

د) رجال البخاري :

ومع ما أجمع عليه نقاد علوم الحديث من الاعتراف للإمام البخاري من تبصر في انتقاء الصحيح، ونزاهة في الرواية وسعة علم في أحوال الرواة، فإنهم مع ذلك لم يجعلوه مبرءا من الوهم والخطإ، بل إنهم استدركوا عليه ملاحظات منها ما يختص بالرجال الذين روى عنهم، ومنها ما يتعلق بالأحاديث التي رواها.

ومن الذين تجرؤوا على هذا النوع من الانتقاد ابن أبي حاتم الرازي الذي ألف كتابا بعنوان "أخطاء البخاري في التاريخ"، وأبو علي الجياني في كتاب "تقييد المهمل"، فخصّص منه جزءا للأوهام في صحيح البخاري، إلا أن هذه الأوهام تتناول أساساً رواة كتابه. ومن هؤلاء أيضاً أبو الوليد الباجي في كتاب "الجرح والتعديل" الذي وصف مجموعة من رجاله بأنهم مجهولون، مثل أسباط أبي اليسع البصري والحسين بن محمد التميمي الذي قال عنهما أبو حاتم إنهما مجهولان، وإسماعيل بن أبي عيسى، ويقول ابن عدي أنه غير معروف.

كما انتقدوه أيضاً في الرواية عن أهل البدع والأهواء من غلاة الشيعة والنواصب وأهل الإرجاء والخوارج.

لكن هذه الآراء لم تُسلّم من قبل الحفاظ الذين اعتبروا أن كل من روى عنه الإمام لا يمكن وصفه بأنه مجهول لتعمق البخاري في البحث في أحوال هؤلاء الرواة في كتبه في "التاريخ" المتعلقة بهذا الموضوع، ونظرا لقوله : إن لكل حديث عنده قصة. وهذا ما عبر عنه أبو الفضل المقدسي بقوله : «إن كل من روى عنه الإمام البخاري في صحيحه قد جاوز القنطرة».

ولقد أجاب الحافظ ابن حجر عن كل هذه الطعون جملة وتفصيلاً، فأوضح أن منهم من ضُعِّف من قِبل من هو أضعف منه مثل تضعيف الأزدي لأحمد بن شبيب الحيطي، ومنهم من وقع الغلط في تضعيفه باشتباهه براو آخر، وحكى قول الخطيب إن أحمد بن بشير الكوفي اشتبه على الدراوردي براو غيره. وأن منهم من ضُعِّف تحاملاً لا مبرر له مثل طعن النسائي في الحافظ أحمد بن صالح المصري. ومنهم من كان الطعن في روايته بسبب مخالطة السلطان، وهو غير قادح فيمن عرف بالصدق والعدالة، مثل ما هو حال أحمد بن عبد الملك الحراني، ومن ذلك قول أبي داود : أنه لا يروي عن أبي الأشعث العجلي الذي كان يعلم أهل المجون، وذلك أن مُجان البصرة تعودوا أن يصروا الدراهم ويضعوها على الطريق، فإذا مرَّ المارُّ بالصُّرَّة فتطأطأ ليأخذها صاحوا به دعْ، دعْ، فقال لهم أبو الأشعث : صروا صررا من الزجاج فإذا جزتم وصاحوا بكم، اطرحوا

صرر الزجاج وخذوا صرر الدراهم، ومع ذلك فقد وثقه النسائي، وقال أبو حاتم : إنه صالح الحديث.

ثم بيّن ابن حجر أن من صيغ البخاري أن لا يروي عن من اختلف في توثيقه إلا في المتابعات أو الاستشهاد، وساق لذلك مثالا أحمد بن الطيب البغدادي وأحمد بن يزيد الحراني.

أما الذين اعتبروا من المبتدعين، فقد كان الإمام البخاري يتحرى في روايتهم ألا يكونوا من الغلاة الدعاة إلى بدعتهم، وأن يتصفوا بالصدق والأمانة في التحديث وربما بيّن أحوالهم، ومنهم :

1. **المنسوبون للإرجاء :** ومن الذين اتهموا بالإرجاء :

* **أيوب بن عائذ الطائي** : إنه كان يرى الإرجاء، ولكنه صدوق، وله في صحيحه حديث واحد في المغازي تابعه عليه شعبة، وقد روى له مسلم والترمذي. وروى عن شبابة بن سوار المدني الذي قال الإمام أحمد إنه روى عنه قبل أن يعرف قوله بالإرجاء، وقد وثّقه ابن معين وابن المديني وأبو زرعة وابن سعد وعثمان بن أبي شيبة.

2. **الذين اعتبروا من القدرية :** ومن رجاله الذين صنفوا في عداد القدرية مجموعة من الرواة مثل :

* **شبل بن عباد المكي** : وهو من القراء المشهورين، وقد وثّقه ابن معين وأبو داود، ويقول ابن حجر إن في روايته من حديث الإسراء عن أنس مواضيع شاذة.

3. **الرواة من النواصب :** أما من اشتهر بالنصب والحمل على الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فليس منهم إلا قليل، ولم يرو عنهم إلا القليل، مثل :

* **عبد الله بن سالم الأشعري**، فليس له إلا حديث واحد في المزارعة.

4. **الرواة من الخوارج :** وممن روى عنه من الخوارج :

* **عمران بن حطان**، وقد نظر فيه إلى ما قال، لا إلى من قال.

5. **الرواة من الشيعة :** وروى عن مجموعة من الشيعة جلهم ثقات من المحدثين الحفاظ الذين لم ينفرد بالرواية عنهم، ومنهم :

* **جرير بن عبد الحميد**، الضبي الكوفي، محدث الري، أخذ عن منصور، وحصين بن عبد الرحمن والأعمش. كانت إليه الرحلة في الري.

* **سعيد بن كثير بن عفير**، عالم الديار المصرية. أخذ عن مالك والليث وسليمان بن بلال، وروى عنه أحمد. وثّقه ابن عدي وتحامل عليه الجوزجاني.
* **عبد الرزاق** : روى عن ابن جريج والأوزاعي، ولازم معمر بن راشد. وعن أحمد وإسحاق وروى عنه قوله : والله ما انشرح صدري أن أفضل علياً على الشيخين : أبي بكر وعمر.
* **عبيد الله موسى العبسي** : قال أبو داود إنه كان شيعياً محترقاً، وكان أثبت الناس في إسرائيل، روى عن هشام بن عروة والأعمش والثوري وابن جريج والأوزاعي.
* **علي بن الجعد**، الحافظ الثبت المسند، روى عن شعبة وابن أبي ذئب، وعنه أبو داود وأبو زرعة وأبو حاتم وأبو يعلى. وقال ابن معين : إنه أثبت البغداديين في شعبة.

وقد عقد الحافظ ابن حجر فصلاً خاصاً في سياق أسماء من طعن فيه من رجال الصحيح، وبيّن من أخرج عنه في الأصول أو في المتابعات والاجتهادات والتعاليق، وذيّله ببحث خاص لأسباب هذا الطعن، وأتى بردود مجملة ومفصلة على كل الاعتراضات التي وردت في سياق هذا الطعن[1].

هـ) الأحاديث المتكلم فيها :

أما ما يخص الكلام في بعض أحاديثه، فقال ابن الصلاح : «إن الإجماع على تلقي كتاب صحيح البخاري بالتسليم بصحة جميع ما فيه إلا مواضيع يسيرة، انتقدها عليه الدارقطني وغيره». ويقول محي الدين النووي في شرح مقدمة مسلم : «استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلا فيها بشرطيهما، ونزلت عن درجة ما التزماه. وقد ألف الدارقطني في ذلك. ولأبي مسعود الدمشقي أيضاً عليهما استدراك، وكذلك أبو علي الغساني في جزء العلل من التقييد. وقد أجيب على ذلك أو أكثره»[2].

وقد وردت هذه الأجوبة في "هدي الساري" للحافظ ابن حجر[3] الذي استعرض مائة وعشرة أحاديث تكلم فيها الدارقطني، منها ثلاثة وثلاثون اتفق عليها البخاري

(1) انظر الفصل التاسع من هدي الساري، في سياق أسماء من طعن فيه من رجال هذا الكتاب مرتبا على حروف المعجم والجواب عن الاعتراضات موضعا موضعا وتمييز من أخرج له منهم في الأصول أو في المتابعات والاستشهادات، مفصلا لذلك جميعه، ص 383 وما بعدها.

(2) هدي الساري، ص 346.

(3) انظر الفصل الثامن من نفس الكتاب في سياق الأحاديث التي انتقدها عليه أبو الحسن الدارقطني وغيره من النقاد، وإيرادها حديثا حديثا على سياق الكتاب، ص 346 وما بعدها.

ومسلم، وانفرد الإمام البخاري بثمانية وسبعين. وسوف نستعرض فيما بعد الأحاديث التي أخرجها الإمام مسلم. ويقول ابن حجر إن هذه الأحاديث المنتقدة تنقسم إلى ستة أقسام، وهي :

أولاً : ما اختلف الرواة فيه بالزيادة أو النقص من رجال الأسانيد : مثل الحديث الذي اتفقا عليه، وأخرجاه عن ابن جريج عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه وعمه عبد الله بن كعب بن مالك : «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد»[1].

ثانياً : ما يختلف الرواة فيه بتغيير الإسناد : وقد يمكن الجمع بينه، بأن يكون الحديث عند ذلك الراوي على الوجهين جميعا فأخرجهما المصنف، ولم يقتصر على أحدهما، حيث يكون التساوي بين المختلفين في الحفظ والعدد، كما في حديث البخاري عن إسرائيل بن يونس عن أبي اسحق عن الأعمش ومنصور جميعا عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال : «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت والمرسلات»[2]. ولم يتابع إسرائيل عن الأعمش عن علقمة؛ أما منصور فتابعه شيبان عنه. وكذا رواه مغيرة عن إبراهيم.

ثالثاً : ما تفرد ببعض الرواة بزيادة فيه دون من هو أكثر عددا أو أضبط ممن لم يذكرها، وهذا لا يؤثر إلا إذا كانت الزيادة منافية بحيث يمتنع الجمع. أما إذا كانت منافية فإنها تكون كالحديث المستقل، إلا إذا وضح أن الزيادة مدرجة في المتن من كلام بعض الرواة، كما في الحديث المتفق عليه لدى الشيخين لقتادة عن النضر عن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة، "فيمن أعتق شقصا"، وذكر فيه "الاستسعاء" من طريق ابن أبي عروبة وجرير بن أبي حازم. وقد رواه شعبة وهشام دون ذكر الاستسعاء.

رابعاً : ما تفرد به بعض ضعفاء الرواة، وليس في الصحيح منه سوى حديثين، وهما : حديث البخاري في كتاب الجهاد عن أبي بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : «كان للنبي صلى الله عليه وسلم فرس يقال له اللحيف»[3]، وقد تابعه عليه أخوه عبد المهيمن بن العباس، وأبيٌّ ضعفه أحمد وابن معين والنسائي. وروى له الترمذي وابن ماجة.

---

(1) رواه البخاري في كتاب الصلاة.

(2) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق.

(3) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير.

خامساً : ما حكم فيه بالوهم على بعض الرجال، ومنه ما يؤثر قدحاً، ومنه ما ليس بمؤثر، ومن أمثلته ما جاء في حديث زيد بن خالد الجهني، وقول يحيى بن كثير : أخبرني أبو سلمة أيضاً أن عروة أخبره أن أبا أيوب أخبره أنه سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الدارقطني إن هذا وهم لأن أبا أيوب لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما سمعه من أبي بن كعب، وقد أخرجه البخاري من حديث همام على الصواب. ومثله حديث الإمام مالك عن الزهري عن أنس، قال : «كنا نصلي العصر ثم يذهب الذاهب منا إلا قباء، فيأتيهم والشمس مرتفعة»[1]. وقد خالف الجماعة مالك في هذه الرواية، وقالوا : «إلى العوالي»، بدلاً من قباء، ونسب الوهم فيه لمالك، وهو لا يلزم القدح في صحة الحديث.

سادساً : ما اختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن، وهذا أكثره لا يترتب عليه القدح لإمكان الجمع في المختلف من ذلك أو الترجيح؛ مع أن أئمة النقد مثل الدارقطني لم يتعرضوا لاستيفاء ذلك من المتن كما تعرضوا لذلك في الإسناد. ومن أمثلة ذلك ما وقع في حديث جابر في "قصة الجمل ووفاء دينه"، وحديث رافع بن خديج في المخابرة، وحديث أبي هريرة في "قصة ذي اليدين"، وحديث سهل بن سعد في الواهبة نفسها، وحديث أنس في "افتتاح القراءة بالحمد لله رب العالمين"، وحديث ابن عباس في "قصة السائلة عن نذر أمها وأختها".

والحديث عن صحيح البخاري لا يمل، ولا يصح أن يستكمل. إنه الأثر الذي ظل منذ تصنيفه المعين الذي استقى منه جماهير المحدثين، مغترفين من بحاره، ومعترفين بجودته وإتقانه. وإذا كان صحيح الإمام مسلم ينافسه في مكانته ومقامه، فإن الحسم في هذا المضمار قد جاء على لسان القائل : «لولا البخاري لما ذهب مسلم ولما جاء».

أجل، إنه الكتاب الذي ملء دنيا المحدثين، وشغل فكر العلماء والباحثين، فكتبت عنه مئات الكتب، ووضعت عليه عشرات الشروح والحواشي والمختصرات، وخصصت له كراسي في الجامعات والزوايا العتيقة، وما زال إلى يومنا هذا المصدر الأول في علوم الحديث.

و) عادة الاحتفاء بختم صحيح البخاري :

ونختم القول عنه بالحديث عن ختمه، وما صاحبه من تنويه وتقدير وبيان آداب قرائته وختمه. وهو موضوع تناوله الباحثون بالدراسة العلمية، والأدباء بالمدائح

---

(1) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة.

الشعرية. ومما كتب عنه "تحفة القاري عند ختم البخاري" لعبد الله أبي حاتم المقدسي (تـ 888هـ)، و"عمدة القاري والسامع في ختم الصحيح الجامع" تأليف محمد بن عبد الرحمن بن خير الدين الكركي (تـ 912هـ)، و"بداية القاري في ختم صحيح البخاري" تأليف محمد بن سالم الطبلاوي.

وقد كانت مجالس ختم البخاري مناسبات للشعراء يتبارون فيها بقصائد ينشدها أصحابها في حلقات الختم. وقد جرت عادة ملوك المغرب أن يترأسوا هذه الاحتفالات، وأن يجيزوا الشعراء المشاركين في الاحتفاء بالختم. وقد أورد د. يوسف الكتاني مجموعة من هذه القصائد، بدأها بقصيدة ابن أبي جمرة، مؤلف "جمع النهاية"، وفي هذه القصيدة يقول :

هذا البخاري بحمد الله قد خُتِما ... وليس فيه حديثٌ واحد كُتما

لكن قرأناه أبوابا مهذبة ... مملوءة أدبا موفورة حِكَما

وقد قرعنا به الأسماع فانفتحت ... من بعد ما ملئت من قبله صمما

وأصبحت كل عين من بصائرنا ... للحق مبصرة ليست تخاف عمى

هذا الكتاب الذي قد جاء جوهرة ... غلت لها قيمة لما علت قيما

ومنها :

كأن أسطره من عنبر رقمت ... وأن ألفاظه زهرٌ قد انتظما

ما للبخاري نظير في جلالته ... ومثله حافظ قد أمسك القلما

إلى أن يقول :

ومسلم قام في عينيه قبّله ... ولم يدعه البخاري يلثم القدما

هما الإمامان في علم ومعرفة ... كالبحر حين طمى والغيث حين همى

لو قيل من فاق أهل الأرض قاطبة ... في النقل والنقد والتحرير قيل هما

فالله يجزيهما خيرا بما فعلا ... والله يجمعنا يوم اللقا بهما

وفي الأخير نورد القطعة التي أوردها الإمام الذهبي في مدح صحيح البخاري :

صحيح البخاري لو أنصفوه ... لما خط إلا بماء الذهب

هو الفرق بين الهُدى والعمى ... هو السد بين الفتى والعطب

أسانيد مثلُ نجوم السما ... أمام متون كمثل الشُّهب

به قام ميزان دين الرسول ... ودان به العُجْم بعد العَرَب

حجابٌ من النار لا شك فيه تميز بين الرضى والغضب

وسِتْرٌ رقيق إلى المصطفى ونص مبين لكشف الرِّيَب

فيا عالماً أجمع العالمون فضل رتبته في الرتب

سبقتَ الأئمة فيما جمعتَ وفزت على رَغْمهم بالقَصَب

نفيتَ الضعيف من الناقلين ومن كان متهما بالكَذِب

وأبرزتَ في حسن ترتيبه وتبويبه عجباً للعَجَب

فأعطاك مولاك ما تشتهيه وأجزَل حظَّك فِيما وهَبْ

2. الإمام مسلم (204-261هـ)[1]

أ) حياته وشيوخه :

أبو الحسين النيسابوري، الإمام العلم، الذي وقف حياته للحديث، كتب المصنفات المفيدة وسمع من أئمة الحديث في عصره، فكان من شيوخه قرينه الإمام البخاري، كما أخذ عن ابن راهويه، ويحيى بن يحيى التميمي، وعن عبد الله بن مسلمة القعنبي، وقتيبة بن سعيد، وسعيد بن منصور، وعمرو بن سواد، وحرملة بن يحيى، وابني أبي شيبة، إنه مسلم بن الحجاج، زميل الإمام البخاري المتفوق ونده المتميز. بدأ سماعه وهو ابن أربع عشرة سنة، وأخذ علم أهل بلده، وسار على منوال كبار الحفاظ في الرحلات بحثاً عن الحديث حتى جمع منه ثلاثمائة ألف حديث مسموعة، صنف منها صحيحه المسند الذي قال عنه النيسابوري : «ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم»، وهي عبارة قيلت في حق موطإ الإمام مالك، وفي كتاب الإمام البخاري، وهي المؤلفات الثلاثة التي أُجمع على تلقيها بالقبول. وقد أشرنا آنفاً للمقارنة بين الصحيحين وخصائص كل واحد منهما.

وسنتحدث بإيجاز عن شيوخ الإمام مسلم وعن مؤلفاته، وعن صحيحه ورواته.

مشاهير شيوخه :

1. الإمام أحمد بن حنبل، أبو الحسن القشيري النيسابوري، وسنراه في فصل أصحاب المسانيد[2].

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 588.

(2) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 177.

2. يحيى بن يحيى التميمي المنقري النيسابوري (142-226هـ) : يعرف بيحيى الشكاك لتحريه في الرواية، يقول عنه الذهلي : لو أشاء لقلت إنه رئيس المحدثين في الصدق، وقال عنه أحمد : ما أخرجت خراسان مثله. سمع من مالك والليث وزهير بن معاوية وسليمان بن بلال وخارجة بن مصعب، وعنه البخاري ومسلم وإسحق بن راهويه والذهلي[1].

3. القعنبي (تـ 221هـ) : عبد الله بن مسلم بن قعنب، الحافظ المدني نزيل البصرة ثم مكة. سمع أفلح بن حميد وسلمة بن وردان ومالك، ومنه الذهلي وأبو زرعة والشيخان وأبو داوود، وقال أبو زرعة : ما كتبت عن رجل أجل في عيني من القعنبي، وقال ابن معين : ما رأينا أحداً يحدث لله إلا القعنبي ووكيع، قال فيه مالك وقد أخبر بقدومه فقال : قوموا بنا إلى خير أهل الأرض نسلم عليه فقام فسلم عليه[2].

4. سعيد بن منصور، المروزي ثم البلخي، وصاحب السنن، سمع من مالك والليث وابن عون. ومنه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود، ويقول حرب الكرماني : أملى علينا نحواً من عشرة آلاف حديث من حفظه، وأورد له الذهلي حديثاً من الغيلانيات[3].

ب) مؤلفات الإمام مسلم بن الحجاج :

تذكر المصادر للإمام مسلم أربعة عشر مؤلفاً كلها تدور حول الحديث وعلومه، ومن أشهرها مسنده الصحيح الموازي لصحيح البخاري، والذي سنتحدث عنه بعد قليل، وله أيضا "المسند الكبير" المرتب في أسماء الرجال.

أما سائر مصنفاته فهي تتناول الرواة، مثل ما كان من الإمام البخاري وابن المديني.

فقد كتب عن الصحابة، واعتنى بالذين رأوه صلى الله عليه وسلم ولم يرووا عنه. وصنف في أولاد الصحابة، وأفرد مؤلفات لشيوخ الأئمة، فكتب عن رجال عروة بن الزبير، وعن مشائخ سفيان الثوري، وشيوخ الإمام مالك. كما صنف في الأسماء والكنى، وفي أوهام المحدثين، وأفراد الشاميين. وله كتاب "التمييز"، وكتاب "العلل على

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 415.
(2) المصدر نفسه، ج 1، ص 383.
(3) المصدر نفسه، ج 2، ص 416.

النص". وجل هذه المصنفات لم يزل مخطوطا يوجد بعضه في مكتبة الظاهرية في دمشق، وطبع له في حيدرآباد كتاب "المفردات والوحدان"، وله أيضا كتاب في المخضرمين أورد منه أبو عبد الله الحاكم قطعة نسوقها هنا كمثال على عنايته بالتعريف برجال الحديث.

يقول أبو عبد الله الحاكم : [«قرأت بخط مسلم بن الحجاج رحمه الله : ذكر من أدرك الجاهلية ولم يلق النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم أبو عمرو الشيباني، وسعد بن إياس، ومنهم سعد بن غفلة الكندي الذي يكنى أبا أمية، ومنهم شريح بن هانيء الحارثي، ومنهم يُسير بن عمرو ويقال أسير بن عمرو، وأهل البصرة يقولون ابن جابر، ومنهم عمرو بن ميمون الأوَدي ويكنى أبا عبد الله، ومنهم الأسود بن يزيد النخعي ويكنى أبا عمرو، ومنهم الأسود بن هلال المحاربي من ساكني الكوفة، ومنهم المعرور بن سويد، ومنهم عبد خير بن يزيد أبو عمارة، ومنهم شبيل بن عوف الأحمسي، ومنهم مسعود بن حراش، أخو ربعي بن حراش، ومنهم مالك بن عمير، ومنهم أبو عثمان النهدي واسمه عبد الرحمن بن ملٍّ، ومنهم أبو رجاء العطاردي واسمه عمران بن تميم، ومنهم غنيم بن قيس ويكنى أبا العنبر، ومنهم أبو رافع الصائغ، ومنهم أبو الحلال العتكي واسمه ربيعة بن زرارة، ومنهم خالد بن عمير العدوي، ومنهم ثمامة بن حزن القشيري، ومنهم جُبير بن نُفير الحضرمي»[1]. والملاحظ عناية الإمام مسلم بذكر الأسماء والكنى والنسب، لتحقيق الضبط في معرفة هؤلاء الرجال.

ج) المسند الصحيح :

أولاً : منهجه :

أما صحيحه فهو الكتاب المعروف، وقال إنه صنفه في خمس عشرة سنة، ولم يضع فيه إلا ما صح عنده، وما انتقاه من ثلاثمائة ألف حديث، وعدد أحاديثه بدون المكرر نحو من أربعة آلاف حديث، وبالمكرر يربو على سبعة آلاف ومائتين وسبعين حديثا. وقد قسمه على أكثر من خمسين كتابا تتناول نفس المواضيع الواردة في صحيح البخاري، وقد بدأه بكتاب الإيمان، وختمه بكتاب التفسير.

وكان يجمع في كل باب من هذه الكتب روايات الحديث الواحد في مكان واحد، مما جعل صنيعه أقل تعقيدا من منهج البخاري، فقلَّ فيه التعليق والتراجم والتقطيع، واعتذر عن التكرار بقوله : «أنه لا يكرر إلا أن يأتي موضوع لا يستغنى فيه عن ترداد

(1) الحاكم، علوم الحديث، ص 44.

لحديث فيه زيادة معنى، وإسناد يقع إلى جنب إسناد لعلة تكون هناك لأن المعنى الزائد في الحديث يقوم مقام حديث تام، فلابد من إعادة الحديث الذي فيه ما وصفنا من الزيادة، وأن يفصل ذلك المعنى من جملة الحديث على اختصاره إذا أمكن، ولكن تفصيله ربما عسر عن جملته فإعادته بهيئته إذا ضاق ذلك أسلم»[1].

أما منهجه في اختيار الأحاديث فقد بينه في مقدمته التمهيدية التي أوضح فيها أن الأحاديث على ثلاثة أقسام بحسب طبقات رواتها :

فالقسم الأول : ما رواه الحفاظ المتقنون، وخص بالذكر منهم منصور بن المعتمر وسليمان بن مهران الأعمش وإسماعيل بن أبي خالد.

والقسم الثاني : ما رواه المكثرون المتوسطون في الحفظ والإتقان والمتصفون بالصدق والستر مثل عطاء بن السائب ويزيد بن أبي زياد وليث بن أبي سليم.

والقسم الثالث : ما رواه الضعفاء والمتروكون، وقسّمهم إلى نوعين :

النوع الأول : المتهمون، وذكر منهم عبد الله بن مسور، وغياث بن إبراهيم، وعبد القدوس الشامي، وأبو داود النخعي.

النوع الثاني : وهم من انفردوا بروايات غير معروفة عن مشاهير الأئمة[2].

ويعتقد الحاكم والبيهقي أنه لم يذكر إلا القسم الأول، وأن المنية عاجلته قبل ذكر الثاني والثالث. أما هو فيقول : «ليس كل صحيح وضعته هنا، ولكن وضعت ههنا ما أجمع عليه»[3].

ويقول ابن عساكر إنه رتبه على قسمين، وقصد أن يذكر في الأول أحاديث أهل الثقة والإتقان، وفي الثاني أحاديث أهل الستر والصدق". ومما يجنح لهذا القول أنه روى عن اثنين ممن مثل بهما في القسم الثاني، وهما ليث بن أبي سليم القرشي، وهو ممن عرف بالصدق إلا أنه اختلط في آخر عمره فلم يعد ضابطا. وقد روى في الأطعمة عن عبد الله بن إدريس عنه عن أشعث بن أبي الشعثاء، كما روى في نفس الباب عن يزيد بن أبي زياد عن أبي ليلى.

ولكنه لم يرو عن عطاء بن السائب الذي صنفه في هذه الطبقة.

---

(1) انظر مقدمة صحيح مسلم في شرح النووي، ج 1، ص 49.

(2) انظر مقدمة صحيح مسلم في شرح النووي، ج 1، ص 50 وما بعدها.

(3) نفس المصدر.

ويتضح من تبويبه لمقدمته أنه يبني منهجه في التحديث على ست قواعد، وهي :

أ) التحذير من الكذب على رسول اللهﷺ، وأورد في ذلك الحديث المتواتر عند جمهور المحدثين، ألا وهو قولهﷺ : «من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار»[1]، وحديث : «من حدّث عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين»[2].

ب) أن يتجنب الحديث بكل ما سمع، مخافة أن يرتع المحدث حول الحمى، وفي الحديث : «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع». وأنه صلى الله عليه وسلم قال : «سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم وآباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم»[3]. وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص : إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيحدثكم الحديث من الكذب، ولم يعلق على حديثه القائل : إن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان بن داود توشك أن تخرج على الناس فتقرأ على الناس قرآناً[4].

ج) اقتصار المحدث وجوباً على الثقات، وأورد أقوال أئمة التابعين في هذا، فروى عن محمد بن سيرين قوله : «إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم».

د) ضرورة إسناد الحديث لتمييز الخبيث من الطيب، ولأن الإسناد من الدين، ويقول ابن المبارك : «لولا الإسناد لقال كل من شاء ما شاء»، و«بيننا وبينكم القوائم»، يعني الإسناد، و«لابد للأحاديث من أَزِمَّةٍ وخُطُمٍ».

هـ) الكشف عن أحوال الرواة لمعرفة من يوثق به منهم، واجتناب الضعفاء والمتروكين.

و) التنبيه على أغلاط الرواة وتبيان ضوابط الرواية الصحيحة.

وفي القسم الأول من مقدمته بدأ بالشكوى من صنيع أناس نصبوا أنفسهم محدثين، وقذفوا إلى أغبياء العوام أحاديث منكرة، منقولة عن رواة غير مرضيين،

(1) صحيح مسلم، كتاب المقدمة.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

فاستوجب ذلك منه تصحيح الروايات والتعريف بثقات الناقلين، وميزهم من المعاندين من أهل البدع وفقا للأحاديث الواردة في هذا الموضوع.

وذكر عن ابن عباس إعراضه عن حديث بشير بن كعب، وقوله إنه لا يأخذ إلا بما عرف لما ركب الناس الصعب والذلول، أي أنهم استحلوا الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم. وأورد أيضا إنكاره ما عرضه عليه أبو مليكة من قضاء علي بن أبي طالب.

وروى عن الأصمعي عن أبي الزناد عن أبيه قوله : أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمنون ما يؤخذ عنهم. وهو قريب مما روى عن الإمام مالك الذي علله أنهم ليسوا من أهل الشأن.

ويقول الإمام مسلم إنه اعتمد في نقد الرواة خمسة من أئمة الحديث : هم الإمام مالك وشعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي، ثم تناول مجموعة من رواة الضعفاء، وأوضح النقاد الذين حذروا من الأخذ عنهم، منهم الحرث الأعور الذي قال الشعبي إنه كان كذابا، والمغيرة بن سعيد وأبو عبد الرحيم اللذان وصفهما إبراهيم النخعي بأنهما كذابان، وذكرتحذير شعبة من عمرو بن ثابت وقوله إن عمرو بن عبيد كان يكذب في الحديث. وقول أيوب السختياني إن عمرو ابن عبيد روى عن الحسن أنه لا يجلد السكران من النبيذ، وإنه هو سمع من الحسن ضد ما قاله عمرو بن عبيد، وقول ابن المبارك إن عبد القدوس الوخاظي الكلاعي كذاب، وقول قتادة إن أبا داود الأعمى كان يكذب في قوله إنه سمع من زيد بن أرقم والبراء بن عازب. وذكر قول حماد بن سلمة إن صالحا المزني حدث عن ثابت حديثا كذب فيه. وذكر قول يحيى بن سعيد القطان : لم نر في الصالحين شيئاً أكذب منهم في الحديث، يجري الكذب على ألسنتهم ولا يتعمدونه. وذكر أن الحسين بن عمارة حدث عن الحكم بأشياء لا أصل لها، نبه عليها شعبة بن الحجاج وهو معروف بحسن القراءة.

وأورد قول ابن المبارك : «رأيت روح بن غطيف، صاحب الدم والدرهم، وجلست إليه مجلسا، وكنت أستحي من أصحابي أن يروني جالسا معه، كما أورد قول عثمان بن أبي شيبة أن أبا جعفر الهاشمي كان يضع الحديث».

وممن تكلم فيه بقية بن الوليد وقول ابن المبارك عنه : إنه صدوق اللسان لكنه يأخذ عمّن أقبل وأدبر، وأن جابر الجعفي يزعم أنه عنده سبعون ألف حديث، ولكن سفيان الثوري يقول إنه لا يستحل أن يأخذ عنه شيئا، وهو محل خلاف واسع بين المحدثين، وأن أبا عبد الرحمن السلمي يحذر من شقيق العبسي لأنه يرى رأي الخوارج، وأن ابن المبارك حذر من عمرو بن ثابت لأنه يسب السلف.

وفي آخر مقدمته أورد قول مالك إن شعبة الذي يروي عنه ابن أبي ذئب، وأن أبا الحويرث الأنصاري وحمران بن عثمان ومحمد بن عبد الرحمن البياضي الذي يروي عن سعيد بن المسيب، وأن صالحاً مولى التوأمة، أن هؤلاء الخمسة ليسوا بثقات، وقد فُسِّر تضعيفه لصالح مولى التوأمة أنه لقيه بعد ما خرف.

هذه نماذج من تقصي الإمام مسلم في أحوال الرواة، تبرهن على إسهامه الكبير في هذا الفن، وقد عقب عليها بقوله إنه اقتصر على بعض ما قال أهل العلم في أحوال نقلة الدين، وما يقتضيه من نهي وأمر وتحليل وتحريم وترغيب وترهيب. ومن لم يبين ما فيه لمن حمله كان نهاشاً لعوام المسلمين، إذ لا يؤمن على بعض من سمع تلك الأخبار أن يستعملها، ولعل بعضها أكاذيب لا أصل لها، وقد يجمعها من يريد التكثر عند العوام، ولأن يقال ما أكثر مما جمع فلان وألف من العدد. ومن ذهب في العلم على هذا المذهب فلا نصيب له فيه، وكان بأن يسمى جاهلاً أولى من أن ينسب إلى العلم.

وفي آخر مقدمته أثار قضية تقويم الأسانيد، وناقش رأي من لا يقبل الإسناد المعنعن، إذا لم يثبت اللقاء بين الراويين، واستعراضه لهذه القضية قد يوهم أنه طعن في شرط الإمام البخاري الذي يشترط اللقاء بين الرواة، غير أن الإمام مسلماً وصف مخالفه في هذا الرأي وصفاً لا يمكن أن ينطبق على شيخه الإمام البخاري، لأنه قال :

«إنه رأى بعض منتحلي الحديث من أهل عصره، وأنه كان يفضل الإعراض عن ذكره هذا الرأي لإخمال ذكر قائله، ولكنه فضل الكشف عن فساد قوله والإخبار عن سوء رؤيته، وصرح بقوله : «إن اشتراط اللقاء قول مستحدث غير مسبوق، وإن القول المتفق عليه عند أهل العلم إن كل رجل ثقة روى عن مثله حديثاً وممكن له لقاؤه والسماع منه لكونهما جميعاً كانا في عصر واحد، وإن لم يأت في خبر قط أنهما اجتمعا ولا تشافها بكلام، فالرواية ثابتة، والحجة بها لازمة إلا أن تكون هناك دلالة بينة أن هذا الراوي لم يلق من روى عنه، ولم يسمع منه شيئاً، فإما والأمر مبهم على الإنكار الذي فسرنا فالرواية على السماع حتى تكون الدلالة التي بيّنا».

وزاد قائلاً : «إن هذا الشرط جديد في قبول خبر الواحد. فإن قال صاحب هذا القول بإمكان الإرسال في هذا النوع من الأسانيد بين المعاصرين قيل له لزمك على هذا الشرط أن ترد مجموعة من الأحاديث المعنعنة التي لم يرد فيها لفظ للسماع وذكر عدة أمثلة»[1].

---

(1) شرح النووي لصحيح مسلم، كتاب المقدمة.

ثانياً : مقارنة بين شرطه وشرط الإمام البخاري :

ويقول أبو عمرو بن الصلاح :

«شرط مسلم في صحيحه أن يكون الحديث متصل الإسناد، بنقل الثقة عن الثقة، من أوله إلى منتهاه، سالماً من الشذوذ ومن العلة؛ وهذا هو حد الحديث الصحيح في نفس الأمر. فكل حديث اجتمعت فيه هذه الأوصاف فلا خلاف بين أهل الحديث في صحته، وما اختلفوا في صحته من الأحاديث فقد يكون سبب اختلافهم انتفاء وصف من هذه الأوصاف بينهم خلاف في اشتراطه. كما إذا كان بعض رواة الحديث مستوراً أو كما إذا كان الحديث مرسلاً. وقد يكون ذلك هو سبب اختلافهم في صحته وهذا هو الأغلب. وذلك كما إذا كان الحديث في رواية من اختُلف في ثقته، وكونه من شرط الصحيح، فإذا كان الحديث قد تداولته الثقات غير أن في رجاله أبا الزبير المكي مثلاً، أو سهيل بن أبي صالح، أو العلاء بن عبد الرحمن، أو حماد بن سلمة. قالو فيه : هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وليس بصحيح على شرط البخاري، لكون هؤلاء عند مسلم ممن اجتمعت فيهم الأوصاف المعتبرة، ولم يثبت عند البخاري ذلك فيهم. وكذا حال البخاري فيما خرّجه من حديث عكرمة مولى بن عباس، وإسحق بن محمد الفراوي، وعمرو بن مرزوق، وغيرهم ممن احتج بهم البخاري، ولم يحتج بهم مسلم».

«وقرأت بخط الحاكم أبي عبد الله الحافظ في كتابه "المدخل إلى معرفة المستدرك" : أن عدد من أخرجهم البخاري في "الجامع الصحيح" ولم يخرجهم مسلم أربعمائة وأربعة وثلاثون شيخاً، وعدد من احتج بهم مسلم في "المسند الصحيح"، ولم يحتج بهم البخاري في "الجامع الصحيح" ستمائة وخمسة وعشرون شيخاً، وقد روينا عن مسلم في باب صفة صلاة رسول الله ﷺ من صحيحه أنه قال : ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هاهنا، يعني في كتابه الصحيح وإنما وضعت هاهنا ما اجتمعوا عليه».

«وهذا مشكل جداً، فإنه قد وضع فيه أحاديث قد اختلفوا في صحتها لكونها من حديث من ذكرناه، ومن لم نذكره ممن اختلفوا في صحة حديثه، ولم يجمعوا عليه».

«وقد أجبت عليه بجوابين أحدهما : ما ذكرته في كتاب "معرفة علوم الحديث"، وهو أنه أراد بهذا الكلام، والله أعلم، أنه لم يضع في كتابه إلا الأحاديث التي وجد عنده فيها شرائط المجمع عليه إن لم يظهر اجتماعها في بعضها عند بعضهم».

«والثاني : أنه أراد أنه ما وضع فيه ما اختلفت الثقات فيه في نفس الحديث متناً أو إسناداً، ولم يرد ما كان اختلافهم إنما هو في توثيق بعض رواته وهذا هو الظاهر من كلامه فإنه ذكر ذلك لما سئل عن حديث أبي هريرة : "وإذا قرأ فأنصتوا" هل هو

صحيح ؟ فقال : هو عندي صحيح، فقيل له : لم لم تضعه هاهنا ؟ فأجاب بالكلام المذكور، ومع هذا فقد اشتمل كتابه على أحاديث اختلفوا في إسنادها أو متنها عن هذا الشرط لصحتها عنده، وفي ذلك ذهول منه رحمنا الله وإياه عن هذا الشرط، أو سبب آخر، وقد استدركت عليه وعللت، والله أعلم»[1].

ثالثاً : رواته وشراحه :

شروح صحيح مسلم في المغرب[2] :

لقد كان هذا الكتاب محل عناية فائقة من قبل جميع العلماء في كل عصر وقطر، فضبطت رواياته، وتوالت عليه الشروح والتعاليق والحواشي والمختصرات. ونستعرض هنا أهم ما كتب عنه. فمنها :

"المعلم بفوائد مسلم" : لأبي عبد الله محمد بن علي التميمي المازري (453-436هـ بالمهدية)، ولعله من أول شراحه، إذ لم يسبقه إلا ما روي عن عبد الغافر الفارسي الذي يعزى له "المفهم في غريب مسلم"، أو عن أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصفهاني المتوفى سنة 535هـ. وقد صنف القاضي عياض (تـ 544هـ) كتاب "إكمال المعلم بفوائد مسلم"، وتلاه "إكمال الإكمال" لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الليثي اليقوري (دفين مراكش تـ 707هـ)، واثنان بنفس العنوان لأبي القاسم السلاوي، تلميذ ابن عرفة، وأبي عبد الله محمد بن خليفة الأبيّ التونسي (728هـ)، ويقول إن هذا أخذه من المازري وعياض وأحمد بن عمر القرطبي ومحي الدين النووي، وهو مصنف مطبوع ومتداول، وقد نشر أخيرا بعناية العلامة محمد الشاذلي النيفر، وقد صنّف أيضاً محمد بن يوسف السنوسي (892هـ) "مكمل إكمال الإكمال".

وجل هذه المجموعة من الشروح من تصانيف المغاربة الذين يعزى إليهم تفضيل كتاب مسلم على صحيح البخاري. وإذا كانت هذه المقولة ليست صحيحة على الإطلاق، فإننا نلاحظ مع ذلك أن أغلبية الذين كتبوا عن صحيح مسلم هم من المغاربة، فللأندلسيين كتاب "المفصح المفهم والموضح الملهم لمعاني صحيح مسلم"، تأليف أبي عبد الله يحيى بن هشام الأنصاري (تـ 646هـ)، ومعاصره أحمد بن علي القرطبي

---

(1) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، لابن الصلاح، ط دار الغرب الإسلامي، ص 72 وما بعدها.

(2) سيأتي ذكر هذه المؤلفات في بابها في سياق إبراز جهود علماء الغرب الإسلامي في خدمة السنة النبوية، فنعرف بها في حينه.

(تـ 656هـ)، مؤلف الشرح المعروف بعنوان "المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم"[1]. وقبلهم صنف أبو عبد الله الإشبيلي (تـ 522هـ) كتاب "المنهاج في رجال مسلم بن الحجاج"، ولابن أبي الأحوص "المعرب المفهم في شرح صحيح مسلم".

ومن أشهر ما كتب علماء قرطبة عن صحيح مسلم، "تقييد المهمل" لأبي علي الجياني، وخصص جزءاً منه للتنبيه على الأوهام في صحيح مسلم، وقد يظن أن هذه الأوهام منسوبة إلى الإمام نفسه، وهذا ليس صحيحاً، بل إن الكتاب يستعرض الأغلاط الواقعة في بعض الروايات عن الإمام مسلم، مع المقارنة بين نسختي الجلودي وابن ماهان. وأغلب الأوهام التي نبّه عليها توجد في رواية ابن ماهان. وهو كتاب نفيس جداً أفاد شراح الصحيح منه بعده، مثل المازري الذي لم يصرح غالباً بالعزو إليه، بخلاف النووي في منهاجه.

وممن شرحه من المغاربة أيضاً علي بن يوسف بن مروان الغساني الوادآشي (تـ 609هـ) في كتاب "اقتباس السراج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، وأبو الفرج عيسى بن مسعود الزواوي (تـ 744هـ)، وقد اختصره المهدي بن تومرت (تـ 524هـ). وممن شرحه أيضاً أحمد بن عمر القرطبي، وأبو عبد الله بن أبي الفضل المرسي (تـ 655هـ) وأبو علي السريار. وكتب عنه محمد بن عبد الله الموقت المراكشي مختصراً بعنوان "بغية كل مسلم من صحيح مسلم".

ومنهم من جمع الأحاديث التي زاد بها مسلم على البخاري مثل أبي بكر بن بشير العبدري، قاضي شاطبة المتوفى سنة 582هـ. وقد نظمها ابن الرومية في أرجوزة سماها "نظم الدراري فيما تفرد به مسلم عن البخاري".

وقد عني المغاربة كذلك بشرح مقدمته، وغريب ألفاظه، والتعريف برجاله، فمن ذلك كتاب "الإيجاز والبيان في شرح خطبة مسلم" للقاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن الحاج الشهيد سنة 529هـ. كما شرحها أيضاً محمد بن يحيى بن أبي بكر بن خلف بن صاف المراكشي المعروف بابن المواق (تـ 642 هـ). ومن أشهر الكتب التي تناولته "مشارق الأنوار" للقاضي عياض وكتاب "مطالع الأنوار" لابن قرقول (تـ 569هـ)، وكتاب "المعلم برجال البخاري ومسلم" لابن خلفون الأونبي (تـ 636هـ).

كما وضع علماء المغاربة عليه أيضاً مجموعة من التعاليق والحواشي، منها تعليق ابن المشاط وتعليق التاودي بن سوده (تـ 1209هـ) وحاشية أبي المحاسن الفاسي (تـ 1121هـ) وتعليق التهامي بن الحاج المدني (1331هـ).

---

(1) طبع أخيراً بعناية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

وعناية المغاربة بصحيح مسلم لا تعني أن أهل المشرق أهملوا إمامهم الذي قدروه ووصفوه بأنه "مرد كامل بود"، ومعناها بالفارسية : ما أعظم هذا الرجل.

وكان من بين الذين كان لهم السبق في التخريج على صحيحه الحافظ أبو عوانة الاسفرائني (تـ 316هـ)، وتلاه أبو عبد الله الحاكم وأبو نعيم الأصفهاني، وألف بن منجويه (تـ 428هـ) كتابه الشهير في رجاله.

ومن أهم شروحه كتاب "المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج" للحافظ محي الدين النووي (676هـ) الذي كان محل اهتمام من طرف العلماء والمحدثين، فأفرد له عبد الله بن عبد القادر الأنصاري منتخبات مختارة، وعلق عليه النقيب أحمد بن لؤلؤ بكتابه "النكت على المنهاج"، وبعده شرح شمس الدين بن العطار الرازي (تـ 676هـ) المسمى "فضل المنعم في شرح صحيح مسلم"، ثم توالت عليه شروح يحيى بن محمد السنباطي (958هـ) وشرح عبد الرؤوف المناوي (1031هـ). وكتب عنه عبد الغني المقدسي (تـ 600هـ) كتاب "المصباح في عيون الصحاح". وشرح زوائده على البخاري الإمام البلقيني (805هـ)، وخطبته للحافظ القسطلاني (923هـ)، ووضع عليه التعاليق ابن سبط العجمي (841هـ) وعلي بن أحمد السعيدي، وعقّب في ختمه محمد بن عبد الرحمن السخاوي بـ "غيبة المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج"[1].

الرواة عنه :

ومن أشهر من أخذ عن الإمام مسلم :

1. **محمد بن عيسى الترمذي**[2] الذي روى عنه حديثاً واحداً.

2. **محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران السراج أبو العباس** (216-315هـ)[3] : كان ذا مال، وكان يضحي عن النبيﷺ، حدث عنه البخاري ومسلم بشيء يسير خارج الصحيحين، وأبو حاتم الرازي أحد شيوخه.

---

(1) انظر الحديث بتفصيل عن هذه المؤلفات في كتاب صحيح مسلم في الدراسات المغربية لعبد الرزاق الجاي، رسالة مرقونة بكلية الآداب بالرباط، قسم الدراسات الإسلامية، وانظر ما ألف في فقه حديث صحيح مسلم في مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، خالد الصمدي، منشورات وزارة الأوقاف بالمغرب، 6002، في جزئين.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 633.

(3) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 731.

3. **ابن صاعد :** يحيى بن محمد بن صاعد، مولى المنصور (228هـ)[1] سمع لؤي وابن منيع، وعن اليعقوبي والدارقطني : لا نظير له في الدراية والفهم، الحفظ.

4. **أبو عوانة**، يعقوب بن اسحق الإسفرائني النيسابوري الأصل، صاحب الصحيح المسند المخرج على صحيح مسلم.

5. **أبو حامد أحمد بن حمدون الأعمشي الحافظ** (321هـ)[2]، عني بأحاديث الأعمش فنسب إليه. وكان ابن خزيمة يسأله عن أحاديث الأعمش، ويتعجب من حفظه وسرده.

6. **إبراهيم بن محمد بن سفيان أبو اسحق النيسابوري** (308هـ)[3]، لازم الإمام مسلما. وروى عنه صحيحه. ثم روى عنه أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي.

ومن مشاهير رجال سند الإمام مسلم :

1. **أحمد بن محمد بن يحيى، أبو بكر النيسابوري الأشقر** (359هـ)، روى الصحيح عن أحمد بن علي القلانسي، وعن الحاكم وأبي العلاء بن ماهان.

2. **الجلودي النيسابوري**[4] : روى عن ابن سفيان ومحمد بن إسحق بن خزيمة، وصحب أصحاب الشيخ أبي حفص النيسابوري. وكان فقيهاً عارفاً بمذهب سفيان الثوري (368هـ).

3. **عبد الغافر بن محمد الفارسي النيسابوري** (448هـ)[5]، أبو الحسين، كاتب الرحلة. سمع من الجلودي. وقرأ عليه الحافظ الحسن بن السمرقندي صحيح مسلم نيفاً وثلاثين مرة.

4. **محمد بن الفضل الصاعدي النيسابوري الفراوي**[6]، سمع من أبي الحسين الفارسي، وتفرد في وقته برواية صحيح مسلم، ورواية "دلائل النبوة" للبيهقي. ويقال عنه : الفراوي ألف راو.

5. **المؤيد بن محمد بن علي النيسابوري** (أبو الحسن)، سمع صحيح مسلم من الفراوي، وموطأ أبي مصعب، وكانت إليه الرحلة[7].

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 776.
(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 3، ص 806.
(3) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 14، ص 311.
(4) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 16، ص 301.
(5) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 4، ص 1275.
(6) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 19، ص 615.
(7) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 22، ص 104.

6. **أبو عبد الله محمد بن صدقة الحراني**، عرف بابن الوحش (584هـ)، سمع صحيح مسلم من الفراوي. سكن مدرسة بدمشق ووقفها على الحنابلة. وآخر من حدث عنه زين الدين أحمد بن عبد الدائم. روى عنه الحافظ ضياء الدين محمد ومحمد بن سعد الكاتب[1].

7. **محمد بن عبد الله القيسي المراكشي**، سمع صحيح مسلم من أبي علي الغساني (570هـ).

الاستدراكات على الإمام مسلم :

مثل ما سبق أن ذكرنا أن نقاد الحديث لم يضعوا أحداً فوق البحث، ولم يقصروا في بيان ملاحظاتهم حول كتب الصحاح والنظر في مدى تطابق ما أخرجوه في مدوناتهم من الشروط التي وضعوها لاختيار الأحاديث المدونة.

ورأينا في معرض الحديث عن الإمام البخاري ما استدركه الدارقطني وأبو مسعود الدمشقي وأبو علي الغساني عليه، والإمام مسلم شارك البخاري في هذه الانتقادات، فتُكُلِّم في مائة وستين من رجاله. وقيل إنه قطعت منه "يد" أي أربعة عشر حديثاً. وقد خصص لها الرشيد الأويسي القرشي يحيى بن علي العطار مؤلفاً بعنوان "غرر المسائل المجموعة في صحيح مسلم من الأحاديث المقطوعة".

ولا شك أن الردود التي قام بها الحافظ ابن حجر على الانتقادات على الإمام البخاري تنطبق على ما وجه إلى الإمام مسلم من ملاحظات. وهذا ما يشير إليه كتاب ابن الصلاح (643هـ) المسمى "صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط".

والأحاديث التي قيل إنها منقطعة هي التي لم يذكر الإمام مسلم جميع أسماء رواتها في سنده، فمرة يقول وروى الليث بن سعد عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرجمن بن هرمز عن عمير بن عباس أنه سمعه يقول : «أقبلت أنا وعبد الرحمن بن يسار حتى دخلنا على أبي الجهم، وساق حديث تيمم النبيﷺ على جدار ليرد السلام على من سلم عليه». ويقول العراقي إن هذا هو الحديث الوحيد الذي علقه الإمام مسلم دون أن يصله في موضع آخر. ونبه أبو علي الغساني على غلطين في متن هذا الحديث، لأن الذي في السند هو عبد الله بن يسار بدلا من أخيه عبد الرحمن، والذي روى هو أبو الجهيم بن الحارث ابن الصمة الأنصاري وليس أبا الجهم.

---

(1) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 12، ص 193.

وأما الأحاديث الأخرى فهي حديث كعب بن عجرة في كيفية الصلاة على النبيﷺ، وحديث أبي هريرة في عدم السكوت بين القراءة والتكبير، وحديث عائشة في خروجهﷺ ليلاً إلى البقيع، وأحاديث ما وقع بين كعب بن مالك وابن أبي حدرة في قضية الدين، وحديث أبي أسامة أنه إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها، وحديث النهي عن الحكرة، والحديث المشهور عن ابن عمر أن النبيﷺ قال: «أرأيتم ليلتكم هذه، فإنه على رأس مائة سنة لم يبق ممن هو على ظهر الأرض أحد»[1].

ومنها ما روي عن أبي سعيد الخدري، وهو: "لتركبن سنن من قبلكم"، الحديث. ومنها كذلك حديث حدّ المعترف بالزنا، وحديث خير أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم؛ وجل هذه الأحاديث موصول في رواية الجلودي.

ويقول ابن الصلاح إن الإمام مسلماً روى عن جماعة من الضعفاء اعتماداً على كون ما رواه عنهم معروفاً من رواية الثقات.

وممن تفرد مسلم بإخراج حديثه على النحو المذكور عدي بن عميرة الكندي، أخرج مسلم له حديثاً واحداً وهو: «من استعملناه على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه...»[2] الحديث، ولم يرو عنه غير قيس بن أبي حازم، وقد ذكر الحاكم في القسم الثاني المستورد بن شداد الفهري في مفاريد قيس بن أبي حازم، وزعم أنه لم يخرج البخاري ولا مسلم حديثه، ولا حديث من كان على هذا الوزن من المفاريد، وهذا مسلم ابن الحجاج قد خرّج للمستورد حديثين أحدهما من رواية قيس بن أبي حازم قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه ـ وأشار بالسبابة ـ في اليم فلينظر بم ترجع»[3]. والثاني: أخرجه من حديث موسى بن علي عن أبيه علي بن أبي رباح، قال: قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس»[4] الحديث. وقد روى عنه غير واحد من المصريين والشاميين. ومنهم قطبة بن مالك أخرج عنه مسلم حديثاً واحداً، «قال: صليت وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ق والقرآن المجيد[5] الحديث. ولم يرو عنه غير زياد بن علاقة، وقد زعم الحاكم أن قطبة

(1) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة.

(2) صحيح مسلم، كتاب الإمارة.

(3) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

(4) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(5) صحيح مسلم، كتاب الصلاة.

هذا لم يخرج حديثه في الكتابين لما توهمه. ومنهم أبو عبد الله طارق بن أشيم والد أبي مالك. أخرج عنه مسلم حديثين أحدهما، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله...»[1]. الثاني : «كان الرجل إذا أسلم علمه النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة...»[2] الحديث. وقد تفرد بالرواية عنه ابنه أبو مالك سعد بن طارق، ومنهم نبيشة الخير بن عبد الله بن عتاب أخرج عنه مسلم حديثا واحدا في أيام التشريق، وقد أخرج له البرقاني في كتابه المخرج على الصحيحين حديثا في العتيرة، ولم يوجد في أكثر النسخ سوى الحديث الأول وليس له راو سوى أبي المليح عامر بن أسامة.

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان.

(2) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء.

الفصل الثالث : أصحاب السنن والمسانيد

أصحاب السنــن

1. أبو داود (202-275هـ)

أ) حياته العلمية

لنفرق أولاً بين اثنين من كبار المحدثين الذين أسهما بحظ وافر في عملية التدوين، اشتهر كل منهما بهذه الكنية، أولهما أبو داود الطيالسي الحافظ سليمان بن الجارود، مولى آل الزبير[1] ؛ سمع شعبة وهشام الدستوائي وابن عون، وروى عنه بندار والفلاس، الذي قال أنه ما رأى أحفظ منه وكتبت عنه أربعين ألف حديث من حفظه (تـ سنة 204هـ).

والثاني سليمان بن الأشعث الذي نتناوله في هذا الفصل[2]. وقبل الحديث عنه، نذكّر بابنه أبي بكر عبد الله بن سليمان، صاحب التصانيف المشهورة، منها كتاب "المصاحف"، وكتاب "الناسخ والمنسوخ". كما أنه صنف في السنن مثل والده، وقد روى عن أبيه وعن جمع كثير من أعلام عصره كما روى عنه ابن حبان والحاكم وابن شاهين والدارقطني.

كان سليمان بن الأشعث سيد الحفاظ وقال عنه محمد بن إسحق الصاغاني : «لُيِّنَ الحديث لأبي داود كما لُيِّنَ الحديد لداود».

لقد أخذ عن أعلام أئمة الحديث في عصره مثل يحيى بن معين، وابني أبي شيبة، وسعيد بن منصور.

سمع بخراسان من إسحق بن راهويه، ومن قتيبة بن سعيد ببلخ، ومن أحمد بن حنبل ببغداد، وسمع بالكوفة من أحمد بن يونس اليريوعي، وبمكة من سليمان بن حرب وعبد الله بن مسلمة القعنبي، ومن هشام بن عمار بدمشق، وأحمد بن صالح بمصر وغيرهم. طوف البلاد لجمع الأحاديث، وكتب منها خمسمائة ألف حديث، انتخب منها سننه التي قال فيها زكريا الساجي : «إن كتاب الله أصل الإسلام وسنن أبي داود عهد الإسلام».

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 531.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 591.

وروى عنه ابن داسة قوله : «ذكرت في كتابي الصحيح وما يشبهه وما يقاربه وما كان فيه وهن شديد بينته»، ويكفي الإنسان من ذلك أربعة أحاديث : قولهﷺ : «الأعمال بالنيات»، والثاني : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، والثالث : «لا يكون المرء مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، والرابع : «الحلال بين الحرام بين».

ويروي الإمام الذهبي أن بعض الأئمة يقول : كان أبو داود يشبه أحمد بن حنبل في هديه ودلّه وسمته، وكان أحمد يُشبه في ذلك وكيعاً، وكان وكيع يُشبّه بسفيان، وسفيان بمنصور، ومنصور بإبراهيم، وإبراهيم بعلقمة، وعلقمة بابن مسعود. وكان ابن مسعود يُشبّه بالنبي صلى الله عليه وسلم في هديه ودلّه.

لقد حدّث عنه الأئمة بما فيهم الإمام أحمد بن حنبل الذي روى عنه حديث العتيرة؛ كما روى عنه الترمذي والنسائي وأبو عوانة وأبو بشر الدولابي.

ب) منهجه في سننه

لقد أوضح أبو داود منهجه في رسالته المشهورة إلى أهل مكة، والتي يقول لهم فيها :

«بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»،

«سلام عليكم...».

«عافانا الله وإياكم عافية لا مكروه معها ولا عقاب بعدها، فإنكم سألتم أن أذكر لكم الأحاديث التي في كتاب السنن أهي أصح ما عرفت في الباب ؟ ووقفت على جميع ما ذكرتم. فاعلموا أنه كذلك كله إلا أن يكون قد رُوي من وجهين صحيحين فأحدهما أقوم إسناداً والآخر صاحبُه أقدم في الحفظ فربما كتبت ذلك. ولا أرى في كتابي من هذا عشرة أحاديث. ولم أكتب في الباب إلا حديثاً أو حديثين وإن كان في الباب أحاديث صحاح فإنه يكثر وإنما أردت قرب منفعته. وإذا أعدت الحديث في الباب من وجهين أو ثلاثة فإنما هو من زيادة كلام فيه وربما تكون فيه كلمة زيادة على الأحاديث».

«وربما اختصرتُ الحديث الطويل لأني لو كتبته بطوله لم يعلم بعض من سمعه ولا يفهم موضع الفقه منه فاختصرت لذلك».

«وأما المراسيل فقد كان يحتج بها العلماء فيما مضى مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي حتى جاء الشافعي فتكلم فيها وتابعه على ذلك أحمد بن حنبل وغيره رضوان الله عليهم. فإذا لم يكن مسند غير المراسيل ولم يوجد المسند فالمرسل يُحتج به وليس هو مثل المتصل في القوة».

«وليس في كتاب السنن الذي صنفته عن رجل متروك الحديث شيء. وإذا كان فيه حديث منكر بينت أنه منكر وليس على نحوه في الباب غيره. وهذه الأحاديث ليس منها في كتاب ابن المبارك ولا كتاب وكيع إلا الشيء اليسير وعامته في كتاب هؤلاء مراسيل. وفي كتاب السنن من موطأ مالك بن أنس شيء صالح وكذلك من مصنفات حماد بن سلمة وعبد الرزاق. وليس ثلث هذه الكتب فيما أحسبه في كتب جميعهم أعني مصنفات مالك بن أنس وحماد بن سلمة وعبد الرزاق».

«وقد ألفته نسقاً على ما وقع عندي فإن ذُكِر لك عن النبيﷺ سنة ليس مما خرجته فاعلم أنه حديث واه إلا أن يكون في كتابي من طريق آخر فإني لم أخرج الطرق لأنه يكبر على المتعلم. ولا أعرف أحداً جمع على الاستقصاء غيري، وكان الحسن بن علي الخلال قد جمع منه قدر تسعمائة حديث، وذكر أن ابن المبارك قال السنن عن النبيﷺ نحو تسعمائة حديث فقيل له إن أبا يوسف قال هي ألف ومائة، قال ابن المبارك : أبو يوسف يأخذ بتلك الهنات من هنا وهنا».

«وما كان في كتابي من حديث فيه وهن شديد فقد بينته ومنه ما لا يصح سنده. وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح وبعضها أصح من بعض. وهذا لو وضعه غيري لقلت فيه أنا أكثر».

«وأما هذه المسائل مسائل الثوري ومالك والشافعي فهذه الأحاديث أصولها. ويعجبني أن يكتب الرجل مع هذه الكتب مِن رَأْي أصحاب النبيﷺ، ويكتب أيضاً مثل جامع سفيان الثوري فإنه أحسن ما وضع الناس في الجوامع».

«والأحاديث التي وضعتها في كتاب السنن أكثرها مشاهير، وهي عند كل من كتب شيئاً من الحديث إلا أن تمييزها لا يقدر عليه كل الناس والفخر بها أنها مشاهير فإنه لا يحتج بحديث غريب، ولو كان من رواية مالك ويحيى بن سعيد والثقات من أئمة العلم، ولو احتج رجل بحديث غريب وجدت من يطعن فيه، ولا يحتج بالحديث الذي قد أحتج به إذا كان الحديث غريباً شاذاً. فأما الحديث المشهور المتصل الصحيح فليس يقدر أن يرده عليك أحد، وقال إبراهيم النخعي : كانوا يكرهون الغريب من الحديث. وقال يزيد بن أبي حبيب إذا سمعت الحديث فأنشده كما تنشد الضالة فإن عرف، وإلا فدعه».

«وإن من الأحاديث في كتابي السنن ما ليس بمتصل وهو مرسل ومدلس، وهو إذا لم توجد الصحاح عند عامة أهل الحديث على معنى أنه متصل وهو مثل الحسن عن جابر، والحسن عن أبي هريرة، والحكم عن مِقسم، وسماع الحكم من مِقسم أربعة أحاديث».

«وأما أبو إسحاق عن الحارث عن علي، فلم يسمع أبو إسحاق من الحارث إلا أربعة أحاديث، ليس فيها مسند واحد. وأما ما في كتاب السنن من هذا النحو فقليل ولعل

ليس للحارث الأعور في كتاب السنن إلا حديث واحد فإنما كتبته بآخرة. وربما كان في الحديث ما يثبت صحة الحديث منه إذا كان يخفى ذلك علي فربما تركت الحديث إذا لم أفقهه، وربما كتبته وبينته، وربما لم أقف عليه وربما أتوقف عن مثل هذه لأنه ضرر على العامة أن يكشف لهم كل ما كان من هذا الباب فيما مضى من عيوب الحديث لأن علم العامة يقصر عن مثل هذا».

«وعدد كتب هذه السنن ثمانية عشر جزءا مع المراسيل، منها جزء واحد مراسيل، وما روي عن النبيﷺ من المراسيل منها ما لا يصح، ومنها ما هو مسند عن غيره، وهو متصل صحيح. ولعل عدد الذي في كتابي من الأحاديث قدر أربعة آلاف وثمانمائة حديث ونحو ستمائة حديث من المراسيل. فمن أحب أن يميز هذه الأحاديث مع الألفاظ فربما يجيء حديث من طريق وهو عند العامة من طريق الأئمة الذين هم مشهورون غير أنه ربما طلبت اللفظة التي تكون لها معان كثيرة وممن عرفت نقل من جميع هذه الكتب فربما يجيء الإسناد فيعلم من حديث غيره أنه غير متصل ولا يتبينه السامع إلا بأن يعلم الأحاديث وتكون له فيه معرفة فيقف عليه مثل ما يروى عن ابن جريح قال : أخبرت عن الزهري، ويرويه البرساني عن ابن جريح عن الزهري. فالذي يسمع يظن أنه متصل ولا يصح البتة، فإنما تركناه لذلك، هذا لأن أصل الحديث غير متصل ولا يصح وهو حديث معلول ومثل هذا كثير. والذي لا يعلم يقول قد تركنا حديثاً صحيحاً من هذا وجاء بحديث معلول».

«وإنما لم أصنف في كتاب السنن إلا الأحكام ولم أصنف كتب الزهد وفضائل الأعمال وغيرها فهذه الأربعة آلاف والثمانمائة كلها في الأحكام فأما أحاديث كثيرة في الزهد والفضائل وغيرها من غير هذا لم أخرجه».

«والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً وحسبنا الله ونعم الوكيل»(1).

وهذا المنهج يدور على المسائل التالية :

1. أنه يكتب أصح ما عرف في الباب لكنه قلل من الأحاديث لتقريب منفعتها.
2. أنه اقتصر على أحاديث الأحكام. ولذلك قد يختصر الحديث الطويل لبيان موضع الحكم فيه.
3. وقال إنه قد يكرر الحديث إذا كان يتضمن زيادة في المتن أو في الإسناد.

---

(1) انظر رسالة أبي داود إلى أهل مكة في وصف سننه، تاليف ابى داود سليمان بن الاشعث، تحقيق وتعليق محمد بن لطفى الصباغ بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1405هـ.

4. أنه لم يرو عن أحد متروك الحديث، ولم يورد منكراً إلا إذا بيّن ذلك، وما سكت عنه فهو صالح، ويختار أقدم رواية الحديثين الصحيحين.

5. وذكر الأقوال في المراسيل وأن العلماء احتجوا بها ولكن المتصل أقوى منها.

وقال عن كتابه : «وهو كتاب لا ترد عليك سنة عن النبيﷺ بإسناد صالح إلا وهي فيه، إلا أن يكون كلام استخرج من الحديث ولا يكاد يكون هذا. ولا أعلم شيئاً بعد القرآن ألزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب، ولا يضر رجلاً أن لا يكتب من العلم بعد ما يكتب هذه الكتب شيئاً، وإذا نظر فيه وتدبره وتفهمه حينئذ يعلم مقداره».

ج) مجموعة من الأحاديث التي انفرد بها أبو داود

1. عن أبي سعيد الخدري : «من قال رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد رسول الله وجبت له الجنة»[1].

2. عن عبد الله بن معاوية الغاضري : «ثلاث من فعلهن فقد وجد طعم الإيمان، من عبد الله وحده، وعلم أنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه كل عام ولم يعط الهرمة ولا الدرنة ولا المريضة ولا الشَّرط[2] اللئيمة لكن من وسط أموالكم فإن الله لم يسألكم خيره ولم يأمركم بشره»[3].

3. عن أبي سعيد الخدري : أن النبيﷺ مر بغلام يسلخ شاة وما يحسن فقال له : تنح حتى أريك، فأدخل يده بين الجلد واللحم ودحس بها حتى توارت إلى الإبط، ثم مشى فصلى للناس ولم يتوضأ»[4].

4. عن أبي هريرة : «بينما رجل يصلي مسبلاً إزاره قال النبيﷺ : اذهب فتوضأ فذهب فتوضأ ثم جاء، فقال رجل : يا رسول الله مالك أمرته أن يتوضأ ؟ قال : إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره وإن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل إزاره»[5].

5. عن علي بن أبي طالب قال : «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول اللهﷺ يمسح أعلاه»[6].

---

(1) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة.

(2) تعني صغار الحيوان.

(3) المصدر السابق، كتاب الزكاة.

(4) المصدر السابق، كتاب الطهارة.

(5) المصدر السابق، كتاب الصلاة.

(6) المصدر السابق، كتاب الطهارة.

6. عن عبد الله بن فضالة عن أبيه : «علمني رسول اللهﷺ، وكان فيما علمني حافظ على الصلوات الخمس، قلت : إن هذه ساعات لي فيها أشغال فمرني أمر جامع إذا أنا فعلته أجزأ عني، فقال : حافظ على العصرين، وما كانت من لغتنا، قلت : وما العصران ؟ قال : صلوة قبل طلوع الشمس، وصلوة قبل غروبها»[1].

7. عن أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار : «اهتم رسول اللهﷺ للصلاة كيف يجمع الناس لها، فقيل انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها آذن بعضهم بعضا فلم يعجبه ذلك، فذكر له القنع وهو شبور اليهود فلم يعجبه، فقال هذا من أمر اليهود، فذكر له الناقوس، فقال هو من أمر النصارى فانصرف عبد الله بن زيد الأنصاري وهو مهتم لِهَمِّ رسول اللهﷺ فأرى الأذان في منامه فغدا على النبيﷺ فقال إني لبين نائم ويقظان إذ أتاني آت فأراني الأذان، وكان عمر قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوما ثم أخبر النبيﷺ فقال له ما منعك أن تخبرنا ؟ فقال سبقني عبد الله بن زيد فاستحييتُ، فقالﷺ قم : يا بلال فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعل، فأذّن بلال، قال : بعضهم إن الأنصار تزعم لولا أن عبد الله بن زيد كان يومئذ مريضاً لجعلهﷺ مؤذناً»[2].

8. عن أبي هريرة : «الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً»[3].

9. عن أم ورقة بنت نوفل، قلت : يا رسول الله إئذن لي في الغزو معك، أمرّض المرضى، وأداوي الجرحى لعل الله يرزقني الشهادة، فقال لهاﷺ : قري في بيتك فإن الله يرزقك الشهادة، فكانت تسمى الشهيدة، وكانت قرأت القرآن فاستأذنتهﷺ أن تتخذ في دارها مؤذنا فأذن لها وكانت دبّرت غلاما وجارية فقاما إليها بالليل فغماها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا فأصبح عمر فقام في الناس من عنده من هذين علم فليجيء بهما، فأمر بهما

---

(1) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة.

(2) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة.

(3) روى أبو داود في سننه قال : حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن ابن أبي ذئب عن عبد الرحمن بن مهران عن عبد الرحمن ابن سعد عن أبي هريرة عن النبي صلى اللهم عليه وسلم قال : «الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجرا" كتاب الصلاة.

فصلبا فكانا أول مصلوب بالمدينة؛ وكانﷺ يزورها في بيتها وأمرها أن تؤم أهل دارها. قال عبد الرحمن فأنا رأيت مؤذنها شيخاً كبيراً»[1].

10. ابن مسعود : «صلى أربعاً فقيل له عبت على عثمان ثم صلّيتَ أربعاً قال : الخلاف شر».

11. عطاء بن أبي رباح : «اجتمع يوم جمعة ويوم فطر على عهد ابن الزبير، فقال : عيدان اجتمعا في واحد فجمعهما جميعاً فصلاهما ركعتين بكرة ولم يزد عليهما حتى العصر»[2].

(1) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة.

(2) المصدر نفسه.

2. محمد بن عيسى الترمذي (209-279هـ)[1]

تعريفه

الإمام الحافظ، مصنف "الجامع" وكتاب "العلل". كان يضرب به المثل في الحفظ، لقد كان يقرأ عليه الشيخ أربعين حديثا ثم يعيدها عن ظهر قلب.

ولد في بلدة من أعمال ترمذ على نهر جيحون؛ كف بصره في آخر عمره وبقي ضريرا عدة سنين، وهذا ما يلمح له الذهبي في "تذكرة الحفاظ" إذ يروي إنه كانت عنده أجزاء كتب عن بعض الشيوخ.

سمع من كبار الحفاظ مثل قتيبة بن سعيد وأبي مصعب الزهري وإسماعيل بن موسى السدي ومحمود بن غيلان، وتفقه على البخاري، وخلفه في الحفظ والعلم والورع والزهد، وسمع من محمد المثنى وأحمد بن منيع.

وأخذ منه علماء عصره منهم مكحول بن الفضل، وراوي جامعه محمد بن محبوب.

وهو العالم الذي طبقت شهرته عالم أهل الحديث.

وقد امتاز بملاحظاته النقدية حول الأسانيد، وبإضافة أقوال الفقهاء.

وقد أثنى ابن العربي على محتويات كتاب الترمذي ثناءً نظمه القطب القسطلاني في قوله :

أحاديث الرسول جلا الهموم   وبرء المرء من ألم الكلوم

فلا تبغي به أبدا بديلا   وعرّفْ بالصحيح وبالسقيم

وأن الترمذي لما تصدى   لعلم الشرع ماض عن علوم

غدا خضرا نضيرا في المعاني   فأضحى روضه عطر النسيم

فمن جرح وتعديل حواه   ومن علل ومن فقه قديم

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص633.

ومن أثر ومن أسماء قوم	ومن ذكر الكنى لصد فهيم
ومن نسخ ومشتبه الأسامي	ومن فرق ومن جمع قويم
ومن قول الصحاب وتابعيهم	بحل أو بتحريم عميم
ومن نقل عن الفقهاء يعزي	ومن نظم بديع مستقيم
ومن طبقات أعمار تقضت	ومن حلّ لمنغلق عقيم
وقسّم ما روى حسنا صحيحا	غريباً فارتضاه ذوو الفهوم
وفاق مصنفات الناس قدما	وراق فكان كالعقد النظيم

مؤلفاته

ومن أشهر مؤلفاته :

أولاً : كتاب "الأسماء والكنى والتواريخ".

ثانياً : "كتاب الشمائل" :

وقد كتبت عليه عشرات الشروح من أشهرها : "أشراف الوسائل" لأحمد بن حجر الهيثمي (773هـ)، ومنه "مختارات" محمد بن أحمد الخريتي، و"الفوائد الجليلة البهية"، تأليف لمحمد بن قاسم جسوس (1182هـ)، وشرح عبد الرؤوف المناوي (1031هـ) و"المواهب اللدنية"، تأليف إبراهيم الباجوري (تـ 1276هـ).

ثالثاً : "الجامع" :

قال إنه عرض كتابه على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا عنه. وقد قيل إن من في بيته كتاب الترمذي فكأنما في بيته نبي يتكلم. ويقول أبو نصر بن عبد الحق إن جامعه على أربعة أقسام : قسم مقطوع بصحته، وقسم على شرط أبي داوود والنسائي، وقسم أخرجه وأبان عليه، وقسم أبان عنه. فقال : ما أخرجت في كتابي هذا إلا حديثا قد عمل به بعض الفقهاء[1].

(1) قال ابن الصلاح في المقدمة : «كتاب أبي عيسى الترمذي رحمه الله أصل في معرفة الحديث الحسن وهو الذي نوه باسمه وأكثر من ذكره في جامعه ويوجد في متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التي فبله كأحمد بن حنبل والبخاري وغيرهما»، ص 18.

شروح "الجامع الصحيح" :

1. وفي طليعتها "عارضة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي" لأبي بكر بن العربي المعَافري (تـ 543هـ)، وقد طبع عدة مرات[1].
2. شرح الحسن بن مسعود البغوي (تـ 510هـ) يوجد منه قسم في المكتبة المحمدية بالمدينة المنورة.
3. شرح أبي الفتح بن محمد بن سيد الناس اليعمري (736هـ) المسمى النفح الشذي[2]. وأكمله زين الدين العراقي (806هـ). وقد طبعت قطعة من شرح أبي الفتح اليعمري.
4. "شرح علل كتاب الجامع للترمذي"، تأليف عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي (تـ 795هـ)[3].
5. "قوت المغتذي" لجلال الدين السيوطي[4].
6. شرح سراج الدين أحمد السرهندي، طبع في كونيور (1299هـ)[5].
7. "العرف الشذي على جامع الترمذي"، تأليف محمد أنور شاه، طبع بالهند سنة 1349هـ[6].
8. تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي للمباركفوري (تـ 1353هـ) مطبوع[7].

مختصرات جامع الترمذي :

1. مختصر لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الصرصري (716هـ).
2. مختصر لمحمد بن عقيل (726هـ).

شرط الإمام الترمذي

وهو على أربعة أقسام :

القسم الأول : ما وافق فيه الشيخين وهو مجمع على صحته.

(1) منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، 1400هـ.

(2) دراسة وتحقيق عبد الرحمن بن صالح محيي الدين، رسالة دكتوراة بالجامعة الإسلامية، قسم الدراسات العليا سنة 1406هـ، وطبع بدراسة وتحقيق وتعليق أحمد معبد عبد الكريم، منشورات دار العاصمة بالرياض، 1409هـ.

(3) تحقيق ودراسة همام عبد الرحيم سعيد، رسالة دكتوراة، منشورات مكتبة المنار بالزرقاء، الأردن.

(4) اعتنى به علي بن سليمان البجمعوي وسماه نفع قوت المغتذي على جامع الترمذي، منشورات المطبعة الوهبية، 1298هـ.

(5) محمد أنور شاه، المطبع القاسمي. سنة 1342هـ.

(6) تحقيق محمود أحمد شاكر، منشورات مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع.

(7) تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، 1406هـ.

والقسم الثاني : ما وافق فيه شرطي أبي داود والنسائي، وقد حكى ابن منده أن شرطهما إخراج أحاديث لرواة لم يجمع على تركهم، مع صحة الإسناد واتصاله، أي بلا انقطاع ولا إرسال، فيكون هذا القسم من الصحيح، وفيهما ما ترك مسلم والبخاري من الصحيح.

والقسم الثالث : أحاديث أخرجت من غير قطع بصحتها وقد أُبينت.

والقسم الرابع : أبان عنه بقوله ما أخرجت في كتابي إلا حديثا عمل به بعض الفقهاء.

ويذكر الحافظ المباركفوري في مقدمة "تحفة الأحوذي" أنه لا يوجد حديث موضوع في جامع الترمذي ويرد على ما أورده ابن الجوزي، أن فيه ثلاثة وعشرون حديثاً من الموضوعات. وبيّن التحقيق في شأنها استناداً على ما قاله الإمام السيوطي في كتاب "الحسن في الذب عن السنن". واستدل المباركفوري بأن ابن الجوزي ذكر من هذه الموضوعات حديثا في صحيح مسلم، وهو ما رواه من طريق أبي عامر العقدي عن أقلح بن سعيد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «إن طالت بك مدة أوشك أن ترى قوما يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب البقر»[1].

وذكر بأن ابن الجوزي يتساهل كثيرا في القول بالوضع والتضعيف مثل ما يتساهل الحاكم في التحسين والتصحيح.

نماذج من الأحاديث التي انفرد بها الترمذي

1. (عن أنس) رفعه : «النفقة كلها في سبيل الله إلا البناء فلا خير فيه»[2].
2. (أبو سعيد) رفعه : «التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء»[3].
3. (رفاعة بن رافع) : «خرجت مع النبي ﷺ إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون، فقال : يا معشر التجار فاستجابوا ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال : إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق»[4].

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة الجنة ونعيمها وأهلها.

(2) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة وقال حديث غريب.

(3) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب التجارات.

(4) رواه الترمذي في سننه، كتاب البيوع، وقال حديث حسن صحيح.

4. حديث «لا يبيع في سوقنا إلا من قد تفقه في الدين»[1].

5. (عن أبي أمامة) رفعه : «لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا أنزلت ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾»[2].

6. حديث «من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله»[3].

7. حديث أنس" أن النبيﷺ استعار قصعة من قوم فضاعت فضمنها لهم»[4].

8. حديث ابن أبي أوفى «إن الله مع القاضي ما لم يجر، فإذا جار تخلى عنه ولزمه الشيطان»[5].

9. حديث عائشة رفعته : «لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر على أخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع لأهل البيت ولا ظنين في ولاه ولا قرابة»[6]. قال الفزاري : القانع التابع.

10. حديث رافع بن خديج، رفعه : «من زرع في أرض قوم بغير إذنهم فليس له من الزرع شيء وله نفقته»[7].

11. (أبو أمامة) رفعه : أيما امرئ مسلم أعتق امرءاً مسلماً كان فكاكه من النار يجزى كل عضو منه عضوا منه، وأيما أمرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى كل عضو منهما عضوا منه، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزى كل عضو منها عضوا منها»[8].

12. (أبو سعيد) رفعه : إذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله فارفعوا أيديكم»[9].

---

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب الصلاة، وقال حديث حسن غريب.

(2) المصدر نفسه، كتاب البيوع.

(3) المصدر نفسه، كتاب البيوع.

(4) المصدر نفسه، كتاب الأحكام، وقال هذا حديث غير محفوظ.

(5) المصدر نفسه، وقال هذا حديث غريب.

(6) المصدر نفسه، كتاب الشهادات، وقال هذا حديث غريب.

(7) المصدر نفسه، كتاب الأحكام، وقال هذا حديث غريب.

(8) المصدر نفسه، كتاب الأيمان والنذور.

(9) المصدر نفسه، كتاب البر والصلة.

13. (ابن سيرين) صنعت سيفي على سيف سمرة وزعم سمرة أنه صنع سيفه على سيف النبيﷺ وكان حنفياً»[1].

14. (نبشية الخبر) رفعه : «من أكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة»[2].

15. (ابن عباس) رفعه : «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»[3].

16. (أبو هريرة) : «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق له بها»[4].

---

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب الجهاد.

(2) رواه الترمذي في سننه، كتاب الأطعمة وقال حديث حسن غريب.

(3) رواه الترمذي في سننه، كتاب العلم وقال حديث غريب.

(4) رواه الترمذي في سننه، كتاب في كتاب العلم وقال حديث غريب.

3 . ابن ماجه (209-273هـ)[1]

تعريفه

الحافظ محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، صاحب السنن.

سمع من محمد بن عبد الله بن نمير وجبارة بن المغلس وإبراهيم بن المنذر الخزامي وعبد الله بن معاوية وهشام بن عمار ومحمد بن رمح وداود بن رشيد، وابن أبي شيبة وأصحاب الإمام مالك والليث بن سعد.

ارتحل لكتابة الحديث وتحصيله إلى الري والبصرة والكوفة وبغداد وإلى الشام ومصر والحجاز. وروى عنه محمد بن عيسى الأبهري وأحمد بن محمد بن حكيم وأبو الحسن القطان.

عرض سننه على أبي زرعة الرازي فاستحسنها، وقال إنه لم يخطئ إلا في ثلاثة أحاديث. وروى عن ابن أبي زرعة لما نظر في سننه قوله : أظن إن وقع هذا في أيدي الناس تعطلت هذه الجوامع أو أكثرها ؛ ثم قال : لعله لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً مما فيه ضعف.

وفي كتاب "العلل" لأبي حاتم أن فيه أحاديث كثيرة باطلة.

وفي "حاشية" النسائي أن ابن ماجه قد انفرد بأحاديث عن رجال متهمين بالكذب والوضع وبعض تلك الأحاديث لا تعرف إلا من جهتهم مثل حبيب بن أبي حبيب[2]، كاتب مالك، والعلاء بن زيد وداوود بن النجم وعبد الوهاب بن الضحاك[3] وابن زياد السكوني.

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 636.

(2) كاتب مالك هو حبيب بن زريق أبو محمد المصري، يتهم بوضع الحديث. قال ابن بكير : شر العرض عن مالك عرضه. وقال ابن معين أنه ليس بشيء. وقال أحمد إنه ليس بثقة، وقال النسائي : إنه متروك الحديث، وقال ابن عدي : أحاديثه كلها موضوعة عن مالك وعن غيره. قال مرة إن حديثه موضوع المتن، مقلوب الأسانيد ولا يحتشم في وضع الحديث عن الثقات وأمره بين في الكذابين.

(3) عبد الوهاب بن الضحاك الحمصي، قال البخاري عنده عجائب، وقال السعدي قدم وحشى، فأراح الناس، وكان البغداديون يلعنونه، قال عبدان فمنعتهم.

شروح السنن

ومن شروحه :

1. "الإعلام بسنته عليه السلام" لعلاء الدين مغلطاي بن قليج (762هـ)[1].
2. "مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة" لأبي بكر الكتاني البوصيري (840هـ)[3].
3. "مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجة"، لجلال الدين السيوطي، طبع في القاهرة سنة 1299هـ.
4. "ما تدعو إليه الحاجة على سنن ابن ماجة" لمحمد بن حسن الزبيدي (913هـ)[2].
5. "كفاية الحاجة في شرح ابن ماجة"، لأبي الحسن بن عبد الهادي السندي (1136هـ)، طبع القاهرة، 1313هـ.
6. "إنجاح الحاجة"، تأليف عبد الغني الدهلوي، طبع في دلهي سنة 1282هـ.
7. "إتحاف ذي التشوف والحاجة، إلى قراءة سنن ابن ماجة"، تأليف محمد بن عبد الصمد كنون، طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب.

ومن الأحاديث التي انفرد بها

1. حديث عن عقبة بن عامر، رفعه : «المسلم أخو المسلم لا يحل لمسلم باع من أخيه بيعاً فيه عيب إلا بينه له»[4].
2. حديث عقبة بن عامر، رفعه : «أيما رجل باع بيعاً من رجلين فهو للأول منهما»[5].
3. حديث عمر، رفعه : «من احتكر على المسلمين طعاماً ضربه الله بالجذام والإفلاس»[6].

---

(1) تحقيق كامل عويضة، منشورات مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة، سنة 1999.

(2) مخطوط نسخة في دار الكتب المصرية برقم 2424 بخط المؤلف، وأخرى ببرلين، انظر فهرس الشامل، 1347/3.

(3) طبع بتحقيق وتعليق محمد المتقي الكشناوي، طبعة دار العربية، بيروت، 1403هـ.

(4) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب التجارات.

(5) المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه.

4. حديث ابن عمر وعائشة، رفعاه : «من طلب حقا فليطلبه في عفاف واف أو غير واف»[1].

5. حديث علي، «كان آخر كلام رسول الله ﷺ الصلاة وما ملكت أيمانكم»[2].

6. حديث ابن عمرو بن العاص، رفعه : «لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم المولدون وأبناء سبايا الأمم، فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا»[3].

7. حديث معاذ بن أنس، رفعه : «من علم علما فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل»[4].

8. حديث أبو الصلت الهروي، حدثنا علي الرضى بن موسى عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان»[5] قال أبو الصلت : لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لبرئ.

9. حديث الشافعي، «سئل عن حديث يرشّ من بول الغلام ويغسل من بول الجارية الماءان جميعا واحد، قال : لأن بول الغلام من الماء والطين. بول الجارية من اللحم والدم، ثم قال للسائل : فهمت ؟ قال : لا، قال : إن الله لما خلق آدم خلقت حواء من ضلعه القصير، فصار بول الغلام من الماء والطين، وصار بول الجارية من اللحم والدم، ثم قال : فهمت ؟ قال : نعم، قال : نفعك الله به»[6].

10. حديث أبي هريرة : «رأيت النبي ﷺ حامل الحسين ابن علي على عاتقه ولعابه يسيل عليه»[7].

11. حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص، «أن النبي ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ، فقال : ما هذا السرف، فقال : أفي الوضوء سرف ؟ قال : نعم، وإن كنت على نهر جار»[8].

---

(1) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الأحكام.

(2) المصدر نفسه، كتاب الوصايا.

(3) المصدر نفسه، كتاب المقدمة.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه، كتاب الطهارة وسننها.

(7) المصدر نفسه.

(8) المصدر نفسه.

12. حديث سعد مؤذن النبيﷺ، «أنهﷺ أمر بلالا أن يجعل إصبعيه في أذنيه وقال إنه أرفع لصوتك»[1].

13. حديث أبي سعيد، «اجتمع ثلاثون بدريا من أصحاب النبيﷺ فقالوا : تعالوا نقيس قراءة رسول اللهﷺ فيما لم يجهر به من الصلاة فما اختلف منهم رجلان، فقاسوا قراءته في الركعة الأولى من الظهر بقدر ثلاثين آية وفي الركعة الأخرى قدر النصف من ذلك، وقاسوا ذلك في العصر على قدر النصف من الركعتين الأخريين من الظهر»[2].

---

(1) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الأذان والسنة فيه.

(2) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها.

4. النسائي (215-303هـ)[1]

أ) تعريفه ومؤلفاته

هو الحافظ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي. لزم قتيبة بن سعيد في أول سماعه وإسحق بن راهويه وهشام بن عمار وعلي بن حجر (تـ 244هـ) وأحمد بن منيع البغوي وعثمان بن أبي شيبة ومحمود بن غيلان المروزي، ودحيم الشامي، ومحمد بن الطلاس البصري (249هـ) وأبا بكر محمد بن العلاء الهمذاني، محدث الكوفة (248هـ)، وشيخ الإسلام عبد الله بن سعيد الأشج (257هـ)، محدث الكوفة، وهنّاد بن السري الكوفي، وعبد الله بن عبد العظيم البصري، وعمر بن عثمان الحمصي (250هـ)، وهشام بن عبد الملك، محدث حمص (251هـ). وقد روى عن أقرانه مثل أبي داود وعبد الله بن أحمد بن حنبل.

حدَّث عنه أبو بشر الدولابي، وأبو علي الحسين بن محمد النيسابوري، وأبو القاسم الطبراني، ومحمد بن معاوية بن الأحمر الأندلسي.

ألف في فضائل الإمام علي بن أبي طالب لما زار دمشق ووجد أهل الشام ما زالوا منحرفين عن الإمام علي. وألف بعد ذلك في فضائل الشيخين، وسئل لمَ لمْ يؤلف في فضائل معاوية ؟ فقال : أي شيء، أخرج ؟ حديث «اللهم لا تشبع بطنه».

ويقول الذهبي : ولعلّ هذه منقبة معاوية لقول النبيﷺ : «اللهم من لعنته أو شتمته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة». وقد كان موقفه من معاوية سبباً في وفاته لما أهين وأوذي حين سخر من المفاضلة بين معاوية وعلي بن أبي طالب، ويتهم الذهبي الخوارج بقتله.

قال الدارقطني إنه مقدم على من يذكر بهذا العلم من أهل عصره. وذكر أن أبا بكر بن الحداد الشافعي كان كثير الحديث ولم يكن يحدث عن غير النسائي، وقال : رضيت به حجة بيني وبين الله.

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 698.

وقد كتب في الضعفاء وقيل إن شروطه في التعديل ربما كانت أشد من شرط البخاري، إلا أنه أُخذ عليه تحامله على أحمد بن صالح المصري.

كان صبوراً على البحث، حيث أخذ رواية قتيبة عن أبي لهيعة ترجمة، ترجمة.

ب) مؤلفاته

ومن أشهرها كتاب السنن :

وينبغي التنبيه على أن له "السنن الصغرى" وهي التي تعرف بـ "المجتبى"، والكبرى، وفي العادة يكون العزو للصغرى. وقد شرحها السيوطي بكتاب "زهر الربى على المجتبى"، وحاشيته لأبي الحسن محمد بن عبد الهادي السندي (1136هـ)، و"روض الربى في ترجمة المجتبى"، تأليف مولودي وحيد الزمان. وكتاب "**الخصائص في فضل علي بن أبي طالب**"، طبع في القاهرة. وله "كتاب **الضعفاء والمتروكين**"، طبع في حيدرآباد، وطبع قديماً مع "الضعفاء الصغير" للبخاري، ويتضمن خمساً وسبعين ترجمة، وألحق به كتاب "الطبقات". وكتاب "**تسمية فقهاء الأمصار من أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم من أهل المدينة**"، مخطوط. وكتاب "**من لم يرو عنه غير رجل واحد**". وكتاب "**التعبير**" : طبع أخيراً. وكتاب "**عمل اليوم والليلة**" : وقد طبع بتحقيق الدكتور فاروق حمادة مع دراسة ضافية حول المؤلف[1]. وكتاب "**ذكر من حدث عن ابن أبي عروبة**"، ولم يسمع منه. وكتاب "**الكنى**"، وقد رتبه وبوّبه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج القاضي القرطبي (تـ 380هـ)، لأن النسائي اختار له ترتيباً غير شائع. وقد سماه ابن خير "الأسماء والكنى"، وهو في عداد الكتب المفقودة الآن. وقد وصفه السخاوي وصف مطلع، ونقل منه الزيلعي.

وله من المسانيد : "مسند علي بن أبي طالب" من الصحابة، ومسانيد عن أئمة الحديث وهي : مسند حديث مالك بن أنس، وحديث الزهري بعلله والكلام عليه، وحديث

(1) عمل اليوم والليلة للإمام النسائي، دراسة وتحقيق الدكتور فاروق حمادة، دكتوراه دولة بإشراف الدكتور عباس عبد الله الجراري، الرباط، دار الحديث الحسنية، 1978، منشورات مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1406.

شعبة بن الحجاج، وحديث سفيان بن سعيد الثوري، وحديث شعبة وسفيان، ومفردات كل واحد منهما. وهو كتاب "الأغراب"، ومسند حديث ابن جريج، وحديث يحيى بن سعيد القطان، وحديث فضيل بن عياض المكي (تـ 187هـ)، وداود الطائي الكوفي (165هـ) ومفضل بن مهلهل الطبري الكوفي (162هـ).

وله كتاب "فضائل الصحابة"، مطبوع[1].

ج) كتاب "السنن" للنسائي

يجدر بنا أولاً أن نذكر أن كتاب "سنن النسائي" ورد في نسختين : "السنن الكبرى"، والتي هي الكتاب الأصلي، وتعرف في بعض المصادر بـ "المصنف"، كما سميت أيضاً بـ "ديوان النماء". ويروى أنه لما ألفه قدّمه لأمير الرملة، فسأله هل كل ما فيه صحيح ؟ فقال : لا، فسأله الأمير أن يميز الصحيح، فجرّده في "السنن الصغرى" المعروفة أيضاً بـ "المجتبى" (وبعضهم يقول "المجتنى").

و"الكبرى" هي المعروفة في الأندلس، ومن أشهر رواته محمد بن معاوية المعروف بابن الأحمر (تـ 358هـ). وله رحلة إلى المشرق التقى فيها بالنسائي وأخذ عنه، وقد قيل إنه كان يتاجر في الهند، فغرقت أمواله فعاد فقيراً في المال، غنياً بالعلم. وهو أول من أدخل كتاب النسائي إلى الأندلس، وانتشرت روايته على يد مجموعة من المحدثين منهم محمد بن قاسم بن سيار البياني القرطبي الذي أخذ عن أبيه وعن بقي بن مخلد وابن وضاح والنسائي. وعنه أبو محمد الباجي الذي جمع بين روايته ورواية ابن الأحمر.

أما "السنن الصغرى" فهي المعروفة في المشرق، وهي من رواية الحافظ أبي بكر بن السني الدينوري (تـ 364هـ) وهو من أشهر تلاميذ النسائي، ولم تعرف "السنن الصغرى" إلا من روايته، حتى قيل إنها من تأليفه؛ وهذا ما ذكره الذهبي وتابعه عليه ابن ناصر الدين، إلا أن الدكتور فاروق حماده ردّ هذا الرأي وساق أدلة موثوقة تبين أن "المجتبى" ليس إلا اختصاراً "للسنن الكبرى" منها ما سبق ذكره عن الرواية المذكورة في تقديمه لأمير الرملة.

---

(1) تحقيق الدكتور فاروق حمادة، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1984.

وفي ″السنن الكبرى″ زيادات ليست موجودة في ″المجتبى″ منها : كتاب السيّر والمناقب، والبعوث والطب والفرائض، والوليمة وفضائل القرآن، وبعض الكتب المستقلة التي ضمت إليها مثل ″التعبير″ وفضائل الإمام علي بن أبي طالب، ولكن توجد في ″الصغرى″ بعض الأبواب ليست في ″الكبرى″ مثل كتاب الآيات وشرائعه، وكتاب ″الصلح″. وقد قيل إنه : يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر.

د) منهج النسائي

يقول النسائي : «أفاء الله عز وجل علم رسول اللهﷺ على ثلاثة : شعبة بن الحجاج، ويحيى بن سعيد القطان، ومالك بن أنس ؛ والثوري إمام إلا أنه كان يروي عن الضعفاء، وما أحد عندي من التابعين أنبل من مالك بن أنس، ولا أحد آمن على الحديث من هؤلاء الثلاثة ولا أقل رواية عن الضعفاء منهم»[1].

وذكر ابن الصلاح أنه سمع محمد بن سعد الباوردي بمصر يقول «كان من مذهب أبي عبد الرحمن النسائي أن يخرج عن كل من لم يجمع على تركه، وقال ابن منده ومثله أبو داود»[2].

وينبه د. فاروق حماده أن قوله : «كل من لم يجمع على تركه» مذهب متبع، وأن الحافظ ابن حجر حاول أن يلتمس مخرجاً للنسائي الذي عرف بتشدده. وقال : إذا كان ذلك إجماع خاص، وذلك أن كل طبقة من طبقات نقاد الحديث لا تخلو من متشدد ومتوسط. فمن الأولى شعبة والثوري، وشعبة أشد منه، ومن الثانية يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى أشد من ابن مهدي، ومن الثالثة يحيى بن معين وابن حنبل، ويحيى أشد من ابن حنبل، ومن الرابعة أبو حاتم الرازي والبخاري، وأبو حاتم أشد من البخاري، فقال النسائي لا يترك الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه. فإذا وثقه ابن مهدي وضعفه يحيى القطان لا يترك لما عرف من تشدد يحيى ومن هو مثله في النقل.

(1) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، ابن عبد البر، ص 31، منشورات مكتبه القدسي، القاهرة سنة 1350هـ، باب قول أحمد بن شعيب النسائي فيه حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد قال نا محمد بن معاوية بن عبد الرحمن وحدثنا خلف بن القاسم بن سهل قال نا الحسن بن رشيق قالا جميعاً سمعنا أبا عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي يقول أمناء الله عز وجل على علم رسوله عليه السلام شعبة بن الحجاج ومالك بن أنس ويحيى بن سعيد القطان قال والثوري إمام إلا أنه كان يروى عن الضعفاء قال وما أحد عندي بعد التابعين أنبل من مالك بن أنس ولا أحد آمن على الحديث منه ثم شعبة في الحديث ثم يحيى بن سعيد القطان ليس بعد التابعين آمن على الحديث من هؤلاء الثلاثة ولا أقل رواية عن الضعفاء منهم.

(2) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث المقدمة، ص 18، دار الكتب العلمية، بيروت 1978.

وإذا تقرر ذلك عرف أن مذهب النسائي ليس متسعاً. بل إنه ترك رواة أخرج لهم أبو داود والترمذي. وتجنب الإخراج عن بعض رجال الصحيحين، مثل إسماعيل بن أبي أويس، وقد جمع الدارقطني أسماء الذين ضعفهم النسائي وأخرج لهم الشيخان في الصحيحين.

ويلاحظ أنه يعتمد العدالة والضبط بقطع النظر عن المعتقد والاتجاه المذهبي فتراه، مع ميوله إلى التشيع، يروي عن الجوزاني وهو من عرف انحرافه عن الإمام علي بن أبي طالب وعن أهل الكوفة عموماً، ويروي عن عمر بن سعد بن أبي وقاص المتورط في مأساة كربلاء. كما وثّق أسد بن وداعة المشهور بالنّصب. وروى في "اليوم والليلة" عن الأجلح، وقال إنه ليس بالقوي وإنه مسرف في التشيع، وعن شمر بن عطية المعروف بتعصبه للخليفة عثمان بن عفان.

هـ) جهود الإمام النسائي في العلل

لقد أعطى النسائي اهتماماً كبيراً بإبراز العلة وإظهارها، وكان ذلك من أولويات تأليفه لكتابيه الكبرى والصغرى حتى قال غير واحد من أهل العلم إن كتابه كتاب علل لكثرة ما تعرض لذكر العلة في الحديث، وبيانها في كتابيه، بل لقد وصل به الشغف بالعلة أن يخرج أحاديث ليست على شرطه من أجل دفع علة يخاف أن تطرأ في الإسناد فأخرجها.

ومن ذلك أنه أخرج حديث ابن جريج عن عبد الله بن عثمان بن خيثم ثم قال : «ليس بالقوي في الحديث، وإنما أخرجته لئلا يجعل في حديث ابن جريج عن أبي الزبير». لأن ابن جريج يروي أحاديث عن أبي الزبير فيظن أن هذا الحديث من تلك الأحاديث.

فكان رحمه الله تعالى أحد الفرسان في علل الحديث، وعالماً بأن علة الحديث لا تظهر إلا بجمع طرقه، أكثر من إيراد الحديث الواحد من طرق متعددة، ووجوه مختلفة عملاً بالقاعدة المشهورة : «الحديث إذا لم يجمع طرقه لا تتبين علله»، فتجد في كثير من الحالات يخصص صفحات عدة للحديث الواحد مع أن الكتاب على الأبواب الفقهية، وهو عادة لا يتحمل كثرة الطرق، ومع ذلك استطاع ببراعته أن يوفق بين هذا وذاك.

و) طريقة عرضه حول الاختلاف على الرواة

لقد اعتمد النسائي خمس طرق لإظهار وجه الاختلاف :

الطريقة الأولى : أن يصدر الباب بذكر الاختلاف على الراوي، ويجعله عنواناً للأحاديث التي وقع الاختلاف في أسانيدها، وهذه الطريقة هي السمة الغالبة في

الكتاب إذ بلغ مجموع المسائل التي صرح بالاختلاف فيها على هذه الطريقة أكثر من ثلث عدد الأحاديث.

ومن ذلك على سبيل المثال قوله رحمه الله تعالى في كتاب قيام الليل، باب صلاة القاعد في النافلة، وذكر الاختلاف على أبي إسحق في ذلك وقد يذكر الاختلاف دون ذكر الباب معه، ويجعله عنواناً ومن ذلك قوله في الكتاب السابق : ذكر الاختلاف على أبي إسحق في حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه في الوتر.

الطريقة الثانية : أن يصرح بالاختلاف عقب الحديث كأن يسوق إسناداً أو أسانيد على وجه من أوجه الخلاف مع متونها ثم يقول : خالفه أو خالفهم فلان، ثم يذكر الإسناد أو الأسانيد إليه التي خالف الراوي فيها من قبله.

ومن ذلك على سبيل المثال قوله في حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : «نهى عن المخابرة والمزابنة والمحاقلة»، رواه من طريق يحيى بن أبي كثير عن يزيد بن نعيم عن جابر رضي الله عنه، ثم قال : خالفه هشام رواه عن يحيى عن أبي سلمة عن جابر ثم قال : خالفهما محمد بن عمرو، فقال سلمة عن أبي سعيد رضي الله عنه.

ومجموع الأحاديث التي صرح بالاختلاف على الراوي في هذه الطريقة أكثر من ثلاثين حديثاً.

الطريقة الثالثة : أن يشير إلى الاختلاف بذكر ما يدل عليه، ولا يصرح به كأن يسوق إسناداً مرفوعاً إلى النبيﷺ، ثم يعقبه بإسناد آخر موقوفاً ثم يرجح أحدهما على الآخر.

ومن ذلك على سبيل المثال أنه روى حديث أنس رضي الله عنه : أن رسول اللهﷺ قطع في مجن، من طريق هشام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، ثم رواه من طريق سفيان عن شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قطع أبو بكر موقوفاً ثم قال هذا "أي الموقوف"، هو الصواب.

ومعنى هذا أن الحديث اختلف في إسناده على قتادة مرفوعاً، وموقوفاً بلغ مجموع أحاديث هذا النوع أكثر من خمسين حديثاً.

الطريقة الرابعة : أن يصرح عقب أحد الطرق بتفرد الراوي، وعدم متابعة غيره له على وجهه كقوله في غير موضع : «لا أعلم أحداً تابع فلاناً على روايته».

والتفرد عنده نوعان :

الأول : وهو الأغلب أن يكون الراوي بالفعل قد خالف الجماعة في الإسناد أو المتن. وهذا النوع في حقيقته داخل في الطريقة الثانية، وإنما خصه بالذكر لأن الاختلاف فيه وقع بين راو وحده وبين جماعة من الرواة كثيرين والسر فيه أن إدراك وجه العلة في هذا النوع أظهر وأبين من غيره لأن رواية الراوي خلاف ما رواه الجماعة فيه دلالة واضحة على شذوذ هذه الرواية. ومن ذلك قوله : «لا أعلم أحداً تابع أيمن بن نابل على هذه الرواية، وأيمن عندنا لا بأس به، والحديث خطأ».

والنوع الثاني : أن يعل رواية الراوي لأنها مخالفة لما عرف عن الشيخ وإن لم يخالف الراوي أحداً في ذلك الحديث، وليس لذلك الراوي من الضبط ما يؤهله لقبول ذلك منه، كقوله : «عبد الملك بن نافع ليس بالمشهور، لا يحتج بحديثه، والمشهور عن ابن عمر خلاف حكايته».

الطريقة الخامسة : أن يصرح بعدم سماع الراوي عن شيخه في هذا الحديث، مستدلا بالروايات الأخرى التي يذكرها بعد ذلك، وفيها التصريح بالواسطة ولها حالتان :

الأولى : أن يكون الإسقاط ممن دون الشيخ من الرواة عنه كأن يروي جماعة عنه بإسقاط الواسطة، وآخرون عنه بذكر تلك الواسطة، فهذا اختلاف داخل في باب إعلال الحديث بالاختلاف.

الثانية : أن يكون الإسقاط من الشيخ نفسه دون الرواة عنه فلا يعد ـ والحالة هذه ـ اختلافاً بل هو تدليس، أو إرسال خفي أو انقطاع على حسب حالة الراوي وشيخه.

ذكر نوعية الاختلاف التي أعل بها الأحاديث :

أ) أن يعل الحديث باختلاف الرواة بعضهم لبعض في استدلال راو بآخر في الإسناد كأن يروي شخص أو جماعة مثلاً عن السبيعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، ويخالفهم آخرون فيروونه عن السبيعي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد يكون الاستبدال بأكثر من راو كأن يروي شخص أو جماعة عن الزهري عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما، ويخالفهم آخرون فيروونه عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ب) أن يعل الحديث باختلاف الرواة في اسم راو في إسناده، فيسميه بعضهم باسم وبعضهم باسم آخر.

جـ) أن يعل الحديث بالاختلاف عليه بين رواته في الوصل، والإرسال فيرسله بعضهم ويوصله آخرون.

د) أن يعل الحديث بسبب اختلاف رواته فيه رفعاً ووقفاً فيرفعه بعضهم ويوقفه آخرون.

هـ) أن يعل الحديث بسبب اختلاف رواته في اتصال سنده وانقطاعه.

و) أن يعل الحديث بسبب اختلاف رواته فيه وزيادة راو في الإسناد مما يعرف في المصطلح (المزيد في متصل الأسانيد).

ز) أن يعل الحديث بسبب تفرد أحد رواته بما لا يتابع عليه.

حـ) أن يعل الحديث بسبب دمج بعض رواته الموقوف بالمرفوع.

ط) أن يعل الحديث بسبب اختلاف رواته فيه بذكر زيادة في المتن.

ز) نماذج من الأحاديث التي انفرد بها النسائي

1. عن ابن عمر : «كانت المزارع تُكرى على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن لرب الأرض ما على ربيع السواقي من الزرع وطائفة من التبن لا أدري كم هو»[1].

2. عن بريدة : «قتل المؤمن أعظم عند الله تعالى من زوال الدنيا»[2].

3. عن أبن مسعود : «يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول يا رب هذا قتلني فيقول الله تعالى لم قتلته ؟ فيقول قتلته لتكون العزة لك فيقول فإنها لي ويجيء الرجل آخذاً بيد الرجل فيقول إن هذا قتلني فيقول الله لم قتلته فيقول لتكون العزة لفلان فيقول إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه»[3].

4. عن مخارق : جاء رجل إلى النبيﷺ، فقال : الرجل يأتيني فيأخذ مالي قال ذكّره بالله قال فإن لم يذكر ؟ قال : «فاستعن عليه بمن حولك من المسلمين،

(1) رواه النسائي في سننه، كتاب الأيمان والنذور.

(2) رواه النسائي في سننه، كتاب تحريم الدم.

(3) رواه النسائي في سننه، كتاب تحريم الدم.

قال : فإن لم يكن حولي أحد من المسلمين ؟ قال : فاستعن عليه بالسلطان، قال : فإن نأى السلطان عني ؟ قال : «قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة أو تمنع مالك»[1].

5. (ابن عباس) : أن رجلاً وقع في أب كان له في الجاهلية فلطمه العباس فجاء قومه، فقالوا لنلطمنّه كما لطمه فلبسوا السلاح فبلغ ذلك النبيﷺ فصعد المنبر، فقال : «أيها الناس أيّ أهل الأرض تعلمون أكرم على الله تعالى ؟» قالوا : أنت، قال : «فإن العباس مني وأنا منه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا، فجاء قوم فقالوا : يا رسول الله نعوذ بالله من غضبك استغفر لنا»[2].

6. (عمرو بن شعيب) عن أبيه عن جده رفعه : «عقل المرأة مثل عقل الرجل حتى يبلغ الثلث من ديته»[3].

7. (عمرو بن شعيب) «أن النبيﷺ قضى في العين العوراء السادّة لمكانها إذا طمست بثلث ديتها وفي اليد الشلاء إذا قطعت بثلث ديتها، وفي السن السوداء إذا نزعت بثلث ديتها»[4].

8. وللنسائي عن عبد الله بن مغفل : «أنه إذا سمع أحدا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم يقول صليت خلف النبيﷺ وأبي بكر وعمر فما سمعت أحداً منهم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم»[5].

---

(1) رواه النسائي في سننه، كتاب تحريم الدم.

(2) رواه أحمد في مسند بني هاشم.

(3) رواه النسائي في سننه، كتاب القسامة.

(4) رواه النسائي في سننه، كتاب القسامة.

(5) رواه أحمد في مسند البصريين.

أصحاب المسانيد

المسانيد هي الكتب التي وضعت بحسب الرواة، مرتبة على حروف الهجاء، وجلها مسانيد الصحابة، ومنها ما توخى الشمول، ومنها ما اقتصر على بعض الصحابة كمسند أبي بكر، أو مسند العشرة، أو مسند المقلين من الصحابة. ومنها ما كُتب موقوفا على بعض الأئمة، مثل ما فعل النسائي.

ويذكر الحافظ محمد بن جعفر الكتاني في "الرسالة المستطرفة"[1] نحواً من ثمانين مسنداً مختلفة الأحجام، مبيناً بعض المعلومات عن مؤلفيها وعن أهميتها.

فقال إن أعلاها هو "مسند الأمام أحمد"، وهو المراد عند الإطلاق، وإذا أريد غيره قيد. وعَدَّ من أصحاب المسانيد الإمام البخاري ومسلماً وأبا داود الطيالسي المتوفى بالبصرة سنة 204، وقد قيل إنه أول مسند أُلّف، ولكنه تعقب ذلك بقوله إنه ليس هو الذي جمعه، وإنما كان من جمع بعض حفاظ خراسان لما رواه عنه يونس بن حبيب.

وذكر قول ابن عدي إن يحيى بن عبد الحميد هو أول من صنّف مسنداً بالكوفة، وأول من صنّفه بالبصرة مسدد بن مسرهد، وبمصر أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان المعروف بأسد السنة.

وذكر أن منها ما كتب في مجلد واحد مثل مسند مسدد، ومنها ما كان في نحو عشرين جزءاً كمسند أبي بكر لإبراهيم بن سعيد الجوهري، ومنها مسند يعقوب بن شيبة بن الصلت المالكي (260هـ)، وقد ظهر منها مسند العشرة في خمس مجلدات، وقيل إن نسخة مسند أبي هريرة كانت في مائة جزء. ومنها مسند أبي الحسن الماسرجي النيسابوري في ألف وثلاثمائة جزء، وقيل إنه لم يصنف في الإسلام أكبر منه لأنه لو كتب بخطوط الوراقين لبلغ ثلاثة آلاف جزء، وكذلك مسند ابن شاهين. وقد اشتهر أيضاً من هذه المسانيد مسند أبي يعلى الموصلي الذي قيل إنه كالبحر، والمسانيد سواه كالأنهار.

---

(1) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني، ص 61 وما بعدها، دار البشائر الإسلامية، ط 1986/4.

ولقد جمعت زوائد هذه المسانيد في عدة مصنفات منها : "إتحاف السادة المهرة الخيرة بزوائد المسانيد العشرة" لشهاب الدين البوصيري، ومنها "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي، وكذلك "المطالب العلية في زوائد المسانيد الثمانية".

وفيما يلي مشاهير أصحاب المسانيد :

1. أبو داود الطيالسي سليمان بن داوود ابن الجارود الطيالسي البصري (204هـ). روى عن شعبة وسفيان الثوري. وعنه أحمد وابن المديني. واشتهر بقوة حافظته، إذ كان يحدث دون أن يعود إلى أصوله المكتوبة، وقد طبع مسنده في حيدرآباد. حدث به ابن عتاب عن أبي عمر عثمان بن أبي بكر السفاقسي عن أبي نعيم الأصبهاني عن عبد الله بن جعفر عن يونس بن حبيب عن أبي داوود الطيالسي[1].

2. أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي الكوفي (159-223هـ)، عاش في بغداد، روى عن ابن المبارك ووكيع، وعنه السختياني وأصحاب السنن. ونقل بقي بن مخلد كتابه إلى الأندلس. وهو "المصنف المسند". وله قصة مشهورة، وله ردود على أبي حنيفة. روى مسنده ابن عبد البر وابن الحذاء عن أبي عثمان سعيد بن نصر عن قاسم بن أصبغ، عن ابن وضاح عن ابن أبي شيبة[2].

3. عبد بن حميد بن نصر الكسي (تـ 249هـ). وقد روى عن عبد الرزاق بن همام، وأبي داود الطيالسي. وروى عنه الشيخان. وله "المسند الكبير"[3]، وتوجد منه منتخبات مخطوطة في الظاهرية بدمشق. كما رُوِي عنه تفسير أفاد منه ابن حجر في "الإصابة".

4. أبو الحسن علي بن عبد العزيز المرزبان بن سابور البغوي (تـ 287هـ)، عاش في مكة، روى عن ابن سلام وأبي الحسن الأثرم. له "المسند". ذكره ابن حجر في "الإصابة".

5. أبو بكر البزار أحمد بن عمر بن عبد الخالق البصري (292هـ)، قدم بغداد ورحل إلى أصفهان ودمشق، وحدّث من حفظه، فكثر الخطأ في رواياته. له مسند مخطوط توجد منه شذرات في عدة مكتبات.

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 351.

(2) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 432.

(3) مسند عبد بن حميد، تحقيق صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، صدر عن مكتبة السنة بالقاهرة، سنة 1408هـ.

6. أبو يعلى الموصلي، أحمد بن المثنى التميمي (210-307هـ) رحل إلى بغداد وسمع الحديث من أحمد بن حاتم الطويل ويحيى بن معين وعلي بن الجعد. له "المسند الكبير". وله المعجم والمقادير، وعليه "المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي" لابن حجر الهيثمي (تـ 807هـ).

7. أبو القاسم أحمد بن منيع البغوي (213-313هـ) في بغداد. له مسند أسامة بن زيد عن رسول اللهﷺ.

8. أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (214-317هـ) سمع من يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن الجعد. كان محدثاً ثقة ومفسراً. له "معجم الصحابة"، "تاريخ وفيات الشيوخ"، "حديث أبي سلمة"، "مسائل أحمد بن حنبل.

9. أبوعوانة يعقوب بن اسحق بن إبراهيم النيسابوري الإسفرائيني، محدث ثقة كثير الترحال. له المسند المخرج على كتاب مسلم. ط. في حيدر آباد.

10. مسند بقي بن مخلد : رواه ابن عبد البر عن أبي عمر أحمد بن عبد الله ابن الباجي، عن أبيه عن أبي محمد عبد الله بن الباجي، عن عبد الله بن يونس عن بقي.

11. مسند أبي عبد الله بن سنجر : رواه ابن عبد البر عن أبي عبد الله بن مسرور عن عيسى بن مسكين عن ابن سنجر.

12. مسند الحرث بن أسامة : رواه ابن عتاب عن السفاقسي عن أبي نعيم عن أحمد بن يوسف النصيبي. ورواه ابن عتاب عن أبيه عن أبي عبد الله سعيد بن نبات عن ابن الطحان إسماعيل بن اسحق عن أبي علي حسان بن عبد الله بن حسان عن سعيد بن عثمان التجيبي الأعناقي عن نصر بن مرزوق عن أسد بن موسى.

13. مسند أبي محمد عبد الله بن محمد بن أبي ناجية (132 جزءاً)، رواه أبو عمر بن عبد البر عن خلف بن قاسم عن أبي قتيبة بن مسلم ابن الفضل البغدادي عن أبي ناجية.

14. مسند أبي بكر محمد بن معاوية القرشي : رواه أبو عمر بن عبد البر عن أبي عثمان يعيش بن سعيد الوراق عن المؤلف، وفيه 4330 حديثاً، ومن الصحابة 313[1].

---

(1) انظر ذكر هذه المسانيد في الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، محمد بن جعفر الكتاني، ص 61 وما بعدها، دار البشائر الإسلامية، ط 1986/4.

الإمام أحمد بن حنبل[1] ومسنده
(تـ 250)

أ) رحلته العلمية وشيوخه

كل الأسانيد لم يبلغ شأنها مستوى مسند الإمام أحمد الذي نال شهرة متميزة وانتشاراً واسعاً اعتباراً لمكانة مؤلفه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني.

لقد عاصر هذا الإمام أئمة الحديث في دهره ووقف حياته العلمية على طلب الحديث وسماعه وتدوينه. لقد نشأ في بغداد، دار السلام، ومقر خلافة الدولة العباسية، وأخصب فترة في المجال العلمي آنذاك حيث كانت ملتقى شتّى العلوم والمذاهب والفرق والنحل.

كانت أسرته ذات صلة بالسلطة إلا أن الإمام اتجه منذ صغره إلى طلب العلم والابتعاد عن مواقع النفوذ. بدأ الأخذ عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة وسمع منه مسائل أهل الرأي، ثم ما لبث أن غير وجهته صوب المحدثين فلازم الحافظ هشيم بن بشير الواسطي نحواً من أربع سنوات. وأثناء هذه الفترة سمع أيضاً من عمير بن عبد الله بن خالد، ومن أبي بكر بن عياش، والتقى بعبد الرحمن بن مهدي، وكتب عن شيخه هشيم أكثر من ثلاثة آلاف حديث، ألفٌ منها في كتاب الحج. والمعروف أن هشيماً كان أول من وضع المصنفات في الحديث مرتبة على المواضيع. وبعد وفاة هشيم سنة 183هـ، بدأت رحلاته العلمية فارتحل إلى البصرة وتعددت زياراته لها، وحج عدة مرات. وفي كل هذه الرحلات كان قصده الوحيد تحصيل ما استطاع من الأحاديث وأخذه عن أعلام الأئمة.

وقد دامت رحلته العلمية مدة طويلة، جمع فيها ثروة ضخمة من الأحاديث والآثار، وإذا كان ترتيبها تم وفقاً للصحابة على سنن المسانيد المعروفة، فإن ذلك لا يعني أن الإمام أحمد لم يهتم بالمسائل الفقهية، بل العكس هو الصحيح، لقد كان يعتبر

(1) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 177.

السنة من حديث وآثار هي الحجة البالغة لجميع الآثار الفقهية، وأن أصوب من يفسرها هم صحابة الرسولﷺ الذين عاينوها وعرفوا غايتها ومراميها. ولذلك فإنه قد أودع في مسنده علماء الصحابة مثل عمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومجموعة من فتاويهم وأقضيتهم.

يقول ابن الجوزي راوياً عن صالح بن أحمد ابن حنبل: قال أبي : «طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة وأول سماعي من هشيم سنة تسع وسبعين ومائة. وكان ابن المبارك قدم في هذه السنة وذهبت إلى مجلسه، فقالوا قد خرج إلى طرطوس، وكتبت عن هشيم سنة تسع وسبعين ولزمناه سنة ثمانين وإحدى وثمانين واثنتين وثلاث، ومات سنة ثلاث وثمانين، كتبنا عنه كتاب الحج نحواً من ألف، وبعض التفسير، وكتاب القضاء، وكتباً صغاراً تكون نحواً من ثلاثة آلاف. وخرجت إلى سفيان بن عيينة سنة سبع وثمانين، وقدمنا وقد مات فضيل بن عياض وهي أول سنة حججت، وكتبت عن إبراهيم بن سعد، ثم صليت خلفه غير ما مرة وكان يسلم مرة واحدة، ولو كان عندي خمسون درهما كنت خرجت إلى الري إلى جرير بن عبد الحميد فخرج بعض أصحابنا فلم يمكني الخروج».

«ودخلت عبادان سنة ست وثمانين وكان بها أبو الربيع فكتبت عنه، وكنت رحلت إلى المعتمر تلك السنة. ودخلت البصرة خمس مرات أولاهما في رجب سنة 186هـ، وسمعت من المعتمر بن سليمان ودخلت الثانية سنة ست وتسعين، ودخلت الثالثة سنة أربع وتسعين وقد مات غندر محمد بن جعفر. وخرجت سنة خمس وتسعين فأقمت عند يحيى بن سعيد القطان ستة أشهر. وقد جاء المدُّ لما قدم جرير فلم تتركه أمه يعبر إليه».

وقدم عبد الرحمن بن مهدي سنة ستة وثمانين، فلزمه وكتب عنه نحواً من ستمائة حديث، وكتب أحمد ثلاثمائة ألف عن سهير بن أسد وعفان، ويظن ابن منيع أنه كتب أيضاً عن روح بن عبادة، وأسف أن ليس له نفقة ليرحل إلى يحيى بن يحيى التميمي.

ورافقه يحيى بن معين في الحج وهو ينوي الذهاب إلى اليمن ليسمع من عبد الرزاق، وأثناء الحج صادف وصول عبد الرزاق حاجاً هو أيضاً، وعرفه يحيى وبشر به أحمد ليعفيه من الذهاب إلى صنعاء، غير أن ابن حنبل أصر على تنفيذ ما نوى، وذهب إلى عبد الرزاق في موطنه وعلى ظهره كتبه وفي راحته محبرته التي قال عنها : «من

المحبرة إلى المقبرة»، لكنه كان يخفيها خوفاً من الرياء. وكتب عن عبد الرزاق أحاديث الزهري عن سالم عن أبيه، وعن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة[1].

ب) كتابه المسند

وقد اشتمل هذا الكتاب العظيم على أربعين ألف حديث، قيل إن المكرر منها عشرة آلاف وقد تزيد. وقال إنه جمعه من سبعمائة ألف وخمسين حديثاً. وقد روي أنه قال لابنه : «قصدت في المسند الحديث المشهور، وتركت الناس تحت ستر الله تعالى. ولو أردت أن أقصد ما صح عندي لم أرو من هذا المسند إلا الشيء بعد الشيء اليسير، ولست أخالف ما ضعف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه».

والترتيب المتبع في النسخ المتداولة قديماً يضم تسعة عشر باباً هي على التوالي : مسند العشرة، ومسند أهل البيت، ومسند ابن عباس، ومسند بني هاشم، ومسانيد عبد الله بن مسعود وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وبعدهم مسانيد المكيين، والمدنيين، والشاميين، والكوفيين، والبصريين، ومسند الأنصار، ومسند السيدة عائشة، ومسند النساء.

لقد تضمن مسند أبي بكر مجموعة من الأحاديث وردت مكررة في المسند، سوى ثلاثة أحاديث طوالاً، وهي حديث الهجرة الذي رواه عنه البراء بن عازب، وحديث الشفاعة، وحديث الزكاة ومن رواتها أنس بن مالك. ومن الأحاديث المتكررة حديث طلب العافية والحث على حسن الخلق لأن الجنة لا يدخلها سيء الملكة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحديث أن الأنبياء لا يورثون، وأمره زيد بن ثابت بجمع القرآن.

ومن أمثلة ما روى، ما أورده في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مثل حديثه عن النهي عن النافلة بعد العصر وعند طلوع الشمس، ونهيه عن المتعة وتحريمه النبيذ ولبس الحرير، والحث على غسل الجمعة. وأورد أيضاً حديث قدوم جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وسؤاله عن الإيمان والإسلام، وعن الساعة.

وأورد أيضاً في مسنده أن سبب إسلامه أنه استمع إلى صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يقرأ سورة الحاقة، فقال في نفسه إنه شاعر حقاً مثل ما تقول قريش،

---

(1) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، ج 11، ص 177.

ولكنه سمعه يتلو قوله تعالى : ﴿ **وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين** ﴾[1]، وأنه من ذلك الوقت وقع للإسلام في قلبه كل موقع.

ومن الأحاديث التي تكررت أيضاً حديث تعذيب الميت ببكاء الحي، وقول ابن عمر إنه ما كذب على عمر وإن عمراً ما كذب على النبي صلى الله عليه وسلم. وقد سبق ما ذكرنا من رأي عائشة في هذا الحديث.

وأورد قصته مع هشام بن حكيم بن حزام في قراءة سورة الفرقان، وإن كل واحد منهما قرأها على حرف خاص، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أقرهما على ما قرءا.

وذكر أيضاً رؤياه التي فسرها بقرب أجله، وقوله إنه لو أدركه أبو عبيدة أو سالم مولى أبي حذيفة أو معاذ بن جبل استخلف واحداً منهم.

كما أورد أيضاً تعجبه من جراءته على رسول اللهﷺ في عدة مواقف منها اعتراضه على الصلاة على رأس المنافقين عبد الله بن أبي، ومجمل الأحاديث التي أوردها عن عمر الفاروق تبين قوة شخصيته وشعوره بدوره في بناء دولة الإسلام، وصرامته في الحق.

ثم تابع بعد مسند أبي هريرة ثلاثة من المحدثين المكثرين وهم أبو سعيد الخدري وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله بن حرَام. وبعدهم أورد مسند المكيين، فذكر منهم صفوان بن أمية وحكيم بن حزام وابنه هشام وسبرة بن معبد ونافع بن عبد الحرث وأبا محذورة المؤذن، وجماعة من الصحابة إلى أن وصل إلى قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري دون أن نرى في النسخة المطبوعة ما يشير إلى تغيير محتوى العنوان، إلا أنا نلاحظ قبل ذكر بقية حديث سهل بن أبي خيثمة باباً آخر بعنوان "أول مسند المدنيين"، مع أنه قد سبق سرد أسماء عدة صحابة من الأنصار، ومع متابعة الكتاب تتكرر الأحاديث التي تروي عن "رجل" أو "رجال" ترد أسماؤهم في الأسانيد، إلى أن نصل إلى "مسند الأنصار" الذي افتتح بمسند أبي بن كعب الأنصاري، وبدأ بما روى عنه الصحابة مثل أبي أيوب وعبادة وابن عباس وأنس بن مالك، وبعد سرد أحاديث رويت عنه من طرق التابعين تطالعنا بقية حديث أنس بن مالك عنه أيضاً، ثم يعود إلى رواية التابعين.

ثم ذكر مسانيد الأمصار ولنا أن نتساءل : هل هذه المسانيد المنسوبة إلى الأمصار قصد بها أحاديث الصحابة الذين أقاموا في هذه الأقاليم ؟ قد يكون هذا جزءاً من الواقع لأن فيها جل أحاديث الصحابة أهل المصر المنسوبين إليه، ولكن يوجد فيها

---

(1) الحاقة، 42.

تداخل كثير بحيث نرى مثلاً أحاديث المدنيين في مسند أهل الشام، مثل حديث مسند الجهني، وحديث أبي أمامة في شأن أسعد بن زراره.

إلا أن هناك احتمالاً آخر قد يكون أصح، وهو أن الإمام كانت له رحلات في هذه الأمصار، فصار يضيف لكل منها ما سمعه في رحلته، مع أن المصادر تذكر أنه لم يقم بالترتيب النهائي لمسنده. وإنما كان ذلك من عمل ابنه عبد الله وتلميذه أبي بكر القطيعي.

ولقد خصص القسم الأخير لأحاديث النساء ابتداء بمسند عائشة رضي الله عنها، إلا أنه قد سبق هذا القسم ثلاثة أحاديث أحدها عن أبي رافع عن أزواج النبيﷺ في ربا صرف الذهب والفضة، والثاني عن ابن حرملة عن خالته في صفة يأجوج ومأجوج، والثالث في ذكر ست نسوة شاركن في غزاة خيبر، وقد رواه حشرج بن زياد عن أم أبيه التي كانت من بين هذه النسوة.

ويتفاوت عدد هذه الأحاديث، فمنهم من لم يرو عنه إلا حديثاً واحداً أو اثنين مثل تمام وعبيد الله ابني عباس. ومنهم من يزيد على المئات مثل عبد الله بن عباس وابن مسعود. وأورد مسند ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة، لكنه أدرج بينهم حديث أبي رمثة التميمي وأورد له حديثاً واحداً رواه عبد الله بن أياد بن لقيط عن أبيه عن أبي رمثة، حول قدومه إلى المدينة مع والده، وأنه رأى النبيﷺ عليه بردان أخضران، ورأى خاتم النبوءة بين كتفيه وعرض عليه دواءه، فأعرض عنه. وذكر لوالده أن ابنه لا يجني عليه، وتلا قوله تعالى : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾[1]. وكرره أكثر من عشر مرات بألفاظ متقاربة.

وهذا مما أثار جدلاً حول وجود الضعيف في المسند، فقد قيل إن ما جمعه الإمام أحمد نفسه ليس فيه من الضعيف إلا القليل لحرصه على شهرة الحديث، وأكثر الأحاديث المشهورة مقبولة، وقد يكون أكثره مما أضاف ابنه عبد الله أو القطيعي. وقد ذكر ابن الجوزي بعض الأحاديث الموضوعة في المسند ودافع عن رأيه. والمعروف أنه ليس متهماً على الإمام أحمد الذي كتب عن مناقبه كتابه الشهير.

وهذا يدل على ما رُوي أن الإمام أحمد جمع المسند، وأنه لم يكمل ترتيبه الذي كان من عمل أبنائه وعمل القطيعي بعده. ويرفع من قيمة العمل الذي قام به محمود شاكر في تحقيقه، وعبد الرحمن البنا في تنظيمه.

---

(1) الأنعام، 164.

ج) عناية العلماء بمسند أحمد

يقول شمس الدين الجزري عن المسند : لعل الله تبارك وتعالى يقيض لهذا الديوان السامي من يخدمه ويبوب عليه، ويتكلم على رجاله، فإنه محتو على أشهر الحديث النبوي، وقل أن يثبت حديث إلا وهو فيه.

وقد قام أبو بكر بن المحب بترتيبه على معجم الصحابة، ورتّب الرواة كترتيب كتاب الأطراف للمزي، ثم أخذ الحافظ ابن كثير هذا الكتاب المرتب وأضاف إليه أحاديث الكتب الستة ومعجم الطبراني الكبير ومسند البزار ومسند أبي يعلى الموصلي.

ثم قام علماء مصريون بأعمال جليلة في خدمة هذا الكتاب، حيث قام الشيخ محمود شاكر بإخراجه في حلة جديدة جميلة، فحقّق أحاديثه ورقّمها وبين درجات صحتها وترجم لرواتها، ووضع لها فهارس جيدة ومعينة في استعمال الكتاب مع المحافظة على ترتيب الكتاب الأصلي، فأخرج من هذا العمل في خمسة عشر جزءاً، وتابع عمله الدكتور أبو هاشم الحسيني[1].

وقام الشيخ أحمد عبد الرحمن البنّا الساعاتي بإعادة ترتيب المسند على أبواب الفقه، فجعل منه مسنداً ومصنفاً حسب الإصطلاح القديم، وذلك في كتابه "الفتح الرباني بترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني"، وشرحه بكتاب سماه "بلوغ الأماني في أسرار الفتح الرباني"، فخرّج أحاديثه وشرح غريبه، وبيّن أحكامه، وزاد جملة من الأحاديث التي تناسب كل باب، وأتى بتراجم موجزة لبعض رواته، فجاء كتابه حافلاً سهلاً، يُذكّر بـ "تهذيب الآثار" لمحمد بن جرير الطبري. وبعد هؤلاء تتابعت الجهود في هذا الموضوع في نطاق مشروع موسوعة السنة النبوية المعد من طرف الشيخ موسى شاهين، والذي بدأه بمسند الإمام أحمد.

د) الأحاديث التي انفرد بها أحمد

أما الأحاديث التي انفرد بها فهي :

1. حديث عمر بن حريث، «قدمتُ المدينة فقاسمت أخي فقال سعيد بن زيد قال النبيﷺ : «لا يبارك في ثمن أرض ولا دار لا يجعل في أرض ولا دار»[2].

---

(1) منشورات دار المعارف بالقاهرة، 1394هـ.

(2) رواه أحمد في مسند العشرة.

2. حديث عمران بن حصين : «من باع عقدة مال سلّط الله عليه تالفا يتلفها»[1].

3. حديث بريدة : «من أنظر معسرا فله كل يوم مثله صدقة فقلت يا رسول الله سمعتك تقول من أنظر معسرا فله كل يوم مثله صدقة ثم سمعتك تقول من أنظر معسرا فله كل يوم مثلاه صدقة قال له : مثله قبل أن يحل الدين فإذا حل فأنظره فله كل يوم مثلاه»[2].

4. حديث جابر، «أن النبيﷺ مر وأصحابه بامرأة فذبحت لهم شاة واتخذت لهم طعاما فأخذ لقمة فلم يستطع أن يسيغها فقال : هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها، فقالت المرأة : يارسول الله ! إنا لا نحتشم من آل معاذ نأخذ منهم ويأخذون منا»[3].

5. حديث جابر : عن النبيﷺ قال : «من أحيا أرضا دعوة من المصر أو رمية من المصر فهي له»[4].

6. حديث أبي هريرة «جلس إلى النبيﷺ رجل فقال له : من أين أنت ؟ قال : بربري، فقال لهﷺ قم عني قال بمرفقة هكذا فلما قام عنه أقبل عليناﷺ فقال إن الإيمان لايجاوز حناجرهم»[5].

7. حديث رجل من الصحابة، «سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن القاتل والآمر فقال : قسمت النار سبعين جزءا فللآمر تسعة وستون وللقاتل جزء»[6].

8. حديث ابن عمرو بن العاص، «طعن رجل رجلا في رجله فقال المطعون : يارسول الله ! أقدني فقال : لا تعجل حتى يبرأ جرحك، فأبي إلا أن يستقيد فأقاده من طاعنه ، فبرئ المستقاد منه وعرج المستقيد فأتى النبيﷺ فقال : يارسول الله ! عرجت وبرأ صاحبي فقال له : ألم آمرك أن لا تستقيد

(1) رواه أحمد في مسند البصريين.

(2) رواه أحمد في باقي مسند الأنصار.

(3) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(4) المصدر نفسه.

(5) المصدر نفسه.

(6) رواه أحمد في باقي مسند الأنصار.

حتى يبرأ جرحك فعصيتني فأبعدك الله وبطل جرحك ثم أمرﷺ بعد ذالك من كان به جرح لا يستقيد حتى يبرأ من جراحته»[1].

9. حديث حماد بن خالد عن معاوية بن صالح عن ابن عبد الله بن بسر عن أبيه قال : «أتانا رسول اللهﷺ فقدّمتْ إليه جدتي تمرا يقلله وطبخت له وسقيناهم فنفد القدح فجئت بقدح آخر وكنت أنا الخادم فقال رسول اللهﷺ أعط القدح الذي انتهى إليه»[2].

10. حديث وكيع قال : «حدثنا ابن أبي خالد يعني إسماعيل عن أبيه قال دخلت على رجل وهو يتمجع لبنا بتمر فقال ادن فإن رسول اللهﷺ سماهما الأطيبين»[3].

11. حديث أبي هريرة : «حرمت الخمر ثلاث مرات قدم النبيﷺ المدينة وهم يشربونها ويأكلون الميسر فسألوه عنهما فنزل ﴿ **يسألونك عن الخمر والميسر** ﴾ الآية. فقال الناس : ما حرم علينا وكانوا يشربون حتى إذا كان يوم صلى رجل من المهاجرين بأصحابه وخلط في قراءته فنزلت آية أغلظ منها ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة و أنتم سكارى** ﴾ الآية. وكانوا يشربون حتى نزلت آية أغلظ منها ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر** ﴾ الآية. قالوا : انتهينا ربنا فقالوا : يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر وقد جعله الله رجسا من عمل الشيطان فنزل ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصلحات جناح فيما طعموا**[4] ﴾ **الآية**»[5].

12. حديث ابن عمر : «أن النبيﷺ أعطاه المدية وأمره أن يأتي الأسوا ق فينظر إلى ما فيها من زقاق الخمر وكانت قد جلبت من الشام فيشقها، فما وجد زقا منها إلا شقه»[6].

---

(1) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.
(2) رواه أحمد في مسند الشاميين.
(3) رواه أحمد في مسند المكيين.
(4) المائدة، 93.
(5) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.
(6) رواه أحمد في مسند المكثرين.

13. حديث جبير بن مطعم : «أن للقرشي مثلي قوة الرجل من غير قريش قال الزهري عنى بذلك نبل الرأي»[1].

14. حديث عبد خير : قام عليٌّ على المنبر فقال : «قبض النبيﷺ واستُخلِف أبوبكر فعمل بعمله وسار بسيرته حتى قبضه الله على ذلك ثم استخلف عمر فعمل بعملهما وسار بسيرتهما حتى قبضه الله على ذلك»[2].

15. حديث فضالة بن أبي فضالة : «قال أبي لعلي وقد عاده في مرض ما يقيمك بمنزلك هذا ؟ لو أصابك أجلك لم يلك إلا أعراب جهينة تحمل إلى المدينة فأن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلُّوا عليك قال عليٌّ إن رسول اللهﷺ عهد إلي أني لا أموت حتى تؤمّر ثم تخضب هذه يعني لحيته من هذه يعني هامته»[3].

16. حديث علي : «يا علي أن وليت الأمر بعدي فأخرج أهل نجران من جزيرة العرب»[4].

17. حديث أبي ذر، «أنه اشتد عليه صلاة عثمان أربعاً بمنى ثم قام فصلى أربعاً فقيل له عبت على أمير المؤمنين شيئاً ثم صنعته قال الخلاف أشد إن النبيﷺ خطبنا فقال إنه كائن من بعدي سلطان فلا تذله فمن أراد أن يذله فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وليس مقبول منه توبة حتى يسد ثلمته وليس بفاعل»[5].

18. حديث أبي ذر، «وجده النبيﷺ نائماً في المسجد فقال له ألا أراك نائماً في المسجد ؟ فقال يارسول الله أين أنام هل لي بيت غيره ؟ فقال كيف أنت إذا أخرجوك منه ؟ قال إذاً ألحق بالشام أرض الهجرة وأرض المحشر وأرض الأنبياء فأكون رجلا من أهلها قال كيف أنت إذا أخرجوك من الشام ؟ قال إذاً أرجع إليه فيكون بيتي ومنزلي قال وكيف بك إذا أخرجوك منه الثانية ؟ قال

(1) رواه أحمد في مسند المدنيين.

(2) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

(5) رواه أحمد في مسند الأنصار.

إذاً آخذ سيفي فأقاتل عني حتى أموت فقال أدلك على خير من ذلك ؟ قال بلى بأبي أنت وأمي يا نبي الله فقال تنقاد لهم حيث قادوك وتنساق لهم حيث ساقوك حتى تلقاني وأنت على ذلك»[1].

19. حديث أبي بكرة : «من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمَّر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم»[2].

20. حديث حذيفة : «ضرب لنا النبيﷺ مثلاً قال إن قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداء فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم وسلّطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه»[3].

21. حديث «كان النبيﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : هل من رجل يحملني إلى قومه ؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي فأتاه رجل فقالﷺ له : من أنت ؟ قال : من همدان قال : فهل عند قومك من منعة ؟ قال : نعم ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه فقال : آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من قابل قال : نعم فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب»[4].

22. حديث سعد : «لما قدم النبيﷺ المدينة جاءت جهينة فقالوا إنك نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأتيك فأوثق لهم فأسلموا فبعثناﷺ في رجب ولم نكن مائة وأمرنا أن نغير على حي من كنانة إلى جنب جهينة فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام ؟ فقلنا إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام في الشهر الحرام فقال بعضنا لبعض ما ترون ؟ فقال بعضنا نأتي النبيﷺ وقال قوم بل نقيم هنا وقلت أنا في أناس معي بل نأتي عير قريش فنقطعها فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إليهﷺ فأخبروه فقام غضباناً فقال أذهبتم من عندي جميعاً وجئتم متفرفين إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة لأبعثن عليكم رجلاً فبعث علينا عبد الله بن جحش فكان أول أمير أمر في الإسلام»[5].

---

(1) رواه أحمد في مسند القبائل.

(2) رواه أحمد في مسند العشرة.

(3) رواه أحمد في باقي مسند الأنصار.

(4) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(5) رواه أحمد في مسند العشرة.

23. حديث زيد بن الحباب «حدثني الحسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة حدثني أبي بريدة قال حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ثم أخذه من الغد فخرج فرجع ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد فقال رسول الله ﷺ إني دافع اللواء غداً إلى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يُفتح له فبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً فلما أن أصبح رسول الله ﷺ صلى الغداة ثم قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا علياً وهو أرمد فتفل في عينيه ودفع إليه اللواء وفتح له قال بريدة وأنا فيمن تطاول لها»[1].

24. حديث الشعبي : «بعث النبي ﷺ جيش ذات السلاسل، واستعمل أبا عبيدة على المهاجرين، واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب، فقال لهما : تطاوعا، وكانوا يؤمرون أن يغيروا على بكر بن وائل، فانطلق عمرو فغار على قضاعة لأن بكراً أخواله، فانطلق المغيرة بن شعبة إلى أبي عبيدة فقال : إن رسول الله ﷺ استعملك علينا، وإن ابن فلان قد اتبع أمر القوم وليس لك معه أمر، فقال أبو عبيدة : إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاوع، فأنا أطيع رسول الله ﷺ وإن عصاه عمرو»[2].

25. حديث عبد الله بن شقيق «عمن سمع النبي ﷺ : وقد قال له رجل، من هؤلاء ؟ قال المغضوب عليهم، وأشار إلى اليهود، فقال : ومن هؤلاء ؟ قال الضالون يعني النصارى»[3].

26. حديث عبد الله بن الزبير : «أتى الحارث بن خزيمة[4] بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ إلى عمر، فقال من معك على هذه ؟ قال لا أدري والله إني أشهد لسمعتهما من رسول الله ﷺ ووعيتهما وحفظتهما، فقال عمر وأنا أشهد لسمعتهما من رسول الله ﷺ ثم قال : لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا سورة من القرآن فضعوها فيها، فوضعناها في آخر براءة»[5].

(1) رواه أحمد في باقي مسند الأنصار.

(2) رواه أحمد في مسند العشرة.

(3) رواه أحمد في مسند البصريين.

(4) يمكن أن يكون خزيمة، والقصة تروى أيضاً عن خزيمة بن ثابت الأنصاري.

(5) رواه أحمد في مسند الصحابة بعد العشرة.

27. حديث أبي هريرة، ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾[1] جاء رجل إلى النبيﷺ فقال : إن فلاناً يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، قال : سينهاه ما يقول»[2].

28. وعنه : «جاء رجل إلى عمر يسأله، فجعل عمر ينظر إلى رأسه مرة، وإلى رجليه أخرى، هل يرى عليه من البؤس، ثم قال له عمر : كم مالك ؟ قال : أربعون من الإبل، قال ابن عباس : فقلت صدق الله ورسوله، لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، فقال عمر : ما هذا ؟ فقلت هكذا أقرأنيها أبي قال : فمر بنا إليه فجاء إلى أبي، فقال : ما يقول هذا ؟ قال أبي : هكذا أقرأنيها رسول اللهﷺ قال : أفأثبتها ؟ قال : نعم»[3].

29. حديث عياض بن غنم : «من أراد أن ينصح لذي سلطان بأمر فلا يبذله علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به فإن قَبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه»[4].

30. حديث الشعبي : «انطلق النبيﷺ مع العباس إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة قال : ليتكلم متكلّمكم ولا يطيل فإن عليكم من المشركين عيناً، قال قائلهم وهو أبو أمامة : سل يامحمد لربك ولنفسك ولأصحابك ما شئت قال : أسأل لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسي ولأصحابي أن تأوونا وتنصرونا وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : لكم الجنة قالوا : فلك ذلك»[5].

31. حديث سعد : «دعوة ذي النون، إذ هو في بطن الحوت، ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** ﴾[6] فإنه لن يدعو بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له»[7].

---

(1) العنكبوت، 45.

(2) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(3) رواه أحمد في مسند الأنصار.

(4) رواه أحمد في مسند المكيين.

(5) رواه أحمد في مسند الشاميين.

(6) الأنبياء، 87.

(7) رواه أحمد في مسند العشرة.

الباب الثالث

غريب الحديث ومشكله ومختلفه

تمهيد

لقد انطلقت في المراحل الأخيرة من حركت التدوين جهودٌ متخصصة، استهدفت أساساً مواجهة الانتقادات الموجهة ضد أصحاب الحديث، الذين أخذ عليهم أنهم لم يقوموا إلا بجمع متون المرويات، ودراسة أسانيدها وطرقها، دون أن يعيروا اهتماماً كافياً لشرح غريب لغتها حتى يسهل على القراء استيعابه، ولم يحاولوا توضيح مشكلها وبيان مختلفها، لدفع الشبهات المثارة ضد السنة من طرف أصحاب القياس وطوائف أهل البدع والأهواء.

بدأت هذه الجهود في أواخر القرن الثاني واستمرت إلى ما بعد استكمال عملية التدوين، حتى أنها تناولت في الأخير مشكلة تصحيح نسخ أمهات المدونات الحديثية المعتمدة؛ كان من روادها الأوائل الإمام الشافعي مؤلف "اختلاف الحديث"، وأبو عبيد الهروي صاحب كتاب "غريب الحديث"، وأبو جعفر الطبري مصنف "تهذيب الآثار"، ومنها الكتاب البديع الذي ألّفه القاضي عياض في تصحيح نسخ موطإ الإمام مالك وصحيحي البخاري ومسلم، وسنتحدث عنه في باب جهود المغاربة.

ويقول أبو موسى محمد بن أبي بكر المديني الأصفهاني (581هـ) إن أول من تناول غريب الحديث أبو عبيدة معمر بن المثنى، والنضر بن شميل، والأصمعي، ثم جاء كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام، وقد قيل إنه قال إنه جمعه في أربعين سنة، وأنه كان خلاصة عمره، وأنه تتبع أحاديث رسول الله ﷺ على كثرتها وآثار الصحابة والتابعين، فجمع ما احتاج إلى بيانه بطرق أسانيدها، وظن أنه قد أتى على معظم الغريب فيها.

وصنّف محمد بن قتيبة كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار، و حذا حذو أبي عبيد بن سلام، ولم يودعه شيئا من الأحاديث المودعة في كتاب أبي عبيد، وألف معاصره إبراهيم الحربي (285) مصنفا ذا مجلدات عدة، جمع فيه وبسط القول، واستقصى الأحاديث بأسانيدها وطرقها، وأطاله بذكر متونها وألفاظها.

وألف غيرهم من اللغويين والنحاة في غريب الحديث كثعلب والمبرد، وابن الأنباري، وأبي محمد القاسم بن ثابت العوفي الأندلسي، وسنستعرض كتابه الموسوم بالدلائل، وذلك في الباب المخصص لمدرسة الحديث في الأندلس. ثم جاء مصنف حمد

الخطابي البستي أبي سليمان فسلك نهج أبي عبيد وابن قتيبة، فذكر فيه ما لم يرد في كتابيهما، وألف الزمخشري أيضاً مصنفاً في الغريب عرف بكتاب الفائق.

وبعد هؤلاء يأتي كتاب "المجموع المغيث" ومؤلفه إمام المحدثين في عصره، أبو موسى المديني الأنصاري، سمع من ثلاثمائة شيخ منهم أبو القاسم الطلحي الملقب بقوام السنة، المتوفى سنة 595هـ بأصبهان، وكان أهل بغداد يقولون ما دخل بغداد بعد ابن حنبل أفضل منه ولا أحفظ. ومنهم أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني (تـ 507هـ) ويحيى بن عبد الوهاب بن منده الأصبهاني العبدي (تـ 511هـ).

ومن تلامذة أبي موسى المديني الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني المروزي، صاحب الأنساب، والذي قيل إن شيوخه بلغوا سبعة ألاف. ومنهم أيضاً المحدث الشهير أبو بكر الحازمي محمد بن موسى الهمذاني (584هـ)، ومنهم الحافظ عبد الغني المقدسي الجماعيلي، مؤلف كتاب "العمدة" وكتاب "الكمال" الشهير (تـ 600هـ)[1].

وسنقتصر في الفصل الأول من هذا الباب على مدرسة أبي عبيد الهروي واستعراض نماذج من عمله، ومن مصنفات ابن قتيبة وأبي سليمان الخطابي وجار الله الزمخشري ومجد الدين ابن الأثير الجزري.

(1) انظر هذه المؤلفات وغيرها من التآليف في غريب الحديث في الرسالة المستطرفة للكتاني، الصفحات 2002/192/171/164/156/155/154/123/122/113.

الفصل الأول : مدرسة أبي عبيد الهروي

1 ـ القاسم بن محمد بن سلاَّم (أبو عُبَيْد) الهروي البغدادي (تـ 224)[1]

أ) حياته

ولد بهراة، وكان أبوه رومياً، ولي قضاء طرسوس و قضاء الثغور مدة. قدم دمشق طالب علم. وقدم مصر مع يحيى بن معين سنة ثلاثة عشر ومائتين، وكتب بمصر. سكن بغداد وسمع الناس منه، وصنّف بها كتباً، وفسر بها غريب الحديث. وحج بعدما قدم إلى بغداد، وبعدما صنف من كتبه ما صنف، وبقي في مكة حتى توفي سنة 224هـ، وقد أخذ القراءات عن الكسائي وشجاع بن أبي نصر، وإسماعيل بن جعفر، وحجاج بن محمد، وهشام بن عمار، وغيرهم.

وسمع الحديث من يحيى بن سعيد القطان، وشريك القاضي وابن عيينة، وهشيم بن بشير وعباد بن العوام، وغيرهم.

وأخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي واليزيدي وغيرهم من البصريين. وروى عن ابن الأعرابي والكسائي والفراء وأبي زياد الكلابي وأبي عمرو الشيباني وخلف الأحمر من الكوفيين.

وروى عنه أحمد بن حنبل، والدارمي، وزهير بن حرب، والإمام البخاري في التاريخ، وأبو داود، والترمذي، وغيرهم، وعدّه محمد بن حارث الخشني من شيوخ ابن وضاح في رحلته الأولى.

قال أبو عبيد : ما دقَقْت على محدث بابه قط، ولكن صبرت حتى يخرج إليّ، وتأولتُ قول الله تعالى : ﴿ **ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم** ﴾ (سورة الحجرات، الآية 5).

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 417.

قال عبد الله بن جعفر بن دستويه الفارسي النحوي : أبو عبيد من علماء بغداد المحدثين النحويين على مذهب الكوفيين ورواة اللغة والغريب من البصريين والكوفيين ومن العلماء بالقراءات، وممن صنّف صنوفا من العلم، وصنف الكتب في كل فن من العلوم والآداب فأكثر وشهر.

وكان من أول من تناول شرح غريب الحديث، وهو العالم الذي تبحر في كل فن، وحتى قال عنه الجاحظ إنه من المعلمين، ثم الفقهاء والمحدثين، ومن النحويين والعلماء بالكتاب والسنة، والناسخ والمنسوخ، وبغريب الحديث، وإعراب القرآن، وممن قد جمع صنوفا من العلم، ولم يكتب الناس أصح من كتبه ولا أكثر فائدة.

وقال الخطيب البغدادي : هو صاحب الكتب المصنفة التي منها : "غريب القرآن"، وكتاب "غريب الحديث" و"الغريب المصنف"، وكتاب "الأموال"، وكتاب "القراءات"، وكتاب "عدد آي القرآن" و كتاب "المقصور والممدود" وكتاب "المذكر والمؤنث" وكتاب "الأمثال السائرة" وكتاب "فضائل القرآن" وكتاب "الطهارة" وكتاب "الحجْر والتفليس" وغير ذلك.

وقال الداودي : وله في القراءات كتاب جيد، ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله. وأما كتبه في الفقه، فإنه عمد إلى مذهب مالك والشافعي، فتقلد أكثر ذلك، وأتى بشواهده، وجمعه من حديثه ورواياته، واحتج فيها باللغة، والنحو فحسنها بذلك، وكتابه في "الأموال" من أحسن ما صنف في الفقه وأجوده.

ويذكر الزبيدي الأندلسي في "طبقات النحويين واللغويين" أنه قيل لأبي عبيد : إن فلانا يقول : أخطأ أبو عبيد في مائتي حرف، من "الغريب المصنف"، فحلم أبو عبيد، ولم يقع في الرجل بشيء، وقال : في المصنف كذا وكذا ألف حرف، فلم لم أخطئ إلا في هذا القدر اليسير، ما هذا بكثير، ولكن صاحبنا هذا، لو بدا لنا، فناظرناه في هذه المائتين بزعمه لوجدنا لها مخرجا. قال الزبيدي : فعددت ما تضمنه الكتاب من الألفاظ، فألفيت فيه سبعة عشر ألف حرف، وسبعمائة وسبعين حرفا.

قال إسحاق بن إبراهيم بن راهويه المروزي : الله يحب الحق، أبو عبيد أعلم مني، ومن أحمد بن حنبل، ومحمد بن إدريس الشافعي. وقال أيضا : نحن نحتاج إلى أبي عبيد، وأبو عبيد لا يحتاج إلينا. قال أحمد بن حنبل : أبو عبيد أستاذ. وقال أبو داود : ثقة مأمون.

وقال الذهبي عنه : هو الإمام، المجتهد، البحر، اللغوي، الفقيه، صاحب المصنفات، ثم قال : «من نظر في كتب أبي عبيد، علم مكانه من الحفظ والعلم، وكان

حافظاً للحديث وعلله ومعرفته متوسطة، عارفاً بالفقه، والاختلاف، رأساً في اللغة، إماماً في القراءات، له فيها مصنف»[1].

ب) مصنف "غريب الحديث"[2]

يقول أبو عبيد : «كتابي هذا لمن حفظ القرآن وعرف الحديث ونظر في الفقه، ثم احتاج إلى معرفة غرائبها، وهو موضوع على نسق الحروف المعجمة نبدأ بالهمزة فنفيض بنا على سائر الحروف حرفاً حرفاً، ونعمل لكل حرف باباً، ونفتح كل باب بالحرف الذي يكون أوله الهمزة ثم الباء ثم التاء إلى آخر الحروف، إلا ما لا نجده فنتعداه إلى ما نجده على الترتيب فيه، ثم نأخذ في كتاب الباب على هذا العمل إلى أن ننتهي بالحروف كلها إلى آخرها ليصير المفتش عن الحرف إلى إصابته من الكتاب بأهون سعيٍ وأخف طلب»[3].

«وشرط فيه الاختصار إلا إذا اختل الكلام دونه وترك الاستظهار بالشواهد الكثيرة إلا إذا لم يستغن عنها، وليس لي فيه إلا الترتيب والنقل من كتب الأثبات الثقات طلبا للتخفيف، وحذفا للتطويل، وحصرا للفائدة وتوطئة للسبل، فمن حفظه كان كمن حصّل تلك الكتب عن آخرها».

نماذج من شرحه لغريب الحديث :

1. حديث لاتسبوا الدهر :

وقال أبو عبيد في حديث النبي عليه السلام : «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»[4].

---

(1) انظر ترجمته المفصلة وأقوال العلماء فيه من مصادرها المختلفة، في تقديم (كتاب الغريب لأبي عبيد) لمحمد عبد المعيد خان أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية (الجزء الاول) طبع باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية الطبعة الاولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند سنة 1384هـ/ 1964م، الصفحة 7 وما بعدها.

(2) طبع عدة طبعات منها طبعة حيدرآباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بعناية محمد عظيم الدين في 4 أجزاء سنة 1384هـ. كما نشر بدار الكتاب العربي ببيروت سنة 1406هـ في مجلدين، كما صدر عن مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث بتحقيق حسين محمد محمد شرف ومراجعة محمد مهدي علام وعبد السلام محمد هارون سنة 1409هـ.

(3) الغريبين؛ لأبي عبيد الهروي، ج 1، ص 53، تحقيق محمود محمد الطناحي، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، 1390هـ، الجزء الأول فقط.

(4) رواه مسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها.

قوله : فإن الله هو الدهر، وهذا لا ينبغي لأحد من أهل الإسلام أن يجهل وجهه. وذلك أن أهل التعطيل يحتجون به على المسلمين. قال أبو عبيد : وقد رأيت بعض من يتهم بالزندقة والدهرية يحتج بهذا الحديث ويقول : ألا تراه يقول : فإن الله هو الدهر ! فقلت : وهل كان أحد يسب الله في آباد الدهر؟ وقد قال الأعشى في الجاهلية الجهلاء :

أستأثر الله بالوفاء وبالـ　　　حمد وولى الملامة الرجُلا

وإنما تأويله عندي ـ والله أعلم ـ أن العرب كان شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، وأتى عليهم الدهر، فيجعلونه الذي يفعل ذلك فيذمونه عليه، وقد ذكروه في أشعارهم، قال الشاعر يذكر قوماً هلكوا :

فاستأثر الدهر الغداة بهم　　　والدهر يرميني ولا أرمي

يا دهر قد أكثرت فجعتنا　　　بسراتنا ووقرت في العظم

وسلبتنا ما لست تعقبنا　　　يا دهر ما أنصفت في الحكم

وقال عمرو بن قميئة :

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى　　　فكيف بمن يرمي وليس برام

فلو أنها نبل إذاً لاتقيتها　　　ولكنما ترمي بغير سهام

على الراحتين مرة وعلى العصا　　　أنوء ثلاثا بعدهن قيامي

فأخبر أن الدهر فعل به ذلك يصف الهرم. وقد أخبر الله تعالى بذلك عنهم في كتابه الكريم، ثم كذبهم بقولهم فقال : ﴿ **وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر** ﴾[1]. قال الله عز وجل : ﴿ **وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** ﴾[2] فقال النبي عليه السلام : لا تسبوا الدهر ـ على تأويل لا تسبوا الذي يفعل بكم هذه الأشياء ويصيبكم بهذه المصائب، فإنكم إذا سببتم فاعلها فإنما يقع السب على الله تعالى، لأنه عز وجل هو الفاعل لها لا الدهر، فهذا وجه الحديث إن شاء الله[3].

---

(1) الجاثية، 24.

(2) نفس الآية.

(3) غريب الحديث لأبي عبيد، ج 1، ص 355 وما بعدها، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف وعبد السلام هارون، منشورات الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1984.

2. حديث رقية النملة :

وقال أبو عبيد : في حديثه عليه السلام أنه قال للشَّفاء : عَلِّمي حفصة رُقْيَةَ النَّملة[1]. قال الأصمعي : هي قروح تخرج من الجنب وغيره. وقال : وإنما النملة فهي النميمة، يقال رجل نمل إذا كان نماما، قال الراعي :

لسنا بأخوال ألاف يزيلهم قول العدو ولا ذو النملة المحل[2]

3. حديث ولو كانت على قتب :

وقال أبو عبيد في حديث معاذ : «لا تؤدي المرأة حق زوجها حتى لو سألها نفسها وهي على ظهر قتب لم تمنعه»[3]. وقال أبو عبيد : كنا نرى أن المعنى أن يكون ذلك وهي تسير على ظهر البعير، فجاء التفسير في بعض الحديث بغير ذلك : أن المرأة كانت إذا حضر نفاسها أجلست على قتب ليكون أسلس لولادتها.

قال أبو عبيد : هذا بلغني عن ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن شهاب قال : حدثتني امرأة أنها سمعت عائشة تقول ذلك، قال : قال معمر فمن ثم جاء الحديث، ولو كانت على قتب، وهذا أشبه بالمعنى من الذي كنا نراه، وأولى بالصواب.

4. حديث لاتعضيه :

وقال أبو عبيد في حديث النبي عليه السلام : لا تعضية في ميراث إلا إذا حمل القسم[4].

قوله : لا تُعَضَّية في ميراث يعني أن يموت الرجل ويدع شيئا إن قسم بين ورثته إذا أراد بعضهم القسمة كان في ذلك ضرر عليه يقول : فلا يقسم ذلك، والتعضية : التفريق، وهو مأخوذ من الأعضاء. يقول : عضيتُ اللحم إذا فرقته. ويروى عن ابن عباس

---

(1) بهامش الأصل : «ما عرفت ما هي رقية النمل»، أقول : «رقية النمل : التي كانت تعرف بين النساء أن يقال : العروس تحتفل، وتختضب، وتكتحل وكل شيء تفتعل غير أن لا تعصي الرجل. فأراد النبيﷺ بهذا المقال تأنيب حفصة لأنه ألقى إليها سرا فأفشته». انظر الفائق، 130/3، والمغيث، ص 589. والحديث رواه أبو داود في كتاب الطب.

(2) غريب الحديث لأبي عبيد، ج 1، ص 217، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف وعبد السلام هارون، منشورات الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1984.

(3) رواه ابن ماجة في كتاب النكاح.

(4) غريب الحديث لأبي عبيد، ج 5، ص 263، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف وعبد السلام هارون، منشورات الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1984.

رضي الله عنهما في قوله : ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾[1] رجال آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وهذا من التعضية أيضاً أنهم فرقوا. والشيء الذي لا يحتمل القسمة مثل الحبة من الجوهر، وأنها إذا فرقت لم ينتفع بها، وكذلك الحمام لا يقسم وكذلك الطيلسان من الثياب وما أشبه ذلك. وهذا باب جسيم من الحكم، ويدخل فيه الحديث الآخر : لا ضرر ولا ضرار في الإسلام، فإن أراد بعض الورثة قسم ذلك دون بعض لم يجب إليه ولكنه يباع ويقسم ثمنه[2].

5. حديث لاتُعرِّبوا :

وقال أبو عبيد في حديث عمر : «ما منعكم إذا رأيتم الرجل يخرق أعراض الناس أن لا تعربوا عليه ؟ قالوا : نخاف لسانه، قال ذلك أدنى أن لا تكونوا شهداء».

قال أبو زيد والأصمعي قوله أن لا تعربوا عليه : يعني أن لاتفسدوا عليه كلامه وتقبحوه له.

ومنه قوله :

ومثل ابن غنم إن ذحول تذكرت وقتلى تياس عن صلاح تَعَرَّب[3]

6. حديث الوصع :

وقال أبو عبيد : في حديث النبي عليه السلام : «إن العرش على منكب إسرافيل وإنه ليتواضع لله حتى يصير مثل الوصع».

يقال في الوصع : إنه الصغير من أولاد العصافير، ويقال : هو طائر صغير يشبه بالعصفور الصغير في صغر جسمه[4].

---

(1) الحجر، 91.

(2) غريب الحديث لأبي عبيد، ج 2، ص 223، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف وعبد السلام هارون، منشورات الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1984.

(3) المصدر نفسه، ج 4، ص 151.

(4) المصدر نفسه، ج 2، ص 225.

2 . ابن قتيبة الدينوري (تـ 276هـ)[1]

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، حدّث عن إسحق بن راهويه، وأبي حاتم السجستاني، ومحمد بن زياد الزيادي.

أخذ عنه ابنه أحمد الذي كان قاضي القضاة بمصر على المذهب المالكي، وقد حدّث بكتب والده إذ كان يحفظها كما يحفظ القرآن الكريم، كما روي عنه عبد الله السكري، وابن دستويه النحوي.

وكان رأسا في علم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس.

وألف تصانيف تشهد بتفوقه في كثير من العلوم، منها كتبه في "غريب القرآن ومشكله"، و"غريب الحديث ومشكله"، وكتاب "إصلاح في تعقب أبي عبيد الهروي"، وكتاب "إعراب القرآن"، وكتاب "القراءات"، واشهتر له كتاب "المعارف"، و"طبقات الشعراء"[2].

وسنستعرض في هذا الفصل كتابه في غريب الحديث، ومنهجه في شرح غريبه.

أ) مصنفه في غريب الحديث[3] :

بدأ ابن قتيبة كتابه في غريب الحديث بشرح الألفاظ الواردة في أبواب الفقه، وبيان اشتقاقها والتنبيه على بعض الأحكام التي استنبطها من معاني هذه الألفاظ، والاستشهاد بها.

ذكر مثلا أن معنى الوضوء النظافة، وأنه مشتق من الوضاءة وهي الحسن، ويرادفه المسح، ونبه على أن الوضوء مما مست النار، إنما هو غسل اليد والفم بعد الطعام، وأورد أن أكثر الأعراب كانوا لا يغسلون أيديهم، ثم قالوا : أدبنا نبينا صلى الله

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 2، ص 631-633.

(2) المصدر نفسه، ص 631-633.

(3) طبع بتحقيق عبد الله الجبوري من طرف وزارة الأوقاف ببغداد، في ثلاث مجلدات سنة 1392هـ، كما طبع بتحقيق السنية الرضا السويسي بالدار التونسية للنشر سنة 1399هـ.

عليه وسلم بغسل اليد مما مسته النار، وبهذا فسر أن المقصود هنا ليس وضوء العبادة للصلاة واستدل بما رواه عن الحسن البصري أن الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم، فسمى غسل اليد وضوءا.

ثم استعرض بعد ذلك مجموعة من مصطلحات ألفاظ الطهارة، مثل الاستنجاء، المشتق من النجوة وهي الأرض المرتفعة، لأن الناس يستترون بها عند قضاء الحاجة، وكالاستجمار أي التمسح بالأحجار، ومثل الاستنثار وهو رد الماء إلى النثرة، وهي الأنف، وفسر التيمم والقلل التي لا ينجس ماءها شيء[1].

وتناول الألفاظ الواردة في باب الصلاة بالشرح، فقال إن "التحيات" في التشهد تعني "الملك" لأن التحية لا تقدم إلا للملك واستشهد بقول شاعر لم يذكر إسمه :

ولَكُلُّ ما نال الفتى قد نلته إلا التحية[2]

يريد أنه لم يصر ملكا يحيا بتحية الملوك.

وشرح معاني التسبيح وهو التنزيه والقنوت وهو القيام، والحفد وهو تسارع الخطو، والتثويب وهو قول المؤذن في الصبح : "الصلاة خير من النوم" مرتين؛ وبيّن مواقيت الصلاة واشتقاق أسمائها، وهيئتها كالركوع والسجود، والإقعاء وهو أن يلتصق الرجل بالأرض على إلْيَتَيه وينصب فخذيه كما تفعل السباع.

وفي آخر باب ألفاظ الصلاة، استطرد الاضطباع الذي يؤمر به الطائف بالبيت وهو إبداء المنكب الأيمن وتغطية الأيسر بلباس الإحرام[3].

ثم أردف باب الصلاة بمصطلحات الزكاة، وباباً للبيوع وآخر للنكاح. وختم هذه الأبواب بالكلام عن ألفاظ مختلفة في الفقه، شرح فيها معاني الصيام والحج وبعض مصطلحات العتق والفرائض والجهاد والأيمان والنذور والذبائح.

وكان يخلل شروحه باستطرادات لغوية وأشعار تتضمن أنواعا من حوشي اللغة.

وبعد المصطلحات الفقهية، خصّص ابن قتيبة بابا لتفسير كلمة "القرآن". وقال إنه سمي بذلك لأنه يضم السور، وفسر كلمة المثاني لأن القصص والأنباء فيه تثنى،

(1) غريب الحديث لابن قتيبة، ج 1، ص 8 وما بعدها، تحقيق نعيم زرزور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1988.

(2) المصدر نفسه، ص 16.

(3) المصدر نفسه، ص 15 وما بعدها.

وذكر أن الفاتحة سميت سورة الحمد لأنها تثنى في الصلاة، وروى عن سفيان ـ ولعله الثوري ـ عن مسعر بن كدام عن أهل العلم أنهم كانوا يرون الأنفال وبراءة سورة واحدة وأن ذلك سبب عدم افتتاحها بالبسملة.

وذكر أن التوراة مشتقة من ورى الزند، وأن الزبور من الكتابة، والإنجيل من الاستخراج.

ثم تعرض لبعض الألفاظ الواردة في القرآن مثل الكافرين والظالمين والفاسقين والفاجرين والملحدين وتكلم عن معانيها واشتقاقاتها. وبعد ذلك فسّر الأسماء التي تطلق على الفرق كالرافضة والخوارج والمرجئة والقدرية[1].

وبعد هذه الأبواب الأولى والتي أوردها كمقدمة لشرح غريب الأحاديث، شرع في ذكر الغريب في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وأورد مائة وخمسة وعشرين حديثاً. واعتاد أولاً أن يسوق الحديث وربما اختصره إذا كان طويلاً، ثم يذكر سنده، وبعد ذلك يفسر غريبه معتمداً على روايات الأصمعي وأبي عبيدة، مستشهداً بالأشعار التي ورد فيها بعض الألفاظ التي تم شرحها.

ونذكر هنا جملة من هذه الألفاظ، مثل قوله في الحديث : إن أهل النار كل جعظري جواظ. وفي إسناده أبو زيد الأنصاري اللغوي. وفسر الجواظ بأنه كثير اللحم واستشهد ببيت رواه الأصمعي لرؤبة بن العجاج :

يعلو بها ذا العضل الجواظا

وأن الجعظري هو الذي يتجمع ويندثر[2].

وشرح أنتق أرحاماً، أنها أكثر أولاداً. وروى عن الأصمعي، أن امرأة ناتق بمعني كثيرة الأولاد[3]. وقال إن الوذر يعني اللحم[4] في حديث عكراش بن ذؤيب. وتحدث عن كنية أنس بن مالك بأبي حمزة قال إن أنساً ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه ببقلة كان يجتنيها والحمزة حدة في الطعام تقرص اللسان كقرص الخردل. وفي حديث

---

(1) المصدر السابق، ص 54 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه، ص 62 وما بعدها.

(3) المصدر نفسه، ص 63.

(4) المصدر نفسه، ص 66.

الربيع بنت معوذ بن عفراء أن القناع جمع قنع وهو إناء توضع فيه الفاكهة، وأن الزَّغب تقال للقثاء.

وفي حديث صفة الدجال قال إن فاثور[1] الفضة جاء من الفضة واستشهد بقول لبيد عن النعمان :

حقائبهم راح عتيق ودرمك وربط وفاثورية وسلاسل[2]

ب) نماذج من أحاديثه :

وختم ذكر أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بثمانية أحاديث طوال منها :

1. **حديث أم معبد المشهور** وقد رواه عن حبيش بن خالد، وفسر بعض ما جاء من الغريب في وصفهﷺ حين قالت لزوجها : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثلجة، ولم تُزْرِ بِه صعلة، وسيماً قسيماً، في عينيه دعج، وفي أشفاره عطَفٌ (أو غطف)، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثافة، أزجُّ، أقرن... إلى آخر الحديث[3].

2. كما أورد أيضاً **حديث ابن أبي هالة التميمي** في وصفه صلى الله عليه وسلم، وشرح ألفاظه المشهورة، ففسر المشذب بأنه المائل إلى الطول، وأن العقيقة شعر الرأس، وأن العرنين المرسى، والأقنى كناية عن طول الأنف ودقة أرنبته وحدب في وسطه، وأن الشمم ارتفاع القصبة وحسنها واستواء أعلاها، وأن المسربة الشعر المستدق ما بين الصدر والسرة، وأن المشاش رؤوس العظام، إلى أخر هذه الأوصاف[4].

3. **وحديث رؤيا ابن زمل الجهني** التي ذكر فيها أنه رأى النبيﷺ في مرج وهو على منبر فيه سبع درجات، وعن يمينه رجل طوال آدم، وعن يساره رجل تارٌّ أحمر، وأمام ذلك شيخ كأنهم يقتدون به، وأمامهم ناقة عجفاء. وذكر أنهﷺ فسر تلك الرؤيا بأن المرج الذي رأى في المنام هي الدنيا، وأن الرجل الطوال هو آدم، وأن الأحمر التارَ هو عيسى، وأن الشيخ هو إبراهيم عليه السلام، وأن الناقة العجفاء هي الدنيا، وأن الدرجات السبع التي في المنبر هي عدد سنين الدنيا وهي سبعة آلاف، وأنه عليه الصلاة والسلام في الألف الأخيرة منها.

---

(1) إبريق من الفضة.

(2) نفسه، ج 1، ص 74.

(3) نفسه، ج 1، ص 190.

(4) نفسه، ج 1، ص 204.

وذكر ابن قتيبة أنه روى هذا الحديث عن أبيه عن عبد الله بن هارون عن حازم بن محمد التمار عن الوليد بن عبد الملك الحراني عن سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة الجهني عن ابن زمل الجهني، ولم يتعرض كعادته في هذا الكتاب لتصحيح الحديث أو تضعيفه، وإنما اكفتى بشرح غريبه كقوله إن التار هو الممتلئ العظم[1].

4. وأورد **حديث أبي عمرو النخعي** الذي وفد على النبيﷺ، وقصّ عليه رؤيا رآها وفسرها له النبيﷺ وقال ابن قتيبة إنه رواه عن أبيه عن شيخ له كان يرويه عن إبن ذئب الليثي؛ والملاحظ أنه خبر لم يستوف شروط صحته عند أهل الحديث[2].

5. **والخامس حديث لقمان بن عاد** الذي رواه عن أبيه عن يزيد بن هارون الغنوي عن موسى بن إسماعيل عن سعيد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه. وفيه أن لقمان خطب امرأة على خطبة أخوته السبعة، فغضبوا فصالحهم على أن ينعتهم لها بصدق، وأن لها أن تختار ما رضيت منهم، وفي الخبر أن أم حبيبة كانت تسألهﷺ أثناء الحديث بهذه القصة فيقول : ها رويدك فإني لم أفرغ من حديثهم بعد. ويتضمن الحديث مجموعة من الألفاظ الغريبة منها ما قال عاد عن نفسه : أنا لقمان بن عاد لعادية عاد إذا انضجعت لا أجلنطئ ولا تملأ ريئتي جنبي، إن أر مطمعي فحدأ تلمع، وإلا أر مطمعي فوقاع بصلع. وفسر المجلنطيئ بأنه الذي يستلقي على ظهره ويرفع رجليه، وقال إن الحدأ هنا حدأة وهي الطائر، وتلمع بمعني تشير، والصلع الحجر[3].

6. **والحديث السادس هو حديث لقيط بن عامر** وافد بني المنتفق، وفيه وصف الصيحة يوم القيامة، وفي أوله أنه قال : فلعمر إلهك ما يدع على ظهرها إلا مات، والملائكة الذين مع ربك، فأصبح يطوف في الأرض وخلت عليه البلاد فأرسل السماء بهضب من العرش، فلعمر إلهك ما يدع على ظهرها من مصرع قتيل إلا شقت عنه حتى يخلقه من قبل رأسه. وذكر أنه رواية إبراهيم بن المنذر عن عبد الرحمن بن المغيرة عن عبد الرحمن بن عياش السمعي الأنصاري عن دلهم عن الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث[4].

---

(1) نفسه، ج 1، ص 199.

(2) نفسه، ج 1، ص 216.

(3) نفسه، ج 1، ص 219.

(4) نفسه، ج 1، ص 228.

7. **والحديث السابع هو حديث مالك بن نمط الهمداني** وقال فيه مالك إنه جاء مع نصية همدان مع مخلاف خارف ويام، عهدهم لا ينقض عن سنة ماحل ولا سوداء عنقفير. وفسر ابن قتيبة النصية بالخيار وسوداء عنقفير بالداهية. ثم ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لهمدان وهو : «هذا كتاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمخلاف خارف وأهل الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذو المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه على أن لهم في فراعها ووهاطها وغزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها، ويرعون عفاءها، لنا من دفنهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة. ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم به الصالغ والقارح»[1].

(1) نفسه، ج 1، ص 239.

3. أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي
(319-388هـ)[1]

أ) حياته : شيوخه وتلامذته

ولد الإمام أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي في بُست من بلاد كابل، سنة 319هـ، ورحل إلى الحجاز والعراق، فسمع في مكة من أبي سعيد بن الأعرابي ومحمد بن زياد. وبالبصرة من أبي بكر بن داسة، وهما ممن سمع من أبي داود السجستياني. ومن أبي العباس الأصم النيسابوري، ومن محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب، ومن محمد بن علي القفال الشاشي.

ومن أشهر تلامذته أبو حامد الأسفرايني، وأبو أحمد محمد بن عبد الله الحاكم، وأبو ذر الهروي.

كان محدثاً فقيهاً، أديباً شاعراً، ومن مأثوره قوله :

وما غمة الإنسان من شقة النوى ... ولكنها والله من عدم الشكل

وإني غريب بين بست وأهلها ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وقوله :

تسامح ولا تستوف حقك كله ... وأبقِ فلم يستقصِ قط كريم

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقوله :

ارْضَ للناس جميعا ... مثل ما ترتضي لنفسك

إنما الناس جميعا ... كلهم أبناء جنسك

غير عدل أن توفي ... وحشة الناس بأنسك

فلهم نفس كنفسك ... ولهم حس كحسك

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 3، ص 1018.

ب) مؤلفاته

من أشهر مؤلفاته : كتاب معالم السنن في شرح سنن أبي داود، وكتاب في شرح البخاري، وكتاب الغنية عن الكلام، وكتاب غريب الحديث.

ـ كتاب "غريب الحديث"[1] :

يقول فيه : «لما كثر نظري في الحديث، وطالت مجالستي أهله، وجدت فيما يمر بي ويرد عليّ منه ألفاظا غريبة لا أصل لها في الكتابين يعني كتاب أبي عبيد وكتاب ابن قتيبة علمت خلاف ما كنت أذهب إليه من ذلك مذهباً وأن وراءه مطلباً، فصرفت إلى جمعها عنايتي، ولم أزل أتتبع مظانها، وألتقط آحادها، وأضم نشرها وألفق بينها حتى اجتمع ما أحب الله أن يوفق له، واتسق الكتاب فصار كنحو من كتاب أبي عبيد أو كتاب صاحبه ونحوت نحوهما في الوضع والترتيب».

«وابتدأت أولاً بتفسير أحاديث النبيﷺ، ثم ثنّيت بأحاديث الصحابة، وأردفت أحاديث التابعين، وألحقت بها مقطعات من الحديث لم أجد لها سنداً، إلا أنها قد أخذت من المقانع من أهل العلم والأثبات من أهل اللغة وختمت الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث يرويها عوام النقلة، ملحونة ومحرفة عن جهة قصدها».

«ولم أعرض لشيء فسر في كتابيهما إلا أن يتصل حرف منه بكلام فيذكر في ضمنه، أو يقع منه شيء في استشهاد أو نحوه، وإلا أحاديث وجدت في تفسيرها لمتقدمي السلف أو لمن بعدهم من أهل التأويل والنظر أقاويل تخالف بعض مذاهبهما»[2].

ثم ذكر مجموعة من الكتب التي أُلِّفت في الغريب غير كتابيْ أبي عبيد القاسم وابن قتيبة، إلا أنه لاحظ عليها أنها إذا جمعت قد تكون مثل الكتاب الواحد لأنهم لم يقصدوا مذهب التعاقب كصنيع ابن قتيبة في كتابه، وإنما سبيلهم فيها أن يتوالوا على الحديث الواحد فيعتوروه فيما بينهم ثم يتبارون في تفسيره، يدخل بعضهم على بعض.

وقال : «إن في بعض هذه الكتب أحاديث منكرة، لا تدخل في شرط ما أنشئت له هذه الكتب، وإن كتاب شمر بن حمدويه أشفّها وأوفاها، وأن في الكتابين غنى ومندوحة عن كل كتاب ذكرناه قبل». وذكر أن لابن الأنباري استدراكات على ابن قتيبة سوف

---

(1) تحقيق عبد الكريم العزباوي، منشورات جامعة أم القرى بمكة المكرمة مركز البحث العلمي في 3 مجلدات سنة 1403هـ.

(2) انظر غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي ص 48، ج 1، منشورات دار الفكر بدمشق، ط 1، 1982.

ينبه على بعضها في كتابه، وأنه رأى أن يقدم فصولاً لأصحاب الحديث وطلاب الآثار لتكون توطئة للصناعة وزادا للمقوين[1].

وكتاب "غريب الحديث" لأبي سليمان الخطابي مثّل خطوة جديدة في مناهج مصنفي غريب الحديث، فقد كان ملتزماً بالإسناد، متجنباً للأخبار التي يراها من المناكير، وحريصاً على ذكر حجج شرحه بإيراد الأحاديث التي في معناه، مع عدم الإسهاب والتوسع في الشواهد اللغوية مقتصراً على ما تدعو إليه الحاجة، كما اهتم بالمسائل الفقهية التي تضبط من الأحاديث التي شرحها. ونورد فيما يلي أمثلة من آرائه :

ج) تصحيح بعض التصحيفات

منها حديث : من تزوج ذات جمال ومال فقد أصاب سَداداً من عوز، رواه هشيم بن بشير، بفتح السّين، والصحيح كسرها. وحكى الخطابي ما جرى بين النضر بن شميل والمأمون الذي روى الحديث عن هشيم عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس، وعارضه النضر برواية عن عوف الأعرابي عن الحسن بن علي عن أبيه برواية الكسر، فسأله المأمون عن حجته فاستشهد بقول العرجي :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسِداد ثغر[2]

ومن أمثلة التصحيف ما رواه يحيى بن معين في حديث أبي الدرداء : أتقنوا عليك البنيان وتركوك لمَثَلِّك، أي لمصرعك. قال يحيى إن بعض الرواة صحفه فرواه "لمثلك"[3].

ومن طرائف ما أرود في معرض معرفة أئمة الحديث باللغة العربية قوله إن شعبة بن الحجاج سمع بالأصمعي فتمنى لقاءه لما يذكر عنه من سعة علم باللغة، ولما لقيه سأله كيف يروي قول الحطيئة :

أوليك قوم إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا وفوا وإن عقدوا شدوا

فرواه الأصمعي بكسر الباء في قوله : البِنا.

---

(1) نفسه، ج 1، ص 50.

(2) غريب الحديث للخطابي، ج 1، ص 55، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، منشورات دار الفكر بدمشق، 1982. «وقد سبق لي قديما أن نظرت هذه الكلمة في أحد المعاجم فنظمت ما قال في أبيات وهي :

من عوز فيه السداد يفتح وكسره ورد وهو الأفصح
أما الذي مثل سداد الثغر فلا تقل فيه بغير الكسر
وقد سددت بينهم حُلْتُ بسد والسد بالفتح وبالضم ورد

(3) غريب الحديث للخطابي، ج 1، ص 58، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، منشورات دار الفكر بدمشق، 1982.

فقال له شعبة : انظر جيدا، فرد عليه الأصمعي بقوله : لا أعرف إلا هذا، فقال شعبة : يا بُنيّ أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البُنى بضم الباء[1].

ولم يك يرضى كل أقوال أهل اللغة في تفسير الحديث، فربما استدرك عليهم، إذا ما لم يعرفوا المعنى الصحيح، فمن ذلك ما أورده في حديث النبيﷺ : أنه كان إذا رفّح إنساناً قال : بارك الله عليك.

فقال : «حدثنيه أحمد بن إبراهيم بن مالك : نا محمد بن النضر، ثنا خالد بن خداش، نا عبد العزيز الدراوردي، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة».

«وسألت عن هذا الحرف عامةَ من أدركته من أهل اللغة، فلم أجد في ذلك عندهم شيئا يعتمد، إلا أن أبا عمر قال لي : إنما هو رقَّح، بالقاف، قال : والترقيح : إصلاح المعيشة، ولهذا قيل للتاجر رقاحي، وأنشد للحارث بن حلزة :

يترك ما رقّح من عيشه يعيث فيه همجٌ هامِج»

«قال : ومعناه أنه كان إذا دعا للإنسان بالصلاح قال : بارك الله عليك».

«وأخبرني ابن مالك، سمعت محمد بن النضر يقول : سألت ابن الأعرابي، وسئل عن هذا الحرف، فقال : معناه دعا له بخير».

قال أبو سليمان : «وهذا التفسير ليس على التحقيق، ولكن على وجه التخمين والتقريب، إذا كان معقولا أن قوله : بارك الله عليك، دعاء بالخير لا محالة، ولم يكن عندي في ذلك شيء هو أشف مما ذكره أبو عمر، إلى أن وجدت هذا الحرف من رواية قتيبة، عن الدراوردي، وهو ما حدثناه ابن داسة، نا أبو داوود، نا قتيبة (بن سعيد)، نا عبد العزيز بن محمد، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة أن النبيﷺ كان إذا رفَّأ الإنسان إذا تزوج قال : بارك الله لك وبارك عليك، فعلمت أن الحاء من قوله : رفّح بدل من الهمزة في قوله : رفّأ، والحاء والهاء أختان في قرب المخرج، وقد تتعاقبان في مواضع كقولهم : مدح ومده، وفرح وفره».

«أخبرني أبو عمر، عن أبي العباس ثعلب، عن سلمة، عن الفراء، عن الكسائي قال: سمعتهم يقولون: باقِلّي هَارّ، فقلت من التَّهَرِّي، فقالوا: لا، لكن من الحرارة، قال: وأنشدنا:

تمَدّهِي ما شئتِ أن تَمَدَّهِي فلستِ من هُوْئِي ولا ما أشتهي

---

(1) غريب الحديث للخطابي، ج 1، ص 62 وما بعدها، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، منشورات دار الفكر بدمشق، 1982.

وقال رؤبة :

لله در الغانيات المُدَّهِ

يريد المدح.

«وكذلك الهاء والهمزة يتعاقبان أيضاً كقولهم : هَرَاقَ الماء وأراقَه. وهِبْرِيَةُ الرأس وإبْرِيتَه، وإيّاك وهيّاك، فعلى هذا قيل : رفّح بمعنى رفّأ، وهو قول الرجل للمتزوج : بالرِّفاء والبنين، كان الأصل فيه رفّأ، ثم قلبت الهمزة هاء فصار رفّه، ثم أبدلت الهاء حاء فصار رفّح. ويقال : أصل قولهم : بالرِّفاء والبنين، مأخوذ من رفوْتُ الثوب أرْفوه رفْوًا : أي لأمته وأصلحته، وفيه لغة أخرى رفأت أرفأُ بالهمز، وعلى هذا جاء الحديث، قال الشاعر :

بدّلتُ من جِدّةِ الشبيبة والـ   أبدال ثوب المشيب أردؤها

ملاءةً غير جِدٍّ واسعة   أخيطها تارةً وأرفَؤُها

قال أبو زيد في كتاب الهمز : يقال رَفَأْت الثوب أرفَأُه ورَفَأْت المُمَلَّك تَرفِئَة وترفيئاً إذا دعوت له»[1].

د) مناقشته لأبي عبيد وابن قتيبة

وفي بعض الأحيان يناقش أقوال أبي عبيد وابن قتيبة، من ذلك ما ساقه في حديث النبيﷺ من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم[2] فقال : ذكره أبو عبيد في كتابه[3] وقال : الأجذم : المقطوع اليد، واحتج بقول الشاعر :

وهل كنتُ إلا مثل قاطع كفه   بكفٍّ له أخرى فأصبح أجذما[4]

واعترض ابن قتيبة على أبي عبيد في كتابه الذي سماه "إصلاح الغلط"، وزعم أنه تدبر هذا التفسير فرآه إنما أُوتِي فيه من قبل البيت الذي استشهده، قال : وليس كل أجذم أقطع اليد، قال : وإذا حملنا الحديث على ما ذهب إليه رأينا عقوبة الذنب لا تشاكل الذنب، لأن اليد لا سبب لها في نسيان القرآن، والعقوبات من الله عز وجل تكون بحسب الذنوب كقوله : ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من**

(1) غريب الحديث للخطابي، ج 1, ص 294 وما بعدها، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، منشورات دار الفكر بدمشق، 1982.

(2) أخرجه أبو داود في الصلاة، 75/2، والدارمي 437/2، وأحمد في 284/5، 285، 322، 328.

(3) غريب الحديث لأبي عبيد 48/2.

(4) اللسان (جذم) وعزي للمتلمس وهو في ديوانه 32.

المس ﴾، يريد أن الربا الذي أكلوه ربًا في بطونهم وأثقلهم، وكقول النبيﷺ : «رأيت ليلة أسري بي قوماً تقرض شفاهم، كلما قرضت وفَتْ، فقال جبريل : هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، لأنهم قالوا بأفواههم فعوقبوا بها ومثل هذا كثير»[1].

هـ) استنتاجات فقهية

ففي حديثهﷺ : أنهم كانوا معه في سفر فأصابهم بغيش، فنادى مناديه من شاء فليُصلّ في رحله فليفعل، وبعدما فسر البغيش بأنه المطر الخفيف قال : إن المطر الخفيف عذر في التخلف عن صلاة الجماعة، وأن الاجتماع لها مندوب في السفر[2].

وبحديث امرأة الأنصار التي أتته بعُلالة من شاة فأكل منها، وصلى العصر ولم يتوضأ، استدل على عدم وجوب الوضوء مما مسته النار[3].

وفي حديث فاطمة بنت قيس المشهور، ذكر أن ميمون بن مهران سأل سعيد بن المسيب، أتخرج المطلقة ثلاثاً من بيتها ؟ قال : لا، قلت : فأين حديث فاطمة، قال : تلك امرأة فتنت الناس كانت لسنة مع أحمائها[4].

وفي حديثه بعد صلح الحديبية أنه صلى الله عليه وسلم قال : إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البُرد، ثم لم يرد على قريش أم كلثوم بنت عقبة لما أتت مهاجرة لقوله تعالى : ﴿ **فلا ترجعوهن إلى الكفار** ﴾[5] فقد رأى فيها نسخ السنة بالكتاب[6].

وفي حديث : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، قال إنهﷺ قال إن الشخوص إلى غير هذه المساجد لا يلزم في النذر، فإذا نذر الصلاة في غيرها فله الخيار في الوفاء بها أو يصليها في أي مسجد شاء[7].

---

(1) غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، ج 1، ص 309، منشورات دار الفكر بدمشق، ط 1، 1982.

(2) المصدر نفسه، ص 72.

(3) المصدر نفسه، ص 74.

(4) المصدر نفسه، ص 100.

(5) الممتحنة، 10

(6) غريب الحديث للخطابي، مصدر سابق، ج 1، ص 123.

(7) المصدر نفسه، ص 133.

وفي حديث الرجل الأحين الذي وجب عليه الحد، فضرب بأثكول النخل، يرى أبو سليمان جواز تخفيف حد المريض الذي لا يرجى بالضرب الخفيف، وإن كان ممن يرجى برؤه، انتظر به حتى يشفى فيقام عليه الحد بالضرب الموجع[1].

وفي حديث أنهﷺ مضغ وترا في رمضان ورصف به قوسه، يرى أنه يدل على أن مضغ العلك لا يفطر الصائم[2].

وفي حديث عدي الجذامي الذي قال للنبيﷺ أن امرأتيه اقتتلتا، فرمى إحداهما، فرمي في جنازتها، أي ماتت، فقال : اعقلها ولا ترثها، قال الخطابي : إن فيه من الفقه أن قاتل الخطإ لا يرث من قتل[3].

وفي الحديث أنهﷺ قال : من ظلم شبرا من الأرض طوّقه الله من سبع أرضين، قال أبو سليمان : إن فيه من الفقه أن من ملك بقعة من الأرض ملك أسفلها وأعلاها، وأن ليس لأحد أن يتخذ سربا تحتها أو أن ينزع خباها أو ظلة في هواء داره وإن كان لا يتضرر به[4].

قال أبو سليمان في حديث النبيﷺ : أنه أوتر بسبع أو تسع، ثم اضطجع فنام حتى سُمِع ضَغِيزَه أو ضَفِيزَه، ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ[5].

هكذا حدثناه محمد بن هاشم بن هشام، نا زكريا بن يحيى الحنائي، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا عباد بن العوام، عن سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة، عن ابن عباس، قال : بِتُّ عند خالتي ميمونة، وذكر الحديث.

الغضيز ليس بشيء، فأما الضفيز فهو كالغطيط، وهو الصوت يسمع من النائم عند ترديد النفَس، وأصل الضفز اللقم واللوك، قال رؤبة :

تبتلع الهامة قبل الضَّفْزِ[6]

(1) المصدر السابق، ص 155.

(2) المصدر السابق، ص 200.

(3) المصدر السابق، ص 233.

(4) المصدر السابق، ص 256.

(5) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، 1/123 بلفظ : قام من الليل يصلي ثم نام فلقد سمعت صفيره...، ولم يذكر أنه أوتر بسمع أو تسع.

(6) الديوان، 64.

ويقال : ضفزتُ البعير، إذا علفته الضفائز : وهي اللُّقَم الكبار، واحدتها ضفيزة، ومنه حديث أبي ذر : أن النبيﷺ مر بوادي ثمود، فقال : يا أيها الناس، إنكم بواد ملعون، من كان اعتجن بمائه فليضمزه بعيره[1].

«أخبرنا ابن الأعرابي، نا محمد بن محمد بن عقبة الشيباني، نا زكريا بن يحيى، نا خنيس بن بكر بن خنيس، ثنا سوار بن مصعب، عن داود بن أبي عوف، عن فاطمة بنت علي، عن فاطمة الكبرى، عن أسماء بنت عميس، عن أم سلمة : أن رسول اللهﷺ قال لعلي : «ألا إن قوماً ممن يزعمون أنهم يحبونك يضفزون الإسلام، ثم يلفظونه، ثم يضفزونه، ثم يلفظونه ثلاثاً يقال لهم الرافضة»[2].

و) تصحيحه للروايات

وذلك مثل قوله في حديث النبي،ﷺ أن عائشة قالت : نصبت على باب حجرتي عباءة، وعلى مَجَرّ بيتي سترا، مَقْدَمَه من غزو خيبر أو تبوك، فدخل البيت، فهتك العَرْصَ حتى وقع إلى الأرض[3].

«حدثناه مكدم بن محمد بن مكدم، نا محمد بن اسماعيل السلمي، نا ابن أبي مريم، أنا يحيى بن أيوب، حدثني عمارة بن غزية أن محمد بن إبراهيم بن الحارث حدثه، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة».

«هكذا وقع في كتابي، والصواب عن عائشة إلا أنه قال : العرض وهو غلط، والصواب : العَرْص : وهي خشبة توضع على البيت عرضاً إذا أرادوا تسقيفه، ثم تلقى عليه أطراف الخشب القصار، يقال : عرَّصت السقف تعريصاً، ومَجَرُّ البيت هو العَرْص بعينه، وهو الذي يقال له الجائز، وهو حامل البيت، وأراه مشبها بالمجرَّة لاعتراضها في السماء، وإنما عنت بهتك العرص هتك سماوة البيت التي كانت غطت بها وجه العرْص»[4].

---

(1) أخرجه البخاري 181/4، معلقا بالاختصار. وقال ابن حجر في الفتح 189/7، وصله البزار.

(2) النهاية (ضفز)، 94/3، أخرجه ابن الأعرابي في معجمه لوحه 153 بلفظ : "يصفرون"، والهيثمي في مجمعه 23/10 بلفظ "يرفضون". وانظر غريب الحديث للخطابي، ج 1، ص 176 وما بعدها، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، منشورات دار الفكر بدمشق، 1982.

(3) لم نجده بهذا السياق، وأخرجه أبو داود، 74/4 وغيره بنحوه.

(4) غريب الحديث للخطابي، ج 1، ص 85، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، منشورات دار الفكر بدمشق، 1982.

ز) تعمقه في البحث عن الغريب : تفسير حديث الأذان

وفي بعض الأحيان يبين مدى بحثه عن تفسير الغريب مثل قوله في حديث النبيﷺ : أنه اهتمَّ للصلاة، كيف يجمع الناس لها، فذكر له القُنْع فلم يعجبه ذلك، ثم ذكر قصة رؤيا عبد الله بن زيد في الأذان[1].

«أخبرناه ابن الأعرابي، وابن داسة قالا : ثنا أبو داود، نا عباد بن موسى الختلي، قال : أنا زياد بن أيوب وحديث عباد أتمَّ، قالا : نا هشيم، عن أبي بشر، عن أبي عمير بن أنس، عن عمومة له من الأنصار».

قال أبو سليمان : «قد أكثرت السؤال عن هذا الحرف والنشدة له، فلم أجد فيه إلا دون ما يُقْنَعُ، وقد ذكر في الحديث أنه الشبور. واختلفت الروايات فيه، فقال ابن الأعرابي : القُنْع، وسمعته مرة أخرى يقول : القُنَع».

«وأخبرني محمد بن المكي، نا الصائغ، نا سعيد بن منصور، نا هشيم، نا أبو بشر، أخبرني أبو عمير بن أنس، أخبرني عمومة لي من الأنصار، وذكر الحديث، فقال فيه : القتع بالتاء التي هي أخت الطاء».

«فأما القُنَع وتفسير الراوي أنه أراد الشبور، فإن الرواية إذا خصت به أمكن أن يقال على بعد فيه، إنما سمي قُنْعا لإقناع الصوت به، وهو رفعه، قال الراعي :

فإذا تعرضت المفازة غادرت ... رَبِذا يُبْغِّل خَلْفَها تَبْغيلا

زَجِلَ الحُداء كأن في حيزومه ... قَصَباً ومُقْنِعَةَ الحَنِينِ عَجُولا[2]

يريد الناقة ترفع صوتها بالحنين.

ورواه عمارة بن عقيل : ومقنعة الحنين، بفتح النون، قال : هي الناي.

وفيه وجه آخر، وهو أن يكون إنما سمي قَنْعاً لأنه أقنع أطرافه إلى داخله. قال الأصمعي : المقنع : الفم الذي يكون عطف أسنانه إلى داخل الفم، ويقال : إن الطبق الذي يؤكل عليه الطعام إنما سمي قُنْعاً : لأنه تقنع أطرافه إلى داخله».

«وإن كانت الرواية القبع، فالوجه في تخريجه، وإن كان في البعد مثل الأول أو أشد، أن يكون الشبور إنما سُمِيَّ قُبَعاً إما لأنه يقبع فَا صاحبه : أي يواريه إذا نفخ فيه»[3].

---

(1) سنن أبي داود، 134/1.

(2) الديوان، 128، ط. دمشق، وديوانه ط. بغداد، د. واللسان (رقص) والجمهرة 318/1.

(3) غريب الحديث للخطابي، ج 1، ص 172، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، منشورات دار الفكر بدمشق، 1982.

4. جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (538هـ)[1]

1. كتابه "الفائق في غريب الحديث"[2]

مؤلف هذا الكتاب عالم ذائع الصيت هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المعروف بتبحره في علوم اللغة والنحو، وقد اشتهر بمؤلفاته البديعة، ومنها كتابه المشهور "الكشاف في التفسير".

وكتابه "الفائق" من أبدع ما كتب في موضوعه، وقد شهد له ابن الأثير في كتاب "النهاية"، أنه اسم صادف المسمى، وكشف من غريب الحديث كل معنى.

وقد اعتمد منهجا فريدا في عرض مادة غريب الحديث وترتيبها، ذلك أنه لم يسلك طريق المحدثين، فلم يهتم بأسانيد الحديث ولا رواته، ولم يَتَّبع سبيل الفقهاء، فلم يُعن بالأحكام ولا بالمسائل الفقهية، وإنما اقتصر على انتقاء ألفاظ الغريب مرتبة حسب أصل المجامع، وبالخصوص منهج ابن فارس في مصنفه. فصار كتابه في الحقيقة معجما يشرح الغريب باقتضاب، ويختار لمدخل المادة الحرفين الأولين. ولتحاشي التكرار في عرضه، فقد اعتاد أن يحيل إلى حروف المادة للوقوف على شرح ما ورد فيها من ألفاظ في تلك الحروف.

ثم إنه أراد أن يجمع ألفاظ الغريب في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وعند الصحابة والتابعين في كل مادة معجمية، بدلا من تخصيص جزء للحديث وجزء للآثار، مثل ما كان صنع من ألف قبله.

بدأ المؤلف كتابه "الفائق" بخطبة أشاد فيها باللغة العربية، قائلا : إنها لسان الذبيح إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، كما نوه تنويها بالغا ببلاغة من أوتي جوامع الكلم، بدأها بقوله، بعد البسملة :

---

(1) انظر ترجمته في سير اعلام النبلاء للذهبي، ج 20، ص 151.

(2) طبع بحيدر أباد الدكن، بعناية الحسن بن أحمد النعماني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، سنة 1324هـ، كما ضبطه وصححه وعلق حواشيه علي محمد البجاوي، وطبع بدار إحياء الكتب العربية بالقاهرة سنة 1367هـ، وطبع طبعات أخرى في بيروت ومكة المكرمة.

«ثم إن البيان العربي كان الله عزت قدرته مخضه والقى زبدته على لسان محمد عليه وآله أفضل صلاة وأوفر سلام. فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرجل، وما من مصقع يناهزه إلا رجع فارغ السجل، وما قرن بمنطقه منطق إلا كان كالبرذون مع الحصان المطهم، ولا وقع من كلامه شيء في كلام الناس إلا أشبه الوضح في نقبة الأدهم. قال عليه السلام : يأوتيت جوامع الكلم». وقال : «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر».

«وقد صنّف العلماء رحمهم الله في كشف ما غُرب من ألفاظه واستبهم، وبيان ما أعتاص من أغراضه واستعجم، كتبا تثوقوا في تصنيفها وتجودوا، واحتاطوا ولم يتجوزوا، وعكفوا الهمم في ذلك وحرصوا، واغتنموا الإقتدار عليه وافترضوه حتى أحكموا ما شاءوا، وما منهم إلا من بطش فيما انتحى بباع بسيط، ولم يزل عن موقف الصواب مقدار فسيط، ولم يدع المتقدم للمتأخر خصاصة يستظهر به على سدها، ولا أنشوطة يستنهضه لشدها، ولكن لا يكاد يجد بدا من نبغ في فن من العلم وصبغ فيه يده، وعانى وكْدَه وكدَّه، من استحباب أن يكون له فيه أثر يكسبه في الناس لسان الصدق وجمال الذكر، ويخزن له عند الله جزيل الأجر وسني الذخر، وفي صوب هذين الغرضين ذهبت عند صنعة هذا الكتاب غير آل جهدا، ولا مقصرا عن مدى، فيما يعود لمقتنيه بالنصح، ويرجع إلى الراغبين فيه بالنجح، ومن اقتضاب ترتيب سلمت فيه كلمات الأحاديث نسقا ونضدا، ولم تذهب بددا، ولا أيدي سبا وطرائق قددا، ومن اعتماد فسر موضع، وكشف مفصح، اطّلعت به على حلق المعنى وفص الحقيقة طلاعا موداه طمأنينة النفس وثلج الصدر، مع الاشتقاق غير المستكره والتصريف غير المتعسف، والإعراب المحقق البصري، الناظر في نص سيبويه وتقرير الفسوي، فأية نفس كريمة ونسمة زاكية نور الله قلبها بالإيمان والإيقان، مرت في هذا التبيان والإتقان، فلا يذهبن عليها أن تدعو لي بأن يجعله الله في موازيني ثقلا ورجحانا، ويثيبني عليه روحا وريحانا، والله عز سلطانه المرغوب إليه في أن يوزعنا الشكر على طوله وفضله. ولا نقدم إلا على أعمال الخير خالصة لوجهه ومن أجله، إنه المنعم المنان»[1].

نصوص من الكتاب :

شرح "كتاب النبيﷺ لوائل ابن حجر" :

وهو من محمد رسول الله إلى المهاجر بن أبوأمية أن وائلا يستسعي ويترفل على الأقيال بحيث كانوا من حضرموت.

(1) خطبة كتاب الفائق للزمخشري، ص 3 وما بعدها، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، بعناية الحسن بن أحمد النعماني، ط 1، 1324هـ.

وروى أنه كتب له : «من محمد رسول الله إلى الأقيال العباهلة من أهل حضرموت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة على التيعة شاة واليتيمة لصاحبها وفي السيوب الخمس، لا خلاط ولا وراط ولا شناق ولا شغار، ومن أجبى فقد أربى، وكل مسكر حرام».

وروى : «إلى الأقيال العباهلة والأرواع المشابيب من أهل حضرموت بإقام الصلاة المفروضة وأداء الزكاة المعلومة عند محلها في التيعة شاة لا مقورة الألياط ولا ضناك، وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس، ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاماً، ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالأضاميم، ولا توصيم في دين الله، ولا غمة في فرائض الله، وكل مسكر حرام؛ ووائل بن حجر يترفل على الأقيال، أمير أمره رسول الله فاسمعوا وأطيعوا».

وروى أنه كتب : «إلى الأقيال العباهلة، لا شغار ولا وراط، لكل عشرة من السرايا ما يحمل القراب من التمر». وقد شرح المؤلف غريب هذا الحديث على النحو التالي :

(أبو أمية)، ترك في حال الجر على لفظه في حال الرفع لأنه اشتهر بذلك وعرف فجرى مجرى المثل الذي لا يغير. وكذلك قولهم علي بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان.

(يستسعى) يستعمل على الصدقات من الساعي وهو المصدق. (يترفل) : يتسود ويترأس، يقال رفلته فترفل، قال ذو الرمة :

إذا نحن رفلنا امرُؤاً ساد قومه   وإن لم يكن من قبل ذلك يذكر

استعارة من ترفيل الثوب وهو إسباغه وإسباله.

(حضرموت) اسم غير منصرف ركب من اسمين وبنى الأول منهما على الفتح، وقد يضاف الأول إلى الثاني فيعتقب على الأول وجوه الإعراب ويخير في الثاني بين الصرف وتركه. ومنهم من يضم ميمه فيخرجه على زنة عنكبوت[1].

(أقوال) : جمع قيل وأصله قَيْوَلٌ فيعل من القول، فحذف عينه واشتقاقه من القول كأنه الذي له قول أي ينفذ قوله، ومثله أموات في جمع ميت. وإما (أقيال) فمحمول على لفظ قيل كما قيل أرياح في جمع ريح، والشائع أرواح، ويجوز أن يكون من التقيُّل وهو الإتباع كقولهم تبع.

(1) هذا ما ذكره علماء اللغة في تركيب حضرموت، والحق أنها كلمة مهرية، وليست عربية ونظائرها في بلاد مهرة وما جاورها كثير كبرهوت وسيحوت وريسوت، وغيرها أسماء أمكنة وقرى، 2، السيد.

(العباهلة)، الذين أقروا على ملكهم، لا يزالون، من عبهله، بمعنى أبهله إذا أهمله، العين بدل من الهمزة كقوله :

أعِن توسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وقوله : واللهُ عن يشقيك أغنَى وأوسع، عكسه أفرة في عفرة وأُبَاب في عُباب. والتاء لاحقة لتأكيد الجمع كتاء صياقلة وقشاعمة، والأصل عباهل. قال أبو وجرة السعدي : عباهل عبهلها الوراد. ويجوز أن يكون الأصل عباهيل فحذفت الياء وعوضت منها التاء، كقولهم فرازنة وزنادقة، في فرازين وزناديق وحذف الشاعر ياءها بغير تعويض على سبيل الضرورة كما جاء في الشعر. وقد يكون الواحد عبهولاً ويؤنس به قولهم العزهول وهو أحد العزاهيل، وهي الإبل المهملة، ويجوز أن يكون علماً للنسب على أن الواحد عبهلي منسوب إلى العبهلة، التي هي مصدر، وقد حذفها الشاعر كقولهم الأشاعث في الأشاعثة.

(التيعة) : الأربعون من الغنم، وقيل هي اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة كالخمس من الإبل وغير ذلك، وكأنها الجملة التي للسعاة عليها سبيل. من تاع إليه يتيع، إذا ذهب إليه، ومن قولك أعطاني درهما فتعت به، أي أخذته. وأن يقعوا فيها ويتهافتوا من التتايع في الشيء، وعينها متوجهة على الياء والواو جميعا بحسب المأخذ. و(اليتيمة): الشاة الزائدة على التيعة، حتى تبلغ الفريضة الأخرى. وقيل هي التي تربطها في بيتك للاحتلاب ولا تسيمها. وأيتهما كانت فهي المحبوسة إما عن السوم وإما عن الصدقة من التيتيم وهو التعبيد والحبس عن التصرف الذي للأحرار. ويؤكد هذا قولهم لمن يرتبط العلائف مبنن، من أبن بالمكان إذا احتبس وأقام. قال :

يعيرني قوم بأني مبنن وهل بنن الأشراط غير الأكارم

(السيوب) : الركاز وهو المال المدفون في الجاهلية، أو المعدن، جمع سيب، وهو العطاء، لأنه من فضل الله وعطائه لمن أصابه.

(الخلاط) : أن يخالط صاحب الثمانين صاحب الأربعين في الغنم، وفيها شاتان لتؤخذ واحدة.

(الوراط) : خداع المصدق بأن يكون له أربعون شاة فيعطي نصفها لئلا يأخذ المصدق شيئا؛ مأخوذا من الورطة وهي في الأصل الهوة الغامضة، فجعلت مثلاً لكل خطة، وإبطاء عشوة؛ وقيل هو تغييبها في هوة لئلا يعثر عليها المصدق. وقيل هو أن يزعم عند رجل صدقة وليست عنده فيورطه.

(الشناق) : أخذ شيء من الشنق، وهو ما بين الفريضتين، سمي شنقا لأنه ليس بفريضة تامة، فكأنه مشنوق أي مكفوف عن التمام، من شنقت الناقة بزمامها إذا كففتها، وهو المعنى في تسميته وقصا لأنه لما لم يتم فريضة فكأنه مكسور وكذلك شنق الدية، العدة من الإبل التي كان يتكرم بها السيد زيادة على المائة. قال الأخطل :

قرم تعلق اشناق الديات به   إذا المئون أمرت فوقه حملا

(الشغار) : أن يشاغر الرجل الرجل، وهو أن يزوجه أخته على أن يزوجه هوأخته، ولا مهر إلا هذا، من قولهم شغرت بني فلان من البلد إذا أخرجتهم، قال :

ونحن شغرنا ابني نزار كليهما   وكلبا بوقع مرفق متقارب

ومن قولهم تفرقوا شغر بغر، لأنهما إذا تبادلا باختيهما، فقد أخرج كل واحد منهما أخته إلى صاحبه، وفارق بها إليه.

(أجبى) : باع الزرع قبل بدو صلاحه، وأصله الهمز من جباء، عن الشيء إذا كف عنه، ومنه الجباء الجبان، لأن المبتاع ممتنع من الانتفاع به إلى أن يدرك وإنما خفف ليزاوج أربى.

(والإرباء) : الدخول في الربا، والمعنى أنه إذا باعه على أن فيه كذا قفيزا، وذلك غير معلوم، فإذا نقص عما وقع التعاقد عليه، أو زاد فقد حصل الربا في أحد الجانبين.

(الأرواع) : الذين يروعون بجهارة المناظر وحسن الشارات، جمع رائع، كشاهد وأشهاد.

(المشابيب) : الزهر الذين كأنما شبت ألوانهم أي أوقدت، جمع مشبوب، قال العجاج : ومن قريش كل مشبوب أغر.

(الإقْوِرار) : تشان الجلد واسترخاؤه للهزال، ويفصل حينئذ عن الجسم ويتسع، من قولهم دار قوراء.

(الليط) : القشر اللاصق بالشجر والقصب، من لاط يليط ويلوط إذا الصق، فاستعير للجلد، واتسع فيه حتى قيل ليط الشمس للونها، وإنما جاء به مجموعا لأنه أراد ليط كل عضو.

(الضناك) : المكتنزة اللحم، من الضنك، لأن الاكتناز تضام وتضايق، ومطابقة الضناك المقورة في الإشتقاق لطيفة.

(الإنطاء) : الإعطاء يمانية.

ألحق تاء التأنيت (بالشبج) وهو الوسط لانتقاله من الإسمية إلى الوصفية، والمراد اعطوا المتوسطة بين الخيار والزوال قلب نون من ميما في مثل قوله (مم ثيب) لغة يمانية، كما يبدلون الميم من لام التعريف، وإما

(مم بكر) فلا يختص به أهل اليمن، لأن النون الساكنة عند الجميع تقلب مع الباء ميما كقولهم شبنا وعنبر، والبكر والثيب يطلقان على الرجل والمرأة.

(الصقع) : الضرب على الرأس، منه فرس أصقع، وهو المبيض على رأسه، والمراد هنا الضرب على الإطلاق.

(الاستيفاض) : التغريب، من وفض وأوفض إذا عدا وأسرع.

(التضريج) : التدمية من الضرج، وهو الشق.

(الأضاميم) : جماهير الحجارة الواحدة، إضمامة إفعالة، من الضم، أراد الرجم.

(التوصيم) : أصله من وصم القناة، وهو صدعها، ثم قيل لمن به وجع وتكسر في عظامه، موصم، كما قيل لمن في حسبه غميزة موصوم، ثم شبه الكسلان المتثاقل الوجع المتكسر فقيل به توصيم، كما قيل مرض في الأمر، والمعنى لا هوادة ولا محاباة في دين الله.

(الغمة) : من غمه، إذا ستره، أي لا يخفي فرائضه وإنما يظهر ويخابر بها.

(القراب) : شبه جراب يضع فيه المسافر زاده وسلاحه.

(القراف) جمع قرف : هو ما يحمل فيه الخلع، أوجب عليهم أن يزودوا كل عشرة من السرايا المجتازة ما يسعه هذا الوعاء من التمر»[1].

2 . نماذج من معجمه

أبـد :

(سئل) عن بعير شرد فرماه بعضهم بسهم حبسه الله به عليه فقال : إن هذه البهائم لها أوابد كأوابد الوحش فما غلبكم منها فاصنعوا به هكذا. (أوابد الوحش) :

(1) كتاب الفائق للزمخشري، ج 1، ص 4 وما بعدها، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، بعناية الحسن بن أحمد النعماني، ط 1، 1324هـ.

نفرها. أبدت تأبد أو تابد أبودا، وهو من الأبد، لأنها طويلة العمر، لا تكاد تموت إلا بآفة. ونظيره ما قالوه في الحية، إنما سميت بذلك لطول حياتها. وحكوا عن العرب ما رأينا حية إلا مقتولة ولا نسراً إلا مقشياً (البهيمة) كل ذات أربع في البر والبحر والمراد ههنا الأهلية وهذه إشاره إليها[1].

أبط :

(أبو هريرة رضي الله تعالى عنه) كانت رديته (التأبط) : هو أن يدخل رداءه تحت إبطه الأيمن، ثم يلقيه على عاتقه الأيسر. (الردية) : اسم لضرب من ضروب التردي، كاللبسة والجلسة، وليست دلالتها على أن لام رداء ياء بحتم، لأنهم قالوا قنية وهو ابن عمي دنيا.

(عمرو قال لعمر رضي الله عنه) : إني والله ما تأبطني الإماء، ولا حملتني البغايا في غبرات المآلي : أي لم يحتضني (البغايا) : جمع بغي، فعول بمعنى فاعلة من البغاء. (الغربات) : جمع غبر، جمع غابر : وهو البقية. (المآلي) : جمع مئلاة، وهي خرقة الحائض ههنا، وخرقة النائحة في قوله "وأنواحا عليهن المآلي". ويقال آلت المرأة إيلاء، إذا اتخذت مئلاة. ويقولون للمتسلية المتألية. نفى عن نفسه الجمع بين شيئين : احداهما أن يكون لبغية، والثانية أن يكون محمولاً في بقية حيضة، وأضاف الغبرات إلى المآلي لملابستها لها[2].

أبل :

(يحيى بن يعمر) أي مال أديت زكاته فقد ذهبت (أبلته)، همزتها عن واو، من الكلاء. الوبيل أي وباله ومأثمه. لقد (تأبل) آدم على ابنه المقتول، كذا وكذا عاماً لا يصيب حواء، أي امتنع عن غشيان حواء، متفجعاً على ابنه فعدّى بعلى لتضمنه معنى تفجع، وهو من أبلت الإبل وتابلت إذا فزعت. وفي الحديث : «لا تبيعوا الثمر حتى تأمن عليه الإبلة»، هي العاهة، بوزن الأهية، وهمزتها كهمزة الإبلة في انقلابها عن الواو، من الكلاء الوبيل، إلا أنها منقلبة عن واو مضمومة، وهو قياس مطرد غير مقتفر إلى سماع، وتلك ـ أعنى المفتوحة ـ لابد فيها من السماع[3].

(1) نفسه، ص 6.

(2) نفسه، ص 6.

(3) نفسه، ص 7.

قرق :

(أبو هريرة رضي الله تعالى عنه) كان ربما يراهم يلعبون (بالقرق) فلا ينهاهم، هي لعبة. قال :

وأعلاط النجوم معلقات كخيل القرق ليس لها انتصاب

قالوا : هذه اللعبة تلعب بالحجارة، فخيلها هي الحجارة. وفي القرق البدري والبغتي. وقيل : هي الأربعة عشر خط مربع، في وسطه خط مربع، في وسطه خط مربع، ثم يخط من كل زاوية من الخط الأول إلى الخط الثالث وبين كل زاويتين خط فيصير أربعة وعشرون[1].

قرش :

(قال رضي الله تعالى عنه) (قريش) دابة تسكن البحر تأكل دواب البحر، وأنشد في ذلك :

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا

هذا قول فاش، وقيل الصحيح أنها سميت لاجتماعها، من قولهم فلان يتقرش مال فلان، أي يجمعه شيئاً إلى شيء، وبقيت لفلان بقية متفرقة، فهو يتقرشها. وقال البكري :

إخوة قرشوا الذنوب علينا في حديث من عهدهم وقديم

وذلك أن قصي بن كلاب واسمه زيد، وإنما سمي قصياً لاغترابه في أخواله بني عذرة، أتى مكة فتزوج بنت حليل بن حبشة الخزاعية، أم عبد مناف وأخوته، وحالف خزاعة، ثم أتى بإخوته لأمه، بني عذرة ومن شايعهم، فغلب بني بكر وجمع قريشاً بمكة، فلذلك كان يقال له مجمع، وفي ذلك يقول مطرود الخزاعي :

أبوكم قُصَيّ كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

نزلتم بها والناس فيها قليلة وليس بها إلا كهول بني عمرو

وهم ملأوا البطحاء مجدا وسؤددا وهم طردوا عنها غواة بني بكر

حليل الذي أردى كنانة كلها وحالف بيت الله في العسر واليسر[2]

---

(1) نفسه، ج 2، ص 165.

(2) نفسه، ص 166.

قرأ :

(علقمة رحمه الله تعالى) قال (قرأت) القرآن في سنتين. فقال الحارث : القرآن هين والوحي أشد منه. أي القراءة هينة، والكتب أشد منه.

و(في الحديث) الناس (قواري) الله في الأرض. وروى المسلمون، وروى الملائكة، أي شهداءه الذين يقرون أعمال الناس قروًا، أي يتتبعونها ويتصفحونها. قال جرير :

ماذا تعد إذا عددت لكم والمسلمون بما أقول قواري[1]

(1) نفسه، ص 166.

5. مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري (ت 606هـ)[1]

1. حياته

هو القاضي الرئيس العلامة البارع الأوحد البليغ، مجد الدين أبو السعادات، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الجزري ثم الموصلي، الكاتب ابن الأثير، صاحب "جامع الأصول"، و"غريب الحديث"[2]، وغير ذلك.

مولده بجزيرة ابن عمر سنة أربع وأربعين وخمس مئة، ونشأ بها، ثم تحول إلى الموصل، وسمع من يحيى بن سعدون القرطبي، وخطيب الموصل، وطائفة.

وروى الكتب نازلاً، فأسند "صحيح البخاري" عن ابن سرايا عن أبي الوقت، و"صحيح مسلم" عن أبي ياسر بن أبي حبة، عن إسماعيل ابن السمرقندي عن التنكتي، عن أبي الحسين عبد الغافر، ثم عن ابن سكينة إجازة عن الفراوي، و"الموطأ" عن ابن سعدون، و"سنن أبي داود" و"الترمذي" بسماعه من ابن سكينة، و"سنن النسائي"، عن يعيش بن صدقة، عن ابن محمويه.

ثم اتصل بالأمير مجاهد الدين قَيْمَاز الخادم، إلى أن توفي مخدومه، فكتب الإنشاء لصاحب الموصل عز الدين مسعود الأتابكي، ووليّ ديوان الإنشاء، وعظم قدره. ثم عرض له فالج في أطرافه، وعجز عن الكتابة، ولزم داره، وانشأ رباطاً في قرية وقف عليه أملاكه، وله نظم يسير.

قال الإمام أبو شامة، قرأ الحديث والعلم والأدب، وكان رئيساً مُشاوَراً، صنّف "جامع الأصول"، و"النهاية"، و"شرحاً لمسند الشافعي"، وكان به نُقْرُس،

(1) من كتاب "سير أعلام النبلاء"، 488/21-491. وانظر ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي 71/17-77، طبعة دار المامون، ووفيات الأعيان لابن خلكان، 289/3 وما بعدها، وطبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي، 153/5، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، 22/5 وما بعدها.

(2) واسمه الكامل "النهاية في غريب الحديث والأثر"، طبع غير محقق بالمطبعة العثمانية بالقاهرة في أربع مجلدات سنة 1318هـ، وطبع بتحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي بدار أحياء الكتب العربي بالقاهرة في خمس مجلدات سنة 1383هـ، كما طبع طبعات أخرى ببيروت والقاهرة ولاهور.

فكان يُحْمَل في مِحَفّة، قرأ النحو على أبي محمد سعيد ابن الدهان، وأبي الحرم مكي الضرير.

إلى أن قال : ولما حجّ سمع ببغداد من ابن كليب، وحدّث، وانتفع به الناس، وكان ورعاً، عاقلاً، بهياً، ذا بر وإحسان.

وأخوه عز الدين علي صاحب "التاريخ" وأخوهما ضياء الدين، مصنف كتاب "المثل السائر".

وقال ابن خلكان : لمجد الدين كتاب "الإنصاف في الجمع بين الكَشف والكَشَّاف"، تفسيري الثعلبي والزمخشري، وله كتاب "المصطفى المختار في الأدعية والأذكار"، وكتاب لطيف في صناعة الكتابة، وكتاب "البديع في شرح مقدمة ابن الدهان"، وله "ديوان الرسائل".

روى عنه ولده، والشهاب القوصي، والإمام تاج الدين عبد المحسن بن محمد بن محمد بن الحامض، شيخ الباجربقي وطائفة.

إلى أن قال : ومن تصانيفه : كتاب "الفروق في الأبنية" وكتاب "الأذواء والذوات" وكتاب "المختار في مناقب الأخيار"، و"شرح غريب الطوال".

قال : وكان من أشد الناس بخلاً.

قلت[1] : من وقف عقاره لله فليس ببخيل، فما هو ببخيل، ولا بجواد، بل صاحب حزم واقتصاد رحمه الله !

حكى أخوه العز، قال : جاء مغربي عالج أخي بدهن صنعه، فبانت ثمرته، وتمكن من مد رجليه، فقال لي : أعطه ما يرضيه واصرفه، قلت : لماذا وقد ظهر النُّجح ؟ قال : هو كما تقول، لكني في راحة من ترك هؤلاء الدَّولة، وقد سكنتْ نفسي إلى الانقطاع والدَّعة، وبالأمس كنت أذلُّ بالسعي إليهم، وهنا فما يجيؤوني إلا في مشورة مهمة، ولم يبق من العمر إلا القليل.

وله كتاب "النهاية في غريب الحديث والأثر"، وذكر في مقدمته أن علم الحديث أشرف العلوم قدراً، وإنه ينقسم إلى قسمين أحدهما معرفة ألفاظه، والثاني معرفة معانيه، ولا شك أن معرفة ألفاظه مقدمة في الرتبة، فإذا عرفت الألفاظ ترتبت المعاني

---

(1) هو الإمام الذهبي.

عليها، وأن الألفاظ تنقسم إلى مفردة ومركبة، ومعرفة المفردة مقدم على معرفة المركبة لأن التركيب فرع عن الأفراد.

وقال إن الألفاظ المفردة تنقسم أيضاً إلى قسمين : أحدهما خاص، والآخر عام، فأما العام فهو ما يشترك في معرفته جمهور أهل اللسان العربي، وأما الخاص فهو ما ورد فيه من الألفاظ اللغوية والكلمات الغربية الحوشية التي لا يعرفها إلا من عُنِي بها، فكان الاهتمام بمعرفة هذا النوع الخاص أهم مما سواه، إذ الحاجة إليه ضرورية في البيان، ثم تحدث عن البلاغة النبوية، وأنهﷺ يخاطب الوفود بلغاتهم، وذكر ما روى عن علي بن أبي طالب لما سمعه يخاطب وفد بني فهد، فقال : «يا رسول الله، نحن بني أب واحد وأراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، فقال : أدبني ربي فأحسن تأديبي، ورُبيتُ في بني سعد»، وكان أصحابه يستوضحون ما لم يعرفوا من حديثه.

وذكر أنه بعد عهد الصحابة والتابعين فُتحت الأمصار واختلطت الشعوب، كاد اللسان العربي أن يستحيل أعجميا، فالتهم الله جماعة من أولي المعارف والنهى أن صرفوا إلى هذا الشأن فترعوا للناس فيه موارد حراسة لهذا العلم الشريف من الضياع.

وقال إن أول من جمع في هذا الفن شيئا هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي، وكتب مؤلفا صغيرا في غريب الحديث، ثم جمع بعده النضر بن شميل كتابا أكبر منه بقليل، وبعدهما كتب فيه الأصمعي ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب.

ثم جاء بعد هؤلاء أبو عبيد القاسم بن سلام فجمع كتابه المشهور، فصار هو القدوة في هذا الشأن، ثم حذا حذوه عبد الله بن مسلم بن قتيبة[1].

2. نماذج من كتاب "النهاية في غريب الحديث والأثر"

جرد :

في صفته صلى الله عليه وسلم : أنه كان أنور المُتَجَرَّد؛ أي ما جُرِدَ عنه الثياب من جسده وكُشِفَ، يريد أنه كان مُشرق الجسد.

---

(1) انظر مقدمة الكتاب، الجزء الأول، ص 3 وما بعدها، طبعة دار الفكر، بدون تاريخ، تحقيق طاهر أحمد الزازي ومحمود محمد الطناحي.

وفي صفته أيضاً : أنه أجرد ذو مسربة، الأجرد الذي ليس على بدنه شعر، ولم يكن كذلك، وإنما أراد به أن الشعر كان في أماكن من بدنه، كالمسربة، والساعدين، والساقين، فإن ضد الأَجْرَد الأَشْعَر، وهو الذي على جميع بدنه شعر.

ومنه الحديث : أهل الجنة جُرْدٌ مُرْدٌ.

وحديث أنس رضي الله عنه : أنه أخرج نعلين جرداوين، فقال : هاذان نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي : لا شعر عليهما.

وفيه : القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، أي : ليس فيه غل ولا غش، فهو على أصل الفطرة، فنور الإيمان فيه يُزهر.

وفي حديث عمر رضي الله عنه : تجردوا بالحج وإن لم تحرموا، أي : تشبهوا بالحاج وإن لم تكونوا حُجاجا، وقيل : يقال تجرد فلان بالحج، إذا أفرده ولم يقرن.

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه : جردوا القرآن ليربو فيه صغيركم ولا ينأى عنه كبيركم؛ أي : لا تقرنوا به شيئاً من الأحاديث ليكون وحده مُفرداً. وقيل : أراد أن لا يتعلموا من كتب الله شيئاً سواه.

وقيل : أراد جردوه من النقط والإعراب وما أشبههما. واللام في ليربو من صلة جرّدوا. والمعنى : اجعلوا القرآن لهذا، وخصوه به واقصروه عليه دون النسيان والإعراض عنه، لينشأ على تعلمه صغاركم، ولا يتباعد عن تلاوته وتدبره كباركم.

وفي حديث الشُّراة : فإذا ظهروا بين النهرين لم يطاقوا، ثم يقلون حتى يكون آخرهم لصوصاً جَرّادين، أي : يُعْرون الناس ثيابهم وينهبونها.

ومنه حديث الحجاج : قال لأنس لأجردنك كما يجرد الضب، أي : لأسلخنك سلخ الضب، لأنه إذا شُوِيَّ جُرِّدَ من جلده. وروي : "لأَجْرُدَنَّك" بتخفيف الراء ـ والجَرْد : أخذ الشيء عن الشيء جرفا وعسفا، ومنه سمي الجارود، وهي : السنة الشديدة المحل، كأنها تُهْلك الناس.

ومنه الحديث : وبها سَرْحَة سُرّ تحتها سبعون نبياً لم تُعْبَل ولم تُجَرَّد؛ أي : لم تصبها آفة تُهلِك ثمرتها ولا ورقها. وقيل : هو من قولهم جُرِدت الأرض فهي مجرودة : إذا أكلها الجراد.

وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه : ليس عندنا من مال المسلمين إلا جَرْدُ هذه القطيفة، أي التي انْجَرَد خَمْلُها وخلقت.

ومنه حديث عائشة رضي الله عنها، قالت لها امرأة : رأيتُ أمي في المنام وفي يدها شحمة، وعلى فرجها جُرَيْدَة، تصغير جَرَدَة، وهي : الخِرْقة البالية.

وفي حديث عمر رضي الله عنه : "إئتني بجَريدة"، الجريدة : السّعَفَة، وجمعها جَريد.

ومنه حديث : كُتِبَ القرآن في جرائد، جمع جريدة.

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه : وكانت فيها أجارد أمسكت الماء، أي : مواضع مُنْجَرِدة من النبات، يقال : مكان أجرد وأرض جرداء.

ومنه الحديث : تفتح الأرياف فيخرج منها الناس، ثم يبعثون إلى أهاليهم، إنكم في أرض جَرْدِيَّة، قيل : هي منسوبة إلى الجَرَد بالتحريك وهي كل أرض لا نبات بها.

وفي حديث ابن أبي حدرة : فرَمَيْتُه على جُرَيْدَاء مَتْنه، أي : وسطه، وهو موضع القفا المتجرد عن اللحم، تصغير جرداء.

وفي قصة أبي رغال : فغنته الجرادتان، هما مغنيتان كانتا بمكة في الزمن الأول مشهورتان بحسن الصوت والغناء[1].

حبر :

في ذكر أهل الجنة : فرأى ما فيها من الحَبْرة والسرور، الحَبرة بالفتح النعمة وسعة العيش، وكذلك الحُبور.

ومنه حديث عبد الله : آل عمران غِنى، والنساء مَحْبَرة؛ مظنة للحبور والسرور.

وفي ذكر أهل النار : يخرج من النار رجل قد ذهب حِبْرُه وسِبْرُه، الحِبر ـ بالكسر، وقد يفتح ـ : أثر الجمال والهيئة الحسنة.

وفي حديث أبي موسى : لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحَبّرتها لك تحبيراً، يريد تحسين الصوت وتحزينه، يقال : حَبّرْت الشيء تحبيراً إذا حسّنته.

وفي حديث خديجة رضي الله عنها : لما تزوجتْ برسول الله ﷺ كست أباها حُلّة وخَلَّقَته، ونحرت جزوراً، وكان قد شرب، فلما أفاق قال : ما هذا الحَبِير، وهذا العبير،

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري، ج 1، ص 256 وما بعدها، منشورات المكتبة الإسلامية، تحقيق طاهر أحمد الزازي ومحمود محمد الطناحي، بدون تاريخ.

وهذا العقير ؟، الحَبِير من البرود : ما كان مَوْشِيا مُخَطَّطا، يقال : بُرد حَبير، وبرد حِبرة بوزن عِنَبَةٍ، على الوصف والإضافة، وهو برد يمان، والجمع حِبَر وحِبَرات.

ومنه حديث أبي ذر رضي الله عنه : الحمد لله الذي أطعمنا الخمير، وألبسنا الحَبير.

وفي حديث أبي هريرة : حين لا ألبس الحبير، وقد تكرر ذكره في الحديث.

وفيه : سُمِّيَت سورة المائدة سورة الأحبار، لقوله تعالى فيها : ﴿ **يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار** ﴾[1] وهم العلماء، جميع حَبر وحِبر ـ بالفتح والكسر ـ وكان يقال لابن عباس رضي الله عنه الحَبْر، والبحر، لعلمه وسعته، وفي شعر جرير :

إن البَعيثَ وعبدَ آلِ مُقاعس لا يقرآن بسورة الأحبار

أي : لا يفيان بالعهود، يعني قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود** ﴾[2].

وفي حديث أنس رضي الله عنه : إن الحُبارى لتموت هزلا بذنب بني آدم، يعني: أن الله يحبس عنها القطر بعقوبة ذنوبهم، وإنما خصها بالذكر لأنها أبعد الطيور نُجعة، فربما تذبح بالبصرة ويوجد في حوصلتها الحبة الخضراء، وبين البصرة ومنابتها مسيرة أيام.

وفي حديث عثمان رضي الله عنه : كل شيء يحب ولده حتى الحُبارى، خصها بالذكر لأنها يضرب بها المثل في الحمق، فهي على حمقها تحب ولدها فتطعمه وتعلمه الطيران كغيرها من الحيوان[3].

فتح :

في أسماء الله تعالى : "الفتّاح"، هو الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، وقيل : معناه الحاكم بينهم، يقال : فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما، والفاتح: الحاكم، والفتّاح : من أبنية المبالغة.

---

(1) المائدة، 44.

(2) المائدة، 1.

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري، ج 1، ص 327 وما بعدها، منشورات المكتبة الإسلامية، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بدون تاريخ.

وفيه : «أوتيت مفاتيح الكلم»، وفي رواية "مفاتح الكلم"، هما جمع مفتاح ومِفْتَح، وهما في الأصل : كل ما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول إليها، فأخبر أنه أوتي مفاتيح الكلم، وهو : ما يسر الله له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعاني، وبدائع الحكم، ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت، ومن كان في يده مفاتيح شيء مخزون سهل عليه الوصول إليه.

ومنه الحديث : أوتيت مفاتيح خزائن الأرض، أراد : ما سهّل الله له ولأمته من افتتاح البلاد المتعذرات، واستخراج الكنوز الممتنعات.

وفيه : أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين ؛ أي : يستنصر بهم.

ومنه قوله تعالى : ﴿ **إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** ﴾[1].

ومنه حديث الحديبية : أهو فتح ؟ أي : نصر

وفيه : ما سُقي بالفتح ففيه العشر، وفي رواية : "ما سُقيَ فتحاً"، الفتح : الماء الذي يجري في الأنهار على وجه الأرض.

وفي حديث الصلاة : لا تفتح على الإمام، أراد به : إذا أرتج عليه في القراءة، وهو في الصلاة لا يفتح له المأموم ما أرتج عليه، أي : لا يلقنه، ويقال : أراد بالإمام السلطان، وبالفَتْح : الحكم، أي : إذا حكم بشيء فلا يحكم بخلافه.

ومنه حديث ابن عباس : ما كنت أدري ما قوله عز وجل : ﴿ **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق** ﴾[2] حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها : تعال أفاتحك، أي : أحاكمك.

ومنه الحديث : لا تفاتحوا أهل القدر، أي : لا تحاكموهم، وقيل : لا تبدؤوهم بالمجادلة والمناظرة.

وفي حديث أبي الدرداء : ومن يأت باباً مغلقاً يجد إلى جنبه باباً فُتَحاً، أي : واسعاً، ولم يرد المفتوح، وأراد بالباب الفُتُح : الطلب إلى الله تعالى والمسألة.

ومنه حديث أبي ذر : قدر حلب شاة فَتوح، أي : واسعة الإحليل[3].

---

(1) الأنفال، 19.

(2) الأعراف، 89.

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري، ج 3، ص 406 وما بعدها.

نصر :

فيه : كل مسلم على مسلم محرم : أخوان نصيران، أي : هما أخوان يتناصران ويتعاضدان، والنصير : فعيل بمعنى فاعل أو مفعول، لأن كل واحد من المتناصرين ناصر ومنصور. وقد نصره ينصره نصراً، إذا أعانه على عدوه وشدّ منه.

ومنه حديث الضيف المحروم : فإن نصره حق على كل مسلم حتى يأخذ بقرى ليلته، قيل : يشبه أن يكون هذا في المضطر الذي لا يجد ما يأكل، ويخاف على نفسه التلف، فله أن يأكل من مال أخيه المسلم بقدر حاجته الضرورية، وعليه الضمان.

وفيه : إن السحابة تنصر أرض بني كعب، أي : تمطرهم، يقال : نُصِرت الأرض فهي منصورة، أي : ممطورة. ونصر الغيث البلد، إذا أعانه على الخصب والنبات.

وقيل : هذا الخبر إنما جاء في قصة خزاعة، وهم بنو كعب حين قتلتهم قريش في الحرم بعد الصلح، فورد على النبي صلى الله عليه وسلم وارد منهم مستنصراً، فقال : «إن هذه السحابة تنصر أرض بني كعب»، يعني : بما فيها من الملائكة، فهو من النصر والمعونة.

وفيه : «لا يؤمّكم أنصَرُ»، أي : أقلف، هكذا فُسِّر في الحديث[1].

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري، ج 5، ص 63 وما بعدها.

الفصل الثاني : تهذيب الآثار

1. إبراهيم بن إسحاق الحربي (تـ 285)[1]

أ) حياته

نسب إلى محلة ببغداد عند باب حرب. فيها مقبرة ابن حنبل وبشر الحافي، وحرب هو حرب بن عبد الله البلخي الراوندي، أحد قواد المنصور.

ويقول ثعلب : ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس لغة نحو خمسين سنة. كان زاهدا في غير العلم، يرفض هدايا السلطان، ويفضل الصبر على خشونة العيش على ذل المسألة، ويقول عنه الدارقطني : إنه لا يقاس بأحد في علمه وزهده وورعه.

ب) شيوخه وتلاميذه

سمع من أبي عبيدة معمر بن المثنى (210هـ)، وهوْذَةُ بن خليفة (تـ 216هـ)، ولازم أحمد بن حنبل الذي ألقى في قلبه، وهو غلام، اتباع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقاويل الصحابة والاقتداء بالتابعين. صحبه عشرين سنة، وكان كل يوم يزيد في تقديره وإكباره ومن شيوخه المحدثين الفضل بن دكين، وعفان بن مسلم، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وعلي بن الجعد، وابن أبي نسيبة وبندار محمد بن بشار البصري.

وممن أخذ عنه أبو بكر بن جعفر القطيعي (360هـ)، وأحمد بن سليمان القضعي، وعبدان بن أحمد بن حنبل (290هـ)، والقاضي إسماعيل (282هـ)، والحسين بن إسماعيل المحاملي (330هـ)، وأبو القاسم عمر بن جعفر الختّلي (358هـ).

ومن زهد الحربي أنه طرد طلبته لما قالوا له إنه تفوق على الإمام أحمد.

ج) مصنفاته

له كتاب "الأدب"، وكتاب "إكرام الضيف" : مطبوع، و"دلائل النبوة"، و"مسائل الإمام أحمد"، و"كتاب المغازي والمناسك"، أخرجه حمد الجاسر وشكك سليمان بن

---

(1) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 31، ص 356.

إبراهيم بن محمد العابد في نسبته إليه، وأعطى أدلة على ذلك في مقدمة كتاب "غريب الحديث" وكتاب غريب الحديث.

كتاب "غريب الحديث"[1] :

وصفه ابن الأثير بقوله : «جمع كتابه المشهور من غريب الحديث، وهو كتاب كبير ذو مجلدات عدة، جمع فيه وبسط القول، وشرح واستقصى الأحاديث بطرق أسانيدها، وأطال بذكر متونها وألفاظها، ولو لم يكن فيه إلا كلمة غريبة، فطال لذلك كتابه، ولسبب طوله تُرِك وهُجر، وإن كان كثير الفوائد، جم المنافع»[2].

وتصفه المصادر بأنه يضم مجموعة من المسانيد منها : مسانيد العشرة، ومسند العباس، وعبد الله بن جعفر، وخالد بن الوليد، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وابن عباس، وابن عمر، ومسند الموالي. وقد أفاد الحربي ممن سبقوه كالنضر بن شميل وأبي عبيدة وأبي عبيد القاسم بن سلام وقطرب والأصمعي، وانتقد كتاب أبي عبيد بن سلام، فقال إن في كتابه ثلاثة وخمسين حديثا لا أصل لها، منها : أتت امرأة النبيﷺ ويدها مناجذ، ونهى النبيﷺ عن لبس السراويل المخرفجة، وأتى النبيﷺ أهل قاه. وقال عمر للنبيﷺ : لو أمرت بهذا البيت فسفر. وأنه قال للنساء إذا جعتن خجلتن وإذا شبعتن دقعتن[3].

وقد أفاد أيضا منه، من ألفوا بعده في غريب الحديث، ومن هؤلاء أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (401هـ)، وعبد الغافر الفارسي (529هـ)، والقاضي عياض (544هـ)، وأبو موسى المديني، صاحب "المغيث".

وقد نقل عنه ابن الأنباري في كتاب "الزاهر" وأبو منصور الأزهري في "تهذيب اللغة"، وابن جني في "الخصائص" وأبو عبيد البكري في "شرح الأمثال ومعجم ما استعجم"، وأبو منصور الجواليقي في "المغرب"، وبدر الدين الزركشي في كتاب "البرهان"، والحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكم"، وابن حجر في "الإصابة" و"الفتح" و"التهذيب".

---

(1) غريب الحديث لإبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، تحقيق سليمان إبراهيم محمد العايد، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1405هـ.

(2) مقدمة كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ج 1، ص 6، منشورات المكتبة الإسلامية، بتحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي.

(3) "معجم الأدباء"، 121/1.

د) منهجه في التأليف

لقد عمد الحربي إلى الجمع بين طريقة اللغويين في تقاليب ألفاظ المادة والمحدثين في المسانيد، مثل ما سنرى في المجلدة الخامسة من كتابه.

والمجلدة الخامسة تتضمن خمسة أحاديث من غريب مسند ابن عمر وآخرها قيل إنه الرابع والأربعون، وبعده غريب مسند ابن عباس، وأورد فيه ثمانية وسبعين حديثاً ثم غريب مسند الموالي، وفيه ثلاثة من غريب مسند زيد بن حارثة وتسعة من غريب منبه بن أسامة، ثم غريب ما روي عن ثوبان وعمار وعباد وصهيب وأبي رافع وسفينة، وعامر بن ربيعة، وسلمان وعتبة بن غزوان والمقداد وعبد الله بن مسعود. وليس له في المجلدة سوى حديث واحد هو حديث تكوين الجنين في أمه، وأخذ مادة "علق"، وأورد حديثاً عن علي بن أبي طالب وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : «رفع القلم عن المجنون حتى يعقل»، وانتهى الكتاب بدون تفسير لفظ "لعق".

ومنهجه بعد ذكر الحديث الأول عن صاحب المسند، يختار منه الكلمة الغريبة، ويفسرها. وكل ما اشتق منها مع تقديم الشواهد والملاحظات اللغوية والنحوية، ويتناول جميع الألفاظ التي رُكّبت منها باعتبار ما يعرف بالاشتقاق الكبير، فتارة يصل إلى عشر صيغ مثل ما نراه في الحديث الأول من حديث زيد بن حارثة في معرض في قوله : «ذبحنا شاة وصنعناها في الأرْوِ»، وفسرها بالحفرة التي حولها الأثافي، لكنه تطرق لورى ووري، ورواء ورؤيا ورؤية ورأي ورياء وريا ورأي وأري وراية وريان وتروية وراوية وأروى وأرى وتأرى وأورى، وبعض الأحيان يورد الوجوه الستة المحتملة للكلمة إن كان لها معنى مثل شمر وشرم، ومرش ومشر، ورشم ورمش؛ وربما لم يجد إلا صيغة واحدة، مثل "شمع"، فأهمل الوجوه الأخرى، وفي هذه التقاليب لا يغير من مسند الصحابي إلا ما ورد في الحديث الأول من المادة.

هـ) نموذج من شرحه للحديث

* غريب ما روى ثوبان :

باب زوى : الأحاديث والأثار التي وردت فيها مادة "زوي" :

حدثنا عفان ومسدد وعبيد الله بن عمر قالوا : «حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان قال نبي الله ﷺ : إن الله زوى لي الأرض أو إن ربي زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي

منها، وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسَنَةٍ بعَامَّةٍ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال لي يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسَنَةٍ بعَامَّةٍ ولا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها ومَن بأقطارها حتى يكون بعضهم يُهلك بعضاً وبعضهم يسبي بعضاً. قال رسول اللهﷺ : وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضِلِّين، وإذا وُضِع السيف في أمتي لم يُرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان. زاد مسدد وعبيد الله بن عمر : وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبيَّ بعدي. وقال : لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله»[1].

حدّثنا موسى، حدّثنا وُهَيْبٌ وحمَّاد. وحدّثنا بُنْدار، حدّثنا عبد الوهاب.

وحدّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا ابن عُليّة، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن النبيﷺ نحوه.

حدّثنا عُبيد الله بن عمر، حدّثنا معاذ، عن قَتادة، عن أبي قِلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، عن النبي صلى الله عليه نحوه.

قال : إنه تزوى له الأرض.

حدّثنا عبيد الله بن عمر، حدّثنا سفينة عن أبي الوَسْمِي، عن زياد بن ملقط عن أبي هريرة قال : إن المسجد لينزوي أن يبزق فيه كما تنزوي الجلدة أن تلقى في النار.

حدّثنا يوسف بن بهلول، عن ابن إدريس عن ابن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله، عن ابن عباس، عن عمر، قال : قلت للنبيﷺ عجبت لما زوي عنك في الدنيا وبسط على كسرى.

حدّثنا مسدّد، حدثنا أبو عوانة، عن عبد الملك، عن ابن أبي ليلى، عن معاذ : «صلى النبي صلى الله عليه صلاة أطال ركوعها وسجودها، فلما انصرف، قال : إني سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين، وزوى عني واحدة. سألته أن لا يسلط عليهم سَنة فتهلكهم مجاعة، ولا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»[2].

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(2) المصدر نفسه.

حدّثنا أبو بكر، حدّثنا ابن فضيل، وحدّثنا عثمان، حدّثنا جرير، عن الأعمش، عن المنهال، عن عبد الله بن الحارث : دعا نبي من الأنبياء قال : يا رب يكون العبد من عبيدك يعبدك ويعمل بطاعتك فتعرض له البلاء وتزوي عنه الدنيا، ويكون العبد من عبيدك يعمل بمعاصيك ويفسد في أرضك تعرض له الدنيا، وتزوي عنه البلاء، فأوحى إليه : إن العباد والبلاء لي، وإنه ليس من أحد، إلا يسبحني ويحمدني ويكبرني، فأما عبدي المؤمن فإن له سيئات، فأعرض له البلاء، وأزوي له الدنيا بسيئاته لكي يأتيني فأجازيه بحسناته، وأما عبدي الكافر فأعرض له الدنيا وأزوي عنه البلاء بحسناته كي يوافيني يوم القيامة فأجازيه بسيئاته.

حدّثنا أحمد بن حنبل، حدّثنا كثير بن هشام، حدّثنا جعفر بن برقان، قال صالح ابن مسمار : نعمة الله علينا فيما زوى عنا من الدنيا أفضل من نعمته علينا فيما بسط لنا.

حدّثنا عبيد الله، حدّثنا يزيد بن زريع، حدّثنا ابن عون، عن محمد : كان لابن عمر أرض قد زوتها أرض أخرى، فكانوا يريدونه على البيعة فيأبى، فدسوا إليه، قالوا : أيسرك أن تشترى فتوهب لك ؟ قال : وددت، فاشتروها فوهبوها له، ثم أرادوه على البيعة فقال : هيه، فإذًا ذاك لذاك، إن ديني عندي إذًا لرخيص.

شرح الحديث : العام المراد به الخاص :

وقوله : "زوى لي الأرض" وليس كل الأرض زوى له، إنما زوى له ما بلغ ملك أمته منها، وفي الأرض ما لم يبلغه ملك أمته، فلم يدخل ذلك فيما زوى له. وهذا مما يخرج لفظه عاما ومعناه الخاص، كقوله في القرآن : "الناس"، وربما كان عاما للناس كلهم كقوله : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى** ﴾[1]. وقوله : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام** ﴾[2]. وقوله : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾[3].

وربما جعل الناس اسما خاصة، وربما جعله لبني إسرائيل فقط، وربما خص به أهل مكة خاصة، وأهل مصر خاصة، وربما عني به النبي صلى الله عليه خاصة، أو رجلا من الناس واحدا.

(1) الحجرات، 13.

(2) النساء، 1.

(3) الحج، 1.

حدّثنا حميد بن مسعدة، حدّثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة : ﴿ **أوليك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** ﴾[1] يعني المؤمنين.

حدّثنا عبد الله بن صالح، أخبرنا زهير، عن خصيف، عن مجاهد، وعكرمة : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾[2] قال : المشركين.

حدّثنا أبو بكر، عن شبابة، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد : ﴿ **شهداء على الناس** ﴾[3] قال : على اليهود والنصارى والمجوس.

حدّثنا حميد، حدّثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة : ﴿ **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾[4] يعني أهل الكتاب.

حدّثنا شجاع، حدّثنا هشيم، أخبرنا خالد، عن عكرمة : ﴿ **أم يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله** ﴾[5] قال : هو النبي صلى الله عليه خاصة.

قال إبراهيم : وقوله : ﴿ **لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون** ﴾[6] يعني أهل مصر، إن شاء الله.

قوله : فرأيت مشارقها ومغاربها، فإن الله ذكر ذلك في مواضع بثلاثة ألفاظ، فقال في موضع : ﴿ **رب المشرق والمغرب، لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا** ﴾[7] وقال في موضع آخر : ﴿ **رب المشرقين ورب المغربين** ﴾[8] فوحّد وثنّى وجمع. فإذا وحّد فكأنه جعل انتقالها في مواضع من المشرق كله واحدا، وكذلك جعله في المغرب، فإذا قال : مشرقين ومغربين ففي ذلك وجهان :

حدّثنا ابن نمير، عن أبي معاوية عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال : «للشمس مطلع في الشتاء ومطلع في الصيف، ومغرب في الشتاء ومغرب في الصيف». قال إبراهيم : وكذلك فسره مجاهد، وعكرمة، ومحمد بن كعب، وابن أبزى.

---

(1) البقرة، 161.

(2) الإسراء، 60.

(3) البقرة، 143.

(4) النساء، 165.

(5) النساء، 54.

(6) يوسف، 46.

(7) المزمل، 9.

(8) الرحمن، 17.

وسمعتُ فيه بوجه آخر :

حدّثنا إسحاق بن إسماعيل، عن جرير، عن يعقوب، عن أشعث، عن جعفر، عن سعد قال : المشرقين : مشرق الفجر ومشرق الشمس، والمغربين مغرب الشمس، ومغرب الشفق.

وأما قوله : ﴿ **فلا أقسم برب المشارق والمغارب** ﴾[1] حدثنا عبيد الله، حدّثنا يحيى، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرمة : السماء نصفها مشارق، ونصفها مغارب.

حدّثنا ابن نمير، حدّثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس : "رب المشارق"، «قال للشمس في كل يوم مشرق تشرق فيه غير مشرقها بالأمس، ومغرب تغرب فيه غير مغربها بالأمس».

قوله : «وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض»، فالأحمر ملك الشام، والأبيض ملك فارس، كذا حدّثنا هوذة، عن عوف، عن ميمون بن أستاذ، حدّثني البراء : «لما كان حيث أمر النبي صلى الله عليه بحفر الخندق عرضت لنا صخرة فأخذ المعول، فقال : «بسم الله، فكسر ثلثها، فقال : الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر قصورها الحمر، ثم ضرب الثانية فكسر ثُلثها الآخر، فقال : الله أكبر، أعطيتُ مفاتيح فارس، والله إني لأنظر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر، فقال : الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأنظر أبواب صنعاء من مكاني هذا».

قال إبراهيم، فقد كان ما أرى : فُتحت اليمن في حياته، وفتح أبو بكر الشام، وفتح عمر العراق، وأخذ أبيض المدائن، وهو موضع المسجد اليوم، وإنما قال لملك فارس الكنز الأبيض لبياض ألوانهم، ولذلك قيل لهم بنو الأحرار يعني البيض ولأن الغالب على كنوزهم وبيوت أموالهم الوَرِق وهي بيض، وقال في الشام : الكنز الأحمر، لأن الغالب على ألوانهم الحمرة، وعلى كنوزهم وبيوت أموالهم الذهب وهو أحمر.

قوله : «وأن لا يهلك أمتي بسَنَة» يريد الجدب. أخبرني أبو نصر، عن الأصمعي، يقال : «أصابتهم سنة، إذا أصابهم الجدب. أسْنَتَ القوم، يُسنتون إسناتاً، وأجدبوا وأمحلوا، وأصابتهم أزبة وأزمة، وحطمة، وشصاصاء، وكحل وصبغ.

قوله : "بعامّة"، يريد تعمهم، وأدخل الباء كما قال : (تُنْبِتُ بالدهن)، يقول تُنبت الدهن (ومن يرد فيه بإلحاد)، وقوله : (يشرب بها المقربون)، ويشربها سواء، كذلك أخبرنا سلمة عن الفراء، وأنشدنا :

---

(1) المعارج، 40.

شربن بماء البحر ثم ترفعت　　　متَى لُجَجٍ خُضْرٍ لهن نئيج

سقى أم عمرو كل آخر ليلة　　　حناتم سود ماؤهن نجيج

حناتم : سحابات سود. ماؤهن نجيج، منصب، شربن بماء البحر، يقول : هذه السحاب شربن من ماء البحر، ثم ترفعت السحاب من لجج.

وقوله : "متى" يعني "من" في لغة هذيل، قال ساعدة بن جوية :

ولا صوارا مدرّاة مناسجها　　　مثل الفريد إذا يجري متى النظم

وقال آخر :

بواد يمان ينبت الشث صدره　　　وأسفله بالمرخ والشبهان

وقال آخر :

ضمنت برزق عيالنا أرماحُنا　　　ملءَ المراجلِ والصريحَ الأجردَا

وقال حاتم :

وسقيت بماء النمير ولم　　　أترك الأطم جمة الحفر

قوله : "من سوى أنفسهم"، يقول : من غير أهل دينهم، "فيستبيح بيضتهم"، فيأتي على أصلهم.

أخبرني أبو نصر، عن الأصمعي، أصل القوم، وجمعهم، يقال : أتاهم في بيضتهم، قال طفيل :

وبالبيضة الموقوع وسط عقارها　　　عقار تداعى وسطه الجيش مُنْهَبُ

قوله : «ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها»، أقطار الأرض : نواحيها، واحدها قطر. أخبرنا الأثرم، عن أبي عبيدة : أقطار الأرض، جوانبها، والأقتار مثل الأقطار.

حدّثنا عفّان، حدّثنا حمّاد، عن عطاء، عن ميسرة : إذا كان يوم القيامة يقول بعض الناس لبعض : اذهبوا بنا إلى أقطار الأرض، حتى نقطع الأرض، فقال الله تعالى : ﴿ **إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا** ﴾.

قال إبراهيم : وأقطار الفرس : ما أشرف منه، قال الشاعر :

عَبْلُ الشّوى مُشرِفُ الأقطار مُنْتَسِقُ

قوله : إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، فأخبر أنه سيكون أئمة مضلون، ولم يقل : فإذا كانوا فحاربوهم، وإلا فاعتزلوهم.

وقـال : إذا وضـع السـيـف في أمـتـي، فـأخبر أن أمـتـه سـتـخـتـلـف حـتـى يـقـتـتـلـوا بـالسيوف، وأن ذلك بـاقٍ فيهم إلى يوم القيـامة.

وقـال : لا تقوم الساعة حتى تلحق قبـائل من أمتي بـالمشركين : يقول : يرتدون، فـيـلـحـقـون بـغير أهـل ديـنـهـم مـن أهـل الشرك، ويـعـبـد آخـرون مـنـهـم الأوثـان، وهـم مـع المسلمين لم يخرجوا منهم، وأخبر أنه سيكون في أمته من يدّعي النبوة، وأنه لا نبي بعده، وأنه سيبقى من أمته قوم ظاهرون. والظهور : الظفر على العدو، وأظهرنـا الله عليه.

وقـال أبو زيد : جـاء فلان في ظهريه، هم الذين ينهض بهم فيمـا يحزبه.

ويقـال : بيت فلان حسن الظهرة، إذا كـان حسن المتـا ع، كثيره.

الفرّاء : يقـال : تظاهرنـا تعاونـا، والظهير الأعوان.

أخـبرنـا أبـو نـصر، عـن الأصمعي يقـال : ظاهر فلان فلانـا إذا مـالاه وأعـانـه، والظهير : العون. ويقـال : اتخذ معك بعيرا أو بعيرين ظهريين أي عدة، والجميع ظهارى، وبعير بَيِّنُ الظهارة إذا كـان شديداً.

وقوله : لا يضرهم من خذلهم، والخذل ضد النصرة، خذل يخذل خذلانـا وخذلاً، ورجل مخذول، تُرك وحده، والخـاذل من الوحش التي تخذل صواحبها، فتنفرد مع ولدهـا.

وفي هذا الحديث من الغريب قوله : "إن الله زوى لي الأرض"، والاسم الانزواء وله أربعة أوجه، جـاء الأثر من ذلك بثلاثة :

فالوجه الأول : هو التجمع والتقبض، وهو وجه حديث ثوبـان : «إن الله زوى لي الأرض»، وحديث أبي هريرة، عن النبيﷺ أنه دعـا في سفر : «اللهم ازْوِ لنـا الأرض»، وحديث أبي سعيد، عن النبيﷺ «إن النـار تنزوي»، وحديث حذيفة بن أسيد : «أن الدجـال تزوى لـه الأرض»، وحديث أبي هريرة : «إن المسجد لينزوي أن يبزق فيه كمـا تنزوي الجلدة في النـار».

وسألت ابن الأعرابي عن قوله : «زويت لي الأرض»، قـال : قرب بعضهـا من بعض، قلت : إن المسجد تنزوي قـال : يتقبض كمـا يتقبض وجهك من شيء تكرهـه.

وسألت أبـا عدنـان، فقـال : زويت : جمعت.

أخبرني أبو نصر، عن الأصمعي، يقـال : جـاءنـا بصفرة تزوي الوجه، يعني اللبن الحـامض.

وسمعت أبا نصر يقول : انزوى الجلد في النار، اجتمع وتقبض. وقال أبو عبيدة : انزوى القوم، تدانوا.

وقال أبو عمرو : زوى حاجبيه يزوي إذا غضب وقطب : يقبض.

حدّثنا داود بن رشيد، حدّثنا مروان، عن جويبر، عن الضحاك : قوله "قمطريراً"، قال : تزوي منه الوجه.

حدّثنا عبيد الله بن عمر، حدّثنا يحيى، عن سفيان عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن ابن عباس قوله : تقبض ما بين العينين.

وقال الضحاك : تزوى منه الوجوه.

قال إبراهيم : وقال طارق بن ديسق أحد بني يربوع لابنه مذعور، وكان يوعده بمفارقته، وأن يغزو، فقال :

أمذعور ما يدريك أن رب ليلة ... كشفت أذاها عنك وهي عسير

شآمية تزوي الوجوه كأنها ... على الناس جيش لا يرد مغير

وأنشدنا أبو نصر للأعشى :

يزيد يغض الطرف عني كأنما ... زوى بين عينيه عليّ المحاجم

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ... ولا تلقني إلا وأنفك راغم

وقال آخر :

وماء كماء السخد ليس لجوفه ... سواء الحمام الورق عهد بحاضر

صرى آسن يزوي له المرء وجهه ... ولو ذاقه ظمآن في شهر ناجر

ويقول : أيْ وَرُبَّ ماءٍ كماء السخد، والسُّخْدُ : جلدة فيها ماء أصفر ينشق عن رأس الولد، ليس لجوف هذا الماء عهد بحاضر لمن يحضره غير الحمام.

صرى : طال مكثه وتغير، فمن ذاقه يقبض وجهه، ولو ذاقه وهو ظمآن يقول : عطشان.

وشهر ناجر : شهر تموز.

والوجه الثاني من الانزواء : هو التنحي والتباعد فهو معنى قول عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : عجبت لما زوي عنك، يقول : نُحِّيَ عنك وبوعد

منك، ومثله قول معاذ : «أعطاني اثنتين وزوى عني واحدة» نحاها عني ولم يجبني إليها.

وحديث عبد الله بن الحارث أن نبياً قال : يا رب، عبدك المؤمن تزوى عنه الدنيا مثله، وقول صالح بن مسمار : نعمة الله فيما زوى عنا، يقول نحّى عنا ولم يعطنا.

ويقال : زويت الشيء عن موضعه، نحيته، وزوى فلان عني هذا الشيء يزويه، ولا يجوز عند النحويين أزوى.

والوجه الثالث من الانزواء : قول محمد بن سيرين : كانت لابن عمر أرض قد زوتها أرض أخرى، وسألت ابن الأعرابي قال : قربت منها فضيّقتها.

أخبرنا عمرو، عن أبيه يقال : تأزى القوم في حلتهم، إذا تقاربوا في منزلتهم.

سمعت أبا نصر يقول : «زوتها أرض أخرى، قربت منها وأحاطت بها وجمعتها.

وقال الأخفش : العرب تقول : فلان لا يزوى عليه ما يريد، يعنون عنه، وأنشدني لأبي خراش :

ولم أنس أياما لنا ولياليا   بحلبة إذ نعطى بها ما نحاول

إذ الناس ناس والبلاد بغرة   وإذ نحن لا تزوى علينا المداخل

يعني عنا.

أخبرنا عمرو، عن أبيه : آزيت الحوض أوّازيه، جعلت له إزاء.

قال إبراهيم : وهذا الذي أخبرتك لم تجيء فيه رواية إلا ما لم يبلغني[1].

(1) غريب الحديث لإبراهيم بن إسحاق الحربي، مادة "زوي"، تحقيق سليمان إبراهيم محمد العايد، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1405.

2 . محمد بن جرير الطبري
(310-224)

1 . حياته

وهـو مـن أغـنـت شـهـرتـه عـن عـرض تـرجـمـتـه، يقول عنه الخطيب البغدادي إنه كـان أحد أئمة العلماء يحكم بقـوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضلـه، جمـع من العلوم مـا لم يشـاركـه فيـه أحـد من أهـل عصره. ومن مصنفـاتـه : التفسير الكبير المشهور والتـاريخ العـام، وتـاريخ الرجـال، وكتـاب القـول في أحكام شرائع الإسلام وكتـاب في القراءات، وكتـاب في اختلاف علمـاء الأمصـار والتبصير في أصول الدين وكتـاب تـهذيب الآثـار.

ويقول أبو محمد الفرغاني : إن كتـاب تـهذيب الآثـار من عجائب كتبه وأكمل منه مسند العشرة ومسند أهل البيت والموالي وبعض مسند ابن عبـاس.

2 . التعريف بكتاب تهذيب الآثار

وأولـه حديث خـالد الحذاء عن عكرمة في حرم مكة، ذكر فيه اختلاف العلمـاء هل الرعي مثل اختلاء الخلاء، أي جَزّ الرطب من حشيشهـا.

وذكر جواز الرعي عند طاووس وعطاء ومجاهد وابن أبي ليلى بشرط عدم الخبط. وذكر عدم الجواز لأبي حنيفة وصـاحبيه، وصوَّب رأيهم في ذلك.

ثم ذكر الخلاف في اجتنـاء الكمـأة منهـا، وجواز الاحتطـاب بـالشجر اليـابس منهـا، واختلاف العلمـاء في جزاء من قطع شجرة منهـا، فروى عطاء أن في قطع الدوحة بقرة وفي الشجر الصغـار طعـام يطعمـه، وقول من قـال أن عليه قيمتهـا.

وأتبـع ذلك بـحكم اللقطة، وتـخيير ولي المقتول بين الدية والقود، ثم فسر مـا في الحديث من غريب اللغة.

وقد جاء الكتاب جامعاً لكل ما ذكر حول الأحاديث التي أوردها، مما يناسب مواضعها من جميع الوجوه، مسنداً جميع الآثار التي نقلها أو استدل بها في عرضه، ولندرك مدى حرصه على الاستقصاء في البحث، نلاحظ أنه أورد في كتابه ألفاً ومائتين وأربعين وثمان من الآثار.

استعرض الطبري في هذا المسند أربعين حديثاً من رواية عكرمة عن ابن عباس، تناولت الحرم المكي والطواف على الراحلة وأحكام الصوم في السفر، ودعاءه صلى الله عليه وسلم لابن عباس "اللهم علمه الحكمة"، والأمر بالسجود على الأنف، ورفع الحرج عمّن حلق قبل الذبح، ومن رمى بعد ما أمسى، وأنه عليه الصلاة والسلام نظر إلى أُحُد، وقال: «ما يسرني أن لآل محمد ذهباً أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وعندي منه دينار إلا ديناراً أرهنه لدين»، فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ترك ديناراً ولا درهماً، ولا عبداً ولا أمة، ولقد ترك درعه التي يقاتل بها رهناً عند يهودي.

ومنها أنه قنّت شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء، في دبر كل صلاة وقوله لأصحابه: «إنما أنتم في الناس كالشامة في جنب البعير»، وأنه يرجو أن يكونوا شطر أهل الجنة، وأورد حديث الإسراء، وأنه أُوصِي بالحجامة ليلة الإسراء وأنه كان يوتر على راحلته، وحديث الأمر بقتل مُواقع البهيمة والبهيمية، والفاعل والمفعول في اللوطية، وقتل كل مُواقع ذات محرم، وذكر علل هذا الحديث ومخالفته لحديث أبي رزين عن ابن عباس.

ثم خرّج حديثه عليه الصلاة والسلام أنه «لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن»[1]. وحديث: «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية»، وحديث: «أن الماء لا ينجسه شيء، وأنه لا يخبث»، وحديثه أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إني أبصرت الهلال، قال: أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قال: نعم، قال: قم يا فلان فأذن في الناس فليصوموا»[2]. وحديث «جعل الطرق سبعة أذرع»[3]، و«أن لا يمنح أحدكم جاره أن يجعل خشبة

(1) رواه البخاري في كتاب المظالم والغصب.

(2) رواه النسائي في كتاب الصيام.

(3) رواه البخاري كتاب المظالم والغصب.

على حائطه»[1]، و«النهي عن الاختلاف والتناجش واستقبال السوق»[2]، وحديث الانتفاع بجلد الميتة.

وقد اتبع المصنف في كتابه منهجاً واضحاً، وذلك حينما يذكر الحديث، يقوم بتقويم سنده، وبيان ما قد يعتريه من علة، ويكرر عادة القول بنقد بعض المحدثين لرواية عكرمة دون أن يتعرض لمتن الحديث وفي هذا التعليل، ثم يذكر ما وافق الخبر المذكور من الأحاديث في نفس الموضوع، ثم يعقب بآراء الفقهاء ويبين الصواب عنده في ذلك، وأخيرا يفسر ما في الحديث من غريب الحديث، مستشهداً بأقوال اللغويين وأشعار المتقدمين.

نماذج من شرحه للأحاديث

أ) القول في البيان عما في هذه الأخبار من الغريب :

فمن ذلك قول عبد الله بن مسعود : «يقولون ما فينا كافر ولا منافق، جذّ الله أقدامهم»، يعني بقوله «جذّ الله أقدامهم»، قطع الله أقدامهم، وأصل الجذ القطع، يقال منه : جذذت الحبل فأنا أجذه جذا، وهو حبل مجذوذ، ومنه قول الله تعالى ذكره ﴿ **إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ** ﴾[3] يعني قوله ″عطاء غير مجذوذ″ : غير مقطوع، ولكنه دائم لأهله متصل، ومنه قيل للفتيت من الجير ″جذيذة″ لأنه مكسر مفتت، صرفت من ″مجذوذ″ وهي مفعولة إلى فعيلة، فقيل : جذيذة، والجذ والجذم والجزل والقصل والقصب بمعنى واحد[4].

ب) القول في البيان عما في هذه الأخبار من المعاني :

حدثنا محمد بن علي بن الحسين بن شقيق المروزي، قال : سمعت إبراهيم بن الأشعث يقول : سمعت الفضيل يعني ابن عياض يقول : أهل الإرجاء يقولون : الإيمان

---

(1) رواه مسلم في كتاب المساقاة.

(2) روى البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، حَدَّثَنَا الْمَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ جُرَيْجٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهم عَنْهم يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا يَبْتَاعُ الْمَرْءُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ».

(3) هود، 108.

(4) تهذيب الآثار للطبري، مسند عبد الله بن عباس، السفر، 2، ص 688، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، 1983.

قول لا عمل، وتقول الجهمية : الإيمان المعرفة بلا قول ولا عمل، وقول أهل السنة : الإيمان المعرفة والقول والعمل.

إن قال لنا القائل : وما المرجئة ؟ وما وصفهم ؟

قيل : إن المرجئة هم قوم موصوفون بإرجاء أمر مختلف فيما ذلك الأمر، فأما إرجاؤه فتأخيره، وهو من قول العرب : «أرجأ فلان هذا الأمر، فهو مرجيه، وهو مرجئه، بهمز، وإرجاه فلان يرجيه إرجاء، بغير همز فهو مرجيه، ومنه قول الله تعالى ذكره : ﴿ **وآخرون مرجون لأمر الله** ﴾ يقرأ بالهمز، وغير الهمز، بمعنى مؤخرون لأمر الله، وقوله مخبراً عن الملأ من قوم فرعون ﴿ **قالوا أرجه وأخاه** ﴾[1] بهمز "أرجه" وبغير الهمز.

حدثني عبد الله بن عمير الرازي قال : سمعت إبراهيم بن موسى ـ يعني الفراء الرازي ـ قال : سئل ابن عيينة عن الإرجاء، قال : الإرجاء على وجهين : قوم أرجؤوا أمر علي وعثمان، فقد مضى أولئك. فأما المرجئة اليوم فهم قوم يقولون : «الإيمان قول بلا عمل»، فلا تجالسوهم، ولا تؤاكلوهم، ولا تشاربوهم، ولا تُصلّوا معهم، ولا تصلوا عليهم[2].

ج) ذكر أخبار عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ :

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا محمد بن بشر، عن سلام بن أبي عمرة، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية».

د) القول في علل هذا الخبر :

وهذا الخبر عندنا صحيح سنده، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيماً غير صحيح، والعلل في ذلك :

إحداها : أنه خبر لا يعرف له مخرج يصح عن ابن عباس إلا من حديث عكرمة، والخبر إذا انفرد به عندهم منفرد وجب التثبت منه.

والثانية : أنه من رواية عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي نقل عكرمة عندهم نظر يجب التثبت فيه من أجله.

---

(1) الأعراف، 111.

(2) تهذيب الآثار للطبري، مسند عبد الله بن عباس، السفر، 2، ص 658، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، 1983.

والثالثة : أن سلام بن أبي عمرة من أهل النقل، ليس من أهل الرواية المعروفين بها، فالواجب التوقف في نقله.

وقد وافق سلام بن أبي عمرة في رواية هذا الخبر، عن عكرمة، عن ابن عباس، جماعة نذكر ما حضرنا من ذلك ذكره.

حدثني عبد الأعلى بن واصل الأسدي قال : حدثنا محمد بن فضيل، عن القاسم ابن حبيب وعلي بن نزار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية»[1].

(1) تهذيب الآثار للطبري، مسند عبد الله بن عباس، السفر، 2، ص 356-456، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، 1983.

الفصل الثالث : علم مختلف الحديث وعلم مشكل الحديث

1 . اختلاف الحديث للإمام الشافعي (204هـ)[1]

من أول الذين اهتموا بضبط قواعد استنباط الأحكام الفقهية من الحديث الإمام الشافعي، الذي بدأ رحلته العلمية بدراسة اللغة حتى صار حجة فيها بعد ما روى الغريب والأشعار من معاقلها في هذيل، وأخذ من أعلام العلماء في مكة، ثم انتقل إلى المدينة وصحب الإمام مالكاً برهة من الزمن استطاع فيها أن يلج باب علم الحديث، فحفظ موطأ الإمام مالك في مدة يسيرة، ثم أقام مدة في العراق يناظر أصحاب الرأي بحجج أصحاب الحديث حتى عرف بناصر السنة، حيث لخص موقفه بقوله : «إذا صح الحديث فهو مذهبي».

وقد تعامل مع الحديث بصفته فقيهاً مفكراً، لا جامعاً حاطب ليل، يؤثر نهج الانتقاء والتنظير على كثرة الرواية والتجميع، وهذا ما حدا ببعض ذوي الاختصاص أمثال علي بن المديني ويحيى بن معين أن لا يرتضيا منهجه، فأساءا في حقه، وتابعهم أئمة الصحيح فلم يرووا عنه، مع أنه من أذكى أئمة الحديث، وأدقهم منهجاً في طرق استثمار النصوص الشرعية، وكان من نزاهته الفكرية أن يقول للإمام أحمد بن حنبل وعبد الرحمن بن المهدي : «أنتما أعلم بالحديث مني فإذا كان صحيحاً فأعلموني أذهب إليه».

وإذا كان اختيار الإمام الشافعي يقع على الاعتماد على الحديث أولاً وقبل كل شيء، فإنه مع ذلك وضع قواعد مضبوطة لتصحيح الخبر والتوفيق بين مظاهر الاختلاف فيما صحّ منه ؛ فلذلك فإنه يستحق أن يعتبر مؤسساً لفقه الحديث مثل ما كان المؤسس الأول لعلم أصول الفقه، فحرّر مبادئها في فكر شمولي محكم، مكّن العلماء الذين ساروا على نهجه من بناء مذهبه في الاستنباط وقواعد الترجيح.

ونستعرض في هذا الفصل نماذج من منهجه في كتاب "اختلاف الحديث".

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 1، ص 361.

أوضح الإمام الشافعي منهجه في مناظراته مع مخالفيه، ومن أمثلة ذلك :

أ) ما أورده في باب صلاة كسوف الشمس والقمر من كتاب "اختلاف الحديث" :

استهل الباب بحديث عن الإمام مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أنهﷺ كان يعيد الركوع في كل ركعة من صلاته، وقوله عليه الصلاة والسلام : «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يُخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله»[1].

وروى الركوعين في حديث عائشة وأبي مسعود الأنصاري، وذكر أثرا عن الخليفة عثمان بن عفان في العمل بالركوعين في كل ركعة، ثم قال إنه يأخذ بمقتضى هذه الأحاديث في صلاة الكسوف.

وذكر كذلك أنه خالفه بعض الناس في هذا الحكم، وأن مخالفه احتج بحديث عن أبي بكرة، وعن سمرة بن جندب وأثر عن النعمان بن بشير، ولم يرد فيها ذكر الركوعين في كل ركعة[2].

وكان احتجاج الإمام الشافعي يتلخص في قوله : إن الذين رووا الأداء بركوعين أتوا بزيادة وهي أولى أن تقبل، لأن روايتها أثبت ما لم يثبت الذي نقصَ الحديث. ولما رد عليه مخالفه، أنه لم يأخذ برواية ثلاث ركوعات التي رويت عن ابن عباس، عن طريق سفيان عن سليمان الأحول عن طاووس، أجاب الإمام الشافعي أن زيد بن أسلم عن عطاء أثبت من سليمان الأحول عن طاووس.

كما ذكر أنه قد ثبت عنده أن ابن عباس صلّى هذه الصلاة في كسوف الشمس والقمر، وقال إنه فعلُ النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا ما ثبت أداؤه بثلاث ركوعات في الزلزلة، فقد يكون في ذلك فرقا عند صلاة الكسوف وصلاة الزلزلة.

(1) اختلاف الحديث للشافعي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ص 135، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1986.

(2) نفسه، ص 137.

ب) باب الاختلاف في جهة المباح :

أورد في كيفية الوضوء من هذا الباب عدة أحاديث منها ما رواه عن ابن عباس «أن رسول اللهﷺ وضّأ وجهه ويديه ومسح برأسه مرَّة مرَّة»[1]، وعن عثمان بن عفان أنه توضأ ثلاثا، وعن عبد الله بن زيد أنه غسل وجهه ثلاثا ويديه مرتين مرتين، ومسح رأسه، وغسل رجليه.

وعلّق عليها قائلاً : لا يقال لشيء من هذه الأحاديث مختلف مطلقا، ولكن الفعل فيها يختلف من وجه أنه مباح، لا اختلاف الحرام والحلال والأمر والنهي، ولكن يقول إن أقل ما يجزي من الوضوء مرة وأكمل ما يكون من الوضوء ثلاثا. وذكر حديثا عن أسامة بن زيد عن بلال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على الخفين، ثم قال : ولا يقال لمسحه على الخفين خلاف غسل الرجلين، وإنما يقال الغسل كمال والمسح رخصة. وأيهما شاء المصلي فعل[2].

ج) القراءة في الصلاة :

وفيها روى ثلاثة أحاديث عن عمرو بن حريث وعن عمر عن زياد بن علاقة عن عبد الله بن السائب أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بعد الفاتحة بسورة "التكوير"، وسورة "قاف" وسورة "قد أفلح المؤمنون"، ثم علّق عليها الشافعي قائلاً : ولسنا نعد شيئا من هذا اختلافا، لأنه صلى الله عليه وسلم صلّى الصلوات في عمره، فيحفظ الرجل قراءته يوما والرجل قراءته يوما غيره. وقد أباح إليه من القرءان بقراءة ما تيسر منه، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على أن اللازم في كل ركعة قراءة أم القرآن في الركعتين أو ليس ما تيسر معها[3].

---

(1) روى أبو داود في سنن كتاب الطهارة قال : حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل عن الربيع بنت معوذ ابن عفراء قالت كان رسول اللهﷺ يأتينا فحدثتنا أنه قال اسكبي لي وضوءا فذكرت وضوء رسول اللهﷺ قالت فيه فغسل كفيه ثلاثا ووضّأ وجهه ثلاثا ومضمض واستنشق مرة ووضأ يديه ثلاثا ثلاثا ومسح برأسه مرتين بمؤخر رأسه ثم بمقدمه وبأذنيه كلتيهما ظهورهما وبطونهما ووضأ رجليه ثلاثا ثلاثا قال أبو داود وهذا معنى حديث مسدد حدثنا إسحق بن إسمعيل حدثنا سفيان عن ابن عقيل بهذا الحديث يغير بعض معاني بشر قال فيه وتمضمض واستنثر ثلاثا.

(2) اختلاف الحديث للشافعي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ص 42، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1986.

(3) نفسه، ص 43.

د) التشهد :

وفيه روى عن ابن عباس قال : «كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن. فكان يقول : التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله»[1].

وعن جابر عن النبي ﷺ تشهد يخالف هذا في بعض حروفه، وروى البصريون عن أبي موسى الأشعري حديثاً يخالفهما في بعض حروفهما، ويروى الكوفيون عن ابن مسعود في التشهد حديثاً يخالفها كلها في بعض حروفها فهي مشتبهة متقاربة وأحتمل أن تكون كلها ثابتة وأن يكون رسول الله ﷺ يعلم الجماعة والمنفردين التشهد، فيحفظ أحدهم على لفظ ويحفظ الآخر على لفظ يخالفه، لا يختلفان في معنى، إنما يريد به تعظيم الله جل ثناؤه وذكره، فيقر النبي كلا على ما حفظ مثل ما كان في اختلافهم في ألفاظ القرآن الذي نزل على سبعة أحرف، وما سوى القرآن من الذكر أولى أن يتبع هذا فيه، وليس لأحد أن يكف عن قراءة حرف من القرآن إلا بنسيان. وقد فضل الشافعي رواية ابن عباس لأنها أتم ما روى وأنها فيها زيادة لفظ المباركات على الروايات الأخرى[2].

هـ) الفطر والصوم في السفر :

وبعد ذكر قوله تعالى : ﴿ **ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر** ﴾[3]، قال إن السنة تدل على أمر المرض والسفر بالفطر رخصة، وأن المسافر إذا صام في رمضان كان صومه صحيحاً، واستعرض الأحاديث في هذا الباب، مثل حديث جابر وأم الدرداء، أن «ليس من البر الصوم في السفر»[4]، ولكنه ختم عرضه بحديث أنس أنهم سافروا مع النبي ﷺ ومنهم المفطر ومنهم الصائم، وحديث عائشة أن النبي ﷺ قال لحمزة بن عمرو الأسلمي : «إن شئت فصم وإن شئت فافطر»[5]، فاستخلص أن الأمر بالفطر ورد من قبيل الرخصة التي لا يجوز للمسلم الرغبة عنها، وأن يعملها اختياراً لأنها ليست من باب الحتم[6].

---

(1) رواه مسلم في كتاب الصلاة.

(2) اختلاف الحديث للشافعي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ص 45، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1986.

(3) البقرة، 184.

(4) رواه البخاري في كتاب الصوم.

(5) رواه البخاري في كتاب الصوم.

(6) اختلاف الحديث للشافعي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ص51، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1986.

و) باب رفع الأيدي في الصلاة :

قال الإمام الشافعي : أخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم بن عبد الله ابن عمر عن أبيه قال : «رأيت النبيﷺ إذا افتتح الصلاة رفع يديه حتى يحاذي منكبيه، وإذا أراد أن يركع، وبعد ما يرفع رأسه من الركوع ولا يرفع بين السجدتين»[1].

وروى مثله سفيان بن عاصم بن كليب عن أبيه عن وائل بن حجر، الذي قال إنه رأى الناس في الشتاء يرفعون أيديهم في البرانس؛ وذكر أن أبا حميد الساعدي رواه في عشرة من الصحابة فصدّقوه، وقال الشافعي بهذا الحديث نأخذ، ونترك كل ما خالفه.

وقال وقد خالفنا بعض الناس، واحتجّ بحديث رواه يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى. وذكر أن سفيان لما قدم الكوفة سمع يزيد بن أبي زياد يحدث هكذا بزيادة : "ثم لا يعود"، فظننت أنهم لقنوه. ثم ذكر أن أهل الكوفة أنكروا حديث وائل بن حجر، كما روى عن بعض أهل ناحيته : أنه لمروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليدين عند الافتتاح وعند رفعه من الركوع، وما هو بالمعمول به.

ثم رد الشافعي على مخالفته بالحجج التالية :

1. إن حديث الزهري عن سالم يعد أثبت ما جاء في الباب لأن معه أحد عشر رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2. إن إنكار إبراهيم النخعي لحديث وائل بن حجر مستدلاً بأن الإمام علياً وابن مسعود يروياه ولم يفعلاه، لا حجة فيه لأن إبراهيم لا يمكن أن يستوعب كل ما رويا أو فعلا. وهو لم يرو عنهما ما يخالف حديثه. أما قولهم إن وائلاً بن حجر أعرابي فهذا لا يضيره لأنه معروف بالصحبة ورواية الحديث، وأن إبراهيم روى عن قرة الضبي وقزعة، وسهم بن منجاب وليس واحد من هؤلاء معروفاً بحديث.

3. أما من قال إنه ليس بالمعمول به ؛ فقد ردّ عليهم قائلاً : فقد أعيانا أن نجد عند أحد علم هؤلاء الذين إذا علموا الحديث ثبت عنده، وإذا تركوا العمل به سقط عنده، وهو يروي أن النبي صلى الله عليه وسلم فعله وأن ابن عمر فعله. ولا يروي عن أحد يسميه أنه تركه. وأما قولهم : فلعله منسوخ بخبر لم يحفظ، فرد عليهم الشافعي بقوله : أيجوز في كل خبر روي عن النبي صلى الله عليه

---

(1) رواه مسلم في كتاب الصلاة.

وسلم أن يقال فيه لعله منسوخ، وحينئذ يرد علينا أهل الجهالة بالسنن بـ "لعله". وخلاصة رده أنه يأخذ بالأثبت والأكثر عدداً، وإنه لا يترك العمل بالخبر إلا إذا ثبت عنده نص أقوى منه يخالفه أو ينسخه[1].

ز) باب بكاء الحي على الميت :

ذكر في هذا الباب حديث الإمام مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن عمرة عن عائشة، أم المؤمنين إذ ذكر لها أن عبد الله بن عمر كان يقول : «إن الميت ليعذب ببكاء الحي، فقالت : أما أنه لم يكذب، ولكنه أخطأ أو نسي، إنما مر رسول اللهﷺ على يهودية، وهي يُبكى عليها، فقال : أنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها»[2].

ثم أتبعه بما أثر عن ابن أبي مليكة الذي حضر ابن عباس وابن عمر عند وفاة ابنة لعثمان بمكة، فقال ابن عمر لعمرو بن عثمان : ألا تنهى عن البكاء، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»، وقال ابن عباس قد كان عمر يقول بعض ذلك، ولما أُصيب عمر بكى عليه صهيب، فقال عمر : يا صهيب أتبكي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه».

ولمّا سمعت عائشة قول عمر قالت : يرحم الله عمر، لا والله ما حدّث رسول الله أن الله يعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه، وقالت : حسبكم القرآن : ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾[3]، وقال ابن عباس : والله أضحكَ وأبكَي، وقال ابن أبي مليكة : فوالله ما قال ابن عمر من شيء.

وقد رجح الإمام الشافعي هنا رأي عائشة، وفقاً لمبادئه المعروفة، ومنها أن عمرة عنده أثبت في حديث عائشة من غيرها؛ ومنها أن حديثها يعتضده القرآن، للآية التي اختتمت بها، ولقوله تعالى : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾[4]، وقوله جل وعلا : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[5] ؛ كما تؤيده السنة

---

(1) اختلاف الحديث للشافعي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ص 127، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1986.

(2) رواه الترمذي في كتاب الجنائز، وقال حديث حسن صحيح.

(3) الأنعام، 164.

(4) النجم، 39.

(5) الزلزلة، 8.

بدليل قولهﷺ لرجل : ابنك هذا ؟ قال : نعم. قال : أما أنه لا يجني عليك ولا تجني عليه، فأعلمﷺ مثل ما أعلم الله من أن جناية كل امرئ عليه، كما أن عمله له لا لغيره»[1].

وقد فسر زيادة عذاب الكافر بما استوجب بعمله، ولأن عليه عذاباً أعلى، فإن عذب بدونه فزيد في عذابه فيما استوجب هو، لا بذنب بكاء غيره عليه[2].

ح) باب الصوم لرؤية الهلال والفطر له :

حدّثنا الربيع قال : أخبرنا الشافعي، قال : أخبرنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله قال : «إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غُمَّ عليكم فاقدروا له». وكان عبد الله بن عمر يصوم قبل الهلال بيوم، قيل لإبراهيم يتقدمه ؟ قال : نعم.

أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن محمد بن جبير عن ابن عباس قال : عجبت ممن يتقدم الشهر، وقد قال رسول الله : «لا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه»[3].

أخبرنا عبد العزيز بن محمد بن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ قال : «لا تقدموا الشهر بيوم ولا يومين إلا أن يوافق ذلك صوماً، كان يصومه أحدكم، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُمَّ عليكم فعُدّوا ثلاثين»[4].

ط) باب المِصراة والخراج بالضمان :

حدّثنا الربيع قال : أخبرنا الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم عن ابن أبي ذئب عن مخلد بن خفاف عن عروة بن الزبير عن عائشة أن رسول الله قال : «الخراج بالضمان»[5].

أخبرنا مسلم عن هشام عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الخراج بالضمان»[6].

---

(1) رواه النسائي في كتاب القسامة.

(2) اختلاف الحديث للشافعي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ص 162، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1986.

(3) رواه مسلم في كتاب الصيام.

(4) اختلاف الحديث للشافعي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ص 182، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1986. والحديث رواه الترمذي في كتاب الصيام، وقال حديث حسن صحيح.

(5) رواه الترمذي في كتاب البيوع، وقال حديث حسن صحيح.

(6) رواه الترمذي في كتاب البيوع.

أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله قال : «لا تُصَرُّوا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير الناظرين بعد أن يحلبها، إن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردها وصاعا من تمر»[1].

أخبرنا سفيان عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي مثله إلا أنه قال : ردها وصاعا من تمر لا سمراء.

قال الشافعي : وحديث الخراج بالضمان، وحديث المصراة واحد، وهما متفقان فيما اجتمع فيه معناهما. وفي حديث المصراة شيء ليس في حديث الخراج بالضمان قال : وذلك أن مبتاع الشاة أو الناقة المصراة مبتاع لشاة أو ناقة فيها لبن ظاهر، وهو غيرهما كالتمر في النخلة الذي إذا شاء قطعه وكذلك اللبن إذا شاء حلبه واللبن مبيع مع الشاة وهو سواها، وكان في ملك البائع فإذا حلبه ثم أراد ردّها بعيب التصرية، ردّها وصاعاً من تمر، كثر اللبن أو قل، كان قيمته أو أقل من قيمته، لأن ذلك شيء وقّته رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن جمع فيه بين الإبل والغنم، والعلم يحيط أن ألبان الإبل والغنم مختلفة الكثرة والأثمان، وأن ألبان كل الإبل والغنم مختلفة، وكذلك البقر لأنها في معناها. قال : فإن رضي الذي ابتاع المِصراة أن يمسكها بعيب التصرية ثم حلبها زمانا ثم ظهر منها على عيب غير التصرية فإن ردها بالعيب ردها، ولا يرد اللبن الذي حلبه بعد لبن التصرية، لأنه لم يكن في ملك البائع، وإنما كان حادثاً في ملك المبتاع، كما حدث الخراج في ملكه، ويرد صاعاً من تمر للبن التصرية فقط.

حدّثنا الربيع قال : قال الشافعي : فخالفنا بعض الناس في المِصراة، فقال : الحديث فيها ثابت ولكن الناس كلهم تركوه فقلت له : أفتحكي لي من أصحاب رسول الله أنه تركه ؟ قال : لا. قلت : فأنت تحكي عن ابن مسعود أنه قال فيها مثل معنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقلت له : أو تحكي عن أحد من التابعين أنه تركه فما علمته ذكر في مجلسه ذلك أحداً منهم يخالفه، قال : إنما عنيت بالناس المفتين في زماننا أو قبلنا لا التابعين، قلت له : أتعني بأي البلدان ؟ قال : الحجاز والعراق، فقلت له : فاحك لي من تركه بالعراق، قال : أبو حنيفة لا يقول به وأصحابه إلا رجلا واحدا لأنهم قبلوه عن واحد، قال : فلم أعلم غيره قال به، قلت : أنت أخبرتنا عن ابن أبي ليلى أنه قال : يردها وقيمة اللبن يومئذ قال : وهكذا كان يقول ولكن لا نقول به، فقلت : أجل، ولكن ابن أبي ليلى قد زاد الحديث فتأول فيه شيئاً يحتمله ظاهره

---

(1) رواه الترمذي في كتاب البيوع.

عندنا على غيره فقلنا بظاهره، وابن أبي ليلي أراد إتباعه لا خلافه، قال : فما كان مالك يقول فيه، قلتُ : أخبرني من سمعه يقول فيه بالحديث قال : فما كان الزنجي يقول فيه، قلت : سمعته يفتي فيه بمعنى الحديث.

قال الشافعي : وقلت له ما كان من يفتي بالبصرة يقول فيه، قال : ما أدري، قلت : أفرأيت من غاب عنك قوله من أهل البلدان أيجوز لي أن أقول على حسن الظن بهم وافقوا حديث رسول الله قال : لا إلا أن تعلم قولهم.

قال الشافعي فقلت : فقد زعمت أن الناس كلهم تركوا القول بحديث رسول الله في المصراة، وزعمت على لسانك أنه لا يجوز لك ما قلت، ولم يحصل في يديك من الناس أحد تسميه غير صاحبك وأصحابه.

قال الشافعي، وقلت له : وهل وجدت لرسول الله حديثا يثبته أهل الحديث، يخالفه عامة الفقهاء إلا إلى حديث لرسول الله مثله ؟ قال : كنت أرى هذا، قلت : فقد علمت الآن أن هذا ليس هكذا، قال : وكنت أرى حديث جابر أن معاذاً كان يصلي مع النبي العتمة ثم يأتي بني سلمة، فيصلي بقومه العتمة، هي له نافلة ولهم فضيلة؛ فوجدنا أصحابكم المكيين ـ عطاء وأصحابه ـ يقولون به، ووجدنا وهب بن منبه والحسن وأبا رجاء العطاردي وبعض مفتي أهل زماننا يقولون به، قلت : وغير من سميت، قال : أجل وفي هؤلاء ما دل على أن الناس لم يجمعوا على تركه، قلت له : ولقد جهدت منذ لقيتك وجهدنا أن نجد حديثاً واحداً يثبته أهل الحديث خالفته العامة فما وجدنا إلا أن يخالفوه إلى حديث رسول الله، فذكر حديثاً، قلت : أثابت هو ؟ قال : لا، فقلت : ما لا يثبت مثله فليس بحجة لأحد ولا عليه، قال : فكيف نرد صاعاً من تمر ولا نرد ثمن اللبن ؟ قلتُ : أثبت هذا عن النبي ؟ قال : نعم، قلت : وما يثبت عن النبيﷺ فليس فيه إلا التسليم، فقولك وقول غيرك فيه لم وكيف خطأ. قال بعض من حضره : نعم، قلت : فدع كيف إذا قررت أنها خطأ في موضع، فلا تضعها الموضع الذي هي فيه خطأ، قال بعض من حضره : وكيف كانت خطأ ؟ قلت : إن الله تعبد خلقه في كتابه على لسان نبيهﷺ بما شاء لا معقب لحكمه، فعلى الناس اتباع ما أمروا به، وليس لهم فيه إلا التسليم وكيف إنما تكون في قول الآدميين الذين يكون قولهم تبعاً لا متبوعاً ولو جاز في القول اللازم كيف حتى يحمل على قياس أو فطنة عقل ما لم يكن له غاية ينتهي إليها بطل القياس ولكن القول قولان، قول فرض لا يقال فيه كيف، وقول تبع يقال فيه كيف يشبه بالقول الغاية.

قال الربيع : والقول الغاية : الكتاب والسنة.

ي) باب كسب الحجام :

حدّثنا الربيع قال، قال الشافعي : أخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن حرام بن سعد بن محيصة أن محيصة سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام فنهاه عنه فلم يزل يكلمه حتى قال له : أطعمه رقيقك وأعلفه ناضحك.

أخبرنا مالك عن الزهري عن ابن شهاب عن حرام بن سعد عن أبيه أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في إجازة الحجام فنهاه عنها فلم يزل يسأله ويستأذنه حتى قال له «أعلفها ناضحك ورقيقك»[1].

حدّثنا الربيع قال : أخبرنا الشافعي أخبرنا مالك عن حميد عن أنس قال : «حجم أبو طيبة رسول الله فأمر له بصاع من تمر وأمر أهله أن يخففوا عنه من خراجه»[2].

وأخبرنا عبد الوهاب بن عبد المجيد عن حميد عن أنس أنه قيل له : احتجم رسول الله ؟ قال : نعم، حجمه أبو طيبة فأعطاه صاعين وأمر مواليه أن يخففوا عنه من ضريبته»[3].

وقال ﷺ : «إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط البحري لصبيانكم من العذرة ولا تعذبوهم بالغمز»[4]. أخبرنا عبد الوهاب الثقفي عن أيوب عن ابن سيرين عن ابن عباس. أخبرنا سفيان عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس قال : احتجم رسول الله ؟ وقال : الحجام اشكموه.

قال الشافعي: ليس في شيء من الأحاديث مختلف ولا ناسخ ولا منسوخ، فهم قد أخبرونا أنه قد أرخص لمحيصة أن يعلفه ناضحه ويطعمه رقيقه، ولو كان حراماً لم يجز رسول الله ـ والله أعلم ـ لمحيصة أن يملك حراماً ولا يعلفه ناضحه، ولا يطعمه رقيقه، ورقيقه ممن عليه فرض الحلال والحرام، ولم يعط رسول الله حجاماً على الحجامة أجراً، إلا لأنه لا يعطي إلا ما يحل له أن يعطيه، وما يحل لمالكه ملكه حل له ولمن أطعمه إياه أكله، قال : فإن قال قائل : فما معنى نهي رسول الله وإرخاصه في أن

---

(1) رواه الترمذي في كتاب البيوع.

(2) رواه البخاري في كتاب البيوع.

(3) رواه البخاري في كتاب الإجارة.

(4) رواه البخاري في كتاب الطب.

يطعمه الناضح والرقيق ؟ قيل : لا معنى له إلا واحد، وهو أن من المكاسب دنيا وحسنا، فكان كسب الحجام دنيا، فأحب له تنزيه نفسه عن الدناءة لكثرة المكاسب التي هي أجمل، فلما زاد فيه أمره أن يعلفه ناضحه ويطعمه رقيقه تنزيهاً له، لا تحريماً عليه.

قال الشافعي رضي الله عنه : وقد روي أن رجلاً ذا قرابة لعثمان قدم عليه فسأله عن معاشه، فذكر له غلة حمام وكسب حجام أو حجامين، فقال : إن كسبك لوسخ أو قال : لدنيء، أو قال : لدنس، أو كلمة تشبه ذلك[1].

ك) باب الدعوى والبينات :

حدثنا الربيع قال : أخبرنا الشافعي قال : أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «البينة على المدعي. واليمين على المدعى عليه»[2].

قال الشافعي : وأحسبه ولا أثبته قال : واليمين على المدعى عليه.

أخبرنا عبد الله بن الحرث عن سيف بن سليمان عن قيس بن سعد عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قضى باليمين مع الشاهد قال عمر : وفي الأموال»[3].

---

(1) اختلاف الحديث للشافعي، تحقيق محمد أحمد عبد العزين، ص 205، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1986.

(2) رواه الترمذي في كتاب الأحكام.

(3) اختلاف الحديث للشافعي، تحقيق محمد أحمد عبد العزين، ص 207، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1986. والحديث رواه أحمد في مسند بني هاشم.

2. مختلف الحديث لابن قتيبة الدينوري (تـ 276هـ)

دفاعه عن أهل الحديث

بعد الإمام الشافعي، نرى أبا محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة يتناول موضوع الاختلاف من وجهة أخرى، ذلك أنه لا يهدف في كتابه "الموسوم بتأويل مختلف الحديث"، إلى التوفيق بين أحاديث أدلة الأحكام التي قد يبدو من ظاهرها نوعاً من التناقض. فالذي يرمي إليه ابن قتيبة في هذا المصنف هو الدفاع عن فرقة أهل الحديث الذين صاروا في عصره عرضة لكثير من الطعون الموجهة إليهم من قبل المعتزلة وأصحاب القياس.

فالكتاب عبارة عن مرافعة منهجية، بدأها الكاتب بحصر التهم الموجهة إلى أهل الحديث، وبعد سردها، استعرض عيوب خصومهم ومثالب قادتهم، ثم أعاد تفاصيل إدعائاتهم لينقضها، إما بنفي صحتها أصلاً وإما بتأويلها تأويلاً يبرئ ساحة المحدثين من تبعات كل ما نسب إليهم[1].

يقول ابن قتيبة : إن أهل الحديث أكثروا من روايات مختلفة مكّنت كل فرقة بالاحتجاج منها بما تريد، فالخوارج تحتج بروايتهم : «ضعوا سيوفكم على عواتقهم وأبيدوا خضراءهم»؛ والمرجئة يحتجون بروايتهم : «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق»؛ والقدري يحتج بروايتهم : «خلقت عبادي جميعاً حنفاء فاجتالتهم، الشياطين عن دينهم»؛ والمفوض يحتج بروايتهم : «السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه»؛ والرافضة تحتج بروايتهم في تقديم عليٍّ : «من كنت مولاه فعلي مولاه»، ويرد مخالفوهم روايتهم : «يأبى الله ورسوله والمسلمون إلا أبا بكر».

وذكر روايتهم لأحاديث في التشبيه، مثل : "عرق الخيل" و"زغب الصدر"، و"نور الذراعين"، و"عيادة الملائكة" و"كشف الساق يوم القيامة" و"خلق آدم على صورته"، و«أن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن».

ورووا سخافات تبعث على الطعن في الإسلام، مثل قولهم : «إن عجيزة الحوراء ميل في ميل»، وأن الفأرة كانت يهودية، وأنها لا تشرب لبن الإبل مثل اليهود، وأن

---

(1) عنوان الكتاب : تأويل مختلف الحديث في الرد على أعداء أهل الحديث والجمع بين الأخبار التي ادعوا عليها التناقض والاختلاف، والجواب عما أوردوه من الشبه على بعض الأخبار المتشابهة أو المشكلة بادئ الرأي لابن قتيبة.

السنور عطسة الأسد، وأن الأريانية كانت خياطة فمسخت لأنها كانت تسرق الخيوط، وأن سهيلاً كان عشاراً باليمن، وأن الزهرة كانت بغياً فمسخت، وأن الأرض على ظهر حوت وأن أهل الجنة سيأكلون كبده يوم القيامة.

واستهل الدفاع عن أهل الحديث بقوله عن أهل الكلام وأصحاب الرأي إنهم يتهمون غيرهم في النقل ولا يتهمون آراءهم في التأويل، وكان يجب مع ما يدعونه من معرفة القياس وإعداد آلات النظر أن لا يختلفوا كما لا يختلف الحسّاب والمسّاح والمهندسون؛ فما بالهم أكثر الناس اختلافاً.

فأبو هذيل العلاف يخالف النظام والنجار يخالفهما، وهشام بن الحكم يخالفهم، وكذلك ثمامة ومويس وهاشم الأوقص وعبيد الله بن الحسن وبكر العمي وحفص وقبة، ولو كان اختلافهم في الفروع والسنن، ولكنه في التوحيد وفي صفات الله تعالى[1].

وذكر بعد ذلك إجماع أهل الحديث على عقيدة واحدة، وشرع في الرد على أقوال كل واحد من رؤساء أهل الكلام، بدأ بالحديث عن النظام وأورد ما يحكى عنه من ارتكاب المحرمات، ومخالفة الإجماع والحديث مثل قوله إن النبي لم يبعث إلا إلى قومه، وإنكاره حديث عصمة إجماع الأمة من الخطإ، وتجرُّئه على المس من الخلفاء والصحابة كالنيل من زيد بن ثابت وأبي هريرة، الذي قال إن عمر وعثمان وعلياً وعائشة كانوا يكذبونه مستدلاً بروايته لحديث : «من أصبح جنباً فلا صيام له»، وكادعائه لتناقض رواية ابن مسعود في مشاهدة الجن مع النبيﷺ، ثم أسهب في الرد على شبهه مذكراً بمواقف الصحابة في التثبت في الرواية، فذكر تشدد عمر وعلي في الحديث، ومن ذلك ما رواه عن الإمام عليٍّ أنه قال : «كنت إذا سمعت من رسول اللهﷺ حديثاً نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه محدث استحلفته فإن حلف لي صدقته».

وأُلمّح أن الغلط قد يقع لبعض الرواة، فذكر ما روى عن عمران بن حصين أنه قال : والله إن كنت لأرى أني لو شئت حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومين متتابعين ولكن بطأني عن ذلك أن رجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت ويحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يُشَبَّهَ لي كما شُبِّهَ لهم فأعلمك أنهم كانوا يغلطون لا أنهم كانوا يتعمدون.

---

(1) باختصار وتصرف من مقدمة كتاب تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، ص 5 وما بعدها، ط دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

وبعد رده على النظام، استعرض ابن قتيبة مواقف مجموعة من المعتزلة، فقال إن العلاف كان أفاكاً كذاباً، وإن عبد الله بن الحسن الذي كان قاضياً بالبصرة يقول بتصويب جميع الآراء المناقضة، وإن ثمامة بن الأشرس من المستهزئين بشعائر الإسلام، ويصف الساعين إلى الجمعة بالحُمُر، وختم الحديث عن المعتزلة بالجاحظ، وذكر قدرته على إقامة الحجة على الشيء وعلى نقيضه، وذكر جملاً من آراءه المتضادة، وسخريته من المسلمين، كذكره لكبد الحوت وقرن الشيطان وتسويد الحجر الأسود، وقال إنه من أكذب الناس وأوضعهم للحديث.

وفي معرض حديثه عن أصحاب الرأي، انتقد ما أفتى به من وجوب من لبس السراويل في الإحرام مخالفا بذلك ما رويَ أن من لم يجد إزاراً لبس السراويل. ومن لم يجد نعلين لبس خفين، وأنه أفتى بالقطع على من سرق ودياً، مخالفاً بذلك حديث رافع بن خديج أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا قطع في ثمر ولا كثر»[1]. ثم أورد حوار ربيعة الرأي مع سعيد بن المسيب في عقل أصابع المرأة، وقول ربيعة لما سمع أن في ثلاثة أصابع ثلاثون من الإبل وعشرون في أربع : حين عظم جرحها، واشتدت مصيبتها نقص عقلها، فقال له سعيد : إنها السنة يا ابن أخي.

وعقب قائلاً إن أهل الحديث لم يحملوا الضعيف والغريب لأنهم رأوه حقاً، وإنما جمعوا الغث والسمين ليميزوا بينهما، وأورد مجموعة من الأحاديث الموضوعة التي نبهوا عليها مثل : «شرب الماء على الريق يعقد التخم»، وقالوا إن واضعه عاصم الكورسي، وقولهم إن النبيﷺ لم يجز طلاق المريض، وقد وضعه سهل السراج، وحديث أنس أنهﷺ قال : لا يزال الرجل راكبا مادام منتعلا، وهو من وضع أيوب بن خوط، وحديث ابن أبي أوفى القائل : رأيت رسول اللهﷺ يمس لحيته في الصلاة، وقد وضعه المنذر بن زياد.

وذكر أعداء أهل الحديث يلقبونهم بأنباز لم يأت بها خبر عن النبيﷺ فسموهم الحشوية والنابتة، والمجيرة والغثاء والعثر؛ أما هم فقد وردت أحاديث منها أن القدرية مجوس هذه الأمة، وأن ميمون بن مهران روى عن ابن عباس قوله : سمعت رسول اللهﷺ يقول : يكون قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الإسلام ويلفظونه، فاقتلوهم فإنهم مشركون، وروى في المرجئة : صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي، لعنوا على لسان سبعين نبي : المرجئة والقدرية. وفي الخوارج إنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

---

(1) رواه الترمذي في كتاب الحدود.

ثم عقد أبواباً حول ذكر الأحاديث التي ادعوا عليها التناقض، والأحاديث التي تخالف عندهم كتاب الله وتلك التي يدفعها النظر وحجة العقل، وها هي نماذج من ردّه عليها.

1. قالوا أحاديث يبطلها القرآن :

قالوا : رويتم أن رجلاً قال لبنيه : إذا أنا مِتُّ فأحرقوني، ثم أذروني في اليم، لعلي أُضِلُّ اللّه، ففعلوا ذلك، فجمعه الله، ثم قال له : ما حملك (أو كلاماً، هذا معناه)، على ما فعلت ؟ قال : مخافتك يا رب، فغفر الله له.

قالوا : وهذا كافر، والله لا يغفر للكافر، وبذلك جاء القرآن.

قال أبو محمد : ونحن نقول في " أُضِلُّ الله" إنه بمعنى "أفوت الله"، تقول : ضللت كذا وكذا وأضللته. ومنه قول الله تعالى : ﴿ **في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى** ﴾[1]، أي لا يفوت ربي.

وهذا رجل مؤمن بالله، مقر به، خائف له، إلا أنه جهل صفة من صفاته، فظن أنه إذ أحرق وذُريّ الريح أنه يفوت الله تعالى، فغفر الله تعالى له بمعرفته تأنيبه، وبمخافته من عذابه، جهله بهذه الصفة من صفاته.

وقد يغلط في صفات الله تعالى، قوم من المسلمين ولا يحكم عليهم بالنار، بل ترجأ أمورهم إلى من هو أعلم بهم وبنياتهم[2].

قالوا : رويتم أنه قال عليه السلام : «من ترك قتل الحيات مخافة ثأرهن فقد كفر»[3].

والله تعالى يقول : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم** ﴾[4].

وهذا إن كان ذنباً، فهو من الصغائر، فكيف نكفره وأنتم تروون «من زنى، ومن سرق، إذا قال لا إله إلا الله، فهو مؤمن، وهو في الجنة»، ثم تكفرون بترك قتل الحيات ؟ وفي هذا اختلاف وتناقض.

---

(1) طه، 52.

(2) تأويل مختلف الحديث، ص80.

(3) رواه النسائي في كتاب الجهاد، وفيها «مخافة ثأرهن فليس منا» ولم أقف على رواية "فقد كفر".

(4) النساء، 31.

قال أبو محمد : ونحن نقول : إنه ليس ههنا اختلاف ولا تناقض ولم يكن القصد لترك قتل الحيات ولا أن ذلك يكون عظيماً من الذنوب، يخرج به الرجل إلى الكفر، وإنما العظيم، أن يتركها خشية الثأر، وكان هذا أمراً من أمور الجاهلية، وكانوا يقولون إن الجن تطلب بثأر الجان إذا قتل. فربما قتلت قاتله، وربما أصابته بخبل، وربما قتلت ولده. فأعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا باطل، وقال : «من صدق بهذا فقد كفر»، يريد بما أتينا به من بطلانه.

والكفر عندنا صنفان :

- أحدهما الكفر بالأصل كالكفر بالله تعالى أو برسله، أو ملائكته أو كتبه أو بالبعث. وهذا هو الأصل الذي من كفر بشيء منه، فقد خرج عن جملة المسلمين، فإن مات لم يرثه ذو قرابته المسلم، ولم يصلِّ عليه.
- والآخر : الكفر بفرع من الفروع، على تأويل، الكفر بالقدر والإنكار للمسح على الخفين، وترك إيقاع الطلاق الثلاث وأشباه هذا. وهذا لا يُخرج به عن الإسلام، ولا يقال لمن كفر بشيء منه كافر، كما أنه يقال للمنافق آمن، ولا يقال مؤمن[1].

2. قالوا حديث يكذبه النظر والعيان والخبر والقرآن :

قالوا : رويتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «منبري هذا على ترعة من ترع الجنة»[2]، و«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»[3]. والله عز وجل يقول : ﴿ **عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى** ﴾[4]. ويقول تعالى : ﴿ **وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾[5]. ورويتم في غير حديث : «أن الجنة في السماء السابعة».

قالوا : وهذا اختلاف وتناقض.

قال أبو محمد : ونحن نقول إنه ليس ههنا اختلاف ولا تناقض، فإنه لم يرد بقوله : «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»، أن ذلك بعينه، روضة، وإنما أراد أن الصلاة في هذا الموضع والذكر فيه يؤدي إلى الجنة، فهو قطعة منها، ومنبري

---

(1) تأويل مختلف الحديث، ص 81.

(2) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(3) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(4) النجم، 15.

(5) آل عمران، 133.

هذا هو على ترعة من ترع الجنة، والترعة باب المشرعة إلى الماء، أي إنما هو باب إلى الجنة.

قال أبو محمد : وحدّثنا أبو الخطاب قال : نا بشر بن المفضل، قال : نا عمر بن عبد الله، مولى غفرة، عن أيوب بن خالد الأنصاري قال : قال جابر ابن عبد الله الأنصاري خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : «ارتعوا في رياض الجنة»، قالوا : «وأين رياض الجنة يا رسول الله» ؟ قال : «مجالس الذكر».

وهذا كما قال في حديث آخر «عائد المريض، على مخارف الجنة» والمخارف الطرق واحدها : مخرفة.

ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه «تركتكم على مثل مخرفة النعم» أي طريقها.

وإنما أراد أن عيادة المريض تؤدي إلى الجنة، فكأنه طريق إليها، وكذلك مجالس الذكر، تؤدي إلى رياض الجنة، فهي منها.

وكذلك قول عمار بن ياسر : «الجنة تحت البارقة» ـ يعني السيوف ـ و«الجنة تحت ظلال السيوف»[1].

3. قالوا حديث يكذبه النظر :

قالوا : رويتم عن حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى عليه السلام لطم عين ملك الموت[2]، فأعوره فإن كان يجوز على ملك الموت العَوَر، جاز عليه العمى.

ولعل عيسى ابن مريم عليه السلام قد لطم الأخرى فأعماه، لأن عيسى عليه السلام، كان أشد للموت كراهية من موسى عليه السلام، وكان يقول : «اللهم إن كنت صارفا هذه الكأس عن أحد من الناس فاصرفها عني».

قال أبو محمد : ونحن نقول : إن هذا الحديث حسن الطريق عند أصحاب الحديث، وأحسب له أصلاً في الأخبار القديمة، وله تأويل صحيح لا يدفعه النظر. والذي نذهب إليه فيه أن ملائكة الله تعالى روحانيون، والروحاني منسوب إلى الروح، نسبة الخلقة

(1) تأويل مختلف الحديث، ص 82.

(2) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ومسلم في كتاب الفضائل وغيرهما.

فكأنهم أرواح لا جثث لهم، فتلحقها الإبصار ولا عيون لها كعيوننا، ولا أبشار كأبشارنا.

ولسنا نعلم كيف هيأهم الله تعالى، لأنا لا نعرف من الأشياء إلا ما شاهدنا، وإلا ما رأينا له مثالاً.

وكذلك الجن والشياطين والغيلان هي أرواح، ولا نعلم كيفيتها، وإنما تنتهي في صفاتها إلى حيث ما وصف الله جل وعز لنا، ورسوله صلى الله عليه وسلم[1].

4. قالوا حديث يكذبه العيان :

قالوا : رويتم عن أبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال، وذكر سنة مائة إنه لا يبق على ظهرها يومئذ، نفس منفوسة[2] قالوا : وهذا باطل، بين للعيان، ونحن طاعنون في سني ثلاثمائة، والناس أكثر مما كانوا.

قال أبو محمد : ونحن نقول : إن هذا حديث قد أسقط الرواة منه حرفا، إما لأنهم نسوه، أو لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخفاه، فلم يسمعوه ونراه بل لا نشك أنه قال : «لا يبقى على الأرض منكم يومئذ نفس منفوسة»، يعني ممن حضره في ذلك المجلس، أو يعني الصحابة، فأسقط الراوي (منكم).

وهذا مثل قول ابن مسعود في ليلة الجن «ما شهدها أحد منا غيري»، فأسقط الراوي (غيري).

ونحو من هذا الحديث، مما وقع فيه الغلط، حديث حدثنيه محمد بن خالد بن خداش قال : أنا أبي، عن حماد بن زيد، عن أيوب، عن الحسن، عن صخر بن قدامة العقيلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يولد بعد سنة مئة مولود، لله فيه حاجة»، قال أيوب : فلقيت صخر بن قدامة، فسألته عن الحديث فقال لا أعرفه، قال أبو محمد : وهذا هو ذاك الحديث وقع فيه الغلط، واختلفت فيه الروايات[3].

---

(1) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ص 186.

(2) روى مسلم في صحيحه قال حدثني يحيى بن حبيب ومحمد بن عبد الأعلى كلاهما عن المعتمر قال ابن حبيب حدثنا معتمر بن سليمان قال سمعت أبي حدثنا أبو نضرة عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى اللهم عليه وسلم أنه قال ذلك قبل موته بشهر أو نحو ذلك ما من نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ.

(3) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ص 67.

5. قالوا حديث يدفعه النظر، وحجة النظر:

قالوا: رويتم عن عبد العزيز بن المختار الأنصاري عن عبد الله الداناج[1]: قال: شهدت أبا سلمة بن عبد الرحمن، في مسجد البصرة، وجاء الحسن فجلس إليه، فحدث عن أبي هريرة عن النبيﷺ أنه قال: «إن الشمس والقمر ثوران مُكوّران في النار يوم القيامة»[2].

فقال الحسن: وما ذنبهما؟ قال: إني أحدثك عن رسول اللهﷺ، فسكت، قالوا: قد صدق الحسن «ما ذنبهما؟»، وهذا من قول الحسن رد عليه، أو على أبي هريرة.

قال أبو محمد: ونحن نقول: إن الشمس والقمر لم يعذبا بالنار حين أدخلاها، فيقال ما ذنبهما ولكنهما خلقا منها، ثم رُدّا إليها.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشمس - حين غربت - في نار الله الحامية: «لولا ما يزعها من أمر الله تعالى، لأهلكت ما على الأرض»[3].

وقال: «ما ترتفع في السماء قصمة، إلا فتح لها باب من أبواب النار، فإذا قامت الظهيرة، فتحت الأبواب كلها»[4].

وهذا يدلك على أن شدة فيحها من فوح جهنم، ولذلك قال: «أبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فوح جهنم»[5].

فما كان من النار، ثم رد إلى النار لم يقل: إنه يعذب.

وما كان من المسخر المقصور على فعل واحد، كالنار، والفلك المسخر الدوار، والبحر المسجور، وأشباه ذلك، لا يقع به تعذيب، ولا يكون له ثواب.

وما مثل هذا، إلا مثل رجل سمع بقول الله تعالى: ﴿ **فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة** ﴾[6]، فقال: «ما ذنب الحجارة؟»[7].

---

(1) كلمة فارسية معربة عن "دانا عرب" بزيادة الجيم، كنظائره من صغار التابعين، واسم أبيه: "فيروز البصري".

(2) في رواية البخاري في كتاب بدء الخلق الشمس والقمر مكوران يوم القيامة.

(3) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(4) روى البخاري في صحيحه قال حدثنا علي بن عبد الله المديني قال حدثنا سفيان قال حفظناه من الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى اللهم عليه وسلم قال: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم واشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير».

(5) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة.

(6) البقرة، 24.

(7) تأويل مختلف الحديث، ص 68.

6. قالوا حديثان متناقضان :

قالوا : رويتم عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لا عدوى، ولا طيرة»[1].

وأنه قيل له : إن النُّقْبَةَ تقع بمشفر البعير، فتجرب لذلك الإبل، فقال : «فما أعدى الأول»[2] ؟ قال : هذا أو معناه. ثم رويتم في خلاف ذلك : «لا يوردن ممرض على مصح»[3]، و«فُرّ من المجذوم، فرارك من الأسد»[4]. وأتاه رجل مجذوم ليبايعه بيعة الإسلام، فأرسل إليه بالبيعة، وأمره بالانصراف، ولم يأذن له عليه. وقال : «إنما الشؤم في الفرس والمرأة والدار»[5].

قالوا : وهذا كله مختلف، لا يشبه بعضه بعضا.

قال أبو محمد : ونحن نقول : إنه ليس في هذا اختلاف، ولكل معنى منها، وقت وموضع، فإذا وضع موضعه، زال الاختلاف.

والعدوى جنسان : أحدهما : عدوى الجذام، فإن المجذوم، تشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسته ومؤاكلته. وكذلك المرأة تكون تحت المجذوم، فتضاجعه في شعار واحد، فيوصل إليها الأذى، وربما جُذِمت. وكذلك ولده ينزعون في الكثير إليه. وكذلك من كان به سلٌّ ودق ونقب.

والأطباء تأمر بأن لا يجالس المسلول ولا المجذوم، لا يريدون بذلك معنى العدوى، وإنما يريدون به تغير الرائحة، وأنها قد تسقم من أطال اشتمامها. والإطباء أبعد الناس من الإيمان بيُمْنٍ أو شؤمٍ.

وكذلك النُّقبة تكون بالبعير، وهي جرب رطب، فإذا خالطها الإبل، وحاكها، وآوى في مباركها، أوصل إليها، بالماء الذي يسيل منه، والنَّطَف نحوا مما به.

وهذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يوردن ممرض على مُصِحٍّ».

كره أن يخالط المعيوه الصحيحَ، فيناله من نُطفه وحِكَّتِه، نحو مما به.

---

(1) رواه البخاري في كتاب الطب.

(2) رواه أحمد في مسند المكثرين.

(3) رواه البخاري في كتاب الطب.

(4) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(5) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير.

وقد ذهب قوم إلى أنه أراد بذلك أن لا يظن أن الذي نال إبله من ذوات العاهة، فيأثم.

قال : وليس لهذا عندي وجه، لأنا نجد الذي أخبرتك به عيانا.

وأما الجنس الآخر من العدوى : فهو الطاعون، ينزل ببلد، فيخرج منه، خوفا من العدوى.

قال أبو محمد : حدثني سهل بن محمد قال : نا الأصمعي، عن بعض البصريين أنه هرب من الطاعون، فركب حمارا، ومضى بأهله نحو سفوان فسمع حاديا يحدو خلفه، وهو يقول :

لن يُسبَقَ الله على حمار ولا على ذي مَيْعَةٍ مُطارِ

أو يأتي الحتف على مقدار قد يُصبح الله أمامَ الساري

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا كان بالبلد الذي أنتم به، فلا تخرجوا منه» وقال أيضا : «إذا كان ببلد، فلا تدخلوه» يريد بقوله : لا تخرجوا من البلد إذا كان فيه، كأنكم تظنون أن الفرار من قدر الله تعالى ينجيكم من الله[1].

ويريد بقوله : «وإذا كان ببلد فلا تدخلوه» أن مقامكم بالموضع الذي لا طاعون فيه، أسكن لأنفسكم، وأطيب لعيشكم. ومن ذلك تعرف المرأة بالشؤم، أو الدار، فينال الرجل مكروه، أو جائحة، فيقول : «أعدتني بشؤمها»، فهذا هو العدوى، الذي قال فيه رسول الله ﷺ : «لا عدوى».

وأما الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : «الشؤم في المرأة والدار والدابة[2]، فإن هذا الحديث يتوهم فيه الغلط على أبي هريرة، وأنه سمع فيه شيئا من رسول الله ﷺ فلم يعه.

قال أبو محمد : حدثني محمد بن يحيى القطعي قال : حدثنا عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي حسان الأعرج، أن رجلين دخلا على عائشة رضي الله عنها، فقالا : إن أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار» ؛

---

(1) روى البخاري في كتاب الطب من صحيحه قال : حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة قال أخبرني حبيب بن أبي ثابت قال سمعت إبراهيم بن سعد قال سمعت أسامة بن زيد يحدث سعدا عن النبي صلى اللهم عليه وسلم أنه قال : «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فقلت أنت سمعته يحدث سعدا ولا ينكره قال نعم».

(2) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير وفيه : «إنما الشؤم في ثلاثة في الفرس والمرأة والدار».

فطارت شفقا، ثم قالت : «كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدّث بهذا عن رسول اللهﷺ»، إنما قال رسول اللهﷺ : «كان أهل الجاهلية يقولون : إن الطيرة في الدابة والمرأة والدار»، ثم قرأت : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها** ﴾[1].

وحدثني أحمد بن الخليل قال : نا موسى بن مسعود النهدي، عن عكرمة ابن عمار، عن إسحاق، عن ابن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك قال : جاء رجل منا إلى النبيﷺ، فقال : يا رسول الله، إنا نزلنا دارا، فكثر فيها عددنا، وكثرت فيها أموالنا، ثم تحولنا عنها إلى أخرى، فقَلَّت فيها أموالنا، وقلّ فيها عددنا، فقال رسول اللهﷺ : ذروها ذميمة[2].

قال أبو محمد : وليس هذا بنقض للحديث الأول، ولا الحديث الأول بنقض لهذا. وإنما أمرهم بالتحول منها لأنهم كانوا مقيمين فيها على استثقال لظلها، واستيحاش بما نالهم فيها، فأمرهم بالتحول[3].

7. قالوا حديث يكذبه النظر والخبر :

قالوا : رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن الشمس تطلع من بين قرنيْ شيطان، فلا تصلوا لطلوعها[4] قالوا : فجعلتم للشيطان قرونا تبلغ السماء، وجعلتم الشمس التي هي مثل الأرض مرات، تجري بين قرنيه.

وأنتم مع هذا تزعمون أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فهو في هذه الحال، ألطف من كل شيء، وهو في تلك الحال أعظم من كل شيء.

وجعلتم علة ترك الصلاة في وقت طلوع الشمس، طلوعها من بين قرنيه، وما على المصلي لله تعالى إذا جرت الشمس بين قرني الشيطان ؟

وما في هذا مما يمنع من الصلاة لله تعالى ؟

قال أبو محمد : ونحن نقول : إن إنكارهم لهذا الحديث، إن كان من أجل أنهم لا يؤمنون بخلق الشياطين والجن، وبأن الله تعالى جعل في تركيبها أن تتحول من حال

---

(1) الحديد، 22.

(2) رواه مالك في الموطأ كتاب الجامع.

(3) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ص69.

(4) وراه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

إلى حال، فتتمثل مرة في صورة شيخ، ومرة في صورة شاب، ومرة في مثال نار، ومرة في مثال كلب، ومرة في مثال جان، ومرة تصل إلى السماء، ومرة تصل إلى القلب، ومرة تجري مجرى الدم. فهؤلاء مكذبون بالقرآن، وبما تواطأت عليه الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأنبياء المتقدمين، وكتب الله تعالى المتقدمة، والأمم الخالية، لأن الله تعالى قد أخبرنا في كتابه أن الشياطين يقعدون من السماء، مقاعد للسمع، وأنهم يرمون بالنجوم.

وأخبرنا الله تعالى عن الشيطان أنه قال ﴿ **ولأضلنهم ولأمنيهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله** ﴾[1]، وهو لا يظهر لنا.

فكيف يأمرنا بهذه الأشياء، لولا أنه يصل إلى القلوب، بالسلطان الذي جعله الله تعالى له، فيوسوس بذلك، ويُزيّن ويمنّي، كما قال الله جل وعز ؟

وكما روي في الحديث : أنه رئي مرة في صورة شيخ نجدي، ومرة في صورة ضفدع، ومرة في صورة جان.

وقد سمى الله تعالى الجن رجالا، كما سمانا رجالا، فقال تعالى : ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن** ﴾[2]. وقال في الحور العين : ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾[3]، فدل ذلك على أن الجن تطمث الإنس والطمث : الوطأ بالتدمية.

قال أبو محمد : ونحن لم نرد في هذا الكتاب أن نرد على الزنادقة ولا المكذبين بآيات الله عز وجل ورسله. وإنما كان غرضنا، الرد على من ادّعى على الحديث التناقض والاختلاف واستحالة المعنى من المنتسبين إلى المسلمين.

وإن كان إنكاره لهذا الحديث، لأنه لا يقوم في وهمه، ولأنه لا معنى لترك الصلاة، من أجل أن الشمس تطلع بين قرني شيطان، فنحن نريه المعنى، حتى يتصور في وهمه له، بإذن الله تعالى، ويحسن عنده، ولا يمتنع على نظره. وإنما أمرنا بترك الصلاة مع طلوع الشمس، لأنه الوقت الذي كانت فيه عبدة الشمس، يسجدون فيه للشمس.

وقد درج كثير من الأمم السالفة، على عبادة الشمس والسجود لها، فمن ذلك ما قصّ الله تبارك وتعالى علينا في نبإ ملكة سبأ : أن الهدهد قال لسليمان عليه

---

(1) النساء، 119.

(2) الجن، 6.

(3) الرحمن، 56.

السلام : ﴿ **إني وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيّن لهم الشيطان أعمالهم** ﴾[1].

وكان في العرب قوم يعبدون الشمس، ويعظمونها، ويسمونها الإلهة، قال الأعشى :

فلم أذكرِ الرُّهُبَ حتى انْفَتَلْتُ   قبيل الإلاهة منها قريبا

يعني الشمس.

وكان بعض القراء يقرأ : ﴿ **أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلِهَتَكَ** ﴾[2]، يريد : ويذرك والشمس التي تعبد. فكره لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي في الوقت الذي يسجد فيه عبدة الشمس للشمس.

وأعلمنا أن الشياطين حينئذ ـ أو أن إبليس في ذلك الوقت ـ في جهة مطلع الشمس، فهم يسجدون له بسجودهم للشمس، ويؤمونه.

ولم يرد بالقرن ما تصوروا في أنفسهم، من قرون البقر، وقرون الشاء، وإنما القرن، ههنا، حرف الرأس، وللرأس قرنان، أي حرفان وجانبان. ولا أرى القرن الذي يطلع في ذلك الموضع، سُمّي قرنا إلا باسم موضعه، كما تسمى العرب الشيء باسم ما كان له موضعا أو سببا.

فيقولون «رفع عقيرته» يريدون : صوته، لأن رجلا قطعت رجله، فرفعها، واستغاث من أجلها، فقيل لمن رفع صوته «رفع عقيرته».

ومثل هذا كثير في كلام العرب. وكذلك قوله في المشرق، من ههنا، يطلع قرن الشيطان. لا يريد به ما يسبق إلى وهم السامع من قرون البقر، وإنما يريد من ههنا يطلع رأس الشيطان.

وكان وهب بن منبه يقول : في ذي القرنين : إنه رجل من أهل الإسكندرية، واسمه الإسكندروس، وأنه كان حلم حلما، رأى فيه أنه دنا من الشمس، حتى أخذ بقرنيها، في شرقها وغربها. فقص رؤياه على قومه، فسموه ذي القرنين. وأراد بأخذه بقرنيها، أنه أخذ بجانبيها.

---

(1) النمل، 24.

(2) الأعراف، 127.

والقرون أيضاً خِصل الشعر، كل خصلة قرن، ولذلك قيل للروم "ذات القرون". يراد أنهم يطولون الشعور.

فأراد صلى الله عليه وسلم أن يعلمنا أن الشيطان، في وقت طلوع الشمس، وعند سجود عبدتها لها، مائل مع الشمس، فالشمس تجري من قبل رأسه، فأمرنا أن لا نصلي في هذا الوقت الذي يكفر فيه هؤلاء، ويصلون للشمس وللشيطان. وهذا أمر مُغيّب عنا، لا نعلم منه، إلا ما عُلِّمْنا. والذي أخبرتك به شيء يحتمله التأويل، ويباعده عن الشناعة، والله أعلم[1].

(1) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ص 84.

3. أبو جعفر الطحاوي : غريب الحديث ومشكل الآثار (229-321هـ)

حياته

أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري الطحاوي[1] الحنفي نسبة إلى (طحا) في قرى مصر، ولد سنة تسع وعشرين ومائتين. تفقه على مذهب الإمام الشافعي ثم انتقل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة.

وقد ذكر ابن خلكان في الوفيات : أن سبب انتقاله إلى مذهب أبي حنيفة ورجوعه عن مذهب الشافعي لأن خاله المزني قال له يوماً : والله لا يجيء منك شيء. فغضب وتركه واشتغل على أبي جعفر بن أبي عمران الحنفي، حتى برع وفاق أهل زمانه، وانتهت إليه رئاسة الحنفية في مصر.

شيوخه

تخرج ـ رحمه الله ـ على كثير من الشيوخ، وأفاد منهم، وقد أربى عددهم على ثلاثمائة شيخ، فقد سمع من هارون بن سعيد الأيلي، وعبد الغني بن رفاعة، ويونس ابن عبد الأعلى، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وبحر بن نصر الخولاني، وخاله أبي إبراهيم المزني، فقد روى عنه مسند الشافعي، وسليمان ابن شعيب الكيساني، ووالده محمد بن سلامة، وإبراهيم بن منقذ، والربيع بن سليمان، وبكار بن قتيبة ومقدام بن داوود الرعيني وأحمد بن عبد الله بن البرقي، ومحمد بن عقيل الفريابي، ويزيد بن سنان البصري وغيرهم.

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 3، ص 808.

تلامذته

وروى عنه خلق منهم : أحمد بن القاسم الخشاب، وأبو الحسن محمد ابن أحمد الأخميمي، ويوسف الميانجي، وأبو بكر بن المقرئ وأبو القاسم الطبراني، وأحمد بن عبد الواري الزجاج، وعبد العزيز بن محمد الجوهري، ومحمد بن بكر بن مطروح، ومحمد بن الحسن ابن عمر التنوخي، ومحمد بن المظفر الحافظ وغيرهم، وارتحل إلى الشام في سنة ثمان وستين ومائتين، فلقي القاضي أباخازم وتفقه عليه.

عقيدته ومنهجه

الإمام الطحاوي من أئمة السلف الصالح، والعاملين على هدي من الله وبصيرة، الذين لا يألون جهداً في نشر مذهب السلف في العقيدة المستمدة من الكتاب والسنة، وخير شاهد على ذلك كتاب العظيم ـ والذي تلقاه العلماء سلفا وخلفا بالقبول ـ (العقيدة الطحاوية) فإن الدارس لهذا الكتاب يتبين له من خلال دراسته أن مؤلفه ـ رحمه الله ـ قد التزم بمنهج أهل السنة والجماعة، في مفهوم الاعتقاد، وخاصة فيما يتعلق بالأسماء والصفات والتي جنحت فيها كثير من فرق، من مشبهة، ومعطلة، ومؤولة.

أما منهجه في المذهب وترجيحه للأقوال فإنه يعتبر قدوة ومدرسة في ذلك، فلم يمنعه التزامه بمذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ النظر في الأدلة والأقوال المخالفة لمذهبه وترجيح بعضها على بعض بحسب ما يراه راجحا، وما يتبين له من الحق، وهذا من أمثل المناهج في التفقه والنظر، وذلك لمن حصلت له الأهلية في ذلك.

ومما يؤكد ذلك ما قاله ابن زولاق : «سمعت أبا الحسن علي بن أبي جعفر الطحاوي يقول : سمعت أبي يقول : وذكر فضل أبي عبيد بن جرثومة، فقال : كان يذاكرني في المسائل فأجبته يوما في مسألة فقال لي : ما هذا قول أبي حنيفة ! فقلت له : أيها القاضي أو كل ما قاله أبو حنيفة أتقول به ؟ فقال : ماظننتك إلا مقلداً وهل يقلد إلا عصبي فقال لي : أو غبي، قال : فطارت هذه بمصر حتى صارت مثلاً وحفظها الناس».

ثناء العلماء عليه

لقد أثنى على الإمام الطحاوي غير واحد من أهل العلم، الفقه، والحديث، وعلماء الجرح والتعديل.

وقال ابن يونس : وكان ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلاً، لم يخلق مثله.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء : الإمام العلامة، الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها.

وقال ابن كثير في البداية النهاية : الحنفي، صاحب التصانيف المفيدة، والفوائد الغزيرة، وهو أحد الثقات الأثبات، والحفاظ الجهابذة.

وقال ابن الجوزي في المنتظم : كان الطحاوي ثبتاً، فقيهاً عاقلاً.

وقال الصلاح الصفدي في الوافي : كان ثقة نبيلاً، ثبتاً، فقيهاً، عاقلاً لم يخلف بعده مثله.

وقال السيوطي في طبقات الحفاظ : الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة.

مصنفاته

أما تصانيفه فقد كانت غاية في التحقيق، وحوت من الفوائد وحسن العرض والتصنيف ما جعلها جديرة بالاهتمام : وقال عنها السبكي : «جمهور المذاهب الأربعة على الحق يقرؤون عقيدة الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفاً وخلفاً بالقبول». وله كذلك اختلاف العلماء وبيان السنة والجماعة في العقيدة وحكم أراضي مكة المكرمة وشرح الجامع الصغير والكبير للشيباني في الفروع وعقود المرجان في مناقب أبي حنيفة النعمان، وكتاب الفرائض، وقسمة الفيء، والغنائم، وكتاب التاريخ، وكتاب التسوية بين حدثنا وأخبرنا، والشروط الصغير، والشروط الكبير، والمحاضرات، والسجلات، والمختصر في الفروع، ومشكل الآثار، وشرح معاني الآثار.

كتابه في تهذيب الآثار

قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي رحمه الله : «سألني بعض أصحابنا من أهل العلم أن أصنع له كتاباً أذكر فيه الآثار المأثورة عن رسول اللهﷺ في الأحكام التي يتوهم أهل الإلحاد والضعف من أهل الإسلام أن بعضها ينقض بعضاً لقلة علمهم بناسخها من منسوخها وما يجب به العمل منها لما يشهد له من الكتاب الناطق والسنة المجمع عليها، وأجعل لذلك أبواباً أذكر في كل كتاب منها ما فيه من الناسخ والمنسوخ، وتأويل العلماء واحتجاج بعضهم على بعض، وإقامة الحجة لمن صح عندي قوله منهم بما يصح به مثله من كتاب أو سنة أو إجماع أو تواتر من أقاويل الصحابة أو تابعيهم، وأني نظرت في ذلك وبحثت عنه بحثاً شديداً فاستخرجت

منه أبواباً على النحو الذي سألت وجعلت ذلك كتباً ذكرت في كل كتاب منها جنساً من تلك الأجناس[1].

نماذج من نصوص الكتاب

(بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله كل ابن آدم يأكله التراب غير عجب الذنب)

أورد أبو جعفر الطحاوي هذا الحديث من سبعة طرق كلها عن أبي هريرة، ومن أشهرها رواية ابن وهب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يرفعه، ومتنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب»[2].

(فقال قائل) العيان يدفع ما في هذا الحديث لأنا نجد الميت يكشف لحده ولا يوجد فيه شيء لأنه قد فني يأكل التراب إياه، ووجدناه يحرق فتأتي عليه النار حتى لا يبقى منه شيء.

(فكان جوابنا له) في ذلك أن ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو كما روي عنه، لا يجوز غيره، إذ كان يعتبره عنه من أهل الضبط له، المؤتمنون عليه، وأن من جهل ذلك فدفعه بجهله إياه يكون جاهلاً بلطيف قدرة الله سبحانه، لأنه لما كان من لطيف قدرته أنه يعيد العظام المركبة في الأحياء رفاتا، ثم يعيدها كما كانت قبل ذلك كما قال عز وجل : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾[3].

وقال جل وعلا : ﴿ **وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾[4]، وإذا كان ذلك كما ذكرناه في لطيف قدرته، كان غير مستنكر فيها أن يبقي أعجاب الأذناب من بني آدم لا تأكلها التراب، كما وقي عبده ونبيه وخليله إبراهيم صلوات الله عليه من أن تأكله النار التي

---

(1) من مقدمة الكتاب، وهو مطبوع بمطبعة مجلس دائرة المعارف الإسلامية النظامية بحيدر أباد الدكن سنة 1333هـ، وطبع بمؤسسة قرطبة السلفية بالقاهرة سنة 1400هـ.

(2) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة وغيرهما بروايات مختلفة.

(3) الروم، 27.

(4) يس، 78.

كانت تأكل ما لقيت من الأشياء، لإلهامه إياها فيحفظ ذلك منهم حتى يظهره في الوقت الذي يشاء إظهاره فيه، وإن غاب ذلك عن أعيننا فإنه غير غائب عنه، كما حكى لنا عن عبده لقمان من قوله لإبنه : ﴿ **يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرضي يأت بها الله إن الله لطيف خبير** ﴾[1].

وهذا اللطف غير مستنكر في أعجاب أذناب بني آدم وما قد وري في هذا الحديث غير مستحيل فيه[2].

(باب مشكل ما روي عن أبي طلحة من أكله البرد وهو صائم، ورفع بعضهم ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تحسينه ذلك منه)

روى الطحاوي بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مطرت السماء بردا، فقال لنا أبو طلحة ناولوني من هذا البرد، فجعل يأكل وهو صائم وذلك في رمضان؛ فقلت : آتأكل البرد وأنت صائم ؟ فقال : إنما هو برد نزل من السماء تطهر به بطوننا، وأنه ليس بطعام ولا بشراب، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته بذلك، فقال خذها عن عمك.

(فقال قائل) كيف جاز لكم أن تنقلوا هذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن يخالفه لأن الله تعالى قال : ﴿ **فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل** ﴾[3].

(ففي) ذلك ما قد دل على أن الصيام لا أكل فيه ولا شراب، وفي هذا الحديث أن أبا طلحة كان يأكل البرد وهو صائم في رمضان، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر أنسا أن يأخذها عن عمه، يعني أبا طلحة.

(فكان) جوابنا له في ذلك بتوفيق الله عز وجل وعونه أنا ما قبلنا هذا الحديث إذ كان الذي رفعه إلى النبيﷺ علي بن زيد وليس من أهل التثبت وقد رواه عن أنس من هو أثبت منه، فلم يرفعه إلى النبيﷺ وهو قتادة بن دعامة السدوسي وثابت بن أسلم البناني وكل واحد منهما حجة على علي بن زيد في خلافه إياه، فكيف بهما جميعاً في

(1) لقمان، 16.

(2) تحفة الأخبار بشرح مشكل الآثار لأبي جعفر الطحاوي، الحديث رقم 6789، تحقيق وترتيب أبي الحسين خالد محمود الرباط، منشورات دار بلنسية، الرياض، ط 1، 1999.

(3) البقرة، 187.

خلافهما إياه، والذي روى عنهما في ذلك مما رويا هذا الحديث عليه ما قد حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، ثنا نعيم بن حماد، ثنا نوح بن قيس عن أخيه عن قتادة عن أنس أن أبا طلحة كان يأكل البرد وهو صائم في رمضان، ويقول ليس هو بطعام ولا شراب.

(حدثنا) محمد بن خزيمة، ثنا حجاج بن المنهال، ثنا حماد يعني ابن سلمة عن ثابت عن أنس قال : كان أبو طلحة يأكل البرد وهو صائم، فإذا سئل عن ذلك قال : بركة في التطوع، قال : فاتفقا بما ذكرنا أن لا يكون هذا الحديث مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، وقد يجوز أن يكون أبو طلحة كان يفعل ذلك قبل نزول هذه الآية على رسول الله ﷺ، فلما نزلت صار إلى ما فيها وترك ما كان عليه مما يخالفه[1].

(بيان مشكل ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله من بدل دينه فاقتلوه)

(وحدثنا) علي بن شيبة قال : ثنا يزيد بن هارون قال : ثنا سعيد بن أبي عروبة وسفيان عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «من بدّل دينه فاقتلوه».

(قال أبو جعفر) فذهب ذاهبون إلى أن من ارتد عن الإسلام وجب قتله، رجع إلى الإسلام أو لم يرجع، وجعلوا ارتداده موجباً عليه القتل حدا لما كان منه. وقالوا كما كان الزاني لا يرفع عنه توبته حد الزنا، وكما كان السارق لا يرفع عنه توبته حد السرقة كان مثل ذلك المرتد لا يرفع عنه توبته حده، وهو القتل.

(فكان من حجتنا) عليهم في ذلك لمخالفتهم فيه أنا وجدنا الله عز وجل أمر بإقامة حد الزنا على الزاني، وبإقامة حد السرقة على السارق فقال : ﴿ **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** ﴾[2]، وقال : ﴿ **السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما** ﴾[3].

وكان اسم الزنا غير مفارق الزاني وإن ترك الزنا، وكذلك اسم السارق لازم وإن تاب عن السرقة وتركها. ووجدنا المرتد قد صار بردته كافراً، وكان إذا زال عن الردة

---

(1) تحفة الأخبار بشرح مشكل الآثار لأبي جعفر الطحاوي، الحديث رقم 1374، تحقيق وترتيب أبي الحسين خالد محمود الرباط، منشورات دار بلنسية، الرياض، ط 1، 1999.

(2) النور، 2.

(3) المائدة، 38.

إلى الإسلام لا يجوز أن يقال له كافر لأنه إنما كان يجوز أن يسمى بالكفر لما كان كافرا، فإذا خرج عن الكفر وصار مسلما لم يجز أن يسمى كافرا لأنه يجوز مع ذلك أن يسمى مسلما. وقد قال الله عز وجل : ﴿ **إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا** ﴾[1] فأثبت منهم الإيمان بعد كفرهم الذي كان منهم ارتداد عن الإيمان.

(قال أبو جعفر) فقال أهل المقالة الأولى فقد وجدنا في كتاب الله عز وجل ما يدل على ما ذكرنا، وهو قوله تعالى : ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة** ﴾[2]، ولم يذكر أن رجوعه عن شركه يخرجه عن ذلك حتى يعود إلى أن يكون من أهل الجنة.

(فكان جوابنا له) في ذلك أنه قد يجوز أن يكون أراد بذلك الشرك الذي يكون من أهله حتى يموت على ذلك كما قال عز وجل في الآية الأخرى : ﴿ **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة** ﴾[3] فبين عز وجل في هذه الآية أنه أراد بالوعيد الذي فيها من يموت على ردته لا من يرجع عنها إلى الإسلام الذي كان من أهله قبل ذلك فمثل ذلك قوله عز وجل : ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرّم عليه الجنة** ﴾[4]، هو الشرك الذي يموت عليه، لا الشرك الذي يخرج عنه ويرجع منه إلى الإسلام حتى يموت عليه وبالله التوفيق[5].

(بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : يدور أو يزول رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو لست وثلاثين أو لسبع وثلاثين وما ذكر في الحديث الذي روي عنه فيه)

(حدثنا) فهد بن سليمان، ثنا أبو نعيم، أنبأ شريك بن عبد الله، عن منصور عن ربعي بن حراش عن البراء بن مالك قال : قال عبد الله قال : لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن رحى الإسلام سيزول بعد خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين سنة، فإن يهلكوا فسبيل من هلك وإن بقوا يقوم لهم دينهم سبعين عاماً»، قال عمر : يا نبي الله مما مضى أو مما بقي ؟ قال : لا، بل مما بقي.

---

(1) آل عمران، 90.

(2) المائدة، 72.

(3) آل عمران، 217.

(4) المائدة، 72.

(5) تحفة الأخبار بشرح مشكل الآثار لأبي جعفر الطحاوي، الحديث رقم 98، تحقيق وترتيب أبي الحسين خالد محمود الرباط، منشورات دار بلنسية، الرياض، ط 1، 1999.

(حدثنا) يزيد بن سنان، ثنا يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب، حدثني سليمان بن بلال عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «يدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن هلكوا فسبيل من هلك وإن بقوا بقي لهم دينهم[1] سبعين سنة».

(حدثنا) أبو أمية، ثنا قبيصة بن عقبة، ثنا سفيان عن منصور عن ربعي عن البراء بن ناجية المحاربي عن عبد الله قال : «قال رسول اللهﷺ يدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك وإن بقوا بقي لهم دينهم سبعين عاما، قال عمر : يا رسول الله مما مضى أو مما بقي ؟ قال : لا، بل مما بقي».

(حدثنا) فهد ثنا أبو نعيم، ثنا شريك عن مجالد عن عامر عن مسروق عن عبد الله قال : قال رسول اللهﷺ إن رحى الإسلام ستزول بعد خمس وثلاثين، فإن اصطلحوا فيما بينهم على غير قتال يأكلوا الدنيا سبعين عاما رغدا، وإن يقتتلوا يركبوا سنن من كان قبلهم.

(حدثنا) علي بن شيبة، ثنا عبيد الله بن موسى البستي، ثنا شيبان عن منصور عن ربعي عن البراء بن ناجية الكاهلي عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم ذكر مثله حديث أبي أمية عن قبيصة الذي ذكرناه في هذا الباب غير أنه قال : إن رحى الإسلام تدور[2].

(قال أبو جعفر) فتأملنا هذه الآثار لنقف على المراد بها إن شاء الله تعالى فكان قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «يدور رحى الإسلام»، يريد به الأمور التي عليها يدور الإسلام وشبه ذلك بالرحى فسماه باسمها فكان قوله صلى الله عليه وآله وسلم بعد خمس وثلاثين أو سبع وثلاثين ليس على الشك ولكن يكون ذلك فيما يشاء الله عز وجل من تلك السنين، فشاء عز وجل أن كان ذلك في سنة خمس وثلاثين، فتهيأ فيها على المسلمين حصر إمامهم[3] وقبض يده عما يتولاه عليهم مع جلالة مقداره، لأنه من الخلفاء الراشدين المهديين حتى كان ذلك سببا لسفك دمه رضوان الله عليه، وحتى كان ذلك سببا لوقوع اختلاف الآراء، فكان ذلك مما لو هلكوا عليه لكان سبيل من هلك لعظمه، ولما حل بالإسلام منه، ولكن الله ستر وتلافى وخلف نبيه في أمته من يحفظ

---

(1) وفي المعتصر في هذه الرواية : «فإن بقوا يبقى لهم دينهم»، الخ 12 الحسن النعماني.

(2) رواه أبو داود في كتاب الفتن والملاحم.

(3) يعني الخليفة الثالث أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه 12 الحسن.

دينهم عليهم ويبقى ذلك لهم، ثم تأملنا ما بقي من هذه الآثار فوجدنا في حديث مسروق منها عن عبد الله فإن يصطلحوا فيما بينهم على غير قتال يأكلوا الدنيا سبعين عاماً رغداً.

(ووجدنا) مكان ذلك في حديثي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود والبراء بن ناجية : فإن بقوا يبقى لهم دينهم سبعين عاماً. وكان ذلك قد جاء مختلفاً في حديث مسروق وحديث صاحبيه، وكان في حديث مسروق أولاهما وأشبهما بما جرت عليه أمور الناس مما في حديثي الآخرين، لأن الذي في حديث مسروق فإن يصطلحوا بينهم على غير قتال يأكلوا الدنيا سبعين عاما رغدا، ولم يصطلحوا على غير قتال فتكون المدة التي يأكلون الدنيا فيها كذلك سبعين عاما ثم ينقطع، فلا يأكلونها بعدها ولكن جرت أمورهم على غير ذلك مما لا ينقطع معه القتال.

(فكان) ذلك رحمة من الله لهم وسترا منه عليهم، فجرى على ذلك أن يأكلوا الدنيا بلا توقيت عليهم فيه، فكان ما في حديثي عبد الرحمن بن عبد الله والبراء بن ناجية يوجب خلاف ذلك، يوجب انقطاع أكلهم الدنيا بعد سبعين عاما وقد وجدناهم بحمد الله ونعمته أكلوها بعد ذلك سبعين عاما وسبعين عاما وزيادة على ذلك، ودينهم قائم على حاله.

(فعقلنا) بذلك أن أصل الحديث في ذلك كما رواه مسروق، لا كما رواه صاحباه لأنه لا خلاف لما يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

باب ما يحرم من النبيذ

حدثنا يزيد بن سنان وربيع الجيزي قالا : ثنا عبد الله بن مسلمة قال : ثنا عبد الله بن عمر عن عبد الرحمن بن زياد عن مسلمة بن يسار عن سفيان بن وهب الخولاني عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كل مسكر حرام»[2].

وذكر بسنده إلى ابن عمر وعائشة وقيس بن سعد وأبي هريرة وأبي موسى مثله.

وذكر عن عامر بن سعد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره»[3].

---

(1) تحفة الأخبار بشرح مشكل الآثار لأبي جعفر الطحاوي، الحديث رقم 6690 و6694، تحقيق وترتيب أبي الحسين خالد محمود الرباط، منشورات دار بلنسية، الرياض، ط 1، 1999.

(2) رواه مسلم في كتاب الأشربة.

(3) رواه النسائي في كتاب الأشربة.

وعن أم سلمت قالت : «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر»[1].

وعن ابن عباس قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل حرم الخمر والميسر والكوبة، وقال : كل مسكر حرام»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كل مسكر حرام، وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام»[3].

وعنها أيضاً : «كل شراب أسكر فهو حرام»[4].

وعن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم : «نهى عن الخمر والميسر والكوبة، وقال كل مسكر حرام»[5].

وعنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ما أسكر كثيره فقليله حرام»[6].

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «ما أسكر كثيره فقليله حرام»[7].

وعن النعمان بن بشير يخطب على منبر الكوفة يقول : قال رسول الله ﷺ : «أنهاكم عن كل مسكر»[8].

قال أبو جعفر فذهب قوم إلى أن حرموا قليل النبيذ وكثيره، واحتجوا في ذلك بهذه الآثار. وخالفهم في ذلك آخرون، فأباحوا من ذلك ما لا يسكر وحرّموا الكثير الذي يسكر.

وكان من الحجة لهم في ذلك أن هذه الآثار التي ذكرنا قد رويت عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ولكن تأويلها يحتمل أن يكون كما ذهب إليه من حرّم قليل النبيذ وكثيره، ويحتمل أن يكون على المدار الذي يسكر منه شاربه خاصة.

فلمّا احتملت هذه الآثار كل واحد من هذين التأويلين نظرنا فيما سواهما ليعلم به أي المعنيين أريد بما ذكرنا فيها، فوجدنا عمر بن الخطاب وهو أحد النفر الذين روينا

(1) رواه أبو داود في كتاب الأشربة.
(2) رواه أبو داود في كتاب الأشربة.
(3) رواه الترمذي في كتاب الأشربة.
(4) رواه البخاري في كتاب الأشربة.
(5) رواه أبو داود في كتاب الأشربة.
(6) رواه الترمذي في كتاب الأشربة.
(7) رواه الترمذي في كتاب الأشربة.
(8) رواه أبو داود في كتاب الأشربة.

عنهم عن رسول اللهﷺ أنه : «قال كل مسكر حرام» قد روي عنه في إباحة القليل من النبيذ الشديد ما روي عن همام بن الحارث عن عمر أنه كان في سفر فأتي بنبيذ فشرب منه فقطب، ثم قال : إن نبيذ الطائف له غرام، فذكر شدة لا أحفظها، ثم دعا بماء فصب عليه فشرب. وفي رواية أخرى عن عمرو بن ميمون قال : شهدت عمر حين طعن، فجاءه الطبيب فقال : أي الشراب أحب إليك ؟ قال : النبيذ، فأتى بنبيذ فشرب منه فخرج من إحدى طعنتيه. ومثله أيضا من رواية أخرى عن عمرو بن ميمون مثله وزاده. قال : عمرو، كان يقول إنا نشرب من هذا النبيذ شرابا يقطع لحوم الإبل في بطوننا من أن يؤذينا؛ قال : وشربت من نبيذه، فكان أشد النبيذ. وذكر سنده أن عمر أتي برجل سكران فجلده، فقال : إنما شربت من شرابك، فقال : وإن كان. وفي رواية أخرى أنه جاء رجل قد ظمئ إلى خازن عمر فاستسقاه، فلم يسقه، فأتى بسطحة لعمر فشرب منها، فسكر فأتي به عمر فاعتذر إليه، وقال : إنما شربت من سطحتك، فقال عمر إنما أضربك على السكر فضربه.

وذكر بسنده عن ابن علقمة قال : أمر بنبيذه فصنع في بعض تلك المنازل، فأبطأ عليهم ليلة فأتي بطعام فطعم، ثم أتي بنبيذ قد احلف واشتد، فشرب منه، ثم قال : إن هذا لشديد، ثم أمر بماء فصبت عليه، ثم شرب هو وأصحابه.

وعن ابن عمر كذلك أن عمر انتبذ له في مزادة فيها خمسة عشر أو ستة عشر، أتاه فذاقه فوجده حلوا، فقال : كأنكم أقللتم عكره. وعن عبد الرحمن بن عثمان الليثي أن أباه عبد الرحمن بن عثمان قال : صحبت عمر بن الخطاب إلى مكة فأهدى له ركب من ثقيف سطحين من نبيذ والسطحة فوق الإداوة المزادة قال عبد الرحمن فشرب عمرا أحدهما ولم يشرب الأخرى حتى اشتد ما فيه فذهب عمر فشرب منه فوجده قد اشتد فقال اكسروه بالماء. حدثنا فهد قال : ثنا أبو اليمان قال : ثنا شعيب عن الزهري فذكر بإسناده مثله.

فلما ثبت بما ذكرنا عن عمر إباحة قليل النبيذ الشديد وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «كل مسكر حرام»، كان فعله في هذا دليلا أن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ذلك يكون رآه رأيا فرأيه في ذلك عندنا حجة ولاسيما إذا كان فعله المذكور في الآثار التي رويناها عنه بحضرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم ينكره عليه منهم منكر فدل ذلك على متابعتهم إياه عليه.

وهذا عبد الله بن عمر وهو أحد النفر الذين رووا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : «كل مسكر حرام». وقد روى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : «شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب فأدناه إلى فيه فقطب فرده فقال رجل : يا رسول

الله أحرام هو، فرد الشراب ثم عاد بماء فصبه عليه ذكر مرتين أو ثلاثاً، ثم قال : إذا اغتلمت هذه الأسقية عليكم فاكسروا متونها بالماء»[1].

وعن عبد الملك بن نافع قال : «سألت ابن عمر فقلت : إن أهلنا ينبذون نبيذاً في سقاء لو أنهكته لأخذني، فقال ابن عمر إنما البغي على من أراد البغي، شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الركن، وأتاه رجل بقدح نبيذ ثم ذكر مثل حديث أبي أمية غير أنه قال : فاكسروها بالماء».

ففي هذا إباحة قليل النبيذ الشديد وأولى الأشياء بنا إذ كان قد روى عنه هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم فروى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : «كل مسكر حرام» أن نجعل كل واحد من القولين على معنى غير المعنى الذي عليه القول الآخر فيكون قول : «كل مسكر حرام» على المقدار الذي يسكر منه من النبيذ، ويكون ما في الحديث الآخر على إباحة قليل النبيذ الشديد. وقد روي عن أبي مسعود الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو حديث ابن عمر هذا.

وعن أبي مسعود قال : «عطش النبي صلى الله عليه وسلم حول الكعبة فاستسقى، فأتي بنبيذ من نبيذ السقاية فشمه فقطب فصب عليه ماء زمزم ثم شرب، فقال رجل : أحرام هو ؟ فقال : لا»[2].

وقد روي في ذلك عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثنا علي بن معبد قال : ثنا يونس قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال : بعثني النبي صلى الله عليه وسلم، أنا ومعاذا إلى اليمن، فقلنا : يا رسول الله إن بها شرابين يصنعان من البر والشعير أحدهما يقال له المزر والأخر يقال له البتع، فما نشرب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشربا ولا تسكرا»[3].

فكان ذلك دليلاً أن حكم المقدار الذي يسكر من ذلك الشراب خلاف حكم ما لا يسكر منه. فدل ذلك على أن ما ذكره أبو موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ذكرنا عنه في الفصل الأول من قول : «كل مسكر حرام» إنما هو على المقدار الذي يسكر

(1) رواه النسائي في كتاب الأشربة.

(2) رواه النسائي في كتاب الأشربة.

(3) في رواية الإمام أحمد في مسند الكوفيين قال : حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا قرة حدثنا سيار أبو الحكم عن أبي بردة عن أبيه قال قلت للنبي صلى اللهم عليه وسلم إن لأهل اليمن شرابين أو أشربة هذا البتع من العسل والمزر من الذرة والشعير فما تأمرني فيهما قال أنهاكم عن كل مسكر.

على العين التي كثيرها يسكر. وقد روينا حديث أبي سلمة عن عائشة في جواب النبي صلى الله عليه وسلم للذي سأله عن البتع بقول : «كل شراب أسكر فهو حرام»، فإن جعلنا ذلك على قليل الشراب الذي يسكر كثيره ضاد جواب النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأبي موسى الأشعري، وإن جعلناه على تحريم السكر خاصة لا على تحريم الشراب وافق حديث أبي موسى وأولى الأشياء بنا حمل الآثار على الوجه الذي لا تتضاد عليه. وعن علقمة بن قيس أنه أكل مع عبد الله بن مسعود خبزاً ولحماً، قال : فأتينا بنبيذ شديد نبذه سيرين في جرة خضراء فشربوا منه. وعن علقمة أيضاً : قال له ابن مسعود قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسكر، قال : الشربة له لآخيرة. فهذا عبد الله بن مسعود قد روى عنه في إباحة قليل النبيذ الشديد من فعله وقول ما ذكرنا ومن تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كل مسكر حرام» على ما وصفنا وقد روى عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على هذا أيضاً.

وعن قيس بن حبتر قال : سألت ابن عباس عن الجرّ الأخضر والجرّ الأحمر، فقال إن أول من سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وفد عبد القيس، فقال : «لا تشربوا في الدباء ولا في المزفت ولا في النقير واشربوا في الأسقية، فقالوا : يا رسول الله فإن اشتد في الأسقية ؟ قال : صبوا عليه من الماء، وقال لهم في الثالثة والرابعة فأهرقوه»[1].

ففي هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباح لهم أن يشربوا من نبيذ الأسقية وإن اشتد. فإن قال قائل فإن في أمره إياهم بإهراقة بعد ذلك دليل على نسخ ما تقدم من الإذن. قيل لهم كيف يكون ذلك كذلك ؟ وقد روي عن ابن عباس من كلامه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: حرمت الخمر لعينها والسكر من كل شراب.

وقد ذكرنا ذلك باسناده فيما تقدم من هذا الكتاب وهو الذي روي عنه ما ذكرت فدل ذلك أن التحريم في الأشربة كان على الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من غيرها، وكيف يجوز على ابن عباس، مع علمه وفضله، أن يكون قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوجب تحريم النبيذ الشديد ثم يقول حرمت الخمر لعينها والسكر من كل شراب فيعلم الناس أن قليل الشراب من غير الخمر وإن كان كثيره يسكر، هذا غير جائز عليه عندنا ولكن معنى ما أراد بإهراق النبيذ في حديث قيس إنه لم يامنهم عليه أن يشرعوا شربه فيسكروا والسكر المحرم عليهم فأمرهم لذلك.

---

(1) رواه أبو داود في سننه كتاب الأشربة.

وقد روي في مثل هذا أيضاً عن أبي القموص زيد بن علي عن أحد الوفد الذين وفدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد عبد قيس أو يكون قيس بن النعمان فأني قد نسيت اسمه أنهم سألوه عن الأشربة فقال : لا تشربوا في الدبّاء ولا في النقير واشربوا في الجلد المؤكأ عليها، فإن اشتد منه فاكسروه بالماء فإن أعياكم فأهريقوه»[1].

فإن قال قائل قد رويت في هذا الباب عن عمر بن الخطاب ما ذكرت في حديث عمرو بن ميمون وغيره وقد روي عنه خلاف ذلك، وهو أن عمر بن الخطاب خرج فصلّى على جنازة ثم أقبل على القوم فقال لهم : إني وجدت آنفا من عبد الله بن عمر ريح الشراب، فسألته عنه، فزعم أنه طلاء، وإني سائل عنه فإن كان يسكر جلدته، قال : ثم شهدت عمر بعد ذلك جلد عبد الله ثمانين في ريح الشراب الذي وجد منه. قال : فهذا عمر قد حدّ في الشراب الذي يسكر، فهذا يخالف لمارويتهم عن عمر بن ميمون وغيره عنه. قيل له ما هذا بمخالف لذلك لأن عمر قال في هذا الحديث وأنا سائل عما شرب، فإن كان يسكر جلدته، فقد يحتم أن يكون أراد بذلك المقدار الذي شرب، أي فإن كان المقدار يسكر فقد علمت أنه قد سكر ووجب عليه الحد، فهذا أولى ما حمل عليه تأويل هذا الحديث حتى لا يضاد ما سواه من الأحاديث التي قد رُويت عنه.

وقد روي عن أبي هريرة أيضاً في هذا أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا دخل أحدكم على أخيه المسلم فأطعمه طعاماً فليأكل من طعامه و لا يسأل عنه، فإن سقاه شراباً فليشرب منه ولا يسأل عنه فإن خشي منه فليكسره بماء»[2].

ففي هذا الحديث إباحة شرب النبيذ، فإن قال قائل إنما إباحته بعد كسره بالماء وذهاب شدته، قيل له هذا كلام فاسد لأنه لو كان في حال شدته حراماً لكان لا يحل وإن ذهبت شدته بصب الماء عليه. لا ترى أن خمراً لو صب فيها ماء حتى غلب الماء عليها إن ذلك حرام، فلمّا كان قد أبيح في هذا الحديث لشرب الشديد إذا كسر بالماء ثبت بذلك أنه قبل أن يكسر بالماء غير حرام فثبت بما روينا في هذا الباب إباحة ما لا يسكر من النبيذ الشديد وهو قول أبي حنيفة ويوسف ومحمد رحمهم الله تعالى[3].

---

(1) رواه أبو داود في سننه كتاب الأشربة.

(2) المصدر نفسه.

(3) المصدر نفسه.

الباب الرابع

علم مصطلح الحديث

تمهيد

لقد اتفق جمهور علماء المصطلح، أنّ الحديث الصحيح هو ما رواه عدل ضابط، متصلا ومرفوعا، سالما من الشذوذ ومن علة قادحة.

ونجد في هذا الحد ست قضايا استأثرت بجهود المحدثين طيلة فترة التدوين، نستعرضها جملة في هذا التمهيد.

1. القضية الأولى هي التأكد من عدالة الراوي، واشتقاقها من العدل، مقتبس من الآية الكريمة التي تقول : ﴿ **وأشهدوا ذوي عدل منكم** ﴾[1]، ولكن العلماء فرقوا بين الشهادة القضائية، وما تستلزم من تعدد الشهود في مواضع النزاع، ومن رواية الحديث التي أحكمت ضوابطها بطرق مختلفة، واتفق الطرفان أن العدل هو من يتحلى بصفات دينية تمنعه من تعمد الكذب، غير أن المحدثين أضافوا إليها مستلزمات أخرى منها "الضبط" الذي سنتناوله في قضية منفصلة، ومنها وضع ضوابط عدالة الرواة، مع اختراع سُلَّمين أحدهما لبيان درجات العدالة والثاني للموصوفين بضدها. وهذا ما نشأ عنه عند أهل الحديث ما يعرف بعملية الجرح والتعديل.

والبحث في جرح الرواة وتعديلهم يقتصر على فترة محدودة، لأنه لا يُعْني إلا بمن وردوا في الأسانيد فيما بين الصحابة وأئمة التدوين، ويمكن تحديد هذه الفترة الزمنية بقرنين ونصف، أي من سنة 50 للهجرة إلى نهاية القرن الثالث.

أما فيما قبلها، فإن الرواة كانوا من الصحابة الذين اتفق الجمهور على تعديلهم ما عدا استثناءات معروفة ومحصورة. أما ما بعدهذه الفترة، فإن عملية التدوين قد انتهت مسندة في أمهات كتب الحديث المعروفة، فصار دور النقاد يتمثل في تصحيح كتب هؤلاء الأئمة، وبيان مختلف رواياتها، وتمحيصها من حيث التوثيق، والتحقيق. وهكذا تغيرت أصول البحث في النقد الحديثي، وانتقلت إلى بحث الفروق بين نُسخِ الكتب المدونة.

فمنهم من بحث روايات موطأ الإمام مالك، واستقصى الخلاف بينها وأوضح الصواب منها، وقد قام بهذا العمل علماء أعلام منهم أبو عمر بن عبد البر في كتاب

(1) الطلاق، 2.

"التقصي"[1] الذي خصّص منه بحثا في الموطآت ورواتها، وفريق آخر اهتم بروايات صحيح البخاري ومسلم مثل أبي علي الغساني الأندلسي، الذي كتب عن روايات الإمام مسلم بن الحجاج مبينا الخلاف بين روايات الجلودي والنسائي وابن ماهان، وبعضهم تناول هذه المدونات الثلاث، مثل ما فعل القاضي عياض في مشارق الأنوار[2].

2. **قضية الضبط :** قد يكون الراوي عدلا، له من الأخلاق الدينية ما يزعه عن تعمد الكذب، لكن ربما اختل ضبطه لأسباب منها الغفلة والسهو والنسيان، أو الاختلاط مع تقدم في السن، أو فقد الكتب التي اعتاد أن يحدث منها.

فمن طرائف النسيان ما يحكى عن سهيل بن أبي صالح الذي روى حديث القضاء بالشاهد واليمين ثم نسيه، فأعاده عليه سعيد بن المسيب، فصار يرويه من جديد قائلا : حدثني سعيد بن المسيب عني عن أبي هريرة.

أما المحدثون الذين اختلطوا في آخر حياتهم فقد تم حصرهم، وضبط التواريخ التي وقع عليهم فيها الاختلاط، فصار العلماء يفرقون بين أحاديث من رُوي عنهم قبل الاختلاط وبعده. ومن الأمثلة المشهورة في هذا الباب قولهم إن سعيد بن أبي عروبة قد اختلط في آخر حياته، وقد سمع منه قبل الإختلاط ابن المبارك ويحيى بن سعيد القطان، وسمع منه أثناءه وكيع بن الجراح والفضل بن دكين. وممن عزي إليهم الاختلاط أبو السائب الثقفي، ونسب لابن معين قوله إنه لم يرو عنه قبل الاختلاط إلا الثوري وشعبة بن الحجاج.

كما ذكر أن عبد الله بن لهيعة كان يحدث من كتبه، وأنه لمّا احترقت كتبه اختلت روايته.

ومنهم من يكون صادقاً لكنه كثير الأوهام مثل ما ذكر ابن حجر عن مسلم بن خالد الزنجي.

3. **الموصول :** وهو الحديث الذي اتصل إسناده بين رواته، فإذا نقص واحد من السند سُمّي منقطعاً، وخرج عن دائرة الصحيح، وإذا سقط من سنده إثنان فصاعداً سمي معضلاً، ونزل إلى رتبة الضعيف.

---

(1) وهو الكتاب المعروف بتجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، مطبوع بدار الكتب العلمية ببيروت وبمكتبة المعارف بالرياض سنة 1400هـ.

(2) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض اليحصبي السبتي، تـ 544هـ، طبع طبعات عديدة منها وزارة الأوقاف بالمغرب وطبعة المكتبة العتيقة بتونس ودار التراث بالقاهرة.

واجتهد الباحثون هنا في التدقيق في تواريخ اللقاء والأخذ بين رجال السند، وبينوا ذلك فيما عُرف بشرط البخاري ومسلم. لأن الأول اشترط ثبوت اللقاء بين رجال السند، بالخصوص إذا كانت الرواية بما يعرف بـ "العنعنة"، أي فلان عن فلان، بينما يكتفي الإمام مسلم بثبوت المعاصرة التي هي قرينة الأخذ.

4. **المرفوع :** وهو الحديث الذي أضيف إلى النبيﷺ، سواء أكان متصل السند أو مقطوعه، وقد بيّنا أن الانقطاع مخلٌ بالصحة، ومن المرفوع فرع خاص يعرف بالمرسل، وهو ما رفعه التابعي إلى النبيﷺ وقد اختلف الأئمة في درجته من الصحة، وكان منهم من يعتبره صحيحا، إذا ما أرسله كبراء التابعين من أمثال سعيد بن المسيّب.

ومن المحدثين من جعل المسند مرادفا للمرفوع، فمن ذلك قول ابن عبد البر في التمهيد : «إن المسند ما رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة. وقد يكون متصلا مثل أحاديث مالك عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد يكون منقطعا مثل أحاديث الإمام مالك عن الزهري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو منقطع لأن الزهري لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهم»[1].

وهو عند الخطيب البغدادي ما اتصل سنده من روايته إلى منتهاه أي أنه الموصول المرفوع.

والثالث عند ابن الصباغ في العُدة، وهو ما اتصل إسناده إلى منتهاه سواء أكان مرفوعاً أو موقوفاً على الصحابي.

والقول الرابع : ما صححه الحاكم وهو ما رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل به[2].

واعتبر بعض أئمة الحديث من أنواع المرفوع قول الصحابي «كنا نفعل كذا» أو «كنا نؤمر بكذا» ومنهم من اشترط إضافته الى زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

5. السلامة من الشذوذ :

أ) **الشذوذ والانفراد المطلق :** لقد رأينا أن جمهور الحفاظ اشترطوا في الصحيح خلوه من الشذوذ، لكنهم لم يتفقوا على تعريف موحد للشاذ، فمنهم من جعله مرادفاً

(1) نقل ابن الصلاح هذا التعريف في المقدمة، ص 21.

(2) نقل ابن الصلاح هذه الأقوال في المقدمة، ص 21.

للغريب، أي الحديث الذي تفرد به راوٍ واحد، سواء أكان ثقة أم لا، وهو رأي أبي يعلي الخليلي، وهو قريب من رأي الحاكم غير أن هذا الأخير يقول إن الشاذ هو : ما تفرد به الثقة بدون أصل يتابع عليه.

غير أن هذا التعريف يتعارض في بعض الحالات مع شروط الصحيح المذكورة آنفاً، إذ قد يكون من الشاذ ما هو صحيح، وأمثلته كثيرة، حتى أن بعض المحدثين ساق لذلك مثال حديث : «إنما الأعمال بالنيات»، المتفق على صحته، إذ يقول أنه تفرد بروايته عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفرد به علقمة بن وقاص عن عمر، ومحمد بن إبراهيم عن علقمة، ويحيى بن سعيد القطان عن محمد بن إبراهيم، لكن الحافظ ابن حجر لم يُسَلِّم بتفرد هذا الحديث، كما ميّز تمييزاً دقيقاً بين تفرد الثقة وتفرد الحافظ.

ومما أثير أيضاً حول هذا التعريف أن الإمام مالكاً تفرد عن الزهري بحديث دخول النبي صلى الله عليه وسلم مكة وعلى رأسه المغفر، واعترض ابن العربي على هذا الانفراد، وقال إنه روى هذا الحديث من ثلاثة عشرة طريقاً.

ب) تفرد الثقة برواية خولف فيها : يروى عن الإمام الشافعي أن الشاذ ما تفرد به ثقة، وخالفه من هو أرجح منه، وهنا يتفق العلماء على تقديم الأرجح، لكن في بعض الحالات نجد رواية لأحد الحفاظ يخالفها الجمهور، ومثالها المتعارف هو حديث الإمام مالك عن الزهري عن عمر بن عثمان بن عفان التي خالفت رواية الجمهور الذي روى الحديث عن عمرو بن عثمان بدلاً من عمر، لكن هنا لابد أن نعيد ملاحظة ابن حجر حول التفرقة بين تفرد الثقة وتفرد الحافظ، ففي هذا الحديث كان الإمام مالك يصر على روايته ويشير إلى دار عمر بن عثمان ليبين أنه يعرف الفرق بين أبناء عثمان بن عفان.

وهذا النوع من الشاذ يقرب مما يصفه بعض النقّاد بالمنكر، إلا أنه من غير المألوف أن يكون الحديث منكرا وصحيحا في آن واحد، مثل ما هو الحال في الشاذ. وفي الحقيقة فإن الحكم على هذه القضية إنما هو باعتبار تعريف المنكر عند أهل المصطلح، لأن بعضهم يجعله في بعض الأحيان مرادفا للشاذ الذي خالف الثقة فيه رواية الجمهور. والذي يبدو أن المنكر قد يرادف الشاذ في بعض الحالات، وقد لخص ابن حجر هذا التقارب بقوله : «إن الضعيف إذا ما انفرد بشيء لا متابع له ولا شاهد، ولم يكن عنده من الضبط ما يشترط في حد الصحيح والحسن، فهذا أحد قسمي

الشاذ، فإن خولف فيما هذه صفته مع ذلك كان أشد شذوذاً وربما سماه بعضهم منكراً»[1].

6. **السلامة من العلل :** علل الأحاديث من أصعب البحوث الحديثية وأغمضها، إذ أن إدراكها يتطلب كثيراً من الدقة والمهارة في هذا العلم، ذلك أن أنواعها متعددة: فمنها ما يلاحظ في إسناد الحديث، ومنها ما يقع في متنه، وقد تكون قادحة في صحة الحديث، وقد لا تكون، ولذلك زيد في تعريف الصحيح السلامة من العلة القادحة، ومن أمثلتها في الإسناد ما وقع لأبي أسامة حماد بن أسامة الكوفي، إذ أنه لقي عبد الرحمن ابن يزيد بن تميم، وهو من ضعفاء الشاميين، فظنه عبد الرحمن بن جابر الثقة، فروى أحاديث غير صحيحة، وعلتها التباس الإسمين على أبي أسامة.

أما العلة في المتن دون الإسناد فإنها وقعت في حديث البسملة المروي عن أنس ابن مالك.

وقد قسم الحاكم أنواع العلل إلى عشرة، وأعطى أمثلة عن كل نوع منها[2]، سنراها في معرض الحديث عنه[3].

---

(1) قال ابن حجر في النخبة : «والشاذ ما يخالف فيه الراوى من هو أرجح منه وتتفاوت رتبه بسبب تفاوت هذه الأوصاف ومن ثم قدم صحيح البخاري ثم مسلم ثم شرطهما المراد به رواتهما مع باقي شروط الصحيح فان خف الضبط مع بقية الشروط لغيره فإن جمع كقول الترمذي حديث حسن صحيح فلتردد في الناقل حيث التفرد والاعتبار إسنادين وزيادة راويهما أي الصحيح والحسن مقبولة ما لم تقع منافية لرواية من هو أوثق فإن خولف بأرجح فالراجح المحفوظ ومقابلة الشاذ و إن وقعت المخالفة له مع الضعف فالراجح المعروف ومقابله المنكر».

(2) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص 112 وما بعدها، ط دار إحياء العلوم، بيروت، 1986.

(3) ص 359 وما بعدها.

الفصل الأول : مؤسسو علم المصطلح

1. القاضي الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (260-360)

1. حياته العلمية

ولد القاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي سنة 260هـ في خوزستان، وتربى في بيت والده العالم المعدود من شيوخه، فنبغ مبكراً في علوم الحديث بعدما استقى من معين أئمته المشهورين، فأخذ عن محمد بن عبد الله الحضرمي المشهور بمطيّن (تـ 297هـ)، وأبي جعفر عثمان بن أبي شيبة (تـ 297هـ)، وأبي بكر جعفر بن محمد القرياني (301هـ) وأبي يحيى زكريا بن يحيى الساجي (307هـ)، وأحمد بن هارون البرديجي (301هـ) وأبي العباس أحمد بن سهل الأشناني (307هـ)، وأحمد بن يحيى الحلواني (276هـ). ولقد عاش قرناً كاملاً في خدمة العلم.

ويقول الذهبي عنه : «إنه الإمام الحافظ محدث العجم، وأنه كان من الأثبات وكان إخبارياً وشاعراً». ولا تقل مكانته في علوم الحديث عن شهرته في الأدب والشعر. فعرف من شعراء يتيمة الثعالبي محاورا لساسة الحكم، وقادة الفكر، واشتهرت علاقاته ومساجلاته مع ابن العميد والوزير المهلبي، وجرت على الألسنة نماذج من شعره ونثره، ومن ذلك قوله في عضد الدولة :

عمَرتْ من الأدب الفقيد ديارُه ودنا من الكرم البعيد مزار

والفقه والنظر المعظم شأنه ظهَرا وناضل عنهما أنصار

صاحت إلى الدنيا بنوها واغتدت تبني القوافي يَعربٌ ونِزار

وسمت إلى فصل الخطاب وأهله والقائلين بفضله أبصار

كما اشتهر عنه ما قد وصف به حال المحدثين، في بيتين يخاطب بهما نفسه، ويعبران في سخريتهما عن طرائفه الأدبية، إذ يقول :

قل لابن خلاد إذا جئته مستندا في المسجد الجامع

هذا زمان ليس يحظى به ″حدثنا الأعمش عن نافع″

ويظهر ميوله إلى الشعر والأدب في مؤلفه الذي سنتحدث عنه، وهو "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي"، فكثيرا ما كان يخلل بحوثه الحديثية باستطرادات أدبية وشعرية، ترى مصداقيتها فيما قاله أحد أصدقائه في رثائه، ضمن قصيدة منها :

أودى ابن خلاد قريع زمانه	بحر العلوم وروضها المرهوم
روض من الآداب غضّ بظهره	ركد الهجير عليه فهو هشيم
ريحانه الكتاب، من ألفاظه	يُتَعَلَّم المنثور والمنظوم

وقد ترك الرامهرمزي عدة تآليف تنبئ عن علمه وميوله الأدبي، منها كتاب "أدب الموالد"، وكتاب "أدب المناطق"، و"ربيع المتيم"، و"أخبار العشاق"، و"رسالة السفر"، و"الشيب والشباب"، وكتاب "النوادر والشوارد"، و"مباسطة الوزراء"، وكتاب "المناهل والأعطان والحنين إلى الأوطان". ومن مأثوراته في العلوم الإسلامية "إمام التنزيل في القرآن الكريم"، وكتاب "الريحانتين : الحسن والحسين"، و"أمثال النبي صلى الله عليه وسلم المأخوذ من جوامع كلم أحاديثه"، وكتاب "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي"، وسنقدم عنه عرضا في هذا الفصل[1].

2. كتاب "المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي"[2]

يقول الحافظ ابن حجر إنّه قرأ كتاب الرامهرمزي على أحمد بن إبراهيم التنوخي، وإنه أول كتاب صنف في موضوع علوم الحديث وإن كان يوجد قبله مصنفات مفردة في أشياء من فنونه، إلا أنه أجمع ما جمع في زمانه وقد ضمن كتابه المباحث التالية :

أ) الدفاع عن أهل الحديث :

وبدأ ابن خلاد كتابه ببيان مكانة الحديث ورواته الذين حفظوا للأمة دينها، وبيّنوا الصحيح من السقيم. ودافع عنهم، ورد على من انتقصهم، وحض الطلاب على التمسك بالسنة والابتعاد عما يؤخذ عليهم من التكثير من الطرق والبحث عن شواذ الحديث وغريبه، وحثهم على تفهم معانيه للرد على من يسميهم بالحشوية والرعاع، وفي هذا إشارة إلى ما رأيناه عند أبي محمد بن قتيبة في كتاب "تأويل مشكل الحديث" ودفاعه عن أصحاب الحديث.

(1) انظر ترجمته ومصادرها، وذكر مؤلفاته في كتاب الأعلام للزركلي، ج 2، ص 193.

(2) تحقيق محمد عجاج الخطيب، طبع بدار الفكر ببيروت سنة 1391هـ.

ومن أول الأبواب التي فتحها في مصنفه، الحديثُ عن فضائل نقلة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فروى عن علي بن أبي طالب قوله عليه الصلاة والسلام : «اللهم أرحم خلفائي»، ولما سئل عنهم قال : إنهم الذين يروون أحاديثه وسنته ويعلمونها للناس، وأتبعه بالحديث المشهور المروي عن أكثر من صحابي ومن ألفاظه : «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فبلّغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه غير فقيه.

وبسط القول في شرحه، ونبه على غلط من يشدد الضاد من "نضر"، وقال إن معناه : ألبسه الله النضرة، وهي الحسن وخلوص اللون. ثم ذكر حديث قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يا حبذا كل عالم ناطق ومستمع واع»[1]. ولعل هذا الحديث هو الذي أوحى إليه بعنوان كتابه[2].

ومن الأحاديث التي أوردها في هذا الباب : «من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها، بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما»[3].

وكان هذا الحديث باعثا لكثير من العلماء بجمع الأربعينيات الحديثية في مواضع متعددة من أشهرها "الأربعون النووية".

كما ذكر الرامهرمزي أيضا في هذا الغرض قوله صلى الله عليه وسلم : «من قال علي مالم أقل فليتبوأ مقعده من جهنم»، وهو الحديث الذي كان يتردد في خلد كل من الصحابة ومن تبعهم من أئمة المحدثين.

وتناول فضل طلبة الحديث، وذكر ما روي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن نحفظهم، وأن نوسع لهم في المجالس، وكان أبو سعيد يقول إذا رآهم مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أورد حديث عمران بن حصين : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»، وقول يزيد بن هارون في تفسيره : «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلست أدري من هم». ولم يشر المصنف إلى أن عدة جهات تتنازع هذا الحديث، منهم أهل الشام على ما قيل في مجلس معاوية بن أبي سفيان، وأهل المغرب الذين يروون التنصيص عليهم في متنه.

(1) المحدث الفاصل، تحقيق عجاج الخطيب، ط 1، دار الفكر، بيروت، ص 170.

(2) المحدث الفاصل، تحقيق عجاج الخطيب، ط 1، دار الفكر، بيروت، ص 167 وما بعدها.

(3) قال محقق الكتاب : «في إسناده عباد بن يعقوب الرواجني من غلاة الشيعة ورؤوس البدع، صدوق في الحديث ومع ذلك يروي مناكير كمل قال ابن حبان»، انظر ميزان الاعتدال، ج2، ص 16.

ومن طرائف ما ذكره من فضل طلب علم الحديث ما روى عن سفيان بن عيينة أنه قال : إنما طلبنا العلم تأدبا وتظرفا، فأبى الله إلا أن يكون له. وقولة سفيان الثوري : لو علمت أن أحدا يطلب الحديث لله لصرت إليه في بيته فحدثته[1].

ثم استطرد فيه أوصاف الطالب والحد الذي إذا بلغه صلح أن يطلب علم الحديث. وذكر ما قاله موسى بن هارون أن أهل البصرة يكتبون لعشر سنين، وأهل الكوفة لعشرين وأهل الشام لثلاثين.

ويبدو من عرضه أنه يرجح منحى البصريين في تحديد سن الطلب لأنه ذكر في معرضها قول علي بن المديني أن عمر بن أبي سلمة حفظ وهو ابن سبع سنين، وإن لعبد الله بن حنظلة الراهب رواية، وقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع سنين، وأن المسور بن مخرمة حفظ وهو ابن ثمان، وكذلك السائب بن يزيد وسهل بن أبي حنتمة وثابت بن الضحاك الأشهلي.

وهنا ينبغي التنبيه على الفرق بين سن ابتداء الطلب، وسن صحة التحمل التي قد حددها المحدثون بنحو خمس سنوات اعتمادا على حديث محمود بن الربيع، وذكره لمجة عقلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع سنوات.

ومما استشهد به لتفضيل طلب الحديث في سن مبكرة ما روي عن ابن شهاب أنه قال لبعض طلبته : لا تستصغروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا أعياه الأمر المعضل دعا الأحداث فاستشارهم لحدة عقولهم[2]، ثم أورد المصنف أبياتا قال إن أحد البغداديين أنشدها، وهي :

إن الحداثة لا تنقص بالفتى المرزوق ذهنا
لكن تذكي قلبه فيفوق أكبر منه سنا[3]

ب) ذكره تخوف الصحابة من الكذب على النبيﷺ :

من ذلك رواية الرامهرمزي أن ابن مسعود كان يمكث سنة لا يحدث عن رسول اللهﷺ، فإذا حدّث أخذته الرعدة حين يقول : قال رسول اللهﷺ، ويقول : أو هكذا أو

(1) المحدث الفاصل، ص 184.

(2) انظر هذه النقول في نفس النسخة من كتاب المحدث الفاصل، باب فضل الطالب لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والراغب فيها والمستن بها، ص 175 وما بعدها ، وكذا في باب القول في أوصاف الطالب والحد الذي إذا بلغه صلح أن يطلب فيه، ص 185 وما بعدها.

(3) المحدث الفاصل، ص 193.

نحوه أو شبهه[1]، وروي عن عمرو بن ميمون قال : اختلفت على ابن مسعود فما سمعته يقول : قال رسول الله ﷺ، إلا أن جرى على لسانه يوما فعلاه كرب حتى جعل يعرق ثم قال إن شاء الله ذا أو دون ذا أو نحو ذا وفي أثر آخر انحلّ إزاره وانتفخت أوداجه، واغرورقت عيناه، قال «أو فوق ذاك، أو قريبا من ذاك، أو شبيها من ذاك»[2].

وعن الزهري عن عون بن عبد الله قال : أحصينا حديث ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو بضعة وخمسون حديثا[3].

وروي عن عاصم بن رجاء عن أبي الدرداء أنه كان إذا حدّث، قال : «أو نحوه، أو شكله».

وعن ابن عون عن ابن سيرين قال : كان أنس بن مالك إذا حدّث قال : «أو كما قال».

وروى عن ابن أبي ليلى قوله : كنا إذا أتينا زيد بن أرقم فنقول له : حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول : «إنا كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد».

وروى أن الشعبي قال : جالست ابن عمر سنة، فما سمعته يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن السائب بن يزيد قال : صحبت سعد بن أبي وقاص سنة فما سمعته يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا واحدا، وروى أن شعبة قال : ما رأيت أحدا أخوف من سليمان التيمي، كان إذا ذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تغير وجهه»[4].

ج) الخوف من كثرة الرواية :

وقد روى عن الشعبي عن قرظة بن كعب الأنصاري، قال : قال عمر أقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ. وروى أن عمر بن الخطاب حبس بعض الصحابة، فيهم ابن مسعود وأبو الدرداء، فقال : قد أكثرتم الحديث عن رسول الله ﷺ، وهو يعني منعهم من التحديث، لأنه ليس له حبس. وذكر عن السائب بن يزيد قال : أرسلني عثمان إلى أبي هريرة، فقال : قل له يقول لك أمير المؤمنين ما هذه الأحاديث التي تحدِّث بها ؟ أكثرت

---

(1) المحدث الفاصل، ص 549.

(2) المحدث الفاصل، ص 549.

(3) المحدث الفاصل، ص 557.

(4) انظر هذه الأحاديث وغيرها في كتاب المحدث الفاصل، باب من كره كثرة الرواية، ص 553 وما بعدها.

لتنتهين أو لألحقنّك بجبال دوس، وإيت كعبا، فقل له : يقول لك أمير المؤمنين ما هذا الحديث ؟ قد ملأت الدنيا حديثا، لتنتهين أو لألحقنّك بجبال القردة. وأن عائشة قالت لأبي هريرة : ما أكثر ما تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنك لتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث ما سمعناها، قال : «كان يشغلك عنها المرآة والمكحلة، ولم يك يشغلني عنها شيء»[1].

د) الرحلة في طلب العلم :

وعقد الرامهرمزي بابا خاصا في التعالي والتنزل، وتناول اختلاف مذاهب طلاب الحديث حول الأسانيد العالية والرحلة لها، أو الاقتصار على من يرتضيه من المحدثين، سواء أكان عاليا أم منزلا، وأورد مناظرة بين أهل هذين الاتجاهين، نورد منها الفقرات التالية :

فقال : «تختلف مذاهب طلاب الحديث في هذا، فمنهم من لا يقتصر على أن يسمع الحديث من المحدث، وهو على أن يسمعه من المحدث قادر، فتنزع نفسه إلى لقاء الأعلى والسماع منه بالمشاهدة، إن كان داني الدار، وبالرحلة إليه إذا كان بعيد الدار. ومنهم من لا يشتغل بالرحلة إذا حصل له الحديث عمن يرتضيه تنزّل في الحديث أو تعالى فيه. وأهل النظر أيضا في ذلك مختلفون، فمنهم من يقول : التنزل في الإسناد أفضل لأنه يجب على الراوي أن يجتهد في متن الحديث وتأويله، وفي الناقل وتعديله، وكلما زاد الاجتهاد زاد صاحبه ثوابا، وهذا مذهب من يزعم أن الخبر أقوى من القياس. وقال آخرون : التعالي في الاسناد مسقط لبعض، وسقوط الاجتهاد فيما أمكن أسلم».

«قال القاضي : وفي الاقتصار على التنزل في الاسناد إبطال الرحلة وفضلها، وقال : وقال بعض متأخري الفقهاء يذم أهل الرحلة في فصل من كلام له : «نبغوا فعابوا الناظرين المميزين وبدّعوهم، وإلى الرأي والكلام فنسبوهم، وجعلوا العلمَ الواجبَ طلبَه، الدوران والجولان في البلدان، لالتماس خبر لا يفيد طائلا، وأثرٍ لا يورث نفعا، فأسهروا ليلهم، وأظمأوا نهارهم، وأتعبوا مطيهم، واغتربوا عن بلادهم، وضيّعوا ما وجب عليهم من حق خلفائهم، وعقوا الآباء والأمهات، فتعجلوا المأثم بتضييع الواجب والحقوق، وحرموا أنفسهم التلذذ بمعاشرة الأهل والولد، وطابت أنفسهم لها، فحرموا أنفسهم لها، وحرموا لذة الدنيا، واستوجبوا العقاب في الآخرة، فهم حيارى كالأنعام، إن سئلوا عن مسألة قالوا : هل حدثت هذه المسألة حتى تقول فيها ؟ فإن قيل لهم : هي نازلة، قالوا :

---

(1) المحدث الفاصل، ص 555.

ما نحفظ فيها شيئا، فإن سئلوا عن السنن، يقول خطيبهم : ما تحفظون في «من بنى لله مسجداً»، و«من كذب عليّ متعمداً»، وفي «أسلم سالمها الله»، وفي قوله أما بعد».

وقال المُعَارِض لصاحب هذا الكلام : «تهيبوا كد الطلب، ومعالجة السفر وبعلوا بحفظ الآثار، ومعرفة الرجال واختلفت عليهم طرائق الأسانيد، ووجوه الجرح والتعديل، فآثروا الدعة، واستلذوا الراحة، وعادَوْا ما جهلوا، وعلى المطامع تألفوا، وفي المآثم والحطام تنافسوا، وتباهوا في الطيالس والقلانس، ولازموا أفنية الملوك وأبواب السلاطين، ونصبوا المصائد لأموال الأيتام، والإغارة على الوقوف والأوساخ، واقتصروا على ابتياع صحف درسوها، واستعدوا الشغب عليها، فإن حفظ أحدهم في السنن شيئا، فمن صحيفة مبتاعة، كفاه غيره مؤونة جمعه وشرحه وتبويبه، من غير رواية لها ولا دراية بوزن من نقلها، فإن تعلق بشيء منها يسير خلط الغث بالسمين، والسليم بالجريح، ثم فخم ما لفق من المسائل ما شاء، وإنها والسنن المأثورة ضدان، فإن قلب عليه إسناد حديث تحير فيه، تحير المفتون، وصار كالحمار في الطاحون، وإن شاهد المذاكرة سمع ما ليس في وسعه الجريان فيه، فلجأ إلى الإزراء بفرسانه، واعتصم بالطعن على الراكضين في ميدانه»[1].

ثم ربط طلب التعالي بالرحلة في طلب العلم، وأشاد بفوائدها العلمية، وبما تتيحه للراحل من متعة.

ثم نوه بجهود العلماء في الجد في الطلب، فذكر أن سعيد بن المسيب قال إنه يسير ثلاثا في الحديث الواحد، وأن أبا معشر الكوفي ذهب من الكوفة إلى البصرة من أجل حديث واحد عند أبان بن أبي عياش، وأن جابر بن عبد الله ذهب إلى مصر من أجل حديث بلغه عن مسلمة بن مخلد[2].

ثم استشهد بمقطعات شعرية في الرحلات العلمية، منها قول أحدهم :

سيري نجاء وقاك الله من عطب	حتى تلاقي عند البيت سفيانا
ترى الكهول جميعا عند مشهده	مستنصتين، وشيخانا وشبانا
يضم عَمْراً إلى الزهري يسنده	وبعد عمرو إلى الزهري صفوانا
وعبدة وعبيد الله ضمهما	وابن السَّبيعي أيضا وابن جدعانا
فعنهم عن رسول الله يوسعنا	علما وحكما وتأويلا وتبيانا

(1) المحدث الفاصل، ص 214 إلى ص 217.

(2) المحدث الفاصل، ص 223.

ومنها قول الأصمعي :

لبيك سُفيانُ باغي سنّة درست ... ومستبين إشارات وآثار

ومبتغي قرب إسناد وموعظة ... وواقفيين من طار ومن ساري

من للحديث عن الزهري يسنده ... وللأحاديث عن عمرو بن دينار

ما قام من بعده من قال حدثنا الـ ... زهري في أهل بدو أو بأحضار

ومنها قول طالبٍ وَفَد إلى يزيد بن هارون، فقال فيه :

أقبلت أهوي على حيزوم طاوية ... في لجة اليم لا ألوي على سكن

حتى أتيت إمام الناس كلهم ... في الدين والعلم والآثار والسنن

أبغي به الله لا الدنيا وزينتها ... ومن تغشى بدين الله لا يهن

يا لذة العيش لما قلت حدثنا ... بشر وعوف عن الشعبي والحسن[1]

وذكر، بعد ذلك، طبقات أصحاب الرحلة والأقطار التي زاروها[2].

هـ) كتابة الحديث : وذكر في شأنها فريقين، فمنهم :

* **من كره الكتابة** : روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن النبيﷺ قال : «لا تكتبوا عني شيئا إلا القرآن، ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه»[3].

وعنه : جهدنا بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن لنا في الكتاب، فأبى؛ وأن أبا نضرة ذكر أنه قيل لأبي سعيد أنكتب حديثكم هذا ؟ قال : لم تجعلوه قرءانا، ولكن احفظوا كما حفظنا. وقول أبي موسى الأشعري لابنه أبي بردة : يا بني تكتب حديثي ؟ قال : نعم. قال : جئني به، فأتيته فنظر فيه فمحاه، وقال : يا بني احفظ كما حفظت، وفي رواية أخرى عنه، إنه لما رأى ما كتب ابنه وقرأه، قال : هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أخاف أن تزيد فيه أو تنقص[4].

(1) المحدث الفاصل، ص 226 وما بعدها.

(2) المحدث الفاصل، ص 229 وما بعدها.

(3) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(4) المحدث الفاصل، باب من كان لا يرى أ يكتب، ص 379.

* **من فضل الكتابة :** ذكر أولا حديث رسول اللهﷺ الذي قال فيه : اكتبوا لأبي شاه[1]، ثم أورد سبعة أحاديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أربعة منها عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، منها : أنه قال : قلت يا رسول الله أسمع منك الشيء أفأكتبه ؟ قال : «نعم»، قلت : إنك تغضب وترضى، قال : «إني لا أقول في الرضا والغضب إلا حقاً». وفي رواية أخرى : «فالذي نفسي بيده ما يخرج مني إلا حق». ومنها : أنهﷺ قال : «قيدوا العلم بالكتاب». وروي عنه : أكتب قوله ما يرغبني في الحياة إلا الرهط، والصادقة : صحيفة كنت استأذنت رسول اللهﷺ أن أكتبها، فكتبتها وهي الصادقة، وفي رواية أخرى هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول اللهﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد. وأورد حديث عطاء عن ابن جريج عن عبد الله بن عمرو قوله : قلت يا رسول الله : أقيد العلم، قال : «نعم»، قلت : وما تقييده ؟ قال : الكتاب.

وروى حديثا عن عبد الله بن المثنى عن عمه ثمامة عن أنس أنه كان يأمر بنيه أن يقيدوا العلم بالكتاب، وعن هبيرة بن عبد الرحمن، قال : كنا إذا أكثرنا عن أنس ألقى علينا مخلاة، فقال : هذه أحاديث كتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

و) كتابة الحديث وروايته بالمعنى :

ويذكر الرامهرمزي من المحدثين الذين لم يكتبوا أحاديثهم، واكتفوا بالحفظ محمد بن سيرين وابن عون والشعبي، الذي قال إنه ما كتب سوداء في بيضاء، ويونس بن عبيد وخالد الحذاء الذي قال : ما كتبت شيئا قط إلا حديثا واحدا فلما حفظته محوته، وأن الزهري قال : ما خططت سوداء في بيضاء إلا نسب قومي، وإن حماد قلت كتابته.

وممن قيل إنه كان يحفظ ولا يكتب اسحق بن راهويه وابن وارة، وقال الرامهرمزي : إن من اعتمد على حفظه كثر وهمه.

وروى عن شعبة أن منصور المعتمر قال : وددت أني كتبت وأن علي كذا وكذا، وقد ذهب عني مثل علمي.

ومن هؤلاء من كان يكتب في منزله بعد مجلس السماع، ومنهم الأعمش وهشيم بن بشير الواسطي[3].

---

(1) رواه البخاري في كتاب الديات.

(2) أورد الرامهرمزي هذه الأحاديث التي تجيز الكتابة في المحدث الفاصل، ص 363 وما بعدها.

(3) المحدث الفاصل، ص 386 وما بعدها.

ثم علّق المصنف على الخلاف في كتابة الحديث قائلاً : «قد ذكرنا في وجوب الكتابة ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عن علي وعمر وجابر وأنس ومن بعدهم من كبراء التابعين كالحسن وطاووس وعطاء وسعيد بن جبير وعروة بن الزبير ومن بعدهم من أهل العلم. والحديث لا يُضبط إلا بالكتابة ثم بالمقابلة والمدارسة والتعهد، والتحفظ والمذاكرة والسؤال والفحص عن الناقلين، والتفقه بما نقلوه».

«وإنما كره الكتابة من كره من الصدر الأول، لقرب العهد وتقارب الإسناد، ولئلا يعتمده الكاتب فيهمله، أو يرغب عن حفظه والعمل به، فأما والوقت مساعد، والإسناد غير متقارب، والطرق مختلفة، والنقلة متشابهون، وآفة النسيان معترضة، والوهم غير مأمون، فإن تقييد العلم بالكتابة أولى وأشفى، والدليل على وجوبه أقوى، وحديث أبي سعيد : حرصنا أن يأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتاب فأبى، فاحسب أنه كان محفوظا في أول الهجرة وحين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القرآن»[1].

ويلاحظ مما أوضحه المصنف أن المحدثين الذين اكتفوا بالحفظ هم أنفسهم من يتساهل في رواية الحديث بالمعنى، وأن الذين يفضلون الكتابة هم من يتشدد في تتبع الألفاظ. فروي عن هشام الدستوائي أن الحسن يحدثني يوما بالحديث ويحدث به في الغد فيزيد وينقص، غير أن المعنى واحد. ويذكر عن ابن عون أن الشعبي وإبراهيم يحدثون مرة هكذا، ومرة هكذا، فذكرت ذلك لمحمد بن سيرين، فقال : أما أنهم لو جاءوا به كما سمعوه لكان خيرا لهم. وعن أبي حمزة قال : قلت لابراهيم إنا نسمع منك الحديث فلا نستطيع أن نجيء به كما سمعناه، قال : أرأيتك إذا سمعت تعلم أنه حلال من حرام ؟ قال : نعم، قال : فهكذا كل ما تحدث.

وروي عن مكحول عن واثلة بن الأسقع قال : إذا حدثتكم بالحديث على المعنى فحسبكم، وذكر أيضا أن سفيان الثوري كان يقول إنما نحدثكم بالمعنى[2].

وحكى التشدد في تتبع الألفاظ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو قول ابن سيرين والقاسم بن محمد، وذكر أن طاووس كان يعد الحديث حرفا حرفا. وروي عن الأعمش عن عمارة عن أبي معمر أنه قال : إني لأسمع الحديث لحنا، فألحن اتباعا لما سمعت.

---

(1) المحدث الفاصل، ص 385-386.

(2) المحدث الفاصل، ص 335، باب من قال بإصابة المعنى ولم يعتد باللفظ.

واستطرد في هذا الموضوع أبياتا لمحمد بن عبد الله الزيات يصف دفترا، ويقول :

وأرى وشوما في كتابك لم تدع — شكا لمرتاب ولا لمفكر
نقط وأشكال تلوح كأنها — ندب الخدوش تلوح بين الأسطر
تنبيك عن رفع الكلام وخفضه — والنصب فيه لحاله والمصدر
وتريك ما تعنى به، فبعيده — كقريبه ومقدم كمؤخر[1]

ح) القراءة على المحدث :

وفي تناوله لمسألة القراءة على الإمام، استعرض رأي من جعلها مثل السماع، وأورد من أجازها مثل ابن جريج، والشعبي والحسن وابن سيرين، والزهري، وأيوب، ومنصور، وسفيان، وأبي حنيفة الذي قاسها على الشهادة، وهشام بن عروة الذي يقول : كان أبي يقول : الحديث والعرض سواء، ومالك الذي كان يقول : القراءة والسماع سواء[2].

وذكر الروايات في صحتها عن الإمام علي رضي الله عنه وابن عباس. وذكر أحاديث رفعها للإمام مالك في شأنها : أحدهما ما رواه عن أبي حنيفة عن عبد الرحمن بن سلاّم، يقول : دخلت على مالك بن أنس وعلى بابه من يحجبه، قال : وبين يديه ابن أويس، وهو يقول : حدّثك ابن شهاب، حدّثك فلان وفلان، فيقول مالك : نعم، نعم، فلما فرغ، قلت : يا أبا عبد الله عوضني مما حدثته بثلاثة أحاديث تقرؤها عليّ، فقال : أعراقي ؟! أعراقي ؟! أخرجوه عني»[3].

أما الحادثة الثانية فكانت عن عبد الملك بن عبد العزيز ابن الماجشون، قال : حضرت مالكا وأتاه رجل من الصوفية، فسأله عن ثلاثة أحاديث يحدث بها، فقال مالك : اعرضها إن كان لك حاجة، فقال : يا أبا عبد الله إن العرض لا يجوز عندنا، فقال له مالك : فأنت أعلم، فأتاه مرارا كل ذلك يقول : اعرضها إن كان لك حاجة، فيقول : العرض لا يجوز.

فلما أراد مالك أن يقوم وثب عليه الصوفي، فلزم مضربة كانت تحته، ثم قال : ورب هذا القبر لا أدعها أو تحدثني بثلاثة أحاديث، فقال مالك لرجل من جلسائه يدعى أبا طلحة : ليتك يا أبا طلحة دخلت بيني وبين الرجل، فإني أرى به لمما، فقال أبو

---

(1) المحدث الفاصل، ص 540.

(2) المحدث الفاصل، ص 420.

(3) المحدث الفاصل، ص 421.

طلحة : ما أرى بالرجل لمما يا أبا عبد الله، إن رأيت أن تحدثه بهذه الأحاديث الثلاثة، فقال مالك : هات، فقال الصوفي : إن رسول اللهﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه مغفر، فذكر مالك الحديث بروايته عن الزهري عن أنس، وإن ابن شهاب قال : إن رسول اللهﷺ لم يكن محرما[1].

والحديث الثاني عن ابن شهاب عن عمرو بن الشريد عن ابن عباس أنه سئل عن رجل له امرأتان أرضعت إحداهما غلاما والآخرى جارية، هل يتناكحان ؟ فقال : لا، الفطام واحد.

والحديث الثالث رواه مالك عن نافع عن ابن عمر أنه سمع الإقامة وهو بالبقيع فأسرع المشي[2].

وقال الرامهرمزي بعد ذلك إن الشافعي كان يقول : إذا قرأ عليك العالم، فقل، حدثنا وإذا قرأت عليه فقل أخبرنا[3]. وفي هذه التفرقة يظهر مدى دقة التعبير عند الإمام الشافعي وخبرته اللغوية. ويذكر المصنف أنهما واحد عند الإمام أحمد وكذلك عند فقهاء الكوفة، ويعزي للأمام مالك نحوه.

ط) أئمة الأمصار :

ويذكر الرامهرمزي أن علي بن المديني قال : نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة : فلأهل المدينة ابن شهاب، ولأهل مكة عمرو بن دينار، مولى بني جمح، ويكنى أبا محمد، ولأهل البصرة قتادة بن دعامة السدوسي، ويحيى بن أبي كثير، ويكنى أبا نصر، مات سنة اثنتين وثلاثين ومئة باليمامة. ولأهل الكوفة أبو إسحاق السبيعي، واسمه عمرو بن عبد الله بن محمد، مات سنة سبع وعشرين ومائة، وسليمان بن مهران الأعمش، مولى بني كاهل من بني أسد.

قال علي : ثم صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب الأصناف. فممن صنّف في أهل المدينة مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي، وعداده في بني تميم، وسمع من ابن شهاب، ومحمد بن إسحاق بن يسار مولى بني مخرمة، يكنى أبا بكر (تـ 150هـ)، وسمع من ابن شهاب والأعمش. ومن أهل مكة عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، مولى لقريش، ويكنى أبا الوليد (تـ 151هـ)، وسفيان بن عيينة، مولى محمد بن مزاحم

(1) المحدث الفاصل، ص 424-425.

(2) المحدث الفاصل، ص 425.

(3) المحدث الفاصل، ص 425.

(تـ 198هـ)، ومن أهل البصرة سعيد بن أبي عروبة مولى لبني عدي بن يشكر، وهو سعيد بن مهران، ويكنى أبا النضر (تـ 159هـ)، وحماد بن سلمة، أحسبه مولى لبني سليم، ويكنى أبا سلمة (تـ 182هـ)، وأبو عوانة، واسمه الوضاح، مولى يزيد ابن عطاء، (تـ 175هـ)، وشعبة ابن الحجاج أبو بسطام، مولى الأشاقر، (تـ 160هـ)، ومعمر بن راشد، ويكنى أبا عروة مولى لحدان، ومات سنة (تـ 160هـ)، وسمع من الزهري، ومن عمرو بن دينار، ومن قتادة، ومن يحيى بن أبي كثير، ومن أبي إسحاق.

ومن أهل الكوفة سفيان بن سعيد الثوري، ويكنى أبا عبد الله (تـ 160هـ)، ومن أهل الشام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، ويكنى أبا عمرو (تـ 151)، ومن أهل واسط هشيم بن بشير، مولى بني سليم، ويكنى أبا معاوية (تـ 180هـ).

قال علي : ثم انتهى علم هؤلاء الستة، وعلم الإثنى عشر إلى ستة نفر :

إلى يحيى بن سعيد القطان، ويكنى أبا سعيد (تـ 190هـ)، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، ويكنى أبا سعيد (تـ 182هـ)، ووكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس، ويكنى أبا سفيان (تـ 197هـ)، وعبد الله بن المبارك، وهو حنظلي، مولى لبني حنظلة، ويكنى أبا عبد الرحمن (تـ 181هـ)، وعبد الرحمن بن مهدي الأسدي، ويكنى أبا سعيد (تـ 188هـ)، ويحيى بن آدم، ويكنى أبا زكرياء (تـ 188هـ).

قال غير علي ممن هو من أهل الدراية بهذا العلم، ثم صار علم هؤلاء كلهم إلى رجل واحد، ولم ينتفع الناس به، وهو يحيى بن معين. قال : وما بدد في الإسلام أحد حديثه في الأمصار تبديد الثوري، فإنه حدّث بالبصرة ما لم يحدث بالكوفة، وحدّث بالشام ما لم يحدث بالعراق، وحدّث بالعراق، مالم يحدث بالشام وحدّث باليمن ما لم يحدث بالعراق ولا بالشام، وحدث بالري ما لم يحدَّث بغيرهما من الأمصار.

قال : وما جمع أحد علم الأقطار في الرواية عنهم كمعمر بن راشد، فإنه روى عن الستة الذين دار عليهم الحديث في الصدر الأول، وهم الزهري وعمرو بن دينار بالحجاز، والسبيعي والأعمش بالكوفة، وقتادة ويحيى بن أبي كثير بالبصرة[1].

ي) أمثلة من بيان مشتبه الأسانيد : اصطلح لها "التراجم" :

ثم تناول بعد ذلك ما يشتبه من الرواة في الأسانيد، واصطلح لفظ "الترجمة" على هذا النوع، وهي عبارة عنده عن أسماء رواة مختلفين اتفقت أسماؤهم في أسانيد متشابهة، فخفي أمرهم على غير حذاق المحدثين.

---

(1) المحدث الفاصل، ص 620.

والترجمة الأولى ذكر فيها حديثين أحدهما رواه يحيى بن سعيد عن سفيان عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : لا تَنقَضِ الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي أو قال عترتي يواطئ اسمه إسمي[1].

والثاني بنفس السند عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا[2].

والحديث الأول عن عبد الله بن مسعود، والثاني عن عبد الله بن عمرو بن العاص[3].

الترجمة الثانية أورد فيها حدثيين : أحدهما عن حجاج بن محمد عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رأى أحدا به بلاء، فقال : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني عن كثير ممن خلق، عوفي من ذلك البلاء كائنا ما كان»[4].

والثاني عن حجاج بن محمد عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة، أخبره عن علي بن رفاعة، قال : خرج رهط من أهل الكتاب منهم أبو رفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا فأوذوا، فنزلت ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يومنون** ﴾[5] الآية، وعمرو بن دينار المذكور أولا هو بصري يكنى أبا يحيى كان قهرماني الزبير، والثاني هو عمرو بن دينار المكي المعروف[6].

الترجمة الثالثة وذكر فيها خمسة أحاديث عن خمسة رجال رووا عن أبي هريرة، وكلهم يدعى عطاء : حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي، ثنا إبراهيم بن بشار، ثنا سفيان عن عمرو بن دينار، وابن جريج، عن عطاء، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تمتلئ جهنم حتى تقول كذا، وينزوي بعضها إلى بعض، وتقول : قطي، قطي، تعني حسبي، حسبي»[7].

---

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن وقال حديث حسن صحيح.

(2) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

(3) المحدث الفاصل، ص 329.

(4) رواه الترمذي في سنن كتاب الدعوات وقال حديث حسن غريب.

(5) القصص، 52.

(6) المحدث الفاصل، ص330.

(7) أخرجه البخاري ومسلم والإمام أحمد والدارمي بطرق عدة، منها عن أبي هريرة، انظر صحيح البخاري بحاشية السندي، ج 289/4، ومن طريق أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأنس بن مالك، انظر صحيح مسلم، ج 2186/4.

حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي، ثنا محمد بن المنهال، ثنا يزيد بن زريع، عن عمران أبي العوام، عن قتادة، عن عطاء، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله، وكان في قلبه ما يزن شعيرة من الخير»[1].

حدثنا أحمد بن زكريا العايدي، ثنا محمد بن زنبور المكي، ثنا فضيل بن عياض، عن زياد بن سعد، عن عمرو بن دينار، عن عطاء، عن أبي هريرة قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة»[2].

حدثنا عمر بن أيوب، ثنا منصور بن أبي مزاحم، ثنا محمد بن الخطاب، عن عطاء، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جنّد الله أهل المعروف، وبقاؤهم نور في الإسلام، وفناؤهم ظلمة[3].

حدثنا موسى بن هارون، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عمرو، عن إسماعيل بن أمية، عن عطاء، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾، قال موسى بن هارون : وهو عطاء بن مينا[4].

فأما الأول فعطاء بن أبي رباح المكي، والثاني عطاء بن يزيد الليثي، والثالث عطاء بن يسار، والرابع عطاء بن أبي ميمونة، والخامس عطاء بن مينا[5].

ك) أوصاف الطالب :

ثم تحدث عن أوصاف الطالب وآدابه، وذكر قول يحيى بن أبي كثير : إن هذا العلم لا يدرك بالراحة، وقول الشافعي : أفلح من طلبه بضيق العيش وخدمة العلم. واستطرد قصة ابن المبارك الذي رفض أن يحدث طالبا لأنه من بغداد، ولما ألح عليه، قال أكتب :

أيها القارئ الذي لبس الصوف وأمسى يعد في الزهاد

إِلْزَمِ الثغر والتواضع فيه   ليس بغداد منزل العباد

إن بغداد للملوك محل   ومناخ للقارئ الصياد[6]

(1) رواه البخاري في كتاب الإيمان من حديث أنس بن مالك.

(2) رواه البخاري في كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(3) قال محقق كتاب المحدث الفاصل : «في إسناده محمد بن الخطاب بن جبير قال أبو حاتم لا أعرفه وقال الأزدي منكر الحديث (انظر ميزان الاعتدال، ج 3، ص 53).

(4) رواه مسلم في كتاب الإيمان.

(5) المحدث الفاصل، ص 335.

(6) المحدث الفاصل، ص 201 وما بعدها.

وهو يعني بهذه القصة أن من آداب الطالب التواضع والابتعاد عن مغريات الحياة. كما أكد أيضا أن من واجب الطالب التثبت في التلقي، واستدل بذلك على اعتناء الأئمة بالإسناد في الأخبار، والتفتيش عنه، فمن ذلك ما قال، نقلا عن يحيى بن سعيد فيما رواه عن الشعبي وسؤاله عن سند حديث أخبره به الربيع بن خيثم، وقال يحيى إن هذا أول ما فتش من الإسناد، وذكر قول ابن المبارك : لولا الإسناد لقال كل من شاء ما شاء.

وانتقد في آخر هذا الباب أولئك الذين يكتفون بالكتب دون الأخذ بالسند عن الأئمة، مستشهدا برواية سليمان بن موسى إذ يقول : لا تأخذوا القرآن من المصحفين، ولا تحملوا العلم عن الصحفيين، وأورد قطعا شعرية في هذا الموضوع، منها قول أحدهم :

ومن بطون كراريس روايتهم   لو ناظروا باقلا يوما لما غلبوا
والعلم إن فاته إسناد مسنده   كالبيت ليس له سقف ولا طنب[1]

(1) المحدث الفاصل، ص 212.

2 . الدارقطني (تـ 385هـ)

أ) شيوخه، ومكانته العلمية

ولد أبو الحسن على بن عمر الدارقطنى لست خلت من القرن الرابع للهجرة، وتوفي قبل نهاية القرن بخمسة عشرة سنة.

أخذ عن مجموعة من الأئمة في عصره منهم الحسين المحاملي، والحافظ أبو أحمد ابن نصر، والقاضي أبو عمر محمد بن يوسف، وكان عمدته في الحديث أبا القاسم البغوى.

فجمع ما لم يجمع غيره في العلوم، فارتفع صيته فكان الحجة في عصره، ومسند طبقته، وإمام وقته فأجمع المؤرخون على حسن الثناء عليه والإشادة بمكانته، فقال عنه الخطيب البغدادي : إنه انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلل الحديث وأسماء الرجال وأحوال الرواة مع الصدق والأمانة والفقه والعدالة. ويذكر ابن الجوزى في "المنتظم في تاريخ الأمم" إنه اجتمع له مع علم الحديث المعرفة بالقراءات والنحو والفقه والشعر.

وقال ابن كثير إنه من الحفاظ الأفراد، والأئمة النقاد، والجهابذة الجياد، إمام دهره في أسماء الرجال، وصناعة التعليل، والجرح والتعديل، وحسن التصنيف والتأليف، وصفه بالحفظ الباهر والفهم الثاقب. ووصفه ابن العماد في شذراته أنه أمير المؤمنين في الحديث.

حدث عنه أبو عبد الله الحاكم، والحافظ عبد الغني الأزدي، وأبو نعيم الإصبهاني، وأبو بكر البرقاني. دخل الشام ومصر على كبر فأفاد واستفاد. كان يحفظ ديوان السيد الحميري فنسب إلى التشيع.

ومن نوادره ما قيل إنه كان مرة يتنفل، والقارئ يقرأ حديثاً فيه نسير بن ذعلوف، فقال بشير، فسبح الدارقطني، فقال بشير فسبح، فقال يسير، فقال له الدارقطني : "نون والقلم"، ومرة وهو في صلاته سمع من قال عمرو بن شعبة، فقال : «يا شعيب أصلواتك تامرك» للتنبيه إنه عمرو بن شعيب.

ويقول عنه محمد حمزة بن محمد بن طاهر :

جعلناك فيما بيننا ورسولنا وسيطاً فلم تظلم ولم تتحوب

فأنت الذي لولاك لم تعرف الورى ولو جهدوا ما صادق من مكذّب[1]

ب) مؤلفاته

ألف الدراقطنى في القراءات، والفقه، وأصول الدين، غير أن أهم ما تناوله بالبحث والتصنيف هو علوم الحديث؛ منها في علم الرجال "كتاب فضائل الصحابة"، و"أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته من الثقات عن الأمام البخاري"، وكتاب "الضعفاء والمتروكين"[2] ؛ وهذه الكتب الثلاثة تمثل عنده الطرف الأعلى من الرواة، وهم الصحابة المجمع على عدالتهم، والطرف الأخير، وهم المطعون في عدالتهم، أما الطرف الأوسط فهو محل بحث عنده، فأراد أن يميز ثقات الرواة في صحيح البخاري، وهو بذلك يسعى إلى وضع جميع الرواة على المحك باستثناء الصحابة ؛ وهذا ما لاحظناه في استدراكاته على رواة صحيح البخاري، وإجابات ابن حجر عنها.

ثم عنى في مصنفاته في علم الرجال بثلاثة مواضيع ذات أهمية في هذا المجال وهي :

أولاً : بيان المؤتلف والمختلف لتصحيح معرفة الرواة والتمييز بين ما يشتبه منها،

ثانياً : التبيين على تصحيفات المحدثين،

ثالثاً : استحداث مواضيع جدد في علم نقد الحديث تتمثل في الأفراد والغرائب، وفي الالتزامات.

وكتابه في **الأفراد والغرائب** كان فريداً من نوعه، وقد قام ابن القيسرانى بترتيبه مع الاختصار على أطرف الأحاديث الواردة فيه[3].

---

(1) انظر ترجمته المفصلة ومكانته العلمية ومؤلفاته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج ,16 ص 449 وما بعدها، تحقيق شعيب الأرناؤط، منشورات مؤسسة الرسالة، 1981.

(2) تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، منشورات المكتب الإسلامي ببيروت، 1400هـ.

(3) والأفراد قسمان :

أ) **فرد مطلق** : وهو ما تفرد به رواية عن كل احد من الثقات وغيرهم بأن لم يرو أحد من الرواة مطلقا إلا هو. =

ومن أهم ما صنف كتاب "**العلل الواردة في الأحاديث النبوية**"[1]، والذي يقول ابن كثير إنه أجل كتاب، بل أجل ما رأينا في هذا الفن لم يسبق له مثيل، وقد أعجز من يريد أن يأتى بعده. وتذكر المصادر أنه كان يمليه من حفظه، مما يدل على ما أوتى الدارقطنى من سعة العلم وقوة الحافظة؛ وقد رتبه على مسانيد الصحابة وجاء على نحو سؤالات وأجوبة، يذكر فيها طرق الحديث وأسانيده ورتبته من الصحة والضعف. ولبيان منهجه في عرضه لهذا الكتاب نورد الأمثلة التالية :

ج) أمثلة من الأحاديث في كتاب العلل

سئل عن حديث يزيد بن شريك عن أبى ذر، قال رسول الله ﷺ : «من بنى لله مسجداً ولو مفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة».

فقال : هو حديث رواه الأعمش عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر واختلف عن الأعمش فرواه شريك، وقطبة بن عبد العزيز، وأبو بكر بن عياش، ويعلى بن عبيد ـ من رواية أخيه محمد عنه ـ وجرير بن عبد الحميد، من رواية بشر بن آدم عنه. وشيبان : وقيل عن شعبة ـ ولا يثبت ـ فرووه عن الأعمش مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

= ب) **فرد نسبي** :

1. وهو ما تفرد به ثقة بأن لم يروه أحد من الثقات إلا هو.
2. أو تفرد به أهل بلد بأن لم يروه إلا أهل بلدة كذا أهل البصرة.
3. أو تفرد به رواية عن راو مخصوص بأن لم يروه عن فلان إلا فلان، وإن كان مروياً من وجوه غيره (الرسالة المستطرفة للكتاني، ص 114، منشورات دار البشائر الإسلامية، الطبعة 4، 1986).

والغرائب خمسة أنواع :

النوع الأول : غرائب وأفراد صحيحة، وهو أن يكون الصحابي مشهوراً يرويه جماعة من التابعين عنه، ويرويه عن التابعي رجل واحد من التباع ثقة وكلهم من أهل الشهرة والعدالة؛ وهذا "حَدٌّ" في معرفة الغريب والفرد الصحيح.

النوع الثاني من الأفراد : أحاديث يرويها جماعة من التابعين عن الصحابي، ويرويها من كل واحد منهم جماعة بتفرد عن بعض رواتها بالرواية عن رجل واحد لم يرو ذلك الحديث عن ذلك الرجل غيره من طريق يصح. وإن كان قد رواها عن الطبقة المتقدمة عن شيخه إلا أنه من رواية هذا المنفرد عن شيخه لم يروه عنه.

النوع الثالث : أحاديث تفرد بزيادة الحافظ فيها واحد عن شيخه، لم يرو تلك الزيادة غيره عن ذلك الشيخ فينسب إليه التفرد بها وينظر في حاله.

النوع الرابع : متون اشتهرت عن جماعة من الصحابة، أو عن واحد منهم فروى ذلك المتن عن غيره من الصحابة فمن لا يعرف به إلا من طريق هذا البلد ولم يتابعه عليه غيره.

النوع الخامس من التفرد : أسانيد ومتون ينفرد بها أهل بلد لا توجد إلا من روايتهم. وسنن ينفرد بها بالعمل بها أهل مصر لا يعمل بها في غير مصرهم.

وليس هذا النوع مما أراده الدراقطني، ولا ذكره في هذا الكتاب "الأفراد والغرائب".

(1) تحقيق وتخريج محفوظ الرحمن زين الله السلفي، منشورات دار طيبة بالرياض، 1409هـ.

واختلف عن سفيان الثورى فرواه أبو السائب بن جنادة، عن وكيع، عن الثورى، عن الأعمش مرفوعاً. وكذلك مؤمل بن إسماعيل عن الثوري. وخالفه أصحاب وكيع فرووه عن وكيع موقوفاً. وكذلك رواه يحيى القطان، وأبو حذيفة، وغيرهما عن الثوري موقوفا وكذلك رواه على بن المدنى وإسحاق بن راهويه عن جرير بن عبد الحميد موقوفاً. وكذلك رواه حفص بن غياث وعيسى بن يونس وغيرهما عن الأعمش موقوفاً، ورواه إسحاق الأزرق عن شريك عن الأعمش عن أنس بن مالك ولم يتابع عليه. وروى هذا الحديث الحكم بن عتيبة، واختلف عنه فرواه منصور بن زاذان عن الحكم عن يزيد بن شريك عن أبي ذر موقوفاً. ورواه عباد بن العوام عن حجاج، عن إبراهيم التيمى، عن أبيه عن أبى ذر مرفوعاً. ورواه معتمر عن حجاج عن الحكم عن إبراهيم التيمى مرسلاً عن النبيﷺ.

وسئل عن حديث ابن جوشن عن أبي بكرة، قال رسول اللهﷺ لا يقضين أحد بين خصمين وهو غضبان. فقال : يرويه سفيان بن حسين عن أبى بشر جعفر بن أبى وحشية، عن ابن جوشن، وهو عبد الرحمن بن جوشن الغطفانى من أصحاب أبى بكرة، قاله عيينة بن عبد الرحمن. ورواه إبراهيم بن صدقة البصري، صاحب سفيان بن حسين، عن سفيان بن حسين، قيل للشيخ فقد قال بعض الناس سفيان بن عيينة بدلاً من سفيان بن حسين. فقال : هذا غلط قبيح[1].

وسئل عن حديث علي بن أبى طالب رضي الله عنه عن بلال عن النبي صلى الله عليه وسلم في المسح على الخفين والخمار. فقال : يرويه الحكم بن عتيبة واختلف عنه، فرواه شيبان، عن ليث، عن الحكم، عن شريح بن هانئ، عن على عن بلال وخالفه معتمر واختلف عنه، فرواه مسدد وعمرو بن على وعلي بن الحسين الدرهمى، عن معتمر، عن ليث، عن الحكم وحبيب بن أبى ثابت، عن شريح بن هانئ، عن بلال. وخالفهم ابن أبي السري، فرواه عن معتمر، عن ليث، عن طلحة بن مصرف، عن شريح بن هانئ عن بلال.

ورواه أبو المحياة، عن ليث، عن الحكم، عن ابن أبى ليلى، عن كعب بن عجرة، عن بلال. وكذلك رواه الأعمش واختلف عنه فرواه أبو معاوية الضرير، وعلي بن مسهر، وعيسى بن يونس، وأبو زهير عبد الرحمن بن مغراء، وأبو عبيدة بن معن، وأبو حمزة السكرى، وعبد الله بن نمير، وأبو إسحق الفزارى، ومحمد بن فضيل. واختلف عنه فرووه عن الأعمش، عن الحكم، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن كعب بن عجرة، عن بلال.

(1) العلل للدارقطني، تحقيق وتخريج محفوظ الرحمن زين الدين السلفي، ج 6، ص 274، الحديث رقم س 1134، منشورات دار طيبة، الرياض، الطبعة 1، 1985.

ورواه زياد بن أيوب، عن ابن فضيل فلم يذكر فيه كعباً، ولعله سقط عليه أو على من روى عنه.

ورواه عبد السلام بن حرب، عن الأعمش، عن الحكم، عن ابن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر بلالاً.

وكذلك قال علي بن عابس، رواه عن يزيد بن أبى زياد عن ابن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ورواه زائدة بن قدامة، وعمار بن زريق، وحفص بن غياث، وروح بن مسافر عن الأعمش، عن الحكم، عن ابن أبى ليلى، عن البراء، عن بلال.

ورواه الثورى، وشريك عن الأعمش عن الحكم عن ابن أبى ليلى عن بلال، ولم يذكر بينهما أحدا. وقال محمد بن ميسر أبو سعد عن الثوري عن منصور، والأعمش عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن بلال.

وكذلك قال زائدة والقاسم بن معن، وعمرو بن أبي قيس عن منصور عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن بلال.

وكذالك رواه زيد بن أبي أنيسة، وعمر بن عامر، والحجاج بن أرطأة، وأبو شيبة إبراهيم بن عثمان الواسطى، وعبد الله بن محرر، وعن الحكم عن ابن أبى ليلى عن بلال.

ورواه شعبة واختلف عنه فروى عن بقية عن شعبة عن الحجاج بن أرطأة عن الحكم وهو وهم، وإنما أراد أن يقول شعبة بن الحجاج، لأن الحديث محفوظ عن شعبة عن الحكم عن ابن أبي ليلي عن بلال.

ورواه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي واختلف عنه، فرواه سفيان بن عيينة عن أبان بن تغلب وابن أبى ليلى عن الحكم عن ابن أبى ليلى عن بلال.

وكذلك قال إبراهيم بن طهمان وعمر بن يزيد عن ابن أبى ليلى. ورواه يزيد بن الهاد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه عن بلال، وأسقط منه الحكم.

وروى عن أبي سعد البقال عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن بلال، فلعله موقوف[1].

(1) العلل للدارقطني، تحقيق وتخريج محفوظ الرحمن زين الدين السلفي، ج 7، ص 171، الحديث رقم س 1282، منشورات دار طيبة، الرياض، الطبعة 1، 1985.

وسئل عن حديث رُوي عن أبى حسان الأعرج وأبى رافع عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن رجلاً زار أخاً له في الله فأرصد الله على مدرجته ملكاً... الحديث.

فقال : يرويه حماد بن سلمة واختلف عنه، رواه هدبة عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى رافع وأبي حسان الأعرج عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عاصم الأحول عن أبى حسان عن أبى هريرة يرفعه.

وحدث به مخلد بن خداش الأهوازى عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى رافع عن أبى هريرة أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعاصم عن أبى عثمان عن أبى هريرة أن رجلاً ووهم في قوله عن أبى عثمان، والصحيح عن عاصم الأحول عن أبى حسان الأعرج عن أبى هريرة.

وهذا الحديث أخرجه الأمام مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب، وفيه : حدثنى عبد الله على بن حماد، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى رافع عن أبى هريرة عن النبيﷺ أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه، قال : هل لك عليه من نعمة تربُّها ؟ قال : لا، أحببته في الله عز وجل، قال : إني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببت فيه[1]

(1) المصدر نفسه، ج 8، ص 260، الحديث رقم س 1557.

3. أبو عبد الله الحاكم (321-405)

حياته

ابن البيع، الحافظ، إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه الضبي النيسابوري الحاكم. ولد سنة 321هـ. طلب العلم صغيرا واستملى على أبي حاتم بن حبان.

ذكر أنه سمع من ألف شيخ واختص بصحبة أبي بكر الضبّيِّ، رحل أولا إلى الحج، ومر بالعراق سنة إحدى وأربعين، وعاد إليه سنة 367هـ، ولازم الدارقطني، روى عن أبيه وعن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم وأبي عبد الله محمد بن يعقوب الأخرم، وأبي علي النيسابوري. وروى عنه الدارقطني، وهو من شيوخه، وأبو بكر البيهقي، وأبو ذر الهروي وأبو العلاء الواسطي، وسمع منه أبو عمر الطَّلَمَنكي.

قال عنه أبو بكر الخطيب: إنه كان ثقة يميل إلى التشيع، وأنه روى عن أبي إبراهيم بن محمد الأموي أن الحاكم جمع أحاديث، وزعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم ومنها حديث الطير، وحديث : «من كنتُ مولاه فعليٌ مولاه»، فأنكر عليه ذلك أصحاب الحديث. وحديث الطير روي عن أنس بن مالك، قال : كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير، فقال : «اللهم آتني بأحب عبادك إليك، يأكل معي هذا الطير» فأتاه عليٌ وأكله معه. وكلا الحديثين أخرجهما الترمذي في مناقب الإمام علي كرم الله وجهه، وقال عن الأول أنه حديث غريب، وعن الثاني إنه حديث حسن.

ويناقض رميه بالرفض ما أورده صراحة عن تفضيل الخلفاء الثلاثة، وذكره لحديث يحيى بن أيوب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : أول حجرٍ، حجرٌ حمله النبيﷺ لبناء المسجد، ثم حمل أبو بكر حجرا، ثم حمل عمر حجرا، ثم حمل عثمان حجرا، فقلت يا رسول الله ألا ترى إلى هؤلاء كيف يساعدونك ؟ فقال : يا عائشة، هؤلاء الخلفاء من بعدي. ولعل في هذا الحديث ما يدعو إلى التأمل إذا قورن بدأ بناء مسجد المدينة بدور أم المؤمنين عائشة ومحاروتها للنبيﷺ ومن ذالك أيضاً،

تخريجه في فضائل الخليفة عثمان رضي الله عنه حديثاً : لينهض كل رجل منكم إلى كفئه، فنهض النبيﷺ إلى عثمان.

اشتهر الحاكم بحفظ الحديث وعلله في الحجاز والري وطبرستان وقومس وخراسان وما وراء النهر.

وقيل إنه من أربعة كانوا في عصر واحد : وهم عبد الغني بمصر، وابن منده بأصبهان، والدارقطني ببغداد، وهو بنيسابور. فكان الدارقطني أعلمهم بالعلل، وعبد الغني بالأنساب، وأبن منده أكثرهم حديثا، والحاكم أحسنهم تصنيفاً.

مصنفاته

وله من التصانيف ما يبلغ ألف جزء كـ "التخريج على الصحيحين" و"ما تفرد به كل واحد منهما"، و"المستدرك" عليهما[1]، وكتاب "معرفة علوم الحديث"[2]، وكتاب "العلل"، و"فوائد الشيوخ وتراجمهم"، و"أمالي العشيات"، و"فضائل الشافعي"، و"تاريخ نيسابور" وغيرها.

1. كتاب "المستدرك"

لقد كان ابن البيع من نقاد الحديث، بصيراً بعلله، خبيراً برواته، مثل ما سنرى في كتاب "معرفة علوم الحديث". ولقد شارك أيضاً في استكمال التدوين بتأليفه لكتاب "المستدرك على الصحيحين"، فجمع الأحاديث التي يرى أنها على شرط الشيخين، أو على شرط أحدهما، ولم تخرج في صحيحيهما.

وقد ذكر في أوله أن البخاري ومسلم لم يحكما، ولا واحد منهما، أنه لم يصح من الحديث إلا ما أخرجا، وقال : «قد نبغ في عصرنا جماعة من المبتدعة يشمتون رواة الحديث، بأن جميع ما يصح عندكم من الحديث لا يبلغ عشرة آلاف حديث، وهذه الأسانيد المجموعة المشتملة على ألف جزء، أو أقل أو أكثر منه، كلها سقيمة غير صحيحة».

(1) مطبوع طبعات عديدة منها طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، في أربعة أجزاء، سنة 1400هـ.

(2) مطبوع بدار إحياء العلوم ببيروت، 1986هـ.

«وقد سألني جماعة من أعيان أهل العلم بهذه المدينة وغيرها أن أجمع كتابا يشتمل على الأحاديث المروية بأسانيد يحتج البخاري ومسلم بمثلها، إذ لا سبيل إلى إخراج ما لا علة له، فإنهما رحمهما الله لم يدعيا ذلك لأنفسهما»[1].

غير أن كتاب "المستدرك" كان محل انتقاد من المحدثين، الذين لم يُسلّموا بصحة جميع أحاديثه، أو بأنها كانت على شرط الشيخين، ومنهم من اعتذر عن المؤلف، قائلا إنه صنفه وهو في آخر عمره، ولم تمتد به الحياة حتى يتمكن من تنقيحه وتصحيحه، وأنه لمح لذلك بقوله : «إذا ذكرت في باب، فلابد من المطالعة لكبر سني». وهذا قد يتعارض مع القول إنه أملاه سنة 373 أي قبل وفاته بثلاثين سنة.

ومن الحفاظ الذين عنوا بكتاب "المستدرك" الإمام شمس الدين الذهبي الذي لخّصه، وعلق على أحاديثه، مبينا منها ما هو صحيح، وما هو ضعيف[2].

فمن الأحاديث التي وصفها بالنكارة، أو أنها واهية أو منقطعة أو موقوفة :

* ما رواه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية»[3]، فقال : إنه حديث منكر على نظافة سنده[4].
* وعن الحديث المروي عن ابن مسعود أنهﷺ قال : «اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصاً ولا يزدادون من الآخرة إلا بعداً» قال الإمام الذهبي أنه منكر، وعلّله بضعف بشير بن زاذان، وكذلك أنكر حديث : «الخال وارث من لا وارث له»، مع أن الحاكم نفسه أورد أحاديث تناقضه. كما أنكر ما رواه عبد الرحمن بن حرملة عن ابن المسيّب عن عمر أنه كان بين يدي رسول اللهﷺ كالسيف المسلول[5].
* وعلّق الذهبي على حديث ثوبان : «إذا رأيتم الرايات السود من قبل خراسان، فأتوها ولو حبوًا، فإن فيها خليفة الله المهدي»، فقال إنه خبر واه[6].

---

(1) مقدمة المستدرك للحاكم، خطبة الكتاب، ج 1، ص 39، منشورات دار الحرمين للطباعة والنشر، ط 1، 1997.

(2) انظر الرسالة المستطرفة للكتاني، ص 21، والكتاب مطبوع على هامش المستدرك على الصحيحين، منشورات دار الفكر ببيروت، 1398هـ.

(3) رواه أبو داود في كتاب الأقضية.

(4) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، الحديث رقم 7127، وبذيله تلخيص الذهبي، منشورات دار الحرمين للطباعة والنشر، ط 1، 1997.

(5) المصدر نفسه، الحديث رقم 7998.

(6) المصدر نفسه، الحديث رقم 8596.

* وعن الحديث المروي عن أبي ذر عن النبيﷺ أنه سمعه يقول : «إذا بلغت بنو أمية أربعين، اتخذوا عباد الله خولا، ومال الله نحلا، وكتاب الله دغلا»، قال الذهبي إنه منقطع على ضعف رواته، وقد زاد الحاكم في رواية أبي هريرة في هذا الخبر : «هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش»، وذكر أن لهذا الحديث شواهد لم يسعه إلا ذكرها، وأورد قولهﷺ : «إن مروان بن الحكم الوزغ بن الوزغ والملعون بن الملعون»، وضعف الذهبي هذه الأحاديث[1].

هذا وقد أخرج الحاكم من هذا النوع من الأحاديث ما رواه سليمان بن حبيب المحاربي عن أبي هريرة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إذا وقعت الملاحم خرج بعث من الموالي من دمشق، أكرم العرب فرساً وأجودهم سلاحاً، يؤيد الله بهم الدين»[2]. وهو حديث سكت عنه الذهبي. وكذلك حديث خروج السفياني من دمشق وهلاكه الذي رواه ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة. وقد سكت الذهبي أيضا عن الحديث المروي عن معاذ بن جبل : أن الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر. ولم يتعرض كذلك لما روي عن أم سلمة أنه صلى الله عليه وسلم استيقظ من نومه، وفي يده تربة حمراء يقلبها، فسألته، فقال عليه الصلاة والسلام إنها تربة الأرض التي سيقتل فيها الحسين بالعراق.

وكل هذه الأحاديث خرجها الحاكم، وقال إنها صحيحة على شرط الشيخين.

ومن الأحاديث التي أوردها المصنف وسلّم الإمام الذهبي صحتها قصة خلق آدم التي رواها الحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب عن المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول اللهﷺ : «لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال الحمد لله بإذن الله، فقال له ربه : رحمك ربك يا آدم، وقال : يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس، فقل : السلام عليكم، فذهب، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم رجع إلى ربه، فقال : هذه تحيتك وتحية نبيك وبنيهم، فقال الله له، ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت، قال : اخترت يمين ربي، كلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها، فإذا فيها آدم وذريته، فقال : أي رب هؤلاء، فقال : هؤلاء ذريتك، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه، وإذا فيهم رجل أضوؤهم، لم يكتب له إلا أربعين سنة، قال : يا رب زد في عمره، قال : ذاك الذي كُتب له، قال : فإني جعلت له من عمري ستين سنة، قال : أنت

(1) المصدر نفسه، الحديث رقم 8541.

(2) المصدر نفسه، الحديث رقم 8711.

وذاك، قال : اسكن الجنة ما شاء الله، ثم اهبط منها، وكان آدم يعد لنفسه، فأتاه ملك الموت، فقال له آدم قد عجلت، قد كتب لي ألف سنة، قال : بلى، ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة، فجحد، فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، فيومئذ أمر بالكتاب والشهود»[1].

وصحح الذهبي أيضا ما أخرجه الحاكم عن معاوية بن إسحق المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله أذن لي أن أحدث عن ملك رجلاه في الأرض، وعنقه مثبت تحت العرش، وهو يقول : سبحانك ما أعظم ربنا، فيرد عليه : ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبا[2].

وأكد الذهبي صحة الحديث المروي عن ابن عباس، أن جبريل كان يدس الطين في فم فرعون خشية أن يقول لا إله إلا الله، فيرحمه الله[3].

ومن الأحاديث التي أخرجها حديث حميد الأعرج المروي عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يوم كلم الله موسى كان عليه جبة صوف وسراويل صوف، وكُمَّة صوف، وكساء صوف، ونعلان من حمار ميت»[4]، ولكنه قال إن البخاري قال في "التاريخ" أن حميد الأعرج الكوفي منكر الحديث، ومع ذلك فإن الحاكم قال : وهذا حديث كبير في التصوف[5].

وربما صرح أنه ترك بعض الأحاديث بسبب رواية من لا يرتضيه، فعند ما أورد حديث عبد الله بن عمر، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم، قال : «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا»[6]، وقال الحاكم إن له شاهد من حديث محمد بن اسحق

---

(1) المستدرك على الصحيحين للحاكم، الحديث رقم 105 وبذيله تلخيص الذهبي، منشورات دار الفكر، بيروت 1398هـ.

(2) المصدر نفسه، الحديث رقم 7893. والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط، حدثنا محمد بن العباس الأخرم ثنا الفضل بن سهل الأعرج ثنا إسحاق بن منصور ثنا إسرائيل عن معاوية بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة به. وقال : «لم يرو هذا الحديث عن معاوية بن إسحاق إلا إسرائيل، تفرد به إسحاق بن منصور».

وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة 150 وصحيح الترغيب وقال صحيح 1839.

وأخرجه أبو يعلى في مسنده (496/11) قال حدثنا عمرو الناقد حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا إسرائيل عن معاوية بن إسحاق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذن لي أن أحدث عن ملك قد مرقت رجلاه الأرض السابعة، والعرش على منكبه، وهو يقول سبحانك أين كنتَ ؟ وأين تكون ؟».

(3) المصدر نفسه، الحديث رقم 189.

(4) رواه الترمذي في كتاب اللباس وقال حديث غريب.

(5) المصدر نفسه، الحديث رقم 3489.

(6) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة.

وغيره عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وفي حديث عكرمة عن ابن عباس، وقال : وإنما تركته لأن راويه ليس ابن أبي سهم[1].

2. كتاب "معرفة علوم الحديث"[2]

لقد رأينا أن ابن خلاد الرامهرمزي هو أول من جمع المباحث حول آداب الطالب، وأهمية الجمع بين الرواية والدراية، والعناية الفائقة في توضيح ما يلتبس حول معرفة الرواة، وشروط التحمل وضوابطه، لكن الحاكم في كتاب "معرفة علوم الحديث" خطا خطوة جديدة تمثلت في تعميق البحوث التي تناولها ابن خلاد في قواعد ضبط الأسانيد وتصنيف الرواة، ولكن أهم ما قام به كان وضع سُلّم تقويم الأحاديث وأوصافها الاصطلاحية، وبيان صلاحيتها للاحتجاج، فتكلم عن المرسل، والمنقطع، والمعضل، والمدرج، والمشهور، والغريب، والشاذ، والعلل.

ومن مروياته حول الرواية ما ذكر أن عمر بن الخطاب قال لقرظة بن كعب حين ودعه، خارجا إلى العراق : جردوا القرآن، وأقلوا من الرواية[3].

وعقّب عليه بقوله : هذا حديث صحيح الإسناد، له طرق تجمع ويذاكر بها، وقرظة بن كعب الأنصاري صحابي، سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن شرطنا في الصحابة أن لا نطويهم.

ونورد نماذج من كتابه علوم الحديث أحدها يتناول العلل، والثاني في أحاديث تتعلق بمسائل فقهية والثالث في ترتيبه للحفاظ والرابع في تصحيفات رواة الحديث.

أ) علل الحديث وأنواعه العشرة

قال أبو عبد الله : «وإنما يعلل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل، فإن حديث المجروح ساقط واه، وعلة الحديث تكثر في أحاديث الثقات إذ يحدثوا بحديث له

---

(1) المستدرك على الصحيحين للحاكم، الحديث رقم 421، وبذيله تلخيص الذهبي، منشورات دار الفكر، بيروت، 1398هـ.

(2) صدر عن دار إحياء العلوم ببيروت، 1986هـ.

(3) أورد ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر حديث ابن مسعود رضي الله عنه : «جردوا القرآن ليربوا فيه صغيركم ولا ينأى عنه كبيركم». قال ابن الأثير : «أي لا تقرنوا به شيئا من الأحاديث ليكون لوحده مفردا»، انظر ج 1، ص 156.

علة، فيخفى عليهم علمه فيصير الحديث معلولا، والحجة فيه عندنا الحفظ والفهم والمعرفة لا غير».

«وأخبرني أبو علي الحسين بن محمد بن عبدويه الوراق بالري، قال: «ثنا محمد بن صالح الكيليني، قال: سمعت أبا زرعة، وقال له رجل: ما الحجة في تعليلكم الحديث؟ قال: الحجة أن تسألني عنه ولا تخبر بأنك قد سألتني عنه، فيذكر علته، ثم تقصد أبا حاتم فيعلله ثم تميز كلام كل منا على ذلك الحديث، فإن وجدت بيننا خلافا في علته، فاعلم أن كلا منا تكلم على مراده، وإن وجدت الكلمة متفقة فاعلم حقيقة هذا العلم؛ قال: ففعل الرجل فاتفقت كلمتهم عليه، فقال: أشهد أن هذا العلم إلهام»[1]. وهاهي أجناس العلل التي ذكرها المصنف:

فالجنس الأول من أجناس علل الحديث: ما رواه ثقة عمن ليس له سماع منه مثاله: عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «من جلس مجلسا كثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك»[2].

قال أبو عبد الله: «هذا حديث من تأمله لم يشك أنه من شرط الصحيح، وله علة فاحشة، وقال عنه: حدثني أبو نصر أحمد بن محمد الوراق، قال: سمعت أبا حامد أحمد بن حمدون القصار يقول: سمعت مسلم بن الحجاج، وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبّل بين عينيه، وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله، حدثك محمد بن سلام، قال: ثنا مخلد بن يزيد الحزاني، قال: أخبرنا ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبيﷺ في كفارة المجلس فما علته؟ قال محمد بن إسماعيل: هذا حديث مليح ولا أعلم في الدنيا، في هذا الباب غير هذا الحديث، إلا أنه معلول، حدثنا به موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا وهيب، قال: ثنا سهيل عن عون بن عبد الله قوله، قال محمد بن إسماعيل هذا أولى، فإنه لا يذكر لموسى بن عقبة سماعا من سهيل»[3].

---

(1) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص 112-113.

(2) رواه الترمذي في كتاب الدعوات وقال حديث حسن صحيح غريب.

(3) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص 114.

والجنس الثاني من علل الحديث : ماكان بعضه مرسل، وبعضه موصول ومثاله : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد الدوري، قال : ثنا قبيصة بن عقبة عن سفيان عن خالد الحذاء أو عاصم عن أبي قلابة عن أنس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وإن لكل أمة أمينا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة»[1].

قال أبو عبد الله : وهذا من نوع آخر علته، فلو صح بإسناده لأخرج في الصحيح؛ إنما روى خالد الحذاء عن أبي قلابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أرحم أمتي» مرسلا، وأسند ووصل «إن لكل أمة أمينا، وأبو عبيدة أمين هذه الأمة»، هكذا رواه البصريون الحفاظ عن خالد الحذاء وعاصم جميعا، وأسقط المرسل من الحديث وخرج المتصل بذكر أبي عبيدة في الصحيحين»[2].

الجنس الثالث من علل الحديث : ما غلط فيه المدنيون في رواتهم عن الكوفيين ومثاله : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، قال : حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، قال : ثنا ابن أبي مريم، قال : حدثنا محمد بن جعفر [ـ]، ابن أبي كثير عن موسى بن عقبة عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة»[3].

قال أبو عبد الله : وهذا إسناد لا ينظر فيه حديثي، إلا علم أنه من شرط الصحيح والمدنيون إذا رووا عن الكوفيين زلقوا.

حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن هانئ، قال : ثنا يحيى بن محمد بن يحيى، قال : ثنا أبو الربيع، قال : ثنا حماد بن زيد عن ثابت البناني، قال : سمعت أبا بردة يحدث عن الأغر المزني، وكانت له صحبة، قال : قال رسول الله ﷺ : «إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم مائة مرة»[4].

---

(1) رواه الترمذي في كتاب المناقب، وقال حديث حسن صحيح.

(2) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص 114.

(3) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء.

(4) المصدر نفسه.

قال أبو عبد الله : «رواه مسلم بن الحجاج في الصحيح عن أبي الربيع، وهو الصحيح المحفوظ، ورواه الكوفيون أيضا عن مسعر وشعبة وغيرهما، عن عمرو بن مرة عن أبي بردة هكذا»[1].

والجنس الرابع من علل الحديث : ما سقط راو من سنده أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، قال : ثنا أحمد بن محمد بن عيسى القاضي، قال : ثنا أبو حذيفة، قال : ثنا زهير بن محمد عن عثمان بن سليمان عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور»[2].

قال أبو عبد الله : قد خرج العسكري وغيره من المشايخ هذا الحديث في الوُحْدان، وهو معلول من ثلاثة أوجه : أحدهما أن عثمان هو ابن أبي سليمان، والآخر أن عثمان إنما رواه عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه، والثالث قوله سمع النبيﷺ، وأبو سليمان لم يسمع من النبيﷺ، ولم يره، وقد خرَّجت شواهده في التلخيص»[3].

والجنس الخامس من علل الحديث : ما أرسله الراوي وهو موصول عند الجمهور ومثاله : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، قال : ثنا محمد بن نصر، قال : أنا ابن وهب، قال : أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن علي بن الحسين عن رجال من الأنصار أنهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فرمى بنجم فاستنار فذكر الحديث بطوله.

قال الحاكم : علة هذا الحديث أن يونس على حفظه وجلالة محله قصر به، وإنما هو عن ابن عباس، قال : حدثني رجال من الأنصار، وهكذا رواه ابن عيينة ويونس من سائر الروايات وشعيب بن أبي حمزة وصالح بن كيسان والأوزاعي وغيرهم عن الزهري وهو مُخرّج في الصحيح»[4].

والجنس السادس من علل الحديث : ما روى مرة موصولا ومرة بلاغا ومثاله : حدثنا أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن يحيى، قال : ثنا أبو العباس الثقفي، قال : ثنا حاتم بن الليث الجوهري، قال : ثنا حامد بن أبي حمزة السكري، قال : ثنا علي بن الحسين بن واقد، قال : حدثني أبي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن عمر بن

(1) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص 115.

(2) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير من حديث محمد بن جبير عن أبيه.

(3) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص 115.

(4) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص 116.

الخطاب قال : «قلت يا رسول الله ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ قال : كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل عليه السلام إلي فحفّظنيها»[1].

قال أبو عبد الله : لهذا الحديث علة عجيبة ؛ حدثني أبو عبد الله محمد بن العباس الضبي رحمه الله من أصل كتابه، قال : أنا أحمد بن علي بن رزين الفاشاني من أصل كتابه، قال : ثنا علي بن خشرم، قال : ثنا علي بن الحسين بن واقد، قال : بلغني أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله، إنك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن لغة إسماعيل كانت قد درست، فأتاني بها جبريل فحفّظنيها»[2].

والنوع السابع من علل الحديث : ما لوحظ في روايته شك أو انقطاع
ومثاله : حدثنا الشيخ أبو بكر بن إسحاق الفقيه، قال : أخبرنا أبو بكر يعقوب بن يوسف المطوعي، قال : ثنا أبو داود سليمان بن محمد المباركي، قال : ثنا أبو شهاب عن سفيان الثوري عن الحجاج بن قرافصة عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : «المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم»[3].

قال أبو عبد الله : وهكذا رواه عيسى بن يونس ويحيى بن الضريس عن الثوري فنظرت فإذا له علة ؛ أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي بمرو، قال : ثنا أحمد بن سيار، قال : حدثنا محمد بن كثير، قال : ثنا سفيان الثوري عن الحجاج بن القرافصة عن رجل عن أبي سلمة، قال سفيان، أراه ذكر أبا هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : «المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم»[4].

الجنس الثامن من علل الحديث : ما قيل أن التابعي لم يسمعه من الصحابي، ومثاله : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، قال : حدثنا محمد بن إسحق الصاغاني، قال : ثنا ر وح بن عبادة، قال : حدثنا هشام بن أبي عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر عند أهل بيت، قال : «أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار ونزلت عليكم السكينة»[5].

---

(1) لم أقف عليه.

(2) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص 116.

(3) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة وقال حديث غريب.

(4) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص 117.

(5) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين وفيه «وتنزلت عليكم الملائكة».

قال أبو عبد الله : قد ثبت عندنا من غير وجه رواية يحيى بن أبي كثير عن أنس بن مالك إلا أنه لم يسمع منه هذا الحديث وله علة. أخبرنا أبو العباس قاسم ابن القاسم السياري وأبو محمد الحسن بن حليم المروزيان بمرو، قالا : حدثنا أبو الموجه، قال : أخبرنا عبدان، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك، قال : أخبرنا هشام عن يحيى بن أبي كثير، قال : حدثت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أفطر عند أهل بيت، قال : «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة»[1].

والجنس التاسع من علل الحديث : ما روي بسند واشتهر بسند غيره، ومثاله: أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي، قال : ثنا يحيى بن عثمان بن صالح السهمي، قال : ثنا سعيد بن كثير بن عفير، قال : حدثني المنذر بن عبد الله الحزامي عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمران أن رسول اللهﷺ كان إذا افتتح الصلاة، قال : «سبحانك اللهم تبارك اسمك وتعالى جدك»[2]، وذكر الحديث بطوله.

فيه. حدثنا أبو جعفر محمد بن عبيد الله العلوي النقيب بالكوفة، قال أبو عبد الله : لهذا الحديث علة صحيحة والمنذر بن عبد الله أخذ طريق المجرة قال : حدثنا الحسين بن الحكم الحبري، قال : حدثنا غسان، مالك بن إسماعيل، قال : ثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، قال : ثنا عبد الله بن الفضل عن الأعرج عن عبيد الله ابن أبي رافع عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا افتتح الصلاة، فذكر الحديث بغير هذا اللفظ وهذا مخرّج في صحيح مسلم[3].

الجنس العاشر من علل الحديث : «ما روي عن صحابي وثبت أنه أفتى بخلافه، ومثاله : أخبرنا أحمد بن علي بن الحسن المقرئ، قال : حدثنا أبو فروة يزيد بن محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي، قال : ثنا أبي عن أبيه عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من ضحك في صلاته يعيد الصلاة ويعيد الوضوء».

قال أبو عبد الله الحاكم : لهذا الحديث علة صحيحة : أخبرنا أبو الحسين علي بن عبد الرحمن السبيعي بالكوفة قال : ثنا إبراهيم بن عبد الله العبسي، قال : ثنا وكيع عن

---

(1) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(2) رواه النسائي في كتاب الافتتاح من حديث أبي سعيد الخذري.

(3) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص 118.

الأعمش عن أبي سفيان قال : سُئل جابر عن الرجل يضحك في الصلاة، قال : يعيد الصلاة ولا يعيد الوضوء.

قال أبو عبد الله : «فقد ذكرنا علل الحديث على عشرة أجناس وبقيت أجناس لم نذكرها وإنما جعلتها مثالا لأحاديث كثيرة معلولة ليهتدى إليها المتبحر في هذا العلم فإن معرفة علل الحديث من أجَلِّ هذه العلوم»[1].

ب) زيادة ألفاظ فقهية في أحاديث يتفرد فيها بالزيادة راو واحد

1. منها حديث : «أي العمل أفضل ؟ قال : الصلاة في أول وقتها، قال : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله، قال : ثم أي ؟ قال : «بر الوالدين»[2]. رواه جماعة عن مالك بن مغول وكذلك عن عثمان بن عمر ولم يذكر أول الوقت غير بندار بن بشار والحسن بن مكرم وهما ثقتان.
2. حديث : «من شرب في إناء من فضة»[3] (أو فيه شي من ذلك)، لم يُرْو إلا عن زكريا بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع عن أبيه عن جده.
3. حديث : «صاع القمح في زكاة الفطر»[4]، لم يرو إلا عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، تفرد به عن عبد الله بن عمر عن نافع.
4. زيادة "حك الفخذ" في مس الذكر تفرد بها عبد الله بن رجاء عن همام بن يحيى وهما ثقتان.

---

(1) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص 119.

(2) في رواية البخاري في كتاب مواقيت الصلاة قال : حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك قال : حدثنا شعبة قال الوليد ابن العيزار أخبرني قال : سمعت أبا عمرو الشيباني يقول : حدثنا صاحب هذه الدار وأشار إلى دار عبد الله قال : «سألت النبي صلى اللهم عليه وسلم : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها قال : ثم أي ؟ قال : ثم بر الوالدين قال : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله قال : حدثني بهن ولو استزدته لزادني».

(3) روى الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار قال : حدثنا يونس حدثنا حماد يعني ابن زيد عن أيوب وعبد الرحمن يعني السراج عن نافع عن زيد بن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم : «من شرب في إناء من فضة فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم».

(4) روى الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار قال : حدثنا عفان قال سألت حماد بن زيد عن صدقة الفطر فحدثني عن نعمان بن راشد عن الزهري عن ثعلبة بن أبي صعير أن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم قال : «أدوا صاعا من قمح أو صاعا من بر وشك حماد عن كل اثنين صغير أو كبير ذكر أو أنثى حر أو مملوك غني أو فقير أما غنيكم فيزكيه الله وأما فقيركم فيرد عليه أكثر مما يعطي».

5. حديث : «كل صلاة لم يقرأ فيهابفاتحة الكتاب فهي خداج... فإذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم...»[1]، انفرد بها آدم بن أبي إياس عن ابن سمعان.

6. حديث : «إن السه وكاء العين، فمن نام فليتوضأ»[2]، انفرد بها إبراهيم بن موسى الرازي الفراء قال ثنا بقية عن الوضين بن عطاء عن محفوظ بن علقمة عن عبد الرحمن بن عائذ عن علي بن أبي طالب.

7. حديث : «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة»[3] قيل ولا ركعتي الفجر، قال : ولا ركعتي الفجر، انفرد بالزيادة نصر بن حاجب عن مسلم بن خالد.

8. عن ابن خزيمة عن أبي علي الحافظ : «أي إمرأة نكحت بغير إذن وليها وشاهدي عدل، فنكاحها باطل فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له»[4]. زيادة الشاهدين انفرد بها أبو علي.

9. وتر الإقامة : قد قامت الصلاة، انفرد به سماك بن عطية البصري.

10. حديث منع بيع التمر حتى يزكى، وزيادة «أريت إن منع الله الثمرة فبم يستحل أحدكم مال أخيه»[5]، انفرد بها مالك وقيل إنها من قول أنس. وقال ابن خزيمة : رأيت مالكا في المنام فقلت أحدثكم حميد الطويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أريت....»، قال : نعم.

---

(1) روى الإمام أحمد في باقي مسند المكثرين قال : حدثنا سفيان أخبرني العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي في بيته على فراشه عن أبيه عن أبي هريرة «أيما صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثم هي خداج» ثم هي خداج قال قال أبو هريرة وقال قبل ذلك حبيبي عليه الصلاة والسلام قال : فقال يا فارسي اقرأ بفاتحة الكتاب فإني سمعت رسول الله صلى اللهم عليه وسلم يقول : قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي وقال مرة لعبدي ما سأل فإذا قال : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ قال حمدني عبدي فإذا قال : ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ قال مجدني عبدي أو أثنى علي عبدي فإذا قال : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ قال فوض إلي عبدي فإذا قال : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ قال فهذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل وقال مرة ما سألني فيسأله عبده ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ قال هذا لعبدي لك ما سألت وقال مرة ولعبدي ما سألني».

(2) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

(3) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(4) روى الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار قال : حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا جعفر بن ربيعة عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم : «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فإن أصابها فلها مهرها بما أصاب من فرجها وإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له».

(5) رواه البخاري في كتاب البيوع ومسلم في كتاب المساقاة والنسائي في كتاب البيوع.

ج) ترتيبه للحفاظ في معرفة علوم الحديث

1. محمد بن شهاب الزهري : قال عنه مكحول : ما رأيت أحدا أعلم بسنة ماضية من الزهري. روى عنه مالك : إن هذا العلم أدب الله الذي أدّب به نبيهﷺ، وأدب النبيﷺ أمته به، وهو أمانة الله إلى رسوله ليؤدى على ما أدي إليه، فمن سمع علما فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين نبيه. ومن آرائه منع تخليل الخمر ليكون مُرَبا[1].

2. يحيى بن سعيد الأنصاري : قيل لأيوب : من أفقه من خلفت في المدينة ؟ قال يحيى بن سعيد. وقال عبد الله بن عمر : كان يحيى بن سعيد يحدث كأنما ينسج اللؤلؤ[2].

3. عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي : «قال عنه موسى بن بشار صاحب مكحول : ما رأيت أحداً قط أحدّ نظراً، ولا أنقى للغل عن الإسلام من الأوزاعي. قال الأوزاعي : يترك من أقوال أهل العراق خمس، ومن الحجاز خمس فمن أقوال أهل العراق : شرب المسكر، والأكل عند الصبح في رمضان، وقصر الجمعة في سبعة أمصار، وتأجيل العصر، والفرار يوم الزحف، ومن أقوال أهل الحجاز سماع الملاهي، والجمع بين الصلاتين إلا لعذر، والمتعة بالنساء، والدرهم بالدرهمين، والدينار بالدينارين يدا بيد، وإتيان النساء في أدبارهن.

وروى ما حدث به عن أيوب السختياني : إذا حدثت الرجل الحديث، وقال : «دعنا وأمر هذا وأجبنا عن القرآن» فأعلم أنه ضال. قال الأوزاعي : السنة جاءت قاضية على الكتاب، ولم يجئ الكتاب قاضيا على السنة[3].

4. سفيان بن عيينة الهلالي : قال الشافعي : «ما رأيت أفقه من ابن عيينة، وأسكت عن الفتيا منه»، كان يقول : «يا أصحاب الحديث تعلموا فقه الحديث، لا يقهركم أصحاب الرأي. وكان يرى لزوم المواساة للأمة»[4].

5. عبد الله بن المبارك الحنظلي : «قال عنه العباس بن مصعب : جمع الحديث والفقه والعربية، وأيام الناس والشجاعة والتجارة والسخاء والمحبة عند الفرق»[5].

---

(1) معرفة علوم الحديث للحاكم، ص 63.

(2) المصدر السابق، ص64.

(3) المصدر السابق، ص 65.

(4) المصدر السابق، ص 65.

(5) المصدر السابق، ص 66.

6. يحيى بن سعيد القطان : قال ابن حنبل : «ما كتبت عن مثل يحيى بن سعيد»[1].

7. عبد الرحمن بن مهدي : «قال علي بن المديني : لو أُخِذْت وحُلِّفتُ بين الركن والمقام، لحلفت بالله أني لم أر أحداً قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي. نبه ابن حنبل على تصحيف ورد في حديثه وهو أن أبا بكر نحل عائشة جُداد عشرين وسقا من ماله بالغابة والصواب بالعالية»[2].

8. يحيى بن يحيى التميمي أبو زكرياء النيسابوري : قال اسحق بن أبي إبراهيم الحنظلي : ما رأيت مثل يحيى بن يحيى ولا يحيى رأي مثل نفسه. ويقول يحيى ابن محمد : ما رأيت محدثاً أورع من يحيى بن يحيى ولا أحسن لباساً، كان يسجد على كم قميصه في الحر[3].

9. أحمد بن حنبل : قال الشافعي : «خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد من أحمد. كان يقول إن تكفير اللحاء ركعتان»[4].

10. علي بن عبد الله بن جعفر المديني : وقال عنه الحاكم : «إن ذكر مؤلفاته يدل على تبحره في هذه العلوم وتقدمه وكماله. ويبدو من قول الحاكم أن ابن المديني كان في طليعة من ألف في علوم الحديث، فعُني بثلاثة مواضيع استأثرت باهتمامه، وصنف فيها أكثر كتبه، وهي : علم الرجال، والعلل، والرواية.

أ) ففي علم الرجال، له كتاب وثائقي بعنوان ″أول من كتب في الرجال″، جزء واحد، وكتاب ″يحيى وعبد الرحمن في الرجال″، وكتاب ″الأسامي والكنى″، ثمانية أجزاء، وكتاب ″الكنى″، خمسة أجزاء، وكتاب ″الأسامي الشاذة″، ثلاثة أجزاء، وكتاب ″من يعرف باللقب″، جزء واحد، وكتاب ″من يعرف باسمه دون أبيه″، جزءان، وكتاب ″الإخوة والأخوات″ في ثلاثة أجزاء[5]، و″تسمية من روي عنه من أولاد العشرة″، وقد طبع في الكويت بتحقيق علي محمد حجاز.

---

(1) المصدر السابق، ص 67.

(2) المصدر السابق، ص 68.

(3) المصدر السابق، ص 69.

(4) المصدر السابق، ص 70.

(5) راجع كتاب ″الرواة من الإخوة والأخوات″ له ولأبي داود، تحقيق واستدراك باسم فيصل الجوابره، دار الراية، الرياض.

وله كتاب "من نزل من الصحابة سائر البلدان"، خمسة أجزاء، وكتاب "الثقات المثبتين" عشرة أجزاء، وكتاب "المدلسين" خمسة أجزاء، وكتاب "الضعفاء"، عشرة أجزاء، وكتاب "من لا يحتج بحديثه ولا يلفظ"، وكتاب "الطبقات"، عشرة أجزاء، و"**سؤالات ابن أبي شيبة في الجرح والتعديل**" وقد طبع بتحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، وكتاب "التاريخ" وكتاب "قبائل العرب" ويقع كل منهما في عشرة أجزاء.

ب) ولقد كان ابن المديني كذلك من أول من صنف في علل الحديث التي ألف فيها أربعة كتب، وهي : "علل المسند" في ثلاثين جزءا، و"علل حديث إسماعيل القاضي" في أربعة عشر جزءا، و"علل حديث ابن عيينة" في ثلاثة عشر جزءا، وكتاب "العلل المتفرقة" في ثلاثين جزءا أيضاً.

وقد طبعت له قطعة من كتاب "**العلل**" بتحقيق محمد مصطفى الأعظمي، وكتاب "**علل الحديث ومعرفة الرجال**" بتحقيق عبد المعطي أمين قلعجي.

ج) وله في الرواية ثلاثة كتب، وهي : كتاب "من روى من رجل لم يره"، جزء واحد ؛ وكتاب "العرض على المحدث" جزئان ؛ وكتاب "من حدث ثم رجع". وله كتابان في اختلاف الحديث وشرح غريبه وكلاهما في خمسة أجزاء[1].

11. يحيى بن معين : «صاحب "الجرح والتعديل". كان لا يرى حدا أدنى للمهر. وسئل عنه فساق حديثه عن أبي الزبير عن جابر مرفوعا: لو أن رجلا تزوج امرأة على ملء كف من الطعام لكان ذلك صداقها»[2].

12. إسحق بن إبراهيم الحنظلي : روى حديث ابن عباس : «كان النبي يلحظ في صلاته، ولا يلوي عنقه خلف ظهره». قال رجل أمام ابن حنبل إن وكيعا رواه خلاف هذا، فقال أحمد بن حنبل: اسكت، إذا حدثك أبو يعقوب أمير المؤمنين فتسمك به.

أخبرنا أبو زكرياء العنبري قال حدثنا أحمد بن محمد بن الأزهر قال سمعت أبي يقول سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول كنت عند عبد الله بن إدريس، وعنده جماعة من أهل الكوفة وأهل الحجان، فجرى ذكر المسكر فحرّمه الحجازيون، وجعل أهل الكوفة يحتجون لتحليله. قال بعضهم : حدثنا أبو اسحق عن سعيد بن ذي لعوة عن علي في الرخصة، والله ما يحتجون عن المهاجرين ولا عن الأنصار ولا عن أبنائهم وإنما

(1) المصدر السابق، ص 71.

(2) المصدر السابق، ص 72.

يحتجون به عن العميان، والعوران، والعرجان والعمشان والحولان. قال أبو بكر بن عباس أبو إسحاق سعيد بن ذي لعوة، الماص بظر أمه، كان يشتم عثمان»[1].

13. **محمد بن يحيى الهذلي :** كان ابن حنبل يقوم له ويأمر أن يكتب عنه. كان يقول إن الناس يرون الله في الآخرة بأبصارهم. ويرى الوضوء من مس الذكر استحباباً لا وجوبا. صحف عنه أبو نعيم في حديثه : «إن الله حبس عن مكة القتل، وهو الفيل»[2].

14. **الإمام محمد بن إسماعيل البخاري :** قال أبو بكر محمد بن إسحق ابن خزيمة : ما رأيت تحت أديم هذا السماء أعلم بالحديث من البخاري. كتب له أهل بغداد :

المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد»[3].

15. **أبو زرعة عبد الله بن عبد الكريم :** «روى أن أهل الري سألوا قتيبة بن سعيد أن يحدثهم، فقال : أحدثكم بعد أن حضر مجلسي أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وعلي بن المديني وأبو بكر بن أبي شيبة وأبو خيثمة. قالوا إن عندنا غلاما يسرد كل ما حدثت به مجلسا مجلسا، قم يا أبا زرعة، فقام فسرد كل ما حدث به قتيبة، فحدثهم قتيبة»[4].

16. **أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي :** «قال أحمد بن سلمة : ما رأيت بعد اسحق ومحمد بن يحيى أحفظ للحديث، ولا أعلم بمعانيه من أبي حاتم محمد بن إدريس. قال أبو حاتم في حديث يا أبا عمير : 1. مازح صبيا، 2. لم ينه عن لعب الصبي بالطير، 3. كنى من لم يولد له، 4. لم ينه عن صيد وحش المدينة، 5. صغر الطير، وهو خلق من خلق الله»[5].

17. **إبراهيم بن إسحق الحربي :** «روى الحاكم عن القاضي محمد بن صالح : لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل إبراهيم بن إسحق الحربي في الأدب والفقه والحديث والزهد، وأن له كتاباً في غريب الحديث لم يسبق له. وله بحث في إسناد حديث : «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»[6].

---

(1) المصدر السابق، ص 73.

(2) المصدر السابق، ص 73.

(3) المصدر السابق، ص 74.

(4) المصدر السابق، ص 75.

(5) المصدر السابق، ص 76.

(6) المصدر السابق، ص 77.

18. مسلم بن الحجاج القشيري : «نظر إليه إسحق بن إبراهيم الحنظلي وقال : "مرد كامل بود" (ما أعظم هذا الرجل). كان يقول حديث الشُّعَبِ نسخ حديث الماء من الماء»[1].

19. أبو عبد الله عمر بن إبراهيم العبدي البوشنجي : «سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق يقول لو لم يكن في أبي عبد الله البوشنجي من البخل في العلم ما كان وكان يعلمني ما خرجت إلى مصر»[2].

20. عثمان بن سعيد الدارمي : «روي عن أبي الفضل ابن إسحق : ما رأينا مثل عثمان بن سعيد ولا عثمان مثل نفسه. أخذ الأدب عن ابن الأعرابي، والفقه عن أبي يعقوب البويطي، والحديث عن ابن معين وابن المديني وتقدم في هذه العلوم كلها. له حديث في صفة الرفع، محل خلاف لأن من رواته يزيد بن أبي زياد المكي، وقد ضعفه ابن معين»[3].

21. أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي : «قال عمر بن عبد الحكم إنه إمام عندهم فكيف بخراسان. وكان محمد بن يحيى إذا سئل عن مسألة يقول : سلوا أبا عبد الله. ذكر أنه لا يتكلم بغير العلم. وقيل له هل وعظت أباك لما سمع عنه، فقال لا أفسد مروءتي بصلاحه. مصنفاته في فقه الحديث تزيد على ستمائة جزء، وعند الحاكم من موسوعاته مائة جزء»[4].

22. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي : يقول الحاكم : «سمعت أبا علي الحافظ غير مرة يذكر أربعة من أئمة المسلمين، يبدأ بأبي عبد الرحمن. قال مأمون المصري الحافظ خرجنا مع أبي عبد الرحمن سنة إلى طرسوس للغداء فاجتمع جماعة من مشايخ الإسلام، واجتمع من الحفاظ عبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن إبراهيم، ومربع، وكليجة، فتشاوروا من ينتقى لهم على الشيوخ، فاجتمعوا على أبي عبد الرحمن، وكتبوا لهم بانتخابه.

أثنى الحاكم على كتاب "السنن"، وقال إن النسائي خرج من مصر إلى دمشق وسئل عن معاوية، وما روى من فضائله فقال : لا يرضى معاوية رأسا برأس

---

(1) المصدر السابق، ص 78.

(2) المصدر السابق، ص 79.

(3) المصدر السابق، ص 80.

(4) المصدر السابق، ص 81.

حتى يفضل ؟ فما زالوا يدفعون في خصييه حتى أخرج من المسجد. قال علي بن عمر الحافظ : أبو عبد الرحمن مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره»[1].

23. **أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة :** «قال عنه ابن شريح : يخرج النكت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنقاش. مصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتابا، ما عدى المسائل المصنفة، وهي أكثر من مائة جزء منها، فقه حديث بريرة ثلاثة أجزاء، ومسألة الحج خمسة أجزاء. ومن كلامه : من صام الدهر ضيقت عليه جهنم، قال : عليه بمعنى عنه. من لم يقل بالاستواء فهو كافر. حديث عمار : يدل على أن من نازع عليا بن أبي طالب فهو باغ. ليس لأحد قول مع النبي صلى الله عليه وسلم إذا صح الخبر، وإنما كان يقول سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ليعلم أنه مات عليها»[2].

د) تصحيفات بعض المحدثين

وقد ذكر بعض التصحيفات في الحديث منها :

يقول الإمام الشافعي إن الإمام مالكاً صحف عمر بن عثمان، وهو عمرو، وكان الإمام مالك يصر على عمر، ويشير إلى داره في المدينة في حديث أسامة بن زيد في الفرائض، وقال الشافعي أيضاً إنه صحف اسم جبر بن عتيك فسماه جابراً، وصحف عبد الملك بن قريب، فجعله عبد العزيز بن قريب، ويقول الحاكم إن الشافعي وهم في هذه التخطئة لأن مالكاً لم يرو عن الأصمعي، وإنما روى فضلاً عن عبد العزيز بن قريب.

وروى الحاكم أن أبا حنيفة روى حديث النهي عن متعته في مكة عن الزهري عن سبرة بن الربيع، وهو الربيع بن سبرة، وأن شعبة بن الحجاج صحف في حديث النهي عن الدباء والمزفت، فرواه عن مالك بن عرفطة عن عبد قيس عن عائشة، ولكن أحمد بن حنبل قال عنه هو خالد بن علقمة.

ومن تصحيفات متون الحديث وسوء فهمها، ما ذكره الحاكم «أن أعرابياً بعدن اليمن قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى نصب بين يديه شاة، تفسيراً للعنزة المذكورة في الحديث، وهي العصا»[3].

---

(1) المصدر السابق، ص 82.

(2) المصدر السابق، ص 83.

(3) المصدر السابق، ص 148.

الفصل الثاني

الخطيب البغدادي (392-463هـ)

1. حياته

وُلد الإمام الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، مُحدّث العراق والشام، في أواخر القرن الرابع الهجري وامتدّت به الحياة إلى بعد منتصف القرن الخامس. بدأ سماعه في الحادية عشر من عمره في بغداد، ورحل إلى البصرة لمّا أكمل العشرين ثم إلى نيسابور وأصبهان. وقرأ على مجموعة من المُحدّثين من أشهرهم : الحافظ البُرقاني، وأبو نعيم الأصفهاني، وأبو سعد الماليني، وأبو بكر الحيري، وقيل إنه قرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد المروزية في خمسة أيام.

وفي آخر أيامه رحل إلى الشام، فحدّث فيها كثيراً، ثم عاد إلى بغداد حيث توفي سنة أربعمائة وثلاث وستين. ومن أبرز الرواة عنه شيخه الحافظ البُرقاني، وأبو الفضل بن خيرون، وأبو عبد الله الحُميدي الأندلسي، صاحب "الجمع بين الصحيحين"، وعبد العزيز الكناني وأبو نصر بن ماكولا، مؤلف "كتاب الرجال".

ومن أشهر مؤلفاته "موسوعة تاريخ بغداد" الذي قدم فيه تراجم ضافية لكل من قطن بغداد أو زارها من مشاهير الأعيان.

وقد صنّف نحواً من مئة كتاب، صارت عمدة لأصحاب الحديث حتى قال ابن نقطة أن جميع المحدثين بعده عالة عليه، ومن أشهر ما ألف في علوم الحديث كتاب "الجامع لآداب الراوي والسامع"، و"تمييز المزيد في متصل الأسانيد"، وكتاب "الفصل في المدرج من الوصل"، وكتاب "أخبار من حدّث ونسي"، وكتاب "تقييد العلم"، وكتاب "الكفاية في علم الرواية" وهو الذي سنتناوله بالبحث نظراً لأنه كان امتداداً لما كتبه الحاكم وابن خلاّد[1].

---

(1) انظر ترجمته في طبقات الشافعية، 12/3، والنجوم الزاهرة، 87/5، ووفيات الأعيان، 27/1، والأعلام للزركلي، 172/1، وترجمة مفصلة جامعة من مختلف مصادرها في ختام كتاب الكفاية في علم الرواية.

2. حال طلبة الحديث في عهده وأثرها في تأليف كتاب الكفاية

بيّن البغدادي أولا في مستهل كتابه مكانة السنة في الخطاب الإلهي، وذكر بمقارنة طاعة الله بطاعة رسوله، وهذا ما أكّده في الباب الأول من مصنّفه حيث أورد الحديث المشهور، وهو قولهﷺ : «لا ألفين أحدكم مُتّكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتّبعناه»[1]، وحديث الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : «كان جبريل ينزل على رسول اللهﷺ بالسّنة كما ينزل عليه بالقرآن ويعلمه إياها كما يعلّمه القرآن»[2].

وبعد التشديد على الكذب على النبيﷺ أو تكذيبه، استعرض المُصنّف أحوال طلبة الحديث في عهده الذين انحرفوا عن سلك المتقدمين، فقال : في التعريض بهم." وقد استفرغت طائفة من أهل زمامنا وسعها في كتب الأحاديث، والمثابرة على جمعها من غير أن يسلكوا مسلك المُتقدّمين، وينظروا السلف الماضين في حال الراوي والمروي، وتمييز سبيل المرذول والمرضي، واستنباط ما في السنن من الأحكام، وإثارة المستودع فيها من الفقه بالحلال والحرام، بل قنعوا من الحديث باسمه، واقتصروا على كَتْبه في الصحف ورسمه، فهم أغمار، وحملة أسفار، قد تحمّلوا المشاق الشديدة، وسافروا إلى البلدان البعيدة، وهان عليهم الدأب والكلال، واستوطئوا مركب الحل والارتحال، وبذلوا الأنفس والأموال، وركبوا المخاوف والأهوال، شعث الرؤوس، شحب الألوان، خمص البطون، نواحل الأبدان، يقطعون أوقاتهم بالسير في البلاد طلبا لما علا من الإسناد، لا يريدون شيئا سواه، ولا يبتغون إلا إياه، يحملون عمن لا تثبت عدالته، ويأخذون ممّن لا تجوز أمانته، ويروون عمن لا يعرفون صحة حديثه، ولا يتيقن ثبوت مسموعه، ويحتجون بمن لا يحسن قراءة صحيفته، ولا يقوم بشيء من شرائط الرواية، ولا يُفرّق بين السماع والإجازة، ولا يميز بين المُسند والمُرسل والمقطوع والمُتّصل، ولا يحفظ اسم شيخه الذي حدّثه حتى يستثبته من غيره، ويكتبون عن الفاسق في فعله، المذموم في مذهبه، وعن المبتدع في دينه، المقطوع على فساد اعتقاده، ويرون ذلك جائزاً، والعمل بروايته واجباً، إذا كان السماع ثابتاً، والإسناد متقدماً عالياً»[3].

(1) رواه الترمذي في كتاب العلم وقال حديث حسن صحيح.

(2) رواه الدارمي في سننه، كتاب المقدمة.

(3) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، ص 3 وما بعدها.

ثم تعرض لنتائج عملهم، ممّا كان سبباً في الطعن على أهل الحديث فقال : «فجرّ هذا الفعل منهم الوقيعة في سلف العلماء، وسهّل طريق الطعن عليهم لأهل البدع والأهواء، حتى ذم الحديث وأهله بعض من ارتسم بالتقوى في الدين، ورأى عند أصحابه بنفسه أنه أحد الأئمة المجتهدين، بعزوفه عن الآثار إلى الرأي المرذول، وتحكمه في الدين برأيه المعلول.

وذلك منه غاية الجهل، ونهاية التقصير عن مرتبة الفضل، ينتسب إلى قوم تهيّبوا كد الطلب ومعاناة ما فيه من المشقة والنصب، وأعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، واختلفت عليهم الأسانيد فلم يضبطوها، فجانبوا ما استثقلوا، وعادَوْا ما جهلوا، وآثروا الدعة، واستلذوا الراحة، ثم تصدّروا في المجالس قبل الحين الذي يستحقونه، وأخذوا أنفسهم بالطعن على العلم الذي لا يحسنونه، إن تعاطى أحدهم رواية حديث فَمِن صحف ابتاعها، كُفِي مؤونة جمعها، من غير سماع لها، ولا معرفة بحال ناقلها، وإن حفظ شيئا منها خلط الغث بالسمين، وألحق الصحيح بالسقيم، وإن قلب عليه إسناد خبر، أو سُئل عن علة تتعلق بأثر، تحيّر واختلط، وعبث بلحيته وامتخط، تورية عن مستور جهالته، فهو كالحمار في طاحونته، ثم رأى ممن يحفظ الحديث ويعانيه، ما ليس في وسعه الجريان فيه، فلجأ إلى الإزدراء بفرسانه، واعتصم بالطعن على الراكضين في ميدانه»[1].

3. كلامه في الجرح والتعديل

لم يتوسع الخطيب في الكلام عن أوصاف الحديث، حيث اقتصر على ذكر المُسند والمُرسل، والمنقطع والموقوف، ولكنه بسط القول في الجرح والتعديل، وذكر الاتفاق على عدالة الصحابة، وشرح ضوابط ثبوتها، وبيّن حكم الجرح لتوثيق الرواية، قائلاً : إن حديث الرسول عليه الصلاة والسلام لا يُحمل إلا عن ثقة، وذكر أن يحيى بن معين كان من السّابقين في تقويم الرجال والجرئة على تجريح الرواة، حتى قال فيه بكر بن حمّاد التاهرتي :

ولابن مَعينٍ في الرّجالِ مَقَالَةٌ   سيُسأل عنها والمليك شهيدُ
فإن تَكُ حقاً فَهْيَ فِي الحُكْمِ غِيْبَةٌ   وإن تك زُوراً فالقصاص شَدِيد[2]

(1) الكفاية، ص 4 وما بعدها.

(2) الكفاية، ص 38.

ولكنه دافع عن جواز الجرح للتثبت من الأخبار النبوية التي هي أصول الدين، فوجب البحث عن أحوال رواتها وتبيين من ليس بثقة. واعتمد الخطيب في وضع سُلّم العدل والترجيح ما نقله عن أبي حاتم الرازي، فقال : «إن أول مراتب العدالة أنه إذا قيل للواحد أنه "ثقة أو متقن" فهو ممن يُحتج بحديثه، وإذا قيل إنه "صدوق" أو محله الصدق، أو لا بأس به" فهو ممّن يُكتب حديثه ويُنظر فيه، وهي المنزلة الثانية. وإذا قيل "شيخ" فهو بالمنزلة الثالثة يُكتب حديثه للاعتبار، وإذا أجابوا في الرجل "بلين الحديث" فهو ممن يُكتب حديثه إلا أنه دونه. وإذا قالوا "ضعيف الحديث"، فهو دون الثاني لا يطرح حديثه بل يعتبر به. وإذا قالوا "متروك الحديث أو ذاهب الحديث أو كذاب" فهو ساقط الحديث لا يكتب حديثه، وهي المنزلة الرابعة. ومن طرائف ما نقل، قول أبي عبد الله محمد بن الصوري يعني نفسه :

فِــي جِـــدّ وفــي هـــزل إذا شئـ	ـت وجِدّي أضعاف أضعاف هَزْلِي
عــاب قَــوْمٌ عــلــيّ هــذا ولجُّوا	فـي عتـابي وأكـثروا فيه عَذْلِي
قُلْتُ مَـهْـلاً لا تغـرقوا فـي مَلامِي	واحكمُـوا لـي فيكم بغَالِبِ فِعْلِي
أنَــا راضٍ بِحُكْمِكُـمْ إنْ عدلْـتُمْ	رُبّ حُكْمٍ يَمْضِي عَلَى غَيْرِ عَـدْلِ
فَإذَا كَـانَ غَـالِبُ الأَمْـرِ مـن فِعْــ	لِـي سَدَاداً تنسى نَوَادِرُ جَـهْـلــي
فَأنَا العدلُ غـيـر شك لدى الأقــ	وام يَـقْـضِـي بِـذَا كُـلّ عَـدْلِ
وَبِــهَــذَا أفْــتَــى فَــقِــيهٌ جَلِيـلٌ	سيّـدٌ مَـاجِـدٌ عـظيـمُ المَحَــلِّ
نَجْلُ إدرِيسَ مَعْدِنُ العِلْمِ والحُكْـ	ــمِ خليـقُ العليـاء أكرَمُ نَـجْـلِ
وَبِــهِ قَـالَ ابـن المُبَــارَكِ عبد الــ	ــلـه ذُو الفضل والمكـان الأجَـلِّ
وَهُوَ قـولُ الإمَام أحْـمَـدَ مَنْ بـعـ	ــد وَمَــنْ ذا يُرْبِي عَليه بِفَضْـلِ
رحْمَـةُ اللــهِ والسّــلامُ عَلَيْـهِـــمْ	أبـدا مـا استـهلَّ صـوبٌ بِهَطْـلِ»[1].

4. رأيه فيمن ترد روايته

استعرض الإمام الخطيب عشرة أنواع من الجرح لا تقبل رواية أهلها، نلخصها فيما يلي :

(1) الكفاية، ص 80.

أ) رواية من عُرف بالكذب : قال سفيان الثوري : من كذب في الحديث افتضح. ويقول أبو نعيم : من منهم يكذب افتضح[1].

ب) من حدّث عن رجل لم يدركه : ويقول عبد الله بن الزبير الحُميدي إن من حدّث عن رجل لم يدركه، وعن رجل أدركه و لم يسمع منه، أو بأمر يبين عليه في ذلك كذب فلا يجوز حديثه أبداً. وذكر أن أحمد ابن حنبل سُئل عن مُحدّث كذب في حديث واحد ثم تاب ورجع، قال توبته فيما بينه وبين الله تعالى ولا يُكتب حديثه أبداً[2].

ج) من غلب عليه الشواذ والمناكير : وتُرد رواية من غلب على حديثه الشواذ ورواية المناكير والغرائب من الأحاديث، وأورد قول أبي يوسف يعقوب ابن إبراهيم القاضي : من اتّبع غريب الحديث كذب، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب الدّين بالكلام تزندق.

وكان أحمد ابن حنبل يقول : شرُّ الحديث الغرائب التي لا يُعمل بها، ولا يُعتمد عليها. ويقول إبراهيم بن عبلة : من حمل شاذ العلماء حمل شراً كبيراً. ويقول شعبة : لا يجيئك الحديث الشاذ إلا من الرجل الشاذ. ويقول محمد بن إسحق، وهو ابن خزيمة : قد كتبنا عن هذا الشيخ، وهو يعني أبا يحيى الوقار المصري، ثم تركت حديثه لغلبة المناكير عليه[3].

د) المُغفّلون : وروى عن ابن عباس أنه لا يكتب عن الشيخ المُغفّل. وذكر أن أبا علي صالح بن محمد كان يقول : محمد بن خالد بن عبد الله الطحّان صدوق، ولكنه مُغفّل، وقد كتب والده أحاديث، فجعل يحدث بها حتى قيل له إن هذه الأحاديث لم يسمعها أبوك[4].

هـ) الرُّواة الذين عُرفوا بقبول التلقين : ومن أمثلة ذلك عن سفيان بن عيينة قال : حدّثنا يزيد بن أبي زياد بمكة عن عبد الله بن أبي ليلى عن البراء بن عازب قال : رأيت رسول الله ﷺ افتتح الصلاة، فرفع يديه. وقال سفيان :

---

(1) الكفاية، باب في أن الكاذب في غير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ترد روايته، ص 117.

(2) المصدر نفسه، ص 118.

(3) الكفاية، باب ترك الاحتجاج بمن غلب على حديثه الشواذ ورواية المناكير والغرائب من الحديث، ص 140 وما بعدها.

(4) الكفاية، باب رد حديث أهل الغفلة، ص 147 وما بعدها.

لمّا قدمتُ الكوفة سمعته يُحدّث به فيقول : ثم لا يعود. فظننت أنهم لقّنوه، وقال أصحابنا إن حفظه قد تغيّر. وقالوا قد أساء[1].

ومن الذين تغيّر حفظهم فلقّنوا أوهاماً في رواياتهم ما ذكره الخطيب عن الأعمش أن شيخاً كان بمكة قال إنه سمع علياً ابن أبي طالب رضي الله عنه يقول : من طلّق امرأة ثلاثاً في مجلس واحد تُرد إلى واحد، فذهب إليه الأعمش في داره يستوثق منه، فأخرج كتاباً فيه المُطلّقة ثلاثاً في مجلس بانت ولا تحل حتى تنكح زوجاً غيره، فقال له الأعمش ويحك وهكذا تقول ؟ قال الشيخ : هذا هو الصحيح، ولكن هؤلاء أرادوني إلى ذلك[2].

ومن المُغفّلين المُلقّنين ما رواه يزيد بن هارون عن شيخ بواسط كان يُحدّث بحديث واحد عن أنس بن مالك، فخدعه بعض أصحاب الحديث فاشترى له كتابا في أوله : حدّثنا شريك، وفي آخره أصحاب شريك الأعمش ومنصور وهؤلاء، فجعل يقول حدّثنا منصور، حدّثنا الأعمش، فقيل له أني لقيت هؤلاء ؟ فأخذ كتابه، فقيل له لعلك سمعت هذا من شَريك، فقال الشيخ حتّى أقول لكم الصدق، سمعت هذا من أنس بن مالك عن شريك[3].

و) رواية من ليس من أهل الحديث ممن عرف بالصلاح والعبادة : وفي باب ترك الاحتجاج بمن لم يكن من أهل الضبط والدراية وإن عُرف بالصلاح والعبادة، ساق الإمام الخطيب أقوال أئمة المدينة وتجنبهم للرواية عن أهل الصلاح المؤتمنين إذا لم يكونوا من أهل الحديث، فحكى عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال : إن من إخواننا من نرجو بركة دعائه، ولو شهد عندنا بشهادة ما قبلناها. وقول أبي الزناد أنه أدرك مائة كلهم مأمونين لا يوخذ عنهم شيء من الحديث لأنهم ليسوا من أهله. وقول الإمام مالك : أدركت مشايخ بالمدينة أبناء سبعين وثمانين لا يؤخذ عنهم، ويُقدّم ابن شهاب وهو دونهم في السن، فتزدحم الناس عليه، وأدركت سبعين عند هذه الأساطين ـ وأشار إلى مسجد رسول الله ﷺ ـ يقولون : قال رسول الله ﷺ فما أخذتُ

(1) الكفاية، باب رد حديث من عرف بقبول التلقين، ص 148.

(2) المصدر نفسه، ص 150.

(3) المصدر نفسه، ص 148.

عنهم شيئاً وأن أحدهم لو ائتمن على بيت المال لكان به أمينا إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن. ورُوي عن عفان أن يحيى بن سعيد قال : ما رأيت الصالحين أشد فتنة منهم في الحديث[1].

ز) **من اختلط من أئمة الحديث :** وفي ترك السماع مِمّن تغيّر واختلط، يقول الخطيب : قال إبراهيم جئت عارم بن الفضل، فطرح لي حصيرا على الباب، ثم خرج إليّ، فقال لي مرحبا، إيش كان خبرك، ما رأيتك منذ سنة ؟ قال إبراهيم : وما كنت جئته قبل ذلك، فقال لي : قال ابن المبارك :

أَيُّها الطّالبُ عِلْماً   إيت حمّاد بْنَ زَيْدِ
فاسْتَفِدْ عِلْماً وحِلْماً   ثُمّ قَيّدهُ بِقَيْدِ
وذر البدعة من   آثار عمرو بن عبيد

والقيد يقيد، قال وجعل يشير بيده على أصبعه مرارا، فعلمتُ أنّه قد اختلط فتركتُه وانصرفتُ.

وهكذا ذكر أن من الذين اختلطوا في آخر حياتهم الأشعث بن الأثرم، وقد سمع منه شعبة قبل اختلاطه، وكذلك سعيد بن أبي عروبة وسمع منه الثوري قبل أن يتغير، ومثلهما عارم بن الفضل، وكان محمد بن يونس الكديمي يروى عنه ما سمعه قبل اختلاطه. ومن هؤلاء أيضا عطاء بن السائب، لكن سفيان الثوري وشعبة سمعا منه في صحته[2].

ح) **وممن ترك الأخذ عنه من عرف بالتساهل في سماع الحديث أو في روايته :** ومن الذين انْتُقدوا في التساهل في السماع العالم الجليل عبد الله بن وهب، فيقول ابن أبي شيبة إنه ينام عند ابن عيينة وصاحبه يقرأ، وقد تركه أحمد بن حنبل لما سمع من تساهله في السماع[3].

أما المتساهلون في رواية الحديث فذكر الإمام الخطيب منهم ابن لهيعة ومحمد بن خلاف الإسكندراني اللذان احترقت كُتُبهما الأصلية وحملهما الناس على الحديث بعد ذلك، فحدّثوا عن غير أصولهم[4].

---

(1) الكفاية، باب ترك الاحتجاج بمن لم يكن من أهل الضبط والدراية وإن عرف بالصلاح والعبادة، ص 158-159.
(2) المصدر نفسه، باب ما جاء في ترك السماع ممن اختلط وتغير، ص 135.
(3) المصدر نفسه، باب ترك الاحتجاج بمن عرف بالتساهل في سماع الحديث، ص 151.
(4) المصدر نفسه، ص 152.

ط) أهل المجون والخلاعة : وذكر منهم محمد بن المنذر الشاعر الذي أخذ عن ابن عُيينة، إلا أنه صاحب مجون، يرسل العقارب في المسجد الحرام لتلسع الناس. وقال ابن مَعِين : لا يروي عنه رجل فيه خير.

وذكر عن أبي داود أنه كان يميل إلى أبي عاصم لميله لمذهب أبي حنيفة، ولأنه يحفظ ألف حديث، ولكنه تركه لما بلغه مزاحه. كما ذكر أيضا قصة أبي الأشعث بن المقدم الذي كان يعلم مُجّان البصرة، فترك أبو داود الحديث عنه[1].

ي) رواية أهل الأهواء والبدع : استهل قوله عنهم بذكر اختلاف أهل العلم في الاحتجاج بما يروونه. فذكر منهم القدرية والخوارج والرافضة، وقال إن طائفة من السلف منعت صحة الرواية عنهم لأنهم كفار عند من ذهب إلى تكفيرهم، وفُسّاق عند من لم يحكم متأول. ومِمّن منع الرواية عليهم الإمام مالك بن أنس. وذهب الإمام الشافعي إلى قبول رواية من لا يستحل الكذب منهم. ورفض رواية الخطّابية من الرافضة لأنهم يبيحون شهادة الزور لموافقهم، وقال إن هذا أيضا مذهب بن أبي ليلى وسفيان الثوري، وروى نحوه عن القاضي أبي يوسف، وذهب الإمام أحمد إلى قبول أخبار غير الدعاة منهم.

وذكر قول ابن سيرين إن الناس في الزمن الأول كانوا لا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة سألوا عن الإسناد ليُحدّث حديث أهل السنة ويترك حديث أهل البدعة.

ثم ساق أمثلة عن أئمة الحديث الذين قبلوا روايتهم، إذا عُرفوا بالصدق ولم يكونوا من غُلاة الدعاة. فمن ذلك أن علي بن عاصم كان يروى عن عمرو بن عبيد، فقيل له : أما تروي أن القدرية مجوس الأمة، فلم ترو عنه ؟ قال: لأنه ثقة في الحديث صدوق.

وبعد رأي الخطيب في أن الاعتراض على الراوية عن الفاسق وارد، قال إن الذي يعتمد عليه في تجويز الاحتجاج باخبارهم ما اشتهر من قبول الصحابة بالخوارج لتحريهم الصدق. وقد روى الأئمة عن كثير من أهل البدع.

ثم ذكر قول أبي داوود سليمان بن الأشعث : ليس في أهل الأهواء أصح حديثا من الخوارج، ثم ذكر عمران بن حطّان وأبا الحسن الأعرج.

---

(1) الكفاية، باب كراهة الرواية عن أهل المجون والخلاعة، ص 156.

وقول محمد بن عبد الله بن حمّاد الموصلي عن عليّ بن غراب أنه كان صاحب حديث بصيراً به. وقال سفيان أن ابن أبي لبيد كان من عُبّاد المدينة، وكان ثبتاً ويرى الرأي أي أنه قدري. وقد قيل ليحيى بن معين إن أحمد بن حنبل يرد حديث عبيد الله بن موسى للتشيّع، فقال : والله الذي لا إله إلا هو عبد الرزاق أغلى منه في ذلك مائة ضعف، وقد سمعتُ من عبد الرزاق أضعاف أضعاف ما سمعتُ من عبيد الله.

وحدّث عن ابن خزيمة أنه إذا حدّث عن عبّاد بن يعقوب يقول : الصدوق في روايته، المُتّهم في دينه. وذكر قصة قاسم بن زكريا المطرز مع عَبّاد بن يعقوب الكوفي لمّا أتاه ليسمع منه، فقال له عَبّاد من حفر البحر ؟ قلت : الله، قال من أجراه ؟ قلت : الله مجري الأنهار ومنبع العيون، قال : هو كذلك، ولكن قل لي من أجرى البحر ؟ قلت : يعفيني الشيخ. قال أجراه الحسين بن علي. قال، وكان عَبّاد مكفوفا، ورأيت في بيته سيفا مُعلّقاً وحجفة، فقلت : أيها الشيخ لمن هذا السيف ؟ قال : هذا لي، أريد أن أقاتل به مع المهدي. فلما فرغت من سماع ما أردت، وعزمت على الخروج من البلد، دخلت، فسألني كما كان يسألني : من حفر البحر ؟ قلت : حفره معاوية وأجراه عمرو بن العاص، ثم وليت أعدو، فجعل يصيح : أدركوا الفاسق، عدو الله فاقتلوه !![1].

5. عنايته بالأسانيد

وقد كانت له عناية فائقة بالأسانيد، وقد أفرد لها كتاباً مستقلاً، كما اعتاد أن يسوق سنده الخاص في كل ما رواه، مستطرداً في بعض الأحيان قول الشاعر :

والعِلْمُ إنْ فَاتَهُ إِسْنَادُ مُسْنِدِهِ كَالبَيْتِ لَيْسَ لَهُ سَقْفٌ وَلاَ طُنُبُ

وفي كتاب "الكفاية" خصّص فصلاً لنقد الأسانيد وذكر ما قيل إنه من أصحّها، حيث يقول : قال الزهري : أصح الأسانيد عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضي الله عنه.

ويقول إسحاق بن إبراهيم الحنظلي : أصح الأسانيد كلها الزهري عن سالم عن أبيه.

(1) الكفاية، باب ما جاء في الأخذ عن أهل البدع والأهواء والاحتجاج برواياتهم، ص 120 وما بعدها.

وحكى يحيى بن أحمد بن زياد، قال: سألت يحيى بن مَعِين، قلت الإفراد أحب إليك أو التمتع والقران ؟ قال : الإفراد، وذكر إسناد عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة، وقال ليس إسناد أثبت من هذا.

وقال محمد بن إسماعيل البخاري : أصح الإسناد مالك عن نافع عن ابن عمر.

أخبرنا أبو نعيم الحافظ، قال ثنا أبو حامد بن جبلّة، قال ثنا محمد بن إسحاق السراج، قال : سألتُ محمد بن إسماعيل البخاري عن أصح إسناد ؟ فقال : مالك عن نافع عن ابن عمر. وقال الفُضيل بن عياض : منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله مثل هذه السارية.

وقال ابن المبارك : إذا جاءك سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله فكأنك تسمعه، يعني من النبي صلى الله عليه وسلم.

قال علي بن المديني لأصحابه، تعالوا حتى نذكر إسناداً من اليوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم يُختلف فيه ؟ قال : قلنا أنت عن سفيان، عن الزهري، قال : لا أنا ولا سفيان ولا الزهري، قلنا : فمن، لسنا ندري ؟ قال : ولكني أدري، حمّاد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة.

قال سليمان ابن داود : أصح الأسانيد كلها يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

وروى نصر بن حمّاد الورّاق قال : كُنّا قعوداً على باب شعبة نتذاكر، قال : فقلت : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة ابن عامر، قال : كنا نتناوب رعاية الإبل على عهد رسول اللهﷺ، فجئت ذات يوم، والنبيﷺ جالس، وحوله أصحابه، فسمعته يقول : من توضأ فأحسن الوضوء، ثم دخل مسجداً فصلى ركعتين واستغفر الله، غفر الله له، قال : فقلت بخ بخ، قال : فجذبني رجل من خلفي، فالتفت فإذا هو عمر بن الخطاب، فقال : الذي قال قبل أحسن، قال : من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، قيل له ادخل من أي أبواب الجنّة شئت، قال : فخرجت إلى شعبة، فلطمني، ثم دخل ثم خرج، فقال : ماله قعد يبكي ؟ فقال له عبد الله بن إدريس : إنك أسأت إليه، فقال : أما تنظر ما يحدث عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة ؟ أنا قلت لأبي إسحاق من حدّثك ؟ قال : حدّثني عبد الله بن عطاء عن عقبة، قلت : سمع عبد الله بن عطاء من عقبة ؟ قال : فغضب، ومسعر بن كدام حاضر، فقال : أغضبت الشيخ، فقال مسعر : عبد الله بن عطاء بمكة، فرحلت إلى مكة لم أرد الحج وإنما أردت الحديث،

فلقيت عبد الله بن عطاء، فسألته، فقال سعد بن إبراهيم حدّثني، فقال لي مالك ابن أنس سعد بالمدينة لم يحج العام، فرحلت إلى المدينة، فلقيت سعداً، فقال الحديث من عندكم زياد بن مخراق حدثني، قال شعبة، فقلت إيش هذا الحديث ؟ بينا هو كوفي إذ صار مدنياً إذ رجع إلى البصرة ؟ قال أبو يحيى هذا الكلام أو نحوه قال : فرجعتُ إلى البصرة، فلقيت زياد بن مخراق فسألته، فقال : ليس هو من بابتك، حدثني به مَن لا تريده، قلت : حدّثني به، قال : حدّثني شهر بن حوشب عن أبي ريحانة عن عقبة، قال شعبة، قلت : دُمّر هذا الحديث لو صح لي مثل هذا الحديث كان أحب إلي من أهلي ومالي ومن الناس أجمعين[1].

واعتناؤه بالسند العالي لا يعني أنه لا يهتم بنقد المتن، لأنه قد كان يقول بوجوب إطّراح المنكر والمستحيل من الأحاديث. وأورد مجموعة من الأخبار في ذلك، منها قوله :

أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشر أن المُعدّل قال : أنا علي بن محمد بن أحمد المصري، قال : ثنا يحيى بن أيوب العلاّف، قال : سمعتُ يحيى بن بُكير يقول : حدّثني رزين بن شعيب المعافري عن أبي شريح عن شرحبيل بن يزيد عن مسلم بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «يكون دجّالون كذّابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تعرفوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم أن يضلوكم أو يفتنوكم»[2]. قال يحيى بن بُكير وكان مالك بن أنس يعجب برزين بن شعيب المعافري.

أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، قال : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، قال : ثنا إبراهيم بن منقذ الخولاني بمصر، قال : حدّثني إدريس بن يحيى عن بكر ابن مضر عن عمارة بن غزية عن عبد الملك بن سعيد بن سويد عن أبي أسيد أو عن أبي حميد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «إذا سمعتم الحديث عنّي تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به، وإذا سمعتُمُ الحديث عنّي تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه»[3].

أخبرني عبد الله بن أبي الفتح الفارسي، قال : ثنا أبو العباس محمد بن نصر بن مكرم المعدل وأحمد بن إبراهيم بن شاذان، قالا : ثنا أبو بكر بن أبي داود، قال : ثنا

---

(1) الكفاية، باب ذكر المحفوظ عن أئمة أصحاب الحديث في أصح الأسانيد، ص 397 وما بعدها.

(2) رواه مسلم في صحيحه كتاب المقدمة.

(3) رواه أحمد في مسند المكيين.

المسيّب بن واضح، قال : ثنا سليم أبو مسلم المكي، وهو ابن مسلم عن يونس عن يزيد عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما حدّثتم عنّي مِمّا تعرفونه فخذوه، وما حدّثتم عنّي مما تُنكرونه فلا تأخذوا به، قال فإنّي لا أقول المُنكر ولستُ من أهله، صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

كما اهتمّ بالبحث عن تعارض الأخبار وطرق الترجيح فيها، وبتأدية الحديث بلفظه[2].

6. مسألة تأدية الحديث بلفظ الرسول ﷺ

المنكرون لجواز رواية الحديث بالمعنى يخشون أن يتقوّلوا على رسول الله ﷺ ما لم يقل، فيلحقهم الوعيد، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم من أشدّ النّاس خوفاً من الوقوع في هذا المحذور، فكان عبد الله بن مسعود إذا حدّث حديثاً قال : سمعت رسول الله ﷺ، ثم أرعد وأرعدت ثيابه، ثم قال : «أو شبيه ذا، أو نحو ذا...». وروى عن أبي الدرداء أنه كان يحدث بالحديث عن رسول الله ﷺ، فإذا فرغ قال : «هذا، أو نحو هذا، أو شكله». وعن أنس بن مالك أنه كان إذا فرغ، قال : «أو كما قال رسول الله ﷺ».

ومن بين الرواة من بلغ به التحرج من تحريف لفظ الحديث أن يرويه ولو ملحوناً، غير أن أئمة الحديث أجازوا تصحيح اللحن لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يلحن.

وأورد الخطيب عن إسحق بن راهويه قال : حدّثنا عيسى بن يونس، قال : قال رجل للأعمش إن كان ابن سيرين ليسمع اللحن، فيحدث به على لحنه، قال الأعمش : إن كان ابن سيرين يلحن، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا يلحن، فقوّموه. وروى عن همّام قوله : إذا حدثتكم عن قتادة فكان في حديثه لحن فقوّموه، فإنه كان لا يلحن.

وقال عفّان : إذا وجدتم في كتابي عن حماد بن سلمة لحناً فقوّموه، فإن حمّادا كان لا يلحن.

ومن الرواة المشهورين باللّحن وكيع بن الجرّاح، ويقول ابن المديني : لو حدثت عنه بألفاظه لكان عجباً، كان يقول : حدثنا مسعر عن عيشة. وذكر هشيم قوله : كان

---

(1) خصص الخطيب في الكفاية بابا في ترك الاحتجاج بمن غلب على حديثه الشواذ ورواية المناكير والغرائب من الأحاديث، ص 140 وما بعدها.

(2) الكفاية، باب القول في تعارض الأخبار وما يصح التعارض فيه وما لا يصح، ص 432.

إسماعيل ابن أبي خالد، وقد لقي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاحش اللحن، كان يقول : حدثني فلان عن أبوه.

وعن زياد بن خيثمة عن علي بن النعمان بن قراد عن رجل عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خُيِّرتُ بين الشفاعة أو نصف أمتي في الجنة، فأخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين، لا، ولكنها للمتلوثين الخطاؤون، قال زياد : أما إنها لحن، ولكن هكذا حدثنا الذي حدثنا. ومن ذلك ما رُوي عن الحسن بن خلاّد قال : كان عند عبد الله بن أحمد بن موسى عبدان يوما، وهو يحدثنا وأبو العباس بن سريج حاضر، فقال عبدان من دُعي فلم يجب فقد عصى الله ورسوله، ففتح الياء من قوله فلم يجب، فقال ابن سريج : إن رأيت أن تقول يجب بضم الياء، فأبى عبدان، فعجب من صواب ابن سريج كما عجب ابن سريج من خطئه[1].

7. بحثه في رواية الحديث على المعنى

ففي باب خصّصه لذكر رواية الحديث على المعنى لخّص رأيه في هذا الموضوع على ثلاثة أقوال :

1. إنه لا تجوز روايته بالمعنى على الجاهل بمواقع الخطاب، وبالمتفق معناه والمختلف لفظه لأنه لا يؤمن عليه إبدال اللفظ بخلافه، بل هو الغالب من أمره.
2. إنه لا يجوز للعالم أيضاً رواية المحتمل من اللفظ على المعنى لأنه يرويه على معنى يستخرجه ويستدل عليه وقد يتوهم، وقد يغلط وقد يصيب.
3. جوازه للعالم بمعناه، وذكر أدلة لهذا الجواز، منها ما رواه يعقوب بن عبد الله عن سليمان بن أكيمة عن أبيه عن جده قال : قلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأبينا أنت وأمنا أنا لنسمع الحديث فلا نقدر على تأديته كما سمعناه، قال : «إذا لم تحلوا حراما، ولم تحرموا حلالاً فلا بأس». وحديث سعيد بن جبير عن عبد الله بن مسعود قال : سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : يا رسول الله إنك تحدثنا حديثاً لا نقدر أن نسوقه كما نسمعه، فقال : «إذا أصاب أحدكم المعنى فليحدث».

ثم ذكر حديث خالد بن كثير عن خالد بن دريك عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تقوّل علي ما لم أقل

---

(1) الكفاية، باب ذكر الرواية عمن كان لا يرى تغيير اللحن في الحديث، ص 185 وما بعدها.

فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً. ثم قيل له نحن لا نحفظ الحديث كما سمعناه، نقدم حرفا، ونؤخر حرفاً، ونزيد حرفاً وننقص حرفاً، قال : ليس ذلك أردت، إنما قلت من تقوّل علي ما لم أقل يريد عيبي وشين الإسلام، أو شيني وعيب الإسلام.

وذكر ما رواه مكحول عن واثلة بن الأسقع، أنه قال له : يا أبا الأسقع حدّثنا حديثا سمعتَه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه وهم ولا نسيان، فقال : هل قرأ أحد منكم الليلة من القرآن شيئاً، فقالوا : نعم، فقال : فهل زدتم ألِفاً أو واواً أو شيئاً، فقلت : إنا نزيد وننقص، وما نحن وأولئك في الحفظ، فقال : هذا القرآن بين أظهركم وأنتم تدرسونه بالليل والنهار، فكيف نحدث بحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أو مرتين، إذا حدثتم على معناه فحسبكم، كما روى ما ذكر عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد كنا نجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم عسى أن نكون عشرة نفر نسمع الحديث فما مِنّا اثنان يؤديان غير أن المعنى واحد. وما روي عن هشام بن عروة عن أبيه قال : قالت لي عائشة إنه يبلغني أنك تكتب عني الحديث ثم تعود فتكتبه، فقلت لها أسمعُه منك على شيء، ثم أعود فأسمعه على غيره، فقالت : تسمع في المعنى خلافا ؟ قلت : لا، قالت : لا بأس بذلك.

وروى عن محمد بن سيرين قال: كنت أسمع الحديث من عشرة، المعنى واحد واللفظ مختلف. وممن كان يحدث على المعنى من التابعين عمرو بن دينار وابن أبي نجيح والحسن البصري وسفيان الثوري وحماد بن زيد.

ومن أدلة الإمام الخطيب على الرواية على المعنى إتفاق الأئمة على أن للعالم بمعنى خبر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينقله بغير لفظه وبغير اللغة العربية إلى مختلف اللغات إذا كان الترجمان يعرف الخطاب باللسان المقصود.

ثم أعطى مثالاً لما يمكن استبداله من ألفاظ الحديث التي لا تحتمل أكثر من معنى، وذلك أنه يحوز للراوي أن يبدل قوله "قام" بنهض، و"قال" بتكلّم، و"أراد" بقصد، و"أوجب" بفرض، و"حظر : بحرم، وزاد قائلاً : وهذا القول هو الذي نختاره مع شرط آخر وهو أن يكون سامع لفظ النبي صلى الله عليه وسلم عالماً بموضوع ذلك اللفظ في اللسان وأنه صلى الله عليه وسلم يريد به ما هو موضوع له، فإن علم تجويزه به واستعارته له لم يسغ له أن يروي اللفظ مجرداً دون ذكر ما عرفه من قصده صلى الله عليه وسلم ضرورة، غير مستدل عليه، فإنه إن استدل به على أنه قصد به معنى من المعاني جاز عليه الغلط والتقصير في الاستدلال، ووجب نقله له بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم لينظر هو وغيره من العلماء فيه.

ثم رد على منكري جواز رواية الحديث بالمعنى قائلاً : وقد استدلّ المنكرون للرواية على المعنى بحصول الاتفاق على أنّ الشرع قد ورد بأشياء كثيرة قصد فيها الإتيان باللفظ والمعنى جميعا نحو التكبير والتشهد والأذان والشهادة، وإذا كان كذلك لم ينكر أن يكون المطلوب بالحديث لفظه بعينه ومعناه جميعا، فيقال لهم وبأي وجه وجب إلحاق رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظه بالإذان والتشهد وغير ذلك مما يجري مجراهما ؟ فلا يجدون متعلقاً في ذلك.

ويقال أيضاً : لو أخذ علينا في رواية حديثه إيراد لفظه ومعناه لوجب أن يوقف عليه توقيفاً يوجب العلم ويقطع العذر كالتوقيف لنا على الأذان والتشهد، وفي عدم توقيف يحتج مثله دلالة على فساد ما قلتم، ثم يقال لهم ما الفصل بينكم وبين من قال لمّا حصل الإتفاق على إباحة الترجمة في حديث رسول اللهﷺ وأوامره ونواهيه والأخبار عن جملة دينه وتفصيله، وجب كذلك جواز روايته على المعنى باللفظ العربي الذي هو أقرب إلى لفظ النبيﷺ من الأعجمي، فلا يجدون لذلك مدفعاً.

واحتجوا أيضاً بقول النبيﷺ : «نضر الله امرءاً سمع مِنّا حديثاً فأدّاه كما سمعه»، وبقوله للذي علمه إذا أخذ مضجعه يقول : آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، في الكلمات المشهورة، فقال الرجل : وبرسولك الذي أرسلت، فقال له النبيﷺ : ونبيك الذي أرسلت، قالوا لم يسوغ لمن علّمه الدعاء مخالفة اللفظ، فيقال لهم أمّا الحديث الأول فهو حجة عليكم لأنه قد علل فيه ونبه على ما يقول بقولهﷺ : «فرب مبلّغ أوعى من سامع ورب حامل فقه ليس بفقيه وإلى من هو أفقه منه»، وكأنه قال إذا كان المبلغ أوعى من السامع وأفقه وكان السامع غير فقيه، ولا مِمّن يعرف المعنى وجب عليه تأدية اللفظ ليستنبط معناه العالم الفقيه وإلا فلا وجه لهذا التعليل إن كان حال المبلِّغ والمبلَّغ سواء، على أن رواة هذا الخبر نفسه قد رووه على المعنى، فقال بعضهم رحم الله مكان نضّر الله، وروى فرب مبلَّغ أفقه من مبلِّغ مكان مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه لا فقه له مكان ليس بفقيه، وألفاظ سوى هذه متغايرة تضمنها هذا الخبر، وقد ذكرنا طرقه على الاستقصاء باختلاف ألفاظها في كتاب أفردناه لها. والظاهر يدل أن هذا الخبر نقل على المعنى فلذلك اختلفت ألفاظه وإن كان معناها واحدا، والله أعلم.

وأما رد النبيﷺ على الرجل في الحديث الثاني قوله : وبرسولك إلى نبيك الذي أرسلت، فإن النبي أمدح من الرسول، ولكل واحد من هذين النعتين موضع، ألا ترى أن إسم الرسول يقع على الكافة وإسم النبي لا يتناول إلا الأنبياء خاصة، وإنما فضل المرسلون على الأنبياء لأنهم جمعوا النبوة والرسالة معاً، قال : ونبيك الذي أرسلت جاء بأمدح

النعت، وهو النبوة ثم قيّده بالرسالة حين قال الذي أرسلت، وبيان آخر وهو أن قوله : وبرسولك الذي أرسلت غير مستحسن لأنه يجتزأ بالقول الأول إن هذا رسول فلان عن يقول الذي أرسله إذ كان لا يفيد القول الثاني إلا المعنى الأول. وكان قوله : ونبيك الذي أرسلت يفيد الجمع بين النبوة والرسالة، فلذلك أمره النبيﷺ به، ورده إليه والله أعلم[1].

8. بحثه حول أنواع الإجازة والخلاف فيها

أ) الإجازة من الكتب :

بدأ هذا البحث بقوله : «اختلف الناس في الأجازة للأحاديث، فذهب بعضهم إلى صحتها ودفع ذلك بعضهم والذين قبلوها أكثر، ثم اختلف من قبلها في وجوب العمل بما تضمنت الأحاديث من الأحكام، فقال أهل الظاهر وبعض المتأخرين مِمّن تابعهم لا يجب العمل بها لأنها جارية مجرى المراسيل والرواية عن المجاهيل، وقال الدهماء من العلماء أنه يجب العمل بها، ونحن نسوق ما تيسر من الروايات عنهم فيها، وما يتعلق بأحكامها، ونذكر الأقرب إلى الصواب عندنا إن شاء الله»[2]. ثم ذكر أن أصلها ينبني على حجية الكتاب الذي أعطاه النبيﷺ لعبد الله بن جحش، بعدما ختمه وأمره أن لا يفتحه حتى يسير يومين، وكأنه بناء على هذا الأصل استصوب علماء الحديث العمل بمضمون كتاب لم يقرأ ولم يسمع من كاتبه، وسرد الإمام الخطيب أسماء العلماء الذين قال أبو شيخ الأصبهاني إنهم كانوا يُصحّحون العمل بأحاديث الإجازة : وهم الحسن البصري، ونافع مولى عبد الله بن عمر، وابن شهاب الزهري، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وقتادة بن دعامة، ومكحول الشامي، وأبان بن أبي عياش، وأيوب السختياني، وعبيد الله بن عمر بن حفص، وهشام بن عروة، ويحيى بن أبي كثير، ومنصور بن المعتمر، وعبيد الله بن أبي جعفر، وحيوة بن شريح، وشعيب ابن أبي حمزة، وأبو عمرو الأوزاعي، وابن أبي ذئب، ومالك بن أنس، وعبد العزيز ابن الماجشون، وعبد الملك بن جريج، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، ومعاوية بن سلام، وسفيان بن عيينة، وأبو بكر بن عياش، وأبو ضمرة أنس بن عياض، ومحمد بن شعيب بن شابور، وعبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم، وأشهب بن عبد العزيز، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأبو اليمان الحكم بن نافع، وأحمد بن حنبل، والحسين بن علي الكرابيسي، ومحمد بن بشار بندار، ومحمد بن يحيى الذهلي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، والعباس بن الوليد

---

(1) الكفاية، باب ذكر الحجة في إجازة رواية الحديث على المعنى، ص 198 وما بعدها.

(2) الكفاية، باب الكلام في الإجازة وأحكامها وتصحيح العمل بها، ص 311.

البيروتي، وأبو زرعة الدمشقي، وإسماعيل بن إسحاق القاضي، والحارث بن أبي أسامة، وعبد الله ابن أحمد بن حنبل، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري.

وبإمكان الناظر في هذه اللائحة من الأئمة أن يقطع بصحة الإجازة وجواز العمل بها. ولم يقتصر الإمام الخطيب على سرد أسماء هؤلاء الأئمة، بل أعطى بعض التفاصيل الموثقة التي تؤكد هذا العمل، فذكر عن عوف الأعرابي قال: قال رجل للحسن إن عندي كتابك، أفأرويه عنك ؟ قال: نعم! وروى عن عبيد الله بن عمر قال: كنتُ أرى الزهري يؤتى بالكتاب ما قرأه ولا قُرِئَ عليه، فيقال له نروي عنك هذا ؟ فيقول : نعم.

وفي رواية أخرى قوله: أشهد على ابن شهاب أنه كان يؤتى بالكتاب من كتبه فيتصفحه وينظر فيه، ثم يقول هذا حديثي أعرفه، خذه عني. وروى أن ابن جريج جاء إلى الزهري بأحاديث، فقال: أريد أن أعرضها عليك، قال: كيف أصنع بشغلي، قال: أفأروي عنك ؟ قال: نعم.

وروى عن ابن عيينة أن ابن جريج جاء إلى الزهري، ومعه ثلث قرطاس فيه حديث ظهراً وبطناً، فقال: يا أبا بكر أأروي عنك هذا ؟ قال: نعم. قال ابن عيينة: ما أدري أيهما أعجب ؟ ابن شهاب أو ابن جريج، يقول له أوري عنك ؟ فيقول: نعم.

ولقد أحس الخطيب بالحاجة إلى الدفاع عنهما، فقال: لعل ابن شهاب كان قد عرف القرطاس، بل عساه أن يكون هو الذي كتبه، فأغناه ذلك عن النظر فيه، وكان يعتقد أن ابن جريج لا يستجيزه إلا ما كان من حديثه لأمانة ابن جريج عنده، والله أعلم.

كما ذكر أن ابن جريج جاء إلى أبان بن عياش بكراسة مطبقة، قال أفأروي هذا عنك ؟ قال: نعم. كما روى عن يحيى بن سعيد أن هشام بن عروة قال: جاء ابن جريج بكتاب، قال: هذا حديثك، أرويه عنك، قال: قلت نعم. فقال يحيى: قلت في نفسي ما أدري أيهما أعجب.

وروى عن عبيد الله بن عبيد الكلاعي قال: أعطاني مكحول دفتراً فيه أحاديث، وقال: خذ هذا الدفتر، فأروه وحدث به عني. قلت له: كيف أرويه وأحدث به عنك ولم أسمع منك ؟ قال: لكني أنا أقول أروه وحدث به عني، وتقول لم أسمعه منك[1].

ب) الإجازة المطلقة :

ووصفها بأن يطلب المستجيز من الراوي، كتابة أو مشافهة، أن يروي عنه ما صح عنده، فيستجيب له الراوي قولاً أو خطّاً. ويقول الخطيب إن هذا النوع أضعف من

(1) الكفاية، باب الكلام في الإجازة وأحكامها وتصحيح العمل بها، ص 311 وما بعدها.

المناولة، لأنه لم ينص على شيء بعينه، ولا على كتب من أصول أو فروع. وأن في التأكد من تصحيح ما قد يروى مشقة وخطر، ولكن للمستجيز أن يحدث بما صح عنده بالتواتر، وأما التعبير عنها، فالذي يظهر أن الخطيب يفضل ما ارتئاه إبراهيم الحربي أن يقال : "كتب لي فلان"، مذكراً أن الحربي يقول إن الإجازة ليست شيئاً[1].

ج) المكاتبة :

ووصفها بأن يكتب الراوي بخطه جزءاً من سماعه أو حديثاً ويكتب معه إلى الطالب إني قد أجزتُ لك روايته بعد أن صحّحته بأصلي، وبعد أن صحّحه من أثق به. وقال إن هذا النوع شبيه بالمناولة لولا مزية المشافهة، فإذا عرف المكتوب إليه خط الراوي، وثبت عنده أنه كتابه إليه فله أن يروى عنه ما تضمنه كتابه ذلك من أحاديث.

ثم ساق الخطيب بعد ذلك من الرسائل التي كتبها بعض الصحابة وعمل بمقتضاها مثل كتاب عمر بن الخطاب لأهل أذربيجان، وكتاب سبيعة الأسلمية في شأن نهاية عدة الوفاة بالوضع، وكتاب عائشة إلى معاوية. ثم أسهب المصنف في صيغ المكاتبات وكيفية اقتناصها.

وفيما يخص ألفاظ التعبير عن هذا النوع من الإجازة أورد ما روي عن الحسن بن خلاّد الرامهرمزي عن الحسين بن محمد الشريكي عن أحمد بن منصور، الذي قال أحبه إلي أن يقول لك : كتب إليّ فلان، حدثنا فلان، وهذا هو مذهب أهل الورع والنزاهة والتحري في الرواية، وكان جماعة من السلف يفعلونه. والملاحظ أنه بعد ذلك أورد عدة أمثلة تجيز التعبير بالتحديث دون النص على الكتابة، فيروي أن شعبة قال : قلت لمنصور : إذا كتبت إلي، أ أقول حدّثني ؟ فقال : إذا كتبت إليك، أليس قد حدثتك ؟ وحكى أن يحيى بن سعيد وهشام بن عروة كانا يكتبان إلى الليث بن سعد، فيقول الليث حدّثني يحيى بن سعيد، وحدثني هشام بن عروة. وروى عن شعبة عن أيوب، قال : إذا كتب إليك العالم فقد حدثك[2].

د) النوع الرابع من الإجازة :

وهو شبيه بالمكاتبة بالإجازة المطلقة، ويقول عنه الخطيب : وهو أن يكتب المحدث إلى الطالب "قد أجزتُ لك جميع ما صحّ ويصح عندك من حديثي"، ولا يُعيّن له

(1) الكفاية، ص 313.

(2) الكفاية، ص 343.

شيئاً كما عين في الإجازة المذكورة في النوع الثالث، فهذا النوع أخفض مرتبة من الإجازة بشيء مسمى، وعلى المكتوب إليه فيه أمران : أحدهما وجوب تصحيح ما يُسمّى حديثاً للمكاتب إليه بالإجازة كوجوب تصحيح الوكيل توكيل التفويض ما يسمى ملكا للموكل، فإذا صح له ذلك احتاج إلى أمر آخر وهو أن يثبت عنده من الوجه الذي يعتمد عليه أن ذلك المُحدّث كتب إليه تلك الإجازة، ومثال ما ذكرناه شهادة الشهود بإشهاد القاضي على كتابه إلى القاضي، ثم يصح للطالب التحديث كما يصح للقاضي الإنفاذ وللموكل النظر، فهذا كله في القياس واحد وحكمه غير مختلف[1].

هـ) النوع الخامس من الإجازة :

وقد وصفها المُصنّف بقوله : وهو أن يأتي الطالب إلى الراوي بخبر فيدفعه إليه ويقول له : أهذا من حديثك ؟ فيتصفح الراوي أوراقه وينظر فيما تتضمن، ثم يقول له نعم، هو من حديثي ويرده إليه، أو يدفع إليه الراوي ابتداء بعض أصوله ويقول له هذا من سماعاتي، فيذهب به الطالب فيحدث به عنه من غير أن يستجيز منه في الوجهين جميعا، ومن غير أن يقول له الراوي حدّثْ به عني، فهذا يكون صحيحاً عند طائفة من أهل العلم لو فعل، غير أنا لم نر أحداً فعله، وهكذا لو رأى الطالب في يد الراوي جزءاً ينظر فيه، فقال له : ما في هذا ؟ فقال له الراوي : أحاديث من سماعي عن بعض شيوخي، فاستنسخه الطالب بعد من غير علم الراوي، ثم حدث به عنه من غير استئذان له في ذلك، فهذا في الحكم بمثابة الذي قبله.

ولم يستبعد الخطيب صحة الرواية في هذا النوع قائلاً : إن من يجيزها، يقيسها على من روى وثيقة دين مكتوبة أقر بها من عليه الدين، ثم أنكر بعد ذلك، فيجوز عند الإمام مالك والشافعي أن يؤدي شهادته على هذا الإقرار دون استئذان المقر، بما أن الشهادات آكد من الروايات، فقد تصح رواية هذا النوع.

والجدير بالذكر أن إطلاق الإجازة على هذا النوع فيه تجوز، لأن الراوي لم يحز للطالب، ولم يأذن له في رواية سماعه، ولم يتعرض المصنف لألفاظ التعبير عن هذا النوع[2].

وبعد هذه الأنواع الخمسة، تحدث الخطيب عن إجازة من أجيز ولم ير مانعا من جوازها، وعن الوصية بالكتب واستطرد قصة أبي قلابة الذي مات بالشام وأوصى

(1) الكفاية، ص 345.

(2) الكفاية، ص 346.

بكتبه لأيوب، فسأل محمد بن سيرين هل يجوز له أن يحدث بها، فقال له أولاً نعم، ثم استدرك قائلاً : لا آمرك ولا أنهاك، وعقّب الخطيب على ذلك قائلاً إنه لا فرق بين أن يوصي العالم لرجل بكتبه وبين أن يشتريها ذلك بعد موت صاحبها، فلا تجوز الرواية منها إلاّ على سبيل الوجادة[1].

ثم تناول الوجادة، ولم يعتبرها من أنواع الإجازة، واكتفى باستعراض الصحائف التي عمل الفقهاء بمضمونها، مثل التي وجدها عبد الله بن عمر في قائم سيف والده، وفيها أحكام زكاة الماشية، وصحيفة جابر بن عبد الله التي يرويها سفيان بن عيينة، وذكر أن بعض الأئمة يحدث بأشياء مما وجدوا في الكتب ولا يقول أخبرنا، أو حدثنا[2].

و) المناولة :

ويقول الخطيب أنها أرفع ضروب الإجازة وأعلاها، وصفتها أن يدفع المُحدّث إلى الطالب أصلا من أصول كتابه، أو فرعا قد كتبه بيده، ويقول له : هذا الكتاب سماعي من فلان، وأنا عالم بما فيه فحدّثْ به عني، فإنه يجوز للطالب روايته عنه، وتحل تلك الإجازة محلّ السّماع عند جماعة من أئمة الحديث.

واستدل الخطيب على صحة هذه الصيغة بما تقدم ذكره عن عمل الزهري والإمام مالك والإمام أحمد بن حبنل، ومحمد بن يحيى الذهلي، ولكنه مع ذلك أبدى نوعاً من التحفظ في قوله : ولو قال الراوي للمستجيز : حدِّثْ بما في الكتاب عني إن كان عمّن حدثني مع براءتي من الغلط والوهم كان ذلك جائزاً حسناً.

أما فيما يخص التعبير عن التحديث بما روى مناولة، فقد بين اختلاف المحدثين فيها، فأورد أن الأوزاعي يرى أن تروى بالعنعنة، أو العزو بقال. واستحسن الخطيب رأي من يقول في المناولة : أعطاني فلانا، أو دفع إلي كتابه. ومما استدل به على ذلك ما روي عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام الذي يقول فيه : دفع إلي أبو رافع كتاباً فيه استفتاح صلاة رسول اللهﷺ. وقول إبراهيم بن عرعرة : دفع إلينا معاذ بن هشام كتابا قال فيه : هذا ما سمعت من أبي، وكان فيه حديثا عن قتادة عن أنس بن مالك.

غير أنه ذكر أن بعض الأئمة أجاز أن يقول المستجيز مناولة : أخبرنا وحدّثنا. من ذلك ما حكي عن صالح بن عمرو عن الحسن، وعن يحيى بن صالح الذي يقول : كنت

(1) الكفاية، ص 352.

(2) الكفاية، ص 353 وما بعدها.

عند مالك بن أنس جالسا، فسأله رجل، فقال : يا أبا عبد الله، الكتاب تقرؤه علي أو أقرأه عليك، أو تجيزه لي، فكيف أقول ؟ قال : قل في ذلك كله إن شئت حدثنا مالك بن أنس. ولعل هذا الجواب من الإمام مالك لا ينطبق إلا على المناولة التي استوفت الضوابط التي اشترطها في صحتها. ولم يفت الخطيب أن يذكر أن مالكا أجاز الإجازة وكرهها مرة أخرى، كما روى قول ابن القاسم وابن وهب وأشهب أن من أخذ الكتاب عن المحدث له أن يقول فيه : "أخبرني"، وهي عبارة أضعف من "حدثني".

وذكر الأوزاعي قوله دفع إلي يحيى بن أبي كثير صحيفة، فقال : أرويها عني، وروى عن ابن شعيب قوله : لقيت الأوزاعي، ومعي كتاب كنت كتبته من أحاديثه، فقلت : يا أبا عمرو، هذا كتاب كتبته من أحاديثك، قال : هاته، وأخذه وانصرف إلى منزله، فلما كان بعد أيام، فقال هذا كتابك قد عرضته وصححته، قلت : يا أبا عمرو، أفأرويه عنك ؟ قال : نعم، قلت : أذهب فأقول أخبرني الأوزاعي ؟ قال : نعم. كما ذكر نحوه عن ابن حنبل والليث بن سعد.

وروي عن أبي نعيم عبيد بن هشام الحلبي، قال : كنا عند مالك بن أنس، فأتاه صالح بن يوسف أو صالح بن عبد الله، فقال: يا أبا عبد الله، الصحيفة التي دفعتها إليك نظرت فيها ؟ فقام مالك فدخل ثم خرج، وقال قد نظرت فيها، وهي من حديثي فأروها عني[1].

وبعد هذه الشهادات، فهل يبقى أي شك أو خلاف في صحة الجواز بالعمل بالإجازة ؟ ولعل الجواب قد يتضح لما ندرك أن الاتفاق الملاحظ حول هذا الجوان، قد تقابل بأمرين : أحدهما أننا نلاحظ أن ابن عيينة ويحيى بن سعيد قد أبديا تعجبهما مما كان بين ابن جريج وبين الزهري، وبينه وبين عروة بن هشام، ولو أن ابن عيينة من الذين عدُّوا من المجيزين لها؛ وهذا ما أكده الخطيب حين روى عن يزيد بن أبي حكيم المدني، قال : كنا عند سفيان الثوري بمكة فاختصم إليه المكيون والعراقيون في الإجازة، فقضى للمكيين، ومن يكون المكيون إذا لم يكن معهم ابن عيينة ؟.

أما العراقيون المعارضون للإجازة، فقد ذكر الخطيب منهم إبراهيم النخعي وشعبة ابن الحجّاج، الذي كان يقول : كل حديث ليس فيه سمعت فهو خَلٌّ وبقل، وروي عنه أيضاً أنه قال : لو صحّت الإجازة بطلت الرحلة.

---

(1) الكفاية، باب وصف أنواع الإجازة وضروبها، ص 326 وما بعدها. وباب ذكر كيفية العبارة عن الرواية عن المناولة، ص 330 وما بعدها.

وروى عن أبي النضر قوله : سمعت صالح بن محمد الحافظ يقول الإجازة ليست بشيء، ومثله عن أبي زرعة وإبراهيم بن إسحق الحربي[1].

إلا أن الإمام مالكاً كان يشترط في الإجازة أن يكون فرع الطالب معارضاً بأصل الراوي حتى كأنه هو، وأن يكون المجيز عالما بما يجيز به، معروفاً بذلك، ثقة في فهمه وروايته، وأن يكون المستجيز من أهل العلم وعليه سمته، حتى لا يوضع العلم إلا عند أهله[2].

وهكذا نرى أن الإمام لا يوافق رأي ابن أبي بكر بن داود الذي سئل عن الإجازة، فقال لسائله : أجزت لك ولأولادك ولحبْل الحبْلة !!.

هذا هو ملخص آراء مصنف كتاب "الرواية حول أنواع الإجازة"، وسوف نرى أن ابن الصلاح اختصرها وأعاد ترتيبها في مقدمته.

---

(1) انظر ذكر الخطيب لآراء المعارضين للإجازة في الكفاية، ص 314 وما بعدها.

(2) الكفاية، ص 317.

الفصل الثالث

مدرسة أبي عمرو بن الصلاح (تـ 643)

1. حياته

أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري الكردي، تقي الدين (تـ 643هـ)، نشأ في منطقة أربيل وأخذ العلوم الأولية عن والده الصلاح وعلى مشايخ الموصل.

بدأ معيدا عند أبي حامد بن يونس الموصلي، ثم سافر إلى خُراسان وهناك اشتغل بعلوم الحديث حتى برع فيها، ودرس علوم التفسير والفقه واللغة.

ثم انتقل إلى الشام، ودرس فيها في أربعة مدارس للعلوم في عصره، بدأ بالمدرسة الناصرية بالقدس، وأقام فيها مدة، وبعدها ارتحل إلى هبة الله بن رواحة الحموي، كما قرأ أيضا في مدرسة ست الشام زمرد خاتون بنت أيوب.

ولمّا بنى الملك الأشرف بن الملك العادل الأيوبي دار الحديث الأشرفية، عهد إليه بالتدريس فيها واشتغل الناس بعلم الحديث على يده، وفيها أملى كتاب مقدمته المشهورة.

فكان ابن الصلاح يقوم بوظائف التعليم في هذه المدارس الثلاث بدون إخلال.

وكان من أشهر تلاميذه ابن خلّكان، صاحب الوفيات الذي ذكر أنه أقام معه أكثر من سنة ونصف، سنة 632هـ، وانتفع به كثيراً[1]. ومن أشهر من اعتنى بمقدمته الحافظ زين الدين العراقي الذي خدم كتابه بالشرح والتعليق ونظمه في أرجوزة قام بشرحها.

وتعتبر مقدمته[2]، مُدوّنة في علوم الحديث ، ذلك أنه لمّ فيها شمل ما كتبه من قبله الحسن بن خلاّد الرامهرمزي، وأبو عبد الله النيسابوري، وأبو نعيم الأصفهاني، والخطيب البغدادي.

---

(1) انظر ترجمته في وفيات الأعيان، 312/1، طبقات الشافعية، 137/5، والأعلام للزركلي، 208/4.

(2) اعتنى الناس بها كثيرا فكانت محل مدارسة في مجامع العلم، واشغل المحدثون بعد ابن الصلاح بشرحها ونظمها وروايتها ونقلها والتعليق عليها واختصارها، طبعت طبعات عديدة مستقلة مثل طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، ومرفقة بالشرح مثل التقييد والإضاح شرح مقدمة ابن الصلاح لزين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي، ط دار الحديث ببيروت، وصدرت بتحقيق نور الدين عتر عن المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ودار الفكر بدمشق.

واتّسمت مقدمته بالتلخيص والتركيز، لأنه حصر أنواع المواد التي تناولها في خمسة وستين باباً، بينما نجد الخطيب البغدادي في كتاب "الكفاية" يصل بها إلى مائة وأربعين باباً، وحذف أسانيد الأخبار التي أخذها من سابقيه بينما حرص الرامهرمزي والبغدادي على إثباتها، وحذف منها كل ما تكرر، وكل ما ليست له صلة مباشرة بتقويم الأحاديث، خلافا لما أثبت الحاكم من سرد أسماء حفاظ الأمصار. كما امتاز أيضا بالضّبط والتحرير.

ونظرا لما امتازت به هذه المقدمة من محاولة الشمول والاختصار، فإنّها صارت عمدة العلماء في هذا العلم، فتناولوها بالشّرح والنّظم والتّعليق، ووضع النكت والمعارضة والاختصار.

وقد رأينا أن ممن تناولها بالنظم والشرح الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، في ألفيته المشهورة، وفي كتابه "التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح"[1]، وكتب عن هذا التقييد الحافظ بن حجر العسقلاني نُكتا عُرفت بالإفصاح عن نكت ابن الصلاح[2].

وممن حاذاه واختصره الحافظ عمر بن رسلان البلقيني في " محاسن الإصلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح"[3]. كما اشتهر أيضاً اختصار الإمام النووي الموسوم بالتقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير. وقد قام بشرحه الإمام السيوطي في كتاب تدريب الراوي[4]. وتوالت على هذه الكتب شروح واختصارات، وقد اشتهرت قولة الحافظ بن حجر عن من كتب عن علوم الحديث قبل ابن الصلاح، «إن الرامهرمزي لم يستوعب، وإن الحاكم لم يهذب ولم يرتب، وأبا نعيم أبقى أشياء للمتعقب، وإن الخطيب عمل كتاب "الكفاية في قوانين الرواية"، وفي آدابها كتاب "الجامع لآداب الشيخ والسامع"، وإن من أنصف علم أن المحدثين عيال على كتبه، وجمع ممن تأخر عنه القاضي عياض والميانجي، إلى أن جاء الحافظ الإمام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح الشهرزوري، نزيل دمشق، فجمع لما ولي تدريس الحديث بالأشرفية كتابه المشهور،

(1) مثل التقييد والإضاح شرح مقدمة ابن الصلاح لزين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي، ط دار الحديث ببيروت.

(2) النكت على مقدمة ابن الصلاح لابن حجر العسقلاني، تحقيق ودراسة ربيع المدخلي، منشورات دار الراية بالرياض، 1408هـ.

(3) طبع مع كتاب المقدمة، بتحقيق عائشة عبد الرحمن بالهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، 1394هـ.

(4) طبع بتحقيق أحمد عمر هاشم وطبع بدار الكتاب العربي ببيروت.

فهذّب فنونه، وأملاه شيئاً فشيئاً، واعتنى بتصانيف الخطيب، المفرقة فجمع شتات مقاصدها وضمّ إليها من غيرها نخب فوائد، فاجتمع في كتابه ما تفرق في غيره»[1].

ويقول ابن الصلاح نفسه عن كتابه، «فحين كاد الباحث عن مشكلة لا يلفي له كاشفا، والسائل عن علمه لا يلقى به عارفا، منّ الله الكريم تبارك وتعالى علي وله الحمد أن أجمع بكتاب معرفة أنواع علم الحديث الذي أباح بأسراره الخفية، وكشف عن مشكلاته الأبية، وأحكم معاقده، وأقعد قواعده، وأنار معالمه، وبيّن أحكامه، وفصّل أقسامه وأوضح أصوله، وشرح فروعه وفصوله، وجمع شتات علومه وفوائده، وقنص شوارد نكته وفرائده»[2].

ولقد صدق توقع ابن الصلاح في مقدمته إذ قال الحافظ بن حجر عن كتاب ابن الصلاح : «لا يُحصى كم ناظم له، ومختصر، ومستدرك عليه، ومعارض له ومنتصر»[3].

وسوف نسوق في هذا الباب بعض البحوث التي تناولها في فصل خاص بمدرسته وصنيع من اتبع نهجه في التبويب والترتيب.

2. شمولية مقدمة ابن الصلاح

والمقارنة بين هذه المقدمة بما سبقها تبدي مصداق ما قاله الحافظ ابن حجر إن المؤلف جمع كل ما تفرق من قبله، إذ أورد ما في كتاب الرامهرمزي من آداب الطالب وفائدة الجمع بين الرواية والدراية، وبيان المختلف والمؤتلف من الأسامي والكنى، والخلاف في كتابة الحديث وروايته بالمعنى، والقراءة على المُحدّث، والتعالي في الإسناد وكيفية نقل السماع من الحفظ، وعلماء الأمصار.

ومن كتاب الحاكم استوعب ما اشترك فيه الرامهرمزي مع زيادة ما انفرد به ابن البيع من الكلام عن أنواع الحديث مثل الموقوف والمرسل والمنقطع والمسلسل من الأسانيد والمدرج والمشهور والغريب والإفراد والشاذ والمعلل، ومباحث الجرح والتعديل. وتناول ابن الصلاح بالتفصيل ما بقي على الحاكم من أنواع الحديث المعروفة كالصحيح والضعيف والحسن والمسند والمتصل والمنكر والمضطر، والمقلوب.

---

(1) نقل السيوطي كلام ابن حجر في مقدمة تدريب الراوي، انظر ص 32 من الجزء 1، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق أحمد عمر هاشم.

(2) مقدمة المقدمة، ص 4.

(3) نقل السيوطي كلام ابن حجر في مقدمة تدريب الراوي، انظر ص 32-33 من الجزء 1، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق أحمد عمر هاشم.

كما أنه اختار من كتب الخطيب مجمل ما أورده في كتاب "الكفاية" و"آداب الطالب"، و"تمييز المزيد في متصل الأسانيد"، وكتابه في "أخبار من حدّث ونسي"، وكتاب "الفصل في المدرج من الوصل". وهكذا لخّص ابن الصلاح مجمل علوم الحديث في خمسة وستين نوعاً، بينما اقتصر الحاكم على واحد وخمسين، وفرق الخطيب مباحثه على عدة كتب افرد كل واحد منها لمباحث خاصة من هذه العلوم.

ولا شك أن كتاب ابن الصلاح امتاز بميزات جعلته أهلاً للعناية الفائقة التي تلقاها، فكان مثل تلك المصنفات التي عرفها كل علم من العلوم الإسلامية، كمختصر السبكي في أصول الفقه ومختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي، وألفية ابن مالك في النحو، وتلخيص السكاكي في علم البيان.

ومن هذه الميزات شموليته لخلاصة ما دوّن قبله في هذا الفن، واستكماله بتعريفات توضيحية ذات فائدة جمة، ومنها حسن اختياره في أمثلة القواعد التي أحكمها في عروضه، وجودة تلخيصه لآراء من سبقه من المؤلفين في هذا الفن. ومنها كذلك دقة نقله ونباهته في التعقيب على آراء أسلافه.

3. مآخذه على من قبله

ومع تقديرات ابن الصلاح لجهود العلماء الذين سبقوه، وعرض آرائهم والمواضيع التي تناولها، فإنه سمح لنفسه أن يبين المآخذ عليهم في الأقوال التي ليست مرضية عنده، أو عابها بعض الأئمة، فمن ذلك ما نراه في الأمثلة التالية، ففي تعريفاته في النوع السادس والعشرين في صفة رواية الحديث وشرط أدائه وما يتعلق بذلك، فيقول : «أمّا تقطيع المصنف من الحديث الواحد وتفريقه في الأبواب فهو إلى الجواز أقرب، ومن المنع أبعد وقد فعله مالك والبخاري وغير واحد من أئمة الحديث ولا يخلو من كراهية، والله أعلم»[1].

وفي معرض كلامه عن حديث الراوي عن اثنين أو أكثر فإنه يقول : «وأما إذا جمع (المحدث) بين جماعة رواة قد اتفقوا في المعنى وليس ما أورده لفظاً لواحد منهم، وسكت عن البيان لذلك فهذا مما عيب به البخاري أو غيره، ولا بأس به على مقتضى مذهب تجوز الرواية بالمعنى»[2].

---

(1) المقدمة، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ص 107.

(2) نفسه، ص 111.

وفي تفريعاته حول النوع الحادي عشر في معرفة المُعضل، يقول ابن الصلاح : «وذكر ابن المُظفّر الصنعاني في العنعنة أنه يشترط طول الصحبة بينهم، وأنكر مسلم بن الحجاج في خطبته على بعض أهل عصره، حيث اشترط في العنعنة ثبوت اللقاء والاجتماع وادّعى أنه قول مخترع لم يسبق قائله إليه، وإن القول الشائع المتفق عليه بين أهل العلم بالأخبار قديماً وحديثاً أنه يكفي لذلك أنهما في عصر واحد وإن لم يأت في خبر قط أنهما اجتمعا وتشافها، وفيما قاله مسلم نظر، وقد قيل إن القول الذي رده مسلم هو الذي عليه أئمة هذا العلم : علي بن المديني والبخاري وغيرهما، والله أعلم».

وفي حديثه عن القسم الثالث من طرق تحمل الحديث قال عن الإجازة، أن أبا الوليد الباجي نفى الخلاف في جواز الرواية في سلف هذه الأمة، وخلفها وأدّعى عليه الإجماع، من غير تفصيل وحكى الخلاف في العمل بها، ويقول ابن الصلاح معقبا على رأي الباجي : «قلت هذا باطل، فقد خالف بجواز الرواية بالإجازة جماعات من أهل الحديث والفقهاء والأصوليين»[1]. وعزا القول بعدم جوازها للإمام الشافعي وشعبة، وروى قول أبي النصر الوابلي أنه سمع جماعة من أهل الحديث يقولون : قد أجزت لك أن تروي، تقديره قد أجزت لك ما لا يجوز في الشرع، لأن الشرع لا يبيح من لم يسمع. ويشبهه عنده ما حكاه أبو بكر محمد بن ثابت الخجندي : «من قال لغيره أجزت لك أن تروي عني ما لم تسمع فكأنه يقول له أجزت لك أن تكذب علي»[2].

وأخذ على ابن عبد البر قوله في شأن العدالة أن كل حامل علم معروف العناية به فهو عدل محمول في أمره أبداً على العدالة حتى يتبيّن جرحه لقوله صلى الله عليه وسلم : «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله»، وفي ما قاله عند ابن الصلاح اتساع غير مرضي والله أعلم.

وفي كلامه في كتابة الحديث، وفي كيفية تخريج الساقط في الحواشي، ويسمى اللحَق بفتح الحاء، يقول ابن الصلاح : «إذا كان اللحق سطرين أو سطورا فلا يبدأ بسطوره من أسفل إلى أعلى، وليبدأ من أعلى إلى أسفل، وحيث منتهاها إلى باطن الورقة إذا كان التخريج من جهة اليمين، وإذا كان من جهة الشمال، وقع منتهاها إلى جهة طرف الورقة، ثم يكتب عند انتهاء اللحق، صح، ومنهم من يكتب مع "صح" رجع، ومنهم

(1) نفسه، ص 72.

(2) المقدمة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ص 72.

من يكتب في اللحق الكلمة المتصلة به داخل الكتاب في موضوع التخريج مؤذنا باتصال الكلام، وهذا اختيار بعض أهل الصنعة من أهل المغرب واختيار القاضي أبي محمد بن خلاّد، وليس ذلك بمرضي إذ رُب كلمة تجيء في الكلام مكررة، وهذا التكرير يوقع بعض الناس في توهم مثل ذلك في بعضه، واختار القاضي ابن خلاّد أيضا في كتابه أن يمد عطفة التخريج من موضعه، حتى يلحقه بأول اللحق في الحاشية، وهذا أيضاً غير مرضي، فإنه إذا كان فيه زيادة بيان فهو تسخيم للكتاب وتسويد له لاسيما عند كثرة الإلحاقات والله أعلم»[1].

4. النوع الثالث : منهجه في تبيين الضعيف

يقول ابن الصلاح : «كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح، ولا صفات الحديث الحسن المذكورات فيما تقدم فهو حديث ضعيف، وأطنب أبو حاتم بن حبان البستي في تقسيمه، فبلغ به خمسين قسماً إلا واحداً، وما ذكرته ضابط جامع لجميع ذلك، وسبيل من أراد البسط أن يعمد إلى صفة معينة منها فيجعل ما عدمت فيه من غير أن يخلفها جابر على حسب ما تقرّر في نوع الحسن قسماً واحداً، ثم ما عدمت فيه تلك الصفة مع صفة أخرى معينة قسماً ثانياً، ثم ما عدمت فيه مع صفتين معينتين قسماً ثالثاً، وهكذا، إلى أن يستوفي الصفات المذكورة جمعاء، ثم يعود ويعين من الابتداء صفة غير التي عيّنها أولاً، ويجعل ما عدمت فيه وحدها قسماً، ثم القسم الآخر ما عدمت فيه مع عدم صفة أخرى، ولتكن الصفة الأخرى غير الصفة الأولى المبدوء بها لكون ذلك سبق في أقسام عدم الصفة الأولى، وهكذا هلم جرا إلى آخر الصفات».

«ثم ما عدم فيه جميع الصفات هو القسم الآخر، والقسم الآخر الأرذل. وما كان من الصفات له شروط فاعمل في شروطه نحو ذلك فتتضاعف في ذلك الأقسام».

«والذي له لقب خاص معروف من أقسام ذلك، الموضوع والمقلوب والشاذ والمُعلّل والمضطرب والمرسل والمنقطع والمعضل في أنواع سيأتي عليها الشرح إن شاء الله تعالى».

«والملحوظ فيما نورده من الأنواع عموما أنواع علوم الحديث لا خصوص أنواع التقسيم الذي فرغنا الآن من أقسامه ونسأل الله تبارك وتعالى تعميم النفع به في الدارين، آمين»[2].

---

(1) المقدمة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ص 94.

(2) المقدمة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ص 20.

5. النوع الخامس عشر: بيان الاعتبار والمتابعة والشواهد

يقول ابن الصلاح: «هذه أمور يتداولونها في نظرهم في حال الحديث هل تفرض به رواية أو لا، وهل هو معروف أولا. وذكر أبو حاتم محمد بن حبّان التميمي الحافظ رحمه الله أن طريق الاعتبار في الأخبار مثاله أن يروي حمّاد بن سلمة حديثا لم يتابع عليه عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبيﷺ فينظر هل روى ذلك ثقة غير أيوب عن ابن سيرين، فإن وجد علم أن للخبر أصلاً يرجع إليه، وإن لم يوجد ذلك فثقة غير ابن سيرين رواه عن أبي هريرة وإلا فصحابي غير أبي هريرة، رواه عن النبيﷺ، فأي ذلك وجد يعلم به أن للحديث أصلاً يرجع إليه وإلا فلا»[1].

يقول ابن الصلاح: «قلت فمثال المتابعة أن يروى ذلك الحديث بعينه عن أيوب غير حماد فهذه المتابعة التامه، فإن لم يروه أحد غيره عن أيوب لكن رواه بعضهم عن ابن سيرين أو عن أبي هريرة، أو رواه غير أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذلك قد يطلق عليه اسم المتابعة أيضاً، لكن يقصر عن المتابعة الأولى بحسب بعدها منها، ويجوز أن يسمى ذلك بالشاهد أيضاً، فإن لم يرو ذلك الحديث أصلاً من وجه من الوجوه المذكورة لكن روى حديثاً آخر بمعناه، فذلك الشاهد من غير مُتابعة، فإن لم يرو أيضاً بمعناه حديثاً آخر فقد تحقّق فيه التفرد المطلق حينئذ. وينقسم عند ذلك إلى مردود منكر وغير مردود كما سبق. وإذا قالوا في مثل هذا تفرّد به أبو هريرة وتفرّد به عن أبي هريرة ابن سيرين، وتفرد به عن ابن سيرين أيوب، وتفرد به عن أيوب حمّاد بن سلمة كان في ذلك إشعار بانتفاء وجود المتابعات فيه».

«ثم أعلم أنه قد يدخل في باب المتابعة والاستشهاد رواية من لا يُحتج بحديثه وحده بل يكون معدودا في الضعفاء، وفي كتاب البخاري ومسلم جماعة من الضعفاء ذكرناهم في المتابعات والشواهد، وليس كل ضعيف يصلح لذلك ولهذا يقول الدارقطني وغيره في الضعفاء فلان يُعتبر به، وفلان لا يُعتبر به، وقد تقدم التنبيه على نحو ذلك والله أعلم»[2].

مثال المتابع والشاهد: يقول ابن الصلاح: «روينا من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو أخذوا إهابها فدبغوه فانتفعوا به»، رواه ابن جريج عن عمرو عن عطاء، ولم

---

(1) المقدمة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ص 38-39.

(2) المقدمة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ص 39.

يذكر فيه الدباغ، فذكر الحافظ أحمد البيهقي لحديث ابن عيينة متابعاً وشاهداً. أما المتابع فإن أسامة بن زيد تابعه عن عطاء. وروى بإسناده عن أسامة عن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ألا نزعتم جلدها فدبغتموه فاستمتعتم به». وأما الشاهد فحديث عبد الرحمن بن وعلة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : «إيما إهاب دبغ فقد طهر»، والله أعلم»[1].

6. النوع السادس والثلاثين : بيان مختلف الحديث :

يقول ابن الصلاح : «وإنما يكمل للقيام به الأئمة الجامعون بين صناعتي الحديث والفقه، الغواصون على المعاني الدقيقة. أعلم أن ما يذكر في هذا الباب ينقسم إلى قسمين : **القسم الأول :** أن يمكن الجمع بين الحديثين ولا يتعذر إبداء وجه ينفي تنافيهما فيتعين حينئذ المصير إلى ذلك والقول بهما معاً».

ومثاله حديث لا عدوى ولا طيرة مع حديث : «لا يورد ممرض على مصح»[2]، وحديث : «فر من المجذوم فرارك من الأسد»[3]، وجه الجمع بينهما أن هذه الأمراض لا تعدي بطبعها ولكن الله تبارك وتعالى جعل مخالطة المريض بها للصحيح سببا لإعدائه مرضه. ثم قد يتخلف ذلك عن سببه كما في سائر الأسباب ففي الحديث الأول نفى صلى الله عليه وسلم ما كان يعتقده الجاهل من أن ذلك يعدي بطبعه، ولهذا قال فمن أعدى الأول. وفي الثاني أعلم بأن الله سبحانه جعل ذلك سبباً لذلك، وحذر من الضرر الذي يغلب وجوده عند وجوده بفعل الله سبحانه وتعالى، ولهذا في الحديث أمثال كثيرة، وكتاب "مختلف الحديث لابن قتيبة" في هذا المعنى إن لم يكن قد أحسن فيه من وجه فقد أساء في أشياء منه قصر باعه فيها وأتى بما غيره أقوى وأولى.

«وقد روينا عن محمد بن إسحاق بن خزيمة الإمام أنه قال : لا أعرف أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثان بإسنادين صحيحين متضادين، فمن كان عنده فليأتني به لأؤلف بينهما».

«**القسم الثاني :** أن يتضادا بحيث لا يمكن الجمع بينهما وذلك على ضربين : أحدهما أن يظهر كون أحدهما ناسخاً والآخر منسوخاً، فيعمل بالناسخ ويترك المنسوخ.

(1) المقدمة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ص 39-40.

(2) رواه البخاري في كتاب الطب.

(3) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

والثاني أن لا تقوم دلالة على أن الناسخ أيهما والمنسوخ أيهما، فيفزع حينئذ إلى الترجيح ويعمل بالأرجح منهما والأثبت كالترجيح بكثرة الرواة أو صفاتهم في خمسين وجهاً من وجوه الترجيحات وأكثر وللتفصيل موضع غير ذا والله سبحانه أعلم»[1]. والملاحظ أن زين الدين العراقي أعطى تفاصيل هذه الترجيحات وبلغ بها مائة وعشرة ترجيح.

7. معرفة المصحف من الأسانيد ومتونها :

قال ابن الصلاح : «هذا فن جليل إنما ينهض بأعبائه الحذاق من الحفاظ، والدارقطني منهم وله فيه تصنيف مفيد، وروينا عن أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه قال : ومن يعرى من الخطأ والتصحيف، فمثال التصحيف في الإسناد حديث شعبة عن العوام بن مراجم عن أبي عثمان النهدي عن عثمان بن عفان قال : قال رسول اللهﷺ : «لتؤدن الحقوق إلى أهلها»، الحديث صحف فيه يحيى بن معين فقال ابن مزاحم بالزاي والحاء فرد عليه وإنما هو ابن مراجم الراء المهملة والجيم».

«ومنه ما رويناه عن أحمد بن حنبل قال : حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة عن مالك بن عرفطة عن عبد خير عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الدباء والمزفت، قال أحمد صحف شعبة فيه، فإنما هو خالد بن علقمة وقد رواه زائدة بن قدامة وغيره على ما قاله أحمد».

«وبلغنا عن الدارقطني أن ابن جرير الطبري قال فيمن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني سليم ومنهم عتبة بن البذَّر، قاله بالباء والذال المعجمة، وروى له حديثا وإنما هو ابن الندر بالنون والدال غير معجمة».

«ومثال التصحيف في المتن ما رواه ابن لهيعة عن كتاب موسى بن عقبة إليه بإسناده عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم في المسجد، وإنما هو بالراء احتجر في المسجد بخص وحصير حجرة يصلي فيها، فصحفه ابن لهيعة لكونه أخذه من كتاب بغير سماع، ذكر ذلك مسلم في كتاب التمييز له».

«وبلغنا عن الدارقطني في حديث أبي سفيان عن جابر قال : رمى أبي يوم الأحزاب على أكحله فكواه رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن غندرا قال فيه أبِي وإنما هو أبَيٌّ بن كعب».

---

(1) المقدمة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ص 124.

«وفي حديث أنس : ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة، قال فيه شعبة : ذرة بالضم والتخفيف ونسب فيه إلى التصحيف».

«وفي حديث أبي ذر تعين الصانع، قال فيه هشام بن عروة بالضاد المعجمة وهو تصحيف والصواب ما رواه الزهري الصانع بالضاد المهملة ضد الأخرق.

«وبلغنا عن أبي زرعة الرازي أن يحيى بن سلام هو المفسر، حدث عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ **سأوريكم دار الفاسقين** ﴾[1]، قال مصر واستعظم أبو زرعة هذا واستقبحه وذكر أنه في تفسير سعيد عن قتادة "مصيرهم"».

«وبلغنا عن الدارقطني أن محمد بن المثنى أبا موسى العنزي حدّث بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : «لا يأتي أحدكم يوم القيامة ببقرة لها خوار، فقال فيه أو شاة تنعر بالنون، وإنما هو تيعر بالياء المثناة من تحت».

«وأنه قال لهم يوماً نحن قوم لنا شرف، نحن من عنزة قد صلى النبيﷺ إلينا، يريد ما روى أن النبيﷺ صلّى إلى عنزة، يوهم أنه صلى إلى قبلتهم، وإنما العنزة ههنا حربة نصبت بين يديه فصلى إليها. وأظرف من هذا ما رويناه عن الحاكم أبي عبد الله عن أعرابي يزعم أنهﷺ كان إذا صلى نصب بين يديه شاة، أي صحفها عنزة بإسكان النون».

«وعن الدارقطني أيضاً أن أبا بكر الصولي أملى في الجامع حديث أبي أيوب : «من صام رمضان» وأتبعه ستا من شوال، فقال فيه شيئاً بالشين والياء، وأن أبا بكر الإسماعيلي الإمام كان فيما بلغهم عنه يقول في حديث عائشة عن النبيﷺ في الكهان قر الزجاجة بالزاي، وإنما هو قر الدجاجة بالدال أي صوتها. وفي حديث يروى عن معاوية بن أبي سفيان قال : لعن رسول اللهﷺ الذين يشققون الخطب تشقيق الشعر، ذكر الدارقطني عن وكيع أنه قاله مرة بالحاء المهملة وأبو نعيم شاهد، فرده عليه بالخاء المعجمة المضمومة».

«وقرأت بخط مصنف أن ابن شاهين قال في جامع المنصور في الحديث أن النبيﷺ نهى عن تشقيق الحطب، فقال بعض الملاحين يا قوم فكيف العمل والحاجة ماسة ؟ قلت : فقد انقسم التصحيف إلى قسمين : أحدهما في المتن، والثاني في الإسناد، وينقسم قسمة أخرى إلى قسمين : أحدهما تصحيف البصر كما سبق عن ابن لهيعة وذلك هو الأكثر.

---

(1) الأعراف، 145.

والثاني : تصحيف السمع نحو حديث لعاصم الأحول، رواه بعضهم فقال عن واصل الأحدب، فذكر الدارقطني أنه من تصحيف السمع لا من تصحيف البصر، كأنه ذهب، والله أعلم، إلى أن ذلك مما لا يشتبه من حيث الكتابة وإنما أخطأ فيه سمع من رواه».

«وينقسم قسمة ثالثة إلى تصحيف اللفظ وهو الأكثر، وإلى تصحيف يتعلق بالمعنى دون اللفظ كمثل ما سبق عن محمد بن المثنى في الصلاة إلى عنزة، وتسمية بعض ما ذكرناه تصحيفا مجازاً والله أعلم».

«وكثير من التصحيف المنقول عن الأكابر الجلة لهم فيه أعذار لم ينقلها ناقلوه، نسأل التوفيق والعصمة، والله أعلم»[1].

8. النوع الثالث والخمسين : معرفة المؤتلف والمختلف من الأسماء والأنساب وما يلتحق بها :

قال ابن الصلاح : «وهو ما يأتلف أي يتفق في الخط صورته ويختلف في اللفظ صيغته.

هذا فن جليل من لم يعرفه من المحدثين كثر عثاره، ولم يعدم مخجلاً وهو منتشر لا ضابط في أكثره يفزع إليه وإنما يضبط بالحفظ تفصيلاً.

وقد صُنفت فيه كتبٌ مفيدة، ومن أكملها "الإكمال" لأبي نصر بن ماكولا على إعواز فيه. وهذه أشياء مما دخل منه تحت الضبط مما يكثر ذكره، والضبط فيها على قسمين على العموم وعلى الخصوص.

فمن القسم الأول سلام : وجميع ما يرد عليك من ذلك فهو بتشديد اللام، إلا خمسة وهم : سلام والد عبد الله بن سلام الإسرائيلي الصحابي، وسلام والد محمد بن سلام البيكندي البخاري، شيخ البخاري لم يذكر فيه الخطيب وابن ماكولا غير التخفيف. وقال صاحب المطالع منهم من خفف ومنهم من ثقل وهو الأكثر. قلت التخفيف أثبت وهو الذي ذكره غنجار في "تاريخ بخارى" وهو أعلم بأهل بلاده.

وسلام بن محمد بن ناهض المقدسي، روى عنه أبو طالب الحافظ والطبراني، وسماه الطبراني سلامة، وسلام جد محمد بن عبد الوهاب بن سلام المتكلم الجبائي أبي على المعتزلي.

---

(1) المقدمة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ص 140 وما بعدها.

وقال المبرد في كامله ليس في العرب سلام مخفف اللام إلا والد عبد الله بن سلام وسلام بن أبي الحقيق، قال : وزاد آخرون سلام بن مشكم خمّاراً كان في الجاهلية والمعروف فيه التشديد والله أعلم.

عمارة (بالضم) : وليس لنا عمارة بكسر العين إلا أبى بن عِمارة من الصحابة، ومنهم من ضمه ومن عداه عمارة بالضم والله أعلم.

كَريز وكُريز : حكى أبو علي الغساني في كتابه "تقييد المهمل" عن محمد بن وضاح أن كَريزاً بفتح الكاف في خزاعة، وكُريزاً بضمها في عبد شمس بن عبد مناف. قلت وكريز بضمها موجود أيضاً في غيرهما ولا نستدرك في المفتوح بأيوب ابن كريز الراوي عن عبد الرحمن بن غنم لكون عبد الغني ذكره بالفتح لأنه بالضم كذلك ذكره الدارقطني وغيره.

حزام بالزاي في قريش، وحرام بالراء المهملة في الأنصار والله أعلم، انتهى.

ذكر أبو علي بن البرداني أنه سمع الخطيب الحافظ يقول : العيشيون بصريون، والعبسيون كوفيون، والعنسيون شاميون.

قلت : وقد قاله قبله الحاكم أبو عبد الله، وهذا على الغالب، الأول بالشين المعجمة، والثاني بالباء الموحدة، والثالث بالنون والسين فيهما غير معجمة.

أبو عبيدة : كله بالضم، بلغنا عن الدارقطني أنه قال : لا نعلم أحداً يكنى أبا عبيدة بالفتح.

وهذه أشياء اجتهدت في ضبطها متتبعا من ذكرهم الدارقطني وعبد الغني وابن ماكولا، منها السفر بإسكان الفاء والسفر بفتحها وجدت الكنى من ذلك بالفتح والباقي بالإسكان.

ومن المغاربة من سكن الفاء من أبي السفر سعيد بن يحمد وذلك خلاف ما يقوله أصحاب الحديث حكاه الدارقطني عنهم»[1].

9. التدليس والمدلسون

لقد سبق أن تحدثنا عن التدليس في مقدمة هذا الكتاب وهو من المسائل التي استأثرت ببحوث علماء الحديث، وهو تعبير المحدث برواية توهم سماعه عمن لم يسمع

(1) المقدمة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ص 172-173.

منه، دون أن يصرح بالسماع حتى لا يكون كاذبا. وقد وصفه بعض الأئمة بأنه أخو الكذب، وإنه ذل وجرح. وممن اشتهر بإنكاره الشديد الإمام شعبة بن الحجاج، بيد أن بعض المحدثين لم يشدد النكير عليه، وجعله بمثابة الإرسال، وبعضهم سلك طريقا وسطا بيّن فيه شروط قبوله ودواعي رده. وبيان هذا النوع من السلوك يتضح بتعريف أنواع التدليس، ومعرفة رتب المدلسين.

والمتعارف عند أهل المصطلح أن التدليس قسمان : أحدهما تدليس الإسناد والثاني تدليس الشيوخ.

فالأول : أن يحذف الراوي بعض رجال السند، كأن يسقط من حديثه ويروى عن شيخه أو يسند لمن لقيه ما لم يسمع منه. ومن أمثلته ما روى ابن عيينة، أنه في مجلس يقول : "الزهري" ثم يسرد الحديث، وإذا سئل عن سماعه من الزهري يصرح أنه سمع الحديث من معمر بن عبد الرزاق عن الزهري، وأئمة الحديث يقبلون بتدليس ابن عيينة لأنه لم يدلس إلا عن ثقة. بخلاف تدليس بقية بن الوليد، لأنه كما روي عن ابن المبارك يكتب عمن أقبل وأدبر، فاعتبر ممن يدلس على الضعفاء، حتى قال بعضهم : أحاديث بقية ليست نقية فكن منها على تقية.

وممن رمي بهذا النوع من التدليس سليمان بن مهران الأعمش، وهو ثقة ثبت، غير أنه كان يحسن الظن بمن يحدثه، وإذا روى العنعنة يرد احتمال التدليس عنده، إلا في الشيوخ الذين أكثر عنهم مثل إبراهيم النخعي وأبي صالح السمان.

ومن الموصوفين بالتدليس الإمام الحافظ هشيم بن بشيرالسلمي الواسطي المعدود في رواد التدوين. والحديث في عهده عن التدليس أصبح أمراً متداولاً.

والقسم الثاني من التدليس هو ما عرف عند أهل المصطلح بتدليس الشيوخ، وهو أن ينعت المدلس شيخه بصفة لا يعرف بها من اسم أو كنية أو نسبة، وعندما تعرف حقيقة الراوي المدلس به، يتمكن الناقد من الحكم على وصف الحديث بالصحة أو عدمه.

ذلك أن هذا النوع من التدليس يقع لعدة أسباب، منها : أن يكون الحامل عليه ظرف سياسي، إذ يقول الصنعاني أن رواة الحديث في العهد الأموي يتحاشون التصريح بالرواية عن الإمام علي بن أبي طالب، وقد يكون الحامل عليه كون المروي عنه صغيراً في السن، فإذ روى عنه من هو أكبر منه دلس عليه.

---

(1) المقدمة، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ص 35.

وقد اختلفت آراء الأئمة في هذا النوع من التدليس، فقال ابن الصلاح : «إنه أخف من القسم الأول»[1]. ونسب إلى الخطيب البغدادي نوعاً من التساهل في شأنه[1] وأنه كان يصرح بالرواية عن علي بن أبي علي البصري، ومقصوده أبو القاسم علي بن أبي علي الحسن بن علي التنوخي. ومما يذكر أيضاً كون الإمام البخاري يروى أحاديث عن محمد بن يحيى الذهلي، ولكنه لم يذكره باسم شهرته، وإنما قال : حدثنا "محمد بن عبد الله"، نسبة إلى جده، و"محمد بن خالد" نسبة إلى والد جده، والمعروف ما بين الإمامين من خلاف وتنافر.

أما إذا وقع في هذا النوع تدليس إسقاط راو ضعيف روى عن ثقة، لتقوية الإسناد عموما، فإن هذا يعرف بتدليس التسوية، وقد نسب هذا النوع للوليد بن مسلم الذي قيل إنه يحدث بأحاديث الأوزاعي عن الكذابين ثم يدلسها، فيحذف الضعفاء بينه وبين الزهري ونافع.

وقد يقع نوع من التساهل في هذا النوع إذا كان من أسقط معروفاً عند الناس وعند الحافظ الذي روى الحديث، مثل ما هو الشأن في معاملة الإمام مالك لعكرمة مولى ابن عباس، فكان مالك يروي أحاديث عن ثور بن زيد عن ابن عباس، وقد رواه ثور عن عكرمة وأسقطه الإمام مالك. ومع ذلك فلا أحد عد الإمام مالكاً من المدلسين. وقد ذكر ابن عبد البر أن عكرمة أسقط عند جمهور رواة الموطأ في حديث رمضان : «لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين»[2].

(1) نفسه، ص 35.

(2) رواه مالك في الموطإ، كتاب الصيام.

الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي
(تـ 806 هـ)

من المعتاد في تاريخ العلوم أن يبدأ روادها في نشأتها بالقيام ببحوث أولية تتناول المواد التي يتأسس عليها العلم، وبعد مرحلة من نمو هذه البحوث التي تتنوع وفقا لتعدد مكونات موضوعه العام، يبرز أحد المتخصصين فيه، لتلخيص مجموع هذه البحوث، في مختصر يجمع ما تفرق من المصنفات التي سبقته.

ومن أمثلة هذه المختصرات ألفية ابن مالك في النحو، ومفتاح السكاكي في البيان، وكتاب السبكي في أصول الفقه، ومقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ومختصر خليل ابن اسحق في الفقه. ومن العادة أن يعامل مؤلفو هذا النوع من التصانيف بنقيض مقصودهم، إذا ما ظنوا أن مقدماتهم ستكون بمثابة المدونة النهائية للفن الذي صنف فيه، ذلك أن هذا النوع من الكتب يحمل أهله إلى شرح المختصر، ورد فروعها إلى أصولها، ومحاولة استكمال ما أهمل، واستدراك ما أخطأ فيه، وانطبقت هذه الظاهرة على مقدمة ابن الصلاح التي أثارت مجموعة من البحوث والدراسات شاركت فيها مجموعة من أئمة هذا العلم سنستعرض منهم أعمال زين الدين العراقي.

1. حياته

من أبرز زعماء مدرسة ابن الصلاح : «أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، توفي سنة 806هـ. إنه حافظ العصر الذي أسهم في ترسيخ معارف ابن الصلاح، حيث نظم المقدمة في أرجوزته المعروفة بـ "التبصرة"، ووضع عليها تعليقا سماه بـ "التقييد والإيضاح في شرح مقدمة ابن الصلاح"»[1].

وسوف نتناول بإيجاز منهجه في هذين المصنفين، الذين كان لهما بالغ الأثر في تركيز مسائل علم الحديث لما لمؤلفهما من مكانة متميزة في هذا الميدان.

---

(1) مطبوع بدار الفكر بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، 1981.

لقد كان العراقي بارعاً في علم الحديث الذي بدأ بسماعه منذ الثانية عشر من عمره، ووقف عليه حياته بالدرس والتدريس والتصنيف. وقد قيل إنه كان في أول حياته مهتما بعلم القراءات بعد ما حفظ القرءان الكريم، وله من العمر ثماني سنين، ثم نصحه قاضي القضاة عز الدين بن جماعة بالتوجه إلى الحديث لأن علم القراءات متعب وقليل الجدوى، وقد امتثل العراقي هذا النصح ولو أن من حقنا أن نتساءل عما ذا يقصده ابن جماعة في التقليل من جدوى علم القراءات القرآنية. وفي توجه العراقي إلى الحديث بقي طيلة حياته يتردد بين حواضر مصر والشام والحجاز ليسمع من أئمة الحديث فيها.

بدأ السماع على شهاب الدين أحمد بن البابا، وسمع صحيح البخاري من ابن شاهد الجيش، وصحيح مسلم من أبي الفتح الميدومي، ولازم علاء الدين ابن التركماني، وانتفع به كثيرا. وقد ساعده ذكاؤه الفائق وذاكرته العجيبة في تحصيل ما كان يتطلبه من علوم. لقد ذكر أنه استظهر "الحاوي" في أسبوعين وأنه حفظ كتاب الإمام ابن دقيق العيد في مدة يسيرة.

وقد كانت حياته العلمية حافلة بالعطاء، إذ درس علم الحديث بالكاملية والظاهرية بمصر، وجاور مدة في الحرمين الشريفين، وولى قضاء المدينة وإمامة المسجد النبوي عدة سنوات، وفيها نظم كتاب ابن الصلاح الذي يقول في آخره :

وكملت بطيبة الميمونه	فبرزت من خدرها مصونه
فربنا المحمود والمشكور	إليه منا ترجع الأمور
وأفضل الصلاة والسلام	على النبي سيد الأنام[1]

2. مصنفاته

أ) ألفية المصطلح :

وله في السيرة النبوية ألفية مشهورة، وأخرى في غريب القرآن، غير أن جل مصنفاته خصصها لعلوم الحديث، فخرج أربعين تساعية لشيخه أبي الفتح الميدومي، ومثلها للبياني، وعشرية وثمانية، وخرّج له تلميذه ابن حجر ستين عشارية، واعتنى بتخريج أحاديث "إحياء علوم الدين" للغزالي، وخرج لنفسه أربعين بلدانية لم يكملها، ووصل بها إلى ستة وثلاثين، ونظم اقتراح ابن دقيق العيد، وكتب عن رجال الدارقطني وعن معجم أشياخه، ومن أشهر من أخذ عنه ابنه أبو زرعة، والحافظ بن حجر.

---

(1) انظر ترجمته المفصلة الجامعة التي أوردها محمد بن الحسين العراقي الحسني في تقديمه لكتاب التبصرة والتذكرة، شرح ألفية العراقي، ط دار الكتب العلمية، بيروت.

وألفيته في الحديث أرجوزة جميلة تحمل نور صاحبها، وتبين عن أمانته في النقل لمقدمة ابن الصلاح مع دقته في الضبط واستيعابه لمقاصدها، وبيان معانيها. ومن سمات أسلوبها تماسك نظمها، واستعمال السناد بين أبياتها التي ارتبطت فيما بينها ارتباطا قويا حيث يأخذ بعضها برقاب بعض، مما يعين على استظهارها لتداعي المواضيع فيها، ويقول ناظمها :

لخصت فيها ابن الصلاح أجمعه وزدتها علما تراه موضعه

وقد اعتاد أن يصدر زياداته بلفظ "قلت"، ومن أمثلة ذلك قوله في حكم نقل الحديث من الكتب المعتمدة :

قلت ولابن خير امتناع نقل سوى مرويه إجماع

وهو يعني أن الحافظ المقرئ ابن خير أبا بكر محمد الأموي اللمتوني الأشبيلي (تـ 575هـ)، صاحب الفهرست المشهور[1] نقل الإجماع على امتناع نقل الطالب غير ما رواه.

وفي الكلام عن الحديث الحسن، يقول العراقي :

والحسن المعروف مخرجا وقد اشتهرت رجاله بذاك حد

حمد وقال الترمذي ما سلم من الشذوذ مع راو ما اتهم

بكذب، ولم يكن فردا ورد قلت وقد حسَّن بعض ما انفرد

وهو يعني أن الترمذي حسن بعض الأحاديث التي انفرد بها راو واحد، وفي ذلك خلاف للحدِّ السابق، فكان يقول بعد ما يورد الحديث، إنه حسن غريب، أو حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد قال ابن سيد الناس إنه في هذا الباب عرَّف ما يقول فيه "حسن" فقط دون زيادة صفة أخرى.

وفي حديثه عن الصنعة، يقول :

قلت الصواب أن من أدرك ما رواه بالشرط الذي تقدما

يحكم له بالوصل كيف ما روى بـ"قال" أو "عن" أو بـ"أن" فسوى

وهو يعني أن ما روى بالألفاظ المذكورة له حكم الموصول، إذا كان الراوي غير مدلس.

---

(1) الكتاب المسمى "فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف"، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

وفي معرض الكلام عن التدليس، قال العراقي :

"قلت وشرها أخو التسوية"

وتدليس التسوية سماه القدماء تجويدا وصورته أن يروي المدلس حديثا عن شيخ ثقة بسند فيه راو ضعيف، فيحذفه المدلس بين الثقتين اللذين لقي أحدهما الآخر، فيستوي الإسناد كله بالثقات، والظاهر أن ابن الصلاح جعله نوعا من تدليس الإسناد[1].

وفي باب المناولة، يقول العراقي :

يقول هذا من حديثي فاروه	وقد حكوا من مالك ونحوه
بأنها تعادل السماعا	وقد أبى المُفتون ذا امتناعا
إسحق والثوري مع النعمان	والشافعي وأحمد الشيباني
وابن المبارك وغيرهم رأوا	بأنها أنقص قلت قد حكوا
إجماعهم بأنها صحيحه	معتمدا وإن تكن مرجوحه

وهو يعني أن القاضي عياضاً ومن تبعه قالوا بإجماع أهل النقل أن المناولة صحيحة معتمدة وإن كانت مرجوحة بالنسبة للسماع.

وفيما يخص أسباب الجرح قال العراقي :

قلت وقد قال أبو المعالي	واختاره تلميذه الغزالي
وابن الخطيب الحق أن يحكم بما	أطلقه العالمْ بأسبابهما

وهو هنا يشير على ما قاله الأصوليون، أنه إذا جرح من لا يعرف قواعد الجرح يجب الكشف عن ذلك ولا يوجب على أهل العلم.

وفي نفس الباب، يقول :

والجرح والتعديل قد هذبه	ابن أبي حاتم إذ رتبه
الشيخ زاد فيهما وزدت	ما في كلام أهله وجدت

ثم سرد في النظم صفات التعديل وبلغ بها خمسا وعشرين مرتبة من أعلى إلى أسفل، وهي ثقة ثقة، أي مكرر، وكذلك ثبت ثبت، وبعدهما حجة، حافظ، عدل، ليس به

(1) انظر النوع الثاني عشر، معرفة التدليس وحكم المدلسين، مقدمة ابن الصلاح، ص 34.

بأس، صدوق، مأمون، خيار، محلُّه الصدق، رووا عنه، إلى الصدق ما هو، شيخ وسط، وسط، شيخ، صالح الحديث مقاربه، جيد الحديث، صويلح، صدوق إن شاء الله، أرجو أن ليس به بأس.

وفي باب القراءة على الشيخ، يقول العراقي :

ثم القراءة التي نعتَّها	معظمهم عرضا سوى قراتها
من حفظ أو كتاب، أو سمعتا	والشيخ حافظ لما عرضتا
أولا ولكن أصله يمسكه	بنفسه أو ثقة ممسكه
قلت كذا إن ثقة ممن سمع	بحفظه مع استماع فاقتنع

وهو يذكر هنا حكم الثقة الذي يحفظ الأصل المقروء مثل حكم الثقة الذي يمسك الأصل حال القراءة.

وفي آخر هذا الباب، يقول الناظم :

وبعض من قال بذا أعادا	قراءة الصحيح حتى عادا
في كل متن قائلا أخبركا	إذ كان قال أولا حدثكا
قلت وذا رأي الذين اشترطوا	إعادة الإسناد وهو شطط

وهو ينبه أن إعادة إسناد سرد الإسناد شطط في قراءة نسخة واحدة رويت عن راو واحد، إذ يكفي الإخبار أولا وأخيرا في هذا النوع من الرواية.

وفي النوع الثالث من أنواع الإجازة، أورد الناظم قوله :

وما يعُمُّ مع وصف حصر	كالعلماء يومئذ بالثغر
فإنه إلى الجواز أقرب	قلت عياض قال لست أحسب
في ذا اختلافا بينهم لذا يرى	أجازة لكونه منحصرا

والذي زاده العراقي أن القاضي عياضاً لا يرى اختلافاً في إجازة مجموعة محصورة وذلك مِن مَن يرى جواز الإجازة عموماً.

وفي حديثه عن التعليق بالإجازة بمن يشاءها، ولها صورتان، الأولى أن يقول المحدث أجزت لمن شاء أن أجيز له، والثانية كقوله أجزت لمن أراد مني أحد غير المجاز أن أجيزه، ورجح ابن الصلاح بطلان الثانية، لكن العراقي يقول في زياداته :

قلت وجدت ابن أبي خيثمة	أجاز كالثانية المبهمة

وفي كلامه عن كتابة إسناد الحديث بالرمز، ذكر أن لفظ "قال" ربما يرمز له بالقاف، وذلك في قوله :

قلت ورمز "قال" إسنادا يرد   قافا، وقال الشيخ حذفها عهد
خطأ ولابد من النطق كذا   قيل له وينبغي النطق بذا

وفي معرض الكلام عن مشهور الحديث أعطى مثالا عن المتواتر من مثل حديث : «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1]، وذكر قول ابن الصلاح أنه اختص بكونه أجتمع أزيد من ستين صحابياً على روايته بما فيهم العشرة المشهود لهم بالجنة، ولكن العراقي قال في زياداته :

ومنه ذو تواتر مستقرأ
في طبقاته كمتن "من كذب"   ففوق ستين رووه والعجب
بأن من رواته للعشره   وخص في الأمرين فيما ذكره
الشيخ عن بعضهم قلت بلى   "مسح الخفاف"، وابن منده إلى
عشرتهم "رفع اليدين نسبا   ونيفوا عن مائة من كذبا"

وفي "المختلف والمؤتلف"، زاد العراقي لمحمد بن سلام ابن أخت إسمه سلام، ذكره ابن فتحون في "ذيل الاستيعاب"، فقال :

قلت وللحبر ابن أخت خفف   كذاك جدُّ السيّدي والنسفي

هذا وقد نالت ألفية العراقي شهرة لا تقل عن شهرة مقدمة ابن الصلاح، وتناولها العلماء بالشرح والتعليق، ومن أول شراحها المؤلف نفسه، الذي بين بعض الغوامض فيها، ثم شرحها تلميذه السخاوي شرحاً مستفيضاً، استعرض فيه أهم مسائل المصطلح، فصار من أهم مراجع الدارسين في هذا الموضوع.

ب) كتاب "التقييد والإيضاح"[2] :

المصنف الثاني الذي كتبه العراقي عن مقدمة ابن الصلاح يختلف اختلافاً تاماً عن ألفيته التي ذكرنا أنها اكتفت بنظم مضامين المقدمة مع زياداته المحدودة، أما كتاب "التقييد والإيضاح لما أطلق أو أغلق من كتاب ابن الصلاح"، فهو كما يعرب

(1) رواه البخاري في كتاب العلم.
(2) منشورات دار الفكر، بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان.

عنوانه، شرح موجز للمقدمة، ولكنه في غاية الجودة والإتقان، وقد التزم فيه العراقي بمنهج دقيق يعمد إلى ثلاثة مقاصد، وهي إيضاح ما ورد مبهماً أو مجملاً في المقدمة، وتصويب المآخذ على المؤلف والرد عليها.

لقد دافع العراقي عن ابن الصلاح في عدة مواضيع، منها رده على ابن كثير في اعتراضه عليه في حد الحديث الحسن، وبيّن أن قوله لا يتعارض مع اصطلاح الترمذي، وعلى ابن رشيد الذي قال إن حسن الحديث لا يستفاد من سكوت أبي داود عليه لأنه قد يسكت عن الصحيح، فأجاب العراقي أن ابن الصلاح راعى الاحتياط في هذا المصطلح، وإن كان الأولى هو استعمال لفظ "صالح" بدلا من الحسن أو الصحيح.

ومع ذلك فإن إعجاب العراقي بالشيخ ابن الصلاح لم يمنعه من الاعتراض عليه في كثير من أقواله وتصحيح أغلاطه، ولو كانت عباراته تتسم باللياقة والاحترام، فإذا كان الغلط واضحا يذكر أنه وقع سهوا منه، مثل تنبيهه على عزوه للشافعي قولة الأوزاعي أن من كتب ولم يعارض كمن دخل الخلاء ولم يستنج، وفي أغلب الأحيان يعقب على غلطه بقوله : "وفيه نظر"، وربما قال : "ليس بِجَيِّدٍ".

أما زياداته على مضامين المقدمة، فإنها متعددة، ومفيدة، ونعطي أمثلة منها في باب ذكر من اختلط من المحدثين، ورواية الصحابة عن التابعين.

ج) معرفة من خلط في آخر عمره من الثقات :

قال ابن الصلاح : «هذا فن عزيز مهم، لم أعلم أحداً أفرده بالتصنيف واعتنى به مع كونه حقيقاً بذلك جداً، وهم منقسمون : فمنهم من خلط لاختلاطه وخرفه، ومنهم من خلط لذهاب بصره أو لغير ذلك.

والحكم فيهم أنه يقبل حديث من أخذ عنهم قبل الاختلاط، ولا يقبل حديث من أخذ عنهم بعد الاختلاط أو أشكل أمره فلم يدر هل أخذ عنهم قبل الاختلاط أو بعده، ومنهم :

1. عطاء بن السائب : الذي اختلط في آخر عمره، فاحتج أهل العلم برواية الأكابر عنه مثل سفيان الثوري وشعبة، لأن سماعهم منه كان في الصحة وتركوا الاحتجاج برواية من سمع منه آخرا، وقال يحيى بن سعيد القطان في شعبة إلا حديثين كان شعبة يقول سمعتهما بالآخرة عن زاذان»[1].

---

(1) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، للحافظ العراقي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، ص 442، طبعة دار الفكر.

وزاد يحيى بن سعيد فيمن روى عنه قبل الاختلاط حماد بن زيد وحماد بن سلمة، وقال العقيلي إن ابن سملة سمع منه بعد الاختلاط بالبصرة، وتعقبه ابن المواق بقوله إن عطاء قدم البصرة مرتين قبل الاختلاط وبعده، فسمع منه في الأولى الحمادان وهشام الدستوائي، وفي الثانية إسماعيل بن علية، ووهيب بن خالد، وعبد الوارث بن سعيد. وينبه العراقي على ما قاله الحميدي أن سفيان بن عيينة سمع منه قديما وسمعه يخلط فيها بعد ذلك فاتقاه.

وسمع منه في الحالين أبو عوانة.

وسمع منه بعد الاختلاط جماعة منهم جرير بن عبد الحميد، وإسماعيل بن علية، وخالد بن عبد الله الواسطي، وعلي بن عاصم، وهشيم، وجعفر بن سليمان الضبعي، وعبد العزيز بن عبد الصمد[1].

2. **أبو اسحق السَّبيعي :** يقول ابن الصلاح إنه اختلط، وأن سماع سفيان بن عيينة منه بعد ما اختلط. ذكر ذلك أبو يعلى الخليلي، ويعقب عليه العراقي قائلاً :

أ) أنكر صاحب الميزان اختلاطه، وقال إنه شاخ ونسي ولم يختلط، وسمع منه ابن عيينة وقد تغير قليلاً، واستحسن العراقي ذكر سماع ابن عيينة عنه بصيغة التمريض لأن ابن عيينة لم يك صريحاً في الرواية عنه.

ب) لم يذكر ابن الصلاح من سمع منه بعد الاختلاط إلا ابن عيينة. وزاد العراقي رواية حفيده إسرائيل بن يونس عن أبي إسحق، وقد ضعفها أحمد بن حنبل وعبد الرحمن بن مهدي، لأنه سمع من جده بأخرة، ولكنها كانت مقبولة عند يحيى بن معين، وعيسى بن يونس وأخرجها الشيخان في صحيحهما.

كما ذكر مع إسرائيل بن يونس زكريا بن أبي زائدة وزهير بن معاوية، وأورد الخلاف فيهما، وقال إنهما سمعا من أبي إسحق بأخرة، ولكن الشيخين أخرجا لهما في الصحيحين[2].

3. **سعيد بن إياس الجريري :** وقال ابن الصلاح إنه اختلط وتغير حفظه قبل موته، قال أبو الوليد الباجي، قال النسائي أنكر أيام الطاعون.

---

(1) نقل مختصراً من التقييد والإيضاح، ص 443 وما بعدها، تعليق الحافظ العراقي.

(2) المصدر نفسه، ص 445 وما بعدها.

وأورد العراقي تنبيهات، نوجز منها كما يلي :

أ) إن ابن الصلاح عزا تغير الجريري للباجي، راويا عن النسائي وهو موجود في كتاب "الجرح والتعديل" للنسائي. وذكر أن ابن حبان قال إن الجريري تغير قبل موته بثلاث سنين، وقد توفي سنة 144.

ب) أورد العراقي قول أبي داوود : كل من أدرك أيوب فسماعه من الجريري جيد. ومن هؤلاء الذين رووا عن الجريري : الحمادان، والسفيانيان، وشعبة، وعبد الوارث بن سعيد، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، ومعمر بن راشد، ووهب ابن خالد ويزيد بن زريع.

ج) أما الذين سمعوا منه بعد ما تغير فهم : يزيد بن هارون إلا أنه أنكر اختلاطه عند سماعه منه، وقد أخرج مسلم روايته في صحيحه، وكذلك يحيى بن سعيد القطان، وقال ابن حبان إن اختلاطه آنذاك لم يك فاشياً، وروايته عنه في "عمل اليوم والليلة للنسائي"، ومنهم أيضاً إسحق الأزرق ومحمد بن أبي عدي الذي أقر أنه سمعه وهو مختلط[1].

4. **سعيد بن أبي عروبة :** يقول ابن الصلاح : «قال يحيى بن معين خلط سعيد ابن أبي عروبة بعد هزيمة إبراهيم بن عبد الله بن حسن سنة اثنتين وأربعين يعني ومائة، ومن سمع منه بعد ذلك فليس بشيء»[2].

يقول العراقي معلقاً على قول ابن الصلاح :

أ) إن اقتصاره على ما حكي عن يحيى بن معين في ذكر هزيمة إبراهيم بن عبد الله بن حسن سنة اثنتين وأربعين ومائة ليس بجيد لأنها وقعت سنة خمس وأربعين، وقد ذكر دحيم اختلاط ابن أبي عروبة في هذه السنة، ثم ذكر الخلاف في تاريخ وفاته.

ب) اقتصر ابن الصلاح على اثنين ممن قال إنهم سمعوا منه قبل اختلاطه وهما : يزيد بن هارون وعبدة بن سليمان، إلا أن عبدة أخبر عن نفسه أنه سمع منه بعد الاختلاط. وقد ذكر الأئمة جماعة سمعوا منه قبل أن يتغير، ومنهم عبد الله بن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، ويزيد بن زريع، وعبد الأعلى الشامي، ومحمد بن بشر، وأسباط بن محمد.

---

(1) نقل مختصراً من التقييد والإيضاح، ص 447 وما بعدها، تعليق الحافظ العراقي.

(2) متن المقدمة لابن الصلاح في التقييد والإيضاح، ص 447.

وذكر العراقي رواية من أخرج الشيخان أو أحدهما عن ابن أبي عروبة، فقال إنهما اتفقا على إخراج رواية خالد بن الحرث، وروح بن عبادة، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى، ومحمد بن أبي عدي، والقطان وابن زريع. وأخرج له البخاري رواية بشر بن المفضل، وسهل بن يوسف، وابن المبارك، وعبد الوارث بن سعيد، وكهمس بن المنهال، ومحمد بن عبد الله الأنصاري. وأخرج له مسلم عن إسماعيل بن علية، وأبي أمامة حماد بن أبي أسامة، وسالم بن نوح، وسعيد بن عامر الضبعي، ومحمد بن بشر العبدي، وغندر، ومحمد بن أبي بكر البرساني، وعيسى بن يونس، والأحمر، والخفاف، وعبدة، وعلي بن مسهر[1].

5. المسعودي : عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود، ذكر ابن الصلاح أنه اختلط، وقد نبه العراقي في شأنه على ما يلي :

أ) إن ابن الصلاح اقتصر على اثنين ممن رووا عنه بعد الاختلاط وهما : عاصم بن علي وأبو النضر هاشم بن القاسم، فزاد العراقي عليهم عبد الرحمن بن مهدي، ويزيد بن هارون، وحجاج بن محمد الأعور، وأبا داود الطيالسي، وعلي بن الجعد. وذكر ابن حنبل قبول سماع من سمعه بالكوفة مثل وكيع وأبي نعيم. وروى عن عمرو بن الفلاس قول أبي قتيبة مسلم بن قتيبة إنه رأى المسعودي سنة 153هـ وكتب عنه وهو صحيح، ورآه سنة 157هـ والذر يدخل في أذنه وأبو داوود يكتب عنه، فقال له أتطمع أن تحدث عنه وأنا حي.

ب) وفي بيان ابتداء اختلاطه قال العراقي أنه على قول يحيى بن معين فيكون اختلاطه بعد وفاة أبي جعفر المنصور سنة 158هـ، وكانت وفاة المسعودي على المشهور سنة 160هـ، وعلى قول أبي قتيبة، فإنه اختلط 158هـ، وعن ابن حنبل إنه اختلط في بغداد وقد قدم عليها سنة 154هـ.

ج) وممن سمع منه قبل اختلاطه، أمية بن خالد، وبشر بن المفضل، وأبو قتيبة مسلم بن قتيبة، ومعاذ بن معاذ العنبري، وجعفر بن عون، والنضر بن شميل، ويزيد بن زريع[2].

6. ربيعة بن أبي عبد الرحمن : قال ابن الصلاح أنه تغير في آخر عمره، وترك الاعتماد عليه لذلك. وقد علّق على هذا الرأي بقوله إن ما حكاه ابن الصلاح من تغير ربيعة في آخر عمره لم يرو لأحد غيره. وقال إن ربيعة احتج به الشيخان، ووثقه ابن حنبل، وأبو

(1) نقل مختصراً من التقييد والإيضاح، ص 448 وما بعدها، تعليق الحافظ العراقي.

(2) المصدر نفسه، ص 452 وما بعدها.

حاتم، ويحيى بن سعيد، والنسائي وابن حبان، وابن عبد البر، ولا أحد تكلم فيه باختلاط أو ضعف. إلا أنه ذكر ما أخذ عليه بعضهم في شأن القول بالرأي، وختم تعليقه عنه أنه قال في مرض وفاته لعبد العزيز بن أبي سلمة لما سأله عن الفتوى في الرأي، لأن تموت جاهلا خير لك من أن تقول في شيء بغير علم، وكرر النهي عن القول بالرأي ثلاث مرات[1].

7. **صالح بن نبهان، مولى التوأمة بنت أمية بن خلف :** روى عنه ابن أبي ذئب والناس. قال أبو حاتم بن حبان تغير في سنة خمس وعشرين ومائة واختلط حديثه الأخير بحديثه القديم، ولم يتميز فاستحق الترك.

وقد اقتصر المصنف من أقوال من تكلم في صالح بالاختلاط على حكاية كلام ابن حبان فاقتضى ذلك ترك جميع حديثه وليس كذلك فقد ميز غير واحد من الأئمة بعض من سمع منه في صحته ممن سمع منه بعد اختلاطه.

فممن سمع منه قديماً محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب قاله علي بن المديني، ويحيى بن معين، والجوزجاني، وأبو أحمد بن عدي. قلت وكذلك سمع منه قديما أسيد بن أبي سيد، وسعيد بن أبي أيوب، وعبد الله بن علي الأفريقي، وعمارة بن غزية، وموسى بن عقبة. وممن سمع منه بعد الإختلاط مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة. والله أعلم.

8. **حصين بن عبد الرحمن الكوفي :** قال ابن الصلاح إنه ممن اختلط وتغير، ذكره النسائي وغيره والله أعلم.

وعلق عليه العراقي بملاحظتين :

أ) أن حصين بن عبد الرحمن أربعة ذكرهم الخطيب في "المتفق والمفترق"، فكان ينبغي لابن الصلاح أن يميز الذي اختلط منهم بذكر نسبه وكنيته، وهو أبو الهذيل السلمي، ثم ذكر العراقي الثلاثة الآخرين.

ب) لم يذكر ابن الصلاح من سمع منه قبل الاختلاط أو بعده، وذكر العراقي أربعة ممن سمعوا منه قديماً قبل أن يتغير، وهم سليمان التيمي، والأعمش، وشعبة، وسفيان، ثم ذكر الخلاف في تاريخ وفاته، وشهّر أنه توفي سنة 136[2].

9. **عبد الوهاب الثقفي :** قال ابن الصلاح إن ابن أبي حاتم روى عن يحيى بن معين، أنه اختلط بأخرة.

---

(1) نقل مختصراً من التقييد والإيضاح، ص455 وما بعدها، تعليق الحافظ العراقي.

(2) المصدر نفسه، ص 456 وما بعدها.

ولاحظ العراقي أن ابن الصلاح لم يتعرض لمدة تغيره، ولم يذكر من سمع منه في صحته أو بعد اختلاطه. ثم روى قول عقبة بن مكدم الحمصي أنه اختلط قبل وفاته بثلاث أو أربع سنين، وأنه توفي سنة 194هـ، وذكر الذهبي أنه لم يسمع منه أحد بعد اختلاطه[1].

10. سفيان بن عيينة : قال ابن الصلاح : «وجدت عن محمد بن عبيد الله بن عمار الموصلي أنه سمع يحيى بن سعيد القطان يقول أشهد أن سفيان بن عيينة اختلط سنة سبع وتسعين فمن سمع منه في هذه السنة وبعد هذه فسماعه لا شيء؛ قلت توفي بعد ذلك بنحو سنتين سنة تسع وتسعين ومائة»[2].

قال الحافظ العراقي معقباً : وفيه أمور أحدها أن المصنف لم يبين من سمع منه في سنة سبع وتسعين وما بعدها. وقد سمع منه في هذه السنة محمد بن عاصم، صاحب ذاك الجزء العالي كما هو مؤرخ في الجزء المذكور. وهكذا ذكره أيضاً "صاحب الميزان"، قال فأما سنة ثمان وتسعين ففيها مات ولم يلقه فيها أحد، فإنه توفي قبل قدوم الحاج بأربعة أشهر، قال ويغلب على طني أن سائر شيوخ الأئمة الستة سمعوا منه قبل سنة سبع وتسعين.

الأمر الثاني : أن هذا الذي ذكره المصنف عن محمد بن عبد الله بن عمار عن القطان قد استبعده صاحب "الميزان"، فقال وأنا أستبعده وأعده غلطا من ابن عمار فإن القطان مات في صفر من سنة ثمان وتسعين وقت قدوم الحاج ووقت تحدثهم عن أخبار الحجاج، فمتى تمكن يحيى بن سعيد من أن يسمع اختلاط سفيان ثم يشهد عليه بذلك والموت قد نزل به، ثم قال فلعله بلغه ذلك في أثناء سنة سبع.

الأمر الثالث : أن ما ذكره المصنف من عند نفسه كونه بقي بعد الاختلاط نحو سنتين وهم منه وسبب ذلك وهمه في وفاته، فإن المعروف أنه توفي بمكة يوم السبت أول شهر رجب سنة ثمان وتسعين، قاله محمد بن سعد وابن زبر ابن قانع. وقال ابن حبان يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة[3].

11. عبد الرزاق بن همام : ذكر أحمد بن حنبل أنه عمي في آخر عمره، فكان يلقن فيتلقن، فسماع من سمع منه بعدما عمي لا شيء. قال النسائي فيه نظر لمن كتب عنه بآخرة.

---

(1) نقل مختصراً من التقييد والإيضاح، ص 458، تعليق الحافظ العراقي.

(2) متن المقدمة لابن الصلاح في التقييد والإيضاح، ص 459-458.

(3) نقل مختصراً من التقييد والإيضاح، ص 458، تعليق الحافظ العراقي.

قلت وعلى هذا يحمل قول عباس بن عبد العظيم لما رجع من صنعاء، والله لقد تجشمت إلى عبد الرزاق وأنه لكذاب، والواقدي أصدق منه.

قلت وقد وجدت فيما روي عن الطبراني عن إسحق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق أحاديث أنكرتها جداً، فأحلت أمرها على ذلك بإن سماع الدبري منه متأخر جداً. قال إبراهيم الحربي مات عبد الرزاق وللدبري ست سنين أو سبع سنين ويحصل أيضاً في نظر من كثير من العوالي الواقعة عمن تأخر سماعه من سفيان بن عيينة وأشباهه[1].

12. عارم محمد بن الفضل أبو النعمان : اختلط بآخرة، فما رواه عنه البخاري ومحمد ابن يحيى الذهلي وغيرهما من الحفاظ ينبغي أن يكون مأخوذا عنه قبل اختلاطه.

ولم يبين المصنف ابتداء اختلاطه، ولا كم قام في الاختلاط، ولا من سمع منه قبل الاختلاط وبعده، إلا ما ذكر البخاري ومحمد بن يحيى الذهلي وغيرهما من الحفاظ، وأتى به بصيغة "ينبغي" ولم ينقله عن أحد يرجع إليه، مع أن بعض الحفاظ سمع منه بعد الاختلاط وهو أبو زرعة الرازي.

فأما ابتداء اختلاطه فقد اختلفوا في ذلك، فقال أبو حاتم كتبت عنه قبل الاختلاط سنة أربع عشرة يعني ومائتين، قال : ولم أسمع منه بعدما اختلط، فمن سمع منه قبل ستة وعشرين ومائتين فسماعه جيد، قال : وأبو زرعة لقيه سنة اثنتين وعشرين.

وقال أبو داود : بلغنا أن عارماً أنكر سنة ثلاث عشرة ومائتين، ثم راجعه عقله؛ واستحكم به الاختلاط سنة ست عشرة، ومات عارم سنة أربع وعشرين ومائتين. فإذا كان اختلاطه ثماني سنين على قول أبي داود وأربع سنين على قول أبي حاتم، وقال الدارقطني ما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر، وأما ابن حبان فإنه قال في تاريخ "الضعفاء" اختلط في آخر عمره، وتغير حتى كان لا يدري ما يحدث به، فوقع المناكير الكثيرة في روايته فما روى عنه القدماء إذا علم أن سماعهم منه كان قبل تغيره إن احتج به محتج بعد العلم بما ذكرت أرجو أن لا تخرج في فعل ذلك[2].

13. أبو قلابة عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشي : روينا عن الإمام ابن خزيمة أنه قال حدثنا أبو قلابة بالبصرة قبل أن يختلط ويخرج إلى بغداد.

---

(1) نقل مختصراً من التقييد والإيضاح، ص 459 وما بعدها، تعليق الحافظ العراقي.

(2) المصدر نفسه، ص 461 وما بعدها.

وظاهر كلام ابن خزيمة أنه من سمع منه بالبصرة قبل أن يخرج إلى بغداد فسماعه صحيح، وأن من سمع منه ببغداد فهو بعد الاختلاط أو مشكوك فيه. فممن سمع منه بالبصرة أبو داود السجستاني، وإبن ماجه، وأبو مسلم الكجي، وأبو بكر بن أبي داود، ومحمد بن إسحق الصاغاني، وأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، وأبو عروبة الحسين بن محمد الحراني[1].

وممن بلغنا عنه ذلك من المتأخرين أبو أحمد الغطريفي الجرجاني وأبو طاهر حفيد الإمام ابن خزيمة، ذكر الحافظ أبو علي البرذعي ثم السمرقندي في معجمه أنه بلغه أنهما اختلطا في آخر عمرهما. أما الغطريفي فلم أر من ذكره فيمن اختلط غير ما حكاه المصنف عن الحافظ أبي علي البرذعي، وقد ترجمه الحافظ حمزة السهمي في "تاريخ جرجان"، فلم يذكر عنه شيئاً من ذلك وهو أعرف به[2].

14. وأبو بكر بن مالك القطيعي : راوي مسند أحمد وغيره، اختل في آخر عمره وخرف حتى كان لا يعرف شيئاً مما يقرأ عليه.

وفي ثبوت هذا عن القطيعي نظر، وهذا القول تبع فيه المصنف مقالة حكيت عن أبي الحسن بن الفرات لم يثبت إسنادها إليه، ذكرها الخطيب في "التاريخ"، فقال : حدثت عن أبي الحسن بن الفرات قال : كان ابن مالك القطيعي مستوراً صاحب سنة، كثير السماع من عبد الله بن أحمد وغيره إلا أنه اختلط في آخر عمره، وكف بصره، وخرف، حتى كان لا يعرف شيئاً مما يقرأ عله. وقد أنكر صاحب "الميزان" هذا على ابن الفرات وقال هذا غلو وإسراف[3].

(1) نقل مختصراً من التقييد والإيضاح، ص 462 وما بعدها، تعليق الحافظ العراقي.

(2) المصدر نفسه، ص 463.

(3) المصدر نفسه، ص 465.

الباب الخامس

الـمـوسـوعـات

الفصل الأول

أصحاب الجوامع

تمهيد

في منتصف القرن الثالث الهجري أخذت عملية تدوين الحديث منحى جديدا تمثل أساسا في فكرة الجمع والاستقصاء، بدأت مع الإمام الطبراني الذي حاول أن يجمع في معاجمه الثلاثة جميع ما دُوّن قبله من الأحاديث، وانتهى هذا المنهج بعمل الإمام السيوطي الذي سعى بدوره في جمع الأحاديث في جامعه الكبير، وكان من أواخر من اتبع هذه الطريقة العلاّمة المحدث محمد الروداني، الذي جمع مؤلفات الهيتمي.

وقد تخلل عمل هؤلاء الموسوعيين ما قام به البغوي من تصنيف وترتيب ، وابن الجوزي من تنقيح وتصحيح.

فجاء عمل هؤلاء الأعلام عملاً شاملاً ومكملاً لعملية التدوين الأولى، ويضع بين يدي الباحثين في هذا العلم حصيلة عشرة قرون من البحث الجاد في علم الحديث الذي قيل بحق إنه نضج واحترق.

ونقدم في هذا الفصل لمحات من تراجم هؤلاء الأعلام مع الإشارة إلى أشهر كتبهم في موضوع علم الحديث.

1. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (260-360)

حياته :

هو الإمام الحافظ، الثقة والرحالة الجوال، محدث الإسلام، علم المعمرين أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة.

مولده بمدينة عكا في شهر صفر سنة ستين ومائتين وكانت أمه عكاوية وأول سماعه في سنة ثلاث وسبعين، ومائتين ارتحل به أبوه وحرص عليه، فإنه كان

صاحب حديث من أصحاب دحيم. فأول ارتحاله كان في سنة خمس وسبعين، فبقي في الارتحال ولقي الرجال ستة عشر عاماً، وكتب عمن أقبل وأدبر، وبرع في هذا الشأن، وجمع وصنّف، وعمّر دهراً طويلاً، وازدحم عليه المحدثون، ورحلوا إليه من مختلف الأقطار.

لقي أصحاب يزيد بن هارون، وروح بن عبادة، وأبي عاصم، وحجاج ابن محمد، وعبد الرزاق، ولم يزل يكتب حتى كتب عن أقرانه.

وسمع من ألف شيخ أو يزيدون منهم هاشم بن مرثد الطبراني، وسمع بطبرية من أحمد بن عبد الله اللحياني، وروى عن أبي زرعة الدمشقي، وعلي بن عبد العزيز البغوي، وعبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، وعبد الله بن الحسين المصيصي، وعبد الرحيم بن عبد الله البرقي. وقيل أنه وهم في اسمه وسماه أحمد باسم أخيه، وحدثه محمد بن عمرو بن خالد الحراني، عن أبي داود الطيالسي. وسمع بالحرمين، واليمن، ومدائن الشام ومصر، وبغداد، والكوفة، والبصرة، وأصبهان، وخوزستان، وغير ذلك ثم استوطن أصبهان. وأقام بها نحوا من ستين سنة ينشر العلم ويؤلفه، وإنما وصل إلى العراق بعد فراغه من مصر والشام والحجاز واليمن.

حدث عنه : الحافظ ابن عقدة، وابن منده، وأبو بكر بن مردويه، وأبو نعيم الأصبهاني، وأبو الفضل محمد بن أحمد الجارودي، وأبو سعيد النقاش، وأبو بكر بن أبي علي الذكواني.

ومن تواليفه "المعجم الصغير" في مجلد، عن كل شيخ حديث، و"المعجم الكبير" في ثمان مجلدات وهو معجم أسماء الصحابة وتراجمهم وما رووه؛ لكن ليس فيه مسند أبي هريرة، ولا استوعب حديث الصحابة المكثرين، و"المعجم الأوسط" على مشايخه المكثرين، وغرائب ما عنده عن كل واحد في خمس مجلدات. وكان الطبراني يقول عن "الأوسط" : هذا الكتاب روحي.

قال أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي : سمعت الأستاذ ابن العميد يقول : ما كنت أظن أن في الدنيا حلاوة ألذ من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها حتى شاهدت مذاكرة أبي القاسم الطبراني وأبي بكر الجعابي بحضرتي، فكان الطبراني يغلب أبا بكر بكثرة حفظه؛ وكان أبو بكر يغلب بفطنته وذكائه حتى ارتفعت أصواتهما، ولا يكاد أحدهما يغلب صاحبه، فقال الجعابي : عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي، فقال : هات، فقال : حدثنا أبو خليفة الجمحي، حدثنا سليمان بن أيوب، وحدث بحديث

الطبراني: أخبرنا سليمان بن أيوب، ومني سمعه أبو خليفة، فاسمع منى حتى يعلو فيه إسنادك فخجل الجعابي، فوددت أن الوزارة لم تكن. وكنت أنا الطبراني، وفرحت كفرحه أو كما قال.

قال الحافظ ضياء الدين المقدسي : هذا وهم فيه الطبراني في المذاكرة، فأما في جمعه حديث شعبة، فلم يروه إلا من حديث عثمان بن عمر، ولو كان كل من وهم في حديث واحد اتهم لكان هذا يسلم منه أحد.

قال الحافظ أبو بكر بن مردويه : دخلت بغداد، وتطلبت حديث إدريس بن جعفر العطار عن يزيد بن هارون، وروح، فلم أجد إلا أحاديث معدودة. وقد روى الطبراني عن إدريس، عن يزيد كثيرا، قلت : هذا لا يدل على شيء، فإن البغاددة كانوا ثاروا عن إدريس للينه، وظفر به الطبراني فاغتنم علو إسناده، وأكثر عنه واعتنى بأمره.

وقال الحافظ الضياء : ذكر ابن مردويه في تاريخه لأصبهان جماعة، وضعفهم. وذكر الطبراني فلم يضعفه، فلو كان عنده ضعيفا لضعفه. قال أبو بكر بن أبي علي المعدل : الطبراني أشهر من يدل على فضله وعلمه، كان واسع العلم كثير التصانيف، وقيل : ذهبت عيناه في آخر أيامه، فكان يقول : الزنادقة سحرتني، فقال له يوما حسن العطار ـ تلميذه ـ يمتحن بصره : كم عدد الجذوع التي في السقف ؟ فقال : لا أدري، لكن نقش خاتمي سليمان بن أحمد. قلت : هذا قاله على سبيل الدعابة. قال : وقال له مرة : من هذا الآتي ـ يعني : ابنه ـ ؟ فقال : أبو ذر، وليس بالغفاري.

ولأبي القاسم من التصانيف : كتاب "السنة"، مجلد، كتاب "الدعاء" مجلد، كتاب "الطوالات" مجلد، كتاب "مسند شعبة" كبير، "مسند سفيان"، كتاب "مسانيد الشاميين"، كتاب "التفسير" كبير جدا، كتاب "الأوائل"، "مسند عائشة" و"مسند أبي هريرة"، و"مسند أبي ذر"، و"مناقب أحمد"، و"العلم"، و"الرؤية"، و"فضل العرب"، و"الجود"، و"الفرائض"، و"كتاب الأشربة"، وكتاب "الألوية في خلافة أبي بكر وعمر"، وغير ذلك وقد سمّاها على الولاء الحافظ يحيى بن منده. وأكثرها مسانيد حفاظ وأعيان.

ولم يزل حديث الطبراني رائجاً، نافقاً، مرغوباً فيه، ولاسيما في زمان صاحبه ابن ريذة فقد سمع منه خلائق، وكتب السلفي عن نحو مائة نفس منهم. ومن أصحاب ابن فاذشاه، وكتب أبو موسى المديني، وأبو العلاء الهمذاني عن عدة من بقاياهم. وازدحم الخلق على خاتمتهم وهي فاطمة الجوزدانية التي توفيت في سنة أربع وعشرين وخمس مائة. وارتحل ابن خليل والضياء وأولاد الحافظ عبد الغني وعدة من المحدثين في طلب حديث الطبراني، واستجازوا من بقايا المشيخة لأقاربهم وصغارهم، وجلبوه

إلى الشام ورووه، ونشروه، ثم سمعه بالإجازة العالية ابن جعوان، والحارثي، والمزي، والبرزالي، وأقرانهم، ورووه في هذا العصر، وأعلى ما بقي من ذلك بالاتصال "معجمه الصغير". وقد عاش الطبراني مائة عام وعشرة أشهر.

قال أبو نعيم الحافظ : توفي الطبراني لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ثلاث مائة وستين بأصبهان، ومات ابنه أبو ذر في سنة تسع وتسعين وثلاث مائة عن نيف وستين سنة.

نماذج من أحاديثه :

يقول الذهبي : «قرأت على سليمان بن قدامة القاضي، أخبرنا محمد عبد الواحد الحافظ، أخبرنا محمد بن أحمد، أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله، أخبرنا ابن ريذة، أخبرنا الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا سعيد من منصور، حدثنا هشيم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه : أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك، فقال : اطلبوها، فلم يجدوها، فقال : اطلبوها فوجدوها، فإذا هي قلنسوة خلقة، فقال خالد : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه، فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته، فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالا وهي معي إلا رزقت النصر»[1].

- (عن أبي أمامة) قال رجل يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال : «إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن». "الكبير"[2].
- (عن أبي هريرة) رفعه : «المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد». رواه الطبراني في الأوسط.
- (عن سهل بن حنيف) «لا تشددوا على أنفسكم فإنما هلك من كان قبلكم بتشديدهم على أنفسهم وستجدون بقاياهم في الصوامع والديارات». رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

---

(1) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 16، ص 119 إلى 130، تحقيق شعيب الأرناؤط، منشورات مؤسسة الرسالة، 1981. وانظر ترجمته أيضاً في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 3، ص 912.

(2) رواه أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، صححه الألباني وقال رجاله رجل صحيح مسلم. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، 91/2.

ـ (عن ابن عباس) «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»، قالوا : يا رسول الله ما رياض الجنة ؟ قال : «مجالس العلماء». رواه الطبراني في الكبير وفيه رجال مسلم.

ـ (عن ثعلبة بن الحكم) يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده «إني لم أجعل علمي وحلمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي». رواه الطبراني في "الكبير".

ـ (عن ابن مسعود) قال : لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن أكابرهم فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا. رواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط".

ـ (عن أبي نضرة) كان أبو سعيد يقول تحدثوا فإن الحديث يذكر بعضه بعضاً. "الأوسط".

ـ (عن ابن مسعود) قال إن الذي يفتي الناس بكل ما يستفتونه فيه مجنون. رواه الطبراني في "ال"كبير.

ـ (عن معاوية بن حيدة) خطبهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «حتى متى ترعون عن ذكر الفاجر هتكوه حتى يحذره الناس». رواه الطبراني.

ـ (عن جابر) «من بلغه عني حديث فكذب به فقد كذب ثلاثة : الله ورسوله والذي حدث به». رواه الطبراني في "الأوسط".

ـ (عن أبي أمامة) «لا ينجس الماء شيء إلا ما غير ريحه أو طعمه». رواه الطبراني في الأوسط والكبير.

ـ (عن ابن عمر) قلت : يا رسول الله أتوضأ من جر جديد مخمر أحب إليك أم من المطاهر ؟ قال : «لا، بل من المطاهر، إن دين الله يسر الحنيفية السمحاء»، قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه يرجوا بركة أيدي المسلمين. رواه الطبراني في الأوسط.

ـ (عن سعد) «طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهر أفنيتها». رواه الطبراني في الأوسط.

ـ (عن أبي هريرة) «من لم يستقبل القبلة ولم يستدبرها في الغائط كتبت له حسنة ومحيت عنه سيئة». رواه الطبراني في الأوسط.

- (عن أبي امامة) «اتقوا البول فإنه أول ما يحاسب به العبد في القبر». رواه الطبراني في الكبير.

- (عن سهل بن سعد) سئل النبيﷺ عن الاستطابة فقال : «لا يجد أحدكم ثلاثة أحجار حجران للصفحتين وحجر للمسربة». رواه الطبراني في الكبير.

- (عن ابن مسعود) «لتنتهكن الأصابع بالطهور أو لتنتهكنها النار». رواه الطبراني في الأوسط.

- (عن أبي و موسى) بينما النبيﷺ يصلي بالناس إذ دخل رجل فتردى في حفرة كانت في المسجد وكان في بصره ضرر فضحك كثير من القوم وهو في الصلاة فأمر رسول اللهﷺ من ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة. رواه الطبراني في الكبير.

2. أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (تـ 516)

أ) حياته[1] :

هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، أحد العلماء الذين خدموا الكتاب العزيز، والسنة النبوية بالعكوف على دراستها، والتأليف فيهما، وإحياء ما درس من معالمهما، وكشف كنوزهما ودفينهما.

ولد في بغشور، والنسبة إليها بغوي على غير قياس، قيل : اسم المدينة (بيغ) وهي بليدة بين هراة ومرو الروز من بلاد خراسان، أنجبت كثيراً من المحدثين والفقهاء وأهل العلم، ومنهم : أبو الأحوص محمد بن حيان البغوي، وأبو جعفر أحمد بن منيع البغدادي، وأبو جعفر محمد بن حيويه بن سلمويه بن النضر بن مرداس البغوي، والفقيه أبو يعقوب يوسف بن يعقوب ابن إبراهيم البغوي، وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، والقاضي أبو سعيد محمد بن علي بن أبي صالح البغوي، وإسحق بن إبراهيم بن عبد الرحمن البغوي، والحافظ أبو الحسن علي بن عبد العزيز البغوي.

---

(1) ترجمة شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش للإمام البغوي في مقدمة تحقيقهما لكتاب شرح السنة، منشورات المكتب الإسلامي، ج 1، ص 19 وما بعدها، الطبعة 1، 1971.

ولم تذكر المصادر التي ترجمت للحسن البغوي السنة التي ولد فيها، ولا كم كان عمره عند موته، إلا أن جميع من ترجمه قالوا إنه توفي سنة (516هـ) وقالوا إنه بلغ الثمانين أو تجاوزها، فيغلب على الظن أنه ولد في أوئل العقد الرابع من القرن الخامس الهجري.

وقد نشأ شافعي المذهب بحكم البيئة التي عاش فيها، والعلماء الذين التقى بهم وأخذ عنهم. وكانت له يد مشكورة في المذهب الشافعي، فقد ألف فيه كتابه "التهذيب" نحى فيه منحى أهل الترجيح والاختيار والتصحيح، إلا أنه رحمه الله لم يكن يتعصب لإمامه، ولا يندد بغيره، بل كان ينظر في جميع المذاهب أرآء الأئمة، ويطلع على حججهم ودلائلهم ويأخذ غالباً في كل باب ما يراه أبلغ في الحجة، وأوفق للنص.

على إنه حين استوت له المعرفة، وبلغ مرحلة النضج كان يدعو إلى الاعتصام بالكتاب والسنة اللذين هما أصل الدين وملاكه، وإليهما المرجع في المسائل الشرعية، ويؤلف في نشر علومها، وبث معارفهما، وإحياء مآثرهما التآليف النافعة الماتعة حتى استحق بحق لقب (محيي السنة) من أهل عصره وممن جاء بعدهم.

وقد دفعه حبه للعلم، وحرصه على المعرفة، وشغفه بالسنة أن يرحل إلى مرو الروذ ليلتقي بإمام عصره غير مدافع الحسين بن محمد المروزي القاضي، فتتلمذ له، وتفقه عليه، وروى عنه، ونهل من علمه فكان من أخص تلامذته، وأوعاهم، وأفضلهم، وأذكاهم، ولم تقف همته عند ذلك، بل طاف بلاد خراسان، وسمع خلقاً كثيراً من علمائها، وروى عنهم الصحاح، والسنن، والمسانيد، والأجزاء من أجود الطرق وأوثقها، وأوفاها، ودرس مذاهب الأئمة المشهورة، وأحاط بها، وخاصة مذهب الإمام الشافعي، وجالس علماء اللغة وحمل عنهم الكتب التي ألفت في غريب الحديث وفسر معانيه.

ثم إنه ألقى عصا التسيار في مرورالروذ وطنه الثاني، يؤلف الكتب القيمة في التفسير والحديث والفقه، ويفيد الطلبة من علمه الجم، وأفكاره النيرة وتعاليمه القيمة، إلى أن وافته المنية فيها في شوال عام (516هـ) ودفن بجنب شيخه القاضي حسين المروزي بمقبرة الطالقاني عن عمر يناهز الثمانين.

ب) شيوخه :

وقد تتلمذ لطائفة من أعلام عصره، وروى عن جمع كثير من المحدثين، ذكرنا منهم : الإمام الكبير أبا علي الحسين بن محمد بن أحمد المروزي فقيه خراسان.

وأخذ عن مسند مرو أبي عمر عبد الرحيم بن أحمد بن أبي القاسم المليحي الهروي. وعن الفقيه الفاضل أبي الحسن علي بن يوسف الجويني المعروف بشيخ الحجاز المتوفى سنة (463هـ).

ومن شيوخه أيضاً : المسند أبو بكر يعقوب بن أحمد الصيرفي النيسابوري المتوفى سنة (466هـ). وأبو علي حسان بن سعيد المنيعي المروزي. وأبو بكر محمد بن عبد الصمد الترابي المروزي. وشيخ خراسان في عصره زهدا وعلما الإمام أبو القاسم عبد الكريم ابن عبد الملك بن طلحة النيسابوري التشيري. وأبو صالح احمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد النيسابوري الحافظ الثقة محدث وقته بخراسان. ومفتي نسابور أبو تراب عبد الباقي بن يوسف بن علي بن صالح ابن عبد الملك المراغي الفقيه الشافعي المتوفى سنة (492هـ). والإمام الفاضل الفقيه عمر بن عبد العزيز الفاشاني.

ج) تلامذته :

وقد استضاءت بلاد خراسان بعلمه وفضله، وأقبل عليه طلاب العلم يفيدون منه، ويأخذون عنه، ومن هؤلاء : الشيخ العلامة مجد الدين أبو منصور محمد بن أسعد العطاري الشافعي الأصولي الواعظ المتوفى سنة (571هـ). وهو الذي روى "شرح السنة" عن المؤلف. وأبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي الهمذاني، المحدث الواعظ المتوفى سنة (555هـ) من تآليفه "الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين"، جمعه من مسموعاته عن أربعين شيخاً، كل واحد عن واحد من الصحابة. وأبو المكارم فضل الله بن محمد النوقاني نسبة إلى نوقان قصبة طوس، وهو أخر من روى عنه بالإجازة، وبقي إلى سنة ستمائة، وأجاز للفخر علي بن البخاري شيخ الإمام الذهبي، وأخذ عنه الكثير من علماء أهل مرو.

د) صفاته :

كان للإمام البغوي رحمه الله من الصفات والمزايا ما كان له أثر كبير في ظفره بلقب (الإمام) و(محيي الدين) و(شيخ الإسلام)، وغير ذلك من النعوت التي أطلقها عليه بحق كل من ترجم له، فهو حافظ لكتاب الله، وملم بالقراءات، وعالم بما أثر عن الصحابة والتابعين في التفسير، وذو بصر تام بمذهب الإمام الشافعي، وعالم بالخلاف بن المذاهب، وهو من أئمة الحديث وحفاظه، واسع المعرفة بمتونه، وأسانيده، وأحوال رجاله، وهو صاحب عقل لماح، وحافظة واعية، وشغف بالبحث والاطلاع، يجمع إلى

صحة النقل وصدق الرواية، دقة التعبير، ونصاعة الرأي، وجزالة البيان، وهو ذو أفق واسع، يعرض مذاهب الأئمة بأدلتها بأمانة ودقة، لا يتعصب لمذهب، ولا يندد بغيره، حريص على نشر معارف الكتاب والسنة، وتعميم تعاليمهما القويمة الصحيحة، لا يشغله عن العلم شيء من مطالب الدنيا، أو شؤون الحياة، وهو رضي الخلق، سمح النفس، عذب الشمائل، حسن النية، صادق الطوية، وقد ظهر آثار ذلك كله فيما خلفه من تآليف متنوعة أثنى عليها العلماء وتلقتها الأمة بالقبول.

هـ) أقوال العلماء فيه :

تجمع المصادر التي ترجمت له على جلالة قدره، ورسوخ قدمه في السنة وعلومها، وإمامته في التفسير، والحديث، والفقه.

قال عنه الحافظ الذهبي : الإمام العلامة القدوة الحافظ، شيخ الإسلام محيي السنة، صاحب التصانيف.

وقال السبكي : وكان البغوي يُلقّب بمحيي السنة، وبركن الدين، ولم يدخل بغداد، ولو دخلها لاتسعت ترجمته، وقدره عال في الدين، وفي التفسير، وفي الحديث، وفي الفقه، متسع الدائرة نقلا وتحقيقا، كان الشيخ الإمام (يريد والده تقي الدين) يجل مقدراه جدا، ويصفه بالتحقيق مع كثرة النقل، وقال في باب الرهن من تكملة ″شرح المهذب″ : اعلم أن صاحب ″التهذيب″ [يريد الإمام البغوي] قل أن رأيناه يختار شيئاً إلا وإذا بحث عنه وجد أقوى من غيره، هذا مع اختصار كلامه، وهو يدل على نبل كبير، وهو حري بذلك، فإنه جامع لعلوم القرآن، والسنة، والفقه.

وقال ابن العماد الحنبلي : المحدث، المفسر، صحاب التصانيف، وعالم أهل خراسان. وقال ابن خلكان : كان بحراً في العلوم، وصنّف في تفسير كلام الله تعالى، وأوضح المشكلات من قول النبيﷺ، وروى الحديث، ودرس، كان لا يلقي الدرس إلا على طهارة. وقال الحافظ ابن كثير : برع في العلوم، وكان علامة زمانه فيها، وكان ديناً، ورعاً، زاهداً، عابداً، صالحاً. وقال ابن نقطة : إمام حافظ، ثقة، صالح. وقال ابن قاضي شهبة : كان إماماً في التفسير، إماما في الحديث في الحديث، إماماً في الفقه.

و) مؤلفاته :

لقد ترك البغوي رحمه الله عدة مؤلفات في التفسير، والفقه، والحديث، منها :

1. مجموعة من الفتاوي ضمّنها فتاوى شيخه، وهي مسائل فقيه سئل عنها شيخه الإمام أبو علي الحسين بن محمد المروزي، فأجاب عنها، فتتبعها المؤلف رحمه الله وجمعها على ترتيب مختصر المزني.

2. "التهذيب في فقه الإمام الشافعي"، وهو تأليف محرر، مهذب، مجرد عن الأدلة غالباً، لخصه من تعليقة شيخه القاضي حسين. وزاد فيه ونقص، وهو مشهور عند الشافعية، يفيدون منه، وينقلون عنه، ويعتمدونه في كثير من المسائل، والإمام النووي رحمه الله يكثر النقل عنه في "الروضة" ويقع في أربع مجلدات ضخام.

3. "معالم التنزيل" وهو تفسير متوسط جامع لأقاويل السلف في تفسير الآي، محلى بالأحاديث النبوية التي جاءت على وفاق آية أو بيان حكم، وقد تجنب فيه إيراد كل ما ليس له صلة بالتفسير، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن أي التفسير أقرب إلى الكتاب والسنة ؟ الزمخشري، أم القرطبي ؟ أم البغوي ؟ أم غير هؤلاء ؟ فقال : وأما التفاسير الثلاثة المسؤول عنها، فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة البغوي. وقد طبع أكثر من مرة[1].

4. "مصابيح السنة" جمع فيه طائفة من الأحاديث مما أورده الأئمة في كتبهم محذوفة الأسانيد، وقسّمها إلى صحاح وحسان، وعني بالصحاح ما أخرجه الشيخان أو أحدهما، وبالحسان ما أخرجه أصحاب السنن، طبع عدة مرات[2]، وهو كتاب مشهور متداول عني به العلماء قراءة، وتعليقا، وشرحا، وقد اعتمده الخطيب التبريزي وزاد عليه، وهذبه في كتابه "مشكاة المصابيح"، وقد طبع أكثر من مرة في بلاد تركستان والهند.

5. "الأنوار في شمائل المختار" ذكره صاحب "كشف الظنون" وغير واحد ممن ترجم له، وعرض له الكتاني في "الرسالة المستطرفة"، وقال : إنه رتبه على أحد ومائة باب على طريقة المحدثين.

---

(1) حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، وصدر عن دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417هـ/1997م.

(2) خرج أحاديثه ضحى الخطيب، منشورات دار الكتب العلمية.

6. ″الجامع بين الصحيحين″ ذكره صاحب ″كشف الظنون″ وبعض من ترجم له.

7. ″الأربعين حديثاً″ ذكره ابن قاضي شهبة عن الذهبي.

8. شرح السنة، يقول عنه محققاه[1] :

«وكتابه ″شرح السنة″ من أجل كتب السنة التي أنتهت إلينا من تراث السلف ترتيباً وتنقيحاً، وتوثقاً وإحكاماً، وإحاطة بجوانب ما ألف فيه، وأنشئ من أجله، وهو يبين عن سعة اطلاع على الحديث ونقلته، ودراية بالروايات وعللها، ومعرفة مذاهب الصحابة والتابعين، وأئمة الأمصار المجتهدين، وأمانة في النقل والتحقيق.

وقد أولاه المصنف رحمه الله عناية تامة، فأحسن انتقاء أحاديثه من مرويات أهل العدالة والضبط من رواة الحديث النبوي الشريف الذين هم أهل الصنعة المسلم لهم بالإمامة من أهل عصرهم، ثم جاء شرحه لها مشتملاً على فوائد شتى من : حل مشكل، وتفسير غريب، وبيان حكم، وما إلى ذلك مما يَمُتُّ بسبب إلى فقه الحديث.

وقد حمله على تأليفه ما شاهده في عصره من جمود كثير من أبناء زمنه على كتب بعض الفقهاء، وإعراضهم عن الكتاب والسنة، وإغفالهم البحث عن معانيهما، ولطائف علومهما، فرأى أن من حق الدين عليه، وواجب النصح للمسلمين أن يؤلف هذا الكتاب الرائع الذي يجمع بين الرواية والدراية لتنصرف هممهم على اختلاف مشاربهم إلى الاقتداء بأئمة السلف الذين ألهموا الفهم الصحيح للإسلام عن طريق التفقه بالقرآن والسنة، وما يرشدان إليه من أصول وقواعد.

وقد رتّب كتابه على الموضوعات، على طريقة أصحاب المصنفات من المحدثين، فجمع الأحاديث المتعلقة بكل موضوع في مكان واحد، وأطلق لفظة (كتاب) على العنوان العام الجامع لأحاديث متعددة، ولأبواب كثيرة من جنس واحد، كالإيمان، والصلاة، والبيوع، وأطلق لفظة (باب) على الأحاديث التي تدل على مسألة خاصة بعينها، وقد توخى الدقة في ذلك أكثر من كل من تقدمه ممن ألف في موضعه، ويظهر ذلك جليا واضحا بالمقارنة. وكثيراً ما يقتبس من الإمام البخاري عناوين الباب بلفظها ونصها الواردة في جامعه الصحيح.

---

(1) تحقيق شعيب الأرناؤط ومحمد زهير الشاويش للإمام البغوي في مقدمة تحقيقهما لكتاب شرح السنة، منشورات المكتب الإسلامي، ج 1، الطبعة 1، 1971.

درج على أن يفتتح كل كتاب، وأحيانا بعض الأبواب بآيات تناسب موضوعه، مذيلة بما أثر من الصحابة والتابعين من تفسير لها وتوضح لمعانيها.

ثم يسوق الأحاديث المتعلقة بالباب الذي ترجم له من دواوين السنة المعتمدة التي تلقاها بالسند المتصل إلى مؤلفيها، وقد التزم غالبا أن يذكر السند إلى النبي ﷺ ثم يذكر مخرجه إذا كان في (الصحيحين) أو في أحد هما، فيقول : متفق عليه، أو أخرجه البخاري أو مسلم، ومراده بذلك أنهما أخرجا أصله وبعض لفظه، أو معناه لا كله نصا، وفي ذلك تساهل غير ضار عند أهل العلم بهذا الفن، وأحياناً يذكر الحديث بسنده من أحد الصحيحين، ثم يعقب عليه بقوله : هذا حديث صحيح، أو متفق على صحته.

وإذا لم يكن الحديث عند واحد منهما، فكثيراً ما يقلّد قول الإمام الترمذي في التصحيح أو التضعيف وينقل كلامه في تعليل الخبر وما قيل في رجاله ممن تكلم فيهم، وقد يذكر كلامه دونما إشارة إليه، وأكثر ما يفعل ذلك إذا نقله بالمعنى محرراً منقحاً، وربما استقل بالحكم على الحديث تصحيحاً أو تضعيفاً.

وهو يحرص أشد الحرص على أن يذكر الأحاديث الصحاح، ولكن ربما ساق معها أحاديث ضعافا دون بيان حالها، إلا أنه يذكرها في الشواهد أو المؤكدات، أو لبيان معنى مجمل في حديث صحيح أو إذا لم يكن في الباب ما يغني عنها من الصحاح.

ثم يذكر ما يستفاد من أحاديث الباب من الفقه، وما يتعلق بعلوم الحديث، وضبط أسماء الرواة وأنسابهم، وترجمة بعضهم، والتوفيق بين الأحاديث التي تبدو بادي الرأي مختلفة أو متباينة، وربما تعرض لمسائل من الفقه لا يتناولها الحديث المخرج في الباب، إما استنباطا من الحديث، أو إلحاقا بمسألة الباب لمناسبة بينهما.

ثم يذكر اجتهادات الصحابة والتابعين، وأقوال الأئمة المجتهدين في أمهات المسائل المتفق عليها، والمختلف فيها ، ويحكى أدلة كل منهم بشيء من التفصيل إن احتاج المقام إلى تفصيل، وأحيانا يجمل القول فيها إن يكن ثمة ما يدعو إلى التفصيل، وربما رجح من تلك الآراء ما استبان له صوابه، وإن كان على خلاف مذهبه الذي ينتمي إليه إلا أنه لا يتكلف الطعن في أدلة المخالفين، وهذا غاية في الإنصاف والورع.

على أنه في هذا الكتاب ينحو منحى المحدثين ومن نهج نهجهم من الفقهاء في التعويل على الحديث الصحيح، والأخذ به، فقد صرح في بحث خيار العتق من كتابه هذا بأنه متى صح الحديث تعيّن المصير إليه والأخذ به.

ثم إنه لم يخل كتابه من تفسير غريب الحديث، وإيفائه حقه من الشرح والبيان، على طريقة أهل اللغة من ذكر الاشتقاق، والاستشهاد بالنظائر ونحوها، معتمدا في ذلك أي اعتماد على تآليف أبي عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة، وأبي سليمان الخطابي، وغيرهم من أئمة اللغة، وأكثر ما ينقل عنهم بحكاية لفظهم نفسه، وربما تجاوز ذلك إلى الحكاية بالمعنى.

وغرض المؤلف رحمه الله من كتابه هذا، هو جمع ما تناثر من الحديث المحتج به في الصحاح، والمسانيد، والسنن، والمعاجم، والأجزاء، في جليل العلم ودقيقه، ليكون مرجعا وافيا وشاملا لكل ما يحتاجه المسلم في أمور دينه ودنياه، ولذا أدرج فيه من الأحاديث ما يتعلق بالعقائد وأصول الدين، والعلم، والعبادات، والمعاملات، وحقوق الناس، ودلائل النبوة، ومبدإ الوحي، وشأن المبعث، والسيّر، والمغازي، والمناقب وأخبار القيامة، والحشر، والحساب، والشفاعة، وصفة الجنة والنار، وأخبار القرون الماضية، وفضائل القرآن، والزهد، والرقاق، إلى غير ما أودعه بعد من الأحاديث في السنن والآداب، ومحاسن الأخلاق، وسائر ما يدخل في معناها من أمور الدين الحنيف.

فهو سِجِلٌّ جامع أمين للحديث النبوي الشريف، ولمذاهب الصحابة والتابعين، والأئمة المجتهدين، وهو بهذه الصبغة ينفرد من بين كتب الحديث، وينهض وحده بإسعاف طلاب العلم والعلماء إذا ما أرادوا التعرف على الحديث النبوي، والتفقه فيه.

وإنّ كتاباً كهذا جمع إلى جلالة القدر، وعظم الفائدة، حسن الانتقاء، وإحكام الرصف ودقة التحرير، لا تستغرب انتشار ذكره بين طوائف الفقهاء والمحدثين، وتدارس العلماء له على مر الأجيال والاقتباس منه، والنقل عنه، والإشادة بمؤلفه، والتنويه بعلمه وفضله.

هذا وإن الطريقة التي احتذاها المؤلف رحمه الله في كتابه هذا من رواية الحديث بعد التوثق من صحته للاستدلال على مسائل الفقه والاستنباط تعتبر الطريقة المثلى لإرشاد طلاب الحديث والفقه، فهي تعلمهم كيف ينقدون الأسانيد والمتون، وكيف يميزون الصحيح من غيره، وتدربهم على التفقه بالسنة التي هي شرح للقرآن وبيان له، وتربي فيهم ملكة الاستنباط، وتكون لديهم شخصية مستقلة، وتعينهم على الخروج من ربقة التقليد المحض المذموم في القرآن، إلى الاتباع المقرون بالبصيرة والبرهان،

وتحملهم على احترام جمع الأئمة وتوقيرهم، وعدم جعل المسائل الخلافية سبباً للتفرق أو التعادي بين المسلمين ولا للتفاخر المفضي إلى ذلك[1].

3. أبو القاسم ابن عساكر (499-571هـ)

حياته العلمية:

الإمام الحافظ الكبير محدث الشام فخر الأئمة ثقة الدين علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي صاحب التصانيف و"التاريخ الكبير". ولد سنة تسع وتسعين وأربع مائة، وسمع في سنة خمس ومائة باعتناء أبيه وأخيه (الإمام) ضياء الدين (هبة الله) فسمع أبا القاسم النسيب وقوام بن زيد وسبيع بن قيراط وأبا طاهر الحنائي وأبا الحسن ابن الموازيني وطبقتهم بدمشق، ورحل في سنة عشرين فسمع أبا القاسم بن الحصين وأبا الحسن الدينوري وأبا العز بن كادش وأبا غالب بن البناء وأبا عبد الله البارع وقاضي المرستان وطبقتهم ببغداد، وعبد الله بن محمد الغزال بمكة، وعمر بن إبراهيم الزيدي بالكوفة، وأبا عبد الله الفراوي وهبة الله (ابن) السبيدي وعبد المنعم ابن القشيري (وطبقتهم بنيسابور) وسعيد بن أبي الرجاء والحسين بن عبد الملك الخلال وطبقتهما بأصبهان، ويوسف بن أيوب الهمذاني الزاهد بمرو، وتميم ابن أبي سعيد الجرجاني وطبقته بهراة، وعدد شيوخه ألف وثلاث مائة شيخ ونيف ثمانون امرأة.

سمع منه معمر بن الفاخر وأبو العلاء الهمذاني وأبو سعد السمعاني وحدث عنه ولده القاسم وأبو جعفر القرطبي وزين الأمناء أبو البركات بن عساكر وأخوه الشيخ فخر الدين وابن أخيه عز الدين النسابة والحافظ عبد القادر الرهاوي وأبو القاسم بن صصري ويونس بن محمد الفارقي الخطيب وأبو نصر الشيرازي ومحمد ابن أخي أبي البيان وإسحاق إبراهيم ابن الخشوعي ويونس بن منصور السقباني ومحمد بن رومي الجرداني ومحمد بن غسان الحمسي والمسلم بن احمد المازني وذاكر الله الشعيري وعبد الرحمن بن راشد البيت السوائي وعمر بن عبد الوهاب الراذعي وعتيق السلماني والشيخ بهاء الدين علي بن الجميزي ورشيد الدين بن مسلمة وسديد الدين مكي بن علان وخلق كثير.

---

(1) تقديم كتاب شرح السنة للبغوي، ص 3 وما بعدها، للمحققين شعيب الأرناؤط ومحمد زهير الشاويش، منشورات المكتب الإسلامي، الطبعة 1، 1971.

ثناء العلماء عليه :

قال السمعاني : أبو القاسم حافظ ثقة متقن ديّن خيّر حسن الصمت جمع معرفة المتن والإسناد وكان كثير العلم غزير الفضل صحيح القراءة متثبتاً رحل وتعب وبالغ في الطلب وجمع ما لم يجمعه غيره وأربى على الأقران ، دخل نيسابور قبلي بشهر، سمعت معجمه والمجالسة للدينوري كان قد شرع في التاريخ الكبير لدمشق.

قال ابن الحاجب حدثني زين الأمناء قال حدثني ابن القزويني عن والده مدرس النظامية أبي الخير قال حكى لنا الفراوي قال قدم ابن عساكر فقرأ علي ثلاثة أيام فأكثر وأضجرني وآليت على نفسي أن أغلق بابي فلما أصبحنا قدم علي شخص فقال : أنا رسول رسول اللهﷺ إليك، قلت : مرحباً بك، فقال قال لي في النوم أمض إلى الفراوي وقل له قدم بلدكم رجل شامي أسمر اللون يطلب حديثي فلا تمل منه.

قال القزويني : فو الله ما كان الفراوي يقوم حتى يقوم الحافظ، وقال المحدث بهاء الدين القاسم. كان أبي رحمه الله مواظباً على الجماعة والتلاوة ويختم كل جمعة ويختم في رمضان كل يوم ويعتكف في المنارة الشرقية وكان كثير النوافل والأذكار ويحيي ليلة النصف والعيدين بالصلاة والذكر وكان يحاسب نفسه على كل لحظة تذهب.

قال لي : لما حملت بي أمي قيل لها في منامها : تلدين غلاماً يكون له شأن وحدثني أن أباه رأى رؤيا معناه يولد لك ابنٌ يُحيي الله به السنة، وحدثني أنه كان يقرأ على شيخ فقال قدم علينا علي ابن الوزير فقلنا ما رأينا مثله ثم قدم علينا ابن السمعاني فقلنا ما رأينا مثله، حتى قدم علينا هذا فلم نر مثله. قال سعد الخير : ما رأيت في سن ابن عساكر مثله.

قال القاسم ابن عساكر : سمعت التاج المسعودي يقول سمعت أبا العلاء الهمذاني يقول لرجل استأذنه في الرحلة قال : إن عرفت أحدا أفضل مني فحينئذ آذن لك أن تسافر إليه إلا أن تسافر إلى ابن عساكر فإنه حافظ كما يجب.

وحدثني أبو المواهب بن صصرى قال : لما دخلت همذان قال لي الحافظ أبو العلاء أنا أعلم أنه لا يساجل الحافظ أبا القاسم في شأنه أحد فلو خالق الناس ومازجهم كما أصنع إذا لاجتمع عليه الموافق والمخالف وقال لي يوماً : أي شيء فتح له ؟ وكيف الناس له ؟ قلت : هو بعيد من هذا كله لم يشتغل منذ

أربعين سنة إلا بالجمع والتسميع حتى في نزهته وخلواته، قال : الحمد لله، هذا ثمرة العلم.

قال أبو المواهب : كنت أذاكر أبا القاسم الحافظ عن الحفاظ الذين لقيهم فقال : أما بغداد فأبو عامر العبدري، وأما أصبهان فأبو نصر اليونارتي، ولكن إسماعيل بن محمد الحافظ كان أشهر. فقلت : فعلى هذا ما كان رأي سيدنا مثل نفسه، قال : لا تقل هذا، قال الله : ﴿ **لا تزكوا أنفسكم** ﴾ قلت : فقد قال الله تعالى : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ فقال : لو قال قائل إن عيني لم تر مثلي لصدق.

ثم قال أبو المواهب : [وأنا أقول] : لم أر مثله ولا من اجتمع فيه ما اجتمع فيه من لزوم طريقة واحدة مدة أربعين سنة، من لزوم الصلوات في الصف الأول إلا من عذر والاعتكاف في شهر رمضان وعشر ذي الحجة وعدم التطلع إلى تحصيل الأملاك وبناء الدور، وقد أسقط ذلك عن نفسه، وأعرض عن طلب المناصب من الإمامة والخطابة وأباها بعد أن عرضت عليه، وأخذ نفسه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم.

قال لي : لما عزمت على التحديث والله المطلع أن ما حملني على ذلك حب الرياسة والتقدم بل قلت : متى أروي كل ما سمعت ؟ وأي فائدة في كوني اخلفه صحائف ؟ فاستخرت الله واستأذنت أعيان شيوخي ورؤساء البلد وطفت عليهم فكلهم قالوا : من أحق بهذا منك ؟ فشرعت في ذلك منذ ثلاث وثلاثين وخمس مائة.

ويعزى لأبي محمد المنذري قوله : سألتُ شيخنا أبا الحسن على بن المفضل الحافظ عن أربعة تعاصروا : أيهم احفظ ؟ فقال : من ؟ قلت : الحافظ ابن ناصر وابن عساكر ؟ فقال : ابن عساكر. فقلت : الحافظ أبو موسى المديني وابن عساكر ؟ ابن عساكر، فقلت : الحافظ أبو طاهر السلفي وابن عساكر ؟] فقال : السلفي شيخنا. قلت : يعني أنه ما أحب أن يصرح بتفضيل ابن عساكر بل لوح بتفضيل شيخه بأنه شيخه، ثم أبو موسى احفظ من السلفي مع أن السلفي من بحور الحديث وعلمائه، وكان شيخنا أبو الحجاج المزي يميل إلى أن ابن عساكر ما رأى حافظا مثل نفسه.

قال الحافظ عبد القادر : ما رأيت أحفظ من ابن عساكر. وقال ابن النجار : أبو القاسم إمام المحدثين في وقته، انتهت إليه الرياسة في الحفظ والإتقان والثقة والمعرفة التامة وبه ختم هذا الشأن.

قال القاسم : توفي أبي في حادي عشر رجب سنة إحدى وسبعين وخمس مائة، ورئى له منامات حسنة ورثى بقصائد وقبره يزار بباب الصغير[1].

مصنفاته :

وروى عنه أبو سعد السمعاني. عمل "تاريخ دمشق" في ثمانين مجلدا، و"الموافقات" في ست مجلدات، و"الأطراف الأربعة" أربع مجلدات، و"عوالي مالك" في خمسين جزءا، و"غرائب مالك" عشرة أجزاء، و"المعجم" مجلد، و"مناقب الشبان" خمسة عشر جزءا، و"فضل أصحاب الحديث" مجلد، و"السباعيات" سبعة أجزاء، و"تبيين كذب المفترى" مجلد، و"فضل الجمعة" أربعة أجزاء، و"الأربعين الطوال" ثلاثة أجزاء، و"عوالي شعبة" مجلد، و"الزهادة في الشهادة" مجلد، و"عوالي الثوري" مجلد، و" أربعين الجهاد"، و"أربعين البلدان"، و"أربعين المساواة"، و"مسند أهل داريا" مجلد، و"من وافقت كنيته كنية زوجته" مجلد، و"شيوخ النبل" كذلك، و"فضل عاشوراء" ثلاثة أجزاء، كتاب "الزلازل" ثلاثة أجزاء، و"المصاب بالولد" جزءان ، و"قبض العلم" جزء، و"فضل مكة"، "فضل المدينة"، و"فضل القدس"، و"فضل عسقلان"، و"تاريخ المزة"، و"فضل الربوة"، و"فضل مقام إبراهيم"، و"جزء الحميريين"، و"جزء كفر سوسية"، و"جزء كفر بطنا"، و"جزء المنيحة"، و"جزء حديث الهبوط"، و"الجواهر في الإبدال" ثلاثة أجزاء وأملي في أبواب العلم أربعمائة مجلس وثمانية، وخرّج لجماعة منهم رفيقه أبو سعد السمعاني، خرج له "أربعين المصافحات"، وللفراوي "أربعين مساواة"، وعمل بعض "كتاب الإبدال" لنفسه ولو تم لجاء في عشرين مجلداً.

نموذج من تآليفه : الأربعون البلدانية :

واخترنا له الأربعين البلدانية، وقد ذكر في مستهله الأحاديث الواردة في الأربعينيات قائلاً :

أما بعد :

فإن الله سبحانه خلق خلقه من الطين، وأنشأهم بقدرته كما شاء من الماء المهين، وجعلهم بحكمته وإرادته نطفاً في القرار المكين، وأحسن صورهم إذ صوّرهم غاية التحسين، وخص أمة محمد ـ عليه السلام ـ بالفضل المستبين، وأرسل إليهم رسولاً منهم أيده بالحجج والبراهين، فعلّمهم وفهّمهم وأدّبهم على وجه

---

(1) تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 4، ص 1328، وانظر سير أعلام النبلاء، ج 20، ص 554 وما بعدها.

التمرين، وأمر أمته المرحومة بطلب العلم ولو بالصين[1]، ليميزوا به إذا سمعوه بين الغث والسمين، ووعد الثواب لمن حفظ لأجل التبليغ والتلقين على أمته أربعين حديثاً من أمر الدين، حرصاً على إرشادهم إلى اقتناء النفيس الثمين، وخوفاً عليهم أن يثبتوا دينهم بالظن والتخمين، فيوقعهم ترك إمساك أمره في التغيير والتلوين، فجدوا في اقتباسه في سائر الأوقات والأحايين، وطاروا في التماسه إلى البلدان كالعقبان والشواهين، وعاشوا ـ بسببه ـ في الغربة عيش الفقراء والمساكين، وتحوزوا في طلبه بأكل الجشب[2] ولبس الثخين، فرب عزيز صار في غربته كالبائس المسكين، ورب منعم أضحى لطول العناء كالخاضع المستكين، ولم يشغلهم عن طلابه الاشتغال بالحوانيت والبساتين، ولم تلههم عن اكتسابه الشهوات وشم الرياحين، وحملوه عن أربابه بالجد فيه ورفض التهوين، واستكثروا من السماع من العالم به، الصادق الأمين، وكتب القرين منهم لحرصه عليه عن القرين، حتى أحكموا فيه وجوه التصحيح له والتوهين، ودونوه عن أئمتهم وشيوخهم الثقات أحكم التدوين، وزينوه للطالب له بتصنيفه وتأليفهم أبلغ التزيين، ومكن الله لهم في نشره أحسن التمكين، ونسبوا لأجله إلى المصطفىﷺ بالتعيين، فجعلهم الله سبحانه برحمته من أصحب اليمين، وزوجهم بكرمه في دار كرامته بالحور العين. فلما وقف علماؤهم على ما حضّهم نبيهم عليه بادر بعضهم إلى امتثال ما ندبهم إليه، وصنّف جماعة منهم أربعينيات سمعت منهم، واشتهرت بهم، ونقلت عنهم، واختلفت مقاصدهم في تصنيفها، ولم يتفقوا على غرض واحد في تأليفها، بل اختلفوا في جمعها وترتيبها، وتباينوا في عدها وتبويبها، فمنهم من اعتمد على ذكر أحاديث التوحيد، وإثبات الصفات لله عز وجل، للرد والتمجيد، ومنهم من قصد ذكر أحاديث الأحكام لما فيها من التمييز بين الحلال والحرام، ومنهم من اقتصر على ما يتعلق بالعبادات ؛ ويكون سبباً لاكتساب القرب والطاعات.

(1) حديث : «اطلبوا العلم ولو بالصين» : رواه البيهقي في شعب الإيمان، والخطيب في الرحلة في طلب الحديث، ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله والديلمي في مسند الفردوس. كلهم من حديث أبي عاتكة طريف بن سلمان وابن عبد البر وحده رواه مرفوعاً. قال السخاوي : وهو ضعيف من الوجهين. بل قال ابن حبان : إنه باطل لا أصل له. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات. ولكن نوزعت هذه الأقوال بقول الحافظ المزي : له طرق يصل بمجموعها إلى الحسن. ويقول الذهبي في تلخيص الواهيات : روي من عدة طرق واهية وبعضها صالح. انظر المقاصد الحسنة : 93 (125)، وكشف الخفاء : 1/154 (397).

(2) الجشب : ما خشن من الطعام (قاموس : جشب).

ومنهم من اختار سلوك طريق أصحاب الحقائق في إيراد أحاديث المواعظ والرقائق.

ومنهم من قصد إخراج ما صح سنده، وسلم من الطعن عند الأئمة مورده.

ومنهم من كان قصده ومراده إخراج ما علا عنده إسناده.

ومنهم من أحب تخريج ما طال متنه، وظهر لسامعه حين يسمعه حسنه.

إلى غير ذلك من الأنواع التي قصدوها، والأغراض التي سنحت لهم وأرادوها، وكل منهم لم يأل في طلب الأجر، ولم يُقصّر في اقتناء الثواب والذخر.

وسمى كل واحد منهم كتابه بـ "كتاب الأربعين" فرحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين، كما نشروا الدين وأظهروا الحق المبين، وفيهم لمن بعدهم أسوة، وهم لمن اقتفى آثارهم القدوة.

وقد جمعت أنا "الأربعين الطوال" و"الأربعين في الإبدال العوال" و"الأربعين في الاجتهاد في إقامة فرض الجهاد".

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله فقيهاً وكنت له يوم القيامة شافعاً وشهيداً».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة كنت له شفيعاً يوم القيامة»[1].

وعن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ينفعهم الله بها قيل له: ادخل الجنة من أي أبواب الجنة شئت».

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ينفعهم الله بها قيل له ادخل من أي أبواب الجنة شئت».

---

(1) رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس، وعن ابن مسعود ورواه ابن عدي عن ابن عباس: 1/324 و3/890.
وعن أبي هريرة 6/2227 و5/1799 و7/2528، وأخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية، وابن النجار في تاريخه عن أبي سعيد. وانظر: المطالب العالية 3/331، كشف الخفاء (2465)، المقاصد الحسنة (1115)، كتاب الأربعين النووية: 3.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول اللهﷺ : «من أدى إلى أمتي أربعين حديثاً يقيم به سنة، ويرد به بدعة، فله الجنة».

الحديث الأول من مكة وهي البلد الأمين[1] : حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن صدقة بن الغزال المصري نزيل مكة من لفظه في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وخمسمائة بمكة في الحرم المعظم تجاه الكعبة شرفها الله وعظمها، من ناحية باب إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ولقناه إياه، وكان قد ثقل سمعه وذهب بصره، وذكر لنا أنه سمع من القضاعي، وأبي الحسن بن مسكين، وأبي القاسم الكحال وغيرهم قال : أخبرتنا المرأة الصالحة كريمة بنت أحمد المروزية قراءة عليها وأنا أسمع بمكة، قالت : أنبأ أبو الهيثم محمد بن مكي الكشمهيني قراءة عليه وأنا أسمع، أنبأ محمد بن يوسف الفربري، ثنا محمد بن إسماعيل البخاري، ثنا الحميدي، عن سفيان، ثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، أنبأ محمد بن إبراهيم التيمي ؛ أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول : سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على المنبر قال : سمعت رسول اللهﷺ يقول : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله وإلى رسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[2].

وقع إليّ هذا الحديث عن البخاري من وجوه كلها في العهدة إليه من مثل هذه الطريق، لكنه وقع إلي أعلى من هذا بدرجتين من وجه آخر.

حدثنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين، البغدادي إملاء وقراءة عليه غير مرة أنبأ أبو طالب محمد بن محمود بن غيلان، البزاز، قراءة عليه وأنا أسمع سنة

(1) أوردنا في الحديث أسانيد المؤلف لبيان صنيعه، وأوردنا باقي الأحاديث مجردة من الأسانيد.

(2) «إنما الأعمال بالنيات..»، ويلفظ : «إنما الأعمال بالنية..» : الحميدي : 1/17 (28)، أحمد 1/25 و43، البخاري : فتح الباري 1/9 و5/160 (2529) و6/226 (3898) و9/115 (5070) و11/572 (6689) و12/327 (6953)، مسلم (1907)، أبو داوود (2187)، النسائي 1/58-60 و158-159، الترمذي (1698)، ابن المبارك في الزهد (188)، الحلية 8/42، ابن ماجه (4227)، ابن خزيمة (142)، الدارقطني 1/50-51، ومالك في موطأ محمد (983)، البزاز 1/98-99، تاريخ اربل 1/98-99 و212 و270 و392، البيهقي 1/41 و298 و2/14 و4/112 و5/39 و6/331 و7/341، وفي المعرفة 1/189-190، الإيمان لابن مندة (17) و(201)، شرح السنة للبغوي (1)، البغدادي في التاريخ 4/244 و6/151 و9/245-246، وفي الجامع (13) و(1887)، مسند الشهاب للقضاعي (1171) و(1172) و(1173) و(1) و(2)، والطيالسي : عون المعبود 2/27 (1997)، المعجم الأوسط للطبراني (40)، ابن عدي في الكامل 3/997، التلخيص الحبير 1/55، المنتقى لابن الجارود (64)، كشف الخفاء (1)، مقدمة ابن الصلاح 1/398، الأربعون النووية 5.

سبع وثلاثين وأربعمائة، أنبأ أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، البزار، ثنا عبد الله بن هارون، المدائني ومحمد بن رباح البزار، قالا : ثنا يزيد بن هارون، ثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التيمي، أنه سمع علقمة بن وقاص يقول : سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على المنبر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله وإلى رسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

هذا حديث صحيح من حديث أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، القرشي، العدوي، الفاروق ـ رضي الله عنه ـ.

وثابت من حديث علقمة بن وقاص الليثي العتواري، المدني عنه، لم يروه عنه غير أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن الحرث، القرشي، التيمي، المدني.

واشتهرت عنه رواية أبي سعيد يحيى بن سعيد بن قيس، الأنصاري، المدني، القاضي، وهو مما انفرد به كل واحد من هؤلاء عن صاحبه.

ورواه عن يحيى العدد الكثير والجم الغفير.

وأخرجه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري في أول صحيحه، وتابعه الأئمة على تصحيحه، فأخرجه مسلم بن الحجاج، أبو الحسين، القشيري، النيسابوري، من طرق منها عن أبي عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن نمير الهمذاني، عن أبي خالد يزيد بن هارون الواسطي، وأبي عمر حفص بن غياث النخعي، جميعاً عن يحيى. فوقع لي موافقة في شيخ شيخه بعلو.

أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن أحمد، البيهقي الفقيه بنيسابور، أنبأ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، البيهقي الحافظ، أنبأ أبو عبد الله الحافظ قال : سمعت أبا عمر الأصبهاني يقول : سمعت سفيان بن هارون بن سفيان القاضي يقول : سمعت أحمد بن منصور الرمادي يقول : سمعت البويطي يقول : سمعت الشافعي ـ رضي الله عنه ـ يقول : «يدخل في حديث الأعمال بالنيات ثلث العلم».

أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن عبد الله السبخي، ومحمد بن محمد بن الحارث، الحارثي الجابري وأبو الفضل محمد بن سليمان بن الحسن بن عمرو، الفنديني، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي ذر الجوياني، السلامتي بمرو الشاهجان.

قالوا : أنبأنا أبو بكر محمد بن علي بن حامد الشاشي الفقيه، أنبأ أبو الفضل منصور بن نصر بن عبد الرحيم الكاغذي، أنبأ الهيثم بن كليب الشاشي، قال : سمعت أبا عيسى الترمذي يقول : وروى هذا الحديث فقال : قال عبد الرحمن بن مهدي : «ينبغي أن يدخل هذا الباب في كل باب».

سمعت أبا عبد الله محمد بن الفضل الفراوي يقول : سمعت أبا بكر أحمد بن الحسين الحافظ يقول : سمعت أبا عبد الله الحافظ يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول : سمعت محمد بن سليمان بن فارس يقول : سمعت محمد بن إسماعيل يقول : قال عبد الرحمن بن مهدي : «من أراد أن يصنف كتاباً فليبدأ بحديث : «الأعمال بالنيات».

الحديث الثاني في تكفير الذنوب من المدينة : يثرب مدينة الرسولﷺ وتسمى أيضاً طابة، وكان اسمها في الجاهلية يثرب حرسها الله[1] : صدق أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول اللهﷺ يقول : «ليس من عبد يذنب فيقوم فيتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يصلي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له»[2].

الحديث الثالث من منا[3] وكانت مدينة بها آدر[4] وسوق، ومسجدها مسجد الخيف، مسجد الشريف : عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ يبلغ به النبيﷺ قال : «لا ينكح المحرم ولا يخطب»[5].

---

(1) انظر معجم البلدان : 5/82-88.

(2) أخرجه الحميدي (1)، أحمد 1/2 و9 و10 أبو داوود 2/86 (1521)، الترمذي 4/296 (4092)، ابن ماجه (1395)، صحيح ابن حبان ـ الإحسان 2/10 ابن عدي في الكامل 1/421 المعجم الأوسط ـ الطبراني (588)، مسند الطيالسي 2 و3 عمل اليوم والليلة ـ ابن السني (361)، إحياء علوم الدين 1/312 و4/47 عمل اليوم والليلة للنسائي (414 و415 و416 و417)، مسند أبي بكر للمرزوي (9 و10 و11).

(3) انظر معجم البلدان : 5/198. وتكتب بالألف القصورة، وكتب في الأصل بالألف الممدودة فأثبتها كما هي.

(4) آدر : ج دار، القاموس المحيط (دار).

(5) روي عن عثمان بن عفان، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم. الحميدي (34)، أحمد : 1/64 و69 الموطأ (70 و72 و73)، مسلم 2/1030 (41–49) من خمسة طرق انظر مسلم بشرح النووي 9/193–196 باب النكاح، صحيح ابن حبان : الإحسان 6/168 و169 و170 و173, أبو داوود 2/168 (1841 و1842)، الترمذي 2/167 (842)، النسائي 5/192. في النكاح، مسند الطيالسي ـ عون المعبود (1030)، الدارقطني 3/260 و261 السنن الكبرى 5/65 و66 و7/210 و213 المعجم الأوسط للطبراني (514)، سنن الدارمي 2/38 وانظر الضعفاء ـ العقيلي 4/152.

الحديث الرابع : خطاب الله لعبيده : من دمشق وهي أم الشام وأكبر مدنه، وهي من الأرض المقدسة[1] : عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أنه قال : «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا.

يا عبادي إنكم الذين تخطئون بالليل والنهار، وأنا الذي أغفر الذنوب ولا أبالي، فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم.

يا عبادي كلكم عار إلا من كسوت فاستكسوني أكسكم.

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً.

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكي شيئاً.

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان ما سأل، لم ينقص ذلك من ملكي شيئاً، إلا كما ينقص البحر أن يغمس المخيط غمسة واحدة.

يا عبادي إنما أعمالكم أحفظها عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

الحديث الخامس : الترغيب في الاستغفار : من الكوفة وهي كوفان من أرض العراق، مصرت في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2] : عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله ليعجب لعبده إذا قال : رب اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[3].

---

(1) انظر معجم البلدان 2/463-470. والأرض المقدسة بلاد الشام ؛ بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، الأرض التي بارك الله فيها، وتشمل الآن سوريا ولبنان والأردن وفلسطين.

(2) انظر معجم البلدان : 4/490-494.

(3) أخرجه أبو داود (2602)، وأخرج نحوه عن ابن عمر (2599)، وأخرجه الترمذي (3511)، وأخرج نحوه عن ابن عمر (3512)، المستدرك 2/99 صحيح ابن حبان ـ الإحسان 4/(2686 و2687) وفي الموارد (2380 و2381)، وقبل ذلك ابن عمر. عمل اليوم والليلة : النسائي (502) عمل اليوم والليلة : ابن السني (497)، البيهقي : السنن الكبرى 5/252 الأسماء والصفات (471).

الحديث السادس : البشارة بالجنة : من بغداد وهي مدينة السلام وقبة الإسلام ودار الإمام[1] : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول اللهﷺ : «يطلع عليكم من تحت هذا السور رجل من أهل الجنة»[2].

الحديث السابع : في الترغيب في حسن المعاملة : من جي وهي شهرستان، مدينة أصبهان القديمة، ويقال إنها من بناء ذي القرنين[3] : عن حذيفة رضي الله عنه عن النبيﷺ : «أن رجلاً مات فدخل الجنة، فقيل له : ما كنت تعمل ؟ فإما ذكر وإما ذكر فقال : إني كنت أبايع الناس، وكنت أنظر المعسر وأتجوز في السكة أو في النقد فغفر له»[4].

الحديث الثامن : مساءلة العباد : من أصبهان وتعرف باليهودية[5] **:** عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال النبيﷺ : «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»[6].

الحديث التاسع : في محبته ومحبة أهل بيته : من مرو الشاهجان[7]**، قصبة خراسان**[8]**، وهي من بناء ذي القرنين :** عن ابن عباس رضي الله عنهما

---

(1) انظر معجم البلدان : 1/456-467.

(2) أحمد في فضائل الصحابة (206 و207 و208 و209 و289)، البخاري ـ فتح الباري في الفتن 13/48 7097)، وفي فضائل الصحابة 7/21 (3674)، مسلم ـ في فضائل الصحابة 4/1868 (29) وما بعده، الترمذي 2/297 السنة لابن أبي عاصم (1147 و1150 و1068 و1070)، الجامع (221 و222)، دلائل النبوة لأبي نعيم 201 أبو يعلى 3/986 مسند الطيالسي 302 الحاكم 3/34 مجمع الزوائد 9/57 التاريخ الكبير للبخاري 1/2/172 و233 و333 و977 و1038 المسند 2/165 و3/331 و356 و387 و407 و408 و4/407.

(3) انظر معجم البلدان : 3/376-377.

(4) روي الحديث بألفاظ متقاربة عن حذيفة وأبي مسعود، رواه أحمد 4/118–120 فتح الباري (2077 و2391 و3451)، مسلم (1560 و1561)، الترمذي (1352)، ابن ماجة (2420)، الحاكم في المستدرك 4/346، المعجم الكبير للطبراني 7 رقم (641 و645 و537).

(5) انظر معجم البلدان 1/206–210.

(6) أخرجه عن معاذ وأبي برزة وابن مسعود وابن عباس. وقد رواه المصنف بنفس الإسناد في ذم من لا يعمل بعلمه : 30 الترمذي (2531 و2532)، وبسند آخر عن أبي برزة 27. الدارمي 1/531 ورواه الطبراني في معاجمه الثلاثة : الكبير 11/83–84 (11177) و20/60–61 (111)، الأوسط (2212)، مع خلاف في الرابعة إذ فيه «وعن حب أهل البيت...»، المعجم الصغير ـ الروض الداني (760)، ورواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل (1 و2)، والجامع (28) وتاريخ بغداد 11/441 ورواه البيهقي في المدخل (493 و494)، ورواه البراز ـ كشف الأستار (3437 – 3438) ورواه ابن عدي 2/763 مجمع الزوائد 10/346 مسند الفردوس (4798).

(7) انظر معجم البلدان 5/112–116. ومرو الشاهجان هي مرو العظمى.

(8) انظر معجم البلدان 2/350–354.

قال : قال رسول الله ﷺ : «أحبوا الله عز وجل لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»[1].

الحديث العاشر : في رمي الجمرات : من نيسابور وتعرف بنشاوورتد، وهي أربرشهر، مدينة عظيمة قديمة من مدن خراسان[2] : عن قدامة بن عبد الله رضي الله عنه قال : «رأيت رسول الله ﷺ على ناقة صهباء يرمي الجمرة، لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك»[3].

الحديث الحادي عشر : الترغيب في البرور : من هراة وهي مدينة من مدن خراسان[4] **:** عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : «قلت : يا رسول الله من أبر ؟ قال : أمك، قلت : ثم من ؟ قال : ثم أمك، ثم أباك، ثم الأقرب فالأقرب»[5].

الحديث الثاني عشر : حديث الأعمى : من بوشنج وهي مدينة من ناحية هراة[6] **:** عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني فقال : إن شئت أخرت ذلك فهو أعظم لأجرك، وإن شئت دعوت الله تعالى. قال : ادعه. فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة. يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى. اللهم شفعه فيّ»[7].

---

(1) أحمد في فضائل الصحابة (1952)، الترمذي (2878)، الحاكم 3/149-150 الحلية 3/211 تاريخ بغداد 4/160 المعجم الكبير 10/281 10664)، ابن عدي 7/2570 العلل المتناهية 1/265-266 إحياء علوم الدين 4/295 و332 تاريخ البخاري الكبير 1/1/183 مناقب الشافعي للبيهقي 1/45.

(2) انظر معجم البلدان 5/331 وما بعدها.

(3) الشافعي (1081)، أحمد 5/270 الترمذي (905)، النسائي 5/270 ابن ماجه (3035)، ابن خزيمة (2878)، البيهقي في السنن الكبرى 5/101 و128 و130 و142 الدارمي 2/62 مسند الطيالسي ـ عون المعبود (1078)، المعجم الكبير للطبراني 19 رقم 77 و78 كشف الأستار (2942)، ابن عدي 1/425.

(4) انظر معجم البلدان 5/396-397.

(5) رواه الترمذي (1959)، تحفة الأحوذي 6/21 وقال : وفي الباب عن أبي هريرة وعبد اله بن عمر وأبي الدرداء وبهز بن حكيم هو ابن معاوية بن حيدة القشيري، وهذا حديث حسن، ورواه أبو داود (5139) عن بهز بن حكيم، وعن كليب بن منفعة، عن جده (5140) نحوه، المعجم الصغير ـ الروض الداني (626 و1140)، وروى الحميدي نحوه عن أبي هريرة (1118 و1119)، عبد الرزاق 11/132 (20128)، المستدرك 3/642 و4/150.

(6) انظر معجم البلدان 1/508.

(7) حديث عثمان بن حنيف في الضرير توسل بالرسول لشفائه من عماه، رواه الترمذي (3595)، أحمد 4/138 الحاكم 1/313 و519 ابن ماجه (1385)، ابن خزيمة (1219)، الطبراني في المعجم الكبير 9 رقم (3811) و2/8311 من طريقين وأورد قصة الحديث. وكذا في المعجم الصغير ـ الروض الداني (508)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (658 و659).

الحديث الثالث عشر : الترغيب في الإحسان إلى الجار : من بون[1] وتعرف ببينة، مدينة من أعمل هراة، ناحية باذغيس[2] : عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه[3]، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

الحديث الرابع عشر : في التعامل مع المال : من بغى ويقال له أيضاً : بغشور، بين هراة ومرو، من مدن خراسان[4] : عن أبي الوليد قال : سمعت خولة بنت قيس رضي الله عنها وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن هذا المال خضرة حلوة، من أصابه بحقه بورك له فيه، ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار»[5].

الحديث الخامس عشر : في فضل الدعاء : من سرخس[6] وهي مدينة من مدن خراسان، بين مرو[7] ونيسابور[8] : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن

---

(1) انظر معجم البلدان 1/512.

(2) باذغيس : ناحية تشمل قرى من أعمال هراة ومرو الروذ قصبتها بون وبامئين. انظر معجم البلدان 1/318.

(3) روي هذا الحديث عن عدد من الصحابة، ومن طرق كثيرة : الحميدي (575)، مالك 2/929 أحمد 2/267 و269 و433 و4 ,463/31 و6/384 385 و385-,386 البخاري - فتح الباري (5185 و6018 و6019 و6135 و6136 و6138 و6475 و6476)، مسلم (47 و48)، أبو داود (3730 و5132)، الترمذي (2033 و2034)، ابن ماجه (3671 و3672 و3675)، صحيح ابن حبان الإحسان 7/348 و445 المستدرك (4/164 و166 و191 و288 و289 و292)، كشف الأستار (1925 و1926 و1927 و2031 و3574 و3575)، السنن الكبرى (5/68 و8/1644)، المعجم الكبير للطبراني 22 رقم (475 و476 و477 و478 و480 و481 و482 و483 و501)، مسند الشهاب (372 و373 و467 و468 و469 و470 و471)، ابن عدي (6/2146 و2281 و2448 و4257)، ابن مندة (298 إلى 304)، المطالب العالية (1/51)، كشف الخفاء (45801).

(4) ترجم لها في معجم البلدان 1/467-468 باسم بغشور وما بعدها ترجم لها ورسمها (بغ) وقال : هي المدينة الابقة. وقد رسمت في الأصل بالألف المقصورة، إشارة إلى أن الأصل ياء وليس كذلك، والأصح أن تكتب بالألف الممدودة لأن الألف تقلب واواً أما الياء فتقلب إلى ألف مقصورة والنسبة إليها : بغوي.

(5) روي عن خولة بنت قيس وكانت تحت حمزة بن عبد المطلب عند ابن عساكر وعند غيره عن حكيم بن حزام. عبد الرزاق (20041)، الحميدي (553)، أحمد (3/91 و434 و4/92 و93 و98 و6/378)، البخاري - فتح الباري (1472 و2750 و2143 و6441)، مسلم (1035)، الترمذي (2581)، النسائي (5/101-102)، صحيح ابن حبان - الإحسان (5/172 3397)، الدارمي (2/310)، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده قاله الحافظ في الفتح (3/216)، شرح السنة (6/115 1619).

(6) انظر معجم البلدان 3/208-209.

(7) مرو : هي مرو الشاهجان كما مر، انظر معجم البلدان 5/112-116.

(8) انظر معجم البلدان 5/82.

النبيﷺ فيما يحكى عن ربه عز وجل قال: «أذنب عبدي ذنباً فقال: أي رب اغفر لي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: رب اغفر لي ذنبي فقال عز وجل: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: رب اغفر لي ذنبي فقال عز وجل: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب. فقال عبد الأعلى: لا أدري في الثالثة أو الرابعة فقال: اعمل ما شئت فقد غفرت لك»[1].

الحديث السادس عشر: في فضل العلم: من أزجاه[2]، مدينة من ناحية خابران، من نواحي أبيورد[3]، من خراسان: عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «فضل العلم أفضل من فضل العبادة، وخير دينكم الورع»[4].

الحديث السابع عشر: في الإخبار بالغيب: من ميهنة مدينة خابران من ناحية أبيورد[5]: عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده. وأيم الله لتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل»[6].

---

(1) أحمد (2/ 296 و405 و492)، وفي فضائل الصحابة (142 و642)، البخاري ـ كتاب التوحيد ـ فتح الباري (13/ 466 (7507)، مسلم بشرح النووي (17/ 75–76)، المستدرك (4/ 242)، عمل اليوم والليلة لابن السني (362)، عمل اليوم والليلة (419).

(2) انظر معجم البلدان 1/ 168.

(3) انظر معجم البلدان 1/ 86-87.

(4) روي عن ثوبان وحذيفة بن اليمان وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عباس وعائشة. رواه الحاكم (1/ 92)، والبيهقي في المدخل (69)، وفي الزهد (203)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (11/ 10969)، وانظر 8 رقم (7911 و7912)، والمعجم الأوسط ونحوه في المعجم الصغير عن ابن عمر (1114)، رواه ابن عدي في الكامل (4/ 1514 و6/ 2170) وروى نحوه عن أبي هريرة (3/ 930)، وعن عبد الرحمن بن عوف (4/ 1453). وأخرجه البراز (139)، والبغدادي في تاريخ بغداد (4/ 436)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (1/ 67)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (1/ 27)، وأبو نعيم في الحلية (2/ 211–212)، والقضاعي في مسند الشهاب (40 و1292). وانظر: مجمع الزوائد (1/ 120)، المطالب العالية (3/ 132)، كنوز الحقائق (102)، المقاصد الحسنة (741 و864)، كشف الخفاء (1827)، مسند الفردوس (4343).

(5) انظر معجم البلدان 5/ 247.

(6) روي عن أبي هريرة وجابر بن سمره، عبد الرزاق (11/ 388) (20814 و20815)، أحمد (2/ 233 و240 و501 و5/ 86 و87 و88 و89 و92 و99 و105 و106)، فتح الباري (3121 و3619 و6629)، مسلم (2919 و1822)، الترمذي (2313)، صحيح ابن حبان ـ الإحسان (8/ 244)، السنن الكبرى (9/ 177 و181, المعجم الكبير (2/ 213) ومابعدها (1870 إلى 1874)، وانظر 2/ 198 (1804 و1805)، المعجم الأوسط 2 رقم (1850).

الحديث الثامن عشر: فضل النافلة: من طابران[1] قصبة طوس[2] من نواحي نيسابور: عن أم حبيبة زوج النبي تعني عن النبيﷺ قال: «من صلى أربعاً قبل الظهر، وأربعاً بعدها حرم على النار»[3].

الحديث التاسع عشر: الترغيب في الخير: من نوقان[4] من طوس: عن أم الدرداء قالت: قلت لأبي الدرداء رضي الله عنه: ألا تبتغي لأضيافك ما يبتغي الرجال لأضيافهم؟ فقال: إني سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إن أمامكم عقبة كؤوداً لا يجوزها إلا المثقلون فأحب أن أتخفف لتلك العقبة»[5].

الحديث العشرون: حملهﷺ أمامة في الصلاة: من سانزوار = شان زوار مدينة بيهق من نواحي نيسابور[6]: عن عمرو بن سليم، سمع أبا قتادة رضي الله عنه يقول: «بينا نحن في المسجد جلوس دخل علينا رسول اللهﷺ يحمل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وأمها زينب بنت رسول اللهﷺ، وهي صبية يحملها على عاتقه، فصلّى رسول اللهﷺ وهي على عاتقه يضعها إذا ركع ويعيدها إذا قام حتى قضى صلاته، يفعل ذلك بها»[7].

الحديث الحادي والعشرون: في المبشرين بالجنة: من خسرو جرد[8] وهي قصبة بيهق القديمة، من ناحية نيسابور: عن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده عبد الرحمن رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير

---

(1) انظر معجم البلدان 4/3-4.

(2) طوس: انظر معجم البلدان 4/49-50.

(3) أخرجه عبد الرزاق (4828)، ابن أبي شيبة (2/204)، أحمد (6/320 و326 و327 و328)، أبو داود (1255)، الترمذي (425 و426)، النسائي (3/264 و265 و266)، أبو يعلى (1/131)، الحاكم (1/312)، شرح السنة للبغوي (888 و889)، مسند الشاميين (65 و1433 و1434 و3624 و3625 و3626)، المعجم الكبير (23/232) وما بعدها (441 إلى 446)، التاريخ الكبير (1/1/132).

(4) انظر معجم البلدان 5/311.

(5) رواه الحاكم في المستدرك (4/574)، والبيهقي في شعب الإيمان، انظر الجامع الصغير 1/338 (2219).

(6) انظر معجم البلدان 1/537–538.

(7) الموطأ (1/170)، عبد الرزاق (2378 و3279)، أحمد (5/295 و296 إلى 311)، الحميدي (422)، البخاري (516 و5996)، مسلم (543)، أبو داود (904 إلى 907)، النسائي (3/10 و2/45–46)، مسند أبي عوانة (2/245–247) من أربعة طرق، المعجم الكبير للطبراني 22 رقم (1066 إلى 1079)، مسند الشامين (1829).

(8) انظر معجم البلدان 2/370.

في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة رضي الله عنهم أجمعين»[1].

الحديث الثاني والعشرون: فضل من اتقى وأمن الناس من شره: من بسطام[2] وهي مدينة من مدن قومس[3]: ثنا الأوزاعي، عن عبد الواحد بن قيس، أنه حدثه أنه سمع عروة بن الزبير يقول: ثنا كرز بن علقمة الخزاعي رضي الله عنه قال: «أتى أعرابي النبيﷺ فقال: يا رسول الله هل للإسلام من منتهى؟ قال: نعم. فمن أراد الله به خيراً من عجم أو عرب أدخله عليه، ثم تقع فتن كالظلل يضرب بعضهم رقاب بعض، فأفضل الناس يومئذ مؤمن معتزل في شعب من الشعاب، ويتقي ربه، ويدع الناس من شره»[4].

الحديث الثالث والعشرون: فضل التسبيح: من دامغان[5] وهي مدينة من مدن قومس: عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ لجلسائه: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ فقال رجل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، ويكفر عنه ألف خطيئة»[6].

الحديث الرابع والعشرون: في حلاوة الإيمان: من سمنان وهي مدينة من مدن قومس[7]: عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً»[8].

---

(1) الحميدي (84)، أحمد (1/187 و188 و193)، أحمد في فضائل الصحابة (85 و86 و87 و90 و91 و117 و225 257 و278 و557 و842)، الترمذي (3830 و3831 و3832)، صحيح ابن حبان ـ الإحسان (9/69 و17، النسائي في الكبرى (تحفة الأشراف 4/7)، مسند الطيالسي ـ عون المعبود (2521)، السنة لأبن أبي عاصم (2/604–606 1425 إلى 1436)، المعجم الأوسط (873 و2030 و2222)، الرياض، النضرة في مناقب العشرة عن عبد الرحمن بن عوف (1/34–35)، عن سعيد بن زيد (1/35)، عن أبي ذر (1/35)، وانظر عن ابن عباس (1/36)، وانظر خصائص العشرة المطالب العالية (4/85)، والسنن الكبرى (6/210)، المقاصد الحسنة (496)، مسند الفردوس (4078).

(2) انظر معجم البلدان 1/421-422.

(3) انظر معجم البلدان 4/414-415.

(4) عبد الرزاق (20747)، الحميدي (572)، المصنف لابن أبي شيبة (15/13)، أحمد (3/477) من طرق كشف الأستار (3353) المعجم الكبير للطبراني (19/175 442 إلى 446).

(5) انظر معجم البلدان 2/433–434.

(6) الحميدي (80)، أحمد (1/174 و180 و185)، مسلم (2698)، الترمذي (3459)، صحيح ابن حبان (2/96 822)، عمل اليوم والليلة للنسائي (152)، مسند الفردوس (1593)، رياض الصالحين (538) تحقيق الشيخ شعيب، إحياء علوم الدين (1/301).

(7) انظر معجم البلدان 3/251-252.

(8) مسلم بشرح النووي (2/2)، مسلم (34)، أحد (1/280 و4/337 و5/367)، عبد الرزاق (11/380 20796)، صحيح ابن حبان ـ الإحسان (3/101)، الموارد (2368)، أبو داود (1529) و(5072)، الترمذي (2758)، ابن ماجه (3870)، ابن مندة (114 و115) و(248 و249)، النسائي ـ السنن (2/26)، وعمل اليوم والليلة (4 و5 و6)، سنن سعيد بن منصور (2/117–2301 118)، البيهقي (9/15)، شرح السنن للبغوي (1/51–52 24)، مسند الفردوس (3144)، المستدرك (1/518)، ابن السني (67)، جامع التحصيل (971).

الحديث الخامس والعشرون : في زهده ﷺ في الدنيا : من الري[1] وهي مدينة كبيرة من مدن قهستان[2] : ثنا أبو إسحاق عن عمرو بن الحارث ختن[3] رسول الله ﷺ أخي جويرية بنت الحارث رضي الله عنهما قال : «والله ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضاً تركها صدقة»[4].

الحديث السادس والعشرون : في التمسك بسننه وسنن الخلفاء من بعده : من زنجان (زنكان)[5] وهي مدينة من مدن قهستان : عن العرباض بن سارية رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ وعظهم يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال رجل : يا رسول الله هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا ؟ قال : «أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً. وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين عضوا عليها بالنواجد»[6].

الحديث السابع والعشرون : في فضل أبي بكر : من أبهر وهي مدينة من مدن قهستان[7] : عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما ثقل رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن أبي بكر : «أئتني بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه بعدي، قالت : فلما قام عبد الرحمن قال رسول الله : أبى الله عز وجل والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر الصديق رضي الله عنه»[8].

---

(1) انظر معجم البلدان 3/116-122.

(2) رسمت في المعجم (قوهستان) وقال : وهي تعرب كوهستان، ومعناه : وضع الجبال. كوه : جبل بالفارسية، ستان : أرض، مكان، معجم البلدان 4/416.

(3) ختن الرجل : أخو الزوجة.

(4) أحمد (4/279)، البخاري ـ فتح الباري (2839 و2873 و2912 و4461)، مسلم (1635)، في الوصية ـ باب ترك الوصية، النسائي (6/229)، المعجم الكبير (17/ 41 92 و93 و94)، المعجم الأوسط (1515)، مجمع الزوائد (9/40)، شرح السنة (5/278).

(5) انظر معجم البلدان 3/152-153.

(6) أخرجه أحمد (4/126–127)، أبو داود (4607)، الترمذي (2678)، ابن ماجه (42 و43 و44)، صحيح ابن حبان ـ الإحسان (102)، الحاكم (1/96 و97 وانظر السنة لابن أبي عاصم (26 إلى 34 و1037 إلى 1045) المشكاة (165)، الدارمي (1/44–45)، شرح السنة (1/205 102).

(7) انظر معجم البلدان 1/82-84.

(8) أحمد في فضائل الصحابة (205,226 و227 و600)، مسلم بشرح النووي (15/154–155)، الطيالسي ـ عون المعبود (1508)، السنن الكبرى (1/31)، ابن سعد (3/180)، السنة لابن أبي عاصم (1163 و1156 بمعناه).

الحديث الثامن والعشرون : في التشهد : من تبريز[1] وهي قصبة أذربيجان[2] : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا نقول قبل أن يفرض التشهد : السلام على الله، السلام على جبريل وميكائيل. فقال رسول الله ﷺ : «لا تقولوا هكذا فإن الله عز وجل هو السلام، ولكن قولوا : التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»[3].

الحديث التاسع والعشرون : في بر الوالدين : من مرند وهي مدينة من مدن أذربيجان[4] : عن أسيد بن علي بن عبيد الساعدي، عن أبيه، عن أبي أسيد رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كلمه رجل من بني سلمة، وأنا عنده، فقال : يا رسول الله إن أبوي قد هلكا فهل بقي علي من برهما شيء ؟ فقال له رسول الله ﷺ : «نعم أربعة أشياء : الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهودهما من بعدهما وصلة رحمهما التي لا رحم لك إلا من قبلهما. قال : وقال أبو الطيب : فقال الرجل : ما أكثر هذا وأطيبه يا رسول الله قال : فاعمل به»[5].

الحديث الثلاثون : في الأمر بالسواك : من خوي[6] وهي مدينة من مدن أذربيجان : عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لولا أن أشق على أمتي لأخرت صلاة العشاء إلى ثلث الليل، ولأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[7].

---

(1) انظر معجم البلدان 2/13.

(2) انظر معجم البلدان 1/128-129.

(3) حديث التشهد : روي عن ابن مسعود وابن عباس وأبي موسى الأشعري وابن عمر.الموطأ (90/1)، البخاري - فتح الباري (831 و835 و1202 و6230 و6265 و6328 و7381)، صحيح مسلم بشرح النووي (115/4 وما بعدها من طرق)، أبو داود (968 و969 و970 و971 و972 و973 و974 و975)، الترمذي (288 و289)، النسائي (237/2 إلى 243)، ابن ماجه (290/1 و899 إلى 902)، صحيح ابن خزيمة (703 و704 و708)، الطيالسي - عون المعبود (457 إلى 462)، سنن الدارقطني (349/1 وما بعدها)، الدارمي (308/1)، كشف الأستار (271/1)، أبو عوانة (228/2 و229).

(4) انظر معجم البلدان 110/5.

(5) أبو داود (5120)، ابن ماجه(3664)، المعجم الكبير 19 (592).

(6) انظر معجم البلدان 408/2-409.

(7) الحميدي (492 و965)، عبد الرزاق (2112 و2113)، أحمد (150/6) وانظر (28/2)، البخاري - فتح الباري (571)، مسلم (642)، أبو داود (420 و421 و422)، الترمذي (167)، النسائي (266/1-267)، ابن ماجه (690 و691) وانظر ما بعدهما، الدارمي (275/1)، الدارقطني (270/1)، ابن خزيمة (176/1)، صحيح ابن حبان (40/3)، البيهقي (35/1 و36 و450)، كشف الأستار (377) وانظر (375 و376)، وانظر المعجم الكبير 11 رقم (11358 و11390 و11424) و12 رقم (13481)، ابن عدي (2048/6)، المطالب العالية (78/1-79) (275)، مجمع الزوائد (317/1).

الحديث الحادي والثلاثون : حديث أبي جرول لما أسر في غزوة حنين : من جرباذقان وهي من أعمال أصبهان[1] : ثنا أبو عمرو زياد بن طارق، وكان أتت عليه عشرون ومائة سنة، قال : سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمي رضي الله عنه يقول : «لما أسرنا رسول الله ﷺ يوم حنين؛ يوم هوزان، وذهب يفرق السبي والشاء، أتيته فأنشدته أقول هذا الشعر :

امنُنْ علينا رسولَ الله في كرم

فإنك المرء نرجوه وننتظر

امنن على بيضة قد عاقها قدر

مشتّتٌ شملُها، في دهرها غير

أبقت لنا الدهر[2] هتافاً على حزن

على قلوبهم الغمَّاء والغمَر

إن لم تداركهم نعماء ننشدها

يا أرجح الناس حلماً حين يختبر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها

إذ فوك يملأه من محضها الدَّرر

إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها

وإذ يزينك ما تأتي وما تذر

لا تجعلنا كمن شالت نعامته

واستبق منا فإنا معشر زُهُر

إنا لنشكر للنعماء إذ كفرت

وعندنا بعد هذا اليوم مدَّخر

فألبس العفو من قد كنت ترضعه

من أمهاتك إن العفو مشتهر

---

(1) انظر معجم البلدان 118/2.

(2) كتب في الهامش (الحرب).

يا خير من مدحت كُمْتُ الجياد به

عند الهياج إذا ما استوقد الشرر

إنا نؤمل عفواً منك تلبسه

هدي البرية إذ يعفو وينتصر

فاعف عفا الله عما أنت راهبه

يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

قال : فلما سمع هذا الشعر قال : «ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم». قالت قريش : ما كان لنا فهو لله ولرسوله. وقالت الأنصار : ما كان لنا فهو لله ولرسوله»[1].

الحديث الثاني والثلاثون : في أوقات النهي عن الصلاة : من همذان وهي مدينة كبيرة من بلاد الجبل[2] **:** عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه قال : سمعت عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه يقول : «ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن وأن نقبر فيهن موتانا؛ حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل، وحين تقرب للغروب حتى تغرب»[3].

الحديث الثالث والثلاثون : في أن الله اصطفاه من قريش : من مشكان وهي مدينة من أعمال همذان[4] **:** ثنا الأوزاعي، حدثني شداد أبو عمار، حدثني واثلة

---

(1) حديث زهير بن صرد. الطبراني : المعجم الكبير (269/5-571) (5303 و5304)، المعجم الصغير : الروض الداني (661)، مجمع الزوائد (187/6)، السيرة النبوية ـ زيني دحلان (325/2)، لسان الميزان (99/4)، ميزان الاعتدال (6/3).

(2) انظر معجم البلدان 410/5-417.

(3) روي الحديث عن عدد من الصحابة وبألفاظ مختلفة.

أحمد (152/4)، فتح الباري (581 إلى 589 و1192 إلى 1195 و1629 و3272 و3273 و1188 و1197 و1864 و1995 و3766)، مسلم (831)، مسلم بشرح النووي (110/6 إلى 122)، أبو داود (3176)، الترمذي (1035)، النسائي (275/1-276)، ابن ماجه (1519)، الدارقطني (246/1)، ابن خزيمة (254/2 إلى 258 1270 إلى 1575)، الطيالسي (75/1-76 316)، البيهقي (34/4)، أبو يعلى (1755)، صحيح ابن حبان (42/3 إلى 46 1540 إلى 1549)، أبو عوانة (386/1)، كشف الأستار (291/1-293 609 إلى 614)، شرح السنة (327/3)، المعجم الكبير (250/17 797 و798)، الأوسط (2122)، مجمع الزوائد (227/2 إلى 231)، المطالب العالية (291).

(4) انظر معجم البلدان 135/5.

بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى هاشماً من قريش، واصطفاني من بني هاشم»[1].

الحديث الرابع والثلاثون: في الرؤيا الصالحة: من روذراور وهي مدينة من كورة همذان[2]: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الأموي أنا العباس بن الوليد، أخبرني عقبة ـ يعني ابن علقمة ـ البيروتي، أخبرني الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، حدثني عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿ **الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾. فقال رسول الله ﷺ: لقد سألت عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك. أو قال: أحد غيرك قال: «هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تُرى له»[3].

الحديث الخامس والثلاثون: في صفات المنافق: من أسدآباذ وهي مدينة من نواحي همذان[4]: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، وإن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يتركها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإذا خاصم فجر»[5].

---

(1) أحمد (107/4)، مسلم (2276)، الترمذي (3684 إلى 3687)، ابن ماجه (140)، الحاكم: المستدرك (73/4 و76-78)، ومعرفة علوم الحديث (166)، البيهقي: مناقب الشافعي (39/1-40)، دلائل النبوة (165/1 إلى 172)، شعب الإيمان، الطبراني، المعجم الكبير (348/12 13650) و(286/20 و66/22)، العلل لابن أبي حاتم (367/2-368)، الضعفاء للعقيلي (388/4)، الكامل في الضعفاء لابن عدي (665/2 و2207/6)، دلائل النبوة لأبي نعيم (67/1)، مسند أبي يعلى (352/1)، ابن قدامة في العلو (165-166)، مجمع الزوائد (215/8 وما بعدها)، كنز العمال (43/12-45)، محجة القرب إلى محبة العرب للعراقي (201/2)، القرب في وجوب محبة العرب (90-98)، مسبوك الذهب في فضل العرب (22 وما بعدها)، وانظر ألف باء للبلوي (47/1-48 و391)، مبلغ الأرب في فخر العرب للهيثمي (17 و18)، ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد والحكيم الترمذي والديلمي في مسند الفردوس ورواه أبو الشيخ والطبراني في المعجم الأوسط.

(2) انظر معجم البلدان 78/2.

(3) روي الحديث عن عدد من الصحابة وبألفاظ متقاربة.

الحميدي (391 و392)، مالك (957/2 و958)، أحمد (438/2 و129/6 و445 و447)، فتح الباري (6990)، الترمذي (2375 و2376)، صحيح ابن حبان ـ الإحسان (6013/7 615)، كشف الأستار (2118 و2119)، المعجم الكبير (3051/3 179)، مجمع الزوائد (173/7).

(4) انظر معجم البلدان 176/1.

(5) أحمد (189/2 و198)، فتح الباري (34/1 89) و2459/5 107 و279/6 3178)، مسلم (106/1 78)، أبو داود (4688)، الترمذي (2768)، النسائي (102/8)، صحيح ابن حبان ـ الإحسان (236/1)، البيهقي (230/9 و74/10)، ابن مندة (522 و523 و524 و 525) وانظر ما بعدها.

الحديث السادس والثلاثون : فضل طالب العلم : من حلوان وهي مدينة آخر حد العراق[1] : عن زر بن حبيش[2] قال : «أتيت صفوان بن عمال المرادي رضي الله عنه فقال لي : ما جاء بك ؟ قلت : ابتغاء العلم. قال : فإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع. قلت : حاك في نفسي المسح على الخفين، وكنت امرءاً من أصحاب رسول اللهﷺ فأتيتك لأسألك ؛ هل سمعت في ذلك شيئاً ؟ قال : نعم. كان يأمرنا إذا كنا سفرى ـ أو مسافرين ـ أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن؛ من نوم ولا غائط ولا بول إلا من جنابة»[3].

الحديث السابع والثلاثون : في فضل صهيب وفضل الإطعام : من آرجيش[4] وهو من فرج أرمينيه[5] بين خلاط[6] وخوي : عن حمزة بن صهيب عن أبيه قال : «قال عمر لصهيب رضي الله عنهما : أي رجل لولا خصال ثلاث فيك ؟ قال : وما هن ؟ قال : اكتنيت وليس لك ولد، وانتميت إلى العرب وأنت من الروم وفيك سرف في الطعام. قال : أما قولك : اكتنيت ولم يولد لي؛ فإن رسول اللهﷺ كنّاني أبا يحيى. وأما قولك إني انتميت إلى العرب وأنت من الروم؛ فإني رجل من النمر بن قاسط، سبتني الروم من الموصل بعد إذ أنا غلام قد عرفت نسبي. وأما قولك : في سرف في الطعام؛ فإني سمعت رسول الله يقول : خياركم من أطعم الطعام»[7].

الحديث الثامن والثلاثون : في المسح على الخفين : من الأنبار، من العراق، وهي مدينة على شاطئ الفرات من ناحية الجزيرة[8] : عن عروة بن المغيرة عن أبيه رضي الله عنه عن النبيﷺ قال : كنت معه في سفر فنزل فأتبعته بإداوة فأفرغت

---

(1) انظر معجم البلدان 2/290-293.

(2) كتب في هامش 35 ب زر هو : أبو مريم وقيل : أبو مطرف الأسدي الكوفي، مات سنة اثنتين وثمانين.

(3) رواه عبد الرزاق (793 و795)، الحميدي (881)، الشافعي (82)، أحمد (4/239-240)، ابن حبان (79)، ابن ماجه (226)، ابن خزيمة (193 و196)، النسائي (1/276)، البيهقي (1/83-84)، الطيالسي ـ عون المعبود (196)، المعجم الكبير 8 (7352 و7353 و7359 و7360 و7361 و7365 و7383 و7388).

(4) جاءت في معجم البلدان بالهمزة وليس بالمد (أرجيش) انظر 1/144.

(5) انظر معجم البلدان 1/159-161.

(6) انظر معجم البلدان 2/380-381.

(7) رواه أحمد (4/333 و6/16)، ابن ماجه (3738) مقتصراً على قصة الكنية، المعجم الكبير (7297 و7310)، مجمع الزوائد (5/17)، ابن سعد (3/226-227).

(8) انظر معجم البلدان (1/257-258). والأنبار الآن تقع في معظمها في جهة الشام، وتسمى الرمادي بلداً، أي محافظة الأنبار مركزها الرمادي، وهي على بعد 110كم عن بغداد، ومعظم سكانها من الدليم حتى إن الناس هناك يسمون القضاء قضاء الدليم.

عليه، وعليه جبة من صوف من جباب الروم، فذهب ليخرج يده من كم الجبة فلم يستطع، فادرعها أدراعاً من أسفل الجبة، فغسل ذراعيه حتى إذا بلغ الخفين أهويت لأنزعهما، فقال : مه : «دعهما، فإني أدخلتهما طاهرتين. فمسح عليهما ثم توضأ»[1].

الحديث التاسع والثلاثون : في العمل الذي يقرب من الجنة : من رحبة مالك بن طوق وهي مدينة على شاطئ الفرات مما يلي الشام[2] : عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبيﷺ فقال : يا رسول الله دُلّني على عمل أعمله يقربني من الجنة ويباعدني من النار. قال : «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتصل ذا رحمك. فلما أدبر الرجل قال : إن تمسك بما أمرتُه دخل الجنة»[3].

الحديث الأربعون : في التسبيح في الصلاة : من الرافقة وتعرف اليوم بالرقة وهي مدينة على شاطئ الفرات من الجزيرة[4] : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول اللهﷺ غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف : «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين»[5].

---

(1) عبد الرزاق (748 و749)، الحميدي (757 و758)، مالك (35/1-36 42 وانظر 43)، أحمد (245/4 إلى 255)، فتح الباري (203 و206 و182 و4421 و5799)، مسلم (274) وما بعدها، مسلم بشرح النووي (173/3 و174)، أبو داود (150 و151 و161)، الترمذي (98 و100)، النسائي في الكبرى (104 و127)، وفي الصغرى (62/1 و63 و76 و82 و83)، صحيح ابن حبان (1335 و1336 و1343 و1344)، وانظر عن غيره (307/2 إلى 317)، ابن ماجه (545)، الطيالسي (56/1)، ابن خزيمة (191)، الدارمي (181/1)، الدارقطني (194/1-195 مختصراً)، ونحوه عن صفوان بن عسال (197/1)، البيهقي (291/1)، المنتقى لابن الجارود (85)، والطبراني في معاجمه الثلاثة : الكبير (368/20 وما بعدها) (858 و860 و861 و864 إلى 882 و885 إلى 889)، الأوسط (537 و1321 و2666) وعن صفوان بن عسال (1852 و2705) نحوه، الصغير ـ الروض الداني (369).

(2) انظر معجم البلدان (34/3-36). وتقع رحبة مالك بن طوق الآن جوار مدينة الميادين التابعة لمحافظة دير الزور في سوريا على بعد 2كم تقريباً على طرف البادية من جهة الفرات، ولا تزال آثارها باقية تصارع الأيام، وتقع في مكان مرتفع وحولها واد منخفض كما هو حال القلاع.

(3) أحمد (342/2) عن أبي هريرة نحوه و(472/3) عن عبد الله اليشكري و(76/4) عن ضرار بن الأزور و(417/5) عن أبي أيوب، فتح الباري (1396 و5982 و5983)، ورواه عن أبي هريرة (1397)، مسلم (12 و13 و14 و15) إيمان، النسائي (234/1) ـ صلاة، صحيح ابن حبان (101/5 3234 و3235)، المعجم الكبير 4 (3924 و3925 و3926).

(4) الرافقة بلد متصل البناء بالرقة في أصل بنائها، وهما على ضفة الفرات، وبينهما ثلاثمائة ذراع، ولها ربض بينها وبين الرقة، وبه أسواقها، وقد خربت وأصبحت تعرف بالرقة. انظر معجم البلدان (15/3-16). وهي الآن إحدى المحافظات السورية الواقعة في الجزيرة وسكانها خليط من جميع المدن السورية، وفيها من جميع الملل والنحل الموجودة في سورية، وقد تجاوز بناؤها إلى جهة الشام من نهر الفرات (الشامية).

(5) المعجم الكبير (95/11 11221) عن ابن عباس ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (118) عن أبي سعيد (تحقيق عبد القادر أحمد عطا).

4. جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي (597)

إنه الموسوعي الذي كتب في أكثر من علم وبرع في أكثر من فن، والمحدث الناقد الذي مد علوم الحديث بمصنفات قيّمة تناولت مناقب أئمة الرواة، وسيرهم وتصفية المرويات، وبيان موضوعاتها، وغريبها، وهو المؤرخ المتبصر والأديب الممتع والشاعر المبدع.

نورد فيما يلي ملخصاً موجزاً لترجمته نقلاً عن الأستاذ بسام عبد الوهاب الجابي محقق كتابه أخبار الأذكياء، ثم نتناول مصنفه المشهور في الموضوعات.

أ) حياته:

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن على بن محمد، المعروف بابن الجوزي البغدادي الحنبلي، ينتمي إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق.

وجاء في ″ذيل طبقات الحنابلة″ : قال ابن القطيعي : وحكى لي أنه كان يسمى (المبارك) إلى سنة عشرين وخمس مئة، وقال ابن الجوزي : وسمّاني وأخوي شيخنا ابن ناصر : عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرزاق، وإنما كنا نعرف بالكنى.

قال المنذري : مولده تخميناً سنة ثمان وخمس مائة، ويقال : سنة عشر وخمسمائة، ويقال غير ذلك. وقال سبطه : ولد جدي ببغداد بدرب حبيب في سنة عشرة وخمس مائة تقريباً. وقال ابن خلكان نقلاً عن ابن النجار في ″ذيل تاريخ بغداد″ : كان أبو الفرج ابن الجوزي يقول : لا أتحقق مولدي، غير أن والدي مات سنة أربع عشرة - أي وخمسمائة - وقالت الوالدة : كان لك من العمر نحو ثلاث سنين.

وذكر ابن رجب في ″ذيل طبقات الحنابلة″ أنه وجد هذا القول بخط ابن الجوزي نفسه، ثم قال : فعلى ما يكون مولده سنة إحدى عشرة أو اثنتي عشرة، ويؤكد ذلك أنه وجد بخطه تصنيفا له قي الوعظ وذكر فيه أنه صنفه سنة ثمان وعشرين وخمس مائة، وله من العمر سبع عشرة سنة.

أما مكان ولادته، فكما ذكر سابقا في درب حبيب من نهر المعلى في الجانب الشرقي من بغداد. وأما ذكره بعضهم، مثل جرجي زيدان وكارل بروكلمان من أنه ولد في واسط، فلا يُلتفت إليه.

وضبط نسبته (الجوزي) بفتح الجيم وسكون الواو بعدها زاي، نسبة إلى مكان اختلف في تعيينه، واتفقوا على أن أول من نسب إليه هو جده التاسع جعفر، وأما المكان،

فبعضهم قال : هو فرضة من فرض البصرة يقال لها : جوزة. والفرضة : ثلمة النهر أو محط السفن. وقيل : كان في داره جوزة لم يكن بواسط جوزة سواها. وقيل : هو منسوب إلى محلة بالبصرة، تسمى محلة الجوز.

ب) نشأته وطلبه للعلم :

توفي والده وعمره ثلاث سنوات، فنشأ يتيماً، تكفلته عمته، فقامت بأعباء تربيته والعناية به، ثم حملته إلى مسجد أبي الفضل ابن ناصر، فاعتنى به وعلّمه واهتم بتوجيهه.

يقول ابن الجوزي عن هذه الفترة : أذكر نفسي ولي همة عالية، وأنا في المكتب ابن ست سنين، وأنا قرين الصبيان الكبار، قد رزقت عقلاً وافراً في الصغر يزيد على عقل الشيوخ، فما أذكر أني لعبت في طريق مع الصبيان قط، ولا ضحكت ضحكاً جارحاً، حتى إني كنت ولي سبع سنين أو نحوها أحضر رحبة الجامع، فلا أتخير حلقة مشعبذ، بل أطلب المحدث، فيتحدث بالسيّر، فأحفظ جميع ما أسمعه وأذهب إلى البيت فأكتبه.

ويقول : ولقد وفق لي شيخنا أبو الفضل ابن ناصر رحمه الله، وهو الذي تولى تسميعي الحديث من زمن الصغر، وهو الذي جعله الله تعالى سببا لإرشادي إلى العلم فانه كان يجتهد معي، وكان يحملني إلى الشيوخ، فأسمعني (مسند الإمام أحمد ابن حنبل) وغيره من الكتب الكبار والأجزاء العوالي، وأنا لا أعلم ما يُراد مني، ولا أدري ما العلم من الصغر، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، وأثبت لي ما سمعت بخطه، وأخذ لي إجازات، عنه وأخذت أكثر ما عرفت من علم الحديث، ولازمته إلى أن توفي رحمه الله، فنلت منه معرفة الحديث والنقل، ولم أستفد من أحد كاستفادتي منه.

ويقول أيضاً في ″صيد الخاطر″ : إنني رجل حبب إليّ العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به، ثم لم يحبب إلي فن واحد منه بل فنونه، ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه بل أروم استقصاءه.

واهتم أيضاً بقراءة القرآن وحفظه، كما اهتم بحضور مجالس الوعظ، يقول أبو شامة في ″الذيل على الروضتين″ : كان يختم القرآن في كل سبعة أيام، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجامع للجمعة وللمجلس.

ولكي ندرك شغفه وحبه للعلم، يكفي أن نقرأ قوله في كتابه ″لفتة الكبد″ : وأعلم يا بني، أن أبي كان موسراً، وخلّف ألوفاً من المال، فلما بلغت دُفِعَ لي

عشرون ديناراً وديناران، وقيل لي : هذه التركة كلها، فأخذت الدنانير، واشتريت بها كتباً من كتب العلم، وبعت الدينارين، وأنفقت ثمنهما في طلب العلم، ولم يبق لي شيء من المال.

وقال في "صيد الخاطر" : ولقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج إلى طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث سير الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله وآدابه، وأحوال الصحابة وتابعيهم، فصرت في معرفة طريقه كابن أجود، وأثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا يدرك بالعلم، حتى أنني أذكر في زمان الصبوة، ووقت الغلمة والعزبة، قدرتي على أشياء، كانت النفس تتوق إليها توقان العطشان إلى الماء الزلال، ولم يمنعني عنها إلا ما أثمر عندي من العلم من خوف الله عز وجل.

ثم يقول : إنني أروم من العلم ما أتيقن أني لا أصل إليه، لأني أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها، وأريد استقصاء كل فرد، وهذا أمر يعجز عن بعضه، فإن عرض لي همة في فن قد بلغ منتهاه رأيته ناقصا في غيره، ولا أعد همته تامة.

ويقول مخاطباً ابنه ومحدثاً عن هذه الفترة : وما ذل أبوك في طلب العلم قط، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الوعاظ، ولا بعث رقعة إلى أحد يطلب منه شيئاً قط، وأموره تجري على السداد ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾.

وأما عن علو همته في طلب العلم، يقول : «وما أبتلي الإنسان قط بأعظم من علو همته، فإن من علت همته يختار المعالي، وقد لا يساعد الزمان، وقد تضعف الآلة، فيبقى في عذاب، وإني أعطيت من علو الهمة طرفا، فأنا فيه في عذاب».

ويقول : «خلقت لي همة عالية تطلب الغايات، فعلَت السن وما بلغت ما أملّت، فأخذت أسأل تطويل العمر، وتقوية البدن، وبلوغ الآمال».

ويقول عن كثرة إطلاعه : «ولو قلت : إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب».

ج) أساتذته ومشايخه :

جمع ابن الجوزي (مشيخة) ضمنت معظم شيوخه أساتذته، وبعد أن أورد ست وثمانين شيخاً قال : هذا آخر المشايخ الأكابر، وقد سمعت من جماعة غيرهم، ولي إجازات من خلق يطول ذكرهم، وقد سمعت من ثلاث نسوة. ثم أوردهن.

وأورد محقق أخبار الأذكياء أسماء مشايخه مرتبة ألفبائيا مع ذكر ولادتهم ووفاتهم إن عُلِمت، مستخرجها من (مشيخته) متبعاً كل اسم رقم الشيخ حسب وروده في (المشيخة)، منهم :

1. إبراهيم بن دينار النهرواني، أبو حكيم (تـ 556هـ).
2. أحمد بن أحمد بن عبد الواحد المتوكلي، أبو السعادات (تـ 521هـ).
3. أحمد بن الحسن بن هبة الله بن الحسين المقريء الإسكافي، (أبو الفضل يعرف بابن العالمة بنت الرازي (تـ 530هـ).
4. أحمد بن محمد بن علي بن محمود بن إبراهيم بن باحرة الزوزني، أبو سعد (تـ 532هـ).
5. أحمد بن القرب بن الحسين الفقيه الكرخي، أبو بكر (تـ 566هـ).
6. سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري المغربي الأندلسي، أبو الحسن (تـ 541هـ).
7. عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم الهروي السجزي، أبو الوقت (تـ 553هـ).
8. عبد الجبار بن إبراهيم بن عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، ابن منده الأصفهاني، أبوالنصر (تـ 521هـ).
9. عبد الله بن علي المقريء، أبو محمد، المعروف بسبط الخياط (تـ 541هـ).
10. علي بن عبد بن نصر بن السري الزاغوني، أبو الحسن (تـ 527هـ).
11. فاطمة بيت أبي حكيم عبد الله بن إبراهيم الخبري (تـ 534هـ).
12. فاطمة بنت محمد بن الحسين بن فضلويه الرازي البزاز (تـ 521هـ).
13. محمد بن عبد الملك بن الحسن بن إبراهيم بن خيرون المقريء، أبو منصور (تـ 530هـ).
14. محمد بن عبيد الله الزاغوني، أبو بكر (تـ 552هـ).

د) مؤلفاته وآثاره :

لقد تكرر ذكر الآلاف في الحديث عن ابن الجوزي، محدث العراق وواعظ الآفاق.

لقد قال إنه كتب بيده ألفي مجلد، وتاب على يده مائة ألف من العصاة، وأسلم على يده عشرون ألفاً. وقيل إن الذين كانوا يحضرون مجالس وعظه يبلغون مائة ألف وأنه طالع عشرين ألف مجلد، وأن تآليفه بلغت ألف كتاب وأنه الباحث الذي أخذ عن مئات الشيوخ.

ويقول الجابي إن الأستاذ عبد الحميد العلوجي نشر كتابه "مؤلفات ابن الجوزي" ببغداد سنة 1385هـ ، فجمع فيه كل ما وقف عليه منسوبا إلى ابن الجوزي، وما زال كتابه يعد أوسع كتاب في بابه، وإن كان يمكن الزيادة عليه من خلال المصادر الجديدة التي توفرت، أو من خلال العثور على كتب أخرى مخطوطة لابن الجوزي لم تكن معروفة.

وذكر العلوجي أن مؤلفات ابن الجوزي تزيد على أربعمائة كتاب.

ومن المفيد هنا ذكر أسماء كتبه المطبوعة، ومن يطلب ما وراء ذلك فيرجع لكتاب الأستاذ العلوجي، وهذه الكتب هي :

1. "إخبار أهل الرسوخ في الفقه والحديث بمقدار المنسوخ من الحديث" القاهرة 1322هـ، في صدر كتاب : "قبضة البيان في ناسخ ومنسوخ القرآن".
2. "أخبار الأذكياء" طبع طبعات عدة في القاهرة ودمشق وبيروت وغيرها.
3. "أخبار الحمقى والمغفلين" دمشق، 1357، ومصر، 1928م، وعدة طبعات في بيروت.
4. "أخبار الظراف والمتماجنين" دمشق، 1347هـ، والنجف، 1967م، وعدة طبعات في بيروت.
5. "أخبار النساء" دمشق، 1347هـ، وطبع في القاهرة وبيروت منسوباً لابن قيم الجوزية.
6. "التحقيق في أحاديث الخلاف"، القاهرة، 1954م.
7. "تلبيس إبليس"، القاهرة، 1928م، وعدة طبعات في القاهرة ودمشق وبيروت.

8. ″دفع شبه التشبيه والرد على المجسمة″ دمشق، 1345هـ.

9. زاد المسير في علم التفسير″ المكتب الإسلامي بدمشق وبيروت، 1967م.

10. صفة الصفوة″ حيدر آباد بالهند، 1355-1356م.

11. ″العلل المتناهية في الأحاديث الواهية″ باكستان، 1401هـ.

12. ″غريب الحديث″ بيروت، 1405هـ.

13. ″فضائل القدس″، بيروت، 1979م.

14. ″مختصر مناقب عمر بن عبد العزيز″، اليبزغ، 1899م، والقاهرة، 1331هـ.

15. ″المشيخة″، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1977م.

16. ″مناقب أحمد بن حنبل″ القاهرة، 1349هـ، 1399هـ .

17. ″مناقب بغداد″ بغداد، 1342هـ.

18. ″مناقب الحسن البصري″ القاهرة، 1931 وفي سورية عدة مرات.

19. ″الموضوعات في الأحاديث المرفوعات″ القاهرة، 1966-1967م.

20. ″الوفا بأحوال المصطفى″، القاهرة 1966م[1].

كتاب "الموضوعات"[2] :

يبدو أن هذا الكتاب من آخر ما كتب ابن الجوزي لأن راويه يذكر أن المؤلف كتب إليه به سنة 595هـ، أي قبل وفاته بسنتين، ويقول ابن الجوزي إنه جزأه من كتاب ″العلل المتناهية في الأحاديث الواهية″.

وقد قدم له المصنف عدة فصول منها ما أورده في تكريم أمة النبي صلى الله عليه وسلم من وفور العقل وقوة الفهم وجودة الذهن. وقال إن هذه الأصول معدومة عند بني إسرائيل. وإنها مكنتهم من حفظ نصوص دينهم، واستدل على ذلك بحديث جابر بن

(1) انظر ترجمة ابن الجوزي مفصلة مع ذكر مكانته العلمية ومؤلفاته في سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 21، ص 365 وما بعدها، وتذكرة الحفاظ، ج 4، ص 1342 وما بعدها.

(2) تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، منشورات المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، سنة 1386هـ، وبمكتبة ابن تيمية بالقاهرة، 1407هـ.

سمرة المشهور، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : «يحمل هذا من كل خلف عدوله ينفون عند تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين»[1].

وقد نوه بعلم الأوائل وحسن عنايتهم بالتفرقة بين صحيح المنقول وسقيمه، ثم عاب على خلفهم جهلهم، فقال عنهم : الفقيه منهم يقلل التعليق في خبر حدثنا خبر خبره، والمتعبد ينصب لأجل حديث لا يدري من سطره، والقصاص يروي للعوام الأحاديث المنكرة[2].

أقسام الأحاديث :

ثم ذكر أن الأحاديث على ستة أقسام :

فالقسم الأول منها : ما اتفق على صحته، وهو ما أورده الإمام البخاري ثم رواه الإمام مسلم بن الحجاج، وقال إن مرادهما الحديث الذي يرويه الصحابي المشهور بالرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك الصحابي راويان ثقتان عنه لذلك الحديث. ثم يرويه عنه التابعي المشهور بالرواية عن الصحابة، وله راويان ثقتان عنه، ثم يرويه عنه من أتباع التابعين الحافظ المتقن المشهور، وله رواة ثقات ثم يكون شيخ البخاري حافظاً متقناً، فهذه الدرجة العليا. وقد كان مسلم بن الحجاج أراد أن يخرج الصحيح على ثلاثة أقسام في الرواة فلما فرغ من القسم الأول توفي.

وانتقد ابن الجوزي ما قاله أبو عبد الله الحاكم في شرطي البخاري ومسلم، فذكر أن الحاكم قال عنهما : "وقد تركا أحاديث جيدة الطريق لنوع احتياط نظراً فيه، منها أحاديث رواها الثقاة إلى الصحابي غير أن هذا الصحابي لم يكن له غير راو واحد مثل حديث مرداس الأسلمي والمستورد لمّا لم يكن لهم راو غير قيس بن أبي حازم، وكذلك حديث عروة بن مضرس فإنه لا راوي له إلا الشعبي، فلم يخرجا ذلك، وكذلك حديث عمير بن قتادة الكتبي[3] لما لم يكن له راو غير ابنه عمير لم يخرجا حديثه، وكذلك حديث ابن أبي ليلى الأنصاري لما لم يكن له راو غير ابنه عبد الرحمن، وكذلك حديث قيس بن أبي غرزة لما لم يكن له غير أبي وائل شقيق بن سلمة، وحديث أسامة بن شريك وقطبة بن مالك لما لم يكن لهما راو غير زياد بن علاقة.

---

(1) الموضوعات لابن الجوزي، تحقيق نور الدين بن شكري بن علي بن بويا جيلار، ج 1، ص 4، بعد مقدمة التحقيق، منشورات مكتبة أضواء السلف، الطبعة 1، 1997.

(2) نفسه، ج 1، ص 8.

(3) هكذا هي بالأصل ولعلها مصحفة من كلمة الليثي.

قال : وكذلك تركا أحاديث عن التابعين إذ لم يكن لأحدهم راو غير عمرو بن دينار، وكذلك عمرو بن أبان بن عثمان ومحمد بن عروة بن الزبير وسنان بن أبي سنان ليس لهم راو غير الزهري، وكذلك يوسف بن مسعود الزرقي وعبد الله بن أنيس الأنصاري وعبد الرحمن بن المغيرة تفرد بالرواية عنهم يحيى بن سعيد الأنصاري، فلم يخرجا عنهم، وكذلك فعلا في أحاديث غرائب يرويها الثقاة العدول لما انفرد بها واحد من الثقاة تركاها مثل حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن النبيﷺ قال : «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى يجيء رمضان» وقد خرج مسلم كثيراً من حديث العلاء في الصحيح وترك هذا وأشباهه مما انفرد به العلاء عن أبيه.

وقد ترك أحاديث جماعة عن آبائهم عن أجدادهم لكون ذلك لم يتواتر إلا من حديثهم كحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وأجدادهم من الصحابة. وقد يروي الحديث نفسه فيسنده ثم يرويه جماعة فلا يرفعونه فيتركان إخراجه. وعلق على ذلك بقوله : «واعلم أن الذي ذكره الحاكم من اشتراط عدلين عن عدلين ليس بصحيح فإنهما ما اشترطا هذا، وإنما ظنه الحاكم وقدره في نفسه وظنه غلط، وإنما قد يتفق مثل هذا.

وقوله تركا رواية من ليس له غير راو واحد غلط أيضاً، فإن البخاري ومسلماً قد أخرجا حديث المسيب بن حزن في وفاة أبي طالب ولم يرو عن المسيب غير ابنه سعيد. وأخرج البخاري حديث قيس بن أبي حازم عن مرداس الأسلمي : «يذهب الصالحون أولاً أولاً»، وليس لمرداس راو غير قيس وأخرج مسلم حديث الأغر المزني «إنه ليغان على قلبي» ولم يرو عنه غير أبي سلمة بن عبد الرحمن فقد كان الحاكم مجازفاً في قوله، وإنما اشترط البخاري ومسلم الثقة والاشتهار وقد تركا أشياء كثيرة تركها قريب وأشياء لا وجه لتركها، فمما ترك البخاري الرواية عن حماد بن سلمة مع علمه بثقته لأنه قيل له إنه كان له ربيب يدخل في حديثه ما ليس منه، وترك الرواية عن سهيل بن أبي صالح لأنه قد تكلم في سماعه من أبيه وقيل صحيفه، واعتمد عيه مسلم لما وجده تارة يحدث عن أخيه عن أبيه وتارة عن عبد الله بن دينار ومرة عن الأعمش عن أبيه فلو كان سماعه صحيفة كان يروي الكل عن أبيه.

ومن الأشياء التي لا وجه لتركها أن يرفع الحديث ثقة فيتقفه آخر فترك هذا لا وجه له، لأن الرفع زيادة والزيادة من الثقة مقبولة إلا أن يقفه الأكثرون ويرفعه واحد فالظاهر غلطه، وإن كان من الجائز أن يكون قد حفظ دونهم، وأما ترك حديث ثقة لكونه لم يرو عنه غير واحد فقبيح لأنه إذا صح النقل وجب أن يخرج.

وأما حديث عمرو بن شعيب فإن شعيباً هو ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص فإذا قال : عن أبيه عن جده فإن أراد بجده محمداً فليس بصحابي ؛ وإن أراد بجده عبد الله فقد لقيه شعيب وسمع منه، وإذا لم يقل عن جده عبد الله احتمل، فهذا عذر لمن ترك إخراج هذا.

أما القسم الثاني عنده، فهو ما انفرد به البخاري أو مسلم، فهذا محكوم له بالصحة عند جمهور أهل النقل. ومع ذلك فإن ابن الجوزي طعن في بعض الأحاديث التي رواها الإمام مسلم.

وقال إن القسم الثالث هو ما صح سنده على رأي أحد الشيخين، فيُلحق بما أخرجاه إذا لم تعرف له علة مانعة، وهذا يعز وجوده ويقل. وقد صنّف أبو عبد الله الحاكم كتابا كبيرا سماه "المستدرك على الشيخين"، ولو نوقش فيه بان غلطه.

فالذي يبدو أن ابن الجوزي يعتقد أنه لم يفت الشيخين من الصحيح إلا القليل، وهو رأي ابن الصلاح والعراقي كما يظهر، فلا يُسلّم بصحة ما أخرجه الحاكم في مستدركه.

والقسم الرابع عنده هو «ما يعرف بالحسن وهو ما فيه ضعف قريب محتمل. ويصلح البناء عليه والعمل به». وذكر أن الإمام أحمد كان يقدم الحديث الضعيف على القياس، وفي هذا يلمح ابن الجوزي على أن الحسن من أنواع الضعيف، وأنه ليس قسماً ثالثاً كما هو المعروف.

والقسم الخامس ما قال عنه أنه شديد الضعف، كثير التزلزل، فهذا تتفاوت مراتبه عند العلماء، فبعضهم يدنيه من الحسن، ويزعم أنه ليس بقوي التزلزل وبعضهم يرى شدة ضعفه تزلزله فيلحق بالموضوعات.

والقسم السادس هو الموضوعات المقطوع بأنها محال وكذب، فتارة تكون في نفسها وتارة توضع على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي كلام غيره.

وهو يعني بهذا التفرقة بين الحديث الذي لا أصل له، والكلام الذي أسند إلى النبيﷺ من غير أن يكون قد قاله.ويعلق ابن الجوزي على هذه الأقسام بقوله : وأما الأقسام الأربعة، فالقلب عندها ساكن، وأما القسم الخامس فقد جمعت لكم جمهوره في كتابي المسمى بـ "العلل المتناهية في الأحاديث الواهية". وقد جردت له في ذلك كتاب "الموضوعات" إلا أني لما رأيتها كثيرة ورأيت أقواما قد وضعوا نسخاً وجعلوا الحديث الواحد أوراقا كثيرة تركت ذكر ما لا يخفى أنه موضوع، وربما كتبت بعض الحديث

المطول ورفضت بعضه لتطويله وركاكة ألفاظه، شحا على الزمان أن يذهب فيما ليس فيه كبير فائدة[1].

ثم ذكر ابن الجوزي أن الرواة الذين وقع في حديثهم الموضوع والكذب والمقلوب انقسموا إلى خمسة أقسام :

القسم الأول : قوم غلب عليهم الزهد والتقشف فتغفلوا عن الحفظ والتمييز، ومنهم من ضاعت كتبه أو أحترقت أو دفنها، ثم حدث من حفظه فغلط، فهؤلاء تارة يرفعون المرسل، وتارة يسندون الموقوف، وتارة يقلبون الإسناد وتارة يدخلون حديثا في حديث.

والقسم الثاني : قوم لم يعانوا على النقل فكثر خطؤهم وفحُش على ما جرى في القسم الأول.

والقسم الثالث : قوم ثقات، لكنهم اختلطت عقولهم في آخر أعمارهم فخلطوا في الرواية.

والقسم الرابع : قوم غلب عليهم السلامة والغفلة، فمنهم من كان يلقّن فيتلقن، ويقال له قل فيقول، وكان بعض هؤلاء أو رواته يضعون الحديث فيدوّن ولا يعلم. ومنهم من كان يروي الأحاديث وإن لم تكن سماعا له ظنا أن ذلك جائز. وقد قيل لبعض متغفليهم هذه الصحفية سماعك ؟ فقال : لا، ولكن مات الذي رواها فرويتها مكانه.

والقسم الخامس : قوم تعمدوا الكذب، وهو ثلاث فئات :

1. قوم رووا الخطأ من غير أن يعلموا أنه خطأ، فلما عرفوا وجه الصواب أصروا على الغلط أنفة أن ينسبوا إلى غلط.
2. قوم رووا عن كذابين (وضعفاؤهم يعلمون) ودلسوا أسمائهم. فالكذب من أولئك المجروحين، والخطأ القبيح من هؤلاء المدلسين، وهم في مرتبة الكذابين لما قد صح عن النبيﷺ أنه قال : «من روى عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين». ومن هؤلاء قوم رووا عن أقوام ما رأوهم، مثل إبراهيم بن هدبة عن أنس، وكان بواسط شيخ يحدث عن أنس وعن شريك، فقيل له لعلك سمعته من شريك، فقال : أقول لكم الصدق سمعت هذا من أنس

(1) الموضوعات لابن الجوزي، تحقيق نور الدين بن شكري بن علي بن بويا جيلار، ج 1، ص 14 بعد مقدمة التحقيق، منشورات مكتبة أضواء السلف، الطبعة 1، 1997.

عن شريك. وحدث عبد الله بن إسحق الكرماني عن محمد بن أبي يعقوب فقيل له مات محمد قبل أن تولد بتسع سنين. وحدث محمد بن حاتم الكتبي عن عبد بن حميد، فقال أبو عبد الله الحاكم هذا الشيخ سمع من عبد ابن حميد بعد وفاته بثلاث عشرة سنة[1].

3. وقوم تعمدوا الكذب الصريح لا لأنهم أخطأوا، ولا لأنهم رووا عن كذّاب، وهؤلاء تارة يكذبون في الأسانيد، فيروون عمن لم يسمعوا عنه، وتارة يسرقون الأحاديث التي يرويها غيرهم، وتارة يضعون الحديث والوضاعون سبعة أنواع :

النوع الأول : الزنادقة الذين قصدوا إفساد الشريعة، وإيقاع الشك فيها، مثل عبد الكريم بن أبي العرجاء الذي كان ربيباً لحماد بن سلمة وأقر أنه وضع أربعة آلاف حديث يحلل فيها ويحرم.

النوع الثاني : قوم يقصدون وضع الأحاديث لنصرة مذهبهم مثل عبد الله بن يزيد المعري الذي تاب من بدعته، وقال : كنا إذا رأينا رأياً جعلنا له حديثاً.

النوع الثالث : قوم وضعوا الأحاديث ليحثوا الناس بزعمهم على الخير مثل نوح بن أبي مريم المروزي الذي وضع أحاديث مكذوبة في فضائل قراءة سورة القرآن، والقرآن في غنى عنها.

النوع الرابع : قوم استجازوا وضع الأحاديث في كل كلام رأوه حسنا مثل ما ذكر أبو زرعة الدمشقي عن محمد بن سعيد.

النوع الخامس : قوم يضعون الحديث تقربا للسلطان مثل غياث بن إبراهيم الذي وضع حديثا للمهدي وهو لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر أو جناح.

النوع السادس : قوم وضعوها للإتيان بالغرائب.

النوع السابع : أحاديث القصاص المعروفة.

النوع الثامن : الشحاذون[2].

---

(1) نفسه، ج 1، ص 15 وما بعدها.

(2) الموضوعات لابن الجوزي، تحقيق نور الدين بن شكري بن علي بن بويا جيلار، ج 1، ص 19 وما بعدها، بعد مقدمة التحقيق، منشورات مكتبة أضواء السلف، الطبعة 1، 1997.

نماذج من الأحاديث الموضوعة:

عن الحسن عن علي : قال كان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر علي وهو يوحي إليه، فلما سري عنه قال : يا علي صليت العصر ؟ قال : لا، قال : اللهم إنه كان في طاعتك تعلم وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء : فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت..

قال ابن الجوزي : هذا حديث موضوع ولا شك وقد اضطربت الرواة فيه فرواه سعيد بن مسعود عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن علي بن الحسن عن فاطمة بنت علي عن أسماء وهذا تخليط في الرواية[1].

روى الربيع بن سليمان عن الشافعي، قال : قيل لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : حدثك أبوك عن جدك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً وصلت ركعتين خلف المقام[2].

وروى عمر الفارسي، عن أبي أمامة : أن الله عز وجل إذا غضب أنزل الوحي بالعربية، وإذا رضي أنزل الوحي بالفارسية[3].

وحدّث أبو السعادات أحمد بن منصور بن الحسن بن علي بن القاسم قال : أنبأنا الإمام أبو الحسن عن ابن إبراهيم الكروحي، قال : حدثنا سليمان بن حمد الطبراني، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال : حدثني أبي قال حدثني مؤمل بن عبد الرحمن، قال حدثنا أمية بن يعلى عن سعيد المقبري عن عكرمة عن ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : إن الله ينزل في ليلة الجمعة إلى دار الدنيا في ستمائة ألف ملك، فيجلس على كرسي من نور بين يديه لوح من ياقوتة حمراء فيه أسماء من يثبت الرؤية والكيفية والصورة من أمة محمد فيباهي بهم الملائكة، ويقول عز وجل : هؤلاء عبيدي الذي لم يجحدوني وأقاموا سنة نبيي ولم يخافوا في الله لومة لائم أشهدكم يا ملائكتي وعزتي وجلالي لأدخلنهم الجنة بغير حساب[4].

---

(1) المصدر نفسه، ج 2، ص 120، الحديث رقم 667.

(2) المصدر نفسه، ج 1، ص 143، الحديث رقم 225.

(3) المصدر نفسه، ج 1، ص 157، الحديث رقم 240.

(4) المصدر السابق، ج 1، ص 176، الحديث رقم 260.

وعن سليمان بن داود الشاذكوني : حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ ابن جبل لما بعثه إلى اليمن إنك تأتي قوماً من أهل كتاب، فإذا سألوك عن المجرة فأخبرهم إنها من عرق الأفعى التي تحت العرش[1]، وفي بعض الروايات "من لعاب".

ومنها : من سعادة المرء خفة لحيته (عدة طرق وفي كل واحدة منها أحد الضعفاء أو المتروكين).

وعن البراء بن عازب أن الله اتخذ لإبراهيم في أعلى عليين قبة بيضاء معلقة بالقدرة تخترقها رياح الرحمة لها أربعة آلاف باب كلما اشتاق أبو بكر إلى الجنة انفتح منها باب يتقرب منه إلى الله عز وجل[2] (قال الدارقطني هذا مما عمله محمد بن عبد الله الأشتاني وكان كذاباً يضع الحديث).

ومنها : أول من يعطى كتابه بيمينه يوم القيامة عمر بن الخطاب، وهو من عمل عمر الكردي[3].

ومنها : لما عرج بي إلى السماء دخلت جنة عدن فأعطيت تفاحة فلما وضعتها في يدي انفلقت عن حوراء عيناء مرضية، كأن أشفار عينيها مقاديم أجنحة السنور فقلت لمن أنت ؟ قالت : للخليفة المقتول ظلما عثمان بن عفان[4].

ومنها : لما استقر أهل الجنة في الجنة، قالت الجنة يارب أليس وعدتني أن تزينني بركنين من أركانك ؟ قال : ألم أزينك بالحسن والحسين، فماست الجنة كما تميس العروس[5].

وعن الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي : حدثنا عبد الله بن حفص الوكيل، حدثنا شريح بن يونس، حدثنا هشيم بن بشير عن سيار عن ثابت البناني عن أنس بن مالك، قال : قال رسول الله ﷺ : لا أفتقد أحدا من أصحابي غير معاوية بن أبي سفيان لا أراه ثمانين عاما أو سبعين عاما، فإذا كان ثمانين أو سبعين عاما يقبل إليّ

(1) المصدر السابق، ص 209، الحديث رقم 295.

(2) المصدر السابق، ص 53، الحديث رقم 580.

(3) المصدر السابق، ص 63، الحديث رقم 593.

(4) المصدر السابق، ص 79، الحديث رقم 615.

(5) المصدر السابق، ص 201، الحديث رقم 755.

على ناقة من المسك الأذفر حشوها من رحمة الله، قوائمها من الزبرجد، فأقول : أين كنت من ثمانين عاما ؟ فيقول : كنت في روضة تحت عرش ربي، يناجيني وأناجيه، ويجيبني وأجيبه، ويقول هذا عوض ما كنت تشتم في دار الدنيا. ويقول ابن عدي إنه باطل وضعه الوكيل[1].

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سكن بنوك السواد ولبسوا السواد لم يزل الأمر فيهم حتى يدفعوه لعيسى عليه السلام. وفي سند هذا الحديث أحمد بن إبراهيم الأنصاري، ويقول ابن الجوزي أنه ليس بشيء وفسر أبو يعقوب بن سليمان الهاشمي وهو مجهول[2].

وروى الدارقطني عن أبي حاتم البستي عن محمد بن المسيب عن إسماعيل بن مالك عن الحجاج بن خالد عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربعة أبواب من أبواب الجنة مفتحة في الدنيا، أولهن الإسكندرية وعسقلان وقزوين، وجدة وفضل جدة على هؤلاء كفضل البيت الحرام على سائر البيوت. ويقول ابن حبان إن عبد الملك ممن كان يضع الحديث[3].

وعن عبد الله بن وهب السنوي عن يحيى بن أيوب عن حميد عن أنس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكرموا البقر فإنها سيدة البهائم ما رفعت رأسها إلى السماء حياء منذ عُبِد العجل[4].

وعن أبي زكير يحيى بن محمد بن قيس بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلوا البلح بالتمر فإن الشيطان إذا رآه غضب. وقال : عاش آدم حتى أكل الجديد بالخلق. تفرد به أبو زكير وهو يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل دون تعمد، وقد أخرج له مسلم بن الحجاج. وقيل إن الخطأ من محمد بن شداد الذي روى عن يحيى[5].

---

(1) المصدر السابق، ص 263، الحديث رقم 822.

(2) المصدر السابق، ص 282، الحديث رقم 848.

(3) المصدر السابق، ص 310، الحديث رقم 876.

(4) المصدر السابق، ج 3، ص 132، الحديث رقم 1346.

(5) المصدر السابق، ص 174، الحديث رقم 1394.

ومنها : من أهديت له هدية ومعه قوم جلوس فهم شركاؤه فيها ، وفي سنده أحمد بن يحيى الحلواني عن مندل بن علي عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس. وأحمد بن يحيى الحلواني قال عنه ابن حنبل إنه يكذب جهاراً[1].

وعن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله، قال : قال رسول الله ﷺ أهل الجنة جرد مرد كلهم إلا موسى بن عمران، فإن له لحية إلى سرته[2].

5. الإمام السيوطي (849-911)

أ) حياته العلمية :

نشأ عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي يتيماً تركه والده تحت وصاية جماعة منهم : كمال الدين بن الهمام الحنفي، مؤلف "فتح القدير" الذي أولاه عناية خاصة عندما لاحظ عليه علامات النبوغ. وتوجه للدراسة في وقت مبكر من حياته، فختم القرءان الكريم وهو لم يجاوز الثامنة من عمره، ثم حفظ "عمدة الأحكام" ومنهاجى النووى، والبيضاوى، وألفية ابن مالك. وأجاز له علم الدين البلقينى، وشرف الدين المناوى في محفوظاتهما. وبعد ذالك قرأ صحيح مسلم على شمس الدين السيرائي، وانطلق في دراسته فكان "حاطب ليل وجارف سيل"، وهذه عبارة تنطبق حقاً على نشأته الدراسية، وقد اختارها عنواناً لمعجم شيوخه. ويذكر تلميذه الشعرانى أنهم بلغوا ستمائة شيخ، ولإبن العماد في "شذرات الذهب" أنهم مائة وخمسون؛ إلا أن السيوطي انتقى في معجم صغير له اقتصر فيه على خمسين شيخاً ممن قرأ عليهم، ومن أشهر هؤلاء :

- سراج الدين البلقيني، الذي لازمه إلي أن مات.
- شرف الدين المناوي، الذي قرأ عليه تفسير البيضاوي.
- تقي الدين الحنفي الشمني، الذي أخذ عنه العربية والحديث.
- جلال الدين المحلي الذي شاركه في مختصر التفسير.

ويذكر الشعرانى منهم أربع طبقات من شيوخه :

الأولى : من يروى عن أصحاب الفخر ابن البخاري، والشرف الدمياطى، والحجار.

---

(1) المصدر السابق، ص 295، الحديث رقم 1527.

(2) المصدر السابق، ص 586، الحديث رقم 1815.

والثانية : من يروى عن السراج البلقينى، والزين العراقى.

والثالثة : من يروى عن الشرف ابن الكويك.

والرابعة : من يروى عن أبى زرعة العراقى، وابن الجزري ونحوهم.

ومن أعلى رواياته ما ذكره في ترجمة ابن طريق الشاورى، الذي قال إنه آخر من روى عن التنوخى. وقال إن الذهبى روى عن التنوخى، وبين وفاة الذهبى وابن طريق مائة وستة وثلاثون سنة.

وذكر الشيخ محمد عبد الحي الكتانى إن السيوطى قرأ على مجموعة من عالمات الحديث منهن :

1. خديجة بنت عبد الرحمن بن على العقيلى.
2. آسية بنت جار الله الطبرى.
3. صفية بنت ياقوت المكية.
4. رقية بنت عبد القوى الجائي.
5. أم حبيبة بنت أحمد بن محمد بن موسى السويكى.
6. كمالية بنت محمد بن احمد بن ناصر المكي.
7. أم الفضل هاجر بنت الشرف المقدسى.
8. خديجة بنت على بن الملقن.
9. صالحة بنت على بن الملقن.
10. سارة بنت محمد البالسى.
11. أم هانئ بنت أبى الحسن الهورينى.
12. كمالية بنت محمد بن محمد المرجانى.

ب) مكانته العلمية :

من العبارات السائرة عند العلماء قولهم عمن برع في مختلف العلوم، وصنّف فيها : "إنه سيوطي زمانه"، ويدل هذا التشبيه على ما لهم من إعجاب بموسوعية هذا العالم الذي فاقت مصنفاته ست مائة كتاب، تناولت مجمل المعارف المعهودة في عصره، واعترافهم بقيمة هذه المؤلفات من حيث الشمولية والتحرير. وكثير من تملكه العجب من استطاعة انجاز هذا القدر من الكتب في مدة لا تجاوز نحوا من أربعين سنة، مما أثار حسد منافسيه في دهره فأطلقوا عليه تهماً قد تبين زيفها عند التحقيق.

وإذا كان قرينه السخاوي الذي كان له معه أكثر من حساب، زعم أنه عمد إلى كتب منسية من مكتبات غير معروفة وجعل يتصرف فيها بالتقديم والتأخير وينسبها لنفسه فإن شهادة الإمام الشوكاني وغيره من العلماء الفاحصين شافية للرد عليه. إذ يقول الشوكاني إن دعوى السخاوي أن السيوطي كان كثير التصحيف والتحريف عاطلة عن البرهان، لأن مؤلفاته محررة أحسن تحرير ومبلغ أبلغ إتقان.

والمصنفات التي خلفها لا تدع مجالا للشك في تصديق ما أدعاه السيوطي حين يقول : «إنه رزق التبحر في سبعة علوم هي : التفسير والحديث والفقه والنحو والبيان والبديع». وقال : «أعتقد أن الذي وصلت إليه في هذه العلوم الستة ـ سوي الفقه ـ لم يصل إليه أحد من أشياخي فضلاً عمن دونهم».

ج) صيته خارج مصر :

لقد امتد صيت الإمام السيوطي خارج مصر فسارت بها الركبان وتناقله العلماء في إفريقيا، وفي الحجاز الذي ظل دوما ملتقى أصحاب الرحلة من أئمة المسلمين؛ وتركزت آثاره في هذه الأقطار.

ففي المغرب، وفي بلاد التكرور كانت فريدته في النحو من المقررات المدرسية، ونالت ألفيته في الحديث تقبلاً وانتشاراً.

والملاحظ أن المحدثين من علماء الهند قد عُنوا بصفة خاصة بأعمال السيوطي الحديثية، وهذا ما نبّه عليه العلامة الباحث الدكتور محمد أحمد الطحان.

فذكر من المحدثين الشيخ محمد بن طاهر الفتنى (تـ 986هـ)، صاحب كتاب "تذكرة الموضوعات"، والشيخ عبد المالك الكجراتي، والشيخ وجيه الدين الكجراتى، والشيخ حميد الدين بن القاضي عبد الله السندي (تـ 1009هـ)، الذي قيل إنه كان تلميذا للشيخ محمد العلقمى، صاحب الإمام السيوطي.

ومن المعروف أن نهضة علم الحديث في الهند انطلقت بفضل جهود المحدث الكبير الشيخ عبد الحق الدهلوى، مؤلف كتاب "لمعان التنقيح في شرح مشكاة المصابيح".

ثم امتد هذا التأثر مع شيخ المحدثين في الهند الشيخ شاه ولى الله الدهلوى (تـ 1176هـ) الذي أفاد كثيراً من مؤلفات السيوطى من كتاب "المسلسلات الصغرى"[1].

---

(1) انظر ترجمة مفصلة للإمام جلال الدين السيوطي في فهرست الفهارس للكتاني، ج 2، ص 1010، منشورات دار الغرب الإسلامي، والأعلام للزركلي، ج 3، ص 301، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة 7، 1986.

د) مؤلفاته في علوم الحديث :

وقد قدم الدكتور محمد أحمد الطحان عرضاً موجزاً ومفيداً عنها، نلخصه فيما يلي : لقد كان لعلوم الحديث الحظ الأوفر والأوفى من تآليفه الكثيرة، فبعض المصادر تقول إنها زادت على مائتين بين كبير وصغير، ومن أشهرها :

* **كتاب "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" :**

فقد حوى هذا الكتاب العجيب الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة على الصحابة والتابعين، المتعلقة بتفسير آيات كتاب الله العظيم. أخذها السيوطى من كتب التفسير بالمأثور، كتفسير الطبرى، وتفسير عبد بن حميد، وتفسير وكيع، وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير ابن مردويه، وغيرها. وكتب الحديث كالبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وأبي داود، وابن ماجه، وموطإ مالك، ومسند أحمد، وغيرها من مصادر أخرى كثيرة جدا. وكثير من هذه المصادر قد فقد الآن.

هذا الكتاب وإن كان المتبادر من اسمه أنه كتاب تفسير إلا أن حقيقته أنه كتاب حديث، ولكن أحاديثه كلها تتعلق بالتفسير فقط.

وكثيراً ما يحكم على الأحاديث بالصحة أو الضعف، وإن كان الغالب عليه أنه لا يبين مراتب الأحاديث.

وهذا الكتاب اختصره السيوطى من كتابه المسمى "ترجمان القرآن"، الذي ذكر فيه الأحاديث بأسانيدها، ولكن لمّا رأى قصور الهمم عن تحصيله، ورغبة الناس في الاقتصار على متون الأحاديث، قام فلخص منه هذا الكتاب، فحذف أسانيد الأحاديث، وأبقى المتون، فاشتهر هذا المختصر، وتداوله العلماء وقد طبع أخيراً في ستة مجدات ونسي الأصل.

يقول السيوطي في مقدمة الكتاب : «وبعد، فلما أَلّفتُ كتاب ترجمان القرآن، وهو التفسير المسند عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وتم بحمد الله في مجلدات، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات، رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله، فلخصت منه هذا المختصر مقتصراً فيه على متن الأثر، مصدراً بالعزو والتخريج إلى كل كتاب معتبر، وسميته بـ "الدر المنثور في التفسير المأثور". والله أسأل أن يضاعف لمؤلفه الأجور، ويعصمه من الخطأ والزور، بمنه وكرمه، إنه البر الغفور[1].

---

(1) الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي، خطبة الكتاب، ص 17، ج 1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1990.

وبالجملة فهذا الكتاب نفيس جداً يدل على سعة إطلاع السيوطي على صبره العجيب في تآليف مثل هذه الكتب الكبيرة التي هي كالبحر الذي لا ساحل له.

* "**در السحابة في من دخل مصر من الصحابة**" :

هذا الكتاب ترجم فيه السيوطي لثلاثمائة من الصحابة رضي الله عنهم الذين دخلوا مصر. وفي هذا الكتاب يظهر السيوطي رحمه الله كثرة الصحابة الذين دخلوا مصر، وأقاموا وماتوا فيها ويقول حاجي خليفة في كشف الظنون إن أصل هذا الكتاب ملخص من كتاب لمحمد بن ربيع الجيزى، ولكن السيوطى زاد عليه تراجم لبعض الصحابة ولم يذكره في ذلك الكتاب وقد فرغ منه في محرم سنة 888هـ[1].

* **كتاب** "**طبقات الحفاظ**" :

هذا الكتاب لخص فيه السيوطى، رحمه الله تعالى كتاب "تذكرة الحفاظ" للذهبى، وذيل عليه بتراجم الحفاظ من الحافظ الذهبى إلى الحافظ بن حجر العسقلانى.

وهذا وقد طبع كتاب "طبقات الحفاظ" في مجلدين، وطبع ذيله على "تذكرة الحفاظ" مع ذيل الحسيني، وذيل ابن فهد المكي عليها في مجلد مستقل.

وقال السيوطي في مقدمة الذيل ما يلي : «وبعد فإني لخصت "طبقات الحفاظ" تصنيف الإمام الحافظ الكبير أبى عبد الله محمد الذهبي رحمه الله تعالى، وذيلت عليه من بعده، وابتدأت بترجمته، فقلت ما نصه : الطبقة الثانية والعشرون، عدتها خمسة عشر، ثم قال الذهبى : الإمام الحافظ محدث العصر، وخاتمة الحفاظ، ومؤرخ الإسلام، وفرد الدهر، والقائم بأعباء هذه الصناعة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد»[2].

* **ألفية الأثر** :

وهي منظومة من ألف بيت من الشعر، نظم فيها السيوطي المعلومات المذكورة في كتاب "علوم الحديث" لابن الصلاح، وزاد زيادات مفيدة، وقد حذا في ألفيته هذه

---

(1) ذكره الزركلي في الأعلام، وذكر أنه مخطوط دون ذكر مكانه، ج 3، ص 302.

(2) ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، لجلال الدين السيوطي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، بجانب تذكرة الحفاظ للذهبي.

أرجوزة العراقي، وزاد عليها فوائد جمة، ذكر أنه نظمها في خمسة أيام كما صرح به في آخرها فقال :

نظمتها في خمسة الأيام بقدرة المهيمن العلام

وهذا يدل على حدة ذكائه ونشاطه وعلو همته في التأليف[1].

* **كتاب "البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر" :**

هذا الكتاب شرح فيه السيوطي ألفيته في علم المصطلح، لكنه لم يتيسر له إتمامه، حسبما ذكر إسماعيل باشا البغدادى في كتابه "هداية العارفين"، وسماه "البحر الذي زخر في شرح نظم الدرر"[2].

* **كتاب "قطر الدرر في شرح ألفية العراقى في علم الأثر" :**

هذا الكتاب شرح فيه السيوطي ألفية العراقى في مصطلح الحديث، وقد ذكر هذا الكتاب عدد من المؤلفين، منهم حاجي خليفة في "كشف الظنون"[3]، والكتاني في "الرسالة المستطرفة"[4].

* **كتاب "تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي" :**

هذا الكتاب يعتبر مصدراً من مصادر علم مصطلح الحديث، بل يعتبر في هذا العصر أشهر مصادر هذا العلم، وأكثرها انتشاراً بين طلبة العلم. وقد حوى كثيراً من الفوائد المهمة في ثنايا صفحاته، وانتخبها من مصادر متعددة، وهو سهل العبارة، عظيم الفائدة، مستوعب لجميع بحوث علوم المصطلح.

وقد حققه الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف تحقيقاً علمياً ممتازاً، وقال في مقدمة التحقيق : «السيوطي جمع في كتاب التدريب ملخصات كثيرة من المؤلفات في علم المصطلح منها : شرح العراقى على ألفيته، ومقدمة ابن الصلاح، وحاشية الزركشى، ونكت العراقى وابن حجر عليها. ومحاسن الاصطلاح للبلقينى، ومؤلفات ابن حجر، والمؤتلف والمختلف لابن سعيد الأزدى، ولابن ماكولا، وذيوله، والمشتبه للذهبي. وكتب

---

(1) ألفية السيوطي في علم الحديث، طبع بشرح الشيخ محمد أحمد شاكر، منشورات المكتبة العلمية.

(2) هدية العارفين، إسماعيل باشل البغدادي، ج 1، ص 534، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(3) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، ج 2، ص 1351، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت. وانظر ذكر نظم الدرر للسيوطي في نفس الكتاب، ج 2، ص 1963.

(4) الرسالة المستطرفة للكتاني، ص 214.

الخطيب المفردة في أنواع علوم الحديث وغيرهما. وقد لا ينسب القول لقائله، وقد ينسبه ويتصرف في العبارة. وامتاز كتابه بالانفراد في بسط بعض الموضوعات والإسهاب فيها خصوصاً عن رجال الحديث وتخريج بعضها، وببحوث حديثية لم تذكر في غير كتابه، رغم ما فيه من قصور في بعض الموضوعات والمسائل مما أكملته من كتب غيره في تعليقاتي في هذه الطبعة. وهو كتاب جامع، نافع، محرر، ملخص لمسائل العلم وللمؤلفات فيه، نفع الله به وعطر قبر مؤلفه»[1].

* **كتاب "الجامع الصغير من حديث البشير النذير" :**

هذا الكتاب حوى عشرة آلاف حديث تقريباً، انتقاها السيوطي رحمه الله تعالى من "جمع الجوامع"، وتتميز هذه الأحاديث بثلاث مميزات :

الأولى : أنها كلها أحاديث قولية.

الثانية : أنها أحاديث قصيرة المتن.

الثالثة : أنها بعيدة عن الأحكام الفقهية التفصيلية.

ورتب السيوطي هذه الأحاديث على حروف المعجم، مراعياً أول الحديث فما بعده. وطريقته في إيراد الحديث أنه يذكر في آخره رمز من خرجه من أصحاب المصنفات، مع ذكر اسم الصحابي الذي رواه، ويذكر صاحب ذلك المصنف من طريقه، ثم يشير بالرموز إلى رتبة الحديث ودرجته من الصحة وغيرها.

قال السيوطي رحمه الله تعالى : «هذا الكتاب أودعت فيه من الكلم النبوي ألوفاً، ومن الحكم النبوية صنوفاً، واقتصرت فيه على الأحاديث الوجيزة... إلى أن قال : ورتبته على حروف المعجم، مراعياً أول الحديث فما بعده تسهيلاً على الطلاب. وسميته "الجامع الصغير من حديث البشير النذير" لأنه مقتضب من الكتاب الكبير الذي سميته "جمع الجوامع"، وقصدت فيه جمع الأحاديث النبوية بأسرها»[2].

وهذا الكتاب له شهرة كبيرة بين العلماء وطلبة العلم، لكثرة فائدته، ولسهولة استخراج الأحاديث منه، ولذلك اعتنى به كثير من العلماء بالشرح والتعليق، وأجود من

(1) منشورات دار الكتب الحديثة بالقاهرة، تحقيق ومراجعة وتعليقات للشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف، استاذ الحديث بكلية اصول الدين بجامعة الازهر، الطبعة الثانية، 1966م. وقد حقق الكتاب وعلق عليه أحمد عمر هاشم، وطبع بدار الكتاب العربي، بيروت في جزءين، وقدم له بترجمة ضافية للسيوطي وبين قيمة الكتاب في علم المصطلح.

(2) مقدمة الجامع الصغير للسيوطي، ص 3، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

أثنى عليه الشيخ عبد الرؤوف المناوى، إذ شرحه شرحاً وافياً في ستة مجلدات، وتتبعه في تساهلاته في الحكم على بعض الأحاديث[1].

* **كتاب "الزيادة على الجامع الصغير" :**

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من الأحاديث التي انتقاها السيوطي من "الجامع الكبير"، زيادة على أحاديث "الجامع الصغير".

ويقول السيوطي في المقدمة : «هذا ذيل على كتابي المسمى بـ "الجامع الصغير من حديث البشير النذير"، وسميته "زيادة الجامع"، رموزه كرموزه، والترتيب كالترتيب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وأحاديث الكتاب مرتبة ـ كأحاديث الجامع ـ على حرف المعجم بالنسبة لأول كلمة في الحديث فما يليه، وهو يماثل "الجامع الصغير" في كل شيء إلا أنه أصغر منه. ولذالك قام الشيخ يوسف النبهانى بضم هذا الكتاب إلى "الجامع الصغير"، وجعلهما كتاباً واحداً على الترتيب نفسه، وسمي الكتاب المؤلف منهما : "الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير"، وذكر الشيخ النبهاني ان عدد أحاديث هذا الكتاب اربعة آلاف وأربعمائة وأربعين حديثاً، وبذالك يبلغ من الجامع الصغير أربعة عشر ألفاً وأربعمائة وخمسين حديثاً[2].

* **كتاب "الجامع الكبير" :**

وهذا الكتاب سفر كبير ضخم، حاول السيوطي رحمه الله أن يجمع فيه السنة النبوية كلها، فجمع فيه أكبر مجموعة أحاديث، ولكن عاجلته المنية قبل أن يتمه. وهي أول محاولة لعمل موسوعة حديثية بجهد فردى، ولو لم يؤلف السيوطي غير هذا الكتاب لكفاه فخرا بتأليفه لأنه لو توفر على تأليفه عالم متخصص من علماء هذا العصر، من أول عمره إلى آخره لما استطاع أن يأتي بمثله، وليس فيما أقول مبالغة فقد ظهرت في الحقبة الأخيرة عدة مؤسسات رسمية وأهلية، كلها تحاول إيجاد موسوعة حديثية، وقد مضي على بعضها ما يزيد على عشر سنين ولم تكمل هذه المؤسسات عملها حتى الآن. ومن هذه المؤسسات : مركز خدمة السنة والسيرة في قطر. ومركز خدمة السيرة والسنة في المدينة المنورة. ومركز معلومات السنة النبوية في القاهرة، ومؤسسة صخر في الكويت.

---

(1) فيض القدير في شرح الجامع الصغير للسيوطي، وطبع بالمكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، كما طبع بدار المعرفة ببيروت.

(2) الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، خرجهما ورتبهما يوسف بن إسماعيل النبهاني، منشورات دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.

قال السيوطي في مقدمة هذا الكتاب : «هذا الكتاب شريف حافل، ولباب منيف رافل، وبجمع الأحاديث الشريفة النبوية كاملة، قصدت فيه إلى استيعاب الأحاديث النبوية.

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى قسمين : قسم الأقوال، وقسم الأفعال. فرتب قسم الأقوال على ترتيب حروف المعجم بالنسبة لأول الحديث ذاكراً من أخرجه من أصحاب المصنفات الحديثية بالرموز، ومشيراً إلى رتبة الحديث من صحة أو حسن أو ضعف بالرموز أيضاً. ورتب قسم الأفعال على مسانيد الصحابة، مرتباً أسماء الصحابة على حروف المعجم، إلا أنه بدأ بمسانيد العشرة المبشرين بالجنة.

قال السيوطي في مقدمة الكتاب : «وقسمته : الأول أسوق فيه لفظ المصطفى بنصه وأطوق كل خاتم بفصه، وأتبع متن الحديث بذكر من خرَّجه من الأئمة، أصحاب الكتب المعتبرة، ومن رواه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، من واحد إلى عشرة أو أكثر من عشرة. وسالك طريقه يعرف منها صحة الحديث وحسنه وضعفه، مرتبا ترتيب اللغة على حروف المعجم مراعيا أول الكلمة فما يليه. والثاني : الأحاديث الفعلية المحضة أو المشتملة على قول وفعل، أو سبب أو مواجهة، أو نحو ذالك مرتباً مسانيد الصحابة على ما يأتى في أول القسم الثاني، وقد سميته "جمع الجوامع"، والله سبحانه أسأل المعونة على جمعه، والمن بقبوله ونفعه فهو البر الرحيم والجواد الكريم.

قال حاجي خليفة في "كشف الظنون" : "جمع الجوامع" في الحديث لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي الشافعي المتوفى سنة 911هـ، وهو كبير، أوله : سبحان مبدئ الكواكب اللوامع... الخ، ذكر فيه أنه قصد استيعاب الأحاديث النبوية»[1].

وقال الكتانى في "الرسالة المستطرفة" : «والكبير، وهو المسمى بـ "جمع الجوامع"، قصد فيه جمع الأحاديث النبوية بأسرها[2].

ومع ذلك فقد قاربت عدة أحاديثه خمسين ألفا، وعدتها بالتحديد 46624 حديثا، كما في النسخة المطبوعة من كتاب "كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال" للشيخ علاء الدين علي بن حسان الشهير بالمتقي الهندي المتوفى سنة 975، إذ رتب "الجامع الكبير" على الأبواب الفقهية، وطبع في ستة عشر مجلدا[3].

---

(1) كشف الظنون لحاجي خليفة، ج 1، ص 597.

(2) الرسالة المستطرفة للكتاني، ص 182، منشورات دار البشائر الإسلامية، ط 4، 1986.

(3) منشورات مؤسسة الرسالة.

6. محمد بن سليمان السوسي الروداني المغربي المالكي (ت 1094)

حياته العلمية : يقول عنه الشيخ الكتاني :

«هو محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي ـ وهو اسم له لا نسبة إلى فاس ـ طاهر السوسي الروداني المغربي المالكي، نزيل الحرمين، الإمام الجليل المحدث المفنن، فرد الدنيا في العلوم كلها، الجامع بين منطوقها ومفهومها، والمالك لمجهولها ومعلومها. ولد في سنة سبع وثلاثين وألف بتاردانت قرية بسوس الأقصى».

«وقرأ بالمغرب على كبار المشايخ من أجلهم قاضي القضاة، مفتي مراكش، ومحققها أبو مهدي عيسى السكتاني، والعلامة محمد بن سعيد المريغني المراكشي، ومحمد بن أبي بكر الدلائي، وشيخ الإسلام سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة، مفتي الجزائر، ولازم العلامة أبا عبد الله محمد بن ناصر الدرعي أربعة أعوام فقرأ عليه التفسير والحديث والفقه».

«ثم رحل إلى المشرق ودخل مصر، وأخذ عن أعيان العلماء كالنور الأجهوري، والشهابين الخفاجي، والقليوبي، والمسند المعمر محمد بن أحمد الشوبري، والشيخ سلطان وغيرهم وأجازوه. ثم رحل إلى الحرمين وجاور بمكة والمدينة سنين عديدة، وهو مكب على التصنيف والإقراء. ثم توجه إلى الروم في سنة إحدى وثمانين وألف، ومر بطريقه على الرملة وأخذ بها عن شيخ الحنفية خير الدين الرملي، وبدمشق عن نقيب الشام وعالمها السيد محمد بن حمزة، والمسند المعمر محمد بن بدر الدين بن بلبان الحنبلي، واشتغل مدة إقامته في دمشق بتأليف كتاب "الجمع بين الكتب الخمسة والموطأ" على طريقة ابن الأثير في "جامع الأصول" إلا أنه استوعب الروايات من الكتب الستة. وله من التآليف الشاهدة بتبحره ودقة نظره "مختصر التحرير في أصول الحنفية لابن الهمام" وشرحه، و"مختصر تلخيص المفتاح" وشرحه، و"المختصر" الذي ألفه في الهيئة، و"الحاشية على التسهيل"، و"الحاشية على التوضيح".

وله منظومة في علم الميقات وشرحها، وله جدول جمع فيه مسائل العروض كلها، واخترع كرة عظيمة فاقت على الكرة القديمة والإسطرلاب.

وله فهرست بجمع مروياته وأشياخه سماها "صلة الخلف بموصول السلف"، ذكر فيها أنه وقع له بالمغرب غرائب منها أنه كان مجتازاً على بلد العارف بالله تعالى أبي عبد الله محمد بن محمد الواورغتي الناولي، وهو قاصد بلد آخر فسأل عن البلد فقيل له : إن فيه شيخاً مربياً صفته كذا وكذا، قال : فجذبني الشوق إليه ولم أملك نفسي حتى

دخلت عليه ولقيته وأمرني بملازمته ومذاكرة أولاده بالعلم، فقلت له : إني طلبت كثيراً لكن إلى الآن ما فتح الله تعالى عليّ بشيء، ولا أقدر على استخراج كتاب، ولا الأجرومية، كنت إذ ذاك كذلك فقال لي : اجلس عندنا وادرس أي كتاب شئت في أي علم شئت ونطلب من الله تعالى أن يفتح لك فجلست ودرست طائفة من الكتب التي قرأتها، وكنت إذا توقفت في شيء أحس بمعان تلقى على قلبي كأنها أجرام، وغالب تلك المعاني هي التي كانت مشايخنا تقررها لنا ولا نفهمها ولا أتذكرها قبل ذلك.

وأما علوم الأدب فإليه النهاية فيها، وكان صاحب الترجمة في الحكمة والمنطق والطبيعي والإلهى الأستاذ الذي لا تنال مرتبته بالاكتساب، وكان يتقن فنون الرياضة، مثل كتاب أقليدس وعلم الهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطى، ويعرف أنواع الحساب والمقابلة والأرتماطيقي، وطريق الخطاءين، والموسيقى، والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره إلا في ظواهر هذه العلوم دون دقائقها والوقوف على حقائقها.

وكان يبحث في العربية والتصريف بحثاً تاماً مستوفياً. وكان له في التفسير، وأسماء الرجال وما يتعلق به يد طائلة، وكان يحفظ في التواريخ وأيام العرب ووقائعهم، والأشعار، والمحاضرات شيئاً كثيراً. وكان في العلوم الغريبة كالرمل والأوقات والحروف والسيميا والكيميا حاذقاً أتم الحذق، وبالجملة فقد كان كما قال الشاعر في المعنى :

وكان من العلوم بحيث يقضي   له في كل علم بالجميع

وقد أخذ عنه بمكة والمدينة والروم خلق، ومدحه جماعة وأثنوا عليه، وكانت وفاته بدمشق يوم الأحد عاشر ذي القعدة سنة أربع وتسعين وألف، ودفن بالتربة المعروفة بالإيجية بسفح قاسيون، بوصية منه. انتهى بحذف.

وكتابه "صلة الخلف بوصول السلف"[1] نادرة في بابها جودة واختياراً وترتيباً، ليس في فهارس أهل ذلك القرن ـ الحادي عشر ـ بالمشرق والمغرب ما يشابهها أو يقاربها عدا "كنز" أبي مهدى الثعالبي فإنه أجمع وأوسع. وبالجملة فنفسه فيها نفس المتقدمين، قال عنه الشمس ابن عابدين في "عقود اللآلي": إنه سلك فيها سبيل الإطناب وأتى فيها بالعجب العجاب، ومعتمده فيها غالباً أسانيد الشمس ابن طولون محمد الشام، ابتدأها بأسانيده العمومية إلى كبار المسندين كابن حجر، ثم بحديث الأولية، ثم

(1) صلة الخلف بموصول السلف لمحمد بن سليمان الروداني، تحقيق محمد حجي، منشورات دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1988.

بأسانيد الكتب العشرة، ثم أسانيد المصنفات مرتبة على حروف المعجم ثم ختمها بأسانيده للفقه كتاب على المذاهب الأربعة وبقية العلوم»[1].

جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد[2]

ويقول في مقدمته : «يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبط به الأولون والآخرون، اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

«أما بعد : فهذا الكتاب "جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد" :

الأول : يعني جامع الأصول للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الموصلي رحمه الله جمع فيه ما في تجريد رزين بن معاوية من الأصول الستة بإبدال ابن ماجه بالموطأ، وما نقصه رزين منها، وعزى كل حديث إلى مخرجه سوى ما زاده أعني ما في تجريد رزين ولم يجده ابن الأثير في الأصول الستة فإنه بيض له مكانا حتى إذا عثر على مخرجه عزاه إليه فيه، ورتّبه على ترتيب بديع، لكن الغموض ودقة وضعه واتساع حجمه قل أن ينتفع به إلا ذو فكرة ذكية وحافظة واعية.

أما الثاني : وهو مجمع الزوائد فللحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي رحمه الله، جمع فيه ما في مسند الإمام أحمد، وأبي يعلى الموصلي، وأبي بكر البزار، ومعاجم الطبراني الثلاثة من الأحاديث الزائدة على ما في الأصول الستة بجعل ابن ماجه ههنا دون الموطأ، وعقّب كل حديث بالكلام على رواته تعديلاً وتجريحاً، فجاء حجمه في ست مجلدات يتناهز بـ "جامع الأصول"، فتجشمت هذا الجمع منهما لضيق وسعى عن الإحاطة بكل ما فيهما، فاقتضى الجمع أن أضيف إليهما سنن ابن ماجة»[3].

---

(1) فهرست الفهارس للكتاني، ج 1، ص 426.

(2) جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد لمحمد بن سليمان الروداني، تحقيق أبو علي سليمان بن دريع، منشورات دار ابن كثير ودار ابن حزم، ط 1، 1998.

(3) من مقدمة مؤلف جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد لمحمد بن سليمان الروداني، ج 1، ص 19 وما بعدها، تحقيق أبو علي سليمان بن دريع، منشورات دار ابن كثير ودار ابن حزم، ط 1، 1998.

الفصل الثاني

علم الرجال

تمهيد

لاشك أن علم الرواة من أهم علوم الحديث، إذ يتوقف عليه التحقيق في صحة أقوال النبي صلى اله عليه وسلم، وبما أن الأخبار المنسوبة إليه عليه الصلاة والسلام تعرضت لكثير من الوضع والاختلاق، فهذا ما حمل أئمة الحديث على وضع المقاييس لصدق الخبر باعتبار ثقة الراوي، وصحة نقله. وقد رأينا في الباب الرابع مجموعة المقاييس التي أسسها علماء السنة في هذا الموضوع.

وقد سبق أن بينّا في المقدمة أن أعمال هؤلاء الرواد لهذا العلم تناولت أولاً أحوال الرواة في أجزاء خاصة، مثل ما فعل ابن المديني وابن معين وأبو زرعة الرزاي، ثم تلتهم مصنفات التواريخ التي ألفها أئمة عصر التدوين مثل البخاري ومسلم وأبوعمرو الفلاس، وتوالت هذه الدراسات، فمنها من عني بتصحيح الأسماء والكنى والألقاب مثل أبي بشير الدولابي، والأمير ابن ماكولا. ومنهم من اهتم بحصر الثقات مثل ابن حبان واحمد بن صلاح العجلي وابن شاهين. ومن بين هؤلاء نذكر أيضا أبا نصر الكلاباذي وابن منجويه وابن القيسراني الذين اعتمدوا مقياس رواية الستة عنهم . وختمت أعمالهم في هذه المرحلة بكتاب ″الكمال″ لعبد الغني المقدسي.

ومنهم من عنى بالضعفاء والمتروكين مثل أبي زرعة والنسائي وأبي نعيم الأصبهاني. ومن أبرز ما كتب في هذا الموضوع كتاب ″الكامل″ لابن عدي.

وضبط أسماء الرواة قضية أقضت مضاجع المحدثين، فبذلوا جهوداً مضنية في سبيل تحرير أسماء الرجال، وتحقيق أنسابهم وتحديد تواريخ وفياتهم. ومما عنوا به بصفة خاصة هو بيان الفروق بين ما يرد بينهم من تشابه في الأسماء والألقاب والكنى.

وقد تناول هذا الموضوع عشرات المؤلفين نذكر منهم الإخباري محمد بن حبيب (تـ 245) وابن أبي طاهر المرزوي (تـ 280) والحافظ الدارقطني (تـ 285) وأبا الوليد بن

الفرضي الأندلسي (تـ 403)، والحافظ أبو محمد عبد الغني الأزدي المصري (تـ 409) وأبا سعيد الماليني الهروي (تـ 412). وهؤلاء كتبوا في المؤتلف والمختلف من أسماء الرواة.

وممن تناول هذا الموضوع كذلك الخطيب البغدادي (تـ 463) والأمير الحافظ أبو نصر علي بن هبة الله المشهور بابن ماكولا (تـ 475) مؤلف "الإكمال في دفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب". ويقول ابن خلكان : «إن كتابه في غاية الإفادة في رفع الالتباس والضبط والتقييد وعليه اعتماد المحدثين وأرباب هذا الشأن فإنه لم يوضع مثله». ومنهم أيضاً محدث الأندلس الحافظ أبو علي الجياني صاحب "تقييد المهمل وتمييز المشكل".

ومنهم أبو بكر محمد بن أبي بكر الحازمي (تـ 589) مؤلف كتاب "الفيصل في مشتبه النسبة"، و"المؤتلف والمختلف في أسماء البلدان، والحافظ معين الدين أبو بكر محمد بن عبد الغني المعروف بابن نقطة (تـ 629) مؤلف "تكملة الإكمال"، والحافظ المؤرخ ابن الأبار القضاعي (تـ 658) مؤلف "المعجم في أصحاب الصدفي"، و"هداية المعتسف في المؤتلف والمختلف".

وسنرى في هذا الفصل أعمال المقدسي والمزي والذهبي. ومن مؤلفات الذهبي في هذا الموضوع كتاب "المشتبه في أسماء الرجال وأنسابهم، وفيه استكمال واستدراك لمن سبقوه في هذا الفن. ثم ألف بعده شمس الدين ابن ناصر الدين القيسي الدمشقي (تـ 842) كتاب توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، وقد طبع مؤخراً بعناية وتحقيق محمد نعيم العرقسوسي، وهو كتاب حافل يعتبر مرجعاً شاملاً في موضوعه.

وسنتناول في الفصل ملخصا عن أعلام الموسوعيين من علماء رجال الحديث الذين رتبوا أعمال رواد علم الرجال وقاموا بتنقيح المؤلفات التي سبقتهم، ومن أشهرهم :

1 . الحافظ ابن عدي (272-365هـ)

حياته العلمية

هو أبو أحمد، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان، الجرجاني ولد سنة 272 وهي السنة التي مات فيها أبو حاتم الرازي.

نشأ بجرجان، وكان أول سماعه بها وهو ابن 13 سنة ـ فكتب الحديث عن أحمد بن حفص السعدي وغيره، وبعد 7 سنين بدأ في الرحلة، فرحل إلى الحرمين والشام ومصر والعراق وخراسان والجبال قال ياقوت : له رحلتان : أولهما في سنة 297، والثانية في سنة 305.

شيوخه وتلامذته وثناء العلماء عليه

وسمع من بهلول بن إسحاق التنوخي، ومحمد بن عثمان بن أبي سويد، ومحمد ابن يحيى المروزي، وأنيس بن السلم، وعبد الرحمن بن القاسم بن الرواس الدمشقيين، وأبي عبد الرحمن النسائي وعمران بن موسى بن مجاشع، والحسن بن محمد المديني، والحسن بن الفرج الغزي صاحب يحيى بن بكير، وجعفر بن محمد الفريابي، وأبي يعلى الموصلي، والحسن بن سفيان النسوي، وعبدان الأهوازي، وأبي بكر بن خزيمة، والبغوي، ومن خلق كثير زادوا على الألف.

أخذ عنه شيخه أبو العباس بن عقدة، وأبو سعد الماليني، والحسن بن رامين، ومحمد بن عبد الله بن عبد كويه، وحمزة بن يوسف السهمي، وأبو الحسين أحمد بن العالي، والحاكم أبو عبد الله الحافظ وآخرون.

قال الذهبي : «هو الإمام الحافظ الناقد الجوال .. وطال عمره وعلا إسناده، وجرح وعدل وصحح وعلل، وتقدم في هذه الصناعة على لحن فيه يظهر في تأليفه».

وقد دافع محقق مختصر المقريزي بالقول إن مجموعة من كبار الأئمة كانوا يلحنون أمثال القاسم بن محمد وإبراهيم النخعي وأبي حنيفة.

قال الخليلي : عديم النظير حفظاً وجلالة، سألت عبد الله بن محمد القاضي الحافظ فقلت : كان ابن عدي أحفظ أم ابن قانع ؟ فقال : زر قميص ابن عدي أحفظ من

عبد الباقي [ابن قانع]. وكان أحمد بن أبي مسلم الفارسي الحافظ يقول : لم أر مثل أبي أحمد بن عدي الجرجاني، فكيف فوقه في الحفظ ـ وكان قد لقي أبا القاسم الطبراني وأبا أحمد الكرابيسي والحفاظ ـ وقال لي : كان حفظ هؤلاء تكلفا، وكان أبو أحمد بن عدي حفظه طبعا. قال له ابن عقدة ـ شيخه ـ : ما أتى أحد مثلك من أهل المشرق ـ يعني ما أتى بلدنا.

مصنفاته وكتابه الكامل

لقد صنف ابن عدي في علوم الحديث عدة مؤلفات منها كتاب في علل الحديث ولكن جلها في علم الرجال فله كتاب أسماء الصحابة وأسامي من روى عنهم البخاري ومعجم في أسماء شيوخه قد يزيد على الألف كما جمع أحاديث مالك بن أنس، والأوزاعي، وسفيان الثوري، وشعبة، غير أن أشهر ما كتب هو كتاب الكامل في الضعفاء الذي خصصه لكل من تكلم فيه، وترجم فيه من الرواة وقد لخصه المقريزي.

يقول عنه السهمي : سألت أبا الحسن الدراقطني أن يصنف كتاباً في ضعفاء المحدثين، فقال لي : أليس عندك كتاب ابن عدي ؟ فقلت نعم، قال : فيه كفاية لا يزاد عليه. ويقول عنه ابن كثير : لم يسبق مثله، ولم يلحق في شكله. ويقول الذهبي إنه أكمل الكتب وأجلها. ويقول السبكي إن اسمه طابق معناه، ووافق لفظه فحواه، من عينه انتجع المنتجعون، وبشهادته حكم المحكمون، وإلى ما يقول رجع المتقدمون والمتأخرون[1].

لقد اتفق العلماء أن ابن عدي كان منصفاً في الجرح والتعديل، ومتحرياً في الحكم، مجتهداً في البحث عن أقوال الأئمة المتقدمين في التوثيق والتضعيف، فاعتمد آراء الإمام البخاري الذي اعتاد أن يفسر عباراته في التقويم. كما أكثر العزو إلى النسائي، وشعبة، وابن حنبل ولكن يمكن القول إنه كان يميل غالباً على رأي ابن معين، وهذا يتضح في وصفه للرواة بالجهالة : فكل من قال عنه ابن معين إنه مجهول، فإنه يقر ذلك حيث قال في ترجمة ثمامة بن كلثوم : إذا لم يعرفه بن معين فلا خير فيه، وعن خالد بن الحويرث، فقال : إذا كان مثل يحيى لا يعرفه لا يكون له شهرة ولا يعرفه أحد. وقال : إن سفيان بن عقبة لم يعرفه ابن معين ولم يكتب عنه، مثله في ذلك مثل عنبسة بن مهران الذي لم يعرفه ابن معين لأنه ليس بمعروف، كما يتمثل هذا الاتجاه في قبول بعض أهل الفرق، فرضي منهم من وثقه ابن معين، أمثال : شبابة بن سوار وهو متهم

---

(1) بتصرف من تقديم طبعة الكامل في الضعفاء لابن عدي، ج 1، الصفحات (ي ـ ك ـ ل ـ م ـ ن ـ ص)، ط 3، دار الفكر، 1988، تحقيق سهيل زكار. وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 16، ص 154 وما بعدها.

بالإرجاء، سئل عنه ابن معين فقال إنه ثقة. وعبد الله بن أبي لبيد مولى آل الاخنس وقد وثقه ابن معين، وهو قدري. وإسماعيل ابن أبي إسحق العبسي وقال إنه في جملة من يكتب حديثه وهو ممن روى عنه شتم الخليفة عثمان ابن عفان وقد اختلف قول ابن معين فيه فمرة قال إنه ضعيف ومرة قال إنه ثقة. ومال إلى توثيق حريز بن عثمان الحمصي الذي كان ينال من الإمام علي بن أبي طالب وقد يبدو تأثره بابن معين وابن حنبل في هذا التوثيق.

وقد لخص الذهبي منهج ابن عدي في كامله بقوله في كتاب "النبلاء"[1] :

«إنه يذكر في الكامل كل من تكلم فيه بأدنى شيء ولو كان من رجال الصحيحين، لكن ينتصر له إذا أمكن، ويروي في الترجمة حديثا أو أحاديث مما استنكر للرجل، وهو منصف في الرجل بحسب اجتهاده».

يزاد على ذلك أنه لم يذكر أحدا من الصحابة إلا نادراً ـ ممن اختلف في صحبتهم أو وهماً منه ـ وذلك لعدالتهم جميعاً كما صرح هو بذلك، ويلاحظ أيضاً أنه لم يذكر أحداً من النساء سوى بهية مولاة القاسم التي كانت تروي عن عائشة أم المؤمنين.

اعتراضات على كتاب الكامل

لا ريب أن كل كتابٍ من عمل الإنسان يشوبه نقص أو خطأ ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾[2]، على أنه ليس كل اعتراض أو انتقاد يكون صحيحاً ومقبولاً، كما أن هناك انتقادات لأخطاء عامة بحيث تصاغ منها قواعد، وهناك أخطاء أو أوهام عابرة لا تصاغ منها مثل هذه القواعد، وهنا نذكر أمثلة على ما تقدم :

أ) أمثلة من الاعتراضات :

ذكر ابن عدي إسماعيل بن مجمع، ونقل عن ابن معين قوله : «هو وأبوه ضعيفان»، ثم قال ابن عدي : «ليس هو وأبوه من المعروفين» فتعقبه الذهبي بقوله : «بلى هو إسماعيل بن إبراهيم بن مجمع، نسب إلى جده»، فأتى ابن حجر فتعقب الذهبي بقوله : «الصواب مع ابن عدي»، والعجب أن المصنف [الذهبي] أنكر في ما تقدم أن يكون إسماعيل بن إبراهيم بن مجمع له وجود، فقال في ترجمته : «لعله إبراهيم بن

---

(1) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 61، ص 154 وما بعدها، تحقيق شعيب الأرنؤط، ط 3، مؤسسة الرسالة، 1984.

(2) النساء، 82.

إسماعيل»، فكيف يجزم به هنا، وقد بينت فيما مضى أنه إسماعيل بن إبراهيم بن زيد بن مجمع، وأن ابن عدي نسبه إلى جده»[1].

ذكر ابن عدي ثابتاً البناني ووثقه، لكن الذهبي لم يقف في أول الأمر على سبب إيراد ابن عدي له في الكامل، فقال الذهبي : ما أذكر الآن ما تعلق به ابن عدي في إيراده هذا السيد في كامله. ثم تبين وجه إيراده له فقال : بلى ذكر قول يحيى القطان : عجب من أيوب، يدع ثابتاً لا يكتب عنه !

ومنها ذكره لأحاديث بواطيل أو منكرة في ترجمة رجل، وهو منها بريء، والحمل فيها على من بعده أو الراوي عنه، وإليك بعض الأمثلة على ذلك ما قال الذهبي : «إن من عيوب كامل ابن عدي يأتي في ترجمة الرجل بخبر باطل لا يكون حدث به قط، وإنما وضع من بعده».

وقال أيضاً في ترجمة غالب بن خطاف البصري بعد أن ذكر حديثاً معضلاً أورده ابن عدي في ترجمته، قال : فما أنصف ابن عدي في إحضاره هذا الحديث في ترجمة غالب، وغالب من رجال الصحيحين، وقد قال فيه أحمد ثقة ثقة.

قال ابن حجر في هدي الساري في ترجمة غالب القطان : وأما ابن عدي فذكره في الضعفاء، وأورد له أحاديث الحمل فيها على الراوي عنه عمر بن مختار البصري، وهو من عجيب ما وقع لابن عدي، والكمال لله ولعل سبب تضعيفه له أن ابن معين قال لا أعرفه[2].

وظن أن يحيى بن مسلم شيخ وكيع هو يحيى بن مسلم البكاء، فأورده ونقل تضعيف ابن معين له، وإنما ضعف ابن معين الأول شيخ وكيع. وقال عن بعض الرواة : «وهو ممن لا بأس به»، فتعقبه الذهبي بقوله : بل كل البأس به، وذلك في ترجمة عبد الله بن داود التمار ومحمد بن سهل الأنصاري. وذكر عمرو بن مالك النكري ونقل قول أبي يعلى بتضعيفه، والصواب أن هذا هو الراسبي لا النكري كما نبه عليه الذهبي في الميزان وابن حجر في التهذيب.

ونسب جارية بن هرم بـ "الهنائي"، قال الذهبي : الصواب "الفقيمي"، وإنما الهنائي تابعي كبير صدوق اسمه خيوان.

ولم يثبت صحبة عبد الله بن جراد في ترجمة الراوي عنه، والجمهور على إثباتها.

---

(1) لسان الميزان للذهبي، ج 1، ص 431، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 2، 1971.

(2) هدي الساري، تقدمة صحيح البخاري لابن حجر، ص 433، منشورات دار المعرفة، لبنان، ط 2، بدون تاريخ.

لكن من تتبع منهجه يجده من أفضل المناهج، وأنه لم يطلق أقواله جزافاً، فهو يسبر ويتبحر حديث الراوي ليكون حكمه حكم الخبير المطلع، فتراه يقول :

* وقد تبحرت حديث حرملة الكثير وفتشت به فلم أجد في حديثه ما يجب أن يضعف من أجله. وقوله عن أشعث بن عبد الرحمن الأيامي الذي قال عنه النسائي إنه ليس بثقة. فقد تبحرت في حديثه فلم أجد له حديثا منكرا.

- يقول عمّن قلت روايته مثل حنظلة الشيمي بن عبد الرحمن : «لم يتبين لي ضعفه لقلة حديثه». وكذلك حيان بن عبيد بن حيلة الدارمي وقد نسبه إلى الكذب فقال ابن عدي : «لم أر له من الحديث ما يحكم عليه بضعف أو صدق».

- ومن منهجه مقارنته بين راوي نسخة عن محدث وبين رواتها الثقات فيتبين الحكم عليه. وأحياناً يضعف الراوي في شيخ بعينه، وقد يقول عقبه : وباقي حديثه مستقيم مثل ما قال عن ابن حازم الذي كان يروي مناكير عن قتادة.

ويضع احتمال أن يكون الضعف ليس من قبل الراوي، بل من شيوخه الضعفاء أو المجهولين، إن كان لا يروي إلا عنهم مثل ما يقول عن خالد بن الحسين الضري الذي ذكر أن عامة حديثه عن الضعفاء أو قوم لا يعرفون فقد يكون البلاء من غيره لا منه.

وقد يتكلم ابن عدي في بعض الرواة المترجمين لكن في غير تراجمهم، وقد لا يكون حكمه عليهم موافقا لكلامه عليهم في تراجمهم الأصلية، وقد يكون مشابهاً له لكنه أخف من حيث شدة الضعف أو العكس، وقد يكون كلامه أصرح في التضعيف أو التوثيق، وقد يكون عكس حكمه وهو قليل جداً.

والأصل في هذا أن العلماء مثل المزي والذهبي وابن حجر لم يذكروه، فتظهر أهمية هذا العمل ، فلا يكفي لباحث أن يجد نقل العلماء لكلام ابن عدي، فقد يكون له أقوال أخرى مثل ما حصل في ترجمة شهر بن حوشب.

أمثلة من منهجه :

1. منها كلامه فيما يتعلق بالصحابة :

- يرى أن من يروي عن جماعة من الصحابة فهذا شاهد على أنه لا صحبة له، كما قال في ترجمة يعلى بن الأشدق : وما أظن أن لعمه صحبة، وأن عمه يروي

عن جماعة من الصحابة، وقد ذكرت روايته عن أبي ذر وعن أبي هريرة وهذا يدل على أن لا صحبة له.

2. وعلاقة الراوي ببلده :

قد يذكر ابن عدي في كلامه علاقة الراوي ببلد، ويكون لهذا الكلام أثره في مروياته من حيث القبول أو الرد، فمن ذلك : تنبيهه على أن كلام أهل بلد الراوي فيه أولى من غيرهم، مثل ما قال في ترجمة سعد بن سعيد الجرجاني.

وقد يقوي راوياً في أهل بلد ويضعفه في الباقي، مثل إسماعيل بن عياش الحمصي.

وأحياناً يذكر إجماع أهل بلدة على تضعيف أحد رواتها، مثل عبد الرحمن بن وهب ابن أخي عبد الله بن وهب وقال إن شيوخ أهل مصر مجمعون على ضعفه.

ويرى أن أهل البلد الواحد قد يتكلم بعضهم في بعض بالعصبية، كما قال في ترجمة محمد بن عثمان بن أبي شيبة : وقد تكلم فيه مطيّن ـ لأنهما كوفيان جميعاً ـ فقال فيه ما قال.

3. في الجهالة :

نص ابن عدي على جهالة بعض الرواة، لكنه لم يصرح بجهالة العين أو الحال، غير أن كلامه قد أظهر أن الجهالة ليست كلها سواء، وإليك بعض أقواله :

وإذا لم يعرف الرجل وكان مجهولاً كان حديثه مثله مجهولاً مثل خراش بن عبد الله مولى أنس بن مالك.

وإذا لم ينسب كان مجهولاً مثل حاجب الذي يروي عن ابن الشحناء.

وإذا روى عنه رجل واحد كان شبه المجهول مثل سعيد بن أبي راشد الذي لم يرو عنه سوى مروان الفزاري.

4. في مرويات الزهاد والصالحين الذين لم يتفرغوا للحديث :

ذكر ابن عدي عدة رواة من العُبّاد والزهّاد الذين لم يتفرغوا للحديث، فوقع في حديثهم الوهم والخطأ، غير أنه في تضعيف حديثهم استعمل معهم الأساليب الرقيقة التي لا تخدش ديانتهم مع بيان حقيقة مروياتهم، وهذا يدل على دقة وأمانة، مع أدب وديانة، وإليك الأمثلة من كلامه : وهو أن الصالحين يشبه عليهم الحديث مثل ما ذكر في ترجمة بكر بن خنيس الكوفي في كلامه عن حرب بن ميمون البصري. وأن في

حديثهم بعض ما فيه. ومثل ما قال عن ميمون بن سياه البصري إذ قال عنه سلام بن مسكين أنه سيد القراء وقال ابن عدي إنه يعد في زهاد البصرة والزهاد لا يضبطون الحديث كما يجب.

على أنه عقد في المقدمة ترجمة "ما يذكر عن الصالحين من الكذب ووضع الحديث".

مصطلحاته في كلامه على الرواة :

استخدم ابن عدي في توثيق الرواة وتضعيفهم عبارات متنوعة مختلفة، وبعض هذه العبارت قد تكون واضحة مفسرة، وبعضها يحتاج إلى تأمل في كلامه كاملا، فهي لا تدل على درجة واحدة بل ترد على درجات شتى وإن كانت متقاربة، منها :

1. **فلان حسن الحديث** : يطلق ابن عدي هذه العبارة على من يخطئ الخطأ والخطأين، كما يطلقه على من به ضعف من قبل حفظه ولم يأت بمناكير، وإن لم يتابع على أحاديثه أو بعضها، وهو أحياناً يصفه بأنه ضعيف، أو صدوق، أو لا بأس به، إلا أنه لا يقل عن مربتة من يكتب حديثه، وإليك نصوصه :

- فقال سلمة بن صالح الأحمر الواسطي إنه حسن الحديث، ولم أر له متنا منكرا، إنما أرى ربما يهم في بعض الأسانيد.
- وعن عبد الملك بن الحسين النخعي أن له أحاديث حسان، وعامتها لا يتابع عليها.

2. **فلان صدوق** : يطلقه على النحو الذي تقدم في "حسن الحديث" فهو يبين أنه سيء الحفظ وليس بحجة، ووصفه بأنه لا بأس به، ووصفه بأنه أغلاطه قليلة، فدل ذلك على أخطائه وأن اختلفت قلة أو كثرة من راو لآخر، أما قوله : صدوق ثقة فلا تصا غ منها قاعدة، والحكم للأغلب، كما أنه صرح بأن هناك فرقاً بين الصدوق الثقة وإليك نصوصه :

فقال إنه صدوق لا بأس به. روى عنه مالك، وهو عندي لا بأس به، لأن مالكاً لا يروي لا عن ثقة أو صدوق.

3. **فلان لا بأس به** : يطلق ابن عدي هذه العبارة على من له أغلاط، أو لا يضبط الحديث، أو من لا تأتي المناكير في حديثه، أو تكون له مناكير لكنها لم تجاوز الحد، وقد يطلقه على من هو صدوق، وأطلقه على الثقة.

فقال عن مغيرة بن زياد الموصلي بعدما ذكر من ضعفه : وعامة ما يرويه مغيرة مستقيم، إلا أنه يقع في حديثه ما يقع في حديث من ليس به بأس من الغلط، وهو لا بأس به عندي. وعن معلى بن منصور الرازي : وأرجو أنه لا بأس به، لأني لم أر له حديثاً منكراً. وعن ميسرة عمرو بن عمرو مولى المطلب روى عنه مالك، وهو عندي لا بأس به، لأن مالكا لا يروي إلا عن ثقة أو صدوق.

4. فلان تقبل روايته عن فلان : قول ابن عدي هذا يدل على أن الراوي قد تقبله الناس من أجل شيخه، وقد يكون شيخه من المشهورين والراوي قد انفرد عنه ببعض أحاديث :

فقال عن أشعث بن عطاف أن له أحاديث حسان عن الثوري.

نماذج من تراجمه

1. إسماعيل بن عياش أبو عتبة الحمصي العنسي[1] :

قال الفلاس : كان عبد الرحمن لا يحدث عنه. وقال أحمد : ما روى عن الشاميين صحيح، وما روى عن أهل الحجاز فليس بصحيح. وقال ـ مرة ـ وما روى عن أهل المدينة وأهل العراق ففيه ضعف يغلط. وقال الدرامي : قلنا ليحيى : كيف هو عندك ؟ قال : أرجو أن لا يكون به بأس.

وقال ـ في رواية عباس عنه ـ : إسماعيل بن عياش أحب إلى أهل الشام من بقية، وقد سمع من شرحبيل، وابن عياش ثقة، وهو أحب إلي من فرج بن فضالة. وقال ـ في رواية عبد الله بن أحمد ـ : إذا حدث عن الثقات مثل محمد بن زياد وشرحبيل بن مسلم فلا بأس به. قلت: فكتبت عنه ؟ قال: نعم. ومرة قال ـ في رواية عباس عنه ـ : ليس به بأس في أهل الشام، والعراقيين يكرهون حديثه.

قيل لحيى : أيهما أثبت بقية أو إسماعيل ؟ فقال : كليهما صالحين. وقال ـ مرة ـ : مضيت إلى إسماعيل فرأيته على غرفة ومعه رجلان ينظران في كتابه، فيحدثهم خمسمائة في اليوم.. أقل أو أكثر، وهم أسفل وهو فوق، فيأخذون كتابه فينسخونه من غدوة على الليل، فرجعت عنه ولم أسمع شيئاً.

وقال ـ مرة ـ : كان يقعد معه ثلاثة أو أربعة فيقرأ كتاباً والناس مجامعون، ثم يلقيه إليهم فيكتبونه جميعاً، ولم ينظر في الكتاب إلا أولئك الثلاثة أو الأربعة !

(1) الكامل في الضعفاء لابن عدي، ت ر 127.

وشهدت ابن عياش وهو يحدث هكذا فلم أكن آخذ عنه شيئاً، ولكني شهدته يملي إملاء فكتبت عنه.

وقال ابن المبارك : إذا اجتمع إسماعيل وبقية فبقية أحب إلي.

وقال السعدي : سألت أبا مسهر عن [إسماعيل] بن عياش وبقية، فقال : كانا يأخذان عن غير ثقة، فإذا أخذ حديثهم عن الثقات فهو ثقة. وقال النسائي : إسماعيل بن عياش ضعيف.

وقال يزيد بن هاريون : ما [رأيت] أحفظ من إسماعيل بن عياش، ما أدري ما سفيان الثوري. وقال أبو زرعة : لم يكن بالشام بعد الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز مثل إسماعيل.

وقال ابن عدي : إذا روى عن أهل الشام فهو مستقيم، وإنما يخلط ويغلط في حديث العراق والحجاز.

وقال ـ وقد ذكر له أحاديث ـ : وهذه من أحاديث الحجاز ليحيى بن سعيد ومحمد ابن (عمرو) وهشام بن عروة وابن جريج وعمر بن محمد وعبيد الله الوصافي، ومن حديث العرقيين إذا رواه عنهم فلا يخلو من غلط يغلطه فيه : إما أن يكون حديثاً يرسله، أو مرسلاً يوصله، أو موقوفاً يرفعه. وحديثه عن الشاميين إذا روى عنه ثقة فهو مستقيم الحديث. وفي الجملة إسماعيل ممن يكتب حديثه، ويحتج به في حديث الشاميين خاصة[1].

2. ثابت البناني

هو ثابت بن أسلم، أبو محمد ـ البصري

قال يحيى بن سعيد : عجب من أيوب «يدع ثابت البناني لا يكتب عنه»!

وقال أحمد : أهل المدينة إذا كان حديث غلط يقولون : ابن المنكدر عن جابر. وأهل البصرة يقولون : ثابت عن أنس يحيلون عليهما.

وقال حماد بن سلمة : كنت أسمع أن القصّاص لا يحفظون الحديث، فكنت أقلب الأحاديث على ثابت أجعل أنساً لابن أبي ليلى وأجعل ابن أبي ليلى لأنس أشوشها عليه، فيجيء بها على الاستواء.

---

(1) الكامل لابن عدي، الترجمة رقم 127.

وقال أحمد بن حميد : سألت أحمد : ثابت أثبت أو قتادة ؟ قال : ثابت أثبت في الحديث وكان يقص، وقتادة كان أذكر وكان محدثاً، وكان من الثقات المأمونين كان يقص وكان صحيح الحديث.

وقال حماد بن سلمة : أخبرني حميد : كنا نأتي أنساً ومعنا ثابت، فكلما مر بمسجد صلّى فيه، وكنا نأتي أنساً فيقول : أين ثابت ؟ إن ثابت (دويبة) أحبها.

وقال عبيد الله بن معاذ : كان عند أبي عن حماد بن سلمة عن ثابت سبع مائة حديث. وقال حماد بن زيد عن أبيه : لكل شيء مفتاح، وإن ثابتا من مفاتيح الخير. وقال محمد بن واسع : نعم الرجل ثابت البناني.

وقال ابن عدي : وثابت البناني من تابعي أهل البصرة وزهادهم ومحدثيهم، وقد كتب عنه الأئمة والثقات من الناس، وأروى الناس عنه حماد بن سلمة، وما هو إلا ثقة صدوق، وأحاديثه صالحة مستقيمة إذا روى عنه ثقة، وله حديث كثير، وهو من ثقات المسلمين، وما رأيت في حديثه من النكرة فليس ذاك منه إنما هو من الراوي عنه، لإنه روى عنه جماعة ضعفاء مجهولون، وأما هو في نفسه إذا روى عمن فوقه من مشايخه فهو مستقيم الحديث ثقة[1].

3. بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري ـ بصري

قال أحمد بن بشر : أتيت البصرة في طلب الحديث، فأتيت بهز بن حكيم، فوجدته مع قوم يلعب بالشطرنج.

وقال ابن عدي : وبهز قد روى عنه ثقات الناس، وقد روى عنه الزهري، ومعمر، وإسماعيل بن علية، ومروان بن معاوية، وجماعة من الثقات، وأرجو أنه لا بأس فيه في رواياته، ولم أر أحداً يتخلف في الرواية عنه من الثقات، ولم أر له حديثاً منكراً، وأرجو أنه إذا حدث عنه ثقة فلا بأس بحديثه[2].

4. عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافري، الإفريقي، أبو خلف

قال ابن معين : ضعيف. ومرة قال : ولي القضاء لمروان بن محمد علي إفريقية. ومرة قال : ليس به بأس، وفيه ضعف/ وهو أحب إلي من أبي بكر بن أبي مريم.

---

(1) الكامل لابن عدي، الترجمة رقم 318.

(2) الكامل لابن عدي، الترجمة رقم 229.

وقال البخاري : وبلغني عن المقري أنه قال : مات سنة 165.

وقال أحمد : ليس بشيء.

وقال علي بن المديني : ضعف يحيى بن سعيد عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، وقال : كتبت عنه بالكوفة كتاباً. وقال يحيى بن سعيد : سألت هشام بن عروة عنه، فقال : دعنا منه، حديثه حديث مشرقي.

ومرة قال يحيى القطان : عبد الرحمن ثقة.

وقال عبد الرحمن بن مهدي : ما ينبغي أن يُروى عنه حديث.

وقال الفلاس : كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عنه.

ومرة قال : كان يحيى لا يحدث عنه، وما سمعت عبد الرحمن بن مهدي ذكره قط إلا مرة : قال : نا سفيان عن عبد الرحمن الإفريقي - وهو مليح الحديث ليس مثل غيره في الضعف.

وقال السعدي : عبد الرحمن غير محمود في الحديث، وكان صارماً خشناً. وقال النسائي : ضعيف.

وقال ابن عدي : وأروى الناس عنه عبد الله بن يزيد المقري، وعامة حديثه وما يرويه لا يتابع عليه[1].

5. عبد الرزاق بن همام بن نافع أو بكر، الصنعاني

قال الدارمي : قلت لحيى : فعبد الرزاق في سفيان ؟ قال : مثلهم - يعني مثل الفريابي وقبيصة وعبيد الله بن موسى وابن (يمان) وأبي حذيفة - [أي] ليس بالقوي.

وقال الدارمي : عبد الرزاق أحب إلي من الفريابي وأبي حذيفة.

وقال محمد بن عثمان الثقفي - وكان رحل إلى عبد الرزاق للحديث : قد تجشمت الخروج إلى عبد الرزاق، ودخلت إليه، وأقمت عنده حتى سمعت منه ما أردت، والله.. إن عبد الرزاق كذاب ! ومحمد بن عمر الواقدي أصدق منه !!.

وقال أبو صالح محمد بن إسماعيل الضراري : بلغنا ونحن بصنعاء أن يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهما تركوا حديث عبد الرزاق، فداخلنا من ذلك غم شديد،

---

(1) الكامل لابن عدي، الترجمة رقم 1108.

فلقيت ابن معين، فقلت له : بلغنا عنكم في عبد الرزاق أنكم تركتم حديثه ورغبتم عنه. فقال : يا أبا صالح .. لو ارتد عبد [الرزاق عن] الإسلام ما تركنا حديثه !

وقال ابن أبي مريم عن ابن معين : عبد الرزاق ثقة لا بأس به.

وقال أبو بكر بن زنجيه : سمعت عبد الرزاق يقول : الرافضي كافر.

وقال أبو الأزهر : سمعت عبد الرزاق يقول : أفضّل الشيخين لتفضيل عليٍّ إياهما على نفسه، و [لو] لم يفضلهما لم أفضلهما كفى بي إزراء أن أحب عليا ثم أخالف قوله.

وقال ابن عدي : ولعبد الرزاق أصناف وحديث كثير، وقد رحل إليه ثقات المسلمين وأئمتهم، وكتبوا عنه ولم يروا بحديثه بأساً، إلا أنهم نسبوه إلى التشيع، وقد روى أحاديث في الفضائل مما لا يوافقه عليها أحد من الثقات فهذا أعظم ما ذموه به من روايته لهذه الأحاديث ولما رواه في مثالب غيرهم، وأما في باب الصدق فأرجو أنه لا بأس به، إلا أنه قد سبق منه أحاديث في فضائل آل البيت ومثالب آخرين مناكير[1].

6. عبد العزيز بن جريج مولى آل أمية بن خالد ـ مكي

وعبد العزيز هذا والد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج.

وقال البخاري : عبد العزيز عن عائشة في (الوتر)، روى عنه ابنه عبد الملك بن جريج، لا يتابع في حديثه.

وقال أبو طالب : سألت أحمد عن حديث ابن عياش عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس يرفعه : «من قاء أو رعف أو أحدث في صلاته فليذهب وليتوضأ، ثم ليَبْن على صلاته» فقال : هكذا رواه ابن عياش (لنا) رواه ابن جريج فقال : «عن أبي» إنما عن أبيه، ولم يسمعه من أبيه، وليس فيه عائشة ولا النبي ﷺ.

وقال ابن عدي : وعبد العزيز أنكر عليه هذا الحديث، وهذا غير محفوظ عن ابن جريج، إنما يرويه عنه إسماعيل بن عياش، وابن عياش إذا روى عن أهل الحجاز والعراق فإن حديثه عنهم ضعيف[2].

---

(1) الكامل لابن عدي، الترجمة رقم 1463.

(2) الكامل لابن عدي، الترجمة رقم 1428.

7. عبد الكريم بن أبي المخارق أبو أمية ـ بصري

قال معمر عن أيوب : والله إنه لغير ثقة. ومرة قال : لا تأخذن عن عبد الكريم : فإنه ليس بثقة.

وقال عبد الرزاق : وما روى معمر عن عبد الكريم شيئاً.

ومرة قال أيوب : سألني عبد الكريم عن حديث لعكرمة فحدثته، ثم قال : حدثني عكرمة ! وقال ابن معين : كل من روى عنه مالك فهو ثقة، عدا عبد الكريم. ومرة قال : عبد الكريم ليس بشيء.

وقال معمر : سألني حماد عن فقهائنا، فذكرتهم، فقال قد تركت أفقههم ـ يعني عبد الكريم ـ فقال : (أي) كان يوافقه على الإرجاء. وقال حماد بن زيد : كنت أختلف إلى عبد الكريم، ولو علم أيوب كانت الفيصل.

وقال سفيان : جالسته أولا ثم تركته. وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه : كان معلما وكان ابن عيينة يستضعفه. وقال عبد الله : قلت له : وهو ضعيف ؟ قال : نعم. وقال ابن معين مرة : هو ضعيف. ومرة قال أحمد : ليس بشيء، شبه المتروك، كان يدعو إلى الإرجاء.

وقال أبو قلابة : إياكم وفلان وفلان صاحب الأكسية ـ قال أحمد يعني عبد الكريم.

وقال ابن عيينة : مات عبد الكريم سنة 127، وسمعته يقول : ليس يستخرج ما عندي حتى أغضب. وقال الإنسان : سل عما شئت، ولا أقول لم أسمع، ولا أقول لا علم لي.

وقال السعدي : عبد الكريم غير ثقة، ورحم الله مالكاً غاص هناك فوقع على خزفة منكسرة.

وقال ابن عدي : والضعف بين على كل ما يرويه[1].

8. عمرو بن دينار أبو يحيى (الذي يلتبس بعمرو بن دينار المكي)

قهرمان آل الزبير، بصري، كان أعور. قال ابن معين : ذاهب. ومرة : ليس بشيء.

وقال البخاري : أبو يحيى الأعور عن سالم، فيه نظر.

---

(1) المصدر نفسه، الترجمة رقم 1496.

وقال الفلاس : ضعيف الحديث، روى عن [سالم عن] ابن عمر يرفعه أحاديث منكرة، وقد روى عنه هشام بن حسان وحماد بن سلمة وشيوخنا البصريون.

وقال السعدي : عمرو بن دينار عند أهل العلم ضعيف الحديث.

وقال النسائي : ضعيف[1].

9. عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، أبو إبراهيم

قال سعيد بن عبد العزيز : كان الزهري يلعن من يحدث بهذا الحديث «نهيتكم عن النبيذ، فانتبذوا» قال [أبو مسهر : قلت] لسعيد : خبر يذكره عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ! قال : إياه يعني !!

وقال جرير عن مغيرة : كان لا يعبأ بحديث سالم بن أبي الجعد وخلاس بن عمرو وأبي الطفيل وبصحيفة عمرو بن عبد الله. وقال مغيرة : ما يسرني أن صحيفة عبد الله بن عمرو [عندي] بتمرتين أو بفلسين.

وقال يحيى بن سعيد : عمرو بن شعيب واه عندنا. وقال أيوب : كنت إذا أتيت عمرو بن شعيب غطيت رأسي حياء من الناس. وقال أحمد : أصحاب الحديث إذا شاءوا احتجوا بعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وإذا شاءوا تركوه.

وقال إسحاق بن راهويه : عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كأيوب عن نافع عن ابن عمر. وقال ابن معين : عمرو بن شعيب ثقة. وقال الأوزاعي : ما رأيت أكمل من عمرو بن شعيب.

وقال ابن عدي : وعمرو بن شعيب في نفسه ثقة، إلا أنه إذا روى عن أبيه عن جده على ما نسبه أحمد بن حنبل يكون ما يرويه عن أبيه عن جده عن النبيﷺ مرسلاً، لأن جده عنده هو محمد بن عبد الله بن عمرو، وليس له صحبة، وقد روى عن عمرو بن شعيب أئمة الناس وثقاتهم وجماعة من الضعفاء، إلا أن أحاديثه عن أبيه عن جده اجتنبها الناس مع احتمالهم إياه، ولم يدخلوها في (صحاح خرجوها) وقالوا : هي صحيفة[2].

---

(1) المصدر السابق، الترجمة رقم 1297.

(2) المصدر السابق، الترجمة رقم 1281.

10. عطاء بن عبد الله بن أبي مسلم ـ واسمه ميسرة ـ

خراساني، بلخي، سكن الشام ومن الشام بيت المقدس، أبو عثمان كنيته، مولى المهلب بن أبي صفرة، مات سنة 135، [ومولده سنة 40].

قال أيوب السختياني عن القاسم إنه قال لسعيد بن المسيب : إن عطاء بن أبي رباح حدثني أن عطاء الخراساني حدثه في الرجل الذي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أفطر في رمضان أنه أمره أن يعتق رقبة، فقال : لا أجدها. قال : «فتصدق بعشرين صاعاً من تمر» قال سعيد له : كذبك الخراساني ! إنما قال له : «تصدق تصدق».

وقال ابن معين : عطاء الخرساني ثقة. وقال البخاري : سمع سعيد بن المسيب، روى عنه مالك ومعمر وابن جريج. وقال ابن عدي : وأرجو أنه لا بأس به[1].

11. يزيد بن أبي زياد أبو عبد الله مولى بني هاشم ـ كوفي

قال ابن معين : ضعيف الحديث. قيل له : أيهما أحب إليك هو أو عطاء بن السائب ؟ فقال : ما أقربهما. ومرة قال : لا يحتج بحديثه. وفي موضع آخر : ليس بالقوي. وقال أحمد : حديثه ليس بذلك.

وقال السعدي : سمعتهم يضعفون حديثه. وقال ابن فضيل : كان من أئمة الشيعة الكبار. وقال ابن عدي : عنده عن مقسم عن ابن عباس غير حديث وهو من شيعة أهل الكوفة، ومع تشيعه يكتب حديثه[2].

---

(1) المصدر السابق، الترجمة رقم 1521.

(2) المصدر السابق، الترجمة رقم 2168.

2. أبو الحجاج المزي (654-742هـ)

حياته العلمية

عاش يوسف بن عبد الرحمن المزي في عهد دولة المماليك البحرية التي خلفت الأيوبيين، واشتهرت بشجاعة في وقف الزحف المغولي في عين جالوت، واستكمال الانتصارات ضد الغزاة الصليبيين.

ونشأ في قرية قرب دمشق عرفت بمزة كلب، ولم ينشأ في بيت علم، فلم يتح له الأخذ عن كبار الأئمة في صغره، فما كان في إمكانه أن يسمع من مسند الشام زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي (تـ 668هـ) ولا من بدر الدين عمر بن محمد الكرماني (تـ 668هـ).

فكان أول سماعه سنة خمس وسبعين، من أبى العباس أحمد بن سلامة الدمشقي (تـ 678هـ) ثم ما لبث أن كرّس جهده للحديث وسمع أهم مدوناته حتى بلغ من روى عنهم أكثر من ألف شيخ، وكان من هؤلاء محيي الدين النووى، والفخر ابن البخارى، والقطب القسطلاني، وشرف الدين الدمياطي، واليونيني، وابن دقيق العيد، وكانت له صلة علمية وثيقة بتقي الدين بن تيمية الحراني، وعلم الدين أبى محمد البرزالي، وشمس الدين أبي عبد الله الذهبي.

واحتل أبو الحجاج في عصره مكانة متميزة، اعترف له بها معاصروه فيقول ابن سيد الناس اليعمرى : وجدت في دمشق من أهل العلم الإمام المقدم والحافظ الذي فاق من تأخر من أقرانه ومن تقدم : أبا الحجاج المزي، بحر العلم الزاخر، وحبره القائل من رآه : «كم ترك الأوائل للأواخر».

ويقول عنه الذهبي : إنه كان خاتمة الحفاظ وناقد الأسانيد والألفاظ، وهو صاحب معضلاتنا وموضح مشكلاتنا. ويقول عنه تقي الدين السبكى : «إنه إمام المحدثين والله لو عاش الدارقطنى لاستحيى أن يدرس مكانه.

ويقول عنه شمس الدين الحسيني إنه كان مع تبحره في علم الحديث رأساً في اللغة العربية والتصريف وله مشاركة جيدة في الفقه وغيره.

أما تلميذه الصفدى فيقول : لم أر في أشياخي بعد شيخنا أثير الدين في العربية مثله.

وهذه المكانة هي التى أهلته أن يترأس أشهر دور الحديث في الشام، فكان رئيساً لدار الحديث الحمصية المعروفة بحلقة صاحب حمص، وتنازل عنها لتلميذه الحافظ صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلاني. وترأس أعرق دار للحديث في دمشق وهي المدرسة النورية بعد رفيقه وتلميذه علم الدين البرزالى. لكن من اللافت للنظر ترؤسه لدار الحديث الأشرفية بالرغم من معارضة علماء الأشاعرة، منتقدين عليه علاقته بابن تيمية، لكن تقي الدين السبكي الذي كان قاضي دمشق رفض عزله، فبقي عليها إلى أن مات[1].

آثاره : كتاب تهذيب الكمال

يقول بشار عواد في مقدمة كتاب "تهذيب الكمال" : «احتل المزى مكانة عظيمة بين علماء القرن الثامن الهجري في الحديث وعلومه، وما يتصل بها، وقامت شهرته على أعظم كتابين ألفهما في وقتهما هما "تحفة الإشراف" و"تهذيب الكمال"».

ويعد كتاب "تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف"[2] من أعظم الكتب المؤلفة في أطراف الكتب الستة وبعض لواحقها، وكان الغرض الأساس منه جمع أحاديث الكتب الستة وبعض لواحقها بطريق تسهل على القارئ معرفة الأسانيد المختلفة مجتمعة في موضع واحد. وقد رتبه علي الأسانيد دون المتون، فصار معجماً مرتباً على تراجم أسماء الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وفي بعض الأحيان أتباع أتباع التابعين. فدونت جميع أحاديث الكتب الستة وبعض لواحقها علي هذه الأسماء، فتضمن نحوا من ألف وأربعمائة مسند منها نحو ألف مسند، منسوباً إلى الصحابة بعد أن رتب أسماءهم علي حروف المعجم، والباقية من المراسيل وعددها أربعمائة منسوبة إلى أئمة التابعين ومن بعدهم على حروف المعجم أيضاً، وهو عمل هائل تعجز عنه العصبة أولو القوة.

وحينما انتهى من تأليف الكتاب ألحق به بعد ذلك ذيلاً سماه : "اللحَق الأطْرف"، تتبع فيه بعض الأحاديث التي لم ترد إلا برواية ابن الأحمر من كتاب النسائي. وذكر

---

(1) انظر ترجمة مفصلة منتخبة من مصادرها في تقديم محقق تهذيب الكمال، الدكتور سهيل زكار، الجزء 1، ص 6 وما بعدها، وفي تقديم تحفة الأشراف، ص 22 وما بعدها، تحقيق عبد الصمد شرف الدين.

(2) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للحافظ المزي، تحقيق عبد الصمد شرف الدين، منشورات المكتب الإسلامي، ط 3، 1983.

الحافظ ابن حجر أنه شاهده في جزء لطيف، ثم شاهد نسخة ابن كثير من "التحفة" وعليها هذا اللحق بخط المؤلف.

وقد ذكر ابن حجر أنه قد حصل الانتفاع بهذا الكتاب شرقاً وغرباً، وتنافس العلماء في تحصيله بعداً وقرباً ونظراً لهذه المنزلة التي احتلها في هذا الفن، فقد تناوله العلماء بالاستدراك والتلخيص والتعليق، لأنه صار الكتاب المعتمد في هذا الفن[1].

وقد اختصره تلميذه ورفيقه مؤرخ الإسلام الذهبي في مجلدين علي ما ذكر الصفدى، وابن شاكر، والسبكي، والزركشي، وسبط ابن حجر واختصره أيضاً أبو العباس أحمد بن سعد بن محمد الأندرشي المتوفى سنة (750هـ) وسماه "العمدة في مختصر الأطراف".

وألف العلامة علاء الدين مُغْلِطاي بن قليج الحنفي المتوفى سنة 762هـ، مستدركاً على "تحفة الأشراف" ذكر ابن حجر أن فيه أوهاماً منه.

وكتب الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالعراقي، بعض المستدركات على هامش نسخته أفاد منها ولده العلامة ولي الدين العراقي المتوفى سنة 826هـ، حينما ألف جزءاً مستدركاً علي المزي بعد أن أضاف إليه بعض ما جمعه مغلطاي. ويبدو أن الثلاثة : ولي الدين العراقي وولده، ومغلطاي لم يطّلعوا في أول الأمر على "اللحق الأطرف" الذي استدرك به المزى على نفسه.

ثم جمع الحافظ ابن حجر كل هذه المستدركات، وأضاف إليها وأخرجها في كتاب سماه "النكت الظراف"، وجمع الحافظ محمد بن فهد المكي المتوفى سنة 871هـ، بين كتابي المزى وابن حجر بكتابه "الإشراف على الجمع بين النكت الظراف وتحفة الإشراف".

أما كتاب المزى الثاني، وهو "تهذيب الكمال"[2] فقد كان واسطة العقد في مجموعة من المصنفات التي ألفها رواة دواوين الإسلام.

وكان من أولها كتاب أصحاب الكتب الستة للحافظ الشامي ابن عساكر الدمشقي، اقتصر فيه على شيوخ الأئمة النبل، ورتبه على حرف المعجم، وأورد لهم تراجم مختصرة يذكر فيها اسم المترجم ونسبه ومن روى عنه من أصحاب الستة وتوثيقه، وتاريخ وفاته، وما وقع من حديثه مع بيان رتبة علو روايته عنه.

---

(1) مقدمة تهذيب التهذيب لابن حجر، منشورات دار صادر، بدون تاريخ.

(2) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ المزي، تحقيق بشار عواد، منشورات مؤسسة الرسالة، 1898.

ثم كـان بـعده الحـافظ أبـو محـمد عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسي الجمـاعيلي (تـ 600هـ) فـألف كتـاب "الكمـال في أسمـاء الرجـال" الذي كـان أول السلسة التي توالت حلقاتها حول هذا الكتاب ولم يقتصر فيه على شيوخ أصحاب الستة، بل تناول جميع الرواة المذكورين في كتبهم، محاولاً حصرهم واستيعابهم، ولكنه لم يدّع الإحاطة بكل ما في هذه الكتب لاختلاف النسخ.

وقد بدأ مصنفه بملخص للتعريف بالنبي صلى لله عليه وسلم أخذها عن ابن هشام، ثم اتبعها بفصل عن أقوال الأئمة في أحوال الرواة، وفي استعراضه لرجال الحديث بدأ بالصحابة مستهلا بالعشرة المشهود لهم بالجنة ورتب الباقين على حروف المعجم، إلا إنه صدّرهم بالمحدثين.

ويقول أبو الحجاج المزي عن كتاب "الكمال" : أنه كتاب نفيس، كثير الفائدة، لكن لم يصرف مصنفه رحمه الله عنايته إليه حق صرفها، ولا استقصى الأسماء التي اشتملت عليها هذه الكتب استقصاء تاماً، ولا تتبع جميع تراجم الأسماء التي ذكرها في كتابه تتبعاً شافياً فحصل في كتابه بسبب ذلك إغفال وإخلال. ولاحظ المزي أن واحدا من أبناء عبد الغني، ولعله أبو الفتح محمد بن عبد الغنى، حاول تهذيب كتاب والده، ولكنه لم ينجح في ذالك، ولم يزد علي ما أخذ من كتب ابن عساكر، فضلا عما وقع فيه من خلل كثير ووهم شنيع في عمله.

وقال : «وقفت على ذالك، ثم إن بعض ولده ممن لم يبلغ في العلم مبلغه ولا نال في الحفظ درجته رام تهذيب كتابه وترتيبه واختصاره واستدراك بعض ما فاته من الأسماء، فكتب عدة أسماء من أسماء الصحابة الذين أغفلهم والده من تراجم كتاب "الأطراف" الذي صنفه الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي المعروف بابن عساكر ـ رحمه الله ـ وأسماء يسيرة من أسماء التابعين من كتاب "الأطراف" أيضاً. وكتب عدة أسماء ممن أغفلهم والده من كتاب "المشايخ النبل"، الذي صنفه الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أيضاً، ولم يزد في عامة ذلك علي ما ذكر الحافظ أبو القاسم شيئاً، فوقعت عامة تلك الأسماء المستدركة في الكتاب مختصرة ولا يحصل بذكرها كذلك كبير فائدة. ووقع في بعض ما اختصره بلفظه من كتاب والده خلل كبير، ووهم شنيع.

وهذا ما حمل أبا الحجاج المزي أن يصنف كتاب "تهذيب الكمال" فقال : «فلما وقفت على ذلك، أردت تهذيب الكتاب وإصلاح ما وقع فيه من الوهم والإغفال، واستدراك ما حصل فيه من النقص والإخلال، فتتبعت الأسماء التي حصل إغفالها منهما جميعاً، فإذا هي أسماء كثيرة تزيد علي مئات عديدة من أسماء الرجال والنساء.

ثم وقفت على عدة مصنفات لهؤلاء الأئمة الستة غير هذه كتب الستة وستأتي أسماؤها قريباً إن شاء الله تعالى، فإذا هي تشتمل على أسماء كثيرة ليس لها ذكر في الكتب الستة، ولا في شيء منها، فتتبعتها تتبعاً تاماً، وأضفتها إلى ما قبلها، فكان مجموع ذلك زيادة على ألف وسبعمائة اسم من الرجال والنساء فترددت بين كتابتها مفردة عن كتاب "الأصل"، وجعلها كتاباً مستقلاً بنفسه وبين إضافتها إلى كتاب "الأصل"، ونظمها في سلكه فوقعت الخيرة على إضافتها إلى كتاب "الأصل" ونظمها في سلكه وتمييزها بعلامة تفرزها عنه، وهو أن أكتب الاسم، واسم الأب أو ما يجرى مجراه بالحمرة وأقتصر في الأصل على كتابة الاسم خاصة بالحمرة».

وجعلت لكل مصنف علامة فإن تكرر الاسم في أكثر من مصنف واحد اقتصرت على عزوه إلى بعض في الغالب[1].

---

(1) مقدمة كتاب تهذيب الكمال، للحافظ المزي، الجزء 1، ص 25-26، تحقيق سهيل زكار.

3. علاء الدّين مُغلطاي (689-762هـ)

حياته وأثره

هو أبو عبد الله علاء الدين مُغلطاي بن قليج بن عبد الله التركي الأصل، المصري المنشأ.

ولد بالقاهرة، وسمع بها جملة من مشايخ عصره. وتخرج بابن سيد الناس اليعمري، ورحل إلي دمشق، فسمع بها علي شيوخ العصر وبرع في الحديث والأنساب، وولي التدريس بعدة مدارس بمصر منها المدرسة الظاهرية، وليها بعد شيخه ابن سيد الناس، فتحامل الناس عليه بسبب ذالك، وتكلموا فيه من أجل ادعائه سماع بعض من لا يحتمل سماعه منهم وهي مسألة أكثروا الكلام فيها، والظاهر أن وراءها دوافع أخرى.

أخذ عن تاج الدين أحمد ابن دقيق العيد، ومحمد بن علي بن وهب (تـ 702هـ)، وعبد المؤمن الدمياطى (705هـ)، وأبي الحسن بن الصواف صاحب رواية سنن النسائي (712هـ)، وأبي العباس أحمد بن تيمية الحرانى، وابن سيد الناس اليعمرى (تـ 732)، وأبي الحجاج المزي يوسف بن عبد الرحمن (تـ 742هـ).

تلاميذه

وممن أخذ عنه ابن الملقن أبو حفص عمر بن علي الأنصاري (تـ 804هـ)، كان ملازما له واتبع نهجه في التأليف، سراج الدين البلقينى عمر بن رسلان الكتاني (تـ 805هـ)، وزين الدين العراقي عبد الرحيم بن حسين (806هـ).

يقول ابن حجر عنه : انتهت إليه رئاسة الحديث في زمانه، ويقول العراقي : «كان عارفا بالأنساب معرفة جيدة وأما غيرها من متعلقات الحديث فله بها خبرة متوسطة وتصانيفه أكثر من مائة»[1].

---

(1) ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، تأليف السيوطي، ص 365-366، وذيل تذكرة الحفاظ، للذهبي، ص 133 وما بعدها، وكلاهما مطبوعان في نفس الكتاب، ط دار إحياء التراث العربي.

مؤلفاته

ألف مغلطاي عدة مصنفات في علم الرجال منها "الاكتفاء بتنقيح كتاب الضعفاء"، و"الإبانة في المختلف عنهم من الصحابة"، و"إصلاح" ابن الصلاح، و"الاستدراك على تحفة الأشراف"، و"ترتيب بيان الوهم والأوهام" لابن القطان، و"زوايد" ابن حبان، و"الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين"، ومن تآليفه المطبوعة : شرح سنن ابن ماجه في كتاب الإعلام بسنته عليه السلام[1]، غير أن أشهر وأهم ما أنجز هو كتاب "إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال"، وقد صدر بتحقيق عبد الرحمن عادل بن محمد ، وأبو محمد أسامة بن إبراهيم[2].

إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال

ويبدو لنا أن علاء الدين مغلطاي قد صرف جل عنايته لدراسة المؤلفات السابقة ونقدها، وأولع بالرد والاستدراك عليها، ساعده على ذلك كثرة اطلاعه وتوافر الكتب والمصادر لديه فقد ذيل على "إكمال الإكمال" للحافظ ابن نقطة البغدادي (تـ 629هـ)، و"التكملة على إكمال لإكمال" لأبي حامد الصابوني، و"الذيل" على كتاب ابن نقطة الذي ألفه منصور بن سليم الإسكندراني (تـ 673هـ) كما ذيل على كتاب "الضعفاء" لابن الجوزي ووضع تعاليق على "الروض الأنف" للسهيلي (تـ 581هـ). وقال الشهاب ابن رجب : «إن عدة تصانيفه نحو المائة أو أزيد، وله مآخذ على أهل اللغة وعلى كثير من المحدثين».

ومن هذا المنطلق عني علاء الدين مغلطاي بالكتابين العظيمين اللذين ألفهما المزي وهما : "تحفة الأشراف"، و"تهذيب الكمال"، فكتب كتابا في "أوهام الأطراف"، ثم كتب كتابه العظيم "إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال".

ذكر مغلطاي في مقدمة كتابه أن استدراكه هذا لا ينقص من قيمة كتاب المزي وأهميته، وقال : «ومعتقدي أن لو كان الشيخ حيا لرحب بهذا الإكمال»[3]، وذكر قيمة كتاب المزي ومنزلته ثم أخذ عليه جملة أمور من أبرزها :

---

(1) الإعلام بسنته عليه السلام، لعلاء الدين مغلطاي، تحقيق كامل عويضة، منشورات مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1419هـ/1999.

(2) "إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال"، وقد صدر بتحقيق عبد الرحمن عادل بن محمد، وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، منشورات دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ص. كما طبع للرجل كتاب الإشارة إلى سيرة المصطفى عليه السلام، وصدر عن الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع سنة 1996، وكتاب مختصر تاريخ الخلفاء منشورات دار الكتب العلمية سنة 2003، وله كتاب الزَّهْرُ البَاسِمُ فِى سِيرَةِ أَبِى القَاسِمِ، منه نسخة محفوظة بمكتبة الإسكندرية بالقاهرة، تحت رقم 1780/د سيرة.

(3) مقدمة إكمال تهذيب الكمال، لعلاء الدين مغلطاي، ص 8.

1. ذكره أشياء لا حاجة إليها مثل الأسانيد التي يذكرها من باب العلو أو الموافقات أو نحو ذلك.
2. ذكره للترجمة النبوية وأخذه معظم ما ذكره فيه من كتاب أبي عمر بن عبد البر.
3. إيراد بعض أخبار المترجمين مما لا ينفع في بيان أحوالهم في التوثيق أو التجريح.
4. محاولة استيعاب شيوخ صاحب الترجمة والرواة عنه مع أن الإحاطة بذلك متعذرة لا سبيل إليها.
5. مسامحة المزي لصاحب "الكمال" في بعض المواضع التي لم يرد عليه فيها[1].

ويتلخص منهج مغلطاي فيما يلي :

1. عدم التعرض لمقدمة المزي وابتداؤه بالكلام على الرواة
2. يأتي باسم المترجم كما ذكره المزي، ثم يعلق علي الترجمة وتتكون هذه التعليقات من نقول كثيرة عن المصادر السابقة فيها الغث والسمين مما يتفق مع ما ذكره المزي فيؤيده، أو يختلف عنه، وقلما ترك ترجمة من غير تعليق.
3. أعاد تدقيق جميع النصوص التي أوردها المزي في كتابه وتكلم على أدنى اختلاف فيما نقله، وهو أمر ليس باليسير فكأنه بذلك أعاد تحقيق مادة الكتاب.
4. عني بإيراد المزيد من التوثيق والتجريح، ورجع إلى مصادر كثيرة جداً وعني بذلك عناية فائقة أبانت عن علمه ومعرفته بالكتب، لكن النتيجة لم تكن لتخرج في الأغلب عما ذكر المزي من حال المترجم له سوى زيادة التوثيق أو التجريح.
5. عني بضبط كثير من الأسماء والأنساب، وأورد ما يوافق المؤلف وما يخالفه في هذا الباب، مبينا مصادره في ذلك.
6. استدرك على المؤلف بعض ما فاته من المترجمين، وأكثر ما استدرك عليه في "التمييز"، وهي الأسماء التي تتفق مع أسماء المترجم لهم في هذا الكتاب ومن أهل عصرهم.

ابتدأ ملغلطاي بتأليف مسودة كتابه في منتصف سنة (744هـ)، وأطال النفس فيه فجاء في حجم كتاب المزي تقريباً في أربعة عشر مجلداً. وقد توهم الكثيرون، أن

(1) انظر صنيع علاء الدين مغلطاي في كتابه، وأوجه استدراكه، على تهذيب المزي في مقدمة الكتاب، ص من 3 إلى 8.

المزي لم يكمل كتابه فأكمله مغلطاي، دفعهم إلي هذه المقالة ما يوهمه اسم الكتاب وما ذكره حاجي خليفة في "كشف الظنون".

إن أغلب المادة التاريخية التي أوردها مغلطاي هي مادة إضافية إلى كتاب المزي جازماً أن المؤلف كان عارفاً بأكثرها، ولكنه لم يوردها من أجل أن لا يطول كتابه. والحق أن المزي قد أشار في مقدمة كتابه على من يريد زيادة الاطلاع ضرورة مراجعة "طبقات ابن سعد"، و"تاريخ ابن أبي خيثمة"، و"الثقات" لا بن حبان، و"تاريخ مصر" لابن يونس و"تاريخ نيسابور" للحاكم، و"تاريخ أصبهان" لأبي نعيم، باعتبارها أمهات الكتب المصنفة في هذا الفن. وقد نقل مغلطاي من هذه الكتب وأمثالها كثيراً مما استدرك به على المزي؛ لذلك قال زين الدين ابن رجب : «وغالب ذلك لا يرد على المزي، ومع ذلك فإن إضافته من هذه الكتب ومن عشرات غيرها نقلت إلينا ثروة تاريخية كادت تضيع لولا ما نقل هو وأمثاله، بسبب ضياع كثير من أصولها».

وحين انتهى مغلطاي من استدراكه هذا اختصره في مجلدين مقتصراً فيه على المواضع التي ظن أن الحافظ المزي غلط فيها، قال ابن حجر : «واختصره مقتصراً على الاعتراضات على المزي في نحو مجلدين». وقال ابن فهد المكي، وهو يعدد بعض كتب مغلطاي : «وكتاب ذيل به على "تهذيب الكمال" للمزي وفيه فوائد، غير أن فيه تعصباً كثيراً في أربعة عشر مجلداً، ثم اختصره في مجلدين مقتصراً فيه على المواضع التي زعم أن الحافظ المزي غلط فيها، وأكثر ما غلطه فيه لا يرد عليه وفي بعضه كان الغلط منه هو فيها. ثم سمى السيوطي هذا المختصر "أوهام التهذيب"، ثم ذكر ابن حجر وابن فهد أنه اختصر "المختصر" في مجلد لطيف.

ويبدو لنا أن الكتاب قد اشتهر منذ فترة مبكرة، وأثار جدلاً عند المعنيين بهذا الفن، فقد حمل التاج السبكى بعضاً مما ظنه الحافظ مغلطاي وهما من المزي من القاهرة إلى دمشق وأعطاه لوالده ليتثبت منه قال : «وهذه مواقف استدركها بعض محدثي العصر بديار مصر، وهو الشيخ علاء الدين مغلطاي، شيخ الحديث بالمدرسة الظاهرية بالقاهرة، وانتقاها مما استدركه علي كتاب "تهذيب الكمال" لشيخنا المزي، وحضرت معي إلى دمشق لما جئت من القاهرة في سنة أربع وخمسين وسبعمائة لأسأل عنها الشيخ الإمام الوالد فأجاب عنه رحمه الله، وقد كتبتها من خطه، قال رحمه الله : «أسئلة وردت من الديار المصرية مع ولدي عبد الوهاب في الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وسبعمائة ...»، أورد التاج السبكي الأجوبة وكان قال قبل ذلك : ففي ترجمة والده وهو يعدد مصنفاته : «أجوبة سؤالات أرسلت إليه من مصر أوهاماً حديثية أوردها بعض المشايخ على كتاب "تهذيب الكمال" للحافظ المزي.

ومهما يكن من أمر فإن ما كتبه مغلطاي من نقد وفّر مادة تاريخية لجميع الذين جاؤوا بعده ممن عني باختصار "التهذيب" أو الاستدراك عليه، ولاسيما سراج الدين ابن الملقن (تـ 804هـ) في إكماله، والحافظ بن حجر في مختصراته، وبالخصوص "تذهيب التهذيب" فإنه لم يستطع إلا أن يقول في مقدمته : «وقد انتفعت في هذا الكتاب المختصر بالكتاب الذي جمعه الإمام العلامة علاء الدين مغلطاي على "تهذيب الكمال" مع عدم تقليدي له في شيء مما ينقله، وإنما استعنت به في العاجل وكشفت الأصول التي عزا النقل إليها في الآجل، فما وافق أثبته وما باين أهملته، فلو لم يكن في هذا المختصر إلا الجمع بين هذين الكتابين الكبيرين في حجم لطيف، لكان معنى مقصوداً»[1].

«نعم، كانت لمغلطاي أوهام لاسيما وهو من المكثرين، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ماذا».

رأيه في "تهذيب الكمال" وصنيعه في إكماله

يقول مغلطاي : «رأيت أن أذكر في هذا الكتاب ما يصلح أن يكون إكمالاً لـ "تهذيب الكمال" الذي ألفه شيخنا العلامة الحافظ المتقن المتفنن جمال الدين المزي رحمه الله وغفر له وأحله من الجنة خير منزلة، فإنه كتاب عظيم الفوائد، جم الفرائد لم يصنّف في نوعه مثله، ولا أحاشي من الأقوام من أحد لأن مؤلفه أبدع فيما وضع، ونهج للناس نهجاً متسعاً لم يشرع»[2].

ومع ذلك قال : «إنه أخل بمقاصد لم يذكرها، وذكر أشياء لا حاجة للناظر إليها مثل الأسانيد التي يذكرها، وما حصل له فيها من علو وموافقة أو غير ذلك إذ هو بباب آخر أليق به في الكتاب، لأن موضوع كتابه إنما هو معرفة الشخص المترجم باسمه، وما قيل فيه من خير وشر، ووفاة ومولد وما اشتبه»[3].

وفي حديثه عن كتابه هو يقول مغلطاي : «وأما هذه العجالة، فلم نذكر فيها بعون الله وحسن توفيقه إلا ما كان متعلقاً بذلك الشخص من رفعة أو ضعة في الحديث، وما أشبه ذلك»[4].

---

(1) مقدمة تهذيب التهذيب لابن حجر، منشورات دار صادر، بدون تاريخ.

(2) مقدمة إكمال تهذيب الكمال، ص 3.

(3) مقدمة إكمال تهذيب الكمال، ص 4.

(4) مقدمة إكمال تهذيب الكمال، ص 4.

«وشرطي أن لا أذكر كلمة من كلام الشيخ إلا اسم الرجل وبعض نسبه ثم آتي بلفظة : "قال"، أو ما في معناها من هناك، ثم الزيادة إلي آخره، وإن كان في كلامه شيء مما لا يعرى منه البشر ذكرت لفظه، وقلت "فيه نظر"، وبيّنته بالدلائل والواضحة مبلغ علمي بعزو كل قائل إلى قائله»[1].

آراء المحققين حول الإكمال واستدراكاته على المزي والجواب عنها

ويقول محققاه : «ومن خلال دراستنا للكتاب وعملنا فيه فقد تبين أن الكتاب مليء بالفوائد الهامة، بقدر ما فيه من أوهام وتشغيب كما وصفه الحافظ بن زرعة العراقي رحمه الله في كتابه "ذيل العبر"، ومن الممكن أن نجمل أهم ما يميزه في الآتي :

أولاً : إن من أتم ما يميز الكتاب أنه حفظ لنا مادة لروايات في الجرح والتعديل انعدم وجودها الآن بين الناس كرواية أبي جعفر البغدادي عن أحمد، ورواية العلاني عن يحيى بن معين ونحو ذلك. وكذا النقل عن كثير من مصادر العلم المفقودة الآن ككتب الرشاطي، وكتب الزبير بن بكار، وكتاب "الوفيات" لابن قانع، وكتاب "التعريف بصحيح التاريخ" لأحمد بن أبي خالد، و"تاريخ" القرّاب، وغير ذلك من الكتب النادرة والتي انتهت من عالمنا الآن فرحم الله المصنف وجزاه خيراً.

ثانياً : نعم احتوى الكتاب على نقولات كثيرة من الأهمية بمكان ذكرها وخاصة ما ينقله عن كبار الأئمة كابن المديني وابن معين وغيرهما في إثبات السماعات ونفيها مثل ما فعل في ترجمة الحسن البصري، وإبراهيم بن يزيد النخعي، وغير ذلك كثير. ولكن يعيب المصنف أنه ينقل بلا تحرير، ولا يهتم بثبوت هذه الأقوال عن أصحابها، وهذه من آفات الكتاب. التنبه على الرواة الذين أخرج لهم أصحاب الصحاح كابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وابن الجارود في كتابه "المنتقى"، وغير هؤلاء إشارة منه إلى أن في هذا التخريج توثيق من أصحاب هذه الكتب للراوي المترجم.

ثالثاً : قام باستدراك كثير من أقوال الجرح والتعديل لم يتعرض المزي لذكرها، وغالب هذه الأقوال عن المتأخرين، وكثير ممن ذكر إما من المتساهلين كابن شاهين والحاكم، أو غير المدققين مثل أبي إسحاق الصريفيني.

---

(1) مقدمة إكمال تهذيب الكمال، ص 4.

رابعاً : استدراك بعض التراجم التي غفل عنها المزي ـ بزعمه ـ وهي علي شرط كتابه "التهذيب" ولازمة له. وأكثرها وهم من المصنف، مثل : **إسماعيل بن عمرو البجلي** الذي زعم أن مسلماً أخرج له فاستدركه علي المزي؛ ووهم في ذلك كما نبّه عليه ابن حجر وبيَّن أنه تصحيف من إسماعيل بن عمر الواسطي. ومثل **إسماعيل بن قعنب** الذي لم يفطن له المصنف وانه نسبه إلى جده إسماعيل بن مسلمة بن قعنب ترجم له المزي في هذا الموضع.

خامساً : هذا بالإضافة إلى ما اشتمل عليه الكتاب من تعقيبات ومآخذ نجملها في الآتي :

أ) التعقيب على المزي والاستدراك عليه في أنساب الرواة وهذا أهم ما يميز الكتاب، وقد برع العلامة مغلطاي في هذا الفن؛ وتعقيباته تشهد له بالنبوغ فيه وقد شهد له كثير من أهل العلم بالتضلع في هذا الفن من العلم. انظر على سبيل المثال ترجمة الحارث بن حسان بن كلدة[1]، والحارث بن عمرو السهمي[2]، والحارث العقيلي وغير ذلك.

ب) تعقب المزي في إغفاله لبعض من أخرج لصاحب الترجمة من أصحاب الكتب الستة مع ثبوت روايتهم عنه. وقد اعتمد العلامة مغلطاي في كثير من هذه التعقيبات علي أبي إسحاق الصريفينى وغالبها وهم كما سبق أن أشرنا إليه.

ج) تصويب وإتمام كثير من النصوص التي نقلها المزي بالمعنى أو اضطر إلى الأخذ بالوسائط لعدم الأصل.

د) اهتمام المصنف بالتمييز بين الراوي صاحب الترجمة وما يظن أنه شكل معه. وقد توسع المصنف في هذا الجانب، والكثير منه لا يلزم المزي.

هـ) أنكر المصنف على المزي اهتمامه بذكر أسانيده إلي الرواة المترجمين من قبيل العلو والموافقة والإبدال وغير ذلك وقد وصل

---

(1) إكمال تهذيب الكمال، ج 3، ص 286، ترجمة رقم 1069.

(2) إكمال تهذيب الكمال، ج 3، ص 307، ترجمة رقم 1096.

في إنكاره إلى حد الشطط حيث قال في ترجمة سعيد بن بشر الأنصاري[1] : لقد ضاق ذرعي وسئمت من تكرار هذا القول، ولولا تورطي في هذه العجالة التي أكتبها إلى هذا الموضوع لكنت تركت إتمامها.

وفي موضع آخر في ترجمة زيد بن خارجة بن أبي زهير[2] نظم شعراً حول هذا المعنى يقول فيه :

أبا الحجاج، قد صعد الثريا كلامي إذ نزلتَ إلى الحضيض

بلغتُ به المدى لما تعبنا وصابرت السهاد كما المريض

وجئت بقول أهل العلم طرا وشغلك أنباء السند العريض[3]

وقد جعل المصنف هذا الأمر ديدنه على طول الكتاب مع أن هذا لا يعاب المزي به كما نبّه الحافظ ابن حجر ولكنه لم يحرك ساكناً تجاه هذه التطاولات، ومرّ عليها مرور الكرام فالله يغفر للمصنف ولعلماء المسلمين.

و) الإنكار على المزي محاولة استيعاب شيوخ وتلاميذ الراوي المترجم وأن الإحاطة بهذا الباب متعذرة، وهذا أعظم ما في الكتاب، فمن العجب أن يستنكر عليه، ولا يخفى علي كل مشتغل بالحديث ضرورة هذا الأمر إذ بغيره يتعذر تعيين كثير من رواة الأسانيد كما أنه مفيد سلفاً في معرفة اتصال الأسانيد، بل الكثير من أهل العلم كانوا يودون لو توسع المزي أكثر من هذا، وما قام به المزي يعد عملاً رائعاً يعجز عن القيام به الجمهرة من أهل العلم فجزاه الله خيراً وأجل له الثواب».

هذه أهم المآخذ التي أخذها المصنف علي كتاب المزي وهى كما ترى لا تصلح أن تكون مآخذ.

أما باقي المآخذ، والتي تعرض لها المصنف في مقدمة كتابه كزعمه أن المزي لم يكن دقيقاً في بعض نقوله عن العلماء ونحو ذلك، فهذا لا يسلم منه كتاب ولم ينج منه عالم حتى المصنف نفسه.

(1) إكمال تهذيب الكمال، ج 5، ص 265، ترجمة رقم 1911.

(2) إكمال تهذيب الكمال، ج 5، ص 150، ترجمة رقم 1770.

(3) إكمال تهذيب الكمال، ج 5، ص 153.

4 ـ ابن الملقن (تـ 804)

حياته وآثاره

أبو علي عمر بن أبي الحسن علي النحوي، عرف بالملقن لأنه كان ربيباً للشيخ عيسى المغربي الذي يلقن القرآن العظيم يجامع ابن طولون. توفي والده وهو ابن سنة وترك له مالاً كثيراً، حصل له في بلاد التكرور التي درس فيها بعد خروجه من موطنه الأصلي في الأندلس، ثم استوطن القاهرة في آخر حياته وبها ولد ابنه عمر المدعو ابن الملقن.

نشأ ابن الملقن في بيت زوج أمه ووصيه واجتهد هذا الأخير في تعليمه، فأسمعه في صغره من جماعة منهم أبو القاسم الميدومي، وأبو عبد الله بن السراج. وسمع من متأخري أصحاب الفخر ابن البخاري، ومن أبي بكر بن قاسم الرحبي فلازمه وبه تخرج. كما أخذ الكثير عن الحافظ مغلطاي بن قليج.

وبرع في الفن حتى صار رابع أربعة قال عنهم برهان الدين سبط ابن العجمي إنهم حفظة مصر وهم : البلقيني وهو أحفظهم لأحاديث الأحكام، والعراقي وهو أعلمهم بالصنعة، والهيتمي وهو أحفظهم للأحاديث من حيث هي، وابن الملقن وهو أكثرهم فوائد في الكتابة في الحديث.

ويقول ابن فهد المكي : إن من العجيب أن كلاً منهم ولد قبل الآخر بسنة سوى الهيثمي الذي كان مولده بعدهم بمدة، وتوفي كل منهم قبل الآخر بسنة، فابن الملقن توفي سنة 804هـ، والبلقيني سنة 803هـ، والعراقي 802هـ، والهيتمي سنة 801هـ.

وقد امتاز ابن الملقن بكثرة المصنفات حتى أنها بلغت ثلاثمائة مجلد أكثرها في علوم الحديث، منها :

- "التوضيح لشرح صحيح البخاري" في عشرين مجلداً. ويقال إن أولها أحسن من آخرها، وقد طبع مؤخراً في قطر.
- "المقنع في علوم الحديث"، وقد طبع أخيراً في مكة المكرمة، وهو مختصر على منوال تقريب النووي ومقدمة ابن الصلاح.

وكان له اعتناء خاص بزوائد الأئمة، فشرح زوائد مسلم على البخاري في أربعة أجزاء، وزوائد أبي داود على الصحيحين في مجلدين، وكتب في زوائد الترمذي والنسائي على الثلاثة، وله أيضاً زوائد ابن ماجه على الخمسة.

كما شرح "عمدة الأحكام"، والأربعين النووية.

ومن تآليفه كذلك "البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير للرافعي"[1]. وفي مكتبة الملك عبد العزيز آل سعود بالمدينة المنورة مخطوط بعنوان "المعين على تفهم الأربعين"، بخط المؤلف انتهى من تسويده سنة 759هـ، وأكمل تبيضها 788هـ، وتحمل رقم 1770.

واختصر "تهذيب الكمال"، مع التذييل عليه من رجال ستة كتب، وهي : مسند الإمام أحمد، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، وسنن الدراقطني، وسنن البيهقي.

وصنف أيضاً عدة كتب في الطبقات : مثل طبقات القراء، وطبقات المحدثين، وطبقات الصوفية. ومن تآليفه مجموعة من الكتب تدور حول كتاب "المنهاج" منها : "عجالة المحتاج في شرح المنهاج"، و"تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج"[2]، و"نهاية المحتاج فيما يستدرك على المنهاج".

والملاحظ أن إنتاجه الفخم لم يلق إلى الآن طريقة إلى النشر فيما عدا جزءاً قليلاً منه[3]. وقد طبع له :

1. الكلام على سنة الجماعة، طبع في دلهي بعناية المحدث الشهير شمس الحق العظيم آبادي.
2. طبقات الأولياء، طبع في القاهرة.
3. العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، طبع بالهند.
4. خصائص الرسولﷺ، طبع بالمدينة المنورة.
5. التذكرة في علوم الحديث.

(1) قام بتحقيق أجزاء منه باحثان في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، هما : جمال محمد السيد عبد المجيد وإقبال أحمد محمد إسحاق، وكذلك الباحث حمدي بن عبد المجيد السلفي في الرياض.

(2) تم تحقيقه في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، من طرف عبد الله بن سعاف اللحياني، منشورات دار حراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1406، في جزئين.

(3) انظر ترجمة موسعة لابن الملقن، وذكر طلبه للعلم ومكانته العلمية وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته وأسانيده في ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، ص 197 وما بعدها، وفي مقدمة التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ج 1، ص 195 وما بعدها.

5. شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز الذهبي (847هـ)

حياته وآثاره

لا مبالغة في القول إن الإمام الذهبي كان حافظ الدنيا في عصره، وأن عليه مدار معرفة رجال الحديث، وأنه أتى بما كتب عنهم ما لم يأت به أحد.

إنه العالم الموسوعي، والمؤرخ الناقد البصير، الذي سمع أكثر من ألف شيخ، ولازم أئمة أعلام الصنعة، وله معجم خاص بشيوخه من المحدثين. وقد صارت مصنفاته هي المراجع الأساسية في هذا الفن. وهي ثلاثة أنواع :

منها : الموسوعات الشاملة مثل كتابه في تاريخ الإسلام الذي رتبه على السنين، وقسمه على العشرات من أول الهجرة إلى نهاية القرن السابع. فصار سبعين طبقة يذكر فيها وقائع كل حقبة. ومن موسوعاته "سير أعلام النبلاء"، وهو كتاب حافل يقع في 25 مجلداً[1]، وضمنه تراجم أربعين طبقة من الأعلام. وقد قيل إنه من أواخر ما كتب، ومن أجود ما صنف. ومن هذا النوع أيضاً كتاب في ذكره طبقات الحفاظ، في مجلدين وذيل عليه[2].

وكتاب "طبقات كبار القراء"[3]. وله اختصار تاريخ ابن عساكر.

والنوع الثاني في الرواة، فقد كتب "تجريد أسماء الصحابة". غير أن مؤلفاته المعتمدة في نقد الرجال هي :

- "الكاشف في رجال الستة"[4].
- "تذهيب التهذيب"[5].

---

(1) منشورات مؤسسة الرسالة بتحقيق شعيب الأرنؤط.

(2) منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(3) ويعرف بـ "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار"، طبع طبعات عديدة ومنها طبعة مؤسسة الرسالة في بيروت، عام 1404هـ، بتحقيق الدكتور بشار عواد، وشعيب الأرناؤط، وصالح مهدي عباس.

(4) الكاشف في من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، منشورات دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن بجدة، بعناية ومراجعة محمد عوامة، 1992.

(5) تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للذهبي، تحقيق غنيم عباس غنيم وأيمن سلامة، منشورات الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط 1، 2004.

ـ "ميزان الاعتدال"[1].

ـ "المغني في الضعفاء"[2].

أما النوع الثالث فيتمثل في مجموعة من التراجم المفيدة في صنيع كتب المناقب، منها "توقيف أهل التوفيق على مناقب الصديق"، و"تعمير السمر في ترجمة عمر"، و"التبيان في مناقب عثمان"، و"منح الطالب في أخبار علي بن أبي طالب"، و"هالة البدر في عدد أهل بدر". وكتب عن شعبة بن الحجاج، والحسن البصري، وابن المبارك، وسيرة الحلاج.

ومجمل مصنفاته تشهد بصدق ما قاله عنه الإمام السيوطي، وهو : إن مدار المحدثين في الرجال وغيرها من فنون الحديث يدور على أربعة وهم : المزي والذهبي والعراقي وابن حجر.

ومن محاسن تآليفه أيضاً : "تذكرة الحفاظ" التي تعتبر مرجعاً سهلاً للتعريف بالمحدثين، لأنها أوردت تراجم أئمة الحديث، في شكل متوسط بين الإسهاب والإخلال، مع ذكر وفيات مجموعات كثيرة من الرواة في نهاية كل باب منها.

وقد استكملت هذه "التذكرة" بذيول على صنيعها، كتبها الحسيني[3]، وابن فهد المكي، والإمام السيوطي، المتوفى سنة 911هـ[4].

تحرير أحوال الرواة

ومن طرائف كتب الذهبي في الرجال، مؤلف صغير سماه "تحرير أحوال الرواة المختلف فيهم بما لا يوجب الرد"، وقد أخرجه وعلق عليه الأستاذ عمرو عبد المنعم سليم في دراسة علمية فنية[5].

---

(1) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، منشورات دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى في 7 مجلدات، 1995.

(2) المغني في الضعفاء لشمس الدين الذهبي، تحقيق حازم القاضي وأسامة عبد المجيد، في جزئين، ط 1، دار الكتب العلمية، سنة 1997.

(3) على هامش ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، ص 347 وما بعدها، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(4) على هامش ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، ص 455 وما بعدها، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(5) تحرير أحوال الرواة المختلف فيهم بما لا يوجب الرد (دراسة نقدية لكتاب : من تُكلم فيه وهو موثق) تأليف عمرو عبد المنعم، مكتبة التدمرية، 1426هـ.

ولعل هذا المؤلف يمثل منهج الذهبي في الجرح والتعديل لأنه لا يتناول أخبار الثقات المعروفين، ولا الضعفاء المتروكين، وإنما يسعى إلى الفصل في أمر من قد جرح وهو ثقة، أو من عدّل وهو ضعيف.

ولتوضيح منهجه يقول الذهبي في مقدمة هذا الكتاب : «لقد كتبت في مصنفي "الميزان" عدداً كبيراً من الثقات الذين احتج البخاري ومسلم وغيرهما بهم، لكون الرجل قد دوّن إسمه في مصنفات الجرح، وما أوردتهم لضعف فيهم عندي بل ليُعرف ذلك، ولو فتحنا هذا الباب على نفوسنا لدخل فيه عدة من الصحابة والتابعين والأئمة».

«فبعض الصحابة كفر بعضهم بتأويل مّا، والله يرضى عن الكل ويغفر لهم فما هم بمعصومين، وما اختلافهم ومحاربتهم بالتي تلينهم عندنا أصلاً، ولا بتكفير الخوارج انحطت رواياتهم بل صار كلام الخوارج والشيعة جرماً في الطاعنين. فانظر إلى حكمة ربك، نسألك السلامة».

«وهكذا نرى كثيراً من كلام الأقران، بعضهم في بعض ينبغي أن يطوى ولا يروى، ولا يجعل طعناً، ويعامل الرجل بالعدل والقسط»، ويزيد الذهبي قائلاً : «فأما الصحابة رضي الله عنهم فبساطهم مطوي، وإن جرى ما جرى، وإن غلطوا كما غلط غيرهم من الثقات فما يكاد يسلم أحد من الغلط، لكنه غلط نادر لا يضر أبداً، إذ على عدالتهم وقبول ما نقلوه في العمل وبه ندين الله تعالى».

«وأما التابعون فيكاد يعدم فيهم من يكذب عمداً، ولكن لهم غلط وأوهام فمن ندر غلطه في جنب ما قد حمل واحتمل، ومن تعدد غلطه، وكان من أوعية العلم اغتفر له أيضاً، ونقل حديثه، وعمل به، على تردد بين الأئمة الأثبات في الاحتجاج بمن هذا نعته : كالحارث الأعور، وعاصم بن صخرة، وصالح مولى التوأمة، وعطاء بن السائب، ونحوهم».

«ومن فحش خطؤه، وكثر تفرده لم يحتجّ بحديثه، ولا يكاد يقع ذلك في التابعين الأولين، ويوجد ذلك في صغار التابعين فمن بعدهم».

«أما أصحاب التابعين كمالك، والأوزاعي، وهذا الضرب فعلى المراتب المذكورة، ووجد في عصرهم من يتعمد الكذب أو من كثر غلطه، وغلط تخبطه فترك حديثه».

«هذا مالك النجم الهادي بين الأمة، وما سلم من الكلام فيه، ولو قال قائل عند الاحتجاج بمالك، فقد تكلم فيه لعذر واه. وكذا الأوزاعي : ثقة، حجة، وربما انفرد ووهم، وحديثه عن الزهري فيه شيء ما».

«وقد قال فيه أحمد بن حنبل : رأي ضعيف، وحديثه ضعيف وقد يكلف لمعنى هذا اللفظ، وكذلك من لا يفهم في الزهري لكونه خضب بالسواد، ولبس زي الجند وخدم عند هشام بن عبد الملك، وهذا باب واسع، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث، والمؤمن إذا رجحت حسناته وقلت سيئاته فهو من المفلحين هذا إن لو كان ما قيل في الثقة الرضي مؤثرا فكيف وهو لا تأثير له».

«فمنهم فضيل بن عياض ثقة بلا نزاع سيد، قال أحمد بن أبي خيثمة، سمعت قطبة بن العلاء يقول : تركت حديث فضيل بن عياض لأنه روى أحاديث أزرى فيها على عثمان بن عفان رضي الله عنه».

«وحدثنا عبد الصمد بن يزيد الصانع، قال : ذكر عند الفضيل وأنا أسمع، أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : اتبعوا قد كفيتم أبا بكر وعمر وعثمان وعليا رضي الله عنهم، قلت : لا يُقبل قول قطبة، ومن هو قطبة حتى يسمع قوله واجتهاده في الفضيل، روى ما سمع ولم يقصد غضا ولا أزرى على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ففعل ما يسوغ، أفبمثل هذا يقول تركت حديثه فهو كما قيل : رمتني بدائها وانسلت، وقطبة قد قال البخاري : فيه نظر، وضعفه النسائي وغيره».

«وأما الفضيل فإتقانه وثقته لا حجة لذكر أقوال من أثنى عليه، فإنه رأس في العلم والعمل رحمه الله».

«ومحمد بن إدريس الإمام الشافعي ممن سارت الركائب بفضائله ومعارفه، وثقته، وأمانته، فهو حافظ متثبت نادر الغلط، حتى إن أبا زرعة قال : ما عند الشافعي حديث غلط فيه، وقال : ما أعلم للشافعي حديثا خطأ».

«وقال أبو عمر بن عبد البر : وروينا عن محمد بن وضاح، قال : سألت يحيى بن معين عن الشافعي، فقال : ليس بثقة، ثم قال : ـ يعني ابن عبد البر ـ ابن وضاح ليس بثقة، قال ابن عبد البر أيضا : قد صح من طريق عن ابن معين أنه يتكلم في الشافعي، قلت : قد آذى ابن معين نفسه بذلك، ولم يلتفت الناس إلى كلامه في الشافعي، ولايلتفت إلى كلامه في جماعة من الأثبات، كما لم يلتفتوا إلى توثيقه لبعض الناس».

«فإنا نقبل قوله دائماً في الجرح والتعديل (يعني ابن معين) ونقدمه على كثير من الحفاظ ما لم يخالف الجمهور في اجتهاده، فإذا انفرد بتوثيق من لينه الجمهور أو بتضعيف من وثقه الجمهور وقبلوه فالحكم لعموم أقوال الأئمة، لا لمن شذّ، فإن أبا زكريا من أحد أئمة هذا الشأن وكلامه كثير إلى الغاية في الرجال، وغالبه صواب وجيد، وقد ينفرد بالكلام في بعض الرجال فيلوح خطأه في اجتهاده بما قلنا، فإنه بشر من

البشر وليس بمعصوم، بل هو في نفسه يوثق الشيخ تارة، ويلينه تارة، يختلف اجتهاده في الرجل الواحد فيجيب السائل بحسب ما اجتهد من القول في ذلك الوقت».

قال المؤلف : «وكلامه، يعني ابن معين في الشافعي ليس من هذا اللفظ الذي كان عن اجتهاد، وإنما هذا من فلتات اللسان بالهوى والعصبية، فإن ابن معين كان من الحنفية الغلاة في مذهبه وإن كان محدثاً، وكان قول الحافظ أبي حامد بن شرقي كان يحيى بن معين وأبو عبيد يسيئان الرأي في الشافعي، قصد والله ابن الشرقي أساءا في ذاتهما في عالم زمانه وكذا قول أحمد بن عبد الله في الإمام أبي عبد الله : هو ثقة صاحب رأي ليس عنده حديث، وكان يتشيع، فكان العجلي يوهم في الإمام أبي عبد الله التشيع لقوله :

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي.

وكذا تكلم فيه بالتشيع بعض أعدائه من كبار المالكية لموافقته في مسائل فرعية أصابوا فيها، ولم يبدوا بها كالجهر بالبسملة والقنوت في الصبح، والتختم في اليمين، وهذا قلة ورع وتسرع إلى الكلام في الإمام، فالشافعي رحمه الله أبعد من التشيع، كيف وهو القائل فيما ثبت عنه : الخلفاء الراشدون خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز، فشيعي يقول هذا قط ؟».

«وقد صنف الخطيب الحافظ مسألة الاحتجاج بالشافعي فشفى وكفى، فقول العجلي : ليس عنده حديث قول من لا يدري ما يقول في حق الإمام أبي عبد الله، وما عرفه العجلي ولا جالسه، فالشافعي من أجل أصحاب الحديث رحل فيه، وكتب بمكة، والمدينة، والعراق، واليمن، ومصر، ولقب ببغداد : ناصر الحديث، وهو قلما يوجد له حديث غلط فيه، والله حسيب من يتكلم بجهل أو هوى فإن السكوت يسع الشخص».

«نعم، لم يكن الشافعي رحمه الله في الحديث كيحيى القطان، وابن مهدي، وأحمد ابن حنبل، بل ما هو في الحديث بدون الأوزاعي، ولا مالك، وهو في الحديث ورجاله وعلله فوق ابن مسهر، وأبي يوسف القاضي وعبد الرحمن بن القاسم وإسحاق بن الفرات، وأشهب وأمثالهم فرحم الله الجميع».

أمثلة من صنيعه في هذا الكتاب

يقول مثلاً : «عن **أبان بن تغلب وعدي بن ثابت** : أبان صدوق مشهور، روى له مسلم ولم يخرج له البخاري. أحد الأئمة، معروف، سمع من عكرمة، وعدي بن ثابت أوثق منه».

ذكره الذهبي هنا لأن الجوزجاني قال عنه : مذموم المذهب، مجاهر، زائغ، وهو تحامل لما عرف عن الجوزجاني من الطعن في الكوفيين، وقد علق عليه ابن حجر في التهذيب بقوله : فلا عبرة بحطه على الكوفيين، فإذا كان أبان موصوفاً بالتشيع فإن الجوزجاني معروف بالنصب.

أما **عدي بن ثابت** فقال فيه : روى السلمي عن الدارقطني أنه رافضي عال، وروى البرقاني أنه ثقة، وقد وثقه أحمد والنسائي وأبو حاتم.

إسماعيل بن زكريا الخلقاني : فيقول الذهبي عنه : ثقة، وهو شيعي يقال عنه في الغلو كلام لا يصدر عن مسلم. وقد اختلف قول ابن معين فيه، فقواه مرة، وضعفه أخرى، وقال أحمد : مقارب الحديث.

وقد رد الذهبي في الميزان كلام العقيلي الذي نسب إليه قوله : هو الأول والآخر، علي بن أبي طالب.

إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي السدي، روى عن أنس ورأى أبا هريرة، وثقه بعضهم. وقال أبو حاتم لا يحتج بقوله. وقال أبو زرعة : ليّن، أخرج له الجماعة، والإمام مسلم متابعة. وقد وثقه أحمد، وقال النسائي إنه صالح الحديث، وقال عنه ابن عدي إنه مستقيم، الحديث عنده صالح لا بأس به. أما الجوزجاني فقد تجاوز الحد فيه كما هي عادته في كل من ينتسب إلى الشيعة، وقال : إنه كذاب شتام، وهو تحامل منه مرده ما عرف عنه من النصب.

جعفر بن زياد الأحمر : صدوق شيعي، قال ابن حبان : من الثقات. تفرد بأشياء في القلب منها، وقواه غيره.

جعفر بن سليمان الضبعي : شيعي صدوق، ضعفه القطان، ووثقه ابن معين، وقد وثقه ابن المديني، وقيل إنه روى مناكير الآفة فيها من غيره.

جعفر بن محمد : الإمام جعفر الصادق، يقول الذهبي عنه : ثقة، قال القطان في نفسي منه شيء، مجاهد أحب إلي منه، ووثقه ابن معين وأبو حاتم، ولم يحتج به البخاري، روى له مسلم والجماعة، قال أبو حاتم : لا يسأل عن مثله.

الحسن بن صالح بن حي : الفقيه، ثقة شيعي، يرى السيف، قال ابن عدي : لم أر له حديثا منكرا مجاوزا المقدار، وعرف بقوله بالخروج على أئمة الجور.

خالد بن مخلد القطواني : شيخ البخاري، شيعي صدوق، وقال الإمام أحاديثه مناكير، وساق ابن عدي عشرة منها.

من أخرج له البخاري من المتكلم فيهم

1. **أسيد بن زيد الجمال** : حدث عنه البخاري مقروناً، كذبه ابن معين، قال ابن معين : كذاب أتيته ببغداد فسمعته يحدث بأحاديث كذب. وقال النسائي : متروك، وقال ابن حبان : يروي عن الثقات المناكير ويسرق الحديث قال الذهبي عن ابن حبان في كتاب (″الميزان″ 274/1) : ابن حبان ربما قصّب الثقة حتى كان لا يدري ما يخرج من رأسه.
2. **بهز بن حكيم** : رواية عن أبيه عن جده اعتبرت شاذة، واشتهر قول الشافعي فيه : من أنت، ومن أبوك ؟ ويقول الذهبي إنه صدوق مشهور، وثقه غير واحد، ولينه بعضهم، وقال ابن عدي لم أر له حديثاً منكراً.
3. **ثور بن يزيد الحمصي** : قال الذهبي إنه حافظ ثابت، إلا أنه قدري قح، ولذلك تركه مسلم.
4. **الجراح بن مليح، والد وكيع** : قال الذهبي صدوق، لينه بعضهم، وقال الدارقطني : ليس بشيء، كثير الوهم.
5. **الجراح بن مليح النهراني** : قال أبو حاتم صالح الحديث.
6. **جميل بن مرة البصري** : قال الذهبي، تابعي صدوق مشهور، قال ابن خراش في حديثة نكر.
7. **حريز بن عثمان الرحبي** : قال الذهبي : ثقة متين، تكلم فيه لنصبه.
8. **عبد الله بن شقيق العقيلي** : صدوق فيه نصب، كان سليمان التيمي سيء الرأي فيه.
9. **شبابة بن سوار المدائني** : قال الذهبي إنه ثقة، وقال الإمام أحمد إنه كان داعية للإرجاء.
10. **عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد المكي** : ثقة مرجئ داعية، غمزه ابن حبان. من أثبت الناس في ابن جريج.
11. **عاصم بن علي الواسطي** : شيخ البخاري، قال ابن معين : لا شيء، وذكر له ابن عدي مناكير. قال ابن معين : كل عاصم في الدنيا ضعيف.
12. **عبد الرحمن بن جعفر المخرمي** : قال ابن معين : صويلح.
13. **عبد الله بن عمر العمري** : قال ابن معين صويلح.

14. **عبد الله بن نافع الصائغ**، صاحب مالك، قال أحمد : لم يكن بالحديث بذاك.

15. **عبد العزيز بن عبد الله الأويسي**، شيخ البخاري، ضعفه أبو داود.

كتاب "الكاشف"[1]

يقول الذهبي في مقدمة هذا الكتاب : «هذا مختصر نافع في رجال الكتب الستة : الصحيحين والسنن الأربعة، مقتضب من "تهذيب الكمال" لشيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي، اقتصرت فيه على ذكر من له رواية في الكتب دون باقي تلك التواليف التي في "التهذيب"، ودون من ذكر للتمييز أو كرر للتنبيه»[2].

وجاء في آخر نسخة التيمورية وهي بخط الذهبي : إنه فرغ من اختصاره بعد العصر من يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة 720هـ. ذكره الصفدى والسبكي والزركشي والعيني وسبط ابن حجر والسخاوي.

وقد مر بنا أن الإمام الذهبي اختصر "التهذيب" في كتابه "التذهيب"، وذكر الصفدي والسبكي وابن تغري بردي وابن العماد أن الذهبي اختصر كتاب "الكاشف" من "التذهيب"، وهو وَهْم منهم، حيث صرح الذهبي في مقدمته أنه اختصره من الأصل، أعني من "تهذيب الكمال"، فضلاً عن أن كتاب "الكاشف" اقتصر على رجال الكتب الستة في حين كان "التهذيب" كأصله قد شمل رجال الكتب الستة وغيرها من التواليف.

احتل كتاب "الكاشف" مكانة مميزة بين كتب الذهبي، على الرغم أنه جاء في نحو عشر الكتاب الأصلي بحيث قال فيه التاج السبكي: إنه مجلد نفيس قد وجدنا العلماء يعنون به، بل أشار الحافظ ابن حجر في مقدمة "تذهيب التهذيب" إلى أن الناس صاروا يعتمدون "الكاشف" في هذا الفن.

ونتيجة لأهمية كتاب "الكاشف" فقد ذيّل عليه واحد من كبار العلماء هو أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي، وذكر تقي الدين بن فهد هذا الذيل، كما أن لإبراهيم ابن محمد بن خليل الطرابلسي ثم الحلبي المعروف بسبط ابن العجمي المتوفى سنة

---

(1) الكاشف في من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، منشورات دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن بجدة، بعناية ومراجعة محمد عوامة، 1992، والكتاب مطبوع أيضا بتحقيق وتعليق عزت علي عيد عطية وموسى محمد علي البوشي، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، في 3 أجزاء.

(2) مقدمة الكتاب.

(841هـ) حواشي عليه، واعتمد على "الكاشف" كثيراً شرف الدين الحسين بن محمد عبد الله الطيبي المتوفى سنة (816هـ) حينما ألف كتابه في "أسماء الرجال".

وهذا باختصار كبير أقل ما يقال عن هذا الإمام الفذ الذي صار معلمة في علم الحديث، ومرجعاً لا غنى عنه في معرفة الرواية والرواة. ومن أصدق ما قيل فيه قول تاج الدين السبكي في رثائه :

من للحديث وللسارين في الطلب	من بعد موت الإمام الحافظ الذهبي
من للرواية للأخبار ينشرها	بين البرية من عجم ومن عرب
من للدراية والآثار يحفظها	بالنقد من وضع أهل الغي والكذب
من للصناعة يدري حل معضلها	حتى يريك جلاء الشك والريب

6. ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)

أ) حياته

شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الشافعي العسقلاني، إمام المحدثين في عصره، ومرجع الباحثين في كافة علوم الحديث.

كثيرة هي الشواهد التي تثبت مكانة هذا الرجل في هذا الفن، منها ما حباه الله من ذكاء وحفظ، وما بذل من جهد في تحصيل العلم على علية الشيوخ، ومنها ما تركه من آثار شملت أنواع هذا العلم.

فقد عرف أنه حفظ في صغره بعد القرآن الكريم "عمدة الأحكام" لعبد الغني المقدسي، وكتاب "الحاوي" للإمام القزويني، و"مختصر" ابن الحاجب الأصلي. كما اشتهر أنه أخذ عن أكثر من ستمائة شيخ، بيّنها في "المجمع المؤسس للمعجم المفهرس"، لكنه لازم الإمام زين الدين العراقي عشر سنين، وتتلمذ على إبراهيم بن التنوخي البعلي وسراج الدين البلقيني وابن الملقن وعز الدين بن سماحة.

ب) تلاميذه

تذكر المصادر أن عدد تلاميذه قد بلغ خمسمائة، وهذا ليس من الغريب على عالم موسوعي تصدر إمامة الحديث في عصره، ونبغ في جميع فنونه، واشتهر من بين هؤلاء التلاميذ أئمة أفذاذ حملوا مشعله بعد وفاته، فكان منهم محمد بن عبد الرحمن السخاوي، صاحب "الضوء اللامع"، والشيخ زكريا الأنصاري، صاحب التصانيف المشهورة، وشهاب الدين الحجازي مؤلف "قلائد النحور في جواهر البحور"، والقاضي إبراهيم بن ظهيرة، وشهاب الدين أبي الفتح الكرماني.

ولقد حملت شهرة ابن حجر وصحة أسانيده جموع المحدثين من بعده أن يحرصوا على الاتصال بالأسانيد العالية، ومن هذه الأسانيد ما هو مسلسل بالحفاظ، ومنها ما هو ما روعي فيه العدد في الأخذ من المعمّرين.

فمن القسم الأول من الأسانيد العالية سنده عن شيخه العراقي إلى أبي هريرة، وقد تسلسل بالحفاظ.

وأورده تلميذه السخاوي في كتاب "الجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر"[1]، قائلاً إن كل واحد منها ما رأى أحفظ من شيخه، وأورد هذا السند على النحو التالي : أبو الفضل زين الدين العراقي، عن أبي الفضل العلاني، عن أبي الحجاج المزي، عن الدمياطي، عن المنذري، مؤلف كتاب "الترغيب والترهيب"، عن أبي الفضل المقدسي، عن عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، مؤلف "عمدة الحكام"، عن أبي موسى المديني، عن إسماعيل التميمي، عن الحميدي الأندلسي، صاحب "الجمع بين الصحيحين، عن الخطيب البغدادي، عن أبي نعيم الأصبهاني، صاحب "الحلية"، عن أبي إسحاق إبراهيم بن حمزة، عن أبي جعفر أحمد بن يحيى بن زهير التستري، عن أبي زرعة الرازي، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع ابن الجراح، عن سفيان الثوري، عن أبي عبد الله الإمام مالك بن أنس المدني، عن محمد بن مسلم الزهري، عن سعيد بن المسيب المخزومي، عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي.

سند المعمرين

ومن بين هذه الأسانيد، ما عرف في المغرب عن طريق المنجور، عن نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي عن الشيخ زكرياء. أو عن أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي والروداني واليوسي عن محمد بن سعيد المرغيني عن عبد الله بن طاهر عن الشمس العلقمي عن الشيخ زكريا، ومنها ما كان عن طريق صالح الفلاني عن محمد بن سنة الفلاني عن مولاي الشريف الولاتي عن محمد بن أركماش الحنفي عن ابن حجر.

ومن أغرب هذه الأسانيد ما ذكره الشيخ محمد عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس وهو السند المتصل بالبرهان اللقاني والنور على الزيادي، كلاهما عن المعمر محمد الوسمي المصري الشافعي، وهو عن ابن حجر وتوفي الوسمي سنة 1006هـ، أي بعد وفاة ابن حجر بأكثر من مائة وخمسين سنة. وأغرب من ذلك ما ذكر في سند له عن أحمد الشريف بن محمد الشريف بن الأستاذ محمد بن علي السنوسي الخطابي الطرابلسي عن جده هذا عن معمر اسمه عبد العزيز، نزيل أرض الحبشة، عاش أزيد من خمسمائة سنة. وأن هذا المعمر قد توفي 1276هـ، وأنه أخذ عن ابن حجر، أي بعد وفاة ابن حجر بأكثر من أربعمائة سنة. وزاد الشيخ محمد عبد الحي الكتاني قائلاً : ولعل هذا الحبشي هو المذكور في كتاب "الطارف والتالد على أسئلة الناصري أحمد بن

---

(1) الجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر للحافظ السخاوي، تحقيق إبراهيم باجس، دار ابن حزم، ط 1، 1419هـ/1999م.

خالد" للعلامة الأديب المؤرخ الجوال محمد الأمين الصحراوي الشنقيطي المراكشي، الذي يقول: «حدثني العلامة الصوفي سيدي الحاج بن سوده ونحن بدكالة عام 1284هـ أنه رأى أيام موسم الحج بمكة رجلاً جاء من الحبشة وله من العمر نحو ستمائة سنة، وكان أخبرني بهذا الرجل بعض الحجاج قبله، الذين ذهبوا إلى بلاد شنقيط، ورأى أنه تسقط أسنانه بمدة وتنبت في موضعها أسنان أخرى».

«ومن الصعب أن لا نعتبر هذه الحكايات وما أشبهها من أخبار رتن الهندي، من قبيل المستحيل عقلاً وعادة، ولله في عباده شؤون».

ومن أشهر كتبه "فتح الباري في شرح صحيح البخاري"[1]، وهو الكتاب التي تلقته الأمة بالقبول والرضا، ومما يقال في شأنه: ما روى عن الإمام الشوكاني لما سئل أن يعمل شرحاً على كتاب البخاري أجاب بقوله: "لا هجرة بعد الفتح"، وقد وضع ابن حجر لشرحه هذا مقدمة حافلة، قد تعتبر كتاباً مستقلاً، وسماها "هدي الساري إلى صحيح البخاري"[2]. وقد بسط القول فيها من خصائص هذا الكتاب، فاستعرض أبوابها وقام بتحليل مواضيعه وبيان مصطلحه، وأفاض في رواته، فذكر كلام النقاد فيهم، وأجاب على التساؤلات حول من تكلم فيه منهم.

وقد خصص أيضاً كتاباً مستقلاً لمسائل التعليق الواردة في صحيح البخاري، وهو مصنف يقع في خمسة أجزاء بعنوان "تعليق التعليق"[3].

كتاب "إتحاف المهرة بأطراف العشرة"

لقد اهتم ابن حجر بجمع الأحاديث على طريق الأطراف التي اعتمدها أبو مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي وأبو محمد خلف بن علي بن حمدون الواسطي، وكلاهما توفي سنة 401هـ، وهي التي تتوخى الاقتصار على ذكر طرف من الحديث الدال على بقيته.

ومن الكتب التي ألفها في هذا الموضوع "تسديد القوس في أطراف مسند الفردوس"، وكتاب "أطراف الصحيحين على الأبواب والمسانيد في الأجزاء بأطراف

---

(1) طبع الكتاب طبعات عديدة منها طبعة دار الفكر بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي وعناية عبد العزيز بن بار.

(2) مقدمة الفتح، دار الفكر بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

(3) صدر الكتاب عن المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، الأردن، بتحقيق سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، في 5 أجزاء، الطبعة الأولى، 1405.

الأجزاء"، و"الفوائد المحموعة بأطراف الأجزاء المسموعة". لكن من أهم ما ألفه في هذه الكتاب، كتاب "إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة" وقد جمع أطراف أحاديث موطإ مالك، ومسند الإمام الشافعي، ومسند الإمام أحمد، وصحيح ابن خزيمة، ومسند الدارمي، وصحيح ابن حبان، ومنتقى ابن الجارود، ومستخرج أبي عوانة، ومستدرك الحاكم، وشرح "معاني الآثار" للطحاوي، وسنن الدارقطني.

وقد زاد العدد واحداً على العشرة لأن صحيح ابن خزيمة لم يرد منه إلا نحو ربعه، وقد أفرد من أطراف مسند الإمام أحمد في كتاب سماه "إطراف المسنِد المعتلي بأطراف المسند الحنبلي". ومن كتبه في الأطراف كتاب "النكت الظراف على الأطراف"، وكتاب "الاعتراف بأوهام الأطراف". وبهذا يكون ابن حجر قد جمع أطراف أهم متون الحديث من جميع أطرافها[1].

ومن الكتب التي صنفها مجموعة من البحوث المفردة للأحاديث المشتهرة، وبيان طرقها، وهو صنيع توبع عليه من قبل مدرسة الحديث في المغرب، إذ اتبع طريقه في هذا المنوال المحدثون الكتانيون والصديقيون.

ومن الأحاديث التي تناولها في هذا الصنيع، طرق حديث صلاة التسبيح، وحديث تشبيه الصلوات الخمس بالنهر الذي يغتسل فيه المرء خمس مرات في اليوم، وحديث أجر الصلاة على الجنازة، وحديث جمل جابر الذي اشترى من النبيﷺ، وحديث الدعاء لمن بلّغ عنهﷺ، وحديث القضاة ثلاثة، وحديث الأئمة من قريش، والمسح على الخفين، وماء زمزم لما شرب له، وحجاج موسى وآدم، وحديث من كذب عليّ متعمداً.

ومن المواضيع التي اهتم بها تخريج الأحاديث الواردة في عدة مدونات علمية منها تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة للبغوي، وسماه بـ "هداية الرواة"، وتخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب، وألف كتاب "التمييز في تخريج أحاديث شرح الوجيز"، و"الشافي في تخريج أحاديث الكشاف" للزمخشري.

وله أيضاً مجموعة من التعاليق، عنون أكثرها بالنكت، منها: نكتة على شرح ألفية العراقي، ونكت على شرح النووي لصحيح مسلم، ونكت على شرح "العمدة" لابن الملقن. ومن أشهر كتبه في النكت تعاليقه على "مقدمة" ابن الصلاح[2].

(1) انظر ذكر هذه المؤلفات وغيرها من تآليف ابن حجر في الأعلام للزركلي، ج 1، ص 178 وما بعدها.

(2) النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر العسقلاني، ج 1، ص 220، ط 1 سنة 1994، تحقيق مسعود عبد الحميد السعدني، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت.

كتابه "لسان الميزان"[1]

سبب تأليفه :

قال ابن حجر : «ثم إن من بعد الصحابة تلقوا ذلك منهم، وبذلوا أنفسهم في حفظه وتبليغه، وكذلك من بعدهم إلا أنه دخل فيمن بعد الصحابة في كل عصر قوم ممن ليست لهم أهلية ذلك، وتبليغه فأخطؤوا فيما تحملوا ونقلوا، ومنهم من تعمد ذلك. فدخلت الآفة فيه من ذلك الوجه، فأقام الله طائفة كثيرة من هذه الأمة للذب عن سنة رسول الله، ﷺ فتكلموا في الرواة قصد النصيحة، ولم يعد ذلك من الغيبة المذمومة، بل كان ذلك واجباً عليهم وجوب كفاية»[2].

وقال إنه وقف على كتاب "الميزان" للذهبي، وأراد نسخه وحذف ما أخرج له الستة، وكتب ما ليس في "تهذيب الكمال"، وبين هذه الزيادات بحرف (ز)، واطلع على ذيل للحافظ أبي الفضل ابن الحسين، فأورده برمز (ذ)[3].

وقال إنه بسط فيه إيضاح نقلة العلم النبوي وحملة الآثار، وأنه ألفه بعد كتابه المنعوت بـ "المغني"، وزاد فيه اعتماداً على "ذيل الكامل" لابن عدي. ولعله يعني كتاب ابن الرومية.

ويقول : «وأول من تكلم في الجرح والتعديل يحيى بن سعيد القطان، وتلاميذه : يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وابن حنبل، وعمر بن علي الفلاس، وأبو خيثمة، وتلاميذهم مثل أبي زرعة، وأبي حاتم، والبخاري ومسلم، وأبي إسحاق الجوزجاني السعدي. وبعدهم النسائي وابن خزيمة، والدولابي والعقيلي، ثم أبو حاتم بن حبان، وأحمد بن عدي، وكتابه "الكامل" هو أكملها وأجلها، وكتاب أبي الفتح الأزدي، و"الضعفاء" للدارقطني والحاكم[4].

ثم ذكر أن كتابه هذا احتوى على جميع أصناف الرواة من الوضاعين إلى الثقات الأثبات، واستطرد اصطلاحات الجرح والتعديل المعروفة، فمن ذلك قوله : «قال ابن أبي

---

(1) لسان الميزان لابن حجر، تحقيق العلامة عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2002م.

(2) نفسه، ج 1، ص 191.

(3) نفسه، ج 1، ص 191.

(4) نفسه، ج 1، ص 196.

خيثمة قلت لابن معين أنت تقول فلان لا بأس به، وفلان ضعيف، قال : إذا قلت لا بأس به فهو ثقة، وإذا قلت هو ضعيف، فليس هو بثقة ولا يكتب حديثه»[1].

قال أبو مصعب الزهري : سمعت مالكاً يقول : لا تحملوا العلم عن أهل البدع كلهم، ولا عمن لم يعرف بالطلب ومجالسة أهل العلم، ولا تحملوا العلم ممن يكذب في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان في حديث الناس صادقاً، لأن الحديث والعلم إذا سمع من الرجل فقد جعل بين الذي سمعه وبين الله فلينظر من يأخذ عنه دينه[2].

ولا يعتبر الجرح ممن عرفت عداوته، أو سوء علاقته مع من تناوله بالجرح، فقد كان أبو إسحاق الجرجاني مشهوراً بالنصب، ولذلك كان شديداً على أهل الكوفة لتشيعهم حتى طعن في الأعمش وأبي نعيم وعبيد الله. ومثله الحافظ عبد الرحمن بن يوسف بن خراش المنسوب إلى الرفض، وطعن في أهل الشام عموماً. ومما يقع بين المعاصرين ما كان بين ابن منده وأبي نعيم. قال ابن معين: لست أعجب ممن يحدث فيخطئ، إنما أعجب ممن يحدث فينصب.

ثم ذكر أن الرواية من أحد لا تدل قطعاً على التوثيق غير أن الأئمة اعتادوا أن يبينوا ضعف من رووا عنه مثل قول الشعبي : حدثنا الحرث، وكان كذاباً، وقول الثوري : حدثنا ثوير بن أبي فاكتة وكان من أركان الكذب، وقول أحمد بن ملاعب : حدثنا مخول ابن إبراهيم وكان رافضياً[3].

نماذج من تراجمه

- **البزار : أحمد بن عمرو بن عبد الخالق** (ت 292هـ). قال عنه أبو أحمد الحاكم : «يخطئ في الإسناد والمتن، كان يحدث في مصر من حفظه، جرحه النسائي، وهو ثقة. وله زيادات منكرة».

  روى عنه من أهل أصبهان : أبو الشيخ، والعسال، وأبو القاسم الطبراني. ومن أهل مصر : أبو بكر المهندس، والحسن بن رشيق. ومن أهل بغداد : ابن قانع، وابن سلام، وابن نجيح[4].

---

(1) نفسه، ج 1، ص 197.

(2) نفسه، ج 1، ص 206.

(3) نفسه، ج 1، ص 210.

(4) نفسه، ج 1، ص 563.

- **أحمد بن محمد بن داود الصنعاني :** أتى بخبر لا يحتمل، رواه إسماعيل بن أبي أويس، قال : أخبرني أفلح بن كثير، حدثنا ابن جرير عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال : نزل جبريل إلى النبيﷺ بهذا الدعاء، وهو يا من أظهر الجميل، إلخ[1].
- **أحمد بن محمد بن غالب الباهلي**، غلام خليل. قال ابن عدي : قلت لغلام خليل : ما هذه الرقائق التي تحدث بها ؟ قال : وضعناها لنرقق بها قلوب العامة[2].
- **أحمد بن يعقوب بن عبد الجبار** بن مقاطر بن مصعب بن سعيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان (763هـ)، روى حديثا في البطيخ عن الزهري. قال الحاكم إنه كان ممن يضع الحديث[3].
- **أحمد بن يوسف المنبجي :** روى أبو نعيم في "أماليه" : حدثنا عنه عن أبي هريرة مرفوعا : خلقني الله من نوره، وخلق أبا بكر من نوري، وخلق عمر من نور أبي بكر، وخلق عثمان من نور عمر، وعمر سراج أهل الجنة، قال أبو نعيم : هذا باطل، وأورد له ابن عبد البر في التمهيد : حدثنا من رواية عثمان بن محمد بن عثمان البغدادي عنه عن حاجب بن سليمان عن وكيع عن مالك عن سمي بن أبي صالح عن أبي هريرة، قال : قال رسول اللهﷺ : لو يعلم الناس ما للمسافر لأصبحوا على ظهر سفر، إن الله لينظر إلى المغرب كل يوم مرتين، قال بعده هذا حديث غريب لا أصل له[4].

ومن طرائف ابن حجر الجمة، إيراده للأحاديث التي رواها الصحابة عن التابعين، في مؤلف سماه "**نزهة السامعين في رواية الصحابة عن التابعين**"، نورد منه الأحاديث التالية :

كتاب : ذكر رواية الصحابة عن التابعين، ومنها :

1. حديث سهل بن سعد عن مروان ابن الحكم عن زيد بن ثابت : أن النبيﷺ أملى عليه «لا يستوي القاعدون من المؤمنين»، فجاء ابن أم مكتوم، الحديث رواه البخاري والنسائي والترمذي وقال : حسن صحيح.

---

(1) نفسه، ج 1، ص 602.

(2) نفسه، ج 1، ص 617.

(3) نفسه، ج 1، ص 698.

(4) نفسه، ج 1، ص 702.

2. حديث السائب بن يزيد عن عبد الرحمن بن عبد القاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبيﷺ، قال: من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر إلى صلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل. رواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة.

3. حديث جابر بن عبد الله عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق عن عائشة رضي الله عنهم: أن رجلاً سأل النبيﷺ عن الرجل يجامع ثم يكسل هل عليهما من غسل؟ وعائشة جالسة، فقال إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل، أخرجه مسلم.

4. حديث عمرو بن الحرث المصطلقي عن ابن أخي زينب امرأة عبد الله بن مسعود عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: خطبنا رسول اللهﷺ، فقال: «يا معشر النساء تصدقن من حليكن فإنكن أكثر أهل جهنم يوم القيامة»، رواه الترمذي والنسائي والحديث متفق عليه من غير ذكر ابن أخي زينب جعلاه من رواية عمر بن الحارث عن زينب نفسها والله أعلم.

5. حديث يعلى بن أمية عن عنبسة بن أبي سفيان عن أخته أم حبيبة عن النبيﷺ قال: من صلى اثنتي عشرة ركعة بالنهار أو بالليل بني له بيت في الجنة. رواه النسائي[1].

6. حديث عبد الله بن عمر عن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق عن عائشة قالت: قال رسول اللهﷺ: ألم تر أن قومك حين بنوا الكعبة قصروا عن قواعد إبراهيم. الحديث رواه الخطيب في كتاب رواية الصحابة عن التابعين بإسناد صحيح، والحديث متفق عليه من طريق مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن محمد بن أبي بكر أخبر عبد الله بن عمر عن عائشة بذلك فجعله من رواية سالم عن عبد الله بن محمد وهذا يشهد لصحة طريق الخطيب أن ابن عمر سمعه من عبد الله ابن محمد عن عائشة والله أعلم.

7. حديث ابن عمر عن صفية بنت أبي عبيد عن عائشة: أن رسول اللهﷺ رخص للنساء في الخفين عند الإحرام، رواه الخطيب في الكتاب المذكور، والحديث عند أبي داود من طريق ابن اسحق قال ذكرت لابن شهاب فقال: حدثني سالم أن عبد الله كان يصنع ذلك يعني قطع الخفين للمرأة المحرمة، ثم حدثته صفية بنت أبي عبيد أن عائشة حدثتها أن رسول اللهﷺ قد كان رخص للنساء في الخفين فترك ذلك[2].

---

(1) رواه النسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار.

(2) رواه أبو داود في سننه، كتاب المناسك.

8. وحديث جابر بن عبد الله عن أبي عمرو مولى عائشة واسمه ذكوان عن عائشة أن : النبي صلى الله عليه وسلم كان يكون جنباً فيريد الرقاد فيتوضأ وضوءه للصلاة ثم يرقد. رواه أحمد في مسنده[1] وفي إسناده ابن لهيعة.

9. حديث ابن عباس قال: أتى علي زمان وأنا أقول أولاد المسلمين مع المسلمين وأولاد المشركين مع المشركين حتى حدثني فلان عن فلان : أن رسول الله ﷺ سئل عنهم، فقال الله أعلم بما كانوا عاملين، قال : فلقيت الرجل فأخبرني فأمسكت عن قولي. رواه أحمد في مسنده[2] وأبو داود الطيالسي أيضاً في مسنده وإسناده صحيح، والذي رواه عن الطيالسي هو يونس بن حبيب الصحابي المذكور في هذا الحديث هو أبي بن كعب، وكذا قال الخطيب وترجم له في رواية الصحابة عن التابعين عبد الله بن عباس عن صاحب لأبي بن كعب.

10. حديث ابن عمر عن أسماء بنت زيد بن الخطاب عن عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء لكل صلاة طاهراً أو غير طاهر، فلما شق ذلك عليهم أمر بالسواك لكل صلاة[3]. رواه أبو داود من طريق محمد بن إسحق عن محمد بن يحيى بن حبان عن عبد الله بن عبد الله بن عمر.

11. حديث سليمان بن صرد عن نافع عن جبير بن مطعم عن أبيه قال : «تذاكروا غسل الجنابة عند النبي ﷺ فقال : أما أنا فأفيض على رأسي ثلاثاً»[4]. الحديث. رواه الخطيب وهو متفق عليه. من رواية سلميان عن جبير عن أنس.

12. حديث أبي الطفيل عن بكر بن قرواش عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ : شيطان الردهة يحذره رحل من بجيلة. الحديث رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، قال صاحب الميزان بكر بن قرواش لا يعرف، والحديث منكر.

13. حديث أبي هريرة عن أم عبد الله ابن أبي ذئاب عن أم سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما ابتلى الله عبداً ببلاء وهو على طريقة يكرهها إلا جعل الله ذلك البلاء كفارة له. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات.

14. حديث ابن عمر عن صفية بنت أبي عبيد عن حفصة عن النبي صلى الله عليه وسلم : «من لم يجمع الصوم قبل الفجر فلا صوم له»[5].

---

(1) رواه أحمد في باقي مسند الأنصار.

(2) رواه أحمد في مسند البصريين.

(3) رواه أحمد في مسند الأنصار.

(4) رواه البخاري في كتاب الغسل.

(5) رواه الترمذي في كتاب الصوم.

15. حديث ابن عمر عن صفية عن حفصة عنهﷺ : «لا يحرم من الرضاع إلا عشر رضعات فصاعدا»[1]. رواهما الخطيب. وفي إسنادهما محمد بن عمر الواقدي.

16. حديث أنس عن وقاص بن ربيعة عن أبي ذر قال : قال رسول اللهﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : «ابن آدم إنك إن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً»[2]. الحديث.

17. حديث أبي الطفيل عن عبد الملك بن أخي أبي ذر : أن رسول اللهﷺ أخبرني إني أسلمت فرداً وأموت فرداً وأبعث فرداً وأنهم لن يسلطوا على قتلي ولن يفتنوني عن ديني»[3]. الحديث.

18. حديث أبي أمامة عن عنبسة بن أبي سفيان عن أم حبيبة سمعت رسول اللهﷺ : ما من رجل مسلم يحافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعد الظهر فتمسه النار[4].

19. حديث أبي الطفيل عن حلام بن حزل عن أبي ذر مرفوعاً : الناس ثلاث طبقات[5]. الحديث روى هذه الأحاديث أيضاً الخطيب بأسانيد ضعيفة.

---

(1) في رواية مسلم في كتاب الرضاع قال : حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة أنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول اللهﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن.

(2) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(3) لم أقف عليه بهذه الصيغة.

(4) روى مسلم في صحيحه كتاب صفة صلاة المسافرين وقصرها ثال : حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس عن عنبسة بن أبي سفيان عن أم حبيبة زوج النبيﷺ أنها قالت سمعت رسول اللهﷺ يقول ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة أو إلا بني له بيت في الجنة. قالت أم حبيبة فما برحت أصليهن بعد وقال عمرو ما برحت أصليهن بعد. وقال النعمان مثل ذلك. وحدثني عبد الرحمن بن بشر وعبد الله بن هاشم العبدي قالا : حدثنا بهز حدثنا شعبة قال النعمان بن سالم أخبرني قال : سمعت عمرو بن أوس يحدث عن عنبسة عن أم حبيبة قالت : قال رسول اللهﷺ ما من عبد مسلم توضأ فأسبغ الوضوء ثم صلى لله كل يوم فذكر بمثله.

(5) لم أقف عليه برواية أبي ذر، ومن رواية أبي سعيد الخذري ما رواه الترمذي في سننه في كتاب الفتن : «...إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفيء ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء ألا وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء ألا وإن منهم حسن القضاء حسن الطلب ومنهم سيء القضاء حسن الطلب ومنهم حسن القضاء سيء الطلب فتلك بتلك ألا وإن منهم السيء القضاء السيء الطلب ألا وخيرهم الحسن القضاء الحسن الطلب ألا وشرهم سيء القضاء سيء الطلب...» وقال حديث حسن صحيح.

الفصل الثالث

علم الأسانيد

تمهيد

الإسناد من خصائص العلوم الإسلامية، وقد امتازت علوم الحديث النبوي باعتماده في تصحيح روايات الأخبار، واشتهر قول الحافظ ابن المبارك : «لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»، من أجل ذلك حرص أئمة الحديث أن يجعلوا منه الأساس في الحكم على المرويات بالصحة أو الضعف.

ولم يكتف الثقات بالبحث عن أحوال الرجال ودرجاتهم في الصدق والضبط، بل إنهم اهتموا اهتماما بالغا بعلاقاتهم مع من رووا عنه من شيوخهم، ومع من روى عنهم من تلامذتهم، ثم وضعوا ضوابط لصيغ التحمل والأداء، وأسسوا علماً مستقلاً لهذه الصنعة أطلقوا عليه علم الأسانيد، وموضوعه يتلخص في معرفة الشيوخ وتدوين أسمائهم وإجازاتهم في مصنفات عرفت بالمشيخات والمعاجم والفهارس والبرامج والأثبات.

ومن المفيد أن نشرح بعض اصطلاحات عناوين كتب علم الأسانيد المتداولة عند أهل الصنعة، ومن أكثرها ورودا في تصانيفهم :

- **المَشيخة :** بفتح الميم وكسرها وسكون الشين وفتح الياء وضمها وتطلق علي الجزء الذي يجمع فيه المحدث أسماء شيوخه ومروياته عنهم.
- وقد أورد الشيخ محمد عبد الحي الكتاني في "فهرسة الفهارس" مائة وثلاثين مشيخة منها اثنتي عشرة خاصة بالنساء، ومن أشهرها مشيخة ابن عساكر، وابن طبرزد، والفخر ابن البخاري، وابن رجب البغدادي، وابن جماعة، ومحمد بن محمد الميدومي، ومشيخة شهدة الكاتبة، وست الأهل بنت الطبري.
- **المعجم :** وهو الكتاب الذي يترجم فيه المحدث شيوخه مرتبة على حروف المعجم، وربما أفرد لشيوخ أحد الحفاظ أو تلامذته مثل معجم شيوخ أبي علي

الصدفي للقاضي عياض، ومعجم أصحابه لابن الأبّار. وقد تطلق علي الكتب المصنفة عن أحاديث الرواة المرتبين على حروف المعجم مثل معاجم الطبراني.

ومن أشهر المعاجم المذكورة في علم الأسانيد، معجم أبي ذر الهروي (تـ 435هـ)، صاحب رواية البخاري المشهورة، ومعجم ابن مسدي محمد بن يوسف الغرناطي، ومعجم الحافظ البرزالي الدمشقي (تـ 738هـ)، والمعجم الكبير للذهبي، ومعجم تقي الدين السبكي، ومعجم ابن حجر، ومعجم شيوخ ابن فهد، والمعجم المختص للزبيدي، ومعجم الشيخ محمد عبد الحي الكتاني.

ـ **البرنامج :** وهو مرادف للفهرسة، وهو فارسي معرب. ومن أشهر الكتب التي تحمل هذا العنوان، وهي تعد بالعشرات وأكثرها لعلماء المغاربة، برنامج ابن خير، وبرنامج ابن عباس الغبريني، وبرنامج الصدفي، والباجي، ومحمد بن جابر الوادآشي، وبرنامج أبي مرزوق الجد وغيرهم.

ـ **الفهرسة :** وهو الكتاب الذي يجمع فيه المحدث شيوخه وأسانيده، ومن أشهرها فهرسة ابن خير الأندلسي، وفهرس ابن غازي، وفهرس المنجور.

ـ **الثبت :** وهو كتاب يجمع فيه المحدث مشيخته، ويثبت فيه أسانيده ومروياته وقراءته المصنفات على أشياخه.

ومن أشهر الإثبات :

ثبْت الحافظ السخاوي : وهو كتاب ضخم يقع في ثلاث مجلدات. وقد كتب أيضا السخاوي مجموعة من الفهارس والمعاجم والمشيخات، منها : "العقد الثمين في مشيخة خطيب المسلمين"، و"الفتح الغربي في مشيخة الشيخ العقبي"، و"بغية الراوي فيمن أخذ عنه السخاوي".

ثبْت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادآشي.

ومنها **ثبْت الأمير حافظ مصر**، أبي عبد الله محمد بن أحمد عبد القادر المالكي، المغربي الأصل، المصري الدار (تـ 1232هـ)، وهو مصنف جامع للمصنفات الحديثية والكتب، ويرويه عنه ابنه الأمير الصغير[1].

---

(1) انظر هذه التعاريف الاصطلاحية في فهرست الفهارس للكتاني، ج 1، ص 67 وما بعدها، منشورات دار الغرب الإسلامي، تحقيق إحسان عباس، ط 2، 1982.

ولم تقتصر كتب الأسانيد على هذا النوع من العناوين، إذ قد اشتهرت منها مصنفات كثيرة جداً، لم تحمل هذه العناوين أمثال : "قطف الثمر" للشيخ صالح الفلاني"، و"اليانع الجني في أسانيد الشيخ عبد الغني"، و"الأمم لإيقاظ الهمم" لبرهان الدين الكوراني. ونورد هنا مجموعة من أعلام المحدثين الذين اشتهروا في علم الأسانيد.

1. أبو بكر محمد بن عبد الغنيّ المشهور بابن نقطة البغدادي الحنبلي

سمع من ابن طبرزد، وعنه المنذري (تـ 629هـ)، وصنف كتاب "التقييد في معرفة رواة الكتب والمسانيد"، وألف مستدركاً على كتاب "الإكمال" للأمير بن ماكولا[1].

2. تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد الهاشمي العلوي المكي الشافعي (787-871هـ)

ولد بصعيد مصر سنة 787هـ، ثم سافر به والده صغيراً إلى مكة، ودرس على برهان الدين بن الصديق، وزين الدين المراغى، وأبي اليمن الطبري. وأخذ عن الشريف عبد الرحمن الفاسي، ولازم جمال الدين بن ظهيرة، والخليل الاقفهسي.

ومن أهم مؤلفاته : "نهاية تغريب التهذيب"، و"لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ"[2]. وله مشيخات : منها مشيخة عبد اللطيف الفاسي، المسماة "الجلي إلى شيوخ قاضي الحرمين التاج الحنبلى"، ومشيخة بنسلامة، ومشيخة ابن ظهيرة[3].

3. نجم الدين عمر بن محمد بن محمد بن فهد (812-885هـ)

ولد بمكة ليلة الجمعة في آخر جمادى الآخرة، فحفظ شيئا من فقه الحنابلة. وقد اعتنى به والده وأسمعه الكثير على مشايخ بلده والقادمين إليها منذ نعومة أظافره، فأحضره على القاضي عبد الرحمن بن علي الزرندي، والخطيب أبي الفضل ابن ظهيرة، وعلى القاضي جمال الدين ابن ظهيرة. وأسمعه على الزين المراغي الصحيحين، والسنن لأبي دود، وصحيح ابن حبان، والموطأ رواية معن، وغير ذلك. كما أحضره إلى الشمس ابن الجزري فسمع جميع مسند الإمام أحمد، وعلي المقريزي حين مجاورته جميع كتاب الإمتاع، وعلى المجد إسماعيل بن علي الزمزمي جميع المسند للإمام أحمد.

---

(1) تذكرة الحفاظ للذهبي، المجلد 2، الجزء 4، ص 1412.

(2) منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، مع ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي.

(3) انظر ترجمته في فهرست الفهارس للكتاني، ج 1، ص 67 وما بعدها، منشورات دار الغرب الإسلامي، تحقيق إحسان عباس، ط 2، 1982.

ثم حبب الطلب إلى النجم فطلب الحديث بنفسه، فقرأ ببلده قليلاً، ثم ارتحل إلى القاهرة فوصلها سنة 836هـ، وكانت مهوى أفئدة العلماء وطلاب العلم، فسمع بها على أحمد بن أبي بكر الواسكي، والبدر حسين بن علي البوصيري؛ ولازم شيخ الحديث بها الحافظ ابن حجر كثيراً، حتى أخذ عنه جملة من مروياته ومؤلفاته، وتدرب به، وكذا تدرب بمستمليه الزين رضوان العقبي.

وفي سنة 850هـ عاد إلى القاهرة وسمع بها على الحافظ ابن حجر كتابه "لسان الميزان"، وعلى غيره من المسندين.

وسمع بمكة على الشمس السخاوي وهو أصغر منه بنحو عشرين سنة وحضر إملاءه هناك؛ وهذا المسلك هو مسلك الحفاظ الأئمة قبله، حتى صار كثير المسموع والمروي والشيوخ، فجمع ذالك في معاجم لشيوخه بالسماع والإجازة، وقد زاد عددهم على ألفين.

ولما قدم النجم ابن فهد القاهرة، استعار منه الحافظ ابن حجر أسماء شيوخه، ونقل عنه في ترجمة من "الإصابة"، ووصفه مرة بقوله : «من أهل البيت النبوي نسبا وعلما، وإنه جد واجتهد في تحصيل الأنواع الحديثية النبوية، وإنه محدث كبير».

ولم يزل كذلك مواظبا على الاشتغال، تأليفا وتحديثا، إلى أن وافته المنية في السابع من رمضان سنة 885هـ.

مؤلفاته :

1. كتاب المدلسين.
2. المسلسلات.
3. اللباب في الألقاب.
4. إتحاف الورى بأخبار أم القرى.
5. الدر الكمين بذيل العقد الثمين.
6. الإشعار بما أنشدت من الأشعار.
7. التبيين في تراجم الطبريين.
8. تذكرة الناسي بأولاد أبي عبد الله الفاسي.
9. بذل الجهد فيمن سمي بفهد وابن فهد.

10. المشارق المنيرة في ذكر بني ظهيرة.

11. غاية الأماني في تراجم أولاد القسطلاني.

12. فهرست مروياته.

13. فهرست مرويات والده التقي، وسماه "الجواهر الفاخرة"، كما سبق في ترجمة والده.

14. معجم مشايخ والده وسماه "إرشاد المهتدين".

15. معجم الشيوخ بالإجازة.

16. معجم شيوخه بالسماع.

17. كتاب المغيّر اسمهم.

18. مشيخة لسارة بنت العز ابن جماعة.

19. فهرست لأبي الفتح المراغي.

20. فهرست لأبي الفرج المراغي.

21. فهرست للزين أبي بكر المراغي.

22. فهرست لنور الدين المحلي.

23. فهرست لمحب الدين المطري.

24. فهرست للعز عبد الرحيم بن الفرات.

25. فهرست مرويات الكمال المرشدي.

26. مورد الطالب الهني لمرويات سبط ابن العجمي[1].

4. عبد العزيز بن عمر ابن فهد الهاشمي

ابن النجم، وحفيد التقي، كنيته أبو الخير، ولقبه عز الدين. ولد في السادس والعشرين من شوال سنة 850هـ بمكة المكرمة ونشأ بها. حفظ القرآن الكريم، والأربعين للنووي، و"نخبة الفكر" لابن حجر، و"الألفية" لابن مالك، و"الإرشاد في فقه الشافعية"

(1) انظر ترجمته في فهرست الفهارس للكتني، ج 2، ص 669، والأعلام للزركلي، ج 5، ص 63، وذكر جملة من مؤلفاته.

لابن المقرئ، و"التحفة الوردية" و"الآجرومية" كلاهما في النحو، وعرضها جميعاً على والده النجم، وجده التقي؛ كما عرض قسما منها على جماعة من علماء من أهل مكة والقادمين إليها.

وحفظ أيضاً "ألفية الحديث" للعراقي، وجانباً من شرح النووي على صحيح مسلم، واستجاز له والده من جماعة، منهم ابن حجر العسقلاني؛ وكما أسمعه على المراغي، وأبي الفتح الأسيوطي، والبرهان الزمزمي، وغيرهم.

هكذا نشأ العز ابن فهد في بيت علم وشرف، وتربى بعناية أبيه وجده، حافظي مكة، ونهل من علومهما وفوائدهما الكثيرة. ثم سار على سننهما وسنن المحدثين قبلهما، فرحل في طلب الحديث سنة 870هـ إلى المدينة المنورة أولاً، ثم إلى الديار المصرية، ثم ارتحل منها سنة 871هـ. وعندما جاور السخاوي سنة 886هـ وبعدها لازمه ـ وكيف لا وكان يرحل للسماع عليه ـ فأكمل عليه سماع شرحه للألفية وقرأ عليه كثيراً وأقام ببلده ملازماً للاشتغال والإشغال بعد أن برع وتميز في الحديث وعلومه، طلباً وضبطاً، وكتابة للطباق، وبعد أن انتسخ جملة من الكتب والأجزاء، منها "العقد الثمين للتقي الفاسي"، و"معجم الشيوخ" لوالده. وأذن له الشمس السخاوي، والشمس الجوهري، وعبد القادر المالكي في الإفادة والتحديث، وتدريس علوم الحديث والفقه والنحو.

مؤلفاته :

سار العز سيرة أبيه وجده في التصنيف والتأريخ لبلده الأمين والترجمة لشيوخه، وفهرسة مروياته، ولم تكن له عناية كبيرة في الشعر، فلم يؤثر عنه نظم سوى بيتين ضمنهما الحديث المسلسل بالأولية وهما :

الراحمون لمن في الأرض يرحمهم   من في السماء كذا عن سيد الرسل

فارحم بقلبك خلق الله وأرعهم   به تنال الرضا والعفو عن زلل

ومؤلفاته في الحديث قليلة، وبالجملة فهو ـ وإن كان من المكثرين سماعاً وشيوخاً ـ إلا أنه ليس منهم تأليفاً وتصنيفاً، لكن مؤلفاته القليلة العدد، كبيرة الأهمية، وعظيمة النفع لما حوت من تأريخ للحوادث بمكة وتراجم رجالها، لا يزال المعول على الموجود منها إلى الآن، وهي :

1. "تاريخ مكة" المكرمة، مرتب على السنين.
2. "غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام".

3. "بلوغ القرى ذيل إتحاف الورى".

4. "معجم شيوخ إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الحلبي".

5. "معجم الشيوخ"، نحو ألف شيخ[1].

5. قطب الدين النهروالي (917-990هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن علاء الدين النهروالي (نسبة إلى بلدة نهرواله من توابع كجرات الهند)، استوطن مكة المكرمة فكان فيها مفتياً، ومحدثاً ومؤرخاً. وله مصنفات منها الجمع بين الكتب الستة، و"طبقات الحنفية"، وكتاب "الإعلام بأعلام بيت الله الحرام".

لقد عرف بعلو الأسانيد ـ منها أنه يروي عن الشيخ زكريا الأنصاري عن ابن حجر، واشتهرت روايته عن المعمرين التي نظمها الشيخ مرتضى الزبيدي في "ألفية السند".

وبالعلو قد روى البخاري — عن إبراهيم بالكتاب الساري

أعني فتى كوران الشهرزوري — عن شيخه المعمر اللاهوري

وهو عن قطب محمد عن — والده المحدث المفنن

عن أحمد المعروف بالطاوسي — عن يوسف المعمر المنوسي

عن ابن شَاذَبَخْتِ الفرغاني — عن ابن شاهان هو الختلاني

عن الفِرَبْريّ عن المصنف — وذا العلوّ بغية المصنف

كأنني بذا السياق الحاوي — مصافحٌ للحافظ السخاوي

في هذا النظم اعتمد الزبيدي أن القطب النهروالي لم يرو عن أبي الفتوح الطاوسي مباشرة، خلاف ما أورده صالح الفلاني في قطف الثمر. وقد نبّه الشيخ محمد عبد الحي الكتاني على عدم إمكانيتها تاريخياً.

قصة المعمر بابا يوسف الهروي:

وفي هذا السند نجد قصة المعمر بابا يوسف الهروي، الذي يذكر أصحاب الأسانيد أنه عاش ثلاثمائة سنة ويسردها الشيخ الكتاني بقوله: "يوسف الهروي هذا

---

(1) انظر ترجمته في فهرست الفهارس للكتاني، ج 2، ص 754 وما بعدها، والزركلي في الأعلام، ج 4، ص 24، وذكر جملة من مؤلفاته.

وتعميره مشكلة أكبر من أختها فإن تعميره ثلاثمائة سنة اشتهر في أثبات المتأخرين شهرة زائدة، ولما ذكر الحافظ الزبيدي في مادة (شوه) من "تاج العروس"، يحيى بن شاهان الختلاني قال : «وعنه الشيخ المعمر ثلاثمائة سنة بابا يوسف الهروي، وذكره الشيخ أبو الفتوح الطاوسي، ومن طريقه روينا البخاري عاليا» اهـ.

وفي "اليانع الجني" : «ويوسف الهروي عمر ثلاثمائة سنة كما رآه الكزبري بخط الشريف مرتضى الزبيدي» اهـ. وقد وقع في رحلة ابن بطوطة التي فرغ من إملائها سنة 757 أنه أي ابن بطوطة وصل في سفره من هراة إلى الهند إلى جبل بشاء، ووجد به زاوية الشيخ الصالح أطأولياء، ومعناه بالتركية الأب وأولياء وباللسان العربي، معناه أبو الأولياء، وسمي أيضاً بـ «سيصد صاله"، ومعناه بالفارسية ثلاثمائة سنة. وهم يذكرون أن عمره ثلاثمائة وخمسون عاماً، ولهم فيه اعتقاد حسن ويأتون لزيارته من البلاد والقرى، ويقصده السلاطين [والخواتين] وأكرمنا ونزلنا على نهر عند زاويته، ودخلنا إليه فسلمت عليه فعانقني، وجسمه رطب لم أر ألين منه، ويظن رائيه أن عمره خمسون سنة، وذكر لي أنه في كل مائة سنة ينبت له الشعر والأسنان، وسألته عن راوية الحديث فأخبرنا بحكايات، وشككت في حاله، والله أعلم بصدقه» اهـ.

ويقول الشيخ الكتاني : «لا يخلو الحال إما أن يكون بابا يوسف المذكور شيخاً للحافظ أبي الفتوح، لقيه عام 822 وابن بطوطة التقى الرجل المذكور في القرن الذي قبله، فإن كان هو فقد بلغ به دعوى السن زمن لقي الطاوسي أكثر من أربعمائة سنة. وإن يكن غيره ـ وهو ظاهر ـ فإنما اتفقا في مجاورة هراة والسن المديد، والله أعلم. ويؤيده أن غيره الذي لقيه الطاوسي سماه يوسف، والذي لقيه ابن بطوطة يعرف بأطأولياء، وإطلاق سيصد صاله عليه كإطلاقها على الذي قبله لبلوغه ذلك الحد من التعمير لا أنه علم خصوصي على شخص معين، فتأمل ذلك».

ويروى سند المعمرين قطب النهروالي من عدة طرق منها ما ذكره أيضاً الشيخ الكتاني في ثبت لعمر بن عبد الرسول المكي، عن شيخه نور على بن عبد العزيز الونائي عن المعمر مائة وثمان وعشرين سنة السيد عبد القادر بن أحمد بن محمد الأندلسي، المصري الدار (تـ 1198هـ) عن المعمر مائة وإحدى وعشرين سنة محمد بن عبد الله الإدريسي، عن القطب النهروالي، عن أبيه، عن أبي الفتوح الطاوسي، ويشير الشيخ الكتاني أن الإدريسي هذا قد يكون الشريف محمد بن عبد الله الولاتي الذي سنراه في الترجمة الموالية.

وقد كتب القطب النهروالي ثبتاً أجاز فيه لأهل تنبكت عامة، ولوفد علماء التكرور الذين لقيهم بمكة سنة 988هـ، ومن بينهم الشيخ عبد الكريم بن محمد بن علي الجناوي، وعبد الرحمن بن إبراهيم الجناوي، والقاضي العاقب بن الفقيه محمود بن عمر أقيت، والفقيه أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت، والفقيه محمد بن الفقيه محمود بن عمر، والفقيه محمد بن الفقيه بغيغ[1].

6. الشريف الواولاتي: تحقيق نسبته (تـ 1102)

يقول عنه الشيخ عبد الحق الكتاني: «هو الإمام المعمر عالي الإسناد، المتفرد بذلك في أقاصي البلاد، أبو عبد الله محمد الشهير بمولاي الشريف، وهو محمد بن عبد الله الإدريسي الواولاتي، بواووين، كما وجدته بخط الشيخ صالح الفلاني في ثبته، وضبطه بضم الواو الثانية القاوقجي في أوائله. والصواب فيه الولاتي نسبة إلى ولاته بفتح الواو، مدينة من مدن الحوض، وهو قطر كالمغرب يطلق على أهل الشناكطة، هكذا قال لي عالم شنكيطي يعرف تلك الجهات وتربى فيها».

«ولد المترجم ـ كما في ثبت الفلاني الكبير ـ سنة 961هـ، ومات 1101هـ. وفي "الغرر الغالية في المحاسن القاوقجية"، أنه ولد سنة 961هـ، ومات سنة 1102هـ، وبنحوه لأحد من تدبّج معه الفلاني، ولما ترجم الشيخ صالح الفلاني في ثبته الكبير خاله الشيخ عثمان بن عبد الله الفلاني، وهو أول شيوخه قال: «إنه أخذ عن أعلام شهيرة أجلهم مولاي الشريف [محمد بن] محمد بن عبد الله الواولاتي، ولد الشريف عام 1046هـ، وتوفي في رجب سنة 1146هـ» أهـ. من خط الفلاني. وفي الثبت المذكور أيضاً حين ترجم لشيخه ابن سنة الفلاني ولادة الشريف محمد عام 960هـ، وحج مع والده سنة 975هـ، ودخل معه بغداد ودمشق وحلب والروم، ولقي جماعة العلماء منهم محمد أفندي الرومي البركلي صاحب كتاب "الطريقة المحمدية"، وأجازه جميع مصنفاته وأكرمه إكراماً كثيراً، وتوفي البركلي المذكور سنة 981هـ، ولقي، في حجته الثالثة عام 1030هـ، الشيخ محمد الزقتاوي، تلميذ القاضي زكريا الأنصاري».

«قال في فهرسته ورحلته أيضاً: «وقد من الله علي بسند عال في الحديث لما دخلنا زقتا أخبرونا أن شيخاً علامة من أهل العلم والصلاح منقطعاً في بيته وقد جاوز المائة والعشرين، فذهبنا إليه وأجازنا بصحيح البخاري وغيره من كتب الحديث وجميع ما يصح لشيخه القاضي زكريا».

(1) ترجم له الكتاني في فهرست الفهارس ترجمة واسعة تغني عن غيرها، في ج 2، ص 944 إلى ص 961.

شيوخه ومشكلة سنه :

«ثم ذكر الفلاني أيضاً أن مولاي الشريف أخذ عن محمد بن محمود بغيغ، وعبد الكريم الفكون القسمطيني، وسالم السنهوري، وعبد الرؤوف المناوي، والنور الزيادي، وعلي بن سلطان القاريء المكي إجازة بواسطة والده، وغيرهم من الأعلام الذين أخذ عنهم أبو سالم العياشي وصاحب ″المنح″، وجده أبو السعود وغيرهم سماهم طبقة بعد طبقة على ترتيب ذكرهم في أثبات هؤلاء مما لعله يستغرب عادة، بحيث ذكر الفلاني في شيوخه علي القاري المتوفى سنة 1014هـ، وحسن العجيمي المتوفى سنة 1113هـ، وهذا ربما يستغرب لأن زمان وجود القاري يؤخذ عنه لم يخلق حسن العجيمي، ولكن ربما يقرب ذلك أن الرجل طال عمره، فمنهم من استجاز له منه والده كما صرح به في حق القاري. ومنهم من أخذ عنه لما حج والده حجته الأولى وهو صغير ثم والى حججه مرات ولما دخل بلداً أو وجد إماماً ظهر بها تتلمذ له، والله أعلم، أو وجد الفلاني أسماءهم وترتيبهم على غير ما رتبهم عليه لتخليط في الأوراق التي نقل عنها وكان لا يعرف طبقاتهم، ولكني أراه يذكر ولادتهم ووفياتهم، وربما كانت وفاة شيخ هي سنة ولادة الشيخ الذي يذكر بعده بمدة، والله أعلم بالحقيقة».

«أما تردد الفلاني في تاريخ ولادته فمشكلة المشكلات وعقدة العقد، وربما يتساءل هل لابن سنة متابع عن المترجم له مولاي الشريف ؟ فالجواب : أن الفلاني لما ترجم خاله ومجيزه الشيخ عثمان الفلاني الشهير قال : مولاي الشريف محمد بن عبد الله الولاتي. ولما ترجم لشيخه ابن سنة وأخذه عن المترجم قال : «لازمه إلى أن مات، ثم لازم ولده محمد بن محمد بن عبد الله إلى أن مات»، ومن خط الفلاني نقلت. وربما يكون ولد المترجم محمد بن محمد بن عبد الله الشريف هو الذي أرخ الفلاني ولادته بسنة 46 بعد الألف، والله أعلم بغيبه وأحوال عبيده».

«وقد ورد على فاس بعد الحج والزيارة العالم الفاضل **محمد الأمين بن دحان الحوضي التشيتي** فحرر لي شهرة مولاي الشريف المذكور بولاته بالعلم والشرف، وقد دخل هو ولاته مرارا وعرفها وعرف أهلها، وأن من ذرية مولاي الشريف المشاهير أولاد حمزة ولد الواثق، والواثق إما ولد مولاي الشريف أو حفيده».

«ووقع في إجازة النور عمر بن عبد الرسول العطار للأخوين محمد وعمر ابني عيدروس الحبشي، حسبما ساقها ولد الثاني السيد عيدروس في ″عقد اليواقيت″ أنه يروي الصحيح عالياً عن المعمر مائة وثماني وعشرين سنة عبد القادر بن أحمد بن محمد الأندلسي، عن المعمر مائة وإحدى وعشرين سنة محمد بن عبد الله الإدريسي، عن قطب

الدين النهروالي بسنده، فانظر هل الإدريسي المذكور هو الولاتي المترجم أو غيره. وعبد القادر الأندلسي الذي روى عنه قال عنه النور علي الونائي إنه أعلى الشيوخ الذين أدركهم سنا، روى له عن البرهان الكوراني، وكتب الفلاني في ترجمة الونائي من ثبته عنه أنه أعلى أسانيده. ووجدت الحافظ الزبيدي ترجم لعبد القادر المذكور فذكر أنه ولد سنة 1091هـ، ومات سنة 1198هـ، فعلى ما للحافظ الزبيدي يكون عمره 106 سنين، ولاشك أنه به أعلم ولترجمته أتقن. نعم قال ابن عبد السلام الناصري في رحلته لما ترجمه: "وسألته عن سنة حج أبي العباس ابن ناصر الأخيرة فقال: اجتمعت به إذ ذاك وهو نازل بالبندقية بمصر وأنا شيخ". وعلى كل حال فروايته عن الإدريسي المذكور والكوراني بالإجازة العامة لأهل العصر، والله أعلم بغيبه»[1].

7. ابن سنة : ترجمته وثناء الفلاني عليه (تـ 1186)

وفي فهرس الفهارس قال الشيخ الكتاني عن ابن سنة : «هو الإمام العلامة المسند المعمر، أكثر المتأخرين شيوخاً وأعلاهم إسناداً، أبو عبد الله محمد بن محمد بن سنّة ـ وهو بكسر السين وفتح النون المشددة ـ كما وجدته بخط الفلاني، وهكذا نحفظه ومن الغريب ما وجدته بخط العلاّمة الرحال شيخ يوسف ابن بدر الدين المغربي، دفين دمشق في إجازته للوزير الشيخ عبد العزيز أبو عتور التونسي من ضبطه له بضم السين، وهو غير معروف ولا سمعنا أحدا ينطق به ممن لقيناه من أهل المشرق والمغرب. والفلاني نسبة إلى فلان وهو قطر عظيم كالمغرب في السودان المغربي».

«حلاه الوجيه الأهدل في "النفس اليماني" بقوله : «الشيخ المعمر الحافظ الشهير محمد بن سنة العمري». وقال عنه تلميذه الفلاني : أكبرهم يعني شيوخه وأوسعهم علما، وأوسعهم حفظاً وفهماً، شيخنا الأمام الشهير الصدر الكبير، خاتمة الحفاظ، الأعلام، والمرجع إليه عند التباس الأوهام بالأفهام، بغية الرائح والساري، ونهاية الراوي والقاري، من إجازته للشمس ابن عابدين».

«وقال عنه الفلاني أيضاً في محمل آخر : هو أجل شيوخي على الإطلاق، وأحفظ من رأت عيني، وأطول صلاة وصياماً، وأنصح للطلبة، وما نفعني شيخ قط مثل نفعه، ومن خطه نقلت. مع أن الفلاني رأى مثل الحافظ مرتضي وتلميذه ابن عبد السلام الناصري، ومحمد سعيد سفر، وأبي الحسن السندي والأمير إبراهيم بن محمد بن

(1) فهرست الفهارس للكتاني، ج 2، ص 1073 وما بعدها.

إسماعيل الأمير الصنعاني، ومحمد بن عبد الرحمن الكزبري، وأحمد بن محمد العطار الدمشقي، وهؤلاء محدثو ذلك العصر وخدمة السنة في الشرق والغرب».

شيوخه ورحلاته :

«ولد المترجم رحمه الله عام 1042هـ، وجال في بلاد الصحاري والبراري لطلب هذا الشأن، ودخل أرض السودان مراراً، وسوس الأقصى، ودخل شنقيط وتوات وتنبكت وأروان وولاته وتشيت وفاس ومراكش وسجلماسة، ولازم الأمام محمد بن أحمد بن محمود بن أبي بكر بغيغ الونكري التنبكتي إلى أن مات سنة 1067هـ، وأجازه عامة. ومن مقروءاته عليه رسالة ابن أبي زيد بشرحها "تحقيق المباني"، وكان يحفظ الشرح المذكور عن ظهر قلب كالفاتحة بعدما بلغ من العمر مائة وأربعين سنة، ودعا له شيخه المذكور مرارا وكان آخر ما دعا له به أن يرزقه العلم النافع ويطول عمره علي طاعة الله بلا وهن في البدن، وأخذ شعر رأسه وقال : حتى يبيض هذا ثم يصفر ثم يسود. ثم بعد موته رحل إلى ولاته فلازم الشريف أبا عبد الله الولاتي اثنتين وثلاثين سنة وأجازه إجازة عامة؛ ولما حجّ مولاي الشريف استخلفه في التدريس والإمامة، وجميع من لقيه مولاي الشريف في رحلته من العلماء فأجازه أو دعا له. ولازم مولاي الشريف إلى أن مات سنة 1102هـ، ثم لازم ولده مولاي الشريف محمد بن محمد بن عبد الله إلى أن مات[1]؛ وأجازه جماعة من أهل فاس ومصر والحرمين والشام واليمن ولم يرهم، وذلك بواسطة مولاي الشريف أبي عبد الله محمد».

«فممن أجازه ولم يره من أهل المدينة : القشاشي، والشيخ إبراهيم الكوراني. ومن أهل مكة : العجيمي. ومن أهل اليمن : الشيخ أحمد بن العجل، وغيره. ومن أهل مصر: الخرشي والزرقاني، وأجازه أيضا محمد بن سليمان الروداني، ومحمد بن عبد الكريم الجزائري، وأبو سالم العياشي، ومحمد بن أحمد الفاسي، وعبد الرحمن بن عبد القادر، وأبو السعادات محمد بن عبد القادر، ووالدهما عبد القادر بن علي الفاسي، ومحمد بن قاسم ابن زاكور، وعمر بن محمد المنجلاتي، ومحمد بن عبد المؤمن الجزائري، ومحمد بن سعيد قدورة، ومحمد بن خليفة الجزائري، والشيخ عيسى الثعالبي، وعبد السلام اللقاني، ومحمد بن أحمد ميارة، ومحمد بن أحمد الجنان، والأبّار الفاسي، وأحمد بن محمد الزموري، والنجم الغزي، وعبد الباقي الحنبلي، واليوسي، ومحمد الصغير الأفراني صاحب "ياقوتة البيان"، وذكر في فهرسته أنه روى ما بين إجازة وسماع عن تسعمائة وعشرين (920) شيخا. قاله تلميذه الفلاني في ثبته الكبير».

---

(1) توفي سنة 1146.

أسانيده :

«روى عنه الشيخ صالح الفلاني، وهو الذي شهر أسانيده ومن طريقة عرفها الناس، قال الفلاني في ثبته الكبير : رحلت إليه عام 1179، ولازمته أربع سنين، ثم عدد مقروءاته عليه، وهي كثيرة وافرة قال : وأجازني جميع مروياته، وناولني فهرسته بعد أن قرأتها عليه ودعا لي مرارا وألبسني قميصه وعمامته وقلنسوته وشيعني لما ودعته، وبالجملة فهو أجلّ شيوخي، وبلغني أنه توفي سنة 1186هـ».

«قلت : وتلقى أسانيد ابن سنة هذا عن الفلاني بالقبول كل من أخذ عنه من أهل المشرق والمغرب خصوصا أهل بلده كأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الشنقيطي، نزيل فاس، وعلامة شنقيط محمد الحافظ بن المختار ابن حبيب بن إكريش العلوي الشنقيطي، فإنهما أخذاها عن الفلاني وافتخرا بها عنه، وتلقاها بالقبول تلاميذ محمد الحافظ المذكور من أهل الصحراء وهم عيونها، كمحمدي بن عبد الله بن أحمد بن الفقيه وولده أحمد، مؤلف "العضب اليماني" وأولاده محمدي ومحمد الأمين وغيرهم. وممن تلقاها عن الفلاني من أهل الصحراء صاحبه محمد بن قورد الفلاني، فقد ذكر في "اليانع الجني" أنه وقف على نسخة من "قطف الثمر"، له بخطه، وفي آخرها خط الشيخ صالح الفلاني، قال: وهي نسخة جيدة أهـ. والشيخ محمد هاشم الفلاني، يروي عن صالح الفلاني بأسانيده المذكورة. وعن المذكور تلقى "قطف الثمر" شيخ الإسلام بمكة عبد الله بن عبد الرحمن سراج المكي، وعنه تلقى هذا السند جماعة من أعلام المغرب والمشرق الذين تتصل أسانيدنا بهم».

هل عرف ابن سنة عن غير طريق الفلاني :

«وربما يتساءل أحد هل وجد لابن سنة المذكور وتعميره ذكر في غير ما ذكر من السلاسل. وهل تابع الفلاني عنه غيره ؟ قلت : كان شيخ بعض شيوخنا المسند العارف أبو عبد الله محمد بن أحمد العطوشي الطرابلسي الأصل، المدني الدار يسند الصحيح من طريق المعمرين عن شيخه محمد السياح الفاسي عن ابن سنة الفلاني بالسند المعروف له. وممن تلقاه عنه كذلك جملة من أهل الجزائر وتونس والشام والحجاز واليمن والهند، كالعلامة الشيخ سعيد الأسطواني الدمشقي، وشيخ بعض شيوخنا الجزائريين محمد بن هني بن معرف المجاجي الجزائري دفين تونس، والشيخ عبد القادر بن مصطفى المشرفي المعسكري دفين مصر، ومفتي الحنفية بالمدينة محمد أمين بن عمر بالي زاده الحنفي المدني، ومحمد سعيد العظيمابادي الهندي، والشمس محمد بنحمودة قوبعة السفاقسي، وغيرهم».

«وفي الثبت مسند اليمن الشمس محمد بن سالم السري التريمي أنه يروي فهرسة ابن سنة الفلاني، عن شيخه محمد بن ناصر الحازمي، عن محمد بن حمد العطوشي المدني، عن الشيخ محمد الفاسي عن ابن سنة. وقد كان يخطر ببالي أن محمد الفاسي المذكور هو محمد الفاسي الذي كان بتونس أول القرن الثالث وأخذ عنه بها البرهان الياحي وغيره، ثم صرت أستبعد ذلك بعد الوقوف على ترجمة المذكور في تاريخ الوزير ابن أبي الضياف وغيره، فترجح عندي أنه غيره. ولا نستغرب عدم ذكر ابن سنة المذكور في بطون التواريخ الموجودة، لأنا لم نقف ولم يقع بيدنا إلى الآن فهرس، ولا تاريخ لأهل ذلك الصقع بعد زمن الشيخ أحمد بابا، ولم نجتمع بأحد من باحثي تلك الجهات لنستفيد منهم أخبار الرجل المذكور وتعميره ولا تيسر لنا دخولها ولا أن ذلك بالهين. وأما التواريخ الموجودة فقد تبحث عن الرجل الذي يكون جاراً لمؤلفها فلا تجد له عندهم أدنى ذكر، مع أنه مستحق التدوين، فكيف يلزم الفاسي ترجمة الفلاني، هذا من تكليف ما لا يطاق ؟! ولذلك نقول : عدم العثور لا يدل على عدم الوجود، فعلى هذا نكف عن الخوض في ذلك بأزيد مما ذكر، مع كون الفلاني إن ذكر أنه سمع على شيخه ابن سنة ما يستغرب من الكتب والمصنفات فكتابه "إيقاظ الهمم" ينم عن إطلاع كبير ووقوف على أكثر من تلك الكتب وأغرب، ولا نحب أن نكون كصاحب الفأر في القصة التي ساقها ابن خلدون لأجل ابن بطوطة وغرائبه، فكان على بالي من كلامه والله أعلم بالحقيقة».

«ثم وجدت الوجيه الأهدل وهو من قال في "النفس اليماني": وهذا الشيخ المعمر الحافظ الشهير محمد بن سنة العمري، هو شيخي بالإجازة العامة. وقد ذكرت في حاشيتي على المنهل الروي المسمى "المنهج السوي"، وأروي بالأجازة العامة عن الشيخ العارف المسند الحافظ المعمر ابن السنة المغربي عن ابن العجل عن البدر الغزي عن السيوطي، حصلت لي إجازة ابن سنة المذكور بالعموم لأنه أجاز لأهل عصره الموجودين وكانت وفاته في عشر التسعين - بتقديم التاء - ومائة وألف، كما أفادني بذلك جمع من علماء الحرمين رووا عن تلميذه العلامة صالح الفلاني المغربي عنه وأجازوني بذلك انتهى كلام النفس. ثم من حسن الصدف أن ورد على فاس أخيرا راجعا من الحج والزيارة العالم الأديب الناسك الشيخ محمد الأمين بن دحان القلقمي الحوضي التشيتي فحرر لي شهرة الشيخ صالح الفلاني وشيخه ابن سنة ببلاد فلان وتلك الأصقاع الشنقيطية التي يعرفها معرفة ضرورية كافية»[1].

(1) فهرست الفهارس للكتاني، ج 2، ص 1025 وما بعدها.

8. صالح الفلاني (تـ 1218) : حياته وآثاره[1]

وفي ترجمته في فهرس الشيخ الكتاني يقول : «هو الإمام المحدث المسند الأصولي الأثري، فخر المالكية، صالح بن حمد بن نوح بن عبد الله بن عمر العمري، نسبة إلى عمر بن الخطاب؛ يصعد نسبه إليه من طريق الحافظ الأندلسي الشاطبي، وهو مترجم في "تكملة" ابن الأبّار : المسوفي الشهير بالفلاني نسبة إلى فُلان بضم الفاء قبيلة بالسودان، ولادة ومنشأ، المدني هجرة ومدفنا، المالكي الأثري. وذكر من كونه عمري النسب هو الموجود بخطه رافعاً عموده إلى سيدنا عمر، كما في أوائل القاوقدجي من وصفه بالعمري، قال بإسكان الميم غلط واضح، ورأيته محملىّ في إجازة تلميذه عبد الرحمن بن أحمد الشنقيطي في حديث الأولية للشيخ الكوهن الفاسي بـ : «شيخنا الفقيه المحدث النحوي البياني العالم بجميع فنون المعقول والمنقول، القاطن بالمدينة في داره المعروفة بدار السلام»، وحلاه الشيخ عابد السندي بـ : «الإمام الذي لا يجارى والفهامة الذي لا يبارى، ملحق الأصاغر بالأكابر». وقال فيه الشمس القاوقجي : «كاد أن يكون مجتهدا». وممن جزم ببلوغه رتبة الاجتهاد صاحب كتاب "الدين الخالص". وكتابه "إيقاظ الهمم" ينم عن ذالك، ولذلك ترجمتُه في كتابي "فيمن ادعى الاجتهاد أدعي فيه". وذكره محدث الشام الوجيه الكزبري في ثبته بقوله : «ومن سادات أشياخي الشيخ الإمام العلامة المتفنن الهمام المشهور بالإسناد العالي، ذو الذهن الوقاد المتلالىء، علم الدين الشيخ صالح بن محمد الفلاني».

«وله من التصانيف : الثبت الكبير "الثمار اليانع"، والصغير "قطف الثمر"[2]، وكتابه العجيب "إيقاظ الهمم"، وهو مطبوع في الهند في مجلد. وله كتاب في الأحاديث القدسية، وكتاب "تحفة الأكياس بأجوبة الإمام خير الدين إلياس" ـ يعني به تاج الدين إلياس المفتي المدني ـ وهي نظم أسئلة السيوطي في ألف باء صاحب "الحطة" و"عون الودود على سنن أبي داوود"».

«ولد سنة 1166هـ في إقليم فُوَت جَلّو، ونشأ بها، ثم ارتحل لطلب العلم وعمره إذ ذاك نحو اثني عشر عاماً سنة 1178هـ، فدخل بلدان القبلة[3]، ومكث بها نحو السنة عند

---

(1) من المعروف أن أحمد بن الصديق الغماري نسب صالح الفلاني للكذب وأن شيخه محمد بن سنة لا وجود له، مع بعض شيوخه الآخرين، وقد ساق مجموعة من الأدلة في هذا الموضوع.

(2) قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر للشيخ المحدث صالح بن محمد العمري المسوفي الشهير بـ : الفلاني رحمه الله، تحقيق عامر حسن صبري، طبع دار الشروق، الطبعة الأولى، 1405هـ.

(3) القبلة منطقة من بلاد شنقيط.

محمد بن بونه، ثم رحل إلى باغي ولازم فيها الشيخ محمد بن سنة ست سنين، ثم ارتحل إلى تنبكت، ولازم فيها الشيخ محمد الزين سنة كاملة، ودخل درعة ومكث في الزاوية الناصرية سنة، ودخل مراكش ومكث بها ستة أشهر، ودخل تونس وأخذ عن علمائها كالغرياني والكواشي والسوسي وغيرهم، ودخل مصر وبقي فيها نحو ثلاثة أشهر ملازماً لعلمائها كالصعيدي وغيره، ودخل أرض الحجاز وزار القبر النبوي سنة 1187هـ، ولم يزل يرتع في جنان الرياض النبوية متردداً إلى الرحاب الحرمية إلى أن مات بالمدينة المنورة سنة 1218هـ».

«يروي عن أعلام منهم ابن سنة الفلاني، وهو أعلى شيوخه إسناداً، ومنهم خاله عثمان بن عبد الله الفلاني الشهير الراوي، عن مولاي الشريف محمد بن عبد الله الولاتي، والصواب بإجازة الأخير لولده عبد الله ومن يولد له، ومنهم صالح بن محمد بن عبد القادر الفلاني العمري، عن **محمد بن المختار بن الأعمش** الشنكيطي إجازة مراسلة، ومنهم **إبراهيم البار** إجازة، ومنهم محمد بن أحمد الشهير **ببابا** أجازه في فهرس والده "تشييد المآثر"، ومنهم محمد الشهير **بألفغ أب** أجازه عن ابن زاكور الفاسي، ومنهم الأمير إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، وأجازه عن والده، وأبي الحسن السندي، وسليمان الأهدل وغيرهم، ومنهم أبو الفيض محمد مرتضى الزبيدي، لقيه بمصر سنة 1167هـ، وأجازه إجازة عامة. ومن شيوخه أيضا سليمان بن محمد الدراوي روى عنه "صلة الخلف" للروداني عن مؤلفها، كما قرأ ذلك بخطه على أول ورقة منها في نسخة بمكتبة المسجد الحرام بمكة مجيزاً بها لعلي بن عبد الفتاح القبابي».

«ومن أغرب وألطف اتصالاتنا به روايتنا عن الفقيه الرحال الناسك الشمس محمدي ابن أحمد الشنقيطي، عن أبيه أحمد بن محمدي بن عبد الله ابن أحمد بن الفقيه بن الفقيه عبد الله القاضي الشنقيطي، عن أبيه محمدي عن العلامة محمد الحافظ بن المختار بن حبيب ابن اكريش العلوي الشنقيطي، إجازة بالعموم متصفة، وهو عن الشيخ صالح الفلاني، وقفت على إجازته له بخطه وهي عامة مؤرخة بشعبان عام 1217هـ، عند مجيزنا بالسند المذكور لما لقيته بأبيار عباس بالحجاز عام 1324هـ، وأوقفني على إجازة جده محمدي لأبيه أحمد، وعلى إجازة محمد الحافظ لجده، وكل منهما عامة مطلقة»[1].

---

(1) فهرست الفهارس للكتاني، ج 2، ص 901 وما بعدها.

روايات صالح الفلاني للمدونات الحديثية :

1. أسانيد المغاربة في "قطف الثمر" عن رواية يحيى بن يحيى الليثي لموطإ الإمام مالك :

يرويها عن محمد بن سنة العمري الفلاني (1168هـ)، عن الشريف أبي عبد الله محمد الولاتي (تـ 1102)، عن سعيد بن إبراهيم الجزائري المعروف بقدوره (1066هـ)، عن أبي عثمان سعيد ابن أحمد المقري، مفتي تلمسان (تـ بعد 1011هـ)، عن أبي زيد عبد الرحمن المعروف بسقين السفياني (تـ 956هـ)، عن أبي العباس أحمد بن أحمد البرنسي المعروف بزروق (899هـ)، عن أبي زيد عبد الرحمن الثعالبي (تـ 875هـ)، عن أبي عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد (842هـ)، عن أبي عبد الله محمد بن جابر الوادآشي (749هـ)، عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن هارون القرطبي (702هـ)، عن أحمد بن يزيد القرطبي (625هـ)، عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجي القرطبي عن محمد بن فرج مولى الطلاع القرطبي (497هـ)، عن أبي الوليد يونس بن مغيث الصفار القرطبي (429هـ)، عن أبي عيسى يحيى بن عبد الله القرطبي (367هـ)، عن عم أبيه أبي مروان عبد الله بن يحيى بن يحيى القرطبي (298هـ)، عن يحيى بن يحيى (234هـ)[1].

2. رواية البخاري من "قطف الثمر" :

ويقول إن أشهرها رواية المغاربة والمكيين عن أبي ذر الهروي، ويرويها صالح الفلاني عن محمد بن سنة عن مولاي الشريف محمد قراءة على أبي المعارف عبد الرحمن بن محمد الفاسي (1063هـ)، وأبي السرور محمد العربي الفاسي (1025هـ)، وأبي الفضل عبد الواحد بن عاشر (تـ 1012هـ)، ثلاثتهم عن أبي العباس أحمد بن الحسن التسولي (969هـ)، عن محمد جابر الوادي آشي عن الحافظ ابن مجاهد الإشبيلي (961هـ)، عن القاضي أبي الخطاب بن خليل السبتي عن عياض وابن العربي، كلاهما عن أبي علي الصدفي، عن أبي الوليد الباجي، عن أبي ذر الهروي، عن شيوخه الثلاثة : ابن حموية السرخسي، وأبي إسحق المستملي، وأبي الهيثم المروزي الكشميهني، عن محمد بن يوسف الفربري، عن الإمام البخاري. وقد روى الوادي آشي عن أبي إسحق الرضى الطبري، عن ابن خيرة البلنسي، عن عبد العزيز بن سعادة، عن أبي عبد الله محمد بن سعادة، عن أبي علي الصدفي.

---

(1) قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر للشيخ المحدث صالح بن محمد العمري المسوفي الشهير بـ : الفلاني رحمه الله، تحقيق عامر حسن صبري، طبع دار الشروق، الطبعة الأولى، 1405هـ، ج 1، ص 20.

ورواية المعمرين عنه عن ابن سنة عن المعمر أبي الوفا أحمد ابن محمد بن العجل عن القطب النهروالي، عن نور الدين أبي الفتوح الطاوسي، عن المعمر بابا يوسف الهروي، عن محمد بن شاذبخت الفرغاني عن أبي لقمان يحيى بن عمار الختلاني، عن الفربري[1].

3. صحيح مسلم :

وقال : أما صحيح مسلم فأرويه رواية ودراية عن الشيخ المعمر محمد سعيد سفر قراءة على تاج الدين القلعي، عن الشيخ حسن العجيمي، عن الشيخ أحمد العجل اليمني، عن الإمام يحيى بن مكرم الطبري، عن جده الإمام محي الدين محمد بن محمد الطبري، عن زين الدين أبي بكر بن الحسين المراغي، عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار[2] (تـ 730)، عن الأنجب بن أبي السعادات الحباني، عن أبي الفرج مسعود بن الحسن الثقفي عن الحافظ أبي القاسم عبد الرحمن بن منده، عن الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله الجوزقي، عن أبي الحسن مكي بن عبدان، عن مؤلفه[3].

4. سنن أبي داود :

وأما سنن أبي داود فأرويه قراءة من أوله إلى كتاب الحج عن الشيخ الشريف مولاي سليمان الدرعي ثم التنبكتي، عن مولاي الشريف أبي عبد اله محمد الولاتي، عن شيخ الإسلام وصدر الأئمة الأعلام أبي عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري ـ مفيتها ستين سنة ـ عرف بقدورة، عن أبي عثمان سعيد بن أحمد المقري ـ مفتي تلمسان ستين سنة ـ عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل التنسي، عن والده عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد، عن جده محمد ابن مرزوق الخطيب، عن الإمام زين الدين أحمد بن محمد الطبري المكي، عن عم أبيه جمال الدين يعقوب بن أبي بكر الطبري، عن الحافظ أبي الفتوح نصر بن محمد بن علي الحصري، قال : أخبرنا أبو طالب محمد ابن محمد بن محمد ابن زيد العلوي، قال : أخبرنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي، قال : اخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي عن مؤلفه أبي داود سليمان بن الأشعث رضي الله تعالى عنه[4].

---

(1) قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر للشيخ المحدث صالح بن محمد العمري المسوفي الشهير بـ : الفلاني رحمه الله، تحقيق عامر حسن صبري، طبع دار الشروق، الطبعة الأولى، 1405هـ، ج 1، ص 36 وما بعدها.

(2) هو الإمام شهاب الدين أبو العباس الحجار المعروف بابن الشحنة، مسند الدنيا في وقته، حدّث بصحيح البخاري أكثر من سبعين مرة، وسمع عليه أمم لا تحصى كثرة، وانتفع الناس بذلك، توفي سنة 730 بعد أن جاوز مائة سنة.

(3) قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر للشيخ المحدث صالح بن محمد العمري المسوفي الشهير بـ : الفلاني رحمه الله، تحقيق عامر حسن صبري، طبع دار الشروق، الطبعة الأولى، 1405هـ، ج 1، ص 47.

(4) قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر للشيخ المحدث صالح بن محمد العمري المسوفي الشهير بـ : الفلاني رحمه الله، تحقيق عامر حسن صبري، طبع دار الشروق، الطبعة الأولى، 1405هـ، ج 1، ص 51-52.

5. جامع الترمذي :

أرويه أيضاً عن شيخنا محمد بن سنة، عن مولاي الشريف، عن محمد ابن أركماس، عن الحافظ ابن حجر. عن أبي إسحاق التنوخي قال أخبرنا الحافظان أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي والقاسم بن محمد ابن يوسف البرزالي وأبو الحسن علي ابن محمد بن ممدود بن جامع البندنيجي سماعاً قال الاولان أخبرنا الفخر بن البخاري سماعاً بسماعه من أبي حفص عمر بن طبرزد.

وقال الثالث : «أخبرنا ابو محمد عبد الخالق بن الأنجب بن المعمر النشتبري اجازة ومكاتبة قال هو ابن طبرزد أخبرنا ابو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي أخبرنا بجميعه القاضي أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي وأبو بكر أحمد بن عبد الصمد الغورجي بضم الغين في المعجمة وفتح الراء قالا أخبرنا ابو محمد عبد الجبار الجراحي المروزي قال أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد ابن محبوب المحبوبي المروزي قال أخبرنا أبو عيسى الترمذي»[1].

6. سنن النسائي :

«أما "السنن الصغرى" للنسائي المسماة "المجتبى"، و"الكبرى" فأرويهما قراءة أولهما من أوله إلى آخره، وأجازة لثانيهما عن الشيخ محمد بن سنة، عن مولاي الشريف محمد بن عبد الله، عن الشريف المعمر أبي الجمال، عن عبد الرحمن البهوتي الحنبلي، عن شيخ الإسلام زكريا، عن العز بن الفرات، عن عمر بن حسن المراغي، عن علي بن أحمد المقدسي عن الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي، عن عبد الغني بن عبد الواحد قال : «أخبرنا أبو الفتح عبد الله بن الخرقي بقراءتي عليه قال : أخبرنا عبد الرحمن الدوني، قال : أخبرنا أبو نصر الكسار، قال : أخبرنا أبو بكر بن السني، أخبرنا مؤلفه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي»[2].

7. سنن ابن ماجه :

وأما سنن الحافظ ابن ماجه، فأرويه قراءة من أوله إلى آخره على شيخنا محمد سعيد سقر، بقراءته لجميعه على الشيخ أبي الطاهر الكردي بقراءته لجميعه على والده إبراهيم، بقراءته لجميعه على الشيخ القشاشي عن الرملي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري[3].

(1) نفسه، ج 1، ص 56 وما بعدها.

(2) نفسه، ص 61.

(3) قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر للشيخ المحدث صالح بن محمد العمري المسوفي الشهير بـ : الفلاني رحمه الله، تحقيق عامر حسن صبري، طبع دار الشروق، الطبعة الأولى، 1405هـ، ج 1، ص 65.

8. مسند الدرامي :

وأما مسند الدرامي وهو مرتب على الأبواب، فأرويه قراءة من أوله إلى الزكاة، وأجازة لسائره على شيخنا محمد سعيد سفر المدني بقراءته على الشيخ محمد أبي طاهر، عن إبراهيم الكوراني، عن الإمام صفي الدين أحمد، عن الرملي عن شيخ الإسلام زكريا[1].

9. ولي الله الدهلوي (تـ 1176)[2]

وهو مؤلف الإرشاد إلى جهات علم الإسناد لمحدث الديار الهندية الشاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي :

يروي عن أبي طاهر الكوراني، ومحمد وفد الله بن محمد سليمان الروداني، وهو ثبت مطبوع بالهند. ويقول إنه قد حداه على تأليفه احتياج أهل العصر إلى مثله، وأن هذا العلم صار في عصره نسيا منسيا، وكاد أهل العصر بجهلهم بفضله يتخذونه سخرياً. ومن أسانيده إلى الحافظ مرتصى الزبيدي، قال : وصلت إليه بدهلى، وقرأت عليه الحديث ولقنني الذكر وأجازني.

ومنها عن شيخنا الوالد عن الشيخ عبد الغني الدهلوي، عن والده الشيخ أبي سعيد، ومحمد إسحاق، عن جد الأخير لأمه، الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي عن أبيه[3].

10. اللكنوي الأنصاري الهندي ثم المدني

وهو الشيخ محمد عبد الباقي بن علي : مؤلف الإسعاد بالإسناد

روى عن محمد نور الحسين الحيدرآبادي، ومن أشهر مشايخه عبد الحي اللكنوى، صاحب المؤلفات العدة؛ ومن غرائبه رواية الأربعين حديثا عن محمد عبد الرزاق اللكنوي، عن القاضي مهنية الجني، عن النبي صلى الله عليه وسلم[4].

---

(1) نفسه، ج 1، ص 69.

(2) انظر ترجمته في فهرست الفهارس للكتاني، ج 2، ص 1119 وما بعدها.

(3) فهرست الفهارس للكتاني، ج 1، ص 178 وما بعدها.

(4) فهرست الفهارس للكتاني، ج 1، ص 181 وما بعدها.

11. أبو الفيض الإمام محمد مرتضى الزبيدي (تـ 1205)

أبو الفيض الأمام محمد مرتضي الزبيدي، أصله من واسط بالعراق. وولد بالهند سنة 1145هـ وعاش في اليمن أولا، ثم انتقل إلى مصر سنة 1167هـ، وبقي فيها إلي أن توفى سنة 1205هـ.

يقول عنه تلميذه الوجيه الأهدل في نَفَسِه : «إنه إمام المسندين، خاتمة الحفاظ المحدثين المعتمدين الحري بقول القائل :

كل يقال له ويمكن وصفه ويجاب عن إبريزه ولجينه

إلا الذي لم يأتنا بنظيره دَور الزمان ولا رآه بعينه

ويطريه الحافظ بن عبد السلام الناصري في رحلته بقوله : «ألفيته عديم النظير في كمال الإطلاع علي الأحاديث النبوية وتراجم الرجال وله مع ذلك كمال الإطلاع والحفظ للغة والأنساب، تأتي إليه الأسئلة الحديثية من أقطار الأرض؛ جمع إليه من دواوين الحديث والتفسير واللغة وغيرها من أشتات العلوم ما لم يجمعه أحد فيما شاهدنا. وله اليد الطولي في التأليف، فهو والله سيوطي زمانه».

ويقول عنه تلميذه الجبرتي في تاريخه : «أنه لم يزل يحرص علي جمع المتون التي أغفلها المتأخرون كعلم الأنساب والأسانيد وتخريج الأحاديث واتصال طرائق المتأخرين بالمتقدمين، وألف في ذالك رسائل وكتبا وأنظاما وأراجيز جمة، وقد أحيا إملاء الحديث علي طريق السلف». وقيل إن أماليه وصلت أربعمائة مجلس.

شيوخه :

أخذ الزبيدى عن أكثر من ثلاثمائة شيخ، ذكرهم في معجميه الكبير والصغير، وفي منظومته المعروفة "ألفية السند"، وفي طليعتهم الشيخ ولي الله الدهلوي؛ وذكر منهم في معجمه الصغير نحو المائة من اليمنيين، منهم: إبراهيم بن خليل الشافعي، وأبو بكر بن يحيى المدني، وإسماعيل بن محمد الحنفي، إمام مسجد الأشاعرة بزبيد، وسليمان بن يحيى ابن عمر الحسني الشافعي، وسليمان بن مصطفى المنصوري الشافعي، وعبد الرحمن بن مصطفى العيدروس، ومشهور بن مستريح الأهدل، وعبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي.

وذكر من مشايخه المصريين عطاء الله بن أحمد المصري، وعبد الله بن محمد الشبراوي، شيخ الجامع الأزهر، وعبد الرحمن بن عبد الله الأجهوري، وعلي بن أحمد العدوي المالكي.

ويذكر من المغاربة : محمد بن الطيب الشركي، ومحمد بن عبد الله بن أيوب التلمساني، وعبد الكريم بن علي الركراكي، و**عمر بن المختار الشنكيطي**، ومحمد بن مسعود الطرنباطي، وإدريس العراقي.

ومن الذين أجازوه الشهاب أحمد بن المنيي الدمشقي الذي قال عنه في "ألفية السند" :

أجـازني كـتابــة مـن بلـده ولي أباح كل ما في سنده

ويذكر إسماعيل بن أحمد هذا، أن ولده أخذ عن قاضي الجن عبد الرحمن الملقب بشمهروش عندما اجتمع به سنة 1073هـ.

مصنفاته :

لقد اشتهر الأمام مرتضي الزبيدي بشرحه لقاموس الفيروزبادي، لكنه امتاز بوفرة التصانيف في الحديث والتبحر في علوم الأسانيد منها معجمه الكبير الذي اشتمل على ستمائة ترجمة، والذي أورد فيه مشيخته، والصغير الذي نقله الشيخ محمد عبد الحي الكتاني في "فهرس الفهارس والأثبات". وذكر الكتاني أيضاً من مصنفاته في الأسانيد "ألفية السند" في ألف وخمسمائة بيت، وقد شرحها. ويقول في خاتمتها :

نظـمـتها للآخـذيـن عـنّـي وبعضهم قـد استجاز منّـي

فـقد أجزت كل ما ذكرتـه لـكل راغـب لـه عـلـمـتـه

وكل مـن قـد استجاز مـنـي في الأخذ والعـلـم لكل فـــن

وكـل مـا ألّفـتـه فــي عـلـم أو قلته في النثر أو في النظم

فليرو من شاء على أي صفه إجـازة فيـها التقى والمعرفه

كما اعتنى بالمسلسلات التي ذكر أنها بلغت ثلاثمائة[1]، فكتب عنها : «عقد الجوهر الثمين في الحديث المسلسل بالمحمدين"، و"الإشغاف بالحديث المسلسل بالأشراف"، و"إتحاف الأصفياء بسلاسل الأولياء"، و"التغريد بالحديث المسلسل بيوم العيد" و"التعليقة الجليلة بتعليق مسلسلات ابن عقيلة"، و"المرقاة العلية في شرح الحديث المسلسل بالأولية"، و"الهدية المرتضية في المسلسل بالأولوية"، و"المواهب الجلية فيما يتعلق بحديث الأولوية"، و"العروس المجلية في طرق حديث الأولوية".

---

(1) فهرس الفهارس، ج 2، ص 662.

وتنـاول أسـانيـد بـعض الأئمـة، فكتب "النفحـة القدوسيـة في أسانيد شيخـه العيدروس"، و"نثر الغوالي من تخريج العوالي"، يقصد عوالى شيخه علي بن صالح الشاوري، وكتب اختصار مشيخة أبي عبد الله البياني، و"الفجر البابلي في ترجمة البابلي"، و"المربي الكاملي فيمن روى عن البابلي"، كما كتب في الأسانيد عموماً، وفي الأمالي الحديثية. ومن طرائفه في الإسناد قوله في ألفيته فيما روى شيخه أبو العباس أحمد بن مصطفي الصباغ الإسكندري (تـ 1162هـ) :

وخـذ لإسنـاد حـديث عـالـي	مـن طـرق الـجـنّ بالاتـصـال
عن شيخنا الماضي الشهير الصيت	عـن شيخه منسوب شبرخيت
أعـني سليمان عـن الـجـزيـري	ذي الفضل والتحقيق والتحرير
عـن شيخـه سلامـة الإمـام	وذا عـن اللـيـثـي بالإعـلام
عـن شيخه شمهروش الـولـي	قـاض قضاة الجن ذي الرقـي
عـن الـنبـي "من شكا ضـرورتـه"	ذا أول الحديث فانقـل صـورتـه

وبقية الحديث : "وجبت معونته"

تلامذته :

لقد روى عن الزبيدي كثير من علماء الحديث، من أشهرهم في المشرق المؤرخ عبد الرحمن بن حسين الجبرتي، ومحمد بن المصطفي العثماني المصري، وقد أجاز له سنة 1194هـ، وعبد الحفيظ العجمي قاض مكة، ومسند الشام الوجيه الكزبري الدمشقي، والشهاب أحمد البربير، ومحمد سعيد السويدي البغدادي، والشريف الصالح الرواية عثمان بن محمود الهزاري القادري البغدادي. وقد أجاز لأبناء النفيس سليمان الأهدل اليمني.

ومن المغاربة الشيخ أبو رأس العسكري، مؤلف "السيف المنتضي في أسانيد الشيخ مرتضى"، ومحمد الجندوز شيخ الجماعة بمستغانم، وأحمد عبد الرحمن الطبولي الطرابلسي. ومن التونسيين عمر بن المؤدب الشاذلي، وأبناء شيخه الغرياني الذين أجازهم بثبت خاص سماه "العقل المكلل بالدر العقياني في إجازة أولاد شيخنا الغرياني".

وأجاز لمجموعة من علماء المغرب منهم ابن عبد السلام الناصري الدرعي، وعم بها كل من تأهل في الزاوية الناصرية؛ كما أجاز لمحمود بن الحاج، ومحمد بنيس شارح الهمزية، والطرنباطي شارح الألفية. وقد أجاز أيضاً للشيخ صالح الفلاني.

ونورد من ألفية السند المقاطع التالية :

المقدمة :

يقول راجي عفو رب الرضى محمد هو الشريف المرتضى

الحمد لله المفيض الهادي إلى طريق الوصل بالإسناد

بحفظه الفرد عن الإعضال ورفعه الصحيح للإكمال

إليه في كل أموري أستند وما ينوب فعليه أعتمد

ثم صلاته مع السلام على النبي المصطفى التهامي

محمد المحمود خير مرسل الفاتح الخاتم أزكى مرسل

وآله وصحبه الكرام والتابعين السادة الأعلام

ما زين الحفاظ أفق العلم ولاح منهم فيه نجم الفهم

ونشر القبول بالإمداد وبزغت أشعة الإسناد

واتصلت بمورد الدراية سلاسل الحديث بالرواية

وهذه ألفية منيفة منظومة رائعة لطيفة

ضمنتها مالي من الإسناد عن الشيوخ السادة الأمجاد

ممن لقيته من الأخيار في سائر البلدان والأقطار

أوردتهم فيها على الولاء في نسق يشرق بالسناء

وربما ذكرت من أجازا كتابة وذاك أمر جازا

بالاتفاق قيل لما قلوا (إن لم يصبها وابل فطل)

سند الفاتحة من طريق الجن :

وقد تلقى بالسماع الأكمل فاتحة القرآن بالتسلسل

كما تلقاها عن البرهان مؤدب الأطفال شيخ الجان

وهو تلقى عن لسان القاضي شَمْهروش المولى بلا اعتراض

ومثله إن لم يكن معتبرا لكنه يذكر حتى ينظرا

سند البخاري ومسلم :

وقد رويت جامع البخاري عن عمر بن أحمد الأخيار

عن خاله عن الإمام عيسى وابن سليمان الذي من سوسا

كلاهما عن أحمد بن المقري ... عن عمه المولى الإمام الأكبر

سعيد بن أحمد الإمام عنْ ... محمد يدعى خروف حين عنْ

التونسي الطيب الأنفاس ... نزيل حضرة الملوك فاس

عن الكمال القادري المرتضى ... عن الحجازي عن الحبر المرتضي

نجل أبي المجد عن الحجّار ... عن الزبيدي بنقل الجاري

عن عمدة الإسلام عبد الأول ... عن ابن داود الإمام المعتلي

عن السرخْسِي عن الفِرَبْرِي ... عن البخاري الإمام الحبر

ومسلم به إلى الكمال ... عن علم الدين أخي الخلال

عن الإمام المسند التنوخي ... عن ابن حمزة عن الشيوخ

كابن المقير عن ابن ناصر ... عن ابن منده الإمام الناصر

ذا عن أبي بكر الإمام الجوزقي ... عن ابن عبدان علوا يرتقي

عن مسلم وكله إجازه ... وشيخنا والحافظ ابن حجر أجازه

رواية البخاري من طريق أبي ذر مسلسلا بالمغاربة :

وخذ طراز اللازورد المُذْهب ... مسلسلا باسم أهالي المغرب

في سند الصحيح للبخاري ... إلى أبي ذر بالاختصار

رويته عن شيخنا المذكور ... عن شيخه المقدس المبرور

محمد سليل عبد القادر ... وهو رواه عن أبيه الفاخر

عن شيخه الراقي ذري مشاهده ... أي عابد الرحمن عم والده

عن شيخه بحر الهدى الزخار ... محمد بن قاسم القصار

عن شيخه العلامة المفنن ... تاج العلا محمد اليسيتني

عن شيخه ذي الفضل والإعزاز ... محمد بن أحمد بن غاز

عن ابن منون الشريف الطاهر ... ذا عن أبي زيد الإمام الجادري

ذا عن أبي الوليد نجل الأحمر ... وذا عن القسي يحيى الأنوري

ذا عن أبي علي الحسين ... ابن أبي الأحوص زين الدين

وذا عن ابن سالم الكلاعي ... عن ابن عباد الإمام الداعي

وذا رواه بالقبول والصفا ... عن شيخه محمد بن يوسفا

عن عمه موسى أبي عمران	نجل سعادة بلا نكران
عن صهره أبي علي الصدفي	ذا عن أبي الوليد نجل خلف
وهو رواه عن أبي ذر الرضي	إسناده العالي الرفيع قد مضى[1]

12 . محمد عابد السندي الأنصاري (تـ 1257هـ)

وهو محدث الحجاز ومسنده، والحافظ المتبحر. يرجع نسبه إلي أبي أيوب الأنصاري، ولد قرب حيدرآباد بالسند، وقرأ بصنعاء على الإمام الشوكاني، ووفد إلى مصر وأسند له محمد على باشا رئاسة العلماء في القاهرة، ثم انتقل إلي المدينة المنورة، وأقام فيها يقرأ كتب السنة، وأصول الفقه الحنفي. ومن أشهر كتبه في علم الأسانيد "حصر الشارد من أسانيد محمد عابد"[2].

ويقول أبو الحسن علي بن أحمد بن موسى، مسند الجزائر وحافظها، أنه لم يوجد له في الدنيا نظير[3].

13 . أبو الحسن علي بن ظاهر الوتري المدني (تـ 1322هـ)

ومن مشايخه :

عبد الغني الدهلوي، والحبيب هاشم بن شيخ الحسيني.

وله إجازة مطبوعة. ومن الرواة عنه : محمد عبد الباقي وعمر حمدان[4].

14 . الحافظ الشيخ فالح بن محمد عبد الله المالكي الظاهري (تـ 1328هـ)

نسبه إلى ظاهر بن مهنى.

له من الأثبات : الثبت الصغير : "حسن الوفا لأخوان الصفا" (مطبوع)، والثبت الكبير : "شيم البارق من ديم المهارق"، والثبت المتوسط : "ما تشد إليه في الحال حاجة الطالب الرحال".

---

(1) ألفية السند لأبي الفيض الإمام محمد مرتضى الزبيدي، دار البشائر الإسلامية، 2005.

(2) ذكره الكتاني في فهرس الفهارس، ج 1، ص 363، وقال : «هو في مجلد ضخم قسمه إلى ثلاثة أقسام قسم لأسانيد المصنفات التي ذكرها على حروف المعجم وقسم للمسلسلات وقسم لسلاسل الخرق الصوفية».

(3) فهرس الفهارس للكتاني، ج 2، ص 720 وما بعدها.

(4) انظر ترجمته مفصلة في فهرس الفهارس للكتاني، ج 1، ص 106 وما بعدها.

من الرواة عنه : محمد عبد الباقي الهندي الأنصاري، ومحمد عبد الحي الكتاني، وعمر حمدان المحرسي المكي.

ومن مشايخه :

محمد بن علي السنوسي، وعبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي، والوجيه السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، صاحب النفس اليماني[1].

---

(1) انظر ترجمته مفصلة في فهرس الفهارس للكتاني، ج 2، ص 895.

الباب السادس
جهود علماء الغرب الإسلامي في علوم الحديث

تمهيد

فتح الأندلس

لقد فتحت جزيرة الأندلس سنة 92هـ، في عهد الوليد بن عبد الملك على يد موسى بن نصير، ومعية طارق بن زياد المصمودي، ومغيث بن الحرث الغساني. وقد صحب موسى في جيشه مجموعة من علماء التابعين منهم أبو علي حسين الشامي، المعروف بحنش الصنعاني، الذي قيل إنه كان مع الإمام علي بن أبي طالب في صفين، وأنه روى عن ابن عباس، وكان على صلة خاصة بعبد الملك بن مروان الذي نزل في بيته لما غزا إفريقية مع معاوية بن خديج، ولقد وفد عليه خليفة، وقدم عليه أسيرا بعد أن قام مع ابن الزبير.

وممن صحب موسى إلى الأندلس أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري، وهو من له رواية عن أبي أيوب الأنصاري، وكذلك أبو النضر حبان بن أبي حيلة القرشي، مولاهم، الذي روى عن ابن عباس وابن عمر وعمرو بن العاص.

ومنهم أيضا المغيرة بن أبي بردة، وكانت له رواية عن أبي هريرة، وعبد الله بن بشامة الفهري، وقد ذكرهما البخاري في "تاريخه الكبير"، وعبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

وتذكر بعض المصادر أن أحد الصحابة، وهو المنيذر الإفريقي، أوأبو المنيذر اليماني[1] دخل الأندلس مع موسى بن نصير. وقد روى عنه أبو عبد الرحمن الحنبلي.

ولما استتب الأمر في ربوع الأندلس، وأقام فيها أجناد المسلمين، واستطابوا أرضها، وارتضوها سكنا، توالت عليها الوفود من حواضر المشرق، ومن مصر والقيروان. فاشتهر من هؤلاء الوافدين أئمة من القراء مثل الأنطاكي والمهدوي ومكي، ومن الأدباء اللغويين مثل أبي علي القالي وصاعد وغيرهم.

وكان سهم المحدثين أقل في هذا المضمار، ومن أول من اشتهر منهم : معاوية بن صالح الحضرمي (تـ 158هـ) راوية الشاميين الذي قدم من حمص سنة 123هـ،

(1) قال ابن الأبار في التكملة : «له صحبة كان يسكن إفريقيا ودخل الأندلس فيما ذكر عبد الملك بن حبيب»، ج 2، ص 731.

وصعصعة بن سلام الدمشقي، صاحب الأوزاعي (تـ 192هـ)، وأبو مصعب بن عمران الذي كان يروي عن أهل الشام وأهل المدينة، وقد استقضاه الأمير هشام بن عبد الرحمن[1].

مواجهة بين الفقهاء والمحدثين

ولقد واكبت تاريخ علوم الحديث في الأندلس منذ نشأته مواجهة حادة بين سدنة الفقه المالكي ودعاة مذهب أهل الحديث. فاحتمى الفريق الأول بسلطة عالم المدينة، إمام دار الهجرة، أمير المؤمنين في الحديث، مالك بن أنس الأصبحي، واستمسكوا بروايتهم لموطئه، واعتمدوا أقواله في مدونته المرويّة عن ابن القاسم العتقي اعتبارا أنها تمثيل عملي للسنة التطبيقية التي رواها علماء المدينة عن علماء الصحابة عن النبيﷺ. مثّل هذا الفريق في بداية أمره زياد بن عبد الرحمن، شبطون، وتلميذه يحيى بن يحيى الليثي المصمودي، الذي صارت روايته عمدة علماء الغرب الإسلامي، ثم شدت أزره نخبة من أساطين زعماء المالكية أمثال : ابن حبيب، وعيسى بن دينار، وزونان، وأصبغ بن خليل.

وحاول الفريق الثاني أن لا تنحصر دائرة معارف الأندلس على سماعات فقهاء المذهب المالكي، وتجرؤوا على اختراق محيطهم، وإدخال مصنفات أئمة المحدثين في الحظيرة الأندلسية، واتهموا فقهاءها بالتعصب وقصر النظر، فقالوا إن يحيى بن يحيى لا بصر له بالحديث، وإن ابن حبيب لا يميز بين صحيحه وسقيمه ؛ فكانت أول محاولة جريئة تلك التي قام بها بقي بن مخلد، بعد رحلتين دامتا في المشرق خمسا وثلاثين سنة، زار أثناءها حواضر العراق والحجاز والشام ومصر. وسمع من أئمة الحديث في كل هذه الأصقاع، ثم عاد إلى الأندلس ومعه مصنف ابن أبي شيبة، الذي قال عنه الفقيه أصبغ بن خليل إنه يفضل «أن يكون في بيته رأس خنزير من أن يكون هذا المصنّف في بيته»[2].

ولقد وجد ابن مخلد دعامة في الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي، وسندا مؤازرا في محمد بن وضاح حتى صارت الأندلس بهما دار حديث. وبرز فيها مجموعة من كبار المحدثين أمثال قاسم بن ثابت، وأحمد بن خالد، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن، وداود ابن جعفر الصغير، والأصيلي وابن أبي زمنين[3].

(1) خصص الدكتور مصطفى محمد احميداتو في الجزء الأول من كتابه "مدرسة الحديث في الأندلس" فصلا خاصا ذكر فيه الصحابة والتابعين الذين دخلوا الأندلس وأثرهم في نقل الحديث إليها، منشورات دار ابن حزم، ط 1، 2007.

(2) انظر ترتيب المدارك للقاضي عياض، ج 4، ص 252.

(3) انظر دخول مسند بقي ابن مخلد إلى الأندلس وموقف الفقهاء منه في كتاب مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، خالد الصمدي، ج 1، ص 131، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 2006.

ثم جد فريق الفقهاء في تبرير سيطرتهم على المؤسسات القضائية، بإبراز نصيبهم من التمكن من أصول السنة، فبذلوا جهودا كبيرة في خدمة مرجعهم الحديثي المتمثل في كتاب الموطإ، واستعملوا في هذه المساعي مناهج صنعة أهل الحديث، فأولوا عنايتهم لتقويم روايته، وتصحيح أسانيده ورجاله، والأحكام المستنبطة منه.

فكان من حصيلة ما أنجزوه في هذه الفترة كتاب "مسند حديث الإمام مالك" لأحمد بن خالد، و"غريب حديثه" لقاسم بن أصبغ، و"اختصار" ابن مزين، وشرحه لابن أبي زمنين، وكتاب محمد بن يحيى الحذاء التميمي في "الاستنباط لمعاني السنن والأحكام في الموطإ ورجاله"، وكتاب الطلمنكي في فضائل مالك، ورجال الموطإ.

ولقد توجت هذه الأعمال الحديثية بالموسوعة الرائعة التي ألفها أبو عمر يوسف بن عبد البر في كتاب "التمهيد"، ثم التي التمس منه فريق الفقهاء أن يعيد صياغتها حسب مناهجهم في كتاب "الاستذكار". وإذا كان معارضوه الذين أدرجوا معركتهم في سياق الظاهرية، قد اعترفوا بقيمة عمل ابن عبد البر، فإن ذلك لم يمنع المواجهة أن تستمر على مستوى التقويم الأصولي بين المحدث الفقيه أبي الوليد الباجي، مؤلف "الاستيفاء والمنتقى في شرح الموطإ"، وبين المحدث المفكر أبي محمد بن حزم[1].

وبعد قرن من هذا الصراع، انتهت المعركة في أوائل القرن السادس، عندما احتفظ ابن رشد بالسلطة الفقهية العلمية، واكتسب أبو علي الصدفي مكانة الأستاذية في علوم الحديث.

وهكذا ظهرت في الأندلس، ثم في بلاد المغرب ثروة من علوم الحديث سنحاول في هذه الفصول ذكر بعض أعلامها، والإشارة إلى تراثها استكمالا لأعمال حفاظ المشارقة الذين روي عنهم : «لولا القاضي عياض لما ذكر الأندلس» : إنها مقولة مشهورة يعتقد من سمعها أن علماء المشارقة لم يعرفوا، أو لم يقدروا جهود علماء الغرب الإسلامي، وهذا ما يُلمح له بقول بعض علماء المغرب، وكأنهم يعيدون ما قاله ابن حزم :

أنا الشمس في جو السماء منيرة ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

أو يشيرون إلى تعجب ابن الصلاح من "مشارق الأنوار" :

مشارق أنوار تبدت بسبتة وذا عجب كون المشارق في الغرب

(1) سيأتي التعريف بهؤلاء الأعلام وهذه المصادر في ما يستقبل من مباحث هذا الباب.

ومما يثير الانتباه أن ابن الصلاح، زيادة على تعجبه من إشراقة الشمس من المغرب، لم يذكر بعض أئمة الحديث المغاربة إلا في مناسبات انتقادية، فذكر معارضته لرأي ابن عبد البر في تعديل جميع حملة العلم، وعدم تبيين الحميدي للمتون المعزوة للشيخين في جمعه للصحيحين، ومخالفته للباجي في الإجماع على قبول الإجازة، والاعتراض على رأي ابن حزم في حديث المعازف.

وقد نبّه العلامة محمد الشاذلي النيفر أن الدارقطني لم يذكر موطأ ابن زياد في كتابه، ولا رواية يحيى بن يحيى الليثي، ولعله لم يقف على روايات الأندلسيين والأفارقة، ولعل الباجي ألف كتابه لتلافي النقص الذي وقع فيه الدارقطني، من إغفال روايات الأفارقة والأندلسيين. ولا عجب من إهمال الدارقطني لهؤلاء لأن لأهل المشرق زهادة فيما عند أهل المغرب، واكتفاء بما عندهم من روايات وكتب، بخلاف أهل المغرب فإن لهم عناية بأهل المشرق.

وقد ألمح الأستاذ إبراهيم بن الصديق الغماري إلى هذا في مقدمة رسالته عن ابن القطان.

وكأننا نستشف من هذه المقالات كلها نوعا من العتاب يوجه للمشارقة لجهلهم أو تجاهلهم لجليل أعمال نظرائهم في الغرب الإسلامي، وما أسدوه من خدمة العلوم الإسلامية، وكأنهم يذكرونهم بحفظ تراثهم، وحرصهم على تلقي معارفهم في رحلاتهم الشهيرة.

وكأن علماء المشرق اليوم بدأوا يعترفون بهذا الإهمال، ويعربون عن تطلعهم إلى معرفة جهود علماء الغرب الإسلامي، فمن ذلك ما يقوله د. محمد عوامه في تقديم كتاب "تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه" : «ما يزال أهل المشرق في بُعد عن علوم أهل الهند وما ولاها من دولة باكستان، وباكستان الشرقية (بانغلاديش)، وجاراتها الأخرى من بلاد الأفغان وإيران إلى شمال المنطقة، وبلاد بخارى وسمرقند. وكذلك هم في بُعد عن معارف أهل المغرب عامة، مراكش وتونس والجزائر وسائر افريقية، ومن تلك الرقعة العظيمة الأندلس (فردوس الدنيا)»[1].

إن هذا الأمر يحملنا على طرح سؤالين عن حقيقة قد لا نتصورها بديهة، وهما : هل علماء المشارقة لم يكونوا على علم بتراث المغاربة العلمي ؟ أم أن جل المغاربة لم

---

(1) تقديم كتاب تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه لمحمد بن عبد الله التليدي، ص 6، منشورات دار البشائر الإسلامية، ط 1، 1995.

يعرفوا أن جهود علمائهم كانت معروفة عند نظرائهم في الشرق ؟ وهنا أعود إلى ما يقول العلامة إبراهيم بن الصديق : «إن كثيرا من إنتاج أهل العدوتين : الأندلس والمغرب الأقصى، لا زال مجهولا ولا زال في حاجة إلى بحث ودراسة، وجمع وتعريف، وخاصة من المغاربة، فقد نجد نقولا عن علماء الغرب كابن القطان، وابن المواق، وابن رشيد، وأبي الخطاب بن دحية، وابن الفرضي، وابن بشكوال وغيرهم في كتب الزيلعي، والعراقي، والذهبي، وابن حجر، والبخاري، والسيوطي، وابن دقيق العيد، وغيرهم من أهل المشرق، مع أن الجل من تلك المؤلفات المغربية التي نقل منها حفاظ المشرق لا يعرف جل المغاربة عنها شيئاً»[1].

(1) من تقديمه لكتاب تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه لمحمد بن عبد الله التليدي، ص 19-20، منشورات دار البشائر الإسلامية، ط 1، 1995.

1 ـ يحيى بن يحيى الليثي المصمودي أبو محمد القرطبي (ت 234هـ)

ابتدأ حياته عاملاً، وكان بين الفينة والأخرى يتردد على حلقة زياد بن عبد الرحمن شبطون، وبعد أن لاحظ عليه هذا الشيخ العظيم أمارات الذكاء والنبوغ، وحسن الاستعداد، قال له ذات يوم : يا بني إن كنت عازما على التعلم، فخذ من شعرك، وأصلح زيك ـ وكان بزي الخدمة ـ كما شجعه أستاذه المذكور على الرحلة في طلب العلم، وكان مما قاله له : إن الرجال الذين حملنا العلم عنهم باقون، وعجز بك أن تروي عمن دونهم.

وهكذا استعد يحيى للرحلة، وقد أقرضه أستاذه شبطون مالا بعد أن رفض أخذ مال أبيه.

قال ابن الفرضي، وأبو عمر بن عبد البر : سمع يحيى بن يحيى من زياد شبطون لأول نشأته موطأ مالك بن أنس، وسمع من يحيى بن مضر، ثم رحل وهو ابن ثمان وعشرين سنة، فسمع من مالك الموطأ غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك فيها، فبقي يحدث بها عن زياد.

وقد رحل رحلتين : سمع في أولاهما من مالك الموطأ، وكان لقاؤه له في السنة التي توفي فيها مالك (179هـ). وكان من شيوخه أيضا القاسم بن عبد الله العمري، وحسين بن ضميرة، وعبد الله بن نافع، ونافع بن أبي نعيم القارئ. وأخذ بمكة من سفيان بن عيينة، وبمصر عن الليث بن سعد، وعن عبد الله بن وهب موطأه وجامعه، وسمع من ابن القاسم مسائل، وحمل عنه عشرة كتب، فكتب سماعه ثم عاد إلى المدينة ليسمعه من مالك، فوجده مريضا، فأقام بالمدينة إلى أن توفي مالك، وحضر جنازته.

ثم عاد إلى الأندلس، فما لبث غير يسير حتى مات أبوه، فأخذ في هذه المرة ما شاء من مال أبيه، ثم عاد فحج، ولقي جلة أصحاب مالك، ثم انصرف، قال ابن حارث : اقتصر في هذه الرحلة على ابن القاسم، فبه تفقه.

كان من أبرز تلاميذه : بقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح، قال ابن الفرضي : وسمع منه رجال الأندلس في وقته، وكان آخر من حدث عنه ابنه عبيد الله.

وأصبحت فتيا الأندلس ـ بعد شيخه ـ عيسى بن دينار إلى رأيه وقوله. قال ابن لبابة : فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب، وعاقلها يحيى بن يحيى، وقال أبو عبد الملك بن عبد البر المؤرخ في كتابه : "أخبار الفقهاء والقضاة بالأندلس" : وبيحيى بن يحيى وعيسى بن دينار انتشر مذهب مالك بالأندلس، وانتهى الناس إلى سماع الموطإ من يحيى وأعجبوا بتقييده، فقلدوه وتبعوه. قال ابن الفرضي : وكان أحمد بن خالد يقول : لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس منذ دخولها الإسلام من الحظوة، وعظم القدر، وجلالة الذكر ما أعطيه يحيي بن يحيى، وسمع منه مشايخ الأندلس في وقته.

أدرجه القاضي عياض في الطبقة الصغرى من أصحاب مالك، وقال : إنه كان يفتي برأي مالك، لا يدع ذلك إلا في مسائل معدودة، منها أنه كان لا يرى القنوت في الصبح ولا غيرها، اقتداء بالليث، وخالف أيضا مالك في الأخذ باليمين مع الشاهد، لم ير القضاء به، وأخذ بقول الليث فيه أيضا، ورأى كراء الأرض بما يخرج منها على مذهب الليث.وقد أُخِذَتْ على يحيى مآخذ، وأحصيت عليه جملة أخطاء وتصحيفات في روايته للموطإ، قال ابن حارث : ذكر بعض الناس أنه كان ليحيى بن يحيى في مؤطإ مالك بن أنس رحمه الله وفي غيره تصحيف. فأما إبراهيم بن محمد بن باز، فكان يكثر على يحيى في ذلك ويقول : غلط يحيى في الموطإ نحوا من ثلاثمائة موضع، فذُكر ذلك لأحمد بن خالد، فقال : لا، ولا هذا كله، للذي صح في ذلك نحو ثلاثين موضعاً. ثم قال ابن حارث : قال لي يعلى ابن سعيد : حصَّل محمد بن وضاح ذلك الغلط كله، فأصابه في ست وثلاثين موضعا، ثم أضاف ابن حارث قائلاً : وقرأت تلك المواضع كلها في كتاب محمد بن عبد الملك بن أيمن، وإنما هي في الإسناد وليس في متون الحديث[1].

(1) تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي، 179/1.

2. عبد الملك بن حبيب السلمي : أبو مروان الألبيري ثم القرطبي (ت 238هـ)

ذكره ابن الفرضي في طبقات الأدباء، فقال إنه قد جمع إلى إمامته في الفقه، التبحر في الأدب، والتفنن فيه وفي ضروب العلوم، فكان فقيهاً مفتياً، نحوياً لغوياً، نسابة، إخبارياً، عروضياً فائقاً، شاعراً مرسلاً، مؤلفاً متقناً.

أخذ بالأندلس عن صعصعة بن سلام، والغاز بن قيس، وزياد بن عبد الرحمن شبطون. ورحل إلى المشرق سنة 208هـ، فسمع من عبد الملك بن الماجشون، وأصبغ بن الفرج، وأسد السنة ابن موسى بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وعبد الله بن الحكم. وعاد سنة 216هـ، فروى عنه ابناه، وبقي بن مخلد، ومطرف بن قيس، ويوسف المغامي الذي كان آخر تلامذته موتاً.

وقد ألف ابن حبيب نحواً من خمسين كتاباً منها : "الواضحة" التي قيل إنه لم يؤلف مثلها، وهي من آثاره المفقودة، وقد طبعت منها قطعة مما حفظه الزمن، وله كتاب في غريب الحديث وشرح الموطإ، و"طبقات الفقهاء والتابعين"، و"تفسير القرآن الكريم" في خمسة وتسعين جزءاً، وكتاب "المغازي"، و"مقام الرسولﷺ"، وغيرها.

وكان مشاورا مع سعيد بن حسان في منافسة يحيى بن يحيى وانفرد برئاسة العلم بعده.

لقد كان ابن حبيب متبحراً في العلوم، آخذاً من كل فن بطرف كبير، ولكن ما هو دوره في نشأة علوم الحديث في الأندلس ؟ الجواب الصحيح عن هذا السؤال ليس سهلاً، لأن جل آثاره تكاد تكون مفقودة، ولم يتبق إلا أقوال المؤرخين والنقاد.

ويقول محمد بن أحمد بن عبد البر إنه أول من أظهر الحديث بالأندلس، ولكنه لا يفهم صحيحه من سقيمه.

ولقد تردد هذا الحكم عند المؤرخين، فيقول أحمد بن سعيد الصدفي إنه كان كثير الجمع، معتمداً على الأخذ بالحديث، ولم يكن يميزه ولا يدري الرجال. أما ابن حزم فإنه

ينسبه إلى الكذب، وأنه متهالك، وأن روايته مطروحة. لكن الذهبي يعقب على قول ابن حزم، ويقول إنه أجَل من ذاك لكنه يغلط، ولم يكن متفننا في الحديث، ويقنع بالمناولة، ويعيب ابن حجر قوله، ويقول : لعله كان يحدث من كتب غيره فيغلط، وكان ابن وضاح لا يرضى عن صنيعه في التحمل، ولم يخرج له. كما عيب عليه ادعاؤه أنه سمع من أسد السنة بن موسى، وإنما قد أخذ كتبه إجازة أو مناولة، ولم يكن أبو عمر بن عبد البر أيضاً راضياً عن طريقته في الإسناد[1].

ويلخص الدكتور إبراهيم ابن الصديق رأي النقاد فيه بقوله : «إن ابن حبيب ليس بذلك المحدث الذي يقارن بأئمة المغرب كابن وضاح، وبقي بن مخلد، وقاسم بن أصبغ، وأحمد بن خالد، وابن فطيس، والأصيلي، كما يفهم من كلام القاضي عياض، ولا هو بذلك الكذاب المختلق كما هو رأي ابن حزم. بل هو في غير علم الحديث، وخاصة الفقه، إمام كبير له خطره ووزنه واعتباره.

أما في علم الحديث والرواية، فالرجل ضعيف جداً، وهو أنسب وصف له بحسب قواعد الإصطلاح، فالذي لا يكون مختصا في فن من الفنون، ومنها الحديث، إذا اقتحم ميدانه أخطأ وغلط وحرّف، وأفسد الأسانيد وقلَبها، وهذا شأن الضعفاء. أما الكذب وتعمده فالرجل أجل من ذلك، كما قال الذهبي»[2].

---

(1) تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي، 269/1 ، وبغية الملتمس للضبي، 490/2.

(2) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج 12، ص 102، قال فيه : «كان موصوفا بالحذق في الفقه كبير الشأن بعيد الصيت كثير التصانيف إلا أنه في باب الرواية ليس بمتقن».

3. أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي (تـ 276هـ)

حياته العلمية

لقد اتفق المؤرخون أن الأندلس صارت دار حديث بفضل جهود بقي بن مخلد وابن وضاح. وقد يكون من الإنصاف أن لا نغفل دور محمد بن عبد السلام الخشني، وقاسم بن دينار في تأسيس مدرسة الحديث في الأندلس.

صحيح أن الإمامين بقيا وابن وضاح كان لهما تأثير أقوى وصيت أبعد. وقد اشتركا في كثير من العمل في خدمة علوم الحديث، إذ كان لكل منهما رحلتان إلى المشرق، سمعا خلالهما من كبار أئمة الحديث، ثم عادا إلى الأندلس. وقد ملأ كل منهما عيبته من هذا العلم، وبثا معارفهما في صدور جم غفير من الطلاب والتلاميذ، غير أنهما اختلفا في المنهج والاتجاه. فقد كان ابن مخلد محدثا مستقلا، يميل إلى مذهب أهل الأثر، وينزع إلى الاجتهاد، معتمدا على استنباطات من كتب الحديث، متأسيا بابن أبي شيبة في مصنّفه. أما ابن وضاح فقد كان محدثا ملتزما بأمهات مسائل الإمام مالك بن أنس، سالكا في ذلك سبيل شيخه سحنون القيرواني، راوي "مدونة" ابن القاسم، وأحاديث ابن وهب.

وسنقف مع كل منهما وقفة قصيرة، نوجز فيها دوره في تأسيس مدرسة الحديث بالأندلس.

لقد كتب الدكتور نوري معمر دراسة مستفيضة عن الإمام أبي عبد الرحمن بقي ابن مخلد[1]، ونشر في مستهلها لوحات طريفة تحمل عبارات مختصرة للتعريف بابن مخلد، ذكر فيها أن شيوخه الذين ترجم لهم بلغوا أربعة وثلاثين ومائتي شيخ. وأفرد بالذكر منهم يحيى بن معين، سمع منه التنويه بابن حنبل، وأبا بكر بن أبي شيبة الذي حمل مصنّفه إلى الأندلس، وزهير بن حرب، وعبد السلام سحنون، وقد سمع من ابنه محمد أشياء سبق له أن سمعها بالعراق، وذكر من شيوخه أيضا يحيى بن يحيى

---

(1) معجم شيوخ عبد الرحمن بن مخلد، منشورات مطبعة الهداية بتطوان، 1996.

الليثي الأندلسي، ويحيى بن بكير الذي كان يُجل ابن مخلد ويجلسه بجنبه. ومنهم أيضا الإمام أحمد بن حنبل الذي اشتهرت قصة سماعه منه، وما لقي منه من عناية خاصة.

سمع ابن مخلد بمكانة الإمام أحمد بن حنبل فتوجه إلى منزله في بغداد ليسمع منه، ولما دخل عليه أخبره بأنه رجل غريب جاء من أقصى المغرب من أجله، فأراد أن يحدثه ويكتب عنه، فاعتذر له الإمام أحمد قائلاً : «ما كان شيء أحب إلي من عون مثلك، غير أنك صادفتني ممتحناً بالمحنة التي ترى وهذا شيء قد منعته».

أسقط أولا في يد بقي بن مخلد، إلا أن حيلة دارت في خلده، فقال للإمام أحمد : «يا سيدي إنني رجل مجهول العين في هذا البلد، وبوسعي أن آتيك في زي متسول، وأنادي بالباب، فإذا سمعتني، فتفضل بالخروج إلي، وأنا أستعد بكاغدي ومحبرتي فتملي عليَّ ما أمكن».

قَبِلَ الإمام أحمد مقترح بقي بن مخلد، الذي صار يتردد عليه كل يوم وينادي بطلب الصدقة، ويدعو بالأجر والثواب، ويخرج إليه الإمام أحمد فيتصدق عليه بإملاء حديث أو حديثين، حتى كتب عنه ثلاثمائة حديث.

وبعدما انتهت محنة أحمد، بَقِي وفيا وصفيا لبقِيٍّ، فكان يثني على جده في الطلب ويدنيه إذا حضر في مجلسه، ويعوده إذا غاب.

وذكر د. نوري في قول بقي إنه غرس في الأندلس غرسا لا يقلع إلا بخروج الدجال، وأن ابن حزم قال عن تفسير بقي للقرآن : إنه الكتاب الذي أقطع قطعا لا أستثني فيه أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري[1]، ولا غيره. وقوله : «إذا سمينا بقي بن مخلد فما نسابق به إلا محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم ابن الحجاج وسليمان بن الأشعث السجستاني، يعني أبا داود، وأحمد بن شعيب النسائي».

ويستغرب المؤرخون أن مصنف ابن مخلد لم يدرج في نطاق المراجع الحديثية المعتمدة مثل الصحاح الستة المشهورة مع ما يمتاز به هذا الكتاب في ترتيبه على أسماء الصحابة، إذ روى فيه عن ألف وثلاثمائة شيخ، ثم رتّب حديث كل صحابي على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فكان مصنفا ومسندا في نفس الوقت، فأربى به على ابن

---

(1) انظر الحديث عن مؤلفات بقي وقيمتها في الصلة، لابن بشكوال، ج 1، ص 117.

أبي شيبة وعبد الرزاق وسعيد بن منصور، وأتى بعلم كثير لم يقع في غيره من هذه المصنفات[1].

وفي رحلته لقي جماعة من أعلام المحدثين وأئمة الدين، فروى عن ابن حنبل، وابن أبي شيبة، والدورقي، وخليفة بن خياط، وهشام بن عمار، ودحيم، وبندار، وعبد الله بن نمير، ومحمد بن المثنى، وأبي مصعب الزهري، ويحيى بن بكير، وخلق كثير يناهزون المئتين، قيل إنهم بلغوا مائة وأربعة وثمانين، لا يوجد عشرة من الضعفاء منهم.

روى عنه ابنه أحمد، وأيوب بن سليمان المري، وأسلم بن عبد العزيز، وهشام بن الوليد الشامي.

وقد قيل إن عبد الله وإسحق ابني يحيى الليثي عتبا عليه لأنه قدم رواية أبي مصعب وابن بكير على رواية أبيهما، فقال لهما : أما ابن مصعب فلأنه قرشي، لقول رسول الله ﷺ : «فقدموا قريشا ولا تَقَدَّموها»، وأما ابن بكير، فلأنه أكبر سنا، وقال النبي ﷺ : «كبِّر، كبَّر»، مع أنه سمع الموطأ من مالك سبع عشرة مرة، ولم يسمعه أبوكما إلا مرةً واحدةً، فخرجا عنه ولم يعودا إليه بعد ذلك، وقد كان ابن مخلد مجاب الدعوة، وله في ذلك قصة مشهورة أثناء محنته بعد عودته إلى الأندلس.

لقد كاد ابن مخلد أن يثير فتنة حينما أدخل إلى الأندلس مصنف ابن أبي شيبة، وكتاب "الطبقات" و"التاريخ" لخليفة بن خياط. بدأ ابن مخلد بمحاولة قراءة هذه الكتب في الجوامع، وإعادة تصنيف بعضها، ونشرها بين الناس، فأثار حفيظة علماء المالكية التقليديين، فرموه عن قوس واحدة، واتهموه بالابتداع في الدين، وألبوا العوام عليه، وطالبوا أهل الحكم بعقابه ومنعه من نشر معارفه، وكان من أشد الناس إنكارا عليه أصبغ بن خليل وعبد الله بن مرتنيل (تـ 256هـ)، رأس المالكية بالأندلس، ومحمد بن الحرث (260هـ)، وأبو زيد بن إبراهيم (258هـ).

غير أن ابن مخلد استشفع بهشام بن عبد العزيز، فوصل أمره إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، فرأى أن يتناظر مع مخالفيه، وأن تتاح له الفرصة للدفاع عن آرائه والإدلاء بحججه، فكان لبقي بن مخلد ما أراد، فنجا في مناظرته، وسمح له بنشر

---

(1) يقول بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، ج 3، ص 201 : «ومن الكتب المفقودة مسند بقي بن مخلد، ورتب بقي مصنفه الكبير على أسماء الصحابة فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صحابي ونيف ثم رتب أحاديث كل صحابي على أبواب الفقه ومسائل الأحكام فهو مصنف ومسند في وقت واحد».

علمه، فاستطاع أن يحتل مكانته بين العلماء الأندلسيين، وكانت محنته بداية تحول في الفكر الأندلسي حيث اتسعت ملاءة الحديث في ربوعها بعدما كانت ضيقة عليه، حسب تعبير ابن حيان في تاريخه[1].

ولكن ما هو مصير تراث بقي بن مخلد ؟ لقد ذكرت بعض المصادر أن لبقيٍّ أكثر من ستمائة مجلد، وأن من أشهرها مصنفه وتفسيره، ويذكر أن أحد حفدته، وهو قاضي قرطبة محمد بن أحمد (تـ 490هـ) كان يروي هذين الكتابين مسلسلا عن آبائه : أحمد عن والده مخلد (تـ 408هـ)، عن والده عبد الرحمن (366هـ)، عن والده أحمد بن بقي (324هـ) عن الإمام بقي بن مخلد (276هـ). كما يذكر أن القاضي عياضاً وابن بشكوال سمعا من أبي القاسم أحمد بن محمد بن مخلد هذين الكتابين. ومن المؤسف أنهما لم يعرفا إلى الآن إلا من خلال ما يروى منهما في كتب الحديث[2].

(1) انظر تفاصيل الخلاف بين بقي بن مخلد والفقهاء المالكية بالأندلس في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، ج 1، ص 119، والمقري في النفح، ج 2، ص 519، وابن حارث الخشني في أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس، ص 157 وغيرها، قلت : وقد حررت حقيقة الخلاف بين الفقها وابن مخلد وابن وضاح فوجدت أن الخلاف في منهج التعامل مع السنة بين الإقلال من الرواية والتفقه فيها وهو مذهب مالك وعليه جرى العمل بالأندلس والإكثار من الرواية وهو المنهج الوافد الجديد الذي أتى به ابن وضاح وابن مخلد، انظر مبحث حقيقة الخلاف بين المحدثين والفقهاء بالأندلس بعد عوتهما، وأثر ذلك في مدرسة فقه الحديث في كتابنا مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، ج 1، ص 39 وما بعدها، (خالد الصمدي).

(2) من مؤلفات بقي ابن مخلد المطبوعة كتاب "ما روي في الحوض والكوثر"، بتحقيق ابن عطا الصوفي، وقد صدر الكتاب عن مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة في طبعته الأولى سنة 1413هـ.

4. محمد بن وضاح القرطبي (تـ 278هـ)

1. حياته

محمد بن وضاح بن زريع القرطبي (194-289)، مولى ملك الأندلس عبد الرحمن الداخل، سمع في الأندلس من يحيى الليثي، ومحمد بن عيسى الأعشى، وعبد الأعلى بن وهب. وسمع من سحنون. رحل إلى المشرق سنة 218هـ وسمع من مائة وسبع وخمسين شيخا، من أشهرهم يحيى بن معين وأحمد بن حنبل.

ويقول الذهبي إنه سمع من إسماعيل بن أبي أويس، وزهير بن عباد، وأصبغ بن الفرج، والحرث بن مسكين، وحرملة، وإسحق بن أبي إسرائيل، ويعقوب بن كاسب، وطبقتهم، ولحق آدم بن أبي إياس.

أثنى عليه ابن الفرضي، فقال إنه عالم بالحديث، بصير بطرقه، متكلم على علله، وزاهد متعفف صبور على نشر العلم.

وكان ابن حيان يجله، وينوه بعقله وبفضله، ولكنه ينكر عليه رده لكثير من الأحاديث، ويذكر عدم طول باعه في العربية والفقه. وكان ابن لبابة يقول إنه قرأ عليه المدونة، وهو لا يدري شيئا عنها[1].

2. مصنفاته

لم يؤثر عن ابن وضاح من التآليف إلا القليل، ولم يعرف منها إلا الأقل، فمجموع ما يذكر له لا يصل إلى عشرة كتب، طبع منها كتاب "البدع والنهي عنها"[2]، وعرف له

(1) تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، ج 2، ص 651 وما بعدها. وانظر جذوة المقتبس، الحميدي، ج 1، ص 153 وما بعدها. وابن حارث الخشني في أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس، ت ر 137، ص 122 وما بعدها، حيث ذكر هناك صورا من أغلاطه المنقولة عنه، في ثنايا ترجمة واسعة ذكر فيها أيضا صورا من ورعه وتقواه وصبره في طلب العلم.

(2) الكتاب مطبوع بتحقيق بدر بن عبد الله البدر وصادر عن دار الصميعي للنشر والتوزيع في طبعته الأولى سنة 1996/1416، بعد أن حقق مرتين كما ذكر ذلك المحقق في مقدمة الكتاب : «إحداهما طبعة دمشق سنة 1348هـ بتحقيق أحمد محمد دهمان عن النسخة الظاهرية، وهي نسخة سقيمة مليئة بالأخطاء لم يصوب منها محققها إلا النزر اليسير، كما لم يخدم أحاديثها من الصناعة الحديثية تخريجا وتعليقا عليها ولم يضع فهرسة لها. والأخرى بمدريد سنة 1989، بعناية الباحثة الاسبانية م. إ فيرو M.I.Fierro، حيث حققت النص وترجمته إلى الإسبانية. وقد وصف الدكتور عبد المجيد التركي عملها بالجودة»، مقدمة المحقق، ص 6.

مخطوطا في مكتبة حسن حسن عبد الوهاب بتونس وهو كتاب "النظر إلى الله تعالى وما جاء فيه"[1]، وذكر له القاضي عياض "رسالة السنة"، و"كتاب الصلاة في النعلين"، و"القطعان في الحديث" وكتاب "العباد والعوابد"، و"مكنون السر في فقه المالكية".

واكتشف له الأستاذ عبد العزيز فارح كتاب "شيوخ ابن وهب"، ونشر منه دراسة في منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان. وأورد له الدكتور نوري معمر في رسالة عنه مجموعة من الأحاديث التي رواها عنه أبو عمرو بن عبد البر في "التمهيد" و"الاستذكار"، و"جامع العلم الشريف وفضله".

نورد منها مقتطفات من رواياته :

* حدثنا سعيد بن نصر، قال حدثنا قاسم بن أصبغ، قال أخبرنا محمد بن وضاح، قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال : حدثنا عبد الله بن إدريس، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : «اشتكت النار إلى ربها، فقالت : يا رب، أكل بعضي بعضا، فجعل لها نفَسين : نفَسا في الشتاء، ونفَسا في الصيف، فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها، وشدة ما تجدون في الصيف من الحر من سمومها»[2].
* حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال : حدثنا أحمد بن عبد الله، عن ابن شهاب، عن خالد الحذاء، عن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية، قالت : بعثت إلى نسيبة الأنصارية بشاة، فأرسلت إلى عائشة منها، فقال رسول الله ﷺ : هل عندكم شيء؟ فقالت : لا، إلا ما أرسلت به نسيبة من تلك الشاة، قال : هات، فقد بلغت محلها»[3].
* حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، عن عبد الأعلى، عن معمر الأزهري عن سهل بن أبي خيثمة أن رسول الله ﷺ قال : «تعلموا من قريش ولا تعلموها، وقدموا قريشا ولا تؤخروها، فإن للقرشي قوة الرجلين من غير قريش»[4].

---

(1) وردت إشارة في الإعلام للزركلي أنه مخطوط بخزانة السيد حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي التونسي وقد وقف الزركلي عليها على ما يبدو إذ أنه ذكر في الهامش العبارة التالية «قلت علق السيد حسني عبد الوهاب الصمادحي التونسي على المخطوطة المحفوظة في خزانته من كتاب النظر إلى الله تعالى» بكلمة عن بن وضاح جاء فيها أن عدد شيوخه الذين سمع منهم 175 وأنه روى القراءات عن عبد الصمد بن القاسم عن ورش، ثم قال : «وبابن وضاح وبقي بن مخلد صارت الأندلس دار حديث»، الأعلام للزركلي، ج 7، ص 133.

(2) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة جهنم.

(3) رواه البخاري في كتاب الزكاة.

(4) صحيح الجامع الصغير للسيوطي، للشيخ الألباني، حديث رقم 4383.

* حدثنا أحمد بن محمد بن الجسور، قال : قال حدثنا وهب بن مسرة، حدثنا ابن وضاح، عن أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا عن وكيع عن شعبة، وسفيان عن ابن حبيب، عن ميمون بن أبي شبيب، عن المغيرة بن شعبة، عن النبيﷺ قال : «من حدث عني بحديث، وهو يرى أنه كذب، فهو أحد الكذابين»[1].

* حدثنا أحمد بن محمد بن الجسور، حدثنا محمد بن أبي دليم، أخبرنا ابن وضاح، أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن أبي إسحق السبيعي، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل : ومن الغرباء ؟ قال : النزاع من القبائل»[2].

* حدثنا ابن وضاح، حدثنا موسى بن معاوية، حدثنا وكيع، حدثنا المسعدي، عن القاسم بن عبد الرحمن، قال : إن رجلا سرق من بيت المال، فكتب فيه سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب، فكتب عمر إليه أن لا قطع عليه، لأن له فيه نصيبا[3].

* حدثنا محمد بن سعيد بن نبات، حدثنا عبد الله بن نصر، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا ابن وضاح، حدثنا موسى بن معاوية، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان الثوري عن جابر بن يزيد الجعفي، عن عبد الله بن يسار، قال : أتي عمر ابن عبد العزيز برجل قد سرق دجاجا، فأراد أن يقطعه، فقال أبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف : كان عثمان يقول : لا قطع في طير، فخلى عمر سبيله[4].

* حدثنا محمد بن سعيد بن نبات، حدثنا عبد الله بن نصر، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا ابن وضاح، حدثنا موسى بن معاوية، حدثنا وكيع، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر الشعبي، قال : استشارهم عمر في الخمر، فقال عبد الرحمن بن عوف : من افترى على القرآن أرى أن يجلد ثمانين[5].

* حدثنا محمد بن سعيد بن نبات، حدثنا عبد الله بن نصر، حدثنا قاسم ابن أصبغ، حدثنا ابن وضاح، حدثنا موسى بن معاوية، حدثنا وكيع،

---

(1) رواه أحمد في مسند الكوفيين.

(2) رواه مسلم في كتاب الإيمان.

(3) محمد بن وضاح القرطبي، مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس مع بقي بن مخلد، الدكتور نوري معمر، ص 272، منشورات مكتبة المعارف بالرباط، ط 1، 1983.

(4) نفسه، ص 272.

(5) نفسه، ص 270.

حدثنا زكرياء، عن الشعبي، قال : ليس على السارق قطع حتى يخرج المتاع[1].

* حدثنا محمد بن سعيد بن نبات، حدثنا عبد الله بن نصر، حدثنا قاسم بن أصبغ، حدثنا ابن وضاح، حدثنا موسى بن معاوية، حدثنا وكيع، حدثنا مالك ابن أنس، عن الزهري : أن رجلا اختلس طوقا، فسأل عنها مروان زيد ابن ثابت، فقال : ليس عليه قطع[2].

3. تلاميذه

وقد أخذ عن ابن وضاح مجموعة من محدثي الأندلس منهم وهب بن مسرة، وابن أبي دليم، ومحمد بن المسور، وعلي بن عبد القادر بن أبي شيبة، ونخص منهم بالذكر ابن فطيس، وابن حيون، وابن أيمن، وقاسم بن أصبغ.

محمد بن فطيس بن واصل الغافقي أبو عبد الله الإلبيري (تـ 319هـ) :

رحل إلى المشرق سنة 257هـ، وتردد هناك، فسمع بمصر من يونس بن عبد الأعلى، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وإسماعيل بن يحيى المزني، ومحمد بن أصبغ ابن الفرج، وأبي عبيد الله بن أخي ابن وهب، وبحر بن نصر، ونصر بن مرزوق، وبكار ابن قتيبة القاضي، ويزيد بن سنان البصري، وعلي بن زيد الفرائضي، وأحمد بن شيبان الرملي، وسمع بمكة من أبي بكر عبد الله بن حمزة القرشي، ومحمد بن إسحق السجستي، ومحمد بن إسماعيل الصائغ، وأبي يحيى بن أبي مسرة، ومحمد بن إدريس وراق الحميدي، وأبي علي الحسن بن إبراهيم البياضي البغدادي، وأحمد بن يحيى الكوفي المعروف بالصوفي، وسمع بطرابلس من أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي، وبإفريقية من شجرة بن عيسى القاضي، صاحب علي بن زياد، ومن أبي زكرياء يحيى بن عون، وإبراهيم بن غياث الخولاني، وأبي زيد عبد الرحمن بن محمد، وجماعة سواهم من أئمة الحديث، وأعلام الرواية. وحكي عن محمد بن فطيس أنه كان يقول : لقيت في رحلتي نحوا من مائتي شيخ، ما رأيت فيهم مثل محمد بن عبد الحكم[3].

---

(1) نفسه، ص 269.

(2) محمد بن وضاح القرطبي مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس، مع بقي بن مخلد، الدكتور نوري معمر، ص 271، منشورات مكتبة المعارف بالرباط، ط 1، 1983.

(3) انظر ترجمته في أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس، لابن حارث الخشني، ص 152-153 وما بعدها. والذهبي في تذكرة الحفاظ، ج 3، ص 802. الزركلي، الأعلام، ج 6، ص 332 (ذكر مؤلفاته). وانظر ترجمته عند الذهبي أيضا في سير أعلام النبلاء، ج 15، ص 79 وما بعدها. قال فيه : «الإمام العلامة الحافظ الناقد أبو عبد الله محدث الأندلس».

محمد بن إبراهيم بن حيون أبو عبد الله الحجازي (تـ 325هـ) :

رحل إلى المشرق، فتردد هناك خمس عشرة سنة، سمع بصنعاء من أبي يعقوب الدّبري، وعبيد الله بن محمد الكشوري وغيرهما. وسمع بمكة من علي بن عبد العزيز، وأبي موسى الكشي، ومحمد بن علي بن زيد الصائغ، وأبي علي محمد بن عيسى العباسي، ودخل بغداد فسمع بها من جماعة من أصحاب الحديث، وسمع بمصر من عبد الله بن أحمد بن عبد السلام النيسابوري، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، وإبراهيم بن موسى بن جميل. وسمع من أبي بكر أحمد بن محمد بن الوليد المري، وسمع بالقيروان من جماعة. وسمع من تميم بن محمد التميمي وغيره[1].

محمد بن عبد الملك بن أيمن أبو عبد الله القرطبي (تـ 330هـ) :

رحل سنة 274هـ مع قاسم بن أصبغ، وابن أبي عبد الأعلى، فسمع بمصر من المطلب بن شعيب، والمقدام بن داود الرعيني، وسمع بمكة من علي ابن عبد العزيز، ومحمد بن إسماعيل الصائغ، ودخل بغداد، فسمع بها من أحمد بن زهير بن حرب "كتاب التاريخ"، ومن إسماعيل بن إسحق القاضي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، ومضر بن محمد الأسدي، صاحب يحيى بن معين، ومحمد بن الجهم السمري، وأبي إسماعيل الترمذي، وجعفر بن محمد بن شاكر الصائغ، وجماعة سواهم من نظرائهم، وشارك قاسم بن أصبغ في رجاله كلهم[2].

قاسم بن أصبغ البيّاني القرطبي (تـ 340هـ) :

رحل إلى المشرق مع محمد بن عبد الملك بن أيمن، ومحمد بن زكرياء بن أبي عبد الأعلى سنة 274هـ، فسمع بمكة من محمد بن إسماعيل الصائغ، وعلي ابن عبد العزيز، وعبد الله بن أبي مسرة. ودخل العراق، فلقي من أهل الكوفة : إبراهيم بن أبي العنبس قاضيها، وإبراهيم بن عبد الله العبسي القصار (حدثهم عن وكيع). وسمع ببغداد من إسماعيل بن إسحق، قاضي القضاة، وأحمد بن محمد البرتي القاضي، وأحمد بن زهير ابن أبي خيثمة، (كتب عنه تاريخه)، ومحمد بن إسماعيل الترمذي، وعبد الله بن أحمد ابن حنبل، ومحمد بن يونس الكديمي، ومحمد بن شاذان الجوهري، والحارث بن أسامة التميمي، وجعفر بن محمد الطيالسي، وجعفر بن محمد بن شاكر الصائغ، وزكرياء بن

---

(1) انظر ترجمته في جذوة المقتبس للحميدي، ج 1، ص 78.

(2) انظر ترجمته في جذوة المقتبس للحميدي، ج 1، ص 116-117.

يحيى الناقد، ومضر بن محمد بن الأسدي الكوفي، صاحب يحيى بن معين وعبد الله بن مسلم بن قتيبة (سمع منه كثيرا من كتبه). وسمع من محمد بن يزيد المبرد، وأحمد بن يحيى بن يزيد بن ثعلب، ومحمد بن الجهم السمري، في آخرين كثيرين من أئمة المسلمين ومشاهير الرواة. وسمع بمصر من محمد بن عبد الله العمري، ومطلب بن شعيب، ومحمد بن سليمان المهري، وأبي الزنباع روح بن الفرج، ومقدام بن داود وغيرهم. وسمع بالقيروان من أحمد بن يزيد المعلم، وبكر بن حماد التاهرتي الشاعر.

وصنف في السنن، وفي أحكام القرآن على أبواب كتاب إسماعيل ابن اسحق القاضي كتابا جليلا، وصنف كتاب "المجتبى" على أبواب كتاب ابن الجارود "المنتقى"، وهو خير منه انتقاء، وأنقى حديثا، وأعلى سندا، وأكثر فائدة[1]، وصنف كتابا في فضائل قريش، وكتابا في الناسخ والمنسوخ، وكتابا في غرائب حديث مالك بن أنس، مما ليس في الموطإ، وكتابا في الأنساب، في غاية الحسن والإيعاب[2].

(1) قال الكتاني في الرسالة المستطرفة : «كتاب المنتقى لأبي محمد قاسم بن أصبغ.. وهو على نحو كتاب المنتقى لابن الجارود وكان قد فاته السماع منه ووجده قد مات فألفه على أبواب كتابه بأحاديث خرجها عن شيوخه قال أبو محمد بن حزم «وهو خير انتقاء منه»»، ص 25.

(2) انظر ترجمته في تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، ج 2، ص 611. الضبي، بغية الملتمس، ج 2، ص 589. وتذكرة الحفاظ الذهبي، ج 3، ص 803. وجذوة المقتبس، الحميدي، ج 2، ص 528.

5. محمد بن عبد السلام الخشني القرطبي (268هـ)

جده ثعلبة بن زيد بن الحسن بن كلب بن أبي ثعلبة، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم. رحل قبل الأربعين وحج، ودخل البصرة فسمع من بندار، ونصر بن علي الجهمي، ولقي أبا حاتم السجستاني، والعباس بن الفرج الرياشي، وأبا إسحق الزيادي، فأخذ عنهم علوم اللغة.

ثم ذهب إلى بغداد وكتب فيها مؤلفات أبي عبيد القاسم بن سلام، وسمع في مكة من محمد بن يحيى العيدي، ومصعب بن عيينة، وفي مصر من سلمة بن شبيب صاحب عبد الرزاق.

ثم عاد إلى الأندلس وفي جعبته كثير من العلوم لم يألفها فقهاء بلده، منها كتاب "الناسخ والمنسوخ" لأبي عبيد، الذي امتحن بسببه، وسعى به إلى ابن حارث، صاحب السوق في قرطبة، فاستدعاه واستنطقه بعنف وجفاء، قائلا له : أنت الذي تزعم أن في القرآن ناسخا ومنسوخا ؟ فرد عليه الخشني بقوله تعالى : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها أو مثلها** ﴾[1]، وأعطاه مثالا على ذلك في قول الحق سبحانه : ﴿ **واتقوا الله حق تقاته** ﴾[2] التي نسخت تخفيفا على الأمة بقوله جل وعلا : ﴿ **واتقوا الله ما استطعتم** ﴾[3]، ونبهه أنها خير للأمة مما قبلها، غير أن ابن حارث كان جاهلا متعصبا، فأودعه السجن، ولولا شفاعة وليد بن عبد العزيز بن غانم عند الأمير محمد لما نجا الخشني من كيد المتعصبين، وهكذا سلم من غوائل هذه المحنة مثل بقي بن مخلد، وأسهم بخط وافر في تأسيس مدرسة الحديث بالأندلس[4].

---

(1) البقرة، 106.

(2) آل عمران، 102.

(3) التغابن، 16.

(4) انظر ترجمته الموسعة في جذوة المقتبس للحميدي، ج 1، ص 117 وما بعدها.

6. أبو محمد القاسم بن ثابت العوفي الأندلسي السرقسطي (255-302هـ)

أ) حياته

اختلف في نسبته، قيل إنه من بني عوف الغطفاني، وقيل إنه مولى بني زهرة لأنه أسلم على يد أحد أحفاد عبد الرحمن بن عوف.

ولد بالثغر الأعلى بسرقسطه وبرع في وقت مبكر في العلوم الشرعية، ودعيّ للقضاء، فقال إن الولاية أولها ملامة، ووسطها ندامة، وآخرها عذاب يوم القيامة.

سمع في الأندلس من مطرف بن قيس (282هـ) مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية، ومن محمد بن عبد السلام الخشني (286هـ)، الشاعر الأديب المحدث. ومن محمد ابن وضاح (287هـ) وعبد الله بن مسرة بن نجح، وعبد الله بن يحيى الليثي، وسعيد بن خمبز (301هـ) ويحيى بن زكريا وإبراهيم بن حزين (259هـ)، الذي روى الموطأ عن مطرف بن عبد الله وحبيب كاتب مالك، وعن بقي بن مخلد (226هـ) ومحمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي (255هـ) وإبراهيم بن نصر الجهني السرقسطي (252هـ) ومحمد بن سليمان بن تليد المغافري (295هـ).

رحل القاسم مع والده إلى المشرق، وأخذ في مكة عن أبي علي هارون بن زكريا الهجري (300هـ)، وأبي مكي جعفر العرياني (301هـ)، وأبي محمد عبد الله بن علي الجارود النيسابوري (307هـ)، وعن إبراهيم بن محمد الفكاياذي، وفي العراق عن القاضي إسماعيل (282هـ) وثعلب وابن ولاد والأخفش الصغير[1].

---

(1) انظر ترجمته في تاريخ علماء الأندلس : ابن الفرضي، ج 2، ص 605. وانظر جذوة المقتبس : الحميدي، ج 2، ص 528هـ، وبغية الملتمس للضبي، ج 2، ص 591. وسير أعلام النبلاء للذهبي، ج 91، ص 562. قال فيه : «العلامة الإمام الحافظ أبو القاسم السرقسطي الأندلسي اللغوي صاحب كتاب الدلائل». وانظر مصادر أخرى للترجمة في هامش التحقيق.

ب) مؤلفاته

ذكر له كتاب "الرطب" وهو كتاب جامع في الأدب والشعر، ويظهر أنه ما زال مفقودا. وله كتاب "الدلائل" الذي لم يكمله وأكمله أبوه.

وقد حققه د. محمد حامد الحاج خلف بعنوان : "الدلائل على معاني الحديث بالشاهد والمثل" ويحتوي الكتاب شرح غريب الأحاديث التي لم يسبق شرحها في كتب أبي عبيد القاسم بن سلام وابن قتيبة[1].

وضمنه أولا أحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأورد منها نحوا من سبعين حديثا، ثم أتبعها بالآثار المروية عن الصحابة والتابعين وفقا لترتيب أصحاب المسانيد، مستعملا لإصطلاح لفظ الحديث لهذه الآثار.

فجاء كتابه كتاب لغة وأدب، أكثر منه كتاب حديث وفقه. فإذا كان قد أورد في قسمه الأول مجموعة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في مسنده مع تفسير غريبها، فإنه لم يتعرض لمعاني الأحاديث التشريعية ولا لتقديم أسانيده، فإنه بعد ذلك أتى بما سماه بأحاديث نحو مئة من الصحابة، وهي في الحقيقة آثار تتعلق بأقوالهم دون أن تكون مرفوعة، وقليل ما هو في حكم المرفوع.

ولم يميز بين المكثرين منهم ولا المقلين، فلم يذكر مثلا لأبي هريرة إلا نحو أربعة أحاديث جلها في سلوكه حين كان ينوب في الإمارة عن مروان بن الحكم، كما لم يورد إلا آثارا معدودة عن عائشة وابن عباس، وكان حظ ابن عمر في الآثار أكثر.

ونلاحظ أنه حين تناول أحاديث التابعين لم يرتب ولم يستوعب، فبدأ بكعب الأحبار، ونافع بن جبير بن مطعم، وأغفل نافعا مولى ابن عمر، وعبد الله بن دينار. كما

---

(1) ذكره ابن الفرضي في تاريخه وقال : «ألف في شرح الحديث كتابا سماه الدلائل بلغ فيه الغاية في الإتقان ومات قبل إكماله فأكمله أبوه ثابت بعده أخبرني العباس بن عمر الوراق قال سمعت إسماعيل بن القاسم البغدادي يقول كتبت كتاب الدلائل وما أعلم أنه وضع في الأندلس مثله فتعصب ولو قال إسماعيل إنه ما وضع بالمشرق مثله ما أبعد» ج 2، ص 605، وقد ذكر الكتاب بهذا الاسم، الذهبي في تذكرة الحفاظ دون أن يستفيض في ذكره كما يفعل في الكتب التي يقف عليها، ج 1، ص 528.

والاسم الكامل للكتاب : "الدلائل فيما أغفله أبو عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث" وقال فيه أبو علي القالي : «ما أعلم أنه وضع بالأندلس مثل كتاب الدلائل». قال عبد العزيز بن عبد الله في المعلمة «يوجد منه الجزءان الثاني والثالث بالقرويين (197) عثر عليه محمد بن إبراهيم الكتاني بتامكروت»، ص 127 و180.

وذكر الزركلي في الأعلام «أن منه نسخة في الخزانة الظاهرية بدمشق ومنه مكروفلم بالخزانة العامة بالرباط (13-14 ق 197) الجزءان الثاني والثالث»، ج 2، ص 97.

وقد عرف بقطع القرويين الدكتور شاكر الفحام ضمن دراسته المركزة بعنوان "كتاب الدلائل في غريب الحديث لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج 3، المجلد 15، ص 481.

نلاحظ ورود أحاديث الأمويين مثل عبد الملك بن مروان وأخيه عبد العزيز وأبنائه سليمان وهشام ومسلمة وعمر بن عبد العزيز، وأورد أنباء عن الحجاج بن يوسف. وإذا كان الغرض من هذا محاولة إعلاء شأن الأمويين الذين كان أبناؤهم يحكمون الأندلس في عهده، فلا نستبعد أن يكون ذلك من صنيع والده ثابت الذي أكمل الكتاب بعد وفاته، لأنا نعرف ما كان لقاسم من زهد في المناصب والتقرب إلى ذوي السلطان.

وأيا ما كان الأمر، فإن الآثار الواردة عند التابعين ومن بعدهم ليست مسوقة إلا لأنها تتضمن ألفاظا من غريب اللغة، يتوسع المؤلف في شرحها، وإيراد الشواهد عليها، وشرح ما ورد من الغريب في هذه الشواهد.

ومع ذلك فإن هذا الكتاب جاء ممتعا في نوادر نصوصه الأدبية وقطعه الشعرية، ومفيدا في نكته اللغوية، ونتفه التاريخية. وهو يدل على ما وصل إليه علماء الأندلس في عهده من استيعاب مكونات الثقافة العربية في المشرق وتطلعهم إلى التفوق مما يبين أن غرض المصنف هو استيفاء ما فات سابقيه : أعني القاسم بن سلام وأبي عبيد الهروي.

واعتمد منهجا يذكر فيه الخبر ثم يورد سنده، ويختار كلمة من غريبه فيشرحها شرحا وافيا، ويأتي بشواهد على المعاني، ثم يشرح تلك الشواهد، وربما ابتعد في ذلك عن كلمة الغريب الأولى، وقد أظهر في عروضه سعة علمه وتبحره في اللغة، ومعرفته الفائقة لأشعار العرب، وغريب ألفاظها ونكت معانيها.

نماذج من كتابه : مع هوامش المحقق المذكور :

1. شرح العلالة :

قال في حديث النبي صلى الله عليه وسلم : أنه أُتي بعُلالة شاة، فأكل منها، ثم صلى، ولم يتوضأ[1]. يرويه سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر.

قوله : بعُلالة شاة، يريد بشيء يسير كان قد فضل منها، وقال الراجز :

أُحَمِّلُ أُمِّي، وَهِيَ الحَمّالَه

تُرضعني الدِّرةَ والعُلالَه

ولا يُجازي والدٌ فِعَالَهْ[2]

(1) الحديث في غريب الحديث للخطابي 74/3 وابن الجوزي 123/2، والفائق، والنهاية واللسان (علل) والمسند الجامع 426/1.
(2) الشطر الأول والثاني في كتاب العين 88/1، وهي جميعا في اللسان، والتاج (علل) دون نسبة.

قال أبو زيد[1] : العُلالةُ اللّبَنُ بعد حلب الدرة تُنْزِلُه الناقة، والأم تُعَلِّلُ صَبيّها بشيء من المرق واللبن، وأنشد :

وقال الذي يرجو العُلالَة ورِّعوا عنِ الماءِ لا يُطْرَقْ وهن طوارقُهْ

فمازِلْنَ حتى عاد طِرْقًا وشِبْنَة بأصفرَ تذريه سِجالا أيانقُهْ[2]

وأخبرنا أبو الحسين[3] عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي، قال : التَّعِلّة والتّعلّل واللّهوُ واحد، وأنشد :

غَنينَا فَأَفْنَيْنَا النَّهار تعلّةً بإرقاص مِرْقالٍ تَخِبُّ وتُعنِقُ

لها من رديفٍ كان لدنا ردافُهُ وذو رُقعٍ من خمرِ عانَةَ مُتأقُ ؟[4]

2. الليل الدامس والذئب الهامس :

وقال في حديث مالك بن أنس : إنه قال : كان مسيلمة الكذاب يقرأ : والليل الدامس والذئب الهامس ما علمت مأثما في رطب ولا يابس[5]. ثم يعود فيقول : والليل الأدهم والذئب الأظلم، ما علمت في ذلك من مأثم.

الدامس : المظلم، ويقال : دمس الظلام، والظلام نفسه الدمس إذا اشتد وليلة دامس، ومنه قيل : دمست عليه الأمر، إذا كتمته، والهامس في قول بعضهم : هو الذي يركب الليل ويخوضه كي يصادف غرة وأنشد للكميت بن زيد :

تَهَافُتُ ذَوْبانِ المطامعِ دونها فَريقَيْنِ مَهْمُوسًا إليهِ وهامِسَا

---

(1) هو أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري اللغوي، صاحب كتاب النوادر في اللغة (512هـ). مراتب النحويين، 73-76 وأخبار النحويين 52-58، وبغية الوعاة 582/1-583.

(2) البيت الأول للراعي في ديوانه 157، واللسان والتاج (ورع)، وفي الأساس (ورع) دون نسبة. وفي اللسان (ورع) «ورع الإبل عن الحوض : ردها فارتدت». وفي غريب الحديث لإبن الجوزي 32/2 : «الطرق الماء الذي طرقته الدواب، أي خاضته وبالت فيع وبعرت، فتغير واصفر». وفي اللسان (نوق) : الأينق جمع قلة للناقة، ثم جمعوها على أيانق.

(3) هو أبو الحسين : محمد بن الوليد بن ولاد التميمي (298هـ)، كان حسن الخط، صالح الضبط، له كتاب المقصور والممدود في اللغة، عده الزبيدي في الطبقة الثانية من النحويين، واللغويين المصريين، طبقات النحويين واللغويين 217، وبغية الوعاة 259.

(4) الدلائل في غريب الحديث لابن ثابت السرقسطي، ج 1، ص 1 وما بعدها، تحقيق محمد بن عبد الله القناص، منشورات العبيكان، ط 1، 2001.

(5) الحديث في غريب الحديث، 520/2، والنهاية واللسان (دمس، همس).

وفي بعض التفسير، الهامس : الشديدُ المَضْغِ بِضِرسِه قال[1] رُؤبَةُ :

عَـادَتُهُ خَبْطٌ وعَـضٌّ هَـمَّاس

يعدو بأشبالٍ أبوها الـهِرْمَاسْ

ويقال الهمس : حس الصوت في الفم، مما لا إشراف له من صوت الصدر ولا جهارة في المنطق، ولكنه كلام مهموس في الفم. قال أبو عبيد عن الأصمعي الهمسة: الكلام والحركة. وقد همسوا يهمسون. وحدثنا ابن الهيثم عن داود بن محمد عن ثابت بن عبد العزيز، قال : قال مالك بن خالد الخزاعي من هذيل[2] :

حتى أُشِبَّ لهُ رامٍ بمُحْدَلَةٍ ذو مِرَّةٍ بدوارِ الصيد همّاسُ

وقال في حديث أبي بكر رضي الله عنه : إن الناس لما بايعوه، اعتزل عليٌّ والزبير، فقال أبو بكر : من لهذين الرجلين ؟ فقام عمر وزيد بن ثابت، فقال أبو بكر : اذهبا إلى هذين الرجلين حتى تأتياني بهما، فقال أبو بكر : فإن امتنعا عليكما فقاتلاهما، فجاء عمر وزيد فوجداهما في منزل عليٍّ، فرَجَّا الباب، فجاء الزبير فنظر من قُتْرَةِ الباب، فرجع إلى عليٍّ، فقال : لهذان الرجلان من أهل الجنة، وليس لنا أن نقاتلهما. قال : افتح لهما، ففتح لهما الباب، وخرجا معه حتى أتيا أبا بكر، فقال أبو بكر لعليٍّ : أنت ابن عم رسول الله، وصهره، وتقول : أنا أحق بهذا الأمر، ولاها الله، لأنا أحق به منك. قال : لا تثريب عليك، يا خليفة رسول الله، ابسط يدك أبايُعك، فبسط يده فبايعه. ثم قال للزبير : أنت ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحواريه وفارسه وتقول : إنك أحق بهذا الأمر مني، ولاها الله، لأنا أحق به منك. قال : لا تثريب عليك، يا خليفة رسول الله، ابسط يدك أبايُعك، فبسط يده فبايعه[3].

القُترة : هاهنا : صَبيرُ الباب، وأصل القُترة : ناموس الرامي، يقال اقتتر فيها. قال الشاعر :

فأوردها ماءً قليلا أنيسُهُ يُحاذِرْنَ عمْرا صاحب القُتُرات

(1) قال : والشطران في ديوانه 76، والثاني له في المقاييس 66/6، والتاج (همس)، والأول في اللسان والتاج (هرمس) دون نسبة. وفي اللسان (هرمس)، (الهرماس : الأسد).

(2) البيت له في شرح أشعار الهذليين 440/1، وخلق الإنسان الثابت 212، ونسب لأبي ذؤيب الهذلي فيه 228/1، واللسان والتاج (دور، وجس)، واللسان (حدل) دون نسبة. وقافية البيت فيها : (وجاس)، ما عدا في اللسان، (شماس)، فلا شاهد فيه. وفي شرح أشعار الهذليين 228/1. قال السكري : «ذو مرة : يعني صائدا ذا رأي وإحكام... وهماس : يهمس ليلته جمعاء في السير».

(3) الحديث في السيرة النبوية 160/4، في أمر سقيفة بني ساعدة، ولم يرد فيه لفظ الشاهد.

ويقال : تَقَتَّر الصائد : إذا تنحى مختاتلا للصيد. وتَقَتَّر الرجل : إذا تنحى عن أهله. قال الشاعر :

وكُنا بهِ مُستانِسين كأنهُ   أخٌ وخليطٌ عن خليطً تقَتَّرا[1]

3. المغث :

وقال في حديث عثمان رضي الله عنه : إن أمَّ عياش قالت : كنت أمغثُ لعثمان الزبيب غدوة فيشربه عشية وأمغثُه عشية فيشربه غدوة. فقال لها عثمان ذات يوم : لعلكِ أن تكوني تخلطين فيه زهوا، قالت له : ربما خلطتُ فيه الزهوات، فقال : لا تعودي[2].

حدثناه موسى بن هارون، قال : أنا أحمد بن حنبل، قال : نا عفان، قال : نا عبد الواحد بن صفوان مولى عثمان بن عفان، قال : سمعت أبي يحدث عن أمه أمِّ عياش.

يقال مَغَثْتُ الدواء في الماء ونحوه، إذا مَرَثْتُه والمَغْثُ : العرْك. وقد يُستعمل أيضا في المصارعة والخصومات قال حسان بن ثابت[3] :

نُولّيها الملامةَ إنْ أَلِمْنا   إذا ما كان مَغْثٌ أو لحاءُ

ويقال : مَغَثَتْهُم الحمى. ومنه الحديث : «إن رسول اللهﷺ، لما فتح خيبر وهي مخضرة من الفواكه، فواقع الناس الفاكهة، فمَغَثَتْهُم الحُمّى، فشكوْها إلى رسول اللهﷺ، فقال : أيها الناس، إن الحمّى رائدُ الموت، وسِجْنُ الله في الأرض فبرِّدوا لها الماء في الشنان، ثم صُبُّوه عليكم، فيما بين الصلاتين؛ قال : يعني المغرب والعشاء. قال : ففعلوا فذهبت عنهم[4].

---

(1) الدلائل في غريب الحديث لابن ثابت السرقسطي، ج 1، ص 373 وما بعدها، تحقيق محمد بن عبد الله القناص، منشورات العبيكان، ط 1، 2001. والبيت للفرزدق في ديوانه 218/1 (شرح وتقديم مجيد طراد)، (وشرح محمد الصاوي) 196، وقافية البيت فيهما (تغيرا)، وفي الرواية لا شاهد فيه، وقافية البيت في اللسان والتاج (قتر) : (تقترا) والبيت في صفة النجم. صلته قبله :

فكنا نرى النجم اليماني عندنا   سهيلا، فحالت دونه أرض حميرا

(2) أم عياش : خادم النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل كانت أمة لرقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم، بعثها مع ابنته إلى عثمان. قالت : «كنت أمغثُ..». الإستيعاب على هامش الإصابة 479/4، والإصابة 481/4، والحديث بكامله في الإصابة 481/4، وبعضه في غريب الحديث لابن الخطابي 131/2، وابن الجوزي 366/2، والفائق والنهاية واللسان (مغث). وفي اللسان (زها) : الزهو من البسر حين يصفر ويحمر ويحل جرمه.

(3) البيت في شرح ديوانه 59 والضمير في قوله : "نوليها" يعود إلى "الأشربات" في البيت الذي قبله :

إذا ما الأشربات ذُكِرْنَ يومًا   فهنَّ لطيبِ الراحِ الفداءُ

(4) الدلائل في غريب الحديث لبن ثابت السرقسطي ج 1، ص 277 وما بعدها، تحقيق محمد بن عبد الله القناص، منشورات العبيكان، ط 1، 2001.

4. صقّر الله رأسك :

وقال في حديث الحجاج، قال[1] : ما ذكرت قول ابن عمر، وأنا على المنبر : «كذبتَ» ! إلا ندمتُ ألا أكون ضربتُ عنقه. فقال له عبد الله بن عبد الله بن عمر : لو فعلتَ لصقَرَ الله رأسك في نار جهنم، وذلك أن الحجاج قال، وهو على المنبر : إن ابن الزبير بدّلَ كتاب الله وغيّره، فقال له عبد الله بن عمر : كذبتَ.

قوله : لصقَّرَ الله رأسك، فإنه مأخوذ من قولك : صقَّرتِ الشمس فلانا، والصَّقْرَةُ : شدة وقع الشمس. قال ذو الرمة[2] :

إذا ذابت الشمسُ اتّقى صَقَراتِها بأَفْنانِ مَربوعِ الصَّريمَةِ مُعْبِلِ

قال أبو زيد : وقد يقال أيضا للنازلة الشديدة كالدامغة صَاقِرَة، ومنه سُمي الصّاقور، وهو المِعْوَلُ الذي تُصْقَرُ به الحجارة. ويقال للرجل الهمّاز اللّمّاز صَقّار.

حدثناه موسى بن هارون، قال : نا أبي، قال يسار، قال : نا جعفر، قال : نا إبراهيم بن عمرو الصنعاني عن الوضين بن عطاء، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أبغضُ خليقةِ الله إليه يوم القيامة السقّارون»، وفي الحديث : هو الكذابون، هكذا حدثنا موسى بالسين، وذلك جائز، أن تبدل الصادُ من السين. حدثنا الكلابذي عن أبي حاتم، قال : كل شيء فيه مع السين طاء أو خاء أو عين أو قاف، فإن الصاد والسين فيه لغتان نحو : الصّقر والسّقر والصِّراط والسِّراط والسُّلطان والصُّلطان.

ومن استطراداته قوله : حدثناه إسماعيل الأسدي، قال : نا أبو عبد الرحمن محمد ابن عبد الوهاب بن محمد ابن عمر بن شداد بن أوس الأنصاري : قال : نا أحمد بن عمرو ابن بكر السكسكي، قال : حدّثني أبي عن ابراهيم بن أبي عبلة عن أبيه، قال : خطب الحسين بن علي، وحدثنا ابن الهيثم عن داود بن محمد بن ثابت بن عبد العزيز، قال، قال الأصمعي : مجامع أوصال الإنسان عروقه في بطنه، وأنشد غيره :

---

(1) الحديث في ألف باء البهلوي 483/1-484 وتذكرة الحفاظ 137.

(2) البيت في ديوانه 1458/3، والإصلاح 52، وجمهرة اللغة 315/1، وأضداد أبي الطيب 313، والأساس (ذوب)، واللسان والتاج (ذوب، صقر)، واللسان (ربع، عبل). والبيت في وصف بقر الوحش، وقال الباهلي في شرح البيت في ديوان ذي الرمة: "إذا ذابت الشمس كأنها سيل من شدة الحر، واتقى صقراتها يعني الثور... بأفنان: بأغصان، مربوع الصريمة، والصريمة قطعة من الرمل تتقطع فتنفرد، ومربوع: أصابها الربيع فاخضرت. ويقال: أعبلت الشحرة تعبل إعبالا إذا سقط ورقها، وأعبلت تعبل إعبالا إذا خرج ورقها، واسم الورق: العبل". وقال أبو عبيد البكري في اللالي 392/1 : «احتج أبو نصر ببيت ذي الرمة هذا، وقال : إذا كان الإعبال سقوط الورق فكيف يستظل بها ـ الثور ـ وهي جرداء عارية، وقال الأصمعي : إنما أنه يتوخى الشمس بالأغصان، يصف الثور بالجلد على حر الشمس».

هَتَكْتُ مجامعَ الأوصال منه بنافـذة عـلـى دَهَـش ٍوذُعْـرِ
فـإنْ يَـبْرَأْ فـلـم أنـفِثْ عـلـيـه وإن يَهْلكْ فـذلك كـان قدري[1]

5. استدرار الزمان :

وقـولـه : «أن لـلـزمـان اسـتدار كـهيئـتـه يـوم خـلـق اللـه السموات والأرض. كـان المشركون يحسبون السنة 12 شهرا و15 يوما، فكان الحج في رمضان وفي ذي القعدة، وفي ذي القعدة حج أبو بكر ولم يحج النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان في العام المقبل حج النبي صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة، فأخذوا به، وأبطل النسيء. وكان الخطيب يجتمع إليه الناس يوم 6 ذي الحجة فيسألهم وعامهم صفر الأول يعني المحرم، فيطرحونه فيكون صفر وربيع الأول صفرين، جمادى الأول وربيع أشهر أربع، وجمادى الأخير ورجب جمادتان، ويقولون لشعبان رجب، ورمضان شعبان، ويقولون لشوال رمضان، ولذي القعدة شوال، ولذي القعدة ذي الحجة وللمحرم ذي الحجة طيلة 24 شهر سنة»[2].

(1) البيتان للأشعر بن يزيد بن سنان الذبياني أخي هرم بن سنان ممدوح زهير بن أبي سلمى، في شرح اختيارات المفضل 352/1، وهما في خلق الإنسان لثابت 268 دون نسبة. وقال التبريزي في شرح اختيارات المفضل : «... قال ثعلب : دهش وذهل من القاتل لشدة الأمر وصعوبته... يقول إن برأ فلم يكن بروؤه عن رقية مني رقيته، لأني لم أرد أن يبرأ، وإن يهلك فذلك الذي قدرت له، وأردت به».

(2) الدلائل في غريب الحديث لابن ثابت السرقسطي، ج 1، ص 100، وما بعدها، تحقيق محمد بن عبد الله القناص، منشورات العبيكان، ط 1، 2001.

7. أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي (372هـ)

يقول عنه الشيخ عبد الله كنون في كتاب النبوغ المغربي : «هو أبو محمد عبد الله ابن إبراهيم بن محمد الأصيلي الإمام المحدث الفقيه، راوية الإمام البخاري». والأصيلي نسبة إلى أصيلا بالمغرب كما جزم به ابن الطيب الشرقي في "محشي القاموس"، والزبيدي في "التاج". وقال يدل عليه عدة من الغرباء الوافدين على الأندلس، قال أبو الوليد ابن الفرضي : ومن الغرباء في هذا الباب عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي من أصيلا، سمعته يقول : قدمت قرطبة سنة 342هـ، فسمعت من أحمد بن مطرف، وأحمد بن سعيد، وكانت رحلتي إلى المشرق سنة 351هـ، ودخلت بغداد وسمعت من أبي بكر الشافعي، وأبي بكر الأبهري.

وقال ابن فرحون في "الديباج" : وحج فلقي أبا زيد المروزي بمكة سنة 352هـ، وسمع منه صحيح البخاري، وأبا بكر الأبهري، وبالمدينة لقي قاضيها أبا مروان المالكي، وحدث عن الدارقطني، ومكث في المشرق نحو 13 عاما، وسمع من أبي زيد المروزي عرضته الثانية، وسمع من أبي أحمد الجرجاني، وهما شيخاه في البخاري، وعليهما يعتمد.

ثم انصرف إلى الأندلس، فقرأ عليه الناس كتاب البخاري وانتهت إليه الرئاسة بها، وولي قضاء سرقسطة. وألف كتاب "الآثار والدلائل في خلاف مالك وأبي حنيفة والشافعي"، وكان من حفاظ مذهب الإمام مالك.

وتوفي في ذي الحجة سنة 372هـ.

8. أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (تـ 463هـ)

لقد رأينا أن علماء الأندلس قبل ابن عبد البر كانوا قسمين : أحدهما قسم الفقهاء الذين عنوا بمسائل الإمام مالك وأقواله في "مدونة" سحنون، وبما يعضدها من الأحكام الواردة في الموطإ، ولم يكن لهم اعتناء بمنحى أهل الحديث، فرأينا من يقول إن يحيى بن يحيى الليثي لا بصر له بالحديث، وأن ابن حبيب لا يميز بين صحيحه وسقيمه.

أما القسم الثاني : فهم الذين جعلوا من الأندلس دار حديث، ومدوا أفق العلوم السنية، فجاوزوا حدود المذهب المالكي، وأدخلوا في دائرة معارفهم كتب الصحاح الستة، وأحاديث أصحاب المصنفات والمسانيد.

وقد نتج عن تباين هذين المسلكين الخلاف بين متعصبي المقلدين الذين يفضلون إتباع ما عرف بمشهور المذهب، وبين من يميل إلى ترجيح الأقوال بالأدلة الأصولية.

ولقد رمز لهذا النزاع منذر بن سعيد البلوطي بقوله :

عذيري من قوم يقولون كلما	طلبت دليلا هكذا قال مالكُ
وقد قال سحنون وأشهب مثله	وما مثله تخفى عليه المسالك
وإن قلت قال الله ضجوا وأطنبوا	كثيرا وقالوا أنت خصم مماحك
وإن قلت قد قال الرسول فقولهم	أتت مالكا في ترك ذاك المئالك

وأخيرا جاء ابن عبد البر، فاستطاع أن يجمع علم هذين القسمين من أطرافه، فكان حجة في الحديث مثل ابن وضاح، وابن مخلد، وإماما في فروع الفقه مثل سحنون، وعيسى بن دينار، وأصبغ بن خليل، وكان إخباريا مثل عبد الملك بن حبيب.

وهكذا استطاع أن يكف بـ "كافيه" ألسنة الفقهاء، وبـ "تمهيده" انتقادات مهرة المحدثين، وبـ "استذكاره" بيان أدلة الأصوليين.

رضي عنه الظاهرية وأثنوا على جهوده، واعتز به فقهاء المالكية، فاستأنسوا بتأصيله، دون أن ينسيهم قول ابن القاسم في "المدونة"، أو يثنيهم عن مستخرجات "العتبية". وكان ابن عبد البر قد تنبه لهذا التناسي، فقال :

تذكرت من يبكي علي مداوما	فلم أر إلا العلم بالدين والخبر

علـوم كـتـاب اللـه والسـنن التـي ... أتت عن رسول الله في صحة الأثر
وعلـم الآلـى قـرنـا فـقرنـا وفـهـم مـا ... لـه اختلفوا في العلم والرأي والنظر

ولقد تردد صدى هذه الشكاة حتى وصل إلى علماء شنقيط بعد أكثر من سبعة قرون، إذ يقول عنه جدنا باب بن أحمد بيبه (تـ 1296هـ) :

بـلـى قـد بكتك النـاس شرقـا ومغربـا ... وقـد حـق أن يـبكـى عـلـيك أبـا عـمـر
فـأنت قـد "استذكرت" كـل خبيئـة ... وأبـرزت مـن علم الشريعة مـا بـهر
و"مـهـدت" لـلـقـاري مـوطـأ مـالـك ... ولـولاك لـم يـبـسر لـطـالـبه ثـمـر
وأنت بـ "الإستيعاب" تستوعب العلا ... و"كـافيك" كـاف في التفقه والنظر
جــزاك إلــه العـرش خيـر جزائــه ... وأسـقـى ثـرى قـبر بشـاطبة المطـر

أ) شيوخ ابن عبد البر، ومن أشهرهم :

1. أبو القاسم الحبيب، عبد الوارث بن سفيان القرطبي (تـ 395هـ) : من كبار أصحاب قاسم بن أصبغ، أخذ عنه ابن عبد البر روايات كثيرة، منها "سنن قاسم بن أصبغ"، و"شرح غريب الحديث" لابن قتيبة، و"مسند سفيان الثوري"، وحدث عنه بكتاب "الموطإ" برواية ابن بكير عن الإمام مالك، كما روى عنه أحاديث كثيرة في "التمهيد" و"الاستذكار".

2. أبو القاسم الدباغ الأزدي القرطبي، خلف بن قاسم بن سهل (تـ 393هـ) : أخذ بقرطبة عن أحمد بن يحيى بن شامة، ومحمد بن هشام القروي، ومحمد بن معاوية القرشي، المعروف بابن الأحمر، ورحل إلى المشرق وكتب عن نحو ثلاثمائة رجل. وألف كتبا حسانا منها "مسند حديث الإمام مالك"، و"مسند حديث شعبة"، و"أسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين". وممن تتلمذ له في الأندلس ابن عبد البر الذي قال عنه : إنه شيخ لنا وشيخ لشيوخنا، وإنه من أعلم الناس برجال الحديث. وممن أخذ عنه أبو عمرو الداني، وأبو الوليد بن الفرضي.

3. ابن الباجي : أبو عمر أحمد بن عبد الله اللخمي الإشبيلي (تـ حوالي 400هـ) : سكن هو وأبوه إشبيلية، وروى عن ابن رزين، وذهب إلى الحج ولقي علماء المشرق وكتب عنهم الكثير. قرأ عليه ابن عبد البر لابن الجارود "المنتقى والضعفاء والمتروكين"، وكتاب "الآحاد"، و"مصنف ابن أبي شيبة" رواية عن أبيه، و"موطأ الإمام مالك" برواية مطرف بن عبد الله الساري. ويقول عنه ابن عبد البر إنه إمام عصره وفقيه زمانه.

4. ابن الجسور، أبو عمر أحمد بن محمد بن سعيد الأموي ولاء، المحدث الكبير (تـ 401هـ) : وهو ممن أخذ عن قاسم بن أصبغ، ومحمد بن معاوية

القرشي، ووهب بن مسرة. كان عارفا بأسماء الرجال والأنساب، وقد لزمه ابن عبد البر ودرس عليه "ذيل الذيل" لابن جرير الطبري، وسمع منه "موطأ الإمام مالك" برواية يحيى بن يحيى الليثي.

5. ابن الزيات : أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن التجيبي (تـ 390هـ) : وهو ممن رحل إلى المشرق، وسمع من علماء بغداد والبصرة والإسكندرية. وقد سمع منه أبو عمر بن عبد البر "كتاب أبي داود" رواية عن أبي بكر التمار بن داسة المصري، وقد أخذ عنه كثيرا من مروياته.

6. أبو عثمان : يعيش بن سعيد بن محمد بن الوراق (تـ 394هـ) : كان راوية عن قاسم بن أصبغ ومحمد بن معاوية. وله مؤلف سماه "مسند ابن الأحمر"، وقد روى عنه ابن عبد البر كثيرا من الأحاديث في "التمهيد" و"الاستذكار".

7. ابن الفرضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (توفي شهيداً في الفتنة البربرية حوالي 400هـ) : وهو المحدث الحافظ المؤرخ الشهير، أخذ في الأندلس عن ابن العطار، وابن عون الله، وابن مفرج، وأبي محمد بن أحمد الخشني. ورحل إلى المشرق وسمع من علماء مكة، ومصر، والقيروان، وأخذ عن القابسي، وابن أبي زيد، وأبي بكر المهندس، وأبي يعقوب الصيدلاني المكي. واشتهر بكتاب "تاريخ العلماء والرواة بالأندلس"، وكان الموصول بكتب الصلات والذيول والتكميلات في التعريف بعلماء الأندلس ومؤلفاتهم، وله كذلك كتاب "المؤتلف والمختلف".

8. أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطَّلَمَنِكي المعافري (تـ 429هـ) : درس في قرطبة عن ابن عون الله، وابن مفرج، ورحل إلى المشرق وسمع من أئمة الحديث والقراءات.

9. أبو زكريا، يحيى بن محمد بن يوسف الجياني : روى عنه أبو عمر بن عبد البر جامع الترمذي، عن أبي يعقوب الصيدلاني المكي، عن أبي ذر محمد بن إبراهيم الترمذي عن الإمام أبي عيسى الترمذي.

10. أبو عثمان سعيد بن نصر القرطبي : سمع منه رواية يحيى للموطإ عن قاسم بن أصبغ، ووهب بن مسرة عن محمد بن وضاح عن يحيى.

11. أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمذاني : وقد أخذ رواية ابن القاسم للموطإ عن أبي العباس تميم بن محمد بن تميم عن عيسى بن مسكين عن سحنون عن ابن القاسم.

ب) تلاميذه

كثير هم العلماء الذين رووا عن ابن عبد البر، والمطالع لفهرست ابن خير يدرك مدى تعلق علماء القرن الخامس الهجري في الأندلس بالرواية عن ابن عبد البر، كما نلاحظ أن جُلّ شيوخ عصره اعتبروه إمامهم ومسندهم المعتمد في علوم الحديث. وسوف نوجز الحديث عن أبرز هؤلاء الشيوخ الذين ساروا في فلكه، أمثال أبي الوليد الباجي، وأبي محمد بن حزم، وأبي عبد الله الحميدي، وأبي علي الغساني، وأبي محمد بن عتاب[1].

ج) مؤلفاته

ليس من الضروري أن نطيل الكلام عن مؤلفات ابن عبد البر، فإنها معروفة ومتداولة، اعتمدها المحدثون والفقهاء، ولهجت بالثناء عليها ألسنة العلماء والأدباء. وقد أتيح لي شخصيا أن أعيش معها سنين عديدة، صحبت فيها صحابة "الاستيعاب"[2]، واستمتعت بـ "نزهة المجالس"، وأفدت كثيرا من "جامع بيان العلم وفضله"[3]، وأدركت قيمة "تمهيده"، فنظمت "تجريده"، وشرحته بـ "اختصار أصوله".

لم يكتب عن موطإ الإمام مالك مثل ما كتب حافظ المغرب، أبو عمر بن عبد البر في "التمهيد" و"الاستذكار"[4]، و"التجريد"[5]. لقد وقف ثلاثين سنة من حياته على

---

(1) انظر ترجمته المفصلة وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته وأقوال العلماء فيه، في الصلة لابن بشكوال، ج 2، ص 677. وبغية الملتمس، الضبي، ج 2، ص 659. وتذكرة الحفاظ، الذهبي، ج 3، ص 1128. وانظر عبد العزيز عبد الله، معلمة القرآن والحديث، ص 139، وانظر الديباج المذهب لابن فرحون، ج 2، ص 367 وما بعدها. وانظر ابن مخلوف في الشجرة، ص 119. والذهبي في سير أعلام النبلاء، ج 18، ص 153، الذي قال في تعديله : «الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام صاحب التعاليق الفائقة». وانظر أسماء مؤلفات ابن عبد البر في فهرست بن خير، ص (470-471-475-477-482-483-485-490-513-512-519) وانظر مؤلفاته كلها في الرسالة المستطرفة للكتاني، ص -195-197. 128-121-113-96-75

(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، مطبوع طبعات عديدة منها طبعة دار الأعلام، 2002، مخرجة الأحاديث.

(3) الكتاب معروف بجامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته، وحمله لابن عبد البر القرطبي، طبع مرات عديدة منها طبعة مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، 1995 بعناية محمد عبد القادر أحمد عطا.

(4) الموسوعة الثانية التي ألفها الحافظ ابن عبد البر، والاسم الكامل للكتاب كما أورده محققه "الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار"، وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، منشورت دار قتيبة للطباعة والنشر، بتحقيق عبد المعطي أمين قلعجي.

(5) تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ويعرف أيضا بكتاب التقصي لحديث الموطأ لابن عبد البر، منشورات مكتبة المقدسي بالقاهرة.

موسوعته الرائعة المتمثلة في كتاب "التمهيد لما في الموطإ من المعاني والأسانيد"[1] وقال فيه :

سمير فؤادي مذ ثلاثين حجة	وصاقل ذهني والمفرج عن همي
بسطت لهم فيه كلام نبينا	لما في معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الآداب ما يهتدى به	إلى البر والتقوى وينهى عن الظلم

ولقد صدق ابن عبد البر في وصف كتابه الذي درس فيه مجموع أحاديث الموطإ، فوصل منقطعها، وأسند مرسلها، وبين طرقها واختلاف رواياتها، وحرر متونها، وشرح غوامضها، واستخرج ما تتضمنه من أحكام وآداب وحكم. ولم تقتصر بحوثه على آثار الموطإ فحسب، بل نراه يبسط في عرضه لأحكام أقوال فقهاء الأمصار، وأدلة أقوالهم من الأصول التي اعتمدوها في تأسيس مذاهبهم، ثم نراه بصفة الفقيه المتبصر، يرجح ما قوي دليله دون تعصب أو محاباة، صحيح أنه مالكي النزعة والمنحى، ولكنه ليس بالمقلد الذي ينساق بلا حجة أو دليل، وإنما يرجح ما قوى عنده دليله، ولو كان مخالفا لأقوال الإمام مالك.

لقد كان هذا الحافظ معجزة المغرب، فهو من أولئك الأعلام الذين لم يغادروا الأندلس، واستطاعوا استيعاب مجمل المعارف الإسلامية، وتركوا آثارا خالدة، جسدت مضامينها وحدة الثقافة الإسلامية، وبرهنت على إتساع رقعة إشعاع عالم المدينة، حيث امتدت من الأندلس، دار يحيى بن يحيى الليثي إلى خراسان، دار يحيى بن يحيى التميمي.

د) منهج ابن عبد البر

لقد كان ابن عبد البر حافظا ومحدثا بارعا، جمع بين حديث الإمام مالك وآثار أصحاب الصحاح والسنن، كما كان أيضا فقيها متبصرا، اطلع على مناحي علماء الأمصار وألف في فضائلهم، واستعرض أقوالهم في مسائل الخلاف، وتأثر بمنهج

(1) قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ : «ألف أبو عمر رحمه الله على الموطأ كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وهو عشرون مجلدا وهو كتاب لم يصنع أحد مثله في طريقته.. ثم ذكر بعد ذلك مؤلفاته الأخرى»، ترتيب المدارك، ج 8، ص 127 وما بعدها. وقد ذكر معاصره ابن حزم مؤلفاته وقال في التمهيد : «ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبي عمرو يوسف بن عبد البر وهو الآن بعد في الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة، وهو كتاب لا أعلم في فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه» انظر ابن حزم رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها ضمن مجموع رسائل ابن حزم الأندلسي، ج 2، ص 173 وما بعدها، تحقيق إحسان عباس. قد طبع الكتاب بإشراف وزارة الأوقاف المغربية وبتحقيق جلة من العلماء الأفاضل في اثنين وعشرين مجلداً، مذيلة بالفهارس المعينة على البحث والتقصي، بعد أن جمعت أطرافها من مختلف الخزائن العالمية، بدءا بإسطنبول وانتهاء بالخزائن المغربية.

الإمام الشافعي في الميل إلى اعتماد الأحاديث الموصولة، وبذل كل جهده في وصل مراسيل الإمام مالك وبلاغاته في الموطإ ما عدى أربعة أحاديث معروفة، لكنه لم يرفض الاحتجاج بالمرسل إذا كان مرويا عن كبار ثقات التابعين.

واقتفى في منهجه الحديثي آراء الأئمة ممن سبقوه، ولم يؤثر عنه رأي مخالف للجمهور في ضوابط تصحيح الحديث وتقويمه، وقد نسب له أبو عمرو بن الصلاح رأيا خاصا في تعديل جميع حملة العلم، وعدم ضرورة البحث عن أحوالهم، وقال إنه اتساع غير مرضي، لكن البحث في هذا الرأي ينبغي أن ينطلق من عبارة الحافظ في "التمهيد" التي يقول فيها : «كل حامل علم معروف العناية به، فهو عدل محمول في أمره أبدا على العدالة حتى تتبين جرحته في حاله، أو في كثرة غلطه، لقولهﷺ : «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله»[1]، الحديث[2].

وقد قام الدكتور محمد الخرشافي والدكتور محمد عبد النبي بدراسة معمقة لموقف ابن عبد البر في هذه القضية وأوضحا أن الإطلاق الوارد في هذا المقال مخصص بضوابط بيّنها ابن عبد البر في عدة مواضع، وأن رأيه لا يختلف عما يقوله أئمة الحديث قبله وبعده، مثل ابن حبان وابن المواق وابن سيد الناس والنووي والمزني وابن الجزري، كما بيّنَا أن استجلاء رأي ابن عبد البر لا يتم إلا بتتبع صنيعه التطبيقي في الجرح والتعديل.

هـ) خلاصة القول عن ابن عبد البر

وخلاصة القول في هذا الحافظ الكبير أنه كان مفخرة لعلماء الغرب الإسلامي، لأنه تمكن دون أن يغادر الربوع الأندلسية من إنشاء مدرسة حديثية متميزة، تمحورت حول موطإ الإمام مالك، ولكنها اتسعت دائرتها، فشملت ما يتطلب علم الحديث من جمع الروايات وتصحيحها، ومعرفة الرواة من عهد الصحابة إلى عصره، ومن وضع المناهج لتصحيح أسانيد الأحاديث وشرح متونها واستنباط الأحكام من مدلولاتها.

كما أن هذه المدرسة أبرزت أعلاما علماء ساروا على درب ابن عبد البر ومزجوا بين أقوال أهل الأثر من المحدثين ومذاهب أصحاب الرأي من الفقهاء.

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، 209/10، وابن عبد البر في التمهيد، 59/1.

(2) نقل ابن الصلاح في المقدمة هذه العبارة عن ابن عبد البر في النوع الثالث والعشرين معرفة صفة من تقبل روايته، ص 50.

9. أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (تـ 474هـ)

أبو الوليد الباجي من أجلّ محدثي عصره، إلا أن شهرته فقيها وأصوليا طمست مكانته في علم الحديث. لقد كان هذا العالم مثالا ونموذجا لكبار علماء الأندلس في القرن الخامس الهجري، إذ تلقى أولا معارف بلاده من علية أئمتها، ثم تاقت نفسه إلى الرحلة المشرقية، فقام بها، وسمع من أعلام شيوخ المحدثين وفقهاء المذاهب، وأخذ وأعطى، وقرأ وأَقْرَأَ، ثم عاد إلى وطنه، وبهر الناس بعلمه، وقوة عارضته، ونشر معارفه وانتشر صيته، وأسهم إسهاما حاسما في دعم المدرسة المالكية في الغرب الإسلامي.

شيوخه

أحصى الأستاذ أحمد لبزار[1] أربعين من شيوخ أبي الوليد الباجي، بعضهم أخذ عنه في الأندلس مثل يونس بن عبد الله بن مغيث بن الصفار القرطبي (تـ 429هـ)، والمقرئ مكي بن أبي طالب القيسي، ومحمد بن الحسن بن عبد الوارث الرازي (تـ 453هـ).

وأثناء رحلته إلى المشرق صحب أبا بكر الخطيب البغدادي، وأخذ عن مختلف أئمة المذاهب، ومنهم أبو إسحق الشيرازي، وأبو جعفر السمناني الحنفي، وأبو الفضل بن عمرو بن المالكي البغدادي. كما أخذ عن مجموعة من أئمة الحديث، من أبرزهم أبو ذر الهروي الذي حمل عنه رواية الإمام البخاري الشهيرة، كما أخذ عنه كتب أبي داود ومصنفات الدارقطني.

تلاميذه

لقد ذكر الأستاذ أحمد لبزار مائة من الذين أخذوا عن الباجي. وقال إن من أول من لازمه في رحلته في المشرق أبو الفرج بن السلالي في الكوفة، وقد سمعتْ منه صحيح البخاري في حلب السيدة ثمال، ابنة أسد الدولة صالح بن مرداس، وزوج معز

---

(1) دراسة وتحقيق د. أحمد لبزار لكتاب "التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح"، سليمان بن خلف الباجي، تـ 474هـ، مطبوع وزارة الأوقاف المغربية، 1991.

الدولة أمير حلب. وذكر أن إقراره لصحيح البخاري في حلب حمل أهلها إلى اعتماد مذهب أهل السنة، والفتوى على مذهب مالك.

وبعد عودته من المشرق صار محط رحال الطلبة ومسند أصحاب الحديث. فيذكر أنه في رجب سنة 463هـ، حدّث بصحيح البخاري وروته عنه جماعة منهم سعيد بن محمد أبو زاهر اللخمي، والمقرئ أبو داود نجاح بن أبي القاسم، وأبو مروان العبدري، وعبيد الله بن هاشم السرقسطي، وأبو محمد التجيبي، وعبد الله بن محمد السرقسطي، وأبو القاسم السرقسطي إسماعيل بن يوسف بن حديدي. كما روى عنه أكثر صحيح البخاري أبو الحسن القيسي محمد بن واجب، وذلك ببلنسية سنة 468هـ.

ومن تلامذته الأقربين ابنه أحمد الذي روى معظم تواليفه، وخلفه في حلقته، وهو الذي ألف "معيار النظر" و"كتاب البرهان على أول الدين الإيمان" (تـ 493هـ)، وكذلك صهره أبو العباس المرسي أحمد بن عبد الملك بن أبي جمرة (تـ 553هـ).

ومن مشاهير تلاميذته ثلاثة من أعلام المحدثين في الأندلس، وهم : محمد بن فتوح الحميدي، وأبو علي الغساني، وأبو علي الصدفي، وسوف نوجز القول عن كل واحد منهم.

هؤلاء بعض حملة علمه ممن أخذوا عنه مباشرة، ورووا علومه ومروياته، لكنا نرى أيضا علماء آخرين أتوا بعده، وأفادوا من علمه الكثير، أمثال ابن عتاب وابن خير والقاضي عياض[1].

مصنفاته

ارتبط اسم الباجي بكتاب "الإشارات والإحكام في أصول الأحكام" وحجاجه مع ابن حزم في إثبات القياس، واعتُمِد كتابه "المنتقى في شرح الموطإ"[2] مرجعا في الفقه المالكي لتركيز اهتمامه فيه على المسائل الفقهية على حساب القضايا الحديثية، كما

(1) انظر ترجمته في الصلة، ابن بشكوال، ج 1، ص 201. القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج 2، ص 117. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 3، ص 1178. والضبي في بغية الملتمس، ج 2، ص 385. وابن فرحون، الديباج المذهب، ج 1، ص 377. والذهبي في سير أعلام النبلاء، ج 18، ص 535.

(2) قال فيه المقري في النفح : «وهو أحسن كتاب ألف في مذهب مالك لأنه شرح فيه أحاديث الموطأ وفرع عليها تفريعا حسنا»، ج 2، ص 69، والكتاب مطبوع بدار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

لم يعرف كتابه "الاستيفاء"[1] الذي قيل إنه استوعب فيه المباحث الحديثية والفقهية، ولعله هو ما عناه الذهبي في ذكره لكتاب معاني الموطإ، الذي ذكر أنه يقع في عشرين مجلدا، كما أن كتابه في اختلاف الموطآت لم ينشر بعد.

فالذي بقي من آثاره في علم الحديث هو كتاب "التعديل والتجريح فيمن روى عنه البخاري في الصحيح"[2]، وهو مصنف يُظهر مكانته العالية في علوم الحديث، وبالخصوص معرفة الرواة وأحوالهم. وقد تناول فيه قرابة ألف وستمائة من الرواة الذين أخرج لهم البخاري وتعرض لتوثيق من ليس من الصحابة، وبين من قيل إنه مجهول أو ضعيف، أو من تغير في آخر حياته، وترجم لأئمة الحديث من هؤلاء الرواة مثل الإمام مالك، وشعبة بن الحجاج، والسفيانيين، والحماديين وغيرهم. وبدأ بذكر من اعتمد عليهم في بحوثه وسنده إليهم، كما تضمن كثيرا من الفوائد. ولقد طبع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء بتحقيق جيد من طرف المرحوم الأستاذ أحمد لبزار، الأستاذ في جامعة مراكش.

سنده وعمدته

سنده في صحيح البخاري عن أبي ذر الهروي، عيد بن أحمد الأنصاري (تـ 435هـ)، وهو عن ثلاثة من أصحاب محمد بن يوسف بن مطر بن صالح (تـ 320هـ) الفربري، وهم : أبو محمد الحموي السرخسي النحوي (تـ 381هـ)، عبد الله بن محمد بن حمويه، وأبو إسحق المستملي إبراهيم ابن أحمد البلخي (تـ 376هـ)، وأبو الهيثم الكشميهني، محمد بن مكي المروزي (تـ 435هـ).

وقد اعتمد على ستة من مؤرخي علوم الرجال، وذكر سنده إليهم، وهم :

* **عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي (تـ 327هـ)**، وقد أجازه عنه أبو ذر عن حمد بن عبد الله الأصبهاني الرازي،
* **أبو نصر أحمد بن محمد الكلاباذي (تـ 398هـ)** وسنده فيه أبو محمد بن الوليد الأنصاري الأندلسي المالكي (تـ 448هـ) عن علي بن فهر أبي الحسن البزار المصري المالكي عن أبي سعيد بن عمر بن محمد السنجري عن الحاكم ابن البيِّع عن الكلاباذي،

---

(1) المعلومات التي وصلتنا عن هذا الكتاب قليلة لذلك أشارت إليه المصادر المتأخرة على استحياء كما فعل إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين، ج 1، ص 397.

(2) دراسة وتحقيق د. أحمد لبزار، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، 1991.

* **أحمد ابن عدي الجرجاني (تـ 365هـ)** وذكر أن ما أخرجه عنه فقد رواه عن أبي بكر بن سختويه النيسابوري، وأبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن محمود الوراق الأندلسي وهما عن أبي العباس الرازي عن ابن عدي.

* **ابن معين** وقد أخبره بتاريخه أبو ذر الهروي عن ابن البيّع عن محمد بن يعقوب الأصم النيسابوري عن أبي الفضل عباس بن محمد بن حاتم الدوري عن ابن معين.

* **أبو حفص عمرو بن علي الفلاس (تـ 249هـ)**، فسنده فيه أبو القاسم الدبثائي البغدادي عن أبي الحسن بن لؤلؤ البغدادي الوراق عن أبي بكر بن شهريار عن أبي حفص الفلاس.

* **أبو العباس أحمد بن علي الأبّار (تـ 290هـ)** فعن أبي بكر الخطيب البغدادي عن أبي محمد دعلج السجري عن الأبّار.

ومن غير هؤلاء الذين كانوا عمدته في هذا الكتاب، فقد أوضح أنه كان يسأل الحفاظ وأهل العلم بهذا الشأن مثل شيخه أبي ذر الهروي، وأبي عبد الله محمد بن علي الصوري وقرينه أبي بكر الخطيب.

منهجه

لقد اعتاد أبو الوليد أن يبدأ بذكر اسم الراوي والأبواب التي روى له البخاري فيها وسنده، ثم يُعَرِّف به، وإذا لم يكن صحابيا، ذكر من وثقه أو من تكلم فيه.

ونقدم فيما يلي مقتطفات من هذا الكتاب تتناول بعض طرائف فوائدها وأمثلة من بيان المبهمات من رواة البخاري، وأسماء بعض الرواة الذي وُسموا بالضعف أو بالاختلاط، والتنبيه على أوهام المحدثين.

* **سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (127هـ)** : أخرج له البخاري عن عبد الله بن جعفر، وعن سعيد بن المسيب، وعن عروة، وعبد الرحمن بن هرمز وغيرهم. وثقه أبو حاتم، وابن حنبل وابن معين، كان قاضيا في المدينة.

لم يكتب أهل المدينة حديثه، وروى عنه شعبة وسفيان بواسط، وابن عيينة شيئا يسيرا بمكة، ويقول ابن معين إن مالكا تركه لأنه طعن في نسبه. ويرد الباجي ذلك وإنما

علله بكونه ليس من أهل الحديث، وقد روى عن الأعرج عن أبي هريرة، قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في الصبح بسورة السجدة والإنسان، وقد انفرد بهذا الحديث ولم يتابع عليه من طريق صحيح، ولذلك ترك أهل المدينة العمل به. وقول ابن معين وابن حنبل ثقة لا تعني أنه يحتج بحديثه، فقد قالا في محمد بن إسحق : ثقة ولا يحتج بحديثه. وهو يعني عندهم أنه لا يقصد الكذب. وذكر الباجي أن الإمام مالكا أدرى بأهل المدينة، وكل أهل بلد أدرى بأهله، فقد أخذ عن ابن المخارق البصري وتركه أهل البصرة والقول قولهم. وأخذوا عن ابن إسحق وتركه مالك والقول قوله.

* **سنان بن ربيعة الباهلي البصري :** أخرج له البخاري في الأطعمة : إن أم سليم أمه عمدت إلى مد من شعير حشته، قال ابن معين ليس بالقوي[1].

* **سهيل بن أبي صالح السمان :** مات في خلافة أبي جعفر، قال أبو بكر بن أبي حسن : سمعت يحيى بن معين يقول: لم يزل أهل الحديث يتقون حديث سهيل بن أبي صالح، وقال مرة عنه : ليس بذلك، ومرة إنه ضعيف، وقال أحمد بن صالح : سهيل من المتقين، وإنما يؤتى في غلط حديثه ممن يؤخذ عنه، وذكر يحيى بن معين سهيل بن ذكوان وقال إنه كذاب[2].

* **شعيب بن أبي حمزة :** من أثبت الناس في الزهري[3].

* **شبابة بن سوار :** قال أبو حاتم : صدوق يكتب حديثه ولا يحتج به[4].

* **هشام بن عبد الملك، أبو الوليد الطيالسي الباهلي البصري (تـ 227هـ)** : قال أبو زرعة : كان إماما في زمنه جليلا. قال محمد بن مسلم بن وارة : قال لي أبو نعيم : لولا أبو الوليد ما أشرت عليك أن تقدم البصرة، إن دخلتها لا تجد فيها إلا مغفلا إلا أبا الوليد[5].

(1) بتصرف من كتاب التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح، لأبي الوليد الباجي، ص 1224، ج 3، تحقيق أحمد لبزار، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

(2) المصدر نفسه، ص 1304.

(3) المصدر نفسه، ص 1312.

(4) المصدر نفسه، ص 1327.

(5) المصدر نفسه، ص 1334.

* **هشام بن عمار :** قال أبو حاتم صدوق ولما كبر تغير. وكلما وقع إليه كتاب قرأه وكلما لقن دلس[1].

* **هلال بن أبي هلال :** ويقول البخاري : هلال بن علي، أخرج له البخاري كتاب العلم، وفي تفسير سورة الفتح، هلال بن أبي هلال ؛ وفي الإكراه هلال بن أبي إسحق، ويقول مالك : هلال بن أبي أسامة (مات في خلافة هشام بن عبد الملك)[2].

* **يحيى بن أبي كثير :** قال أبو بكر : وزعم علي بن المديني أن يحيى بن سعيد قال : مرسلات يحيى بن أبي كثير شبه لا شيء[3].

* **يزيد بن هارون :** قال أبو بكر : سمعت أبي يقول يعاب على يزيد بن هارون حين ذهب بصره، أنه ربما إذا سئل عن الحديث لا يعرفه، فيأمر جارية له فتحفظه من كتابه، وقال أبو بكر : سمعت يحيى بن معين يقول : يزيد بن هارون ليس من أصحاب الحديث، لا يميز ولا يبالي عمن روى. وقال أبو حاتم : إمام في الحديث، صدوق، لا يسأل عن مثله[4].

* **يعقوب :** غير منسوب، روى له البخاري عن إبراهيم بن سعد، وهو ابن حميد بن كاسب المدني، وقد سكن مكة، روي له فيمن شهد بدرا من الملائكة، وتكلم فيه أبو حاتم، وقال ابن معين ليس بثقة لأنه محدود، ووثقه مصعب الزبيري[5].

* **أحمد بن عبد الله بن يونس اليربوعي الكوفي** قال : قدمت البصرة فأتيت حماد بن زيد، فسألته أن يملي شيئا من فضائل عثمان، فقال لي : من أين أنت ؟ فقلت : من الكوفة، فقال : كوفي يطلب فضائل عثمان ؟ والله لا أملينها عليك إلا وأنا قائم وأنت جالس، فقام وأجلسني وأملى علي فكنت أسارقه النظر، فكان يملي علي وهو يبكي[6].

---

(1) المصدر السابق، ص 1335.
(2) المصدر السابق، ص 1344.
(3) المصدر السابق، ص 1380.
(4) المصدر السابق، ص 1407.
(5) المصدر السابق، ص 1424.
(6) المصدر السابق، ص 306.

* **أحمد بن يزيد بن إبراهيم بن الحسن الحراني المعروف بالورتنسي :** أخرج له البخاري في علامات النبوءة، قال أبو حاتم هو ضعيف[1].

* **أحمد** غير منسوب : وقد روى عنه عن ابن وهب، فقيل إنه أبو عبيد الله بن عبد الرحمن بن وهب، وهو قول أبي أحمد النيسابوري الكرابسي، وقد تكلموا فيه، ولم يذكره الدارقطني مما روى عنه البخاري وهذا ما أكده الباجي، وقيل إنه أحمد بن صالح المصري، أو أحمد بن عيسى التستري[2].

* **أحمد** غير منسوب : أخرج له البخاري في التوحيد عن محمد بن أبي بكر المقدم، وذكر الباجي أن الكلاباذي قال : إنه أحمد بن سيار بن أيوب المروزي، ولم يذكر أبو الحسن الدارقطني، ويقول أبو أحمد النيسابوري والحاكم أنه أحمد بن النضر بن عبد الوهاب النيسابوري[3].

---

(1) المصدر السابق، ص 317.

(2) المصدر السابق، ص 318.

(3) المصدر السابق، ص 321.

10. علي بن أحمد بن حزم أبو محمد القرطبي (تـ 456هـ)

شهرته

شهرة الإمام ابن حزم قد تغني عن التعريف به، وتنوع مظاهر شخصيته العلمية والفكرية تجعل الحديث عنه في حجم تراجم هذا الكتاب، لن يكون سوى اختصار مخل في حق هذا العالم الذي استأثر بكثير من الاهتمام وأثار كثيرا من الجدل والخصام. وإننا في سياق موضوعنا، سنقتصر على تناول نشاطه في علم الحديث بعد كلمة موجزة عن حياته العلمية ومنهجه العام في التصور والتفكير.

بدأ ابن حزم في قصر أبيه الذي كان ملتقى الأدباء والعلماء، ثم استهوته السياسة، فحاول أولا أن يسير على خطوات والده الذي كان وزيرا للدولة العامرية، لكن ما لبث حتى اكتوى بنار الفتنة البربرية، فاضطر إلى الخروج من قرطبة، ومكث فترة في السجن، ثم اقتنع أنه خلق ليكون من رجال العلم، وحينئذ سخّر ملكاته الفائقة في تحصيل موسوعة من المعارف المتنوعة، واختط منهجا مستقلا ومنطقا شاملا في التصور والتصديق.

لقد شملت معارفه الآداب والتاريخ والأنساب، وأخبار الملل والنحل، وأصول الفقه، غير أن مبدأ انطلاقه الفكري اعتمد أولا وقبل كل شيء على الحديث، فكان تصوره للسلوك الديني يقتضي الخضوع الكلي لسلطة الخبر النبوي، اعتبارا أن امتثاله من ضرورات الاعتقاد، وأن نصوصه كافية في مجملها لبيان كافة الأحكام المتعلقة بحياة الإنسان، وإن إدراك معنى هذه النصوص ينحصر فيما يتبادر إلى الذهن من ظاهر ألفاظ اللغة.

وقد كان تعبيره صارما في هذا المذهب، ومتسما بالحدة والجرأة ضد مخالفيه من الأشاعرة والمالكية من دعاة التقليد والقياس. ولقد اشتهرت مناظراته مع زعيم المذهب المالكي في عصره الإمام أبي الوليد الباجي.

ولعل ابن حزم كان آخر حلقة في سلسلة العلماء الذين حاولوا تقويض صرح المذهب المالكي الذي صمد في وجه جميع المناوئين.

شيوخه وتلاميذه

لم يك ابن حزم من الذين رحلوا إلى المشرق للسماع من أئمة الحديث الذين وقفوا حياتهم على خدمة علومه، فلقد اكتفى بمجموعة قليلة من علماء الأندلس أمثال أبي عمر

بن الجسور، وأحمد بن قاسم، حفيد قاسم بن أصبغ، ويحيى بن مسعود بن وجه الجنة، وأبي عمر الطلمنكي، والمهلب بن أبي صفرة، وابن عبد البر الذي أشاد بكتابه "التمهيد".

وقد يجوز لنا أن نفترض أن ابن حزم لم يلقِ القياد إلى شيخ خاص به، فطبيعة عناده المعبر عنه في انتسابه الفارسي، وحسرته على مأساة الدولة العامرية، وتجربته بين جواري والده، كل هذه العوامل جعلته لا يثق إلا بنفسه، ولا يعتمد إلا على رأيه. وإذا كان من الشائع أنه على مذهب داود الظاهري، فإن الصلة بينهما لا يظهر إنها صلة تلميذ بأستاذه، ولعل أوضح ما يؤثر منها ما بين كتاب ابن داود و"طوق الحمامة" لابن حزم.

وإذا جاز لنا أن نعتقد أن ابن حزم قد تأثر فكريا بأحد الشيوخ، فما علينا إلا أن نفترض أنه بقي بن مخلد الذي يجمعه به الانتماء لمذهب أهل الحديث، ومعارضة جميع مظاهر التقليد، كما أنه أولى عناية خاصة لمصنفه "المسند"، فروى له مؤلف في ترتيب وبيان عدد أحاديث الصحابة المذكورين فيه.

ولعل عدم تركيز ابن حزم على شيوخ معينين، أفقده في المقابل وجود أتباع منقطعين إليه، إذ لم يشتهر من تلاميذه الأقربين سوى ابنه أبي رافع، وأبي محمد بن العربي، والد القاضي أبي بكر بن العربي، ومحمد بن فتوح الحميدي، صاحب الجمع بين الصحيحين[1].

مؤلفاته في الحديث

اشتهرت مصنفات ابن حزم في مختلف العلوم، مثل كتاب "الإحكام في أصول الفقه" و"التقريب" و"التوحيد" و"الفصل في العقائد"، أما كتبه في الحديث فمن أشهرها :

* "**المحلي**"[2] : ويعزى لعز الدين بن عبد السلام أن كتب العلوم الإسلامية أربعة: "التمهيد" لابن عبد البر، و"المحلى" لابن حزم، و"المغني" لابن قدامة، و"سنن

(1) ترجم له ابن بشكوال، في الصلة، 415/2. والحميدي في جذوة المقتبس، 491/2. والذهبي في سير أعلام النبلاء ترجمة واسعة جمعها من مصادر مختلفة، حيث ذكر أقوال العلماء فيه، وساق كثيرا من آرائه في فقه السنة. ومصادر ترجمته أكثر من أن تحصى، ذكر منها محققوا السير للذهبي حوالي عشرين مصدرا من المشرق والمغرب، انظر ج 18، ص 183. وقد جمع ابن عقيل الظاهري ما تعلق بابن حزم من تراجم ودراسات وأبحاث في كتاب سماه : "ابن حزم خلال ألف عام"، مطبوع متداول.

(2) يقول ابن حزم في سبب تأليفه : «أما بعد وفقنا الله وإياكم لطاعته فإنكم رغبتهم أن نعمل للمسائل المختصرة التي جمعناها في كتابنا الموسوم بـ "المجلى" شرحا مختصرا أيضا نقتصر فيه على قواعد البراهين بغير إكثار ليكون مأخذه سهلا على الطالب والمبتدئ، ودرجا له إلى التبحر في الحجاج ومعرفة الاختلاف، وتصحيح الدلائل المؤدية إلى معرفة الحق وما تنازع الناس فيه، والإشراف على أحكام القرآن، والوقوف على جمهرة السنن الثابتة عن رسول الله وتمييزها مما لا يصح، والوقوف على الثقات من رواة الأخبار، وتمييزهم من غيرهم، والتنبيه على فساد القياس وتناقضه وتناقض القائلين به، فاستخرت الله عز وجل على عمل ذلك واستعنته تعالى على الهداية إلى نصر الحق وسألته التأييد على بيان ذلك وتقريبه، وأن يجعله لوجهه خالصا وفيه محضا، آمين أمين رب العالمين». والكتاب مطبوع بدار الفكر بتحقيق عبد الغفار سليمان البنداري.

البيهقي"، ولم يتممه، ولكن أكمله ابنه أبو رافع، وقد كان محل عناية من قبل العلماء، وممن اختصره ابن عربي الحاتمي، وأبو حيان الغرناطي، والذهبي. وكتب عنه محمد بن عبد الملك العبدي "القدح المحلى في أعمال المحلى"، وتناوله بالنقد أبو الحسن بن زرقون الإشبيلي.

* **كتاب "الإيصال إلى فهم كتاب الخصال"**[1] **:** وهو كتاب شامل في الأحكام وأدلتها من الأحاديث والآثار. وقد قال إن كل ما روى منذ أربعين سنة ونيف موجود في هذا الكتاب.
* **كتاب "جامع صحيح الأحاديث المجرد من الأسانيد"**[2] **:** ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، وأورد له صاحب "كشف الظنون" كتاب "مهم السنن". وكتاب "الإملاء في شرح موطإ الإمام مالك".
* **مختصر في علل الحديث.**
* **"أوهام الصحيحين" :** ذكره الروداني في صلة الخلف بموصول السلف، وتحدث صاحب "كشف الظنون" عن الأجوبة على الصحيح. "ترتيب سؤالات" الدارمي و"فضل طلب العلم وأهله"، ذكره الروداني في صلة الخلف.

والذي تبقى من آثاره يبرهن على ما أوتي من سعة العلم، ودقة في الفهم وصرامة في الأسلوب. وإذا كان هذا العالم المتميز أخفق في نشر مذهبه الظاهري وهدم أركان المذهب المالكي، فإنه نجح في فرض شخصيته الفكرية وآرائه المنهجية حتى على أولئك الذين ناصبوه العداء، فبقي منارا مشعلا في ربوع الأندلس يستنير بضيائه بعضهم ويتأذى بعضهم من حره.

---

(1) قال فيه الحميدي : «ألف في فقه الحديث كتابا كبيرا سماه الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام وسائر الأحكام على ما أوجبه القرآن والسنة والإجماع. أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه والحجة لكل طائفة وعليها والأحاديث الواردة في ذلك من الصحيح والسقيم بالأسانيد وبيان ذلك كله وتحقيق القول فيه»، ج 2، ص 491، والكتاب مفقود.

(2) ذكره المقري بعنوان "كتاب الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها"، ج 2، ص 79، قال أبو عبد الرحمان بن عقيل الظاهري في كلامه عن الكتاب : «هذا من كتب ابن حزم المفقودة. وفي مكتبة شستر بتي نسختان بعنوان "الجامع" أحدهما نسخة كاملة وهي آخر أجزاء الإيصال، فالجامع باب من كتاب الإيصال وليس هو الجامع في الحديث»، ابن حزم خلال ألف عام، ج 1، ص 97.

11. أبو علي الحسين بن محمد بن فيره بن حيون الصدفي المعروف بابن سكره (454-514هـ)

أصله من سرقسطة، كان عارفا بالحديث، قائما به، حافظا لأسماء الرجال، عارفا لقويهم وضعيفهم، وليَ القضاء بمرسية سنة 525، وحمدت سيرته، ثم استعفى فلم يعف، فاختفى وشارك في الغزو واستشهد يوم قتنده بالثغر الأعلى.

أخذ في الأندلس عن الباجي، وابن سماعة. ورحل إلى المشرق فسمع من الحبال، والسجعي، والطرطوشي، وأبي معشر الطبري، وأبي الحسن الطيوري، وابن خيرون، وأبي محمد التميمي، ودرس الأصول على الشاشي.

ويذكر القاضي عياض في "الغنية" أنه سمع منه من رواية أبي الفضل بن خيرون من أبي الوليد الباجي سماعا لبعضه ومناولة لبقية كتابه في "الجرح والتعديل"، وكذلك كتاب "العلل الكبير" للدارقطني، وكتابه "المؤتلف والمختلف"، وسمع لنفس المؤلف "الاستدراكات على البخاري ومسلم"، وكتاب "الالزامات" لهما، و"أوهام الحاكم في المدخل"، وكتاب "أسامي شيوخ البخاري" من جمع أحمد بن عدي، وسمع منه كتاب "مشتبه الشبه" وكتاب "المؤتلف والمختلف" لعبد الغني بن سعيد[1].

ويبدو أنه كان منقطعاً للتدريس إذ لم تؤثر عنه مصنفات متداولة بينما عرف بكثرة الطلبة المتتلمذين له حتى أن عدد الآخذين عنه حمل ابن الأبار على تصنيف كتابه المشهور بعنوان "أصحاب الصدفي".

(1) انظر ترجمته في الصلة، ابن بشكوال، ج 1، ص 144. وانظر الغنية، للقاضي عياض، ص 131. وتذكرة الحفاظ، للذهبي، ج 4، ص 1253. و وبغية الملتمس، للضبي، ج 1، ص 331. والأعلام، للزركلي، ج 2، ص 255.

12. الشيخ الحافظ أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني المعروف بالجياني (427-498هـ)

حياته : شيوخه. كتابه تقييد المهمل

يقول عنه القاضي عياض في كتاب "الغنية" : «شيخ الأندلس في وقته، وصاحب رحلتهم، وأضبط الناس لكتاب، وأتقنهم لرواية، له الحظ الوافر من الأدب والنسب، والمعرفة بأسماء الرجال، وسعة السماع، انتقل أبوه من جيان إلى قرطبة فاستوطنها، سمع أبا عمر ابن عبد البر، وأبا عمر ابن الحذاء، وأبا العباس الدلائي، وأبا القاسم الطرابلسي، والفقيه أبا عبد الله ابن عتاب، والقاضي أبا الوليد الباجي، والقاضي سراج بن عبد الله، وابن سعدون، وابن حيان، وأبا بكر المصحفي وجماعة غيرهم. وصحب أبا مروان ابن سراج، وأتقن كتب اللغة والغريب والشروح عليه، ورحل إليه الناس من الأقطار، وحملوا عنه. وألف كتابه على الصحيحين المسمى "تقييد المهمل وتمييز المشكل" وهو كبير الفائدة»[1].

ولقد قام علي بن محمد العمران ومحمد عزيز شمس بتحقيق هذا الكتاب، وتم طبعه بالمملكة العربية السعودية.

كما قام محمد أبو الفضل بتحقيق كتاب الأوهام والمشكلات الواقعة في الصحيحين، وفي معرض "التنبيه على الأوهام الواقعة في صحيح مسلم"[2]، تتبع أقوال الإمام المازري في كتاب "المعلم"، وأخذ عليه إنكاره لفضل أبي علي عليه لأنه أفاد منه حول كثير من المشكلات في صحيح مسلم وبيان كثير من الأوهام والمبهمات، إلا أنه اعتاد أن لا يعزو ذلك إلى أبي علي، فتارة يقول : قال بعضهم، وتارة يورد الخبر وكأنه من عنده، بخلاف صنيع النووي الذي يوضح غالبا أقوال أبي علي، ويرى أبو الفضل في عمل المازري هذا جحودا وحقدا لا يليقان بمقام الإمام المازري. ونورد أمثلة من تنبيهاته :

(1) الغنية للقاضي عياض، ص 138.

(2) منشورات وزارة الأوقاف بالمغرب.

أمثلة من تنبيهاته حول صحيح مسلم

ونستعرض فيما يلي أمثلة من هذا المؤلف لنتبين منهجه في تصحيح نصوص الحديث الواردة في روايتي ابن ماهان والجلودي لصحيح مسلم، ومنها :

1. حديث «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع» : رُوى هذا الحديث في نسخة أبي العباس الرازي عن شعبة عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة مسندا، ويقول الدارقطني إنه مرسل عن شعبة كما رواه معاذ وغندر وابن مهدي[1].

2. وفي المقدمة في أكثر النسخ، قال مسلم : حدثنا بشر بن الحكم، قال : سمعت يحيى بن سعيد القطان ضعف حكيم بن جبير، وعبد الأعلى بن موسى بن دينار، وهذا وهم والصواب "وضعف يحيى موسى بن دينار، والمعنيُّ هو موسى بن دينار المكي[2].

3. وفي نسخة الرازي : روى الزهري وصالح بن كيسان عن أبي سلمة عن عائشة: كان النبيﷺ يقبل وهو صائم، وفي الإسناد وهم، والصواب أنه الزهري عن صالح بن أبي حسان[3].

4. وفي نسخة ابن الحذاء عن أبي العلاء بن ماهان قال : سمعت عكرمة بن خالد يحدث عن طاوس أن رجلا قال لعبد الله بن عمر : ألا تغزو ؟ وكان من جواب ابن عمر أنه ذكر أركان الإسلام الخمسة، ولم يرد الجهاد فيها، ويقول أبو علي الجياني إن في هذا الإسناد وهم، وأن الصواب هو ما جاء في رواية الجلودي وهو : سمعت عكرمة بن خالد يحدث طاوسا أن رجلا سأل عبد الله بن عمر، الحديث، فعكرمة هو الذي حدث طاوسا وليس العكس[4].

5. وفي رواية ابن ماهان : قال مسلم حدثنا أمية بن بسطام العيشي قال : حدثنا يزيد بن زريع، قال حدثنا روح، قال حدثنا إسماعيل بن أمية عن يحيى بن عبد الله بن صيفي عن أبي معبد الجهني عن ابن عباس أن رسول اللهﷺ لما

---

(1) التنبيه على الأوهام الواقعة في صحيح مسلم، لأبي علي الغساني، ص 45، تحقيق محمد أبو الفضل، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سنة 2000.

(2) نفسه، ص 47.

(3) نفسه، ص 47.

(4) نفسه، ص 55.

بعث معاذا إلى اليمن. الحديث. وذكر الجهني هنا وهم، وأبو معبد هذا مولى لابن عباس وأسمه نافذ[1].

6. وفيه : قال مسلم حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر عن إسماعيل بن جعفر عن عمرو بن أبي عمرو المقبري عن أبي هريرة عن النبيﷺ في حديث : «يا معشر النساء تصدقن»، قال أبو مسعود : المقبري في هذا الإسناد هو أبو سعيد، والد سعيد بن أبي سعيد. قال الإمام أبو علي : وهذا الذي ذكره أبو مسعود الدمشقي خالفه فيه سليمان بن بلال فرواه عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة، وقال أبو الحسن الدارقطني : وقول سليمان ابن بلال أصح[2].

7. وفي حديث عثمان في صفة الوضوء ما رواه وكيع عن سفيان عن أبي النضر عن أبي أنس أن عثمان بن عفان توضأ بالمقاعد، الحديث... قال الإمام أبو علي إن وكيعا وهَمَ في إسناد هذا الحديث في قوله عن أبي أنس، وإنما يرويه أبو النضر عن بسر بن سعيد عن عثمان، هكذا قال الدارقطني هذا مما وهَمَ فيه وكيع عن سفيان الثوري[3].

8. وفي باب ما يقال بعد الوضوء قال مسلم : حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون، قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال حدثنا معاوية بن صالح عن ربيعة ابن يزيد عن أبي إدريس عن عقبة بن عامر، قال وحدثني أبو عثمان عن جبير ابن نفير عن عقبة بن عامر، قال : كانت علينا رعاية الإبل فروحتها بعشي، فأدركت من قول النبي صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين يقبل عليها بقلبه ووجهه وجبت له الجنة. وكتب أبو عبد الله ابن الحذاء في نسخته : قال ربيعة بن يزيد وحدثني أبو عثمان، قال أبو علي القائل في هذا الإسناد : ″حدثني أبو عثمان″ هو معاوية بن صالح، وما كتبه ابن الحذاء وهم[4].

(1) نفسه، ص 65.

(2) المصدر السابق، ص 73.

(3) المصدر السابق، ص 79.

(4) المصدر السابق، ص 81.

9. وفي نسخة ابن الحذاء، وفيها صفة غسل الجنابة : حدثنا يحيى بن أيوب وأبو كريب، قالا : حدثنا أبو معاوية كلاهما عن الأعمش.

وفي الإسناد وهم والصواب حدثنا يحيى بن يحيى وأبو كريب وكذلك في نسخة أبي زكرياء عن ابن ماهان[1].

10. وفي الوضوء مما مست النار حاول ابن الحذاء إصلاح إسناده ولكنه أفسده، ففي نسخته، قال مسلم : حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث، قال حدثني أبي عن جدي، قال ابن شهاب : أخبرني عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن أن خارجة بن زيد أخبره أن أباه زيدا بن ثابت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الوضوء مما مسته النار. وذكر عبد الله هنا وهم، والصواب عبد الملك بن أبي بكر[2].

(1) المصدر السابق، ص 96.

(2) المصدر السابق، ص 100.

13 . أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري (543هـ)

1 . حياته

إنه خاتمة كبار أئمة الحديث في الأندلس. لقد سلك النهج الذي رسمه ابن وضاح وأبو الوليد الباجي، وأبو علي الغساني، فهو من ألمع أولئك الذين نالوا أقوى العَلَل من الرحلة المشرقية بعد ما نهلوا من معين علماء بلادهم، ثم عادوا إلى الأندلس بصدور ملئت علما وحكمة، واضطلعوا بعد رجوعهم بوظائف القضاء والتدريس والتأليف. ولقد كان لهذا العالم أثره البالغ في امتداد دائرة العلوم الأندلسية إلى عدوة المغرب.

وكان هذا الأثر واضحا عند القاضي عياض، الذي يقول عنه في "الغنية"، ضمن شيوخه من أهل اشبيلية وأبوه من فقهائها، سمع ببلده من أبي عبد الله بن منظور وأبي محمد بن خدوج، وبقرطبة من أبي عبد الله بن عتاب، وأبي مروان ابن سراج، وحصلت له عند العبادية أصحاب اشبيلية مكانة ورياسة، فلما انقرضت دولتهم خرج إلى الحج سنة خمس وثمانين وأربعمائة مع ابنه القاضي أبي بكر وسنه يومئذ نحو سبعة عشر عاما. ويذكر في هذه الرحلة أنه كاد يغرق مع والده، وأنهما خرجا من هولها خروج الميت من قبره محتزمين أزُراً تمجها الأبصار، وانتهيا إلى بيوت بني كعب بن سليم، فآواهم أميرها، وأطعمهم وسقاهم، فلاحظ الشاب ابن العربي الأمير وهو يدير أعواد الشطرنج فعل من لا يحسنها، فأشار إليه بحركة مكنت الأمير من الفوز على خصمه، فعظم في أعين الحاضرين، وزاد الأمير في إكرامهما والإنعام عليهما.

2 . شيوخه

وقد كان أبو بكر تأدب ببلده وقرأ القراءات، ولقي شيوخ مصر : أبا الحسن الخلعي، وأبا الحسن ابن مشرف، ومهديا الوراق، وأبا الحسن ابن داوود الفارسي. ولقي بالشام أبا نصر المقدسي، وأبا سعيد الزنجاني، وأبا حامد الغزالي، وأبا سعيد الرهاوي، والإمام أبا بكر الطرطوشي، وأبا محمد هبة الله بن أحمد الأكفاني، وأبا الفضل ابن الفرات الدمشقي. ولقي بمكة أبا عبد الله الطبري، وأبا عبد الله الحافظ. وسمع بالعراق من أبي الحسين الطيوري، وأبي الحسن علي بن أيوب البزاز، وأبي بكر

ابن طرخان، وأبي طاهر ابن سوار، والنقيب أبي الفوارس الزيني، وجعفر ابن أحمد السراج، وأبي الحسن ابن عبد القادر، وأبي زكرياء التبريزي، وأبي المعالي ثابت ابن بندار في آخرين.

ودرس الفقه والأصول عند أبي بكر الشاشي، وأبي بكر الطرطوشي، وقيد الحديث، واتسع في الرواية، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام على أئمة هذا الشأن، من هؤلاء ومن غيرهم.

ورجع من رحلته إلى الأندلس سنة خمس وتسعين، فسكن ببلده، وشوور، وسُمع ودرس الفقه والأصول، وجلس للوعظ والتفسير، ورُحل إليه للسماع، وصنَّف في غير فن تصانيف كثيرة، حسنة، مفيدة. وولي القضاء مدة، ثم صرف. وكان فهما، نبيلا، فصيحا، حافظا، أديبا، شاعرا، كثير الخير، ولكثرة حديثه وأخباره وغرائب حكاياته ورواياته أكثر الناس فيه الكلام وطعنوا في حديثه.

ومن بديع نظمه، قوله :

أتتني تؤنبني بالبكا	فأهلا بها وبتأنيبها
تقول وفي نفسها حسرة	أتبكي بعين تراني بها
فقلت إذا استحسنت غيركم	أمرت جفوني بتعذيبها

وتوفي رحمه الله في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، منصرفه من مراكش من الوجهة التي توجه فيها مع أهل بلده إلى الحضرة، بعد دخول مدينة اشبيلية، فحبسوا بمراكش نحو عام، ثم سرحوا في هذا الحين، فأدركته بطريقه منيته على مقربة من فاس بمرحلة، وحمل ميتا إلى مدينة فاس ودفن بباب الجيسة، وقبره فيها معروف[1].

3. علاقته بالقاضي عياض

ويقول عنه القاضي عياض : «واجتاز ببلدنا عند انصرافه من المشرق، فكتبت عنه حينئذ فوائد من حديثه وناولني كتاب "المؤتلف والمختلف" للدارقطني. وحدثني به عن أبي الحسن الطيوري، عن أبي الفتح عبد الكريم بن محمد المحاملي، عن الدارقطني،

(1) انظر ترجمته في الصلة، ابن بشكوال، ج 2، ص 590. والغنية، القاضي عياض، ص 66. وتذكرة الحفاظ، الذهبي، ج 4، ص 1294. والديباج المذهب، لابن فرحون، ج 2، ص 254. والشجرة، لابن مخلوف، ص 136 وما بعدها. والأعلام، للزركلي، ج 6، ص 230.

إلا جزأين : الثامن والتاسع، فإن الطيوري يرويهما عن أبي بكر محمد بن عبد الملك بشران عن الدارقطني. وحدثني بكتاب "الإكمال في المؤتلف والمختلف" تأليف الأمير الحافظ أبي نصر ابن ماكولا، عن أبي بكر محمد بن طرخان عنه».

4. مصنفاته

لقد كان ابن العربي متفقها في العلوم، وإماما في الأصول والفروع، طبق الآفاق بفوائده، وملأ الدنيا بأواجده، وكتب مصنفات قيمة في علوم القرآن والحديث، صارت عمدة فقهاء المالكية، وله في علوم الحديث مجموعة من المؤلفات منها : "شروح موطإ الإمام مالك". وقد طبع منها كتاب "القبس في شرح موطإ مالك بن أنس"[1]، تحقيق الدكتور عبد الله كريم الشنقيطي. ومن هذه الشروح كتاب "المسالك في شرح موطإ الإمام مالك"[2].

والملاحظ أنه في هذه الشروح أورد زيادات لا توجد عند غيره. منها كتاب التفسير من الموطإ، وقد سبق أن نبهت عليه في "مدخل أصول الفقه المالكي".

وذكر له الأستاذ محمد بن عبد الله التليدي شرحا ثالثا بعنوان "المجتبى في شرح الموطإ" عازيا ذلك لكتاب "خلال الجزولي"، وأن نسخة منه موجودة بخزانة آدوز بسوس غير كاملة[3].

ومن كتبه المعروفة "عارضة الأحوذي على جامع الترمذي"، وهو مطبوع ومتداول، وله غير ذلك مجموعة من الأجزاء التي تناولت أحاديث مفردة منها حديث الأحرف السبعة في القرآن، وحديث الإفك، وحديث أم زرع، وحديث جابر في الشفاعة، وحديث : ليس من البر الصوم في السفر، وصم الداء في الكلام على حديث السوداء، يعني بها تلك السوداء التي كانت تقم المسجد النبوي، فلما توفيت دفنها الصحابة قبل أن يؤذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله أيضا حديث السبحات والكلام على سند

---

(1) الكتاب نفسه.

(2) لازلنا نرقب صدور هذا المؤلف الجليل التي تصلنا أخبار من هنا وهناك أنه يحقق دون أن نقف على الخبر اليقين في ذلك، غير أن وجوده مخطوطا هو من المؤكد، إذ توجد منه نسخة على شريط في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1562 في أربعة أجزاء، ويوجد السفر الثاني منه بخزانة القرويين بفاس تحت رقم 180، أوله كتاب الجهاد وآخره أسماء النبي عدد أوراقه 122 (1) . وتوجد منه نسخ أخرى بدار الكتب المصرية رقم 793 حديث والمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 425-426، مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، خالد الصمدي، ج 1، ص 335.

(3) تراث المغاربة في الحديث، محمد بن عبد الله التليدي، ص 244.

حديث عقبة بن عامر : ما منكم من أحد يتوضأ، وهو الحديث الذي قال شعبة بن الحجاج أنه دُمر بسبب رواية شهر بن حوشب.

ومن مصنفاته المفقودة "التبيين في شرح الصحيحين"، وقد ذكر أنه اختصره. كما ذكر له ابن رشيد أيضا كتاب "الصريح في شرح الصحيح"[1].

5. قراءات في كتاب "القبس" لأبي بكر بن العربي

هذا الكتاب يبدو وكأنه إملاءات ودروس ألقاها القاضي ابن العربي على طلبته في آخر حياته، حيث إنه لم يلتزم بشرح جميع الأحاديث والآثار وإنما اكتفى بمجموعة من التعاليق تتناول في أغلبها الغوامض والمشكلات التي تحتاج إلى تبيين وتوضيح. ولقد اخترنا بعض الأمثلة كنماذج من هذه الإملاءات في مواضع تعني الكتاب والسنة، ومسائل الخلاف والمصلحة في التشريع.

وحاول ابن العربي في كتاب "القبس" أن يلخص رأي الإمام مالك في السنة وإلزامها للمكلف بصفة عامة وللمجتهد بصفة أخص، فقال : قال مالك وإنه ليكفي من ذلك ما مضى من السنة، ولكن المرء قد يجد وجه الصواب وموقع الحجة... والقول من الله ورسوله إذا وعاه المكلف يعين الإقرار عليه واعتداده على صفته في أي قسم من أقسام التكليف كان ويتميز بعد ذلك المجتهد عن كل مكلف سواه بأن يلحظها من كل وجه يراه جاز فهم معناه عداه وإلا استقر الحكم في محله خاصة ولم يلحق به سواه ولا يقف دون النظر بأول وهلة حتى يعجز بعد البحث والاجتهاد.

ثم تطرق أيضا لمجموعة من القواعد التي تضبط طرق استعمال الأحاديث في الحكم منها قوله مثلا : إذا اختلفت ألفاظ الحديث في الرواية فتأملوا الحديث فإن كان مما يتكرر فكل لفظ أصل يعهد ويبني عليه الأحكام، وإن كان مما لا يتكرر فيعلم قطعا أن النبيﷺ إنما قال أحدها، وأن الراوي هو الذي عبّر عن تلك الحالة بألفاظ مترادفة ومتقاربة فتعرض الألفاظ على الأصول والأدلة فما استمر منها عليها هو الذي يبنى عليه الحكم.

---

(1) انظر شجرة النور الزكية لابن مخلوف، ص 136، ومن كتبه المطبوعة كتاب سراج المهتدين في آداب الصالحين، تحقيق أبو أويس محمد بوخبزة، طبع بتطوان سنة 1992، في مجلد لطيف، مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، ج 1، ص 357.

ولما تناول مسائل الإسناد عند الإمام مالك، فقال : المرسل كالمسند عند مالك خلافا للشافعي، وزاد بعض أصحابه أنه لا يعتبر إلا مسانيد سعيد بن المسيب، وقال لنا جمال الإسلام محمد بن الحسين : تتبعت مراسيل سعيد بن المسيب فوجدتها كلها مسندة.

ثم بين أخيراً منزلة فعل الرسولﷺ من حديثه، قائلا : فعل الرسول إذا كان مبينا لمجمل فهو ملزم، ومتى ما كان تتميما لحكم معلوم وتفصيلا لأمر مشروع حمل على الفضل، مثال الأول : كيفية الصلاة، والثاني : ﴿ **حتى تغتسلوا** ﴾[1]، وقول النبيﷺ: إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات من ماء ثم تضغثين بيديك ثم تفيضين الماء على سائر جسدك، فأنت قد طهرت، ولم يذكر الوضوء فدل على أنه أجر وفضل.

وفسر بعض الأحاديث المشكلة مثل ما ورد في أن النار اشتكت إلى ربها فقال : اشتكت النار إلى ربها، اختلف الناس هل هذه الشكوى حقيقة بكلام أم مجاز عبّر عنه بلسان الحال. وفي الحديث قولهﷺ من كذب علي متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا، قالوا يا رسول الله أو لجهنم عينان قال، أو ما سمعتم قوله تعالى : ﴿ **إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا** ﴾[2].

وإذا كان الحديث يشتمل على دليل خاص به نبه عليه مثل ما ذكر في حديث : إذا نعس أحدكم في صلاته فليرقد، وزاد قائلا ليس في غير هذا الحديث في معرض الحديث عن إحراق بيوت من لم يحضر الصلاة، قائلا : قد بيّنَا في غير ما موضع من الإملاء أن النبيﷺ كان يقضي باجتهاده والشريعة تقصد من ذلك إذلالهم، ثم تركها إمهالا لهم ولئلا يتحدث الناس أن محمدا يحرق دور أصحابه، وأخذ منه مالك جواز حرق محل المعاصي.

وفي باب القضاء في المرفق، فسر حديث النهي عن منع الجار من وضع الخشبة في الحائط قائلا : لا يمنع أحدكم جاره أن يزرع خشبة، حمله مالك على الاستحباب. وفسر حديث : لا ضرر ولا ضرار، أن لا تضر صاحبك بما ينفعك ولا تمنعه مالا يضرك وينفعه.

وفي معرض المسائل العقائدية قال إنه بيّن في "المتوسط والمقسط" وغيرهما القول في عصمة الأنبياء، وبيّن في "المشكلين" شرح حديث ذي اليدين، وقول النبي

(1) النساء، 43.

(2) الفرقان، 12.

صلى الله عليه وسلم : «كل ذلك لم يقع»، مفسرا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعني أن ذلك لم يقع عمدا منه.

ومن الأحاديث المشكلة التي فسرها ابن العربي حديث سعد بن عبادة في شأن من وجد رجلا مع امرأته، إنه حديث مشكل لأنه يوهم ترك الزاني ولا يجوز على الأنبياء التقرير على المعصية، وذكر أنه قد انفرد به سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة، ثم ذكر طرق الحديث الأخرى، وتحدث عن مراجعة سعد للنبي صلى الله عليه وسلم والخلاف في الحكم من قتل رجلا وجده مع زوجته، وأقوال الصحابة والأئمة.

6. فوائده الحديثية

ومن فوائده الحديثية : المقالة التي خصصها لأحاديث يقول إنه صافح فيها مسلما والبخاري، ونستعرض منها ما أورده أبو الربيع الكلاعي :

يقول ابن العربي : «كنا قد خرجنا في شرف المنزلة كتابا سميناه بـ "الأحاديث السباعية" التي رتبنا فيها من النبي على هذا التعديد من القرون، وبيّنا في ذلك الكتاب علو التعديد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وعلو التنزيل إلى المشيخة رضي الله عنهم، وعندنا في علو التنزيل عدد كثير من الأحاديث، لكننا لم نتفرغ لتخريجها لتزاحم الأغراض وكسل النفس، وزهد الناس في العلم، والزهد فيهم لقلة الاستقامة وعدم القوامية. وكانت عندنا ستة أحاديث في المصافحة التي ظفر بها الإمام البرقاني، وهو شيخ شيوخنا رحمهم الله، فرأينا تخريجها منفردة لمحتاج يقتبس وطارق يختلس، حتى إذا استنار بها استنار لغيرها».

والأحاديث الستة التي ذكرها ابن العربي هي :

* حديث «العائد في هبته كالعائد في قيئه»[1].

* حديث «إن النبيﷺ مر بشاة ميتة لمولاة ميمونة، فقال : «ألا أخذوا إهابها فانتفعوا به، قالوا : يا رسول الله إنها ميتة، قال : إنما حُرم أكلها»[2].

* حديث «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»[3].

---

(1) رواه البخاري في كتاب الهبة.

(2) رواه مسلم في كتاب الحيض.

(3) رواه البخاري في كتاب الصلاة.

* حديث «أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحي الكفر، وأنا الحاشر الذي أحشر الناس، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي»[1].

* حديث «إن النبي صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ، فقال : ما كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه ؟ قال : كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. قال : سبحان الله، لا تستطيعه، أو لا تطيقه. ألا قلت : اللهم آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[2].

* قال أنس : كان أبو عبيدة وأبي بن كعب وسهيل بن البيضاء في نفر من أصحابهم وأنا أسقيهم، حتى كاد الشراب يأخذ فيهم، فمرّ بنا رجل من المسلمين، فقال : ألا شعرتم أن الخمر قد حرمت، فوالله ما قالوا حتى نتبين، قالوا : أهرق ما في آنيتك يا أنس، ثم ما عادوا فيها حتى لقوا الله، وأنه البسر والتمر وهي خمرهم يومئذ»[3].

وبين الكلاعي ما اتفق لابن العربي فيها من مصافحة وهي الحديث الأول والثاني والرابع، وما وقع له في بعضها من وهم : وهي الثالث والخامس والسادس، فقال :

«وأما الثالث، فإنه قال فيه شيخنا أبو المطهر والبخاري فيه سواء في المرتبة، وليس كما قال، فإن الحديث للبخاري خماسي وهو لأبي المطهر سداسي، وللقاضي أبي بكر سباعي، فكيف يكون أبو المطهر فيه بمنزلة البخاري ؟ إنما يكون بمنزلة الفربري السامع من البخاري فاعلم».

«أما الخامس فإنه قال فيه : رواه مسلم في الدعوات، عن أبي الخطاب زياد بن يحيى الحساني، عن محمد بن أبي عدي وعن عاصم بن النضر التيمي، عن خالد بن الحارث كلاهما عن حميد عن ثابت عن أنس، ثم قال : فكأن شيخي أبا المطهر وأبا الحسين سمعاه مع مسلم وليس كذلك، فإن مسلما رحمه الله بينه وبين حميد من طريقه واسطتان في الأولى زياد بن يحيى وابن أبي عدي، وفي الثانية عاصم وخالد وبين

---

(1) رواه أحمد في مسند المدنيين.

(2) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

(3) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.

حميد وأنس ثابت، فالعدد بين مسلم وحميد اثنان. والعدد بين أبي المطهر وحميد أربعة. ثم هو عند مسلم كما ترى عن حميد عن ثابت. وفي حديث الحارث بن أبي أسامة الذي رواه القاضي أبو بكر في طريقه عن حميد عن أنس من غير ذكر ثابت، وحميد معروف السماع من أنس ومن ثابت، وربما دلّس عن أنس بما لم يسمعه إلا من ثابت عنه، فحق أبي المطهر أن يكون فيه بمنزلة أبي أحمد الجلودي الراوي، عن أبي سفيان عن مسلم، إذا لم نعتبر ثابتا. وإن اعتبرنا فيه ثبوت ثابت فيكون من خماسيات مسلم. ويكون أبو المطهر فيه إذ ذاك بمنزلة إبراهيم بن سفيان، وهذا من القاضي أبي بكر وهم بعيد. والوهم لا يعصم منه كبير أحد».

«وعن الحديث السادس، قال إن شيخيه أبا المطهر وأبا الحسين بمنزلة البخاري ومسلم، وليس كما قال، والعدد يبينه لأنه للبخاري ولمسلم خماسي، وفي الطريق الذي أشار إليه في البخاري فإنه لأبي المطهر وأبي الحسين سداسي، فليس لابن العربي فيه مصافحة كما ادعاه للإمامين، وإنما يكون مصافحة لشيخيه لا له. ويكون له هو مصافحة للفربري وابن سفيان، فاعلم والله المرشد»[1].

7. تلامذته

ومن مشاهير تلامذة ابن العربي :

- **محمد بن إبراهيم الأنصاري**، المشهور بابن الفخار، ممن اختص بابن العربي، توفي في مراكش سنة 590هـ[2].

- **أبو القاسم بن حبيش عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري**، من أهل المرية، غادرها سنه 542هـ لما أخذها الروم، وسكن في سبتة وتولى قضاءها. أخذ عنه الكلاعي. قرأ على ابن العربي إلزامات الدارقطني، وكان يحفظ تاريخ ابن أبي خيثمة[3].

---

(1) رحلة ابن رشيد، ج 2، ص 259، ذكر التليدي في تراث المغاربة جزء المصافحة لأبي بكر بن العربي وقال : أورد فيه ستة أحاديث مما صافح فيه ابن العربي البخاري ومسلما وقد وهم في ثلاثة منها كما بينه أبو الربيع الكلاعي، ص 119، وذكر أن الجزء منه نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بمدريد.

(2) شجرة النور الزكية لابن مخلوف، ص 159.

(3) الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، لعبد العزيز بن عبد الله، ج 1، ص 71.

ـ القاضي ابن مضاء، أحمد بن عبد الرحمن القرطبي (تـ 592هـ)، المشهور بنظرياته في النحو[1].

ـ ومنهم أيضاً **أبو بكر بن أبي حمزة المرسي**، (تـ 599هـ)، وقد كان محدثا عالي الرواية، إلا أنه وقع له اضطراب في آخر حياته، فأنكر عليه منافسوه من تلامذة أبي حبيش للتباعد الذي كان بينهما، وله شرح على صحيح مسلم، وكتاب "نتائج الأفكار ومناهج النظار في معاني الآثار"[2].

---

(1) الذيل والتكملة لابن عبد الملك، السفر 1، القسم 1، ص 218، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة.

(2) التكملة لابن الأبار، ج 2، ص 79، تحقيق الدكتور عبد السلام الهراس.

الفصل الثاني : علوم الحديث بين العدوتين

مدرسة القاضي عياض (تـ 544)

أ) حياته ومصنفاته

هو عياض بن موسى بن عمرون[1] بن موسى بن عياض بن عبد الله بن محمد بن عياض اليحصبي القاضي أبو الفضل. الإمام العلامة، سبتي الدار والميلاد، أندلسي الأصل.

كان مولده بسبتة في شهر شعبان سنة ست وسبعين وأربعمائة، وتوفي بمراكش في شهر جمادى الآخرة، وقيل في رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقيل : إنه مات مسموما، سمه يهودي، ودفن رحمه الله بباب إبلان داخل المدينة[2].

قال ولده محمد : كان أجدادنا في القديم بالأندلس، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس، وكان لهم استمرار بالقيروان، لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك، وانتقل عمرون إلى سبتة بعد سكنى فاس.

كان القاضي أبو الفضل إمام وقته في الحديث وعلومه، عالما بالتفسير وجميع علومه، فقيها أصوليا، عالما بالنحو واللغة، وكلام العرب، وأيامهم وأنسابهم، بصيرا بالأحكام، عاقدا للشروط، حافظا لمذهب مالك، شاعر مجيدا، ريانا من علم الأدب، خطيبا بليغا، صبورا حليما، جميل العشرة، جوادا، سمحا، كثير الصدقة، دؤوبا على العمل، صلبا في الحق.

---

(1) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 4، ص 1304.

(2) انظر ترجمته في الصلة، ابن بشكوال، ج 2، ص 453، وانظر ترجمة مفصلة عند ابن فرحون في الديباج، ج 2، ص 46 وما بعدها. وانظر تعريف مفصلا في التعريف بالقاضي عياض لابنه محمد، ومقدمة تحقيق كتاب الغنية لماهر جرار. تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج 4، ص 1305، وانظر مؤلفاته في فهرست بن خير، ص 474-487-497-512، والرسالة المستطرفة، ص 141-143-157، وسير أعلام النبلاء، ج 20، ص 212 .وقد ذكر محققوا هذا الكتاب أغلب مظان ترجمة القاضي.

رحل إلى الأندلس سنة سبع وخمسمائة طالبا للعلم، فأخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين، وأبي الحسين بن سراج، وعن أبي محمد بن عتاب، وغيرهم.

وعني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم، وأخذ عن أبي عبد الله المازري، وأجازه الشيخ أبو بكر الطرطوشي، ومن شيوخه القاضي أبو الوليد ابن رشد.

قال صاحب "الصلة"، وأظنه سمع من ابن رشد، وقد اجتمع له من الشيوخ بين من سمع منه وبين من أجازه مائة شيخ، وذكر ولدُه محمد منهم : أحمد بن محمد بن مكحول، وأبا الطاهر أحمد بن محمد السِّلفي، وأبا علي الحسين بن محمد بن سُكْرة، الصدفي، والقاضي أبا بكر بن العربي، والحسن بن علي بن طريف، وخلف بن إبراهيم ابن النحاس، ومحمد بن أحمد بن الحاج القرطبي، وعبد الله بن محمد الخشني، وعبد الله ابن محمد بن السيد البطليوسي، وعبد الرحمن بن بقي بن مخلد، وعبد الرحمن بن محمد ابن العجوز، وغيرهم.

قال صاحب "الصلة"، وجمع من الحديث كثيرا، وله عناية كبيرة به، واهتمام بجمعه وتقييده، وهو من أهل التفنن في العلم، واليقظة والفهم.

بعد عوده من الأندلس أجلسه أهل سبتة للمناظرة عليه في "المدوّنة"، وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عنها، ثم أجلس للشورى، ثم ولي قضاء بلده مدة طويلة، حمدت سيرته فيها، ثم نقل إلى قضاء غرناطة في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، ولم يطل أمده بها، ثم قضاء سبتة ثانيا.

ولما ظهر أمر الموحدين بادر إلى المسابقة بالدخول في طاعتهم، ورحل إلى لقاء أميرهم بمدينة سلا، فأجزل صلته، وأوجب بره، إلى أن اضطربت أمور الموحدين عام ثلاث وأربعين وخمسمائة، فتلاشت حاله ولحق بمراكش مشردا به عن وطنه فكانت بها وفاته.

وله التصانيف المفيدة البديعة منها "إكمال المعلم في شرح مسلم"، ومنها "الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم" أبدع فيه كل الإبداع، وسلم له أكفاؤه كفايته فيه ولم ينازعه أحد الانفراد به ولا انكروا مزية السبق إليه، بل تشوفوا للوقوف عليه وأنصفوا في الاستفادة منه، وحمله الناس عنه وطارت نسخه شرقا وغربا، وكتاب "مشارق الأنوار" في تفسير غريب حديث الموطأ، والبخاري، ومسلم، وضبط الألفاظ، والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيفات، وضبط أسماء

الرجال، وهو كتاب لو كتب بالذهب، أو وزن بالجوهر لكان قليلا في حقه، وفيه يقول ابن الصلاح :

مشارق أنوار تبدت بسبتة ومن عجب كون المشارق بالغرب

وكتاب "التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة"، جمع فيه غرائب من ضبط الألفاظ وتحرير المسائل، وكتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك" لمعرفة أعلام مذهب مالك رحمه الله، وكتاب "الإعلام بحدود وقواعد الإسلام" وكتاب "الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع"، وكتاب "بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد"، وكتاب "الغنية" في شيوخه، وكتاب "المعجم" في شيوخ ابن سكرة، وكتاب "نظم البرهان على صحة جزم الأذان"، وكتاب "العيون الستة في أخبار سبتة"، وكتاب "غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسل"، وكتاب "الأجوبة المحبرة على الأسئلة المتخيرة"، وكتاب "أجوبة القرطبيين"، وكتاب "أجوبته عما نزل في أيام قضائه من نوازل الأحكام" في سفر، وكتاب "سر السراة في أدب القضاة"، وكتاب "خطب"، وكان لا يخطب إلا من إنشائه.

وله شعر كثير حسن رائق فائق، فمنه قوله :

يا من تحمل عني غير مكترث لكنه للضنى والسقم أوصى بي[1]

تركتني مستهام القلب ذا حُرق أخا جوى وتباريحٍ وأوصاب

أراقب النجم في جنح الدجى سحرا كأنني راصد للنجم أو صابي

وما وجدت لذيذ النوم بعدكم إلا جنى حنظل في الطعم أو صاب

وله في خامات زرع بينها شقائق النعمان، هبت عليه الريح :

أنظر إلى الزرع وخاماته تحكي وقد ماست أمام الرياح[2]

كتيبة خضراء مهزومة[3] شقائق النعمان فيها جراح

وله غير ذلك كثير.

لقد مثّل أبو الفضل القاضي عياض الحلقة التي جمعت بين علمي العدوتين، إذ نشأ في سبتة على ضفاف مضيق طارق بن زياد، في تلك البقعة التي انطلقت منها

(1) الديباج المذهب، 171.

(2) كذا في تذكرة الحفاظ، والديباج المذهب، وشذرات الذهب، ووفيات الأعيان، وفي الأصل : "حمراء مهزوزة".

(3) وفيات الأعيان.

جيوش موسى بن نصير وقرينه طارق بن زياد لفتح باب حضارة ازدهرت على عدوة الأندلس طيلة ثمانية قرون، وتبادلت مع العدوة المغربية مشاعل الثقافة والفنون.

تردد القاضي عياض بين حواضر هذه الربوع من قرطبة إلى مراكش، ولمع في سمائها طالبا ذكيا، وحافظا متقنا، ومعلّما ماهرا، ومصنفا بارعا، والحديث عن شيوخه ومروياته، وعن آثاره ومؤلفاته، يعطينا صورة متكاملة عن تاريخ العلوم في عصره، وعن مدى ما وصلت إليه من إشراق حتى انتزع إعجاب المشارقة، حتى قال بعضهم : «لولا القاضي عياض لما ذكر المغرب»، كما أثار تعجبهم، حتى قال فيه ابن الصلاح ما قال.

وموسوعية القاضي عياض هي التي استحق بها أن يذكر في طليعة أصحاب تحقيق النصوص الحديثية، مع ابن سلام، وابن قتيبة، والخطابي، ومع رواد علم المصطلح أمثال الرامهرمزي، والحاكم، وأبي نعيم، وقد كان إسهامه قويا ومتميزا في هذه الأبواب، نظرا لجودة توثيقه في "مشارق الأنوار"، وفي كتاب "الإلماع"، وكتاب "إكمال المُعْلِم".

وسنحاول في هذا الفصل تقديم مدرسته في نطاق التحام جهود علماء الحديث في الأندلس والمغرب، ونتناول مشاهير أعلام هذه المدرسة ودورهم في توسعة دائرة علم الحديث.

ب) شيوخه

وهكذا يظهر دوره في التكامل بين مؤَلَّفَيْ الجياني والمازري كما يبدو جليا في استعراض بعض شيوخه من عدوة الأندلس وتلاميذه من عدوة المغرب، ومن أبرز هؤلاء الشيوخ نذكر :

1. الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمي (429-505هـ) : يقول القاضي عياض في "الغنية" : «أجل شيوخ أهل بلدنا سبتة رحمه الله، ومقدم فقهائهم، مولده بمدينة فاس. انتقل به أبوه إلى سبتة وهو شاب، وأصله من تاهرت، وجده هو المنتقل إلى فاس، فطلب العلم بسبتة على شيوخنا، أبي محمد المسيلي وغيره.

ورحل إلى الأندلس ثلاث رحل :

إحداها : في شبيبته إلى اشبيلية، فقرأ بها الأدب على أبي بكر ابن الصيدة.

والثانية : إلى المرية سنة ثمانين وأربعمائة، فأخذ عن ابن المرابط، وأجازه الدلائي.

والثالثة : سنة ثمان وثمانين إلى قرطبة، فسمع الجياني، وابن الطلاع، وأبا مروان ابن سراج والعبسي. وأقام بها نحو عامين، واتسع في الأخذ، وتقلد الشورى أخريات أيام البرغواطي قبل رحلته، فاستمر رأسا في المفتيين إلى أخريات أيامه، وسمع أيضا من ابن سعدون، وأبي القاسم ابن الباجي وغيرهما. وقال عنه :

«وكان كثير الكتب، حافظا، عارفا بالفقه، مليح الخط والكتابة والمحاضرة.

لازمته كثيرا للمناظرة في "المدونة" و"الموطأ" وسماع المصنفات، فقرأت وسمعت عليه ـ بقراءة غيري ـ كثيرا، وأجازني جميع رواياته».

«وولي القضاء بسبتة نحو ست سنين، واستعفى من ذلك أخيرا، فأعفي، وذلك في محرم سنة ست وتسعين، ثم التزم القضاء بمدينة فاس، بعد أن سجن على إبايته من ذلك، وذلك سنة ثلاث وخمسمائة، فنهض إليها، ثم انصرف إلى سبتة زائرا، فتوفي بها صبيحة يوم السبت لتسع بقين لجمادى الأولى سنة خمس وخمسمائة».

«وكان من أحسن القضاة سيرة، وأنزههم، وأجراهم على الطريقة القويمة، فمضى فقيرا حميدا، واحتفل الناس لجنازته، وولعت العامة بنعشه، مسحا بالأكف ولمسا بأطراف الثياب، تبركا به رحمة الله عليه»[1].

رواياته عن القاضي أبي عبد الله التميمي :

ويقول القاضي عياض أنه روى عنه موطأ الإمام مالك وصحيح البخاري ومسلم وكتاب أبي داوود وشرح غريب الحديث للقاسم بن سلام، ويذكر أسانيده لهذه الروايات، وهي :

أ) "موطأ" الإمام مالك بن أنس، رواية يحيى بن يحيى الليثي :

إذ قال : «حدثني به مولى ابن الطلاع، عن القاضي يونس بن عبد الله، عن أبي عيسى يحيى بن عبد الله، عن عم أبيه عبيد الله بن يحيى بن يحيى، عن أبيه يحيى، عن مالك».

«وحدثني به أبو علي الجياني عن حاتم بن محمد عن الطلمنكي عن أبي جعفر ابن عون الله، عن قاسم بن أصبغ، عن ابن وضاح عن يحيى. وعن الجياني : وحدثني أبو عمر ابن عبد البر الحافظ، عن أبي عثمان سعيد بن نصر، عن أبي محمد قاسم بن أصبغ، عن ابن وضاح، عن يحيى. قال أبو عمر : وحدثنا به أيضا أبو الفضل التاهرتي، عن أبي عبد الملك محمد بن أبي دليم، ووهب بن مسرة، كلاهما عن ابن وضاح»[2].

---

(1) الغنية للقاضي عياض، ص 27 وما بعدها.

(2) الغنية، ص 29.

ب) صحيح البخاري :

يقول : «إنه رواه عن أبي محمد الأصيلي، عن أبي أحمد محمد بن أحمد بن يوسف الجرجاني، وأبي زيد محمد بن أحمد المروزي، عن محمد بن يوسف الفربري. وقال الجياني : وحدثني به أبو عمر أحمد بن محمد ابن الحذاء، وأبو عمر بن عبد البر، عن أبي محمد بن أسد الجهني، عن أبي علي بن السكن، عن الفربري».

«وحدثه برواية النسفي إجازة الشيخ الحافظ أبو علي الجياني، عن أبي العاصي حكم بن محمد، عن أبي الفضل أحمد بن أبي عمران، عن أبي صالح خلف بن محمد الخيام عن إبراهيم بن معقل النسفي، عن البخاري».

ولم يدخل هذه البلاد رواية البخاري إلا من هذين الطرفين : عن الفربري والنسفي[1].

ج) صحيح مسلم :

وحدثه به، قراءة وسماعا وإجازة لما فاته الحافظ أبو علي الجياني سماعاً، عن أبي العباس العذري، عن أبي العباس أحمد بن الحسن الرازي، عن أبي أحمد محمد بن عيسى الجلودي، عن إبراهيم بن سفيان، عن مسلم بن الحجاج.

قال الجياني : «وحدثني به القاضي أبو عمر أحمد بن محمد بن يحيى ابن الحذاء، قال : حدثني أبي، حدثنا أبو العلاء عبد الوهاب بن عيسى ابن ماهان، قال حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد ابن الأشقر، حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد القلانسي، حدثنا مسلم ـ حاشا من آخر الكتاب ـ من حديث حذيفة : «والله إني لأعلم الناس بكل فتنة»، فإن ابن ماهان روى ذلك عن الجلودي بسنده.

ولم يصل إلى هذه البلاد كتاب مسلم، إلا من طريقي القلانسي وابن سفيان»[2].

د) مصنف السنن لأبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني :

سمع أكثره في رواياته الأربع عن أبي جاسة وابن الأعرابي والرملي واللؤلؤي[3].

---

(1) الغنية، ص 32.

(2) الغنية، ص 35.

(3) الغنية، ص 37.

هـ) شرح غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام رحمة الله عليه :

وسمع "غريب الحديث" لأبي عبيد الهروي، و"غريب الحديث" للخطابي، و"علوم الحديث" للحاكم، وكتاب "الطبقات" لمسلم بن الحجاج و"الضعفاء والمتروكين" للنسائي، وملخص مسند الموطإ للقابسي والتقصي لابن عبد البر ومسند الموطإ لإبي القاسم الجوهري[1].

2. الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، يقول عنه عياض : إمام بلاد إفريقية وما وراءها من المغرب، وآخر المستقلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر.

أخذ عن اللخمي وأبي محمد عبد الحميد السوسي وغيرهما، من شيوخ إفريقية ودرس أصول الفقه والدين، وتقدم في ذلك، فجاء سابقا.

لم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض، في وقته أفقه منه، وأقوى لمذهبهم، وسمع الحديث وطالع معانيه واطلع على علوم كثيرة، من الطب والحساب والآداب وغير ذلك. فكان أحد رجال الكمال في العلم في وقته، وإليه كان يفزع في الفتوى في الطب في بلده، كما يفزع إليه في الفتوى في الفقه.

وكان حسن الخلق، مليح المجلس، أنيسه، كثير الحكاية وإنشاد قطع الشعر. وكان قلمه في العلم أبلغ من لسانه، وألف في الفقه والأصول، وشرح كتاب "مسلم" وكتاب "التلقين" للقاضي أبي محمد، وليس للمالكية كتاب مثله. وشرح "البرهان" لأبي المعالي الجويني، وألف غير ذلك.

كتب إليَّ من المهدية يجيزني كتابه المسمى بـ"المعلم في شرح مسلم"، وغيره من تواليفه. توفي رحمه الله يوم السبت الثالث من ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وقد نيف على الثمانين[2].

3. سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن سراج الأموي، الوزير، اللغوي الحافظ، أبو الحسين (تـ 432هـ) : زعيم وقته، وإمام طريقته، والمقدم في مصره بذاته وسليقته، أكثر أخذه عن أبيه الحافظ أبي مروان، وله سماع عن الفقيه أبي عبد الله

---

(1) الغنية، ص 38.

(2) الغنية، ص 65.

ابن عتاب، وإليه كانت الرحلة في وقته بعد أبيه، في تقييد كتب الأدب والغريب والشرح، ودرس "كتاب سيبويه"، وقل مشهور إلا وقد أخذ عنه.

يقول القاضي عياض إنه رحل إليه إلى قرطبة سنة سبع وخمسمائة، فسمع عليه ما يسره الله بمنه، وجعل له من نفسه حظا ودولا كثيرة، ثم رجع إليه سنة ثمان فوجده مريضا مرضه الذي توفي منه رحمه الله، وكانت وفاته يوم الإثنين لست بقين لجمادى الآخرة من السنة المذكورة.

ويقول : مما أخذته منه، قراءة وسماعا، كتاب "غريب الحديث" لأبي سليمان الخطابي، سمعت جميعه عليه بقراءة شيخنا الأستاذ أبي الحسن علي بن أحمد الأنصاري، وقد تقدم ذكره وسندي فيه في باب المحمديين. وقرأت عليه جميع كتاب "الدلائل" لأبي محمد قاسم بن ثابت السرقسطي. وكان ثابت وابنه قاسم اشتركا في التأليف، وكانت رحلتهما وسماعهما واحدا، فمات قبل أبيه بمدة[1].

4. الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن الجذامي : سمع أباه كثيرا، وأبا القاسم الطرابلسي، وأجازه جماعة، منهم : أبو عمر بن الحذاء، وأبو محمد السنتجالي، وأبو زكرياء القليعي، وأبو عبد الله ابن عابد، وأبو محمد مكي المقرئ، وأبو جعفر ابن مغيث، وأبو عمر ابن عبد البر، وأبو حفص الزهراوي، وأبو عبد الله ابن شماخ، وأبو عمر السفاقسي، وأبو مروان ابن حيان.

وقرأ القرآن بالسبع مقارئ على أبي محمد بن شعيب، وجوده وأقرأه مدة، وكان قائما على الفتوى، عارفا بالنوازل، مقدما في ذلك، تدرب مع أبيه ومارسها بطول عمره، وكان فاضلا، متواضعا، صبورا على الجلوس للسماع، متحملا المشقات في ذلك، ثقة، فهما بما يقرأ عليه. وله كتاب كبير في الرقائق، سماه بـ "شفاء الصدور".

يقول عياض : «ولقيته بقرطبة، وقرأت عليه "صحيح البخاري" و"الملخص" للقابسي، وقرأت عليه وسمعت جميع "المدونة" و"المختلطة". وسمعت عليه "الموطأ" رواية يحيى بن يحيى الأندلسي».

«وقرأت عليه كثيرا من "السنن" لأبي عبد الرحمن النسائي، وناولني بقيته، وحدثني به عن أبيه، عن أبي محمد عبد الله بن ربيع، عن أبي بكر ابن معاوية، عنه».

---

(1) الغنية، ص 201 وما بعدها.

«وحدثني بـ "جامع عبد الله بن وهب" عن أبيه، عن أبي عثمان سعيد بن سلمة، عن أبي محمد بن خُمير، عن يونس بن عبد الأعلى عبد الله بن محمد ابن عثمان، عن سيد، وأحمد بن عبد الرحمن ابن وهب، عن عبد الله بن وهب».

«وحدثني بأجزاء من "عوالي" السفاقسي، وأبي عمر ابن عبد البر كتباها له».

«وحدثني بـ "تفسير عبد الرزاق" سماعا لبعضه، وإجازة لما فاتني منه، عن أبيه، عن أبي بكر ابن حويبل، والقاضي يونس بن مغيث، عن أبي بكر إسماعيل بن بدر، عن الخشني، عن سلمة ابن شبيب، عن عبد الرزاق، ولنا فيه أسانيد أخر».

«وإليه كانت الرحلة للسماع بقرطبة آخر عمره لعلو سنده، وانقراض طبقته، وصبره على الجلوس والإسماع آناء ليله وأطراف نهاره، واستوى في الأخذ عنه الآباء والأبناء إلى أن توفي رحمه الله، في جمادى الأولى لخمس خلون منه سنة عشرين وخمسمائة. مولده سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة».

«وأجازني رحمه الله جميع رواياته، من ذلك ما جمعته "فهرست" أبيه، و"فهرست" أبي عمر بن عبد البر و"فهرست" أبي محمد مكي، و"فهرست" السفاقسي، عنهم وغير ذلك»[1].

5. الفقيه القاضي الشهيد أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن خلف بن إبراهيم التجيبي ابن الحاج (458-529هـ) : أحد الفقهاء الفضلاء، تفقه بشيوخ بلده قرطبة : أبي جعفر بن رزق، وأبي الحسن ابن حمدين. وسمع الجياني، وابن الطلاع، وأبا مروان ابن سراج، والعبسي، وابن مدين الخطيب، وحازم بن محمد وغيرهم.

وكان حسن الضبط، جيد الكتب، كثير الرواية، له حظ في الأدب، مطبوعا في الفتيا، مقدما في الشورى، صليب الدين، متواضعا، متسمتا، حليما.

وولي قضاء الجماعة بقرطبة مرتين، حمد فيهما أثره، استعفى من أولاها، ثم أجبر ثانية، وكانت أمور الأندلس الكبار قد صرفها إليه أمير المؤمنين أيام قضائه واعتمد على فتواه بعد ابن رشد.

---

(1) الغنية، ص 162 وما بعدها.

قرأت عليه بداره بقرطبة جميع كتاب "غريب الحديث" لأبي محمد بن قتيبة، وعارضت كتابي بكتابه، حدثني به عن الشيخ أبي مروان ابن سراج رحمه الله، عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد الإفليلي، عن أبيه عن قاسم بن أصبغ، عن مؤلفه.

وحدثني به أيضا عن أبي علي الجياني الحافظ عن أبي عمر ابن الحذاء وابن عبد البر، عن عبد الوارث بن سفيان، عن قاسم بن أصبغ.

وصححت كثيرا من شواهده وعويص حروفه على الوزير أبي الحسين ابن سراج. وأخبرني به عن أبيه رحمه الله وكتبت عنه فوائده[1].

6. الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد ابن عبد العزيز بن حمدين التغلبي (439-508هـ) : أجل رجال الأندلس وزعيمها في وقته، جلالة، ووجاهة، وفهما، ونباهة، مع النظر الصحيح في الفقه والأدب البارع، والتقدم في النثر والنظم، تقلد الشورى بقرطبة لأول الدولة المرابطية، ثم ولي قضاء الجماعة بها في سنة تسعين إلى أن توفي.

يقول عياض إنه لقيه بقرطبة سنة سبع وخمسمائة وصدر سنة ثمان وجالسه كثيرا رحمه الله.

وسمع منه جزءا من "الموطأ" رواية عن يحيى بن يحيى الليثي. وقد تقدم ذكر إسناده فيه. وقرأ عليه بعض رسائله وردوده على الغزالي، وسمع بعضها، وسمع منه كثيرا من كلامه ورسالته لابن الشماخ، وأجاز له سائر رواياته[2].

7. عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد القرطبي (515هـ) الحاكم بها، أبو الحسن، يقول عنه عياض : «سمع سراجا القاضي، وأبا عبد الله ابن عتاب، وابن الطلا ع، وأجازه العذري، ولم تكن عنده أصول، ولا علم بما يرويه، سوى مجرد الرواية، وسمع عليه قوم في أصول شيوخه وأصحابه».

«لقيته بقرطبة وجالسته كثيرا، ولم أسمع منه، وسمعت من أخيه، وقد ذكرته قبل، وحدثني بحكايات وأخبار».[3].

---

(1) الغنية، ص 47 وما بعدها.

(2) الغنية، ص 46 وما بعدها.

(3) الغنية، ص 169.

كتاب "الإلماع"

كـان القـاضـي عـيـاض لامـعـاً فـي كـوكـبـة رواد المصـطـلح، وفـي كـتـابـه الموسوم بـ "الإلماع في معرفة أصول الرواية وتقييد السماع". وقد طبع هذا المؤلف بتحقيق السيد أحمد صقر سنة 1970[1].

ويقول القاضي عياض في مقدمة كتاب الإلماع : «هذا بأن علم الحديث عذب المشرب، رفيع المطلب، متدفق الينبوع، متشعب الفصول والفروع، وأن أول فصوله معرفة أدب الطلب والأخذ والسماع، ثم معرفة علم ذلك وعمن يؤخذ، ثم الإتقان والتقييد، ثم الحفظ والوعي.

ثـم الـتـمـييز والنقد بمعرفـة صحيحـه وسقيمـه، وحسنـه ومقبولـه، ومتروكـه وموضوعه واختلاف رواياته وعلله وميز مسنده من مرسله وموقوفه من موصوله.

ثم معرفة طبقات رجاله من الثقة والحفظ، والعدالة والجرح، والضعف والجهالة والتقدم والتأخر، ثم ميز زيادات الحفاظ وغيرهم فيه، وفصل المدرج من أقوال ناقليه.

ثم معرفة غريب متونه وتفسير ألفاظه، ثم معرفة ناسخه من منسوخه، ومفسره من مجمله، ومتعارضه ومشكله، ثم التفقه فيه واستخراج الحكم والأحكام من نصوصه ومعانيه، وجلاء مشكل ألفاظه على أحسن تأويلها ووفق مختلفها على الوجوه المفصلة وتنزيلها، ثم النشر وآدابه، وصحة المقصد في ذلك للدين واحتسابه.

وفي كل فصل من هذه الفصول علم قائم بنفسه وفرع سابق على أصل علم الأثر، وفي كل منها تصانيف عديدة وتآليف جمة مفيدة»[2].

ويذكر القاضي عياض أن أحدا رغب منه صرف العناية إلى تلخيص فصول في معرفة الضبط وتقييد السماع والرواية وتبيين أنواعها عند أهل التحصيل والدراية، وما يصح منها وما يتزيف ويتفق فيه من وجهها ويختلف.

ويقول إنه لم يعتن أحد بهذا الفصل كما يجب ولا وقف فيه على تصنيف يجد فيه الراغب ما رغب، فاستجاب لطلب الراغب فيه، وقال إنه جمع نكتا غريبة من مقدمات علم الأثر وأصوله. وقال : «وقدمت بين يدي ذلك أبوابا مختصرة في عظم شأن علم

---

(1) طبع بدار التراث بالقاهرة وبالمكتبة العتيقة بتونس سنة 1970.

(2) الإلماع بتحقيق السيد أحمد صقر، طبعة دار التراث بالقاهرة، ص 4-5.

الحديث وشرف أهله، ووجوب السماع والإداء له ونقله، والأمر بالضبط، والوعي والاتقان، وختمته بباب في أحاديث غريبة، ونكت مفيدة عجيبة من آداب المحدثين وسيرهم وشوارد من أقاصيصهم وخيرهم»[1].

وقد اعتمد القاضي عياض في بحوثه على كتاب ابن خلاد الرامهرمزي، ولم يأخذ من الحاكم إلا القليل ؛ وأقل منه ما روى عن الخطيب البغدادي، فلم يعز له إلا يسيرا جدا في شأن الإجازة، أو مقطعات شعرية، وقد ركز أساسا على رواياته عن شيوخه من علماء الأندلس أمثال أبي على الصدفي وأبي علي الجياني وأبي طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني والحافظ وأبي بكر القروي المالكي.

وكتاب "الإلماع" مفيد في مضمونه، ممتع في أسلوبه، تتخلله نكت ونوادر وفوائد طريفة، وسنقدم في هذا العرض مقتطفات من فصوله منها آداب الطالب واختصاره وترتيبه لأنواع الإجازة الذي سبق تناولها مفصلا في الكلام عن كتاب "الكفاية" للخطيب.

باب آداب طالب السماع وما يجب أن يتخلق به

1. التواضع : أورد حديثا لابن عمر مرفوعا وهو قوله صلى الله عليه وسلم : «تواضعوا لمن تتعلمون منه العلم وتواضعوا لمن تعلمونه»[2].

2. إخلاص النية في الطلب : لقوله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرء ما نوى»[3]. وذكر عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تعلم علما مما ينبغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة[4].

3. أن لا يأخذ العلم إلا عن ثقة : وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه»[5]، [6].

---

(1) الإلماع بتحقيق السيد أحمد صقر، طبعة دار التراث بالقاهرة، ص 5.

(2) الإلماع بتحقيق السيد أحمد صقر، طبعة دار التراث بالقاهرة، ص 47. والحديث كما ذكر المحقق أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، 135/1.

(3) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي.

(4) الإلماع بتحقيق السيد أحمد صقر، طبعة دار التراث بالقاهرة، ص 54.

(5) رواه مسلم في كتاب المقدمة.

(6) الإلماع بتحقيق السيد أحمد صقر، طبعة دار التراث بالقاهرة، ص 59.

أنواع السماع :

ثم تحدث عن أنواع الأخذ، وعن سماع الصغير، وذكر أن أنواع الأخذ ثمانية وهي :

- السماع من لفظ الشيخ : وأورد قول الإمام مالك مخاطبا الطالب : قراءتك عليّ أصح من قرائتي عليك. وهي أرفع درجات السماع[1].

- القراءة على الشيخ : وساوى جماعة من الحجازيين بين السماع من الشيخ والقراءة عليه، وهو مذهب البخاري، واحتج بحديث ضمام بن ثلعبة السعدي، الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم : آالله أمرك بهذا ؟ فيقول : نعم، فقال : إنها مثل القراءة على الشيخ، وبعضهم يسميها عرضا، ويراها دون السماع من لفظ الشيخ[2].

- المناولة : وهي أنواع :

* **النوع الأول** : أرفعها أن يدفع الشيخ كتابه الذي رواه، أو نسخة منه وقد صححها، أو أحاديث من حديثه وقد انتخبها وكتبها بخطه أو كتبت عنه فعرّفها، فيقول للطالب : هذه روايتي، فأروها عني ويدفعها إليه، أو يقول خذها فانسخها وقابل بها ثم اصرفها إلي، وقد أجزت لك أن تحدث بها عني، أو أروها عني، ويأتيه الطالب بنسخة صحيحة من رواية الشيخ أو بجزء من حديثه، فيقف عليه الشيخ، وبعرفه ويحقق جميعه وصحته ويجيز له.

فهذا كله عند مالك وجماعة من العلماء بمنزلة السماع. ومما ذكره على وجه الاحتجاج به ما روى عن ابن عباس أن رسول اللهﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، ويدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، وكذلك كتابهﷺ لعبد الله بن جحش لما وجهه في سرية إلى نخلة.

* **النوع الثاني** : وهو أن يعرض الشيخ كتابه ويناوله الطالب، ويأذن له في الحديث به عنه، ثم يمسكه الشيخ عنده ولا يمكنه منه، وهذه تصح بها الرواية لكن بعد وقوع ذلك للطالب بعينه أو انتساخه نسخة منه، ويقول عياض : «إن هذا ليس بشيء زائد على معنى الإجازة للشيء المعين من التصانيف المشهورة والأحاديث المعروفة المعينة»[3].

---

(1) المصدر نفسه، ص 70.

(2) المصدر نفسه.

(3) الإلماع بتحقيق السيد أحمد صقر، طبعة دار التراث بالقاهرة، ص 79 إلى ص 83.

- الكتابة : وهو أن يسأل الطالب الشيخ أن يكتب له شيئا من حديثه، ويبدأ الشيخ بكتابة ذلك مقيدا للطالب بحضرته أو من بلد آخر، وليس في الكتاب ولا في المشافهة والنوال إذن ولا طلب للحديث منه، وقد أجاز المشايخ الحديث بذلك عنه متى صح عنده أنه خطه وكتابه[1].

- الإجازة وأقسامها الستة :

1. أعلاها الإجازة لكتب معينة، أو أحاديث مخصصة مفسرة، إما في اللفظ والكتب، أو محال على فهرسة حاضرة أو مشهورة... وسماها أبو العباس المالكي بالوجازة، وادعى أبو الوليد الباجي الإجماع على جواز الرواية بها، ولم يفصل وذكر الخلاف في العمل بها[2].
2. أن يجيز لمعين على العموم والإبهام، دون تخصيص ولا تعيين لكتب أو أحاديث، كقولك : قد أجزت لك جميع روايتي أو ما صح عندك من روايتي، وهذا الوجه هو الذي وقع فيه الخلاف تحقيقا والصحيح جوازه. والعمل به بعد تصحيح شيئين : تعيين روايات الشيخ ومسموعاته وتحقيقها، وصحة مطابقة كتب الراوي لها. وذكر عياض الأئمة القائلين بهذا، وقال إنه لم يخالف فيه إلا أهل الظاهر[3].
3. الإجازة للعموم من غير تعيين للمجاز له : وهي على ضربين، معلق يوصف مخصوصه بوقت، أو مطلقه. وذهب أبو بكر بن الخطيب إلى جواز ذلك كله، ونقل عياض جوازها عن ابن عتاب وأبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي، وذكر الخلاف فيها[4].
4. الإجازة للمجهول : قد تكون لمعين مجهول في حق المجيز لا يعرفه، ولا تضره بعد إجازته له جهالته بعينه إذا سمي له أو سماه في كتابه أو نسبه على ما نص عليه، كما لا يضره عدم معرفته إذا حضر شخصه للسماع منه. وقد يكون مجهولا مبهما على الجملة كقوله : أجزت لبعض الناس أو لنفر، فلا تصح الرواية بها.

(1) المصدر نفسه، ص 83-84.

(2) المصدر نفسه، ص 88.

(3) المصدر نفسه، ص 91.

(4) المصدر نفسه، ص 97.

وقد تتعلق بشرط وتتميز بصفة أو تعيين كقوله أجزت لأهل بلد كذا إن أرادوا، ولمن شاء أن يحدث عني، وقد اختلف فيه[1].

5. الإجازة للمعدوم : كقوله أجزت لفلان وولده وكل ولد يولد له، فهذا مما اختلف فيه، وقد أجازه معظم المتأخرين[2].

6. إجازة لما لم يروه المجيز بعد : يقول عياض : «لم أر من تكلم عليه من المشايخ، ورخصه أو منعه، وذكر أن يونس بن مغيث طلب بها، وكان مما وقع الجواب للسائل أنه لا يعطي ما لم يوخذ»[3].

ويقول القاضي عياض أنه تقصى وجوه الإجازة بما لم يسبق إليه فذكر منها :

- الإعلام : وهو إعلام الشيخ الطالب أن هذا الحديث من روايته، وأن هذا الكتاب سماعه فقط دون أن يأذن له في الرواية عنه، أو يأمره بذلك، أو يقول له الطالب : هو روايته أحمله عنك ؟ فيقول له : نعم، أو يقره على ذلك ولا يمنعه[4].

ويقول عياض : «وهذا أيضا وجه وطريق صحيح للنقل والعمل عند الكثير لأن اعترافه به وتصحيحه له أنه سماعه كتحديثه له بلفظه وقراءته عليه إياه وإن لم يجز له»[5].

ويقول عياض : «إن هذا مذهب ابن خلاد، والوليد بن أبي بكر المالكي، وابن حبيب من كبراء أصحابه، وقد نعى عليه من لم يبلغ معرفته في رواية عن أسد السنة بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. وكان قد أعطاه كتبه ونسخها فحدث بها، ولم يجزه إياها فقيل لأسد أنت لا تجيز الإجازة فكيف حدّث ابن حبيب عنك ولم يسمع منك ؟ قال : إنما طلب مني كتبي يستنسخها فلا أدري ما صنع»[6].

(1) المصدر نفسه، ص 101.

(2) المصدر نفسه، ص 104.

(3) المصدر نفسه، ص 106-107.

(4) المصدر نفسه، ص 107.

(5) المصدر نفسه، ص 108.

(6) المصدر نفسه، ص 108.

ورد القاضي عياض : «على من لا يرى صحة هذا النوع من الأخذ الذي يقارن الإجازة بالشهادة، وبيّن عياض الفرق بينهما من عدة وجوه، وأكد صحته وجواز العمل به، وقال إنه مذهب الزهري إمام هذا الشأن»[1].

- الوصية بالكتب : وهو أن يوصي الشيخ بدفعة من كتبه عنه موته أو سفر لرجل، وهذا قريب مما قبله، وذكر أن ابن سيرين أذن أولا بالتحديث في هذا النوع، وتوقف بعد ذلك، وذكر عياض وصية أبي قلابة لأيوب بكتبه[2].

- الخط : وهو الوقوف على كتاب بخط محدث مشهور، يعرف خطه ويصححه، وإن لم يلقه ولا سمع منه، أو لقيه ولكن لم يسمع منه كتابه هذا. ويقول القاضي : وهذا لا أعلم مَن يُقتدى به أجاز النقل فيه بـ "حدثنا" و"أخبرنا" ولا من يعده معد المسند. وأورد عن البخاري جواز حديثه عن كتاب أبيه بخطه، وقال : لعله فيما اعترف له أبوه بأنه من روايته، ولم يسمعه منه، ثم وثق بعد بكتابه فيكون من ضرب الإعلام بالرواية دون الإذن الذي تقدم، أو يكون هذا مذهب البخاري.

العمل بالوجادة :

وذكر اختلاف أئمة الحديث والفقه والأصول بالعمل بما وجد من الحديث بالخط المحقق لإمام، أو أصل من أصول ثقة مع اتفاقهم على منع النقل والرواية به. وقال القاضي عياض إن أبا الوليد الباجي روى للشافعي أنه يجوز أن يحدث بالخبر بلفظه وإن لم يعلم أنه سمعه قال : وحجته أن حفظه لما في كتابه كحفظه لما سمعه، فجاز أن يرويه[3].

ويقول القاضي عياض : «ولا نور ولا بهجة لهذه الحجة ولا ذكرها عن الشافعي أحد من أصحابه ولعله ما قدمنا عنه من العمل به لا الرواية والله أعلم، إلا أن يكون إنما أراد أنه وجده بخطه ولم يحقق إلا ما وجده بخطه، وهي مسألة أختلف فيها الأصوليون»[4].

(1) المصدر نفسه، ص 114.

(2) المصدر نفسه، ص 115.

(3) المصدر نفسه، ص 116.

(4) المصدر نفسه، ص 120.

مصطلحات النقل :

وخصص القاضي عياض بابا لعبارات النقل لوجوه السماع، والمختار عند المحققين والمحدثين، وقال إنه لا خلاف بجواز إطلاق "حدثنا" و"أخبرنا" و"أنبأنا" و"نبأنا" و"خبرنا" فيما سمع من قول المحدث ولفظه وقراءته وإملاءه[1].

وأورد اختيار اسحق بن راهويه "أخبرنا" في السماع والقراءة، ومذهب أن "أخبرنا" و"حدثنا" واحد، وبعدَ ما استعرض أقوال المحدثين واختياراتهم وتفريقهم بين هذه العبارات، قال القاضي عياض : «وكل ما تقدم من الاصطلاحات والاختيارات لا تقوم لترجيحها حجة إلا من وجه الاستحسان للفرق لطرق الأخذ والمواضعة، لتمييز أهل العنعنة وأنواع النقل»[2].

التقييد والتخريج :

ثم أفرد بعد هذا عدة أبواب لتحقيق التقييد والضبط والسماع، وذكر أمثلة ممن تساهل فيه ومن تشدد، وتعلم عن التقييد بالكتابة، واختلاف المحدثين حولها، وتحدث عن الضبط بالشكل، وأورد عبارة بعضهم أنه يُشْكَل ما يَشْكُلُ، واستشهد بالخلاف بين الحنفية في إعراب حديث : «ذكاة الجنين ذكاة أمه»، فالحنفية تنصب "ذكاة" الثانية، وتقول إنه يذكى كما تذكى أمه، والمالكية والشافعية يرفعون، وعلى أن ذكاة الأم تكفي من ذكاة الجنين.

وتحدث عن صيغ التخريج والالحاق للنقص، وعن التصحيح والتعريض والتضبيب وكيفية الحك والضرب والشق والمحو، ثم استعرض آراء العلماء المشهورة في حكم الرواية باللفظ والمعنى، والخلاف في إصلاح الخطإ وتقويم اللحن، وتناول مسألة ضبط اختلاف الروايات والعمل في ذلك، وأهمية الإسناد في القراءة والتخريج والعمل فيه.

طرائق المحدثين :

وختم الكتاب بباب قال إنه جامع لآثار مفيدة وآداب حميدة[3].

واستعرض في هذا الباب متنوعات من طرائف المحدثين وآدابهم، فمنها ما نقل عن علي بن حجر، يخاطب بعض طالبي الحديث :

---

(1) المصدر نفسه، ص 122.

(2) المصدر نفسه، ص 132.

(3) المصدر نفسه، ص 213.

لكم مائة في كل يوم أُعِدُّها حديثا حديثا لست زائدكم حرفا

وما طال منها من حديث فإنني به طالب منكم على قدره صرفا

فإن أقنَعَتْكم فاسمعوها صريحة وإلا فجيئوا من يحدثكم ألفا[1]

وله أيضاً :

وظيفتنا مائة للغريـ ـب في كل يوم سوى ما يفاد

شريكيّه أو هُشميّة أحاديث فقه صحاح جياد

ومن آدابهم قوله إن ابن المبارك حضر عند حماد بن زيد مسلما عليه، فقال أصحاب الحديث لحماد، يا أبا إسماعيل تسأل أبا عبد الرحمن يحدثنا، فقال لي : حدثهم، فقلت : سبحان الله أحدث وأنت حاضر ؟ قال : أقسمت عليك لتفعلن، فقال ابن المبارك : خذوا "حدثنا أبو إسماعيل حماد بن زيد..."، فما حدث في ذلك المجلس بحرف إلا عن حماد أدبا.

وروى عن أبي علي الجياني قوله : أنشدني بعض شيوخي :

صُن العلم وارفع قدره وارع حقه ولا تلقه إلا إلى كل منصف

وحُطه يحطك الله من كل آفة فأنت به من حيث يممت تكتفي[2]

ولم ينس القاضي الأديب أن يستعرض في باب إتقان التقييد أبياتاً له، هي من أبدع نظمه يقول فيها :

خير ما يقتنى اللبيب كتاب محكم النقل متقن التقييد

خطّه عارف نبيل وعانا ه فصح التبييض في التسويد

لم يخنه إتقان نقط وشكل لا ولا عابه لحاق المزيد

فكأن التخريج في طرتيه طرر صففت ببيض الخدود

فيناجيك شخصه من قريب ويناديك نصه من بعيد

فاصحبنه تجده خيرَ جليس وأختبره تجده أنس المريد

---

(1) المصدر نفسه، ص 226.

(2) المصدر نفسه.

كتاب مشارق الأنوار

أما "مشارق الأنوار" فإنه من أجلِّ كتبه قدراً، وأنبهها ذكراً، وأكثرها دلالة على عظم مكانته في فنون الرواية، وموضوعه : "تحقيق نصوص" الموطأ والصحيحين.

ويقول في سبب تأليفه أنه رأى المتأخرين قد تساهلوا في الأخذ والأداء حتى أوسعوه اختلالا، ولم يألوه خبالا، فنجد الشيخ المسموع بشأنه وثنائه، يتكلف الناس مشاق الرحلة إليه ويتناوبون الأخذ عنه، وحضوره كعدمه، لأنه لا يحفظ حديثه، ولا يتقن أداءه وتحمله، ولا يمسك أصله، بل يمسك أصل سواه، وربما كان معه من يتحدث معه، أو غدا مستثقلا نوما، أو مفكرا في شؤونه حتى لا يعقل ما سمعه، ولعل الكتاب المقروء لم يقرأه قط ولا علم ما فيه إلا في نوبته تلك، أو يكون بعض متساهلي الشيوخ قد ناوله كتبا لا يعلم سوى ألقابها، أو أتته إجازة فيه من بلد سحيق، أو يشتري كتبا ويكتفي بأن يجد عليها أثر دعوى المقابلة والتصحيح.

والآخذون عن ذلك الشيخ يتساهلون كذلك، فلا يضبطون ما يكتبون، وقد يتشاغلون أثناء السماع بمحادثة الجلساء، وربما حضر مجلس الشيخ صبي لم يفهم بعد عامة كلام أمه، فيعتدون بصحة سماعه إذا كان قد أوفى أربعة أعوام، ويحتجون بحديث محمود بن الربيع : الذي يقول فيه : «عقلت عن النبيﷺ مجة مجها في وجهي وأنا ابن أربع سنين. وليس في عقل محمود هذه المجة، حجة على عقله لكل شيء كان من أمره أو من حوله، إلى غير ذلك من ألوان تساهل الآخذ والمؤخوذ عنه»[1].

ثم قال : «إن أكثر سماعات الناس في عصره وفي أزمان كثيرة من قبله كان بهذه السبيل، وإنه كذلك كثر في الكتب التغيير والفساد، وشمل ذلك كثيرا من المتون والإسناد، وشاع التحريف وذاع التصحيف».

ثم ذكر «أن قلة قليلة قد هبت من قبْله لإقامة هذا الأوَد، وإصلاح هذا الخلل بمقدار ما أوتوا من العلم، وهم بين غال ومقصر، ومشكور عليم، ومتكلف هجوم». وبعد أن تحدث عنهم وذكر من أمثلة ما كان منهم، قال : إن الحاجة مست إلى كتاب «يجمع شوارد تلك الأوهام، ويسدد مقاصدها، ويبين مشاكلها، وينص على اختلاف الروايات فيها ويظهر أحقها بالحق وأولاها، وأنه لم يجد كتابا مفردا في هذا الشأن، إلا كتاب : "تصحيف المحدثين" للدارقطني، وأكثره مما ليس في الكتب الثلاثة، وإلا كتاب "الخطابي الموجز"، وإلا كتاب شيخه أبي علي الغساني المسمى بـ "تقييد

---

(1) مقدمة المشارق.

المهمل″، فإنه تقصى فيه أكثر ما اشتمل عليه الصحيحان، وقيده أحسن تقييد، وجوّده نهاية التجويد، ولكنه اقتصر على ما يتعلق بالأسماء والكنى والأنساب والألقاب، دون ما في المتون من تغيير وتصحيف وإشكال، وإن كان قد شذّ عليه من الكتابين أسماء».

ثم ذكر أنه رتّب الكلمات التي عرض لها على ترتيب حروف المعجم المعروف بالمغرب، ولم يكتف بترتيبها على ذلك بحسب حرفها الأول فقط، بل رتّبها كذلك بحسب الحرف الثاني والثالث أيضا، وبدأ في أول كل حرف بالألفاظ الواقعة في متونه فأتقن ضبطها بحيث لا يلحقها تصحيف ولا يعتورها إبهام، فإن كان في اللفظ اختلاف، نبّه عليه، وبيّن الصواب من الخطأ، وميّز الراجح من المرجوح، بنص من سبقه من جهابذة العلماء، أو باجتهاده وتحقيقه هو على غرار مناهج المتقدمين.

ثم ذكر أنه ترجم فصلا في كل حرف على ما وقع في الكتب الثلاثة من الأسماء التي يكثر تصحيف الرواة فيها، ونبّه معها على أشباهها، ثم يعطف على ما وقع في الإسناد من النص على مشكل الأسماء والألقاب والأنساب والكنى المبهمة. ثم ذكر في آخر كل فصل ما جاء فيه من تصحيف ونبّه على صوابه، وشرح ما دعت الضرورة إلى شرحه من غريب ألفاظ المتون دون نقص أو اتساع، لأنه لم يضع كتابه لشرح اللغة ولا لتفسير المعاني، بل وضعه لتقويم الألفاظ واتقانها.

ثم ذكر أنه قد شذت عن الأبواب نكت غريبة مهمة لم تضبطها تراجمها، لكونها جمل كلمات يضطر القارئ إلى معرفة ترتيبها وصحة تهذيبها، إما لما دخلها من التغيير والإبهام أو التقديم والتأخير، أو أنه لا يفهم المراد بها إلا بعد تقديم إعراب كلماتها، أو سقوط بعض ألفاظها أو تركه على جهة الاختصار ولا يفهم المراد إلا به؛ فأفرد لها آخر الكتاب ثلاثة أبواب :

أولها : في الجمل التي وقع فيها التصحيف وطمس معناها التلفيف.

وثانيها : في تقديم ضبط جمل في المتون والأسانيد، وتصحيح إعرابها، وتحقيق هجاء كتابها، وشكل كلماتها، وتبيين التقديم والتأخير اللاحق لها؛ ليستبين وجه صوابها، وينفتح للأفهام مغلق أبوابها.

وثالثها : في إلحاق ألفاظ سقطت من الأحاديث أو من بعض الروايات، أو بترت اختصارا، أو اقتصارا على التعريف بطريق الحديث لأهل العلم به، لا يفهم مراد الحديث إلا بإلحاقها، ولا يستقل الكلام إلا باستدراكها.

ثم قال : «فإذا كملت هذه الأعراض، وصحت تلك الأمراض، رجوت ألا يبقى على طالب معرفة "الأصول المذكورة" إشكال، وأنه يستغني بما يجده في كتابه هذا عن الرحلة لمتقني الرجال، بل يكتفي بالسماع على الشيوخ إن كان من أهل السماع والرواية، أو يقتصر على درس أصل مشهور الصحة، أو يصحح به كتابه، ويعتمد فيما أشكل عليه على ما هنا، إن كان من طالبي التفقه والدراية، فهو كتاب يحتاج إليه الشيخ الراوي، كما يحتاج إليه الحافظ الواعي، ويتدرج به المبتدئ، كما يتذكر به المنتهي، ويضطر إليه طالب التفقه والاجتهاد، كما لا يستغني عنه راغب السماع والإسناد، ويحتج به الأديب في مذاكراته، كما يعتمد عليه المناظر في محاضرته».

«وسيعلم من وقف عليه من أهل المعرفة والدراية قدره، يوفيه أهل الإنصاف والديانة حقه، فإني نخلت فيه معلومي، وبثثته مكنوني، ورصعته بجواهر محفوظي ومفهومي، وأودعته مصونات الصناديق والصدور، وسمحت فيه بمضنونات المشايخ والصدور. وقد ألفته بحكم الإضطرار والاختيار، وأطلعته شمسا يشرق شعاعها في سائر الأقطار، وحررته تحريرا تحار فيه العقول والأفكار، وقربته تقريبا تتقلب فيه القلوب والأبصار، وسميته بـ "مشارق الأنوار على صحيح الآثار»[1].

نماذج من الأوهام الواردة في نقل حروف القرآن

فصل ما جاء من الوهم في حروف القرآن : واستمرت الرواية عند بعض الرواة على خلاف التلاوة بها، وبعضها استقرت كذلك في الأصول إما لوهم من المؤلف أو ممن تقدم من الرواة، فلم يرد من جاء بعدهم تغيير ذلك وإصلاحه، وإبقاء الرواية على ما جاءت عليه، على مذهب من كف عن الإصلاح، في كل شيء وهو رأي... وإن كان غيرهم قد ذهب إلى إصلاح اللحن والخطإ البين، وقال مالك[2] : «.... أو أن إفراد بعضها لم يقصد به ذاكره، والمحتج به التلاوة، وإنما أورد ما أورده على معنى التلاوة، وقد كان بعضهم يستعظم ذلك ويقول هذه كتب قرئت كثيراً على مؤلفيها وتكررت عليهم، فكيف يمكن استمرار الخطأ والوهم عليهم في ذلك، ولم يتنبهوا له ولا تنبه له أحد من السامعين لذلك عليهم، وقد كان كثير منهم يحفظ كتابه، وكذلك كثير ممن سمعه منهم، فكيف لا يحفظ ما احتج به من القرآن، ولعل تلك الألفاظ المخالفة للتلاوة قراءات شاذة كانت قراءتهم، وإلى هذا كان يذهب بعض مشايخ شيوخنا، وهو تعسف بعيد، فإن القراءة الشاذة قد

(1) من مقدمة المشارق.

(2) البياض في النسخة المطبوعة.

جمعها أصحاب علوم القرآن، وحصلوها وضبطوا طرقها ومواضعها، ولم يذكروا فيها شيئا من هذه الحروف، وأيضا فإن القراءة الشاذة غاية أمرها أن تعلم ولا تجوز التلاوة بها، ولا الصلاة ولا الحجة بها :

أ) أوهام في موطإ الإمام مالك :

1. فمما جاء من ذلك هو ما ورد في الموطأ في باب : ما يكره أكله من الدواب قوله تعالى : ﴿ **ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام** ﴾ [الحج : 34]، ﴿ **فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر** ﴾ [الحج : 36]، كذا وقع في الموطأ عند يحيى، وابن بكير، وابن عفير، وكافتهم، وإنما تلاوته وصوابه : ﴿ **البائس الفقير** ﴾، وأراه سقط على الرواية تمام الآية، وابتداء الآية الأخرى التي فيها ذكر القانع والمعتر. وقال بعد قوله ﴿ **البائس الفقير** ﴾ [الحج : 28]، و﴿ **القانع والمعتر** ﴾، على طريق التنبيه على ما في الآية الأخرى، لا على طريق التلاوة، وبدليل أن مالكا رحمه الله فسر بأثر ذلك في رواية يحيى وابن عفير : البائس: الفقير، والمعتر : بالزائر، ولولا أنه ذكر البائس قبل لما فسره، وفي رواية ابن بكير اقتصر على تفسير ﴿ **القانع والمعتر** ﴾.

2. وفي كتاب الظهار، قوله : ﴿ **والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا** ﴾ [المجادلة : 3]، كذلك في الأمهات بزيادة "منكم"، وكذا عند عبيد الله بن يحيى عن أبيه، وكذا عند ابن بكير، وأسقطه غيره وقرأه على الصواب.

3. وفي الانتعال ﴿ **فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس** ﴾ [طه : 12] كذا عند يحيى وابن بكير، والتلاوة ﴿ **فاخلع نعليك** ﴾[1].

4. وفي باب ما لا يجوز من القراض ﴿ **فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم** ﴾ كذا في كثير من أصول شيوخنا، وغيرهم عن يحيى وكذا لابن بكير. والتلاوة ﴿ **وإن تبتم** ﴾ بالواو، وكذا في كتاب ابن عتاب، وغيره على الصواب.

وهذا كله مما لا يشك أن الوهم فيه من الرواة، إذ لم يكن مالك ممن يجوز عليه هذا، لاسيما مع كثرة قراءة الكتاب عليه، وترداد عرضه من أهل الآفاق، وسماعهم منه. وقد كان يقول لهم ألم أرد عليكم سقطة، وقد كان يحضر قراءته الجمع العظيم، من علماء القرآن وحفاظه وغيرهم، فلا يمكن استمرار الخطأ عليهم، ولا مداهنته في السكوت على تغيير حرف من كتاب الله، وقد حكي أن ابنته فاطمة كانت تحفظه، فكان إذا وهم

(1) لعل الخطأ في رواية يحيى كانت ﴿ **فاخلع نعلك** ﴾.

القارئ ضربت من خلف الحجاب حلقة الباب تنبهه، فإذا كان هذا فعل ابنته فما ظنك بغيرها[1] ؟.

ب) أوهام في صحيح البخاري :

1. في باب الغسل ﴿ **يا أيها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكرى** ﴾ [النساء : 43] إلى قوله ﴿ **غفورا رحيما** ﴾ كذا عند الأصيلي والنسفي وغيرهما، والتلاوة ﴿ **عفوا غفورا** ﴾ وكذا لأبي ذر.

2. وفي باب التيمم ﴿ **فإن لم تجدوا ماء** ﴾ كذا عند أبي ذر للبلخي والحموي، وكذا للنسفي وعبدوس، ولغيرهم ﴿ **فلم تجدوا** ﴾ على الصواب.

3. وفي باب فضل العمل في أيام التشريق. وقال ابن عباس ﴿ **ويذكروا اسم الله في أيام معلومات** ﴾ أيام العشر، والتلاوة ﴿ **ويذكروا اسم الله في أيام معلومات** ﴾ [الحج : 28].

4. في باب ركوب البدن، كذا عند الأصيلي والتلاوة كذلك ﴿ **سخرها لكم لتكبروا الله** ﴾ [الحج : 37]، وعند غيره ﴿ **كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون** ﴾ [الحج : 37]، وهو صواب أيضاً.

5. وفي باب من اشترى هدية بالطريق ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة** ﴾ [الأحزاب : 21]، وعند القابسي : لقد لكم وهو وهم : والحق كان ولعله في روايته لم يرد التلاوة للآية، وإنما ذكره من كلامه محتجا به.

6. وفي كتاب الحيض : ﴿ **ويا أهل الكتاب تعالوا** ﴾ [آل عمران : 64]، الآية ثبتت الواو، وفي نسخة عبدوس والنسفي والقابسي، وسقطت للأصيلي وأبي ذر، وهو الصواب.

7. وفي باب دور مكة وبيعها يتأولون قول الله عز وجل : ﴿ **إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم** ﴾ [الأنفال : 72]، وسقط منها في كتاب القابسي ﴿ **والذين ءاووا ونصروا** ﴾ [الأنفال : 72].

8. وفي باب ﴿ **ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام** ﴾ [البقرة : 196]، كذا قال الله تعالى : ﴿ **فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام** ﴾ [البقرة : 196]، كذا للقابسي وأبي ذر، وعند أبي الهيثم : ﴿ **فإن لم تجد** ﴾، وعند الأصيلي : ﴿ **فمن لم يجد** ﴾ على التلاوة، ولعله في الرواية الأخرى قصد بقوله : فإن لم تجدوا التفسير والفتيا لا التلاوة.

---

(1) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج 2، ص 659-660، دار النشر، المكتبة العتيقة ودار التراث 1398هـ.

9. وفي الحرابة ﴿ **ليس البر** ﴾ [البقرة : 177]، ﴿ **أولئك هم المفلحون** ﴾ [البقرة : 5]، كذا عند أبي أحمد ﴿ **وإنما هم المتقون** ﴾، كما عند غيره.

10. وفي الصدقة من كسب طيب ﴿ **لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا يحزنون** ﴾ [البقرة : 62]، كذا الأصيلي والتلاوة، ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾، وكذا لبقية الرواة.

11. وفي البيوع في باب قوله تعالى : ﴿ **أنفقوا من طيبات ما كسبتم** ﴾ [البقرة : 267] عند كافتهم، ﴿ **كلوا من طيبات** ﴾ [البقرة : 57]، وعند المستملي : ﴿ **أنفقوا** ﴾ على الصواب، وعلى الوهم جاء لجميعهم أول الأطعمة.

12. وفي باب ما ينهى عنه من إضاعة المال، وقول الله ﴿ **والله لا يحب الفساد** ﴾ [البقرة : 205]، ﴿ **ولا يحب المفسدين** ﴾ [يونس : 81].

13. وفي باب شركة اليتيم سألت عائشة عن قول الله تعالى : ﴿ **فإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى** ﴾ [النساء : 3]، كذا للقابسي، والصواب ما لغيره ﴿ **وإن** ﴾ بالواو.

14. وفي كتاب الأنبياء ﴿ **قل يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم** ﴾ [المائدة : 77]، كذا عند الأصيلي، وليس في التلاوة **قل** : ولغيره على الصواب.

15. وفي المعجزات قوله تعالى : ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ [البقرة : 146]، كذا للجرجاني، ولجميعهم على الصواب "يعرفونه".

16. وفي آخر النجم قوله ﴿ **فاسجدوا لله واعبدوا** ﴾ [النجم : 62] عند الأصيلي هنا (واسجدوا) بالواو والتلاوة بالفاء.

17. وفي تفسير قوله ﴿ **أيام معلومات** ﴾ [الحج : 28]، ﴿ **فمن كان منكم مريضا** ﴾ [البقرة : 184]، كذا للأصيلي، والصواب ما لغيره (معلومات).

18. وفي باب قوله ﴿ **وكلوا وأشربوا** ﴾ [البقرة : 187] الآية عند الأصيلي (فكلوا) وهو وهم.

19. وقوله : وقال ابن عباس : لمستم ولمسوهن، كذا لأبي الهيثم، ولغيره : لمستم وتمسوهن، قال القابسي : لا أعرف لمسوهن، وإنما القراءة لمستم ولامستم.

20. وفي براءة حتى أنزل الله الوحي : ﴿ **سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم** ﴾ [التوبة : 95]، كذا للأصيلي والتلاوة ﴿ **سيحلفون بالله لكم** ﴾.

21. وفي تفسير سورة يونس ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى** ﴾ [يونس : 26] وقع في أصل الأصيلي (أحسن) هكذا عنده وهو وهم.

22. وفي تفسير الكهف ﴿ **فلما بلغا مجمع بينهما** ﴾ [الكهف : 6] وفي أصل الأصيلي (بلغ) كذا عندهم وهو وهم.

23. وقوله : ﴿ **واصطفيتك لنفسي** ﴾ عند الجرجاني، والكافة ﴿ **واصطنعتك لنفسي** ﴾ [طه : 41] على الصواب.

24. وفي تفسير حمّ السجدة "والسماء" إلى قوله "دحاها"، التلاوة وهنا في هذه الآية في النازعات ﴿ **والسماء بناها** ﴾ [النازعات : 27].

25. وفي ﴿ **والشمس وضحاها** ﴾ [الشمس : 1]، ﴿ **والسماء وما بناها والأرض وما طحاها** ﴾ [الشمس : الآيتان : 5-6] ومراده هنا آية النازعات لقوله : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ [النازعات : 30].

26. وفي قوله ﴿ **برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾ [الصف : 6]، سقط عند أبي أحمد (يأتي).

27. وفي كتاب النبيﷺ ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله** ﴾ [النساء : 95]، كذا في جميع النسخ، فقيل : هو على التفسير لا على التلاوة، ومعنى ذلك أنها نزلت زيادة (أولي الضرر) في الآية المذكورة فيها (المجاهدون والقاعدون).

28. وفي فضل ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ [الإخلاص : 1] قال الله الواحد الصمد : ثلث القرآن، كذا عندهم، ولعله على التفسير والمعنى لا على التلاوة.

29. وقوله : ﴿ **وءاتوا النساء صدقاتهن نحلة** ﴾ [النساء : 4]. وقوله : ﴿ **ولم تفرضوا لهن فريضة** ﴾.

30. وفي التوحيد ﴿ **إنما أمرنا لشيء إذا أردناه** ﴾ [النحل : 40]، كذا لأبي ذر والأصيلي والقابسي والنسفي وجميع النسخ، وصوابها "قولنا" وهي التلاوة، والذي دل عليه منزع البخاري "أمرنا" لأن عليه أدخل أحاديث الباب، وكأنه أراد أن يترجم بقوله تعالى ﴿ **وما أمرنا إلا واحدة** ﴾ [القمر : 50]، فوهم، ووهم عليه.

31. وفي التوحيد : باب قول الله تعالى ﴿ **إني أنا الرزاق ذو القوة المتين** ﴾، كذا في جميع النسخ والتلاوة ﴿ **إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ [الذاريات : 58]. وكذا لبعض شيوخ أبي ذر وابن السكن، لكن لعل البخاري أشار بالترجمة، إلى حديث وقع فيه هذا اللفظ، ذكره أبو داود في كتاب الحروف[1].

---

(1) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج2، ص 661 وما بعدها، دار النشر، المكتبة العتيقة ودار التراث، 1398هـ.

ج) أوهام في كتاب مسلم :

1. في تخفيف القراءة في حديث قتيبة أقرأ بـ : ﴿ **والشمس وضحاها** ﴾ [الشمس : 1] و﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ [الأعلى : 1] و﴿ **فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ [الحاقة : 52] كذا عند السمرقندي، وهو خطأ، وسقط الأعلى آخرا لغيره، وسقوطه الصواب.

2. وفي باب ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ [الشعراء : 214] في حديث أبي كريب، لما نزلت ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ﴿ **ورهطك منهم المخلصين** ﴾، كذا في أكثر النسخ، وعند ابن الحذاء أي: رهطك منهم المخلصين على التفسير وهو الصواب، وكذا ذكره البخاري أيضا في التفسير، ورهطك، وفي الجهاد.

3. في حديث محمد بن مثنى فنزلت ﴿ **يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول** ﴾ [الأنفال : 1] كذا للسمرقندي وهو خطأ، والصواب ما للباقين والرسول، وهو التلاوة.

4. وفي آخر الكتاب ﴿ **ومن يكرههن فإن لله من بعد إكراههن غفور رحيم** ﴾ [النور : 33] كذا للسمرقندي وبعضهم، وعند العذري وغيره : بسقوط لهن على التلاوة المعروفة، ولعله رد في هذه الرواية على معنى التفسير، لا على معنى التلاوة أو قراءة شاذة.

5. وفي فضائل سعد فأنزل الله هذه الآية ﴿ **وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير** ﴾ [لقمان : الآيتان 13-14] كذا في الأصول، وسقط حسنا من بعضها، وثبت في بعضها فيها "وصاحبهما" وفي بعضها "على أن تشرك بي ما ليس لك به علم" وكله تخليط من آيات من القرآن، ليست في تلاوة آية واحدة.

6. وفي باب ﴿ **ولا تجهر بصلاتك** ﴾ [الإسراء : 110]، ﴿ **فإذا قرأناه فاتبع قرءانه** ﴾ [القيامة : 18] كذا لهم، وعند الطبري : ﴿ **فإذا قرأته فاتبع قرءانه** ﴾، وكأنه لم يرد التلاوة، ولكنه خطأ بكل وجه.

7. وفي سؤال اليهود عن الروح فلما نزل الوحي ﴿ **ويسألونك عن الروح** ﴾. إلى قوله ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ [الإسراء : 85]، وعند العذري والسجزي والطبري "وما أوتوا" وهو خلاف التلاوة، وقد نبه مسلم على الخلاف فيه بعد.

8. وفي حديث وكيع "وما أوتوا" وبعد كتاب المنافقين فنزلت ﴿ **لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا** ﴾ [آل عمران : 188] في الحديثين : لئن كان كل واحد فرح بما أوتي،

كذا جاء في أكثر النسخ، وفي بعضها أتوا، وأما قوله "يفرحون بما أتوا" من كتابهم فهذا أيضا، كذا بغير خلاف، وهو الصواب[1].

كتاب "إكمال المعلم" وسبب تأليفه

لقد استكمل القاضي عياض كتاب المعلم في شرح صحيح مسلم، للإمام المازري، ولنتركه يتحدث عن كتاب "إكمال المُعلم"، فيقول : «إن طلبة العلم الذين اجتمعوا لديه، ورغبوا إليه في التفقه في صحيح الإمام مسلم والوقوف على معاني أخباره، والبحث عن أغواره، والكشف عن أسراره، وبيان غامضه ومشكله، وتقييد مبهمه ومهمله، والتنبيه على ما وقع من اختلال لبعض رواته في أسانيده ومتونه، والبسط لما في مقدمته من أصول علم الأثر وفنونه. وأنه رغب في إجابتهم إلى ما التمسوه، وتحقيق ما أملوه، لأنه لم يؤلف في شرح صحيح مسلم إلا ما ذكره أبو علي الجياني في تقييد المهمل من الكلام على مشكل أسانيده مع المشكل من أسانيد صحيح البخاري، إلا كتاب المازري المسمى بـ "المُعلم"، وقد أودعه جملة صالحة من كلام الجياني على أسانيده».

ثم قال عياض : «وكلا الكتابين نهاية في فنّه، بالغ في بابه، مودع من فنون المعارف وفوائدها، وغرائب علوم الأثر وشواهدها، وكل واحد من الكتابين أجازه لنا مؤلفه، أعظم الله بذلك أجورهما، وأشرق بما سعيا فيه بين أيديهما وبأيمانهما نورهما، لكن الإحاطة على البشر ممتنعة، ومسارح الأذهان والألباب للبحث متسعة، وكثيرا ما وقفنا في الكتاب المذكور على أحاديث مشكلة، لم يقع لها هناك تفسير، وفصول محتملة تحتاج معانيها إلى تحقيق وتقدير، ونكت مجملة لابد لها من تفصيل وتحرير، وألفاظ مهملة تضطر إلى الإتقان والتقييد، وكلمات غيَّرها النقلة من حقها أن يخرج صوابها إلى الوجود، وعند الوقوف على ما أودعناه هذا التعليق، وضمناه للكتاب الآخر الذي بين أيدينا المسمى بـ "مشارق الأنوار على صحيح الآثار" تقف على مقدار ما أشرنا إليه، وكثرة ما أغفل الكلام في الكتابين من الفنين عليه. والعذر بيّن : فإن كتاب "المُعلم" لم يكن استجمع له مؤلفه، وإنما هو تعليق على ما يضبطه الطلبة من مجالسه وتتلقفه».

«وكذلك كتاب "تقييد المهمل" حال بين الشيخ فيه وبين استيفاء غرضه، ما دهمه من مدمن مرضه، فكثرت الرغبات في تعليق لما يمضي من تلك الزيادات والتنبيهات يضم نشرها ويجمع، والقواطع عن الإجابة تقطع، وشغل المحنة التي طوقت

---

(1) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج2، ص 663-664، دار النشر، المكتبة العتيقة ودار التراث، 1398هـ.

عنق الإنسان تمنع، والرجاء لوقت فراغ في ذلك يُسوِّف ويطمع، إلى أن منَّ الله بإحسانه، بحل تلك القلادة وزوالها، وفرغ البال من عهدها القادحة وأشغالها، فتوجه الأمر، وانقطع العذر، وانبثت همة العبد الفقير بمعونة مولاه وتوفيقه إلى الإجابة، راغبة لمولاه جل اسمه، في المعونة وتوخي الإصابة».

«ثم ترددت في عمله، ورأيت أن إفراد كتاب لذلك يقتطع عن الكتاب "المعلم" وما ضمه غير موفٍ بالغرض، وأن تأليف كتاب جامع لشرحه، لا معنى له، مع ما تقرر في "المعلم" من فوائد جمة لا تضاهى، ونكت متقنة وقف عندها حسنُ التأليفِ وتناهى، فيأتي الكلام في ذلك ثانية غير مفاد، أو كالحديث المعاد».

«فاستتب الرأي بعد استخارة الله تعالى وسلوك سبيل العدل والإنصاف أن يكون ما نذكر من ذلك كالتذييل لتمام كلامه، فنبدأ بما قاله رضي الله عنه، ونضيف إليه ما استتب وتوالى، فإذا حصلت زيادة فصلناها بالإضافة إلينا إلى أن تنتهي منتهاها، ثم عطفنا على سوق ما يأتي من قوله، ويتطارد الكلام هكذا بينا قويا بقوة الله وحوله. وكان في "المعلم" تقديم وتأخير عن ترتيب كتاب مسلم، فسقناه مساق الأصل، ونظمنا فصوله على الولاء فصلا بعد فصل».

«وأنا أبرأ لقارئه من التعاطي لما لم أحط به علما، ولإغفال عما لا ينفك عنه البشر سهوا ووهما، وأرغب لمن حقق فيه خللا أن يصلحه، أو وجد فيه مغفلا أن يبينه ويوضحه، أو رأى فيه متأولا أن يحسن تأويله، وألفي فيه محتملا أن يوضح دليله».

«وقد اخترت للكتاب سمة على وقفه، تشهد بالإنصاف والاعتراف لذي السبق بسبقه، وسميته بكتاب "إكمال المُعلم" وتحريت فيه جهدي الصواب بفضل المنعم، وأودعته من الغرائب والعجائب ما يعرف قدره كل مفتن بها مهتم، ومن الحقائق والدقائق ما يبين كل مبهم، ويسير مع كل منجد ومتهم. وإلى الله أرغب أن يجعلنا ممن انتفع بما علم، وهدي إلى الصراط المستقيم وألهم».

«وقد تركنا كثيرا مما تعلق بعلم الإسناد مما لم يذكره الشيخ الحافظ أبو علي، أو ذكره ولم يذكره الإمام أبو عبد الله، إذ غالب ما ذكر في هذا الكتاب مما في كتاب الحافظ أبي علي، ولم نتتبعه لاستقصائه في الكتاب الآخر، لكنا ذكرنا من العلل طرفا مما لم يقع في كتاب الحافظ أبي علي، مما هو من شرطه، أو تركه عن قصد مما ذكره الإمام أبو الحسن الدارقطني في كتابه المسمى بـ "التتبع والاستدراكات على البخاري ومسلم"، إذ لم يكن غرض الحافظ أبي علي في الغالب إلا ذكر ما لم يذكره، ولولا ذكر الإمام أبي عبد الله لأطراف مما ذكره الحافظ أبو علي من ذلك لتركنا الكلام على هذا

الفن في هذا التعليق جملة، إذ هو باب واسع، والتصانيف فيه كثيرة موجودة، ولاقتصرنا على الشرح والمعاني دون العلل والأسامي»[1].

العلماء المغاربة الذين عنوا بصحيح مسلم

نذكر من مشاهير المحدثين الذين ساروا على نهج القاضي عياض بالاعتناء بصحيح مسلم : **القاضي أبو عبد الله محمد بن سعادة (565هـ) :** صاحب كتاب "ثمرة الوهم"، **ومحمد بن أحمد بن أبي حمزة المرسي (599هـ) :** صاحب كتاب "نتائج الأفكار ومناهج النظار في معاني الآثار"، وكتابه في شرح مسلم[2]، **والفقيه علي بن أحمد الوادءاشي**، مؤلف كتاب "اقتباس السراج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج[3]، **والحسين بن الناظر الغرناطي (699هـ)**، مؤلف "المشرع السلسل في الحديث المسلسل" وله "المعرب المفهم في شرح صحيح مسلم"[4]. ومنهم **أبو القاسم ابن جزي الكلبي الغرناطي (741هـ)**، مؤلف "وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم"[5]. ومن الذين صنفوا في "إكمال الإكمال" أبو عبد الله المراكشي، وأبو القاسم السلاوي، ومن أشهر هذه السلسلة كتاب الأبي التونسي[6].

ومن المحدثين في هذه الحقبة :

1. يوسف بن عبد العزيز بن الدباغ القرطبي (تـ 546هـ)، مصنف كتاب "رشحة النصيح في الحديث الصحيح"، وله "الغوامض والمبهمات"، و"ما يؤمن فيه التصحيف من رجال الأندلس"، ويقال إن ابن حجر اعتمده في كتبه، وله أيضا "المشتبه في الأسماء والأنساب"[7].

---

(1) من مقدمة كتاب إكمال المعلم للقاضي عياض، ج 1، ص 71 وما بعدها، تحقيق يحيى إسماعيل، 9 مجلدات، الطبعة الأولى، 1998/1419، دار الوفاء.

(2) التكملة لابن الأبار، ج 2، ص 79.

(3) الديباج المذهب لابن فرحون، ج 2، ص 114.

(4) الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، لعبد العزيز بن عبد الله، ج 2، ص 134.

(5) الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، لعبد العزيز بن عبد الله، ج 1، ص 60.

(6) التكملة، ابن الأبار، ج 2، ص 63، تحقيق الدكتور عبد السلام الهراس، وذكر هناك المحقق أغلب مظان ترجمته. وانظر مؤلفاته في المعلمة لعبد العزيز بن عبد الله، ص 131. ومعجم المحدثين له أيضاً، ص 31. وانظر الديباج، لابن فرحون، ج 2، ص 259. والسير، للذهبي، ج 21، ص 147.

(7) الصلة، لابن بشكوال، ج 2، ص 453.

2. **أحمد بن سعد بن الأقليشي التجيبي** (تـ 550هـ)، مؤلف "الكوكب الدري المستخرج من كلام النبي صلى الله عليه وسلم"، وكتاب "النجم من كلام سيد العرب والعجم"، و"الغرر من كلام سيد البشر"، وله استدراكات على الشهاب القضاعي[1].

3. ومنهم أيضا **عبد الله بن عيسى التادلي** الشهير بقوة الحافظ حتى قيل إنه أملى مدونة سحنون بعد انقضاء دولة الموحدين[2].

4. ومنهم كذلك **أبو إسحاق بن قرقول الفاسي** (569هـ) مؤلف "مطالع الأنوار على صحاح الآثار"[3]، ويقول ابن القاضي في "الجذوة" أنه استعار "مشارق الأنوار" وجرد منه ما أمكنه نقله[4].

5. **أبو بكر بن خير الأموي اللمتوني (تـ 575هـ)**، جامع "البرنامج" المشهور الذي أصبح عمدة الباحثين والمؤرخين[5].

6. **خلف بن عبد الملك بن بشكوال** (تـ 578هـ)، الشهير بكتاب "الصلة"، الذي افتتحت به مجموعة من الكتب المكملة لتاريخ ابن الفرضي، ومن أشهرها : كتاب "الصلة" له، وكتاب "صلة الصلة" لابن الزبير، و"تكملة" ابن الأبّار، والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي. وقد ألف ابن بشكوال عدة مصنفات في علم الحديث منها "غوامض الأحاديث المبهمة الواقعة في الأحاديث المسندة"، وكتاب "رواة الموطإ"، و"الاستدراك على استيعاب ابن عبد البر"، وبيان طرق حديث : «من كذب عليّ متعمدا»، والكلام عن "حديث المغفر"، يذكر أنه سمع من أربعمائة شيخ وألف نحوا من خمسين كتاباً[6].

---

(1) التكملة لابن الأبار، ج 1، ص 54.

(2) معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى، لعبد العزيز بن عبد الله، ج 2، ص 72.

(3) ذكر عبد العزيز بنعبد الله أن منه نسخا بالقرويين تحت رقم 595-624-641، كما ذكر أن منه نسخة أخرى بالقاهرة (49 أو ـ أحمد تيمور) قال المنوني : منه بخزانة القرويين رقم 220 النصف الأول في سفر مبتور يسيرا من أول الخطبة وبالخزانة العامة (ك 369) النصف الثاني في سفر وخزانة الجامع بمكناس رقم 165 النصف الأول، وآخر ما وقفت عليه من معلومات حول هذا المؤلف ما ذكره البشير علي أحمد الترابي في رسالته عن القاضي عياض وجهوده في علم الحديث قال : «ومطالع الأنوار مخطوط وجدته مصورا في معهد المخطوطات بالجامعة العربية عن نسخة المكتبة العامة بالسعودية برقم (16) وهو اختصار مع إضافات طفيفة، وفي بعض الأحيان يأتي بالكلام كما هو في المشارق بحذافره»، مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، خالد الصمدي، ج 1، ص 373.

(4) جذوة الاقتباس لابن القاضي، ج 1، ص 89.

(5) اشتهر الكتاب باسم فهرست ما رواه عن شيوخه لابن خير وهو مطبوع متداول، من منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، وانظر ترجمة ابن خير مفصلة من مصادرها في مقدمة الكتاب.

(6) شجرة النور الزكية، لابن مخلوف، ج 1، ص 154.

7. عبد الحق الإشبيلي (تـ 581هـ) : هو الحافظ الحجة، أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي، المعروف بابن الخراط، خطيب بجاية، يقول عنه ابن الأبَّار : إنه كان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله، عارفا بالرجال، موصوفا بالخير والصلاح والورع والزهد، مشاركا في الأدب وقول الشعر.

أخذ العلم عن شيوخ كبار، مثل أبي بكر بن العربي، وأبي الحسن بن شريح، وابن برجان، وأبي الحسن طارق بن عطية، وطاهر بن عطية.

وقد ترك مصنفات مشهورة ومفيدة منها : "الجمع بين الصحيحين" و"ما زاده البخاري على مسلم"، وأضاف إليها أحاديث من سنن أبي داود، و"ما وقع في الموطإ مما ليس في البخاري ومسلم"، وكان من أشهر ما كتب مجموعة أحاديث الأحكام وهي ثلاثة : منها الأحكام الكبرى وأورد فيها الأحاديث بأسانيدها، واختصرها في الأحكام الوسطى بحذف المسانيد، وهي التي كتب عنها ابن القطان "بيان الوهم والإيهام"، و"الأحكام الصغرى" وهي اختصار "الوسطى"، وقد اعترف ابن القطان ببراعة الإشبيلي وجودة اختياره، وبما له من حفظ وإتقان، وعلم وفهم وإطلاع واتساع وذكر أن ما لقيت من قبول وانتشار هو الذي حداه إلى بيان ما فيها من أوهام[1].

8. أبو عبد الله محمد بن سعيد الأنصاري المعروف بابن زرقون (تـ 586هـ) : وهو من رواة الموطإ المشهورين، مؤلف كتاب "الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار"[2]، وكتاب "الجمع بين الترمذي وأبي داود". وهو والد محمد، صاحب الجمع بين الصحيحين. وقد كان من المتمسكين بالمذهب المالكي، وامتحن في سبتة من أجل ذلك، وأحرقت كتبه وكتب أبيه. ومن تلامذة ابن زرقون : أبو عبد الله

---

(1) التكملة لابن الأبار، ج 3، ص 120.

(2) قلت : «اعتمد محقق كتاب الاستذكار الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، جزءا من كتاب الأنوار حيث يقول "النسخة المساعدة الأولى نسخة "جوامع أنوار المنتقى والاستذكار"، وهي من تأليف الشيخ الفقيه العلامة أبي عبد الله بن سعيد بن أحمد بن زرقون الأنصاري، توفي 582هـ، وهي نسخة المكتبة الأزهرية حديث (24) وعدد لوحاتها (284) لوحة وخطها نسخي جيد، وكل لوحة بها 29 سطرا وكتبت في القرن السابع الهجري والموجود منها المجلد الثالث فقط. وأول الموجود من هذه النسخة باب ما جاء في الخلع وآخرها باب القضاء فيما يعطى للعمال، ويبدو أن محقق كتاب الاستذكار لم يبلغ إلى علمه وجود نسخة أخرى من الكتاب بالخزانة العامة بالرباط، وهي النسخة التي أشار إليها ابن عقيل الظاهري في مؤلفه "ابن حزم خلال ألف عام" دون أن يشير إلى رقمها، وذكر أنه وقف عليها وتصفحها، وهي ليست نسخة تامة وإنما الجزء الرابع فقط تحت (رقم 145 أوقاف) كما ذكر الزركلي في الأعلام، ج 6، ص 139 وقال كتبت سنة 702هـ. وقد وجدت في فهرست مخطوطات المكتبة البدرية بالقدس ذكرا لوجود نسخة من الأنوار بها جيدة انفرطت أوراقها بخط مغربي جميل وتخص الجزء الأول من الكتاب (2) وذكر الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى أن الجزء الرابع من كتاب الأنوار لابن زرقون يوجد بالقرويين تحت رقم (145 ق) وذكر الأستاذ المنوني أن من الكتاب أربع مجلدات من البداية إلى نهاية كتاب الوصايا بخزانة الزاوية الحمزاوية بالراشيدية. رقم 466». انظر مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، خالد الصمدي، ج 1، ص 386.

محمد بن سعيد الأنصاري (636هـ) الذي قام بتخريج "مشارق الأنوار". ومنهم أيضا محمد بن إسماعيل بن مروان الأنصاري، صاحب "المنتقى من رجال الحديث".

9. أبو الخطاب عمر بن دحية السبتي (تـ 633هـ)، وله مصنف في رجال الحديث، وشرح الشهاب القضاعي، و"تنقيح الصحيحين"، ومؤلفات في السيرة النبوية[1].

10. القاسم بن الطيلسان (تـ 641هـ)، صاحب "الجواهر المفصلات في تصنيف الأحاديث المسلسلات"، و"زهر الياسمين وغريب المسندين ومناقب آثار المهتدين"[2].

11. محمد بن عتيق اللاردي، مؤلف "أنوار المصباح في الجمع بين الكتب الصحاح"، وله أيضا مصنفات في الشمائل النبوية، وأحاديث المسائل الخلافية[3].

12. ومن مشاهير أهل الحديث في هذه الفترة مؤلف "التكملة"، **محمد بن عبد الله بن الأبّار (658هـ)**، الذي سبق أن ذكرنا أربعيناته المتنوعة، وله أيضا كتاب "الشفا في تمييز الثقات من الضعفاء"، يقول ابن عبد الملك إنه خصصه للرواة الأندلسيين، و"هدية المعتسف في المؤتلف والمختلف"، وله مقالة سماها "المورد المسلسل في حديث الرحمن المسلسل"، كما تناول أوائل الرواة في الأندلس، فكتب "المآخذ الصالح في أحاديث معاوية بن صالح"[4].

13. عبد الله بن سعد بن أبي جمرة (تـ 699هـ)، الذي اختصر صحيح البخاري في كتاب "جمع النهاية في بدء الخير والغاية"[5]، وشرحه بكتابه الشهير "بهجة النفوس وتجليها بمعرفة ما لها وما عليها"[6]، وقد عرف هذا الشرح بمختصر ابن أبي جمرة، وله أيضا مقالات حول حديث بيعة عبادة بن الصامت، وحديث الإفك، وحديث الإسراء[7].

14. محمد بن عمر بن رشيد السبتي (تـ 721هـ)، صاحب الرحلة التي ملئ فيها عيبته، وقد ألف عدة كتب في علوم الحديث منها "إفادة النصيح في مشهور رواة الصحيح"، و"إيضاح المذاهب فيما يطلق عليه اسم الصاحب"، وكتاب "بغية النقاد فيما

---

(1) تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 4، ص 420.

(2) معلمة القرآن والحديث بالمغرب الأقصى، ج 2، ص 33.

(3) تذكرة الحفاظ للذهبي، ج 4، ص 1426.

(4) الأعلام للزركلي، ج 6، ص 233.

(5) صدر عن دار ابن حزم ببيروت، بتحقيق مروان محمد الشعار، 1993.

(6) طبع هذا الكتاب طبعات عديدة أشهرها طبعة مطبعة الصدق الخيرية بالقاهرة سنة 1353هـ، وطبعة دار الجيل، بيروت، سنة 1390هـ، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(7) شجرة النور الزكية، لابن مخلوف، ص 199.

أخل به كتاب بيان الوهم والإيهام أو أغفله أو ألم به وما تممه ولا كمله"، وكتاب "السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن"، وقد عني الدكتور الحبيب بلخوجه بآثاره نشرا وتحقيقا[1].

ومن أعلام المحدثين مجموعة المرازق التلمسانيين واشتهر منهم :

15. محمد بن مرزوق الأكبر (تـ 781هـ) : عرف بالجَدّ، وبالخطيب، وهو محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي من أهل تلمسان، شارح البخاري، و"الشفاء"، و"العمدة"، صاحب الأربعين المسندة في خلافة الخلفاء، وكتاب الإمامة وإيضاح الراشد فيما تشتمل عليه الخلافة في الحكم والفوائد، و"جني الجنتين في شرف الليلتين ليلة القدر وليلة المولد". قال عن نفسه للسلطان المريني : «لي ثمانية وأربعون منبراً في الإسلام شرقاً وغرباً وأندلساً ليس يوجد من يسند أحاديث الصحاح سماعاً من باب اسكندرية إلى البرين والأندلس غيري، وقرأت على نحو مائتين وخمسين شيخاً، وجاورت اثني عشر عاما، وختمت القرآن في داخل الكعبة، والإحياء في محراب النبيﷺ، والإقراء بمكة، أفلا يراعى لي الصلاة بمكة ستا وعشرين سنة». وقد ترجمه الحافظ ابن حجر في "أبناء الغمر"، وفي "طبقات الحفاظ" الذي جعله ذيلا على طبقاتهم لابن ناصر الدمشقي.

وشيوخه الذين أخذ عنهم، وروى مذكورون في "برامج المرويات" له، وفي مشيخته "عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز" نحو الألفين كما في "طبقات النحاة" للسيوطي، و"اختصار الديباج" لابن هلال، ومنهم : أبو الفتح بن سيد الناس الحافظ، وأبو حيان، والتقي السبكي، ومحمد بن جابر الواداءاشي، وابن المنير الإسكندري، وغيرهم. وقد سمى جماعة منهم ابن فرحون في ترجمته في "الديباج" في نحو ورقتين. وتوفي سنة 781هـ، على ما في "كفاية المحتاج"، وفي وفيات ابن قنفذ سنة ثمانين، وكانت ولادته سنة 711هـ، كما في ترجمته في "أنباء الغمر".

وأعلى أسانيده في صحيح البخاري، وروايته له عن الخطيب الصالح أبي عبد الله محمد بن أبي جعفر بن أحمد بن يوسف الطنجالي، عن جده، عن أبي عبد الله محمد بن

---

(1) انظر ترجمته في جذوة الاقتباس لابن القاضي، ج 2، ص 289 وما بعدها، قلت : «ولئن كان كتاب إفادة النصيح الذي توجد منه نسختان بخزانة الاسكوريال الأولى تحت رقم 1732 في 13 ورقة والثانية رقم 1785 في 17 ورقة (2) قد حقق وطبع وكتب السنن الأبين عرف طريقه إلى التحقيق والنشر أيضا وكلاهما على يد الدكتور محمد الحبيب بلخوجة، وصدر عن الدار التونسية للنشر الأول سنة 1394 والثاني سنة 1398. فإن كتاب "ترجمان التراجم" يعتبر في عداد المفقود، ولا نملك منه إلا ما نقل عنه شراح البخاري بعده منه من نصوص كابن حجر الذي قال فيه : «وقفت على مجلد من كتاب اسمه ترجمان التراجم لأبي عبد الله بن رشيد السبتي يشتمل على هذا المقصد وصل فيه إلى كتاب الصيام ولو تم لكان في غاية الإفادة وإنه لكثير الفائدة مع نقصه»»، مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، خالد الصمدي، ج 1، ص 423-424.

عبد العزيز بن سعادة الشاطبي، وأبي الخطاب بن واجب عن الإمام محمد بن يوسف بن سعادة، عن الحافظ أبي علي الصدفي. قال ابن مرزوق عن هذا السند : «إنه أعلى ما يوجد اليوم على وجه الأرض من هذا الطريق». واستجاز من الطنجالي المذكور لأولاده أحمد ومحمد المكنى بأبي القاسم.

قال الحافظ ابن مرزوق هذا في كتابه "جنى الجنتين في التفضيل بين الليلتين : ليلة المولد وليلة القدر" وهو من أبدع كتبه بعد أن تكلم على الأحاديث الأربعة التي لم يجدها في مسند أبي عمر ابن عبد البر، وهي في الموطإ : «توهم بعض العلماء أن قول الحافظ أبي عمر ابن عبد البر يدل على عدم صحتها وليس كذلك، إذ الانفراد لا يقتضي عدم الصحة لاسيما من مثل مالك، وقد أفردت قديما جزءا في إسناد هذه الأحاديث الأربعة، وقد أسند منها اثنين أحدهما في ذكري وغالب ظني الحافظ ابن أبي الدنيا في "تقليد التقليد" له، وقد بينت أسانيدها في غير هذا المقتضب»[1].

16. محمد بن مرزوق الحفيد (ت 842هـ) : هو الإمام الأستاذ الحافظ النظار المحدث المسند، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، عرف بالحفيد، ولد سنة 766هـ، ومات سنة 842هـ بتلمسان. قال عنه تلميذه ولي الله الثعالبي : «أجمع الناس من المغرب إلى الديار المصرية على فضله، لا أعلم نظيره في وقته». ووصفه تلميذه التنسي برئيس علماء المغرب على الإطلاق.

أخذ عن أبيه وعمه وجده، وسعيد العقباني، وبتونس عن ابن عرفة، وأبي العباس القصار، وبفاس عن ابن حياتي والمكودي، وبمصر عن الزين العراقي والسراج البلقيني، وأبي طاهر محمد بن أبي اليمن، ومحمد بن عبد اللطيف بن الكويك والبدر الدماميني، ومسند غرناطة أبي عبد الله الحفار، وأبي عبد الله القيجاطي، وأبي محمد عبد الله بن جزي الكلبي، وأبي زرعة العراقي، ومحمود العيني الحنفي، والمجد الفيرزابادي صاحب "القاموس"، والحافظ ابن علاق الأندلسي.

وفي منظومته في الاصطلاح، قال مصوبا إن الموطأ أصح كتب الإسلام :

وقول شافعيّنا أصح ما — بعد كتاب الله من تحت السما
موطأ لمالك قد أولا — لأنه قبلهما قد جعلا
قلت بل الصواب تقديم الإمام — إذ مالك نجمهم على التمام

(1) انظر ترجمته ومصادرها وذكر مؤلفاته في الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، لعبد العزيز بن عبد الله، ج 2، ص 110-111.

إلا إذا اعتبر ما تضمنا | من المسائل وفقه يقتنى
وغير ذا من زائد على الصحيح | فمسلم من هاهنا هو الرجيح

وله أيضا "أنوار الدراري في مكررات البخاري"، و"نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين"، وشروح ثلاثة على البردة : الأكبر والأوسط والأصغر المسمى "الإستيعاب لما في البردة من البيان والإعراب"، ومنها "المتجر الربيح والمسمى الرجيح والمرجب الفسيح في شرح الجامع الصحيح"، ولم يكمل[1].

17. محمد بن مرزوق الكفيف (تـ 901هـ) : هو الإمام محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب بن مرزوق العجيسي التلمساني، عرف بالكفيف. وصفه الونشريسي في وفياته بالفقيه الحافظ المصقع، وغيره بالمجدث المسند الراوية، وقال عنه الإمام أبو عبد الله محمد بن الإمام أبي العباس التلمساني في رحلته : "علم الأعلام، حجة الإسلام، آخر حفاظ المغرب". حج سنة 861هـ، وأخذ عنه بالمشرق وترجمه السخاوي في "الضوء اللامع" وكانت وفاته سنة 901هـ.

يروي عامة عن أبيه الحفيد، وأبي الفضل ابن إبراهيم بن أبي زيد بن الإمام التلمساني والقاضي المعمر أبي القاسم ابن سعيد العقباني، وأبي العباس أحمد بن عيسى اللجائي الفاسي، وأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي الجزائري، والقاضي محمد ابن محمد بن أبي إبراهيم بن عقاب الجذامي التونسي، وأبي محمد عبد الله بن أبي الربيع الجيزي التونسي والحافظ ابن حجر، وكل هؤلاء أجازوه بالسماع، إلا ابن حجر فبإجازته لأولاد مرزوق سنة 829هـ. وقد ساق أبو إسحاق ابن هلال في فهرسته مضمن إجازات هؤلاء للمترجم بتواريخها وتسمية مروياتهم[2].

هؤلاء يمثلون نماذج من العلماء الذين تأثروا بصفة مباشرة أو غير مباشرة بمنحى القاضي عياض الذي استطاع تأسيس مدرسة حديثية بين العدوتين، حفظت التراث الأندلسي وفتحت آفاق هذا العلم في المغرب، وبرهنت أن مؤلف كتاب "الشفا في حقوق المصطفى" قد استحق ما نال من تقدير وإعجاب.

---

(1) المصدر السابق، ج 2، ص 111.

(2) المصدر السابق، ج 2، ص 112.

الفصل الثالث : علوم الحديث في الحواضر المغربية

1. ظاهرة أبي الحسن ابن القطان

علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي (562-628) عرف بابن القطان، وهو العالم الذي برع في مجال النقد الحديثي ومناهج الجمع بين الصحاح، فجدد بذلك آثار أبي علي الدارقطني، وابن فتوح الحميدي وأبي علي الجياني.

لقد رأينا أن القاضي عياضاً كان من أبرز من جمع بين علمي العدوتين، وسنرى أن أبا الحسن ابن القطان كان من أول من أسس مدرسة الحديث في العدوة المغربية. لقد نشأ هذا العالم في عز دولة الموحدين، واحتل في أيامهم مكانة علمية مرموقة، فأفاد كثيرا من اهتمام ملوكهم بجمع مصادر كتب الحديث وعنايتهم البالغة بعلومه، واتجاههم في الاعتماد على أصوله في التشريع، التي استبدلوها طيلة حكمهم بفروع الفقه المالكي السائد في عهد أسلافهم المرابطين.

إنها الخطة التي رسمها مؤسس دولتهم : المهدي بن تومرت، الذي ناظر فقهاء المرابطين وظهر عليهم بالحجة والقوة، وألف موطأه المقابل لموطإ الإمام مالك، وعقيدته المناهضة لإبانة الأشعري، ثم جاء عبد المؤمن بن علي وسار في نهج ابن تومرت، وأملى التعاليق على كتبه، وعرفت عناية ابنه يوسف بعلم الحديث حتى قيل إنه حفظ صحيح البخاري بعد أن تعلم القرآن، ثم أتى بعدهم يعقوب المنصور الذي أحرق كتب الفروع وجميع أحاديث الأحكام من مصنفاته المشهورة، وألزم العلماء بالعمل بها.

وفي عهد هذا الملك كان ابن القطان عميد الطلبة في بلاطه، مما يجعله أسهم بحظ وافر في وضع أسس مذهب أهل الحديث في الدولة الموحدية، وفي تنشيط حركة علومه في مراكش التي تحولت إليها وجهة التيار العلمي في الأندلس.

وسنستعرض بإيجاز شيوخ ابن القطان وتلامذته ومصنفه الفريد، وهو كتاب الوهم والإيهام.

أ) **شيوخ ابن القطان،** ومنهم :

1. أبو عبد الله محمد بن الفخار المالقي : المشهور بمعرفة الرجال، وحفظ الغريب وسرد الأسانيد والمتون، وقد لازمه ابن القطان وأكثر عنه[1].

2. أبو القاسم بن بقي : أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن مخلد (تـ 615هـ)، حفيد بقي بن مخلد، وكان حافظا متقنا، ولي القضاء في مراكش. وقد انفرد برواية الموطإ عن ابن عبد الحق قراءة على ابن الطلاع، وهو آخر من حدث عن شريح بالإجازة. وقد صحبه ابن القطان وسمع منه مسند جده بقي بن مخلد وتفسيره[2].

3. أبو الخطاب بن واجب القيسي : وهو ممن استوطن مراكش من الأندلسيين وبها توفي سنة 614هـ، ويقول عنه تلميذه ابن الأبّار أنه حامل راية الرواية بشرق الأندلس وآخر المحدثين المسندين، وقد ذكره ابن القطان في برنامجه ضمن شيوخه[3].

4. أبو عبد الله التجيبي : محدث تلمسان، وقد أسمع بسبتة وفاس ومراكش، ورحل إلى الحج وأخذ عن أبي طاهر السلفي، واستوسع في الرواية وكتابة العلم وصنف في الحديث ورسالاته، وهو صاحب الفهرست المشهورة. وقد قدمت عنها رسالة دكتوراه في دار الحديث الحسنية.

5. الشريف الصقلي : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن طاهر الحسيني، قاضي الجماعة بمراكش. يقول ابن عبد الملك إنه كان راوية للحديث، حافظا لمتونه، بصيرا بعلله، عارفا برجاله، استدرك على عبد الحق في "الأحكام" أحاديث كثيرة رأى أن أبا محمد أغفلها، وأنها أحق بالذكر مما أورده[4].

6. ابن ملجوم الفاسي : عبد الرحمن بن عيسى (604هـ)، قال ابن القاضي عنه إنه كان بصيرا بالحديث، محافظا على تقييده وضبطه[5].

7. أبو ذر الخشني : مصعب بن أبي بكر (تـ 604هـ)، كان إماما في العربية، وذكره الذهبي في "تذكرة الحفاظ". وقد يكون ابن القطان أخذ عنه في فاس قبل انتقاله إلى مراكش[6].

---

(1) التكملة لابن الأبار ،ج 2، ص 647.

(2) التكملة لابن الأبار، ج 1، ص 115.

(3) التكملة لابن الأبار، ج 1، ص 107.

(4) انظر ترجمته ومصادرها في الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، لعبد العزيز بن عبد الله، ج 2، ص 28.

(5) جذوة الاقتباس لابن القاضي، ص 297.

(6) التكملة لابن الأبار، ج 2، ص 700 وما بعدها.

ب) تلامذته

وتذكر المصادر كثرة تلاميذته، وهذا ليس من الغريب عمن كان مكلفا برئاسة الطلبة الذين يدرسون برعاية يعقوب المنصور. وقد تعني هذه الرتبة القيام بتدريس الوافدين على المعاهد العلمية الرسمية، وتوجيه العلماء والأشراف إلى المجالس الإملائية التي كانت تعقد بحضرة السلطان.

وممن ذكر من تلامذة ابن القطان ابناه الحسن والحسين، ويذكر أن ابنه الحسن كان حافظا معتنيا بالحديث، وله مؤلفات في السيرة النبوية كتبها بأمر من المرتضى الموحدي الذي كان من خاصيته.

وقد كتب لهما محمد بن عبد الرحمن التجيبي، صاحب الأربعينيات، كتاب "تلقين الوليد"، وهو مصنف ضاهى به كتاب "الأحكام" لعبد الحق الاشبيلي.

ومن مشاهير من أخذ عنه :

1. محمد بن يحيى المعروف بابن المواق القرطبي المراكشي (642هـ) : وقد كان حافظا متقنا، بارع الخط، ضابطا لأسماء الرجال وتواريخهم، وله مصنفات معروفة، منها كتاب "شيوخ الدارقطني"، وشرح خطبة صحيح الإمام مسلم، وله شرح لموطإ الإمام مالك قيل إنه في غاية الجودة والنبل. وله تعقب على كتب شيخه ابن القطان، في كتاب سماه "المئاخذ الحفال السامية عن مئاخذ الإهمال في شرح ما تتضمنه كتاب بيان الوهم والإيهام من الإخلال والإغفال وما أنضاف إليه من تتميم وإكمال"، ويقول إنه لم يبلغ من تكميله الأمنية، وأن الذي قام بتخريجه أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد.

وقد أخذ عن ابن القطان، كما أخذ ابن القطان عن والده أبي بكر ابن المواق المتوفى بفاس سنة 590هـ[1].

2. أبو عبد الله بن الطراوة : وهو محمد بن أحمد السبتي، المالقي الأصل، قال ابن عبد الملك إنه كان حافظا للتواريخ بأنواعها، شديد المحافظة على كتبه، وقد توفي بسجلماسة سنة 659هـ[2].

3. أبو الخطاب : عبد الرحمن بن أبي عمرو، وهو الذي قابل معه كتاب "بيان الوهم والإيهام.

(1) الذيل والتكملة لابن عبد الملك، السفر 8، القسم 1، ص 273.

(2) نفسه، ص 264.

4. محمد بن عياض بن محمد بن عياض (تـ 655هـ) : حفيد القاضي عياض، وقد كان قاضيا للدولة النصرية بغرناطة، وعن طريقه أخذ المغاربة سندهم إلى مؤلفات جده القاضي عياض[1].

5. أبو عبد الله ابن الأبّار : صاحب "التكملة"، فقد ذكر زين الدين العراقي أنه أخذ عن ابن القطان، وهو أمر سائغ، ولو لم يرد ذكره في أكثر المصادر المغربية[2]. وقد أخذ عنه بالإجازة محمد بن يوسف المهلبي الغرناطي، المعروف بابن مسدي.

6. أبو الحسن الشاري السبتي (تـ 649هـ) : وهو علي بن محمد الغافقي، قال عنه تلميذه ابن الزبير أن جلة المحدثين الأندلسيين أخذوا عنه.

ج) مصنفاته

يقول ابن عبد الملك في "الذيل والتكملة" إنه كان مستبحرا في علوم الحديث، بصيرا بطرقه، عارفا برجاله، عاكفا على خدمته، ناقدا مميزا صحيحه من سقيمه، كتب بخطه صحيح مسلم وسنن أبي داود وغير ذلك. وتذكر له المصادر نحوا من أربعين كتابا في عدة فنون علمية منها. نقع الغليل ونفع العليل في الكلام على أحاديث أبي داود، لكنه لم يكمل، وكتب عشر مجلدات جمع فيها الحديث الصحيح بحذف أسانيده، وله كتاب "شيوخ الدارقطني" و"تجريد من ذكره الخطيب في تاريخ بغداد من المحدثين"[3].

كما كتب أيضا مجموعة من المقالات التي تتناول مواضيع معينة من الأحاديث منها مقالة حول القراءة خلف الإمام مثل ما فعل الإمام البخاري، ومقالة في فضل عاشوراء وأخرى في قول المحدثين في الحديث الصحيح أنه حسن. وله أيضا مقالة في التناسب بين قول النبي صلى الله عليه وسلم : «ويتوب الله على من تاب»، مع ما قبلها من الحديث، وله كذلك مقالة حول منع المجتهد من تلقيد المحدث في تصحيح الحديث لدى العمل به، ومقالة في فضل عائشة[4].

وسنرى هذا النوع من المقالات عند ابن حجر، وعند علماء فاس. ولكن أهم كتاب اشتهر به ابن القطان هو كتاب "بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب

---

(1) الديباج المذهب لابن فرحون، ص 290.

(2) انظر ترجمة مفصلة لابن الأبار من مختلف مصادرها، في مقدمة كتاب الحلة السيراء، بتحقيق حسين مؤنس.

(3) الذيل والتكملة لابن عبد الملك، السفر 8، القسم 1، ص 167.

(4) أورد ابن عبد الملك في الذيل والتكملة ترجمة واسعة لابن القطان، في السفر 8، القسم 1، من ص 165 إلى 195.

الأحكام″[1]، وهو مؤلف حافل في انتقاد كتاب ″الأحكام الوسطى″[2] للحافظ عبد الحق الإشبيلي تـ 581هـ.

د) كتاب ″الوهم والإيهام″

وقد بنى ابن القطان نقده لكتاب عبد الحق الإشبيلي على أمرين اثنين :

أحدهما : قوله إن الناظر في كتاب الإشبيلي قد يستغنى بنقله عن الرجوع إلى الأصول التي أخذت منها أحاديث الكتاب، ومن أخذ الشيء من غير معدنه قد ينتزعه خارج سياقه، فيفوته ما كتبه مخرجه الأول مما عليه من زيادات أو معارضات أو معاضدات، وقد يتحرج الناقل المحتج بهذه الأحاديث من عزوها لأمهات كتب الحديث، فيقول : ″ذكره عبد الحق″، فيكون كمن ينسب مسألة نحوية ذكرت في كتاب سيبويه، فيقول ذكرها المهدوي في ″التحصيل″، أو مسألة فقهية في أمهات كتبه فينسبها لمتأخري الناقلين لها.

ثانيهما : ذكره أن الناقل، مهما بلغت جودة عمله، فإنه لا يخلو من أغلاط وأوهام في النقل، وبما أن أحكام الإشبيلي من أكثر هذا النوع انتشارا وقبولا، فلذلك لا تجد أحدا ينتمي إلى نوع من أنواع العلوم الشرعية، إلا والكتاب المذكور عنده، وقد حداهم حسن تأليفه على الانكباب عليه وإيثاره، وخاصة من لا يشارك في طلبه بشيء من النظر في علم الحديث من فقهاء ومتكلمين وأصوليين[3].

من أجل ذلك فقد تجرد ابن القطان لبيان تلك الأوهام والإيهامات، وبهذا أراد أن يكون عمله نقدا بناء وتصحيحا لهذا الكتاب الذي صار عمدة للعلماء الذين لم يتخصصوا في علم الحديث.

---

(1) بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام، لأبي الحسن القطان الفاسي، تحقيق الحسين آيت سعيد، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

(2) قلت : نسبت إليه المصادر المترجمة لابن القطان انشغاله بجمع أحاديث الأحكام محذوفة الأسانيد مع الكلام على درجتها، قال الكتاني في الرسالة المستطرفة ص 178 : «كتاب الأحكام الكبرى انتقاها من ″كتب الأحاديث″». ثم قال : «وله أيضا الأحكام الوسطى في مجلدين وهي المشهورة اليوم بالكبرى، ذكر في خطبتها أن سكوته عن الحديث دليل على صحته، والأحكام الصغرى في لوازم الشرع وأحكامه وحلاله وحرامه في ضروب من الترغيب والترهيب، وذكر الثواب والعقاب، أخرجها من كتب الأئمة وهداة الأمة الموطأ والستة، وفيها أحاديث من كتب أخرى ذكر في خطبتها أنه تخيرها صحيحة الإسناد معروفة عند النقاد قد نقلها الإثبات وتناولها الثقات»، مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، ج 1، ص 375، خالد الصمدي.

(3) انظر مقدمة بيان الوهم والإيهام لابن القطان الفاسي منا ساقها الدكتور فاروق حمادة في تحقيقه لنقد الإمام الذهبي لبيان الوهم والإيهام، ص 26 وما بعدها، منشورات دار الثقافة، ط 1، 1988.

وهكذا تناول ابن القطان الأحاديث التي في أحكام الإشبيلي قائلا إنه سوف ينبه :

«على الأحاديث التي فيها نقص أو زيادة،

والأحاديث التي ضعفها وهي صحيحة أو حسنة،

وتلك التي صححها وهي ضعيفة، والأحاديث التي نسبها لمن لم يروها أو في كتب لا توجد فيها،

وتلك التي سكت عنها ولم يبين فيها مذهبه،

كما سيوضح أوهامه في الرواة وبيان الخطإ في التعريف بهم أو في جرحهم وتدليسهم، أو رواة تغيرت أسماؤهم أو أنسابهم على ما هي عليه»[1].

ولقد استعرض ابن القطان في هذا الكتاب سعة علمه وتبحره في علوم الحديث، فصار عمله من المراجع المهمة في الدراسات الحديثية، فلفت الانتباه إلى المستوى الذي وصلت إليه مباحث العلوم في المغرب، كما أثار اهتمام علماء الحديث عموما، وقدروا قيمته العلمية في مناهج النقد والبحث، فمنهم من ارتضى عمله وأثنى عليه ومنهم من استعمل أسلوبه في النقد للرد عليه في نقد الاشبيلي، وهو الإمام الذهبي. وبعدما اعترف له بأنه حافظ بالجملة له إطلاع عظيم وتوسع في الرجال وفطنة ويقظة إلا أنه في رأيه أخذ الفن من المطالعة وأجحف في حق الاشبيلي.

ويقول الذهبي عنه إنه أسرف في المجانفة والتعنت للحافظ أبي محمد الاشبيلي وبالغ في ذلك وأصاب في كثير من ذلك ولم يصب في أماكن، وغلط فيها وألزم أبا محمد بتطويل الكلام على الأحاديث بما لا يناسب الأحكام المختصرة التي بلا أسانيد، وعمد إلى رواة لهم جلالة وجلادة في العلم، وحديثهم في معظم دواوين الإسلام فغمزهم بكون أن أحدا من القدماء ما نص على توثيقهم بحسب ما اطلع هو عليه.

وقد نشر الدكتور فاروق حماده نقد الإمام الذهبي لكتاب ابن القطان وحققه تحقيقا وافيا، يعتبر بمثابة نقد لنقد الذهبي لابن القطان[2].

ولم يك الذهبي وحيدا في تعقب ابن القطان، بل سبق أن رأينا أن أبرز تلامذته، وهو ابن المواق، كان ممن تعقبوا عمله في كتاب "الوهم والإيهام"[3].

---

(1) نفسه، ص 66 وما بعدها.

(2) أورد الدكتور فاروق حمادة المقدمة الكاملة لكتاب ابن القطان، التي يوضح فيها منهجه في كتابه وقصده من تأليفه في تحقيقه لكتاب نقد بيان الوهم والإيهام للذهبي، ص 62-63، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1، 1988.

(3) المآخذ الحفال السامية عن مآخذ الإهمال في شرح ما تضمنه كتاب بيان الوهم والإيهام من الإخلال والإغفال، وما اضم إليه من تتميم وإكمال لابن المواق، انظر الرسالة المستطرفة للكتاني، ص 187.

وقد لخص الدكتور فاروق حماده، نقد الذهبي لابن القطان في المسائل التالية :

* التعريف برواة لم يعرفهم ابن القطان وضعف أحاديثهم بسبب ذلك، مثل حديث ابن عباس : أن ليس على النساء حلق في الحج، قال ابن القطان إنه ضعيف منقطع لأن ابن جريج بلغه عن صفية بنت شيبة عن أم عثمان بنت أبي سفيان، وهي لا يعرف حالها، ويقول الذهبي إنها زوجة شيبة، ولها صحبة ورواية في مسند أحمد.

* تجهيله لرواة تم توثيقهم من أئمة الحديث، إذ قال ابن القطان عن حرام بن حكيم الذي يروي عن عبد الله بن حزم إنه مجهول. وقد وثقه دحيم، وقد ضعفه ابن حزم وتبعه عبد الحق الاشبيلي.

* تصحيح بعض أوهامه، ومن ذلك قوله في حديث عائشة عن قيامه عليه السلام في رمضان ليلة بالناس وزيادة «ولو كتب عليكم فأقمتم به».

فذكر ابن القطان أنه بهذا اللفظ ليس في صحيح مسلم وأثبت الذهبي وجوده فيه، وعلق الدكتور فاروق إن هذا قد يعود إلى اختلاف النسخ.

* مخالفته إياه في تصحيح أحاديث خفيت عليه علتها، مثل حديث ابن عمر : "اغسلوا موتاكم"، ساقه من عند ابن عدي في ترجمة حنظلة بن أبي سفيان الجمحي، وقال إن رجال سنده ثقات، ويعقب الذهبي على ذلك بقوله : "لكنه منكر جدا"، وتكلم في حنظلة لأجله.

* رده عليه في تضعيف أحاديث المدلسين الموجودين في صحيح مسلم مثل حديث جابر : "دعوا الناس يرزق بعضهم..."، قال ابن القطان إنه معنعن عن رواية أبي الزبير عن جابر، فقال الذهبي معقبا عليه : "زدت في النكارة" فهو يرى أن هذا التضعيف تعنت سمج من ابن القطان الذي لا يقبل رواية أبي الزبير عن جابر، ويعلق الدكتور فاروق على ذلك بقوله : "ولابن القطان في ذلك معتمد، لأن الليث بن سعد قال : جئت أبا الزبير فدفع لي كتابين، فسألته : أسمع هذا كله من جابر ؟ فقال : منه ما سمعت، ومنه ما حدثت عنه، فقلت له : أعلم على ما سمعت منه، فأعلم لي على هذا الذي عنده". وقد توقف الأئمة عن الاحتجاج بما لم يروه الليث عن أبي الزبير، وفي صحيح مسلم عدة أحاديث عن جابر لم يصرح أنها من رواية الليث وكأنه اطلع على أنها من روايته، وإن لم يروها عن طريقه.

* تضعيفه لرواة احتج بهم البخاري، مثل ما قال في حديث عائشة حول إرضاع سالم مولى أبي حذيفة من سهلة خمس رضعات، وقال ابن القطان إن فيه عيينة بن خالد الأموي، ويقول الذهبي إن البخاري احتج به. وأثنى عليه أبو داود، لكن ابن القطان قال عنه كفى بتجريحه ما ذكر ابن أبي حاتم، وإنه كان على خراج مصر وكان يعلق النساء بالثدي.

* إبراز تناقضه : في الأثر المروي في تشبيه صلاة عمر بن عبد العزيز بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقول ابن القطان إن في سندها وهب بن مانوس، وهو مجهول، ولا تثبت عدالته برواية جماعة عنه. ويقول الذهبي مخاطبا ابن القطان : قد خالفك في هذا خلق، ويبين الدكتور فاروق أن ابن القطان لا يقبل التعديل إلا بالتصريح، وعلى هذا فتكون رواية الجماعة تنفي الجهالة، ولا تثبت العدالة، فيؤخذ على ابن القطان قوله إن وهباً مجهولٌ"[1].

هذه أمثلة من انتقاد الذهبي، وقد أجملها في قوله إنه صحفي لم يأخذ العلم من الشيوخ، فكثرت أوهامه واختل منهجه بسبب التشدد والتعنت. وهذا ما رده بقوة الدكتور إبراهيم بن الصديق في كتابه الحافل الذي أصدره بعنوان "علم علل الحديث من خلال كتاب بيان الوهم والإيهام لابن القطان[2].

هـ) رأي د . إبراهيم بن الصديق في كتاب ابن القطان

وكتاب الدكتور إبراهيم بن الصديق مصنف متقن، قدم فيه المؤلف بحوثا قيمة في مسائل العلل عند المحدثين عامة، وعند الأندلسيين بالخصوص، وعند ابن القطان بصفة أخص[3]، فأبرز منهجيته في شمولية التعليل، واصطلاحه الخاص بالتحسين وغموض موقفه من المرسل، وألقى الضوء على جوانب مهمة من العلاقات العلمية بين ابن القطان وعبد الحق الاشبيلي، وذلك باستعراض المصادر التي اعتمداها، وبين ما اشتركا فيه منها، وما انفرد به كل منهما.

---

(1) انظر ذلك بتفصيل في كتاب نقد بيان الوهم والإيهام للذهبي، تحقيق الدكتور فاروق حمادة، ص 49 وما بعدها. وقد أشار إلى موضع الأمثلة بصفحاتها حتى يعين القارئ على مراجعتها في المتن، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1، 1988.

(2) منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1995.

(3) كتاب علم علل الحديث من خلال بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام لأبي الحسن بن القطان الفاسي، للدكتور إبراهيم بن الصديق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1995.

وهكذا أورد الدكتور إبراهيم أنهما اشتركا في العزو لنحو ستين مرجعا، من أهمها الموطأ والصحيحان وسنن أبي داوود والنسائي، وكتب ابن أبي شيبة وعبد الرزاق، ومسانيد الطيالسي، وابن وهب وعبد بن حميد وابن سنجر، والبزار وابن نصر المروزي. وكتب ابن الجارود وعلى ابن عبد العزيز البغوي، ومشكل الآثار ومعانيها للطحاوي وكتب الدارقطني والخطابي، كما اشتركا في بعض المراجع الأندلسيين مثل "مسند" أحمد بن خالد و"تمهيد" ابن عبد البر و"المحلي" لابن حزم، و"الإعلام بما في المؤتلف والمختلف للدارقطني من الأوهام" لأبي محمد الرشاطي الأندلسي، ثم ذكر المراجع التي اطلع عليها ابن القطان، ولم يرها عبد الحق ولكنه نقل عنها، ومن أهمها من كتب الأندلسيين مصنف بقي بن مخلد وتفسيره، و"مستخرج" ابن أيمن على سنن أبي داوود، و"الإيصال" لابن حزم، و"الواضحة" لابن حبيب.

أما المصادر التي لم يرها عبد الحق، ولم ينقل عنها، فمنها ضعفاء ابن حبان، و"شيوخ البخاري" لابن عدي، و"الجرح والتعديل" للعجلي، و"تاريخ" علي بن عمرو الفلاس، و"الكنى والأسماء" للدولابي و"المؤتلف والمختلف" للدارقطني، و"تاريخ بغداد" للخطيب، و"إكمال" ابن ماكولا، و"تاريخ المحدثين" لأحمد بن سعيد بن حزم الصدفي، و"معجم الصحابة" لأبي القاسم البغوي، و"السنن الكبرى" للبيهقي، و"العلل" لابن حنبل.

وانفرد عبد الحق بالاطلاع على "أمالي" البزار وكتاب "الكنى" لأبي أحمد الحاكم. ومن الغريب أنهما معا لم يطلعا على "مسند" الإمام أحمد، ولم ينقلا عن "مستدرك" الحاكم، كما استغرب الدكتور إبراهيم ابن الصديق أن ابن القطان لم ينقل حرفا واحدا عن القاضي عياض، ولعل اختلاف موقفي هذين الإمامين من دولة الموحدين كان له أثره في هذه القضية[1].

و) تحقيق د . آيت سعيد لكتاب ابن القطان ونقده لمنهجه

لقد قام الدكتور أيت سعيد بإخراج كتاب ابن القطان وتحقيقه وطبعه في ستة مجلدات، خصص الجزء الأول منها لدراسة مفصلة عن المؤلِّف والمؤلَّف. وقد شمل بحثه

---

(1) انظر ذلك بتفصيل في كتاب "علم علل الحديث من خلال كتاب بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام، لأبي الحسن ابن القطان الفاسي، تأليف الدكتور إبراهيم بن الصديق، ج 1، ص 369 وما بعدها، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1995.

الكلام عن اسمه ونسبه ونشأته وحياته العلمية، والعلوم التي برز فيها، وأقوال جهابذة النقاد عنه، ورد على الانتقادات الموجهة إليه، ثم لخص منهجه في تعقبه لأحاديث عبد الحق الإشبيلي، لكنه على غرار الذهبي انتقده في مجموعة من المسائل، وهي :

1. ما جزم بعدم وجوده وهو موجود : ذكر المحقق منها ثمانا وعشرين مسألة منها، صحبة عدي بن زيد، قال ابن القطان لا يعرف في الصحابة، ولم يذكر فيهم فيما أعلم، وعلق عليه قائلا إن البخاري، قال : سكن المدينة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، ذكره البغوي.

2. المتون التي أنكرها مطلقا وهي موجودة : ذكر المحقق منها سبعة متون : منها حديث ورود الأمر بتجديد الماء للأذنين، قال ابن القطان : «وهو شيء لا يوجد أصلا»، ويقول المحقق إنه موجود في الطبراني الكبير.

3. الرواة الذين جهلهم وهم موثقون، وذكر المحقق منهم واحداً وستين راويا منهم أبو عمير بن أنس بن مالك، وثقه ابن حبان، وجهله ابن عبد البر، وهو غلط منه، ومنهم محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وقد وثقه ابن حبان.

4. أوهامه في الأسانيد : وأورد المحقق منها حديث عمرو بن العاص وصلاته حين أجنب، قال ابن القطان إنها من رواية جبير بن نفير عنه، وإنما هو من رواية ابنه عبد الرحمن بن جبير.

5. أوهامه في النقول : ذكر فيه المحقق أربعة وعشرين متنا، منها قول ابن القطان إن حديث : «الإيمان بضع وسبعون...»، من مصححات الترمذي وإن كان من رواية ابن عجلان، وهو من رواية سهيل بن أبي صالح.

6. النصوص التي لم يهتد إلى أماكنها : ذكر المحقق منها ثمانية : منها حديث ابن عمر : «إذا كان لأحدكم ثوبان فليلبسهما إذا صلى»، قال ابن القطان إن أبا حاتم لم يوصل إسناده، وغلطه المحدث في ذلك.

7. الأحاديث التي أبعد النجعة في عزوها : وهي تتضمن عشرة أحاديث، وعاب المحقق على ابن القطان انتقاده للاشبيلي فيها مع أنه استعمل نفس الصنيع، مثل حديث الحمى من فيح جهنم، وقد عزاه أبو محمد وابن القطان لابن أبي شيبة، وهو في صحيح البخاري.

8. ما عزاه لمصادر ولم يجده المحقق فيها : وهي تشمل سبعة رواة : منهم محمد بن سعيد الكوفي الصيرفي، قال ابن القطان إن البخاري قال إنه منكر

الحديث، وقال المحقق إنه بحث عنه ولم يجده في "التاريخ الكبير" ولا "الصغير" ولا "الضعفاء"، وقال لعله في "الأوسط"[1].

ولكنه ختم دراسته عنه بإبراز قيمة هذا الكتاب، فقال : «ومما يزيد من قيمة مؤلف ابن القطان أنه تعرض لمئات الرواة بتعديل وتجريح، استفاد أحوالهم من كتب مفقودة، لهم فيها ذكر، وفيهم من حكم عليهم بما أداه إليه اجتهاده فيهم».

«والواقع أن هناك جملة وافرة من رواة الحديث، لم تعلم أحوالهم إلا من جهته، بحيث تجد من تأخر عنه، لا يعدو أن يقول ضعفه ابن القطان، أو وثقه ابن القطان، ولا يستطيعون أن ينقلوا شيئا زائدا على ما قال المؤلف إلا في النزر النادر، الذي تعقبوه فيه بإثبات عكس دعواه، وهذا النزر لا يمثل إلا نسبة ضئيلة جدا، بالمقارنة مع ما اعتمد فيه رأيه، واتبع فيه قوله».

«وإذا عرفنا أن من انتهت إليه رئاسة هذا الفن، وهو الحافظ ابن حجر، ثم نسبنا ما سلم فيه لابن القطان مما انتقده عليه عرفنا مدى الإحاطة والاتقان اللذين يتحلى بهما هذا الإمام في عرض المادة، وتتبعها من مظانها».

«وهذا ذهبي عصره ـ الحافظ الذهبي ـ وهو من هو استيعابا وإتقانا لم يعرف بأحوال رواة في ميزانه إلا من قبل ابن القطان، ولم يضف على ما نقله عنه فيهم ولو كلمة، إلا في الضئيل الحقير من التراجم التي تعقبه فيها».

فمثلا في ترجمة طالب بن حجر، راوي حديث : «إن النبيﷺ دخل مكة وعلى سيفه ذهب وفضة».

قال الذهبي : وقال الحافظ أبو الحسن ابن القطان، هو عندي ضعيف لا حسن.

وصدق أبو الحسن : تفرد به طالب، وهو صالح الأمر إن شاء الله، وهذا منكر، فما علمنا في حلية سيفه صلى الله عليه وسلم ذهبا.

بل إن الذهبي وابن حجر، أحيانا ينقلان كلامه بالحرف أو بالمعنى، ولا ينسبانه له أصلاً.

فمثلاً : صالح بن عامر، قال ابن القطان : لا يعرف من هو. فنقله الذهبي كما هو دون أن ينسبه إليه، بعد سبكه في قالبه الخاص، فقال : صالح ابن عامر، نكرة لا وجود له، ذكر في حديث لعلي مرفوعا : «نهى عن بيع المضطر».

(1) انظر ذلك بتفصيل في كتاب "بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام،لأبي الحسن القطان الفاسي، تحقيق الحسين آيت سعيد، قسم الدراسة، منشورات دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1997.

وهو نفس كلام ابن القطان في نفس الحديث الذي انتقده.

وقال ابن القطان : «لا ندري ممن تلقى ذلك أبو سعيد»، ثم نقل الحافظ نفس العبارة فقدم فيها وأخر، دون أن ينسبها لابن القطان.

قال الحافظ : «ولم يبين أبو سعيد ممن سمع ذلك». ونماذج هذا النوع كثيرة لا حاجة للإطالة بها.

هذا، وإن الرجال الذين يشملهم هذا الكتاب ممن تكلم فيهم بتجريح أو تعديل، هم أصناف ثلاثة :

1. صنف خرج له البخاري ومسلم،
2. وصنف خرج له الباقون من الستة أو بعضهم،
3. وصنف خرج له فيها دون الكتب الستة،

وعمل ابن القطان في هذه الأصناف الثلاث يتلخص فيما يلي :

- قسم منهم نقل فيه أقوال المتقدمين، وأقرهم على ما قالوا فيهم،
- وقسم انتقد فيه أقوال من سبقه، إما بتضعيف من وثقوه، أو توثيق من ضعفوه، أو تقييد، أو إطلاق قولهم فيه،
- وقسم لا تستفاد أحوالهم إلا من جهته، ولا يعرف لأئمة هذا الشأن فيهم قول، ولذلك تجد لكل من ترجمهم ممن بعد ابن القطان إنما تنقل فيهم قوله ورأيه تجريحا وتعديلاً.

وهذا الصنف مبثوث في "الميزان"، و"لسان الميزان" وغيرهما.

ويجدر بنا أن نعتبر هذا الصنف من تجديدات ابن القطان واجتهاداته، وقد أشار هو إلى ذلك في المقدمة، وزها به على أبي محمد عبد الحق، قائلاً : «ولما كان هؤلاء الرواة كثيرين، رأينا ألا نسردهم بما قال فيهم أو نقله عن غيره، لأن ذلك يثقل الدراسة، ولذلك عملنا لهم فهرسة خاصة، ذكرنا فيه كل راو، وما أورده فيه، وجمعنا أقواله المختلفة ـ في راو واحد ـ في مكان واحد، ووضعنا أمام كل راو رقم حديثه الذي يوجد فيه، وبذلك استدركنا الكتاب المفقود الذي وضعه الحافظ العراقي في رجال بيان "الوهم والإيهام"، والحمد لله على ذلك.

ومما يزيد من قيمة هذا الكتاب أنه ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ يعتبر مصدرا أساسا لجملة من الأحاديث التي فقدت أصولها، وأصبح هذا الكتاب محتفظا بها وبأسانيدها، التي قد لا يعثر عليها في مصدر آخر غيره.

ولذلك يلجأ الباحثون الذين يعانون التخريج للنقل عن تلك المؤلفات المفقودة بواسطة كتاب ابن القطان.

فهذا "مسند بقي بن مخلد" المفقود إلى الآن، لا يعرف عنه شيء ذو بال، إلا من خلال ابن القطان الذي نقل منه نقولا مهمة في كتابه هذا الذي احتفظ بمادتها، وقد بقي هذا المسند الجليل موجودا بين أيدي الباحثين إلى القرن التاسع.

وهذه "سنن أبي علي بن السكن" التي لا نعلم عنها شيئا أيضا إلى الآن، قد احتفظ هذا الكتاب بنصوص منها، وهي مهمة جدا بحيث أصبح مصدرا لها، حتى يظهر أصلها إن كان له وجود.

وهذا "مستخرج قاسم بن أصبغ" ـ الذي هو محط رحال رواية المغاربة والأندلسيين، وكفى بشهرته واعتماده انقطاع ابن عبد البر إليه كلية في تمهيده، الذي لم يؤلف على غراره مثله، وأسانيد الأندلسيين عامة ترجع إليه ـ قد نقل عنه ابن القطان واعتمده، وهو في عداد المصادر المفقودة، ومادته يمكن أن تجمع من كتب الأندلسيين الذين نقلوا عنه، ويقال إنه بالخزانة الملكية بمراكش، التي في قصر السلطان ويقول د. ايت اسعيد : ولا أتحقق ذلك الآن.

وهذا كتاب فوائد ابن صخر أيضا لا نعلم عنه شيئا، وقد نقل عنه ابن القطان في هذا الكتاب ولم يكثر من ذلك، ولا يدري أهو موجود في بعض المكاتب أو فقد أساسا.

هذه أمثلة لجملة من المصنفات التي ذكرها ابن القطان في مصادره النادرة، ذكرتها للتدليل وللاستقصاء»[1].

(1) انظر بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام، لأبي الحسن القطان الفاسي، تحقيق الحسين آيت سعيد، الجزء 1، ص 303 وما بعدها، منشورات دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1997. ومما هو بارز في أنشطة المحدثين في هذه الفترة اهتمامهم باختيار أربعين حديثا، وتصنيفها وإخراجها، وتبويبها والبحث عن طرائقها، وذلك انطلاقا من الحديث الشريف القائل : «من جمع على أمتي أربعين حديثاً». ومن الغريب أن نجد أحمد ابن الرومية المعروف بابن العتاب (تـ 637هـ)، صاحب "اختصار غريب حديث مالك للدارقطني"، وذيل "كامل ابن عدي وما انفرد به كل من الشيخين عن الآخر"، له مقالة في توهين طرق هذا الحديث، وقد سبق لأحمد بن يحيى بن عميرة الضبي المرسي (تـ 599هـ)، أن جمع أربعين حديثا من المسلسلات المبوبة، وتلاه محمد بن قاسم التميمي (603هـ)، ثم محمد بن عبد الواحد الملاحي الغرناطي (619هـ)، فسن نمطا جديدا من الأربعينات، حيث جمع أربعين حديثا عن أربعين شيخا من أربعين قبيلة، من أربعين مسندا، أو مصنفا عن أربعين من الصحابة بأربعين اسما من أربعين قبيلة. ثم جاء دور ابن الأبّار (تـ 658هـ)، فخرج أربعين حديثا عن أربعين شيخا من محدثي الأندلس، عن أربعين مصنفا لمشايخ الاندلسيين عن أربعين عالما من أربعين طريقا إلى أربعين تابعا عن أربعين صحابيا بأربعين اسما من أربعين قبيلة من أربعين باباً. ومن المحاولات في تنويع الاربعينات ما قام به إبراهيم بن عبد الله ابن الحاج النميري (تـ 768هـ) في جمع أربعين حديثا مروية من طرق الأمراء والملوك، ومنها أيضا سلاسل الأسعاد بأربعين حديثا من أربعين كتابا بإسناد لنفس المؤلف. وممن اشتهر أيضا بالأربعينات أبو بكر محمد بن مسدي الغرناطي الذي جمع أربعين حديثا من روايات المحمدين، وله كذلك الأربعون المختارة في فضل الحج والعمرة. ومن أصحاب الأربعينات عبد المهيمن الحضرمي الفاسي (749هـ)، ومحمد بن عباد بن منظور (750هـ).

2. جهود المغاربة بعد ابن القطان

بعد مدرسة القاضي عياض وتحدّيات ابن القطان، تواصلت جهود المغاربة في خدمة علم الحديث، فكان منها ما هو امتداد لعمله مثل ما عند ابن عبد الملك المراكشي، الذي نقف عنده قليلاً، ومنها ما اتخذ منحى جديدا تمثل في أعمال كثيرة، تناولت جمع المدونات الحديثية، منها اختصارات مصنفات أسلافهم، ووضع التعاليق والهوامش والحواشي والتقاييد على أمهات كتب الحديث المعروفة، وأنظام لبعض مختصرات علوم الحديث، والقيام بدراسات جزئية حول أحاديث معينة لجمع طرق أسانيدها، والبحث في تصحيحها أو تضعيفها.

ـ محمد بن عبد الملك المراكشي اللواتي (634-703هـ) :

ومن أبرز محدثي المغاربة الذين ظهروا بعد ابن القطان القاضي محمد بن عبد الملك المراكشي. وهو عالم ذو أبعاد محورية كان لها تأثيرها البالغ في الثقافة المغربية. وتتمثل هذه الأبعاد في مكانة أسرته وتنوع شيوخه، وفي أهمية الوظائف التي قام بها في أواخر دول بني عبد عبد المومن وهي تعبيره عن الموحدين، وتوثيق صلاته بملوك المرينيين الأوائل وفي قيمة الآثار التي خلفها عبر مصنفاته وحملة علمه من تلامذته.

ينتسب ابن عبد الملك إلى أسرة ذات شهرة وفضل. كان والده من وجهاء عصره ومصره، وكانت أمه من عائلة فاسية، تمت بقرابة إلى أحد حفدة عبد المومن الموحدي، واشتهر أحد إخوتها بالعلم، فكان ممن له تأثير في تكوين ابن عبد الملك الذي نشأ وترعرع في مراكش حينما كانت عاصمة الملك والعلم، يفد عليها النبهاء من جميع الحواضر الإسلامية، من الأندلس إلى خراسان ؛ أمثال أبي الحجاج البلنسي وأبي عبد الله الرندي وعمر بن مودود الفارس الواعظ تلميذ ابن الجوزي.

ونشأ ابن عبد الملك شغوفاً بالعلم ومكباً على التعلم فأخذ عن أساتذة مراكش المشهورين. فكان من شيوخه اللغوي أبو زكريا بن عتيق والفقيه الديب المحدث أبو الحسن الرعيني والشاعر المهندس أبو القاسم البلوي، وأخذ علم ابن القطان عن ابنه أبي محمد وعن محمد بن علي المعروف بالشريف.

وبعدما حصل على ما أراد من علم بلده، تردد على حواضر المغرب فأخذ في مدينة آسفي عن الحافظ الضرير ابن علي الماڭري وفي فاس عن محمد بن عبد الله البكري، وفي سلا عن ابن البرادعي، وفي سبتة عن أبي القاسم العزفي وابن المرحل وابن أبي الربيع.

ثم اجتاز البحر فاتصل بأبي الناظر الغرناطي، كما كانت صلة بابن الزبير حيث تبادلا التنويه والإعجاب، وألواناً من المآخذ، فقد انتقد ابن عبد الملك منزع ابن الزبير في المذهب الشوذي الحلاجي المنزع وذكر ابن الزبير أن ابن عبد الملك من خبراء الأسانيد لكنه قليل الرواية.

وهكذا فقد عاش ابن عبد الملك في فترة نهضة علمية مزدهرة بالرغم من الاضطراب الذي وقع عند تحول الحكم من دولة بني عبد المومن إلى العهد المريني الأول، ومن أعلام الثقافة والفكر في هذه الفترة الذين كانوا على صلة بابن عبد الملك نذكر أبا عبد الله محمد العبدري صاحب الرحلة الشهيرة والرحالة المعروف ابن رشيد السبتي الذي سبق أن ذكرناه آنفاً، وقد أخذ عليه ابن عبد الملك نقده لقصائد ابن المرحل، مدافعاً عن قيمتها الأدبية وصحة مضامينها اللغوية.

ومن قرنائه الذين انتفع بصحبتهم العلمية أبو جعفر ابن شنيف العقيلي وأشار إلى قصة اغتياله بأمر من عامل حاحة. وذكر أنه خلف فوائد جمة وتعاليق أدبية كثيرة وجملة وافرة من كلام شيخه أبي المطرف بن عميرة المخزومي.

وأما تلامذته فمن أشهرهم ابنه أبو عبد الله، كما أن ابن عذارى المراكشي ممن أخذ عنه، كما روى عنه القاسم بن يوسف التجيبي الرحالة، صاحب البرنامج المعروف. وأبو الحسن علي المطماطي الذي أورد عنه رواية موطإ الإمام، عن أبي الحسن الرعيني عن أبي القاسم أحمد بن يزيد بن بقي عن أبي عبد الله محمد بن عبد الحق الخزرجي القرطبي عن ابن فرج مولى أبي الطلاع عن يونس بن عبد الله بن مغيث المعروف بابن الصفار عن أبي مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي عن أبيه عن الإمام مالك رضي الله عنه.

أما مؤلفاته فمن أشهرها مصنفه المعروف بالذيل والتكملة لكتابه الموصول والصلة، ويعتبر هذا الكتاب مرحلة هامة في كتب "الصلات" في التعريف بعلماء الغرب الإسلامي، بدأت بتاريخ ابن الفرضي وهو المعبر عنه بالموصول، وتلته صلة ابن بشكوال، ثم جاءت تكملة ابن الأبار التي أخذ منها الإمام الذهبي مستملحها ليدرجه في أعلام سير النبلاء.

ثم أسهم ابن الزبير بصلة الصلة، لكن عمل ابن عبد الملك كان متميزاً لأنه استكمل ما انتقص عند من ألف قبله، وذيل بذكر ما كان على شرطه بعدهم.

ولم يقتصر على ذكر التراجم في هذا الاستكمال بل إنه أورد استطرادات تاريخية ذات أهمية بالغة، وحكايات أدبية مفيدة وممتعة، مع إحكام في المنهج ودقة في المعلومات.

ومن المؤسف أن جميع أجزاء هذا الكتاب لم تكتشف إلى الآن، غير أن الأقسام الموجودة منه والتي تم تحقيقها من قبل الأستاذ إحسان عباس والدكتور محمد بن شريفة، تعطي صورة كافية تبين قيمة هذا المؤلف الذي يتميز بالسمات التالية :

1. **الاستيعاب :** وهذا ما أشار إليه ابن الزبير في قوله عن المؤلف : «إنه ألزم نفسه في ما الوفاء به من استيفاء ما لم يلتزمه ابن بشكوال ولا الحميدي ولا ابن الفرضي ولا من سلك مسلكهم. وينبه د. بن شريفة على استدراكه لتراجم علماء القرون الأولى وبيان ما ورد عند سابقيه من أخطاء وأوهام.
2. **الإسهاب في التراجم** مثل ما فعل في تراجم ابن الزبير وابن عميرة وابن الرومية وابن خير وابن مومن وابن القطان وأبي الحسن الشاري.
3. **وفرة النصوص الشعرية والنثرية والملاحظات النقدية**، والعناية برفع الأنساب، ودقة التنظيم المعجمي، وهذا ما أورده الدكتور بن شريفة مفصلاً في تقديمه للسفر الذي حققه من هذا المؤلف البديع.

والمصنف الثاني الذي كنا نتمنى الاطلاع عليه هو الجمع بين كتابي ابن القطان وابن المواق حول كتاب الأحكام لعبد الحق الإشبيلي. ويقول ابن عبد الملك عن هذا الكتاب في ترجمة ابن المواق : «وله تعقب على كتاب شيخه أبي الحسن بن القطان الموسوم بالوهم والإيهام الواقعين في كتاب أبي محمد عبد الحق الجاري عليه اسم الأحكام الكبرى أظهر فيه إدراكه ونبله ومعرفته صناعة الحديث واستقلاله بعلومه وإشرافه على علله وأطرافه وتيقظه وبراعة نقده واستدراكه، وقد عنيت بالجمع بين هذين الكتابين مضافين إلى سائر أحاديث الأحكام وعلى ترتيبهما وتكميل ما نقص منهما، فصار كتابي هذا من أنفع المصنفات وأغزرها فائدة حتى لو قلت إنه لم يؤلف في بابه مثله لم أبعد والله ينفع بالنية بذلك».

ومما يدعو إلى الحسرة أن هذا الكتاب لم يعثر عليه إلى الآن، وإذا ما قورن بعمل المؤلف في كتاب الذيل والتكملة، واعتبرنا رأي مصنفه فيه فإننا نقدر الخسارة الواقعة في عدم اكتشافه، إذ أنه كان محل تنويه من طرف من اطلع عليه من أصحاب ابن عبد الملك مثل أبي الحسن المطماطي والعبدري وابن الزبير.

وقد سبق أن تحدثنا عن كتاب ابن القطان واستعرضنا الدراسة التي قام بها الدكتور آيت سعيد حوله.

ومن تقييدات ابن عبد الملك في علوم الحديث مقالة حول كتاب الأربعين حديثاً لأبي القاسم الغرناطي الملاحي ذكرها في ترجمته حيث قال إن من مؤلفاته : «كتاب الأربعين حديثاً عن أربعين شيخاً من أربعين قبيلة في أربعين باباً من العلم من أربعين بين مسند ومصنف عن أربعين من التابعين من أربعين قبيلة من الصحابة رضي الله عنهم بأربعين اسماً من أربعين قبيلة معرفاً بجميعهم رحمهم الله من صحيح حديث رسول الله ﷺ». وقال الملاحي : «إن هذه أعجوبة حجبها الله تعالى، فلم يقع أحد في علمي عليها، فله الحمد والشكر أن هداني ووفقني إليها».

ويقول ابن عبد الملك إن ما تضمنته هذه الترجمة من ذكر أنواع الأربعين لا يصح أكثرها، ولا يسلم على الانتقاد منها إلا أقلها، وإنه قد نبه على ما لحقه فيما أخل به من ذلك في مقالة بين فيها معتمد الملاحي ومبتغاه.

وبهذا ننهي الحديث عن ابن عبد الملك المراكشي بإيجاز وفي النفس شيء مما لم تستطع بسطه بسبب طبيعة هذا الكتاب الداعية للاختصار، ونظراً لضياع كثير من آثاره المفقودة، ولاشك أننا أمام عالم موسوعي كبير على شاكلة القاضي عياض ونظرائه، إذ أن الذي ظهر لنا من مؤلفاته وآثاره يدل على براعته وعظمته، ولعل ما خفي كان أعظم.

وبعد أعمال ابن القطان وابن عبد الملك نلاحظ أن حركة الحديث في المغرب تركزت على الأعمال التالية :

أولاً : جمع المدونات

سبق أن رأينا من الذين اهتموا بجمع المدونات : محمد بن سليمان الروداني (تـ 1094هـ)[1]، مصنف "جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد"، جمع فيه بين "جامع أصول" ابن الأثير و"مجمع" الهيثمي. ويتضمن حديث أربعة عشر كتابا، وهي الصحيحان، والموطأ، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي، ومسانيد أحمد بن حنبل، وأبي يعلى، والبزار، ومعاجم الطبراني الثلاثة. وأحاديثه تنيف على عشرة آلاف حديث، وفيها الصحيح والضعيف والموضوع ؛ وقد تقدمت ترجمته في الفصل المخصص لأصحاب الجوامع[2]. ويقول الباحث عبد الله بن محمد التليدي «إنه عمل مشكور، ولو روعي فيه الاستغناء عن غير الصحيح لكان أتم»[3].

(1) الأعلام للزركلي، ج 6، ص 151.

(2) انظر ص 493 وما بعدها.

(3) تراث المغاربة في الحديث الشريف وعلومه، لمحمد بن عبد الله التليدي، ص 162.

ـ السلطان المولى محمد بن عبد الله بن المولى إسماعيل العلوي (تـ 1204هـ) :

ليس من الغريب أن نرى ملكاً عالماً متبحراً أو شاعراً مبدعاً، لكن ليس من المألوف أن نجد ملكاً من مشاهير كبار الأئمة في العلوم وكذلك في تدبير شؤون الدولة، وما يتطلب من انشغالات يومية ما لا يدع مجالاً لتعاطي البحوث العلمية وإصدار المؤلفات المتخصصة. وإذا ما صادفنا أحداً من هؤلاء العلماء الحكام فإنه قد يكون ضرباً من الاستثناء. والملاحظ أن ملوك المغرب جعلوا من هذا الاستثناء شبه قاعدة، واشتهر منهم علماء أجلاء، ومن أبرزهم السلطان المولى محمد بن عبد الله بن المولى إسماعيل، الذي زاوج بين ضبط أمور مملكته وجهاده في تحرير ما احتل من وطنه وبين خدمة علوم الحديث. وكان عمله في هذا المجال يتسم بالموسوعية وبالدقة في الترتيب وفي مراعاة الصحيح لاختياره ما اتفق عليه من الأحاديث.

ألف السلطان محمد بن عبد الله "الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية"، صنّف أولاً "الفتوحات الصغرى" وتشمل ثلاثمائة حديث من الموطإ، والصحيحين، ومسند أحمد، ورتبها على أبواب الفقه، و"الفتوحات الكبرى" وجمع فيها أكثر من ألفي حديث مما اتفق عليه الستة، أو الخمسة بحذف ابن ماجة، ثم الثلاثة. ثم ذكر مسانيد الأئمة الأربعة، يسوق في كل واحد منها أربعمائة حديث، وقد طبع هذا الكتاب في الرباط سنة 1364هـ[1].

ثانياً : المختصرات

ومن الذين عنوا باختصار كتب الحديث : إبراهيم بن هلال السجلماسي الذي اختصر "فتح الباري"[2]، ومحمد بن عبد الرحمن الصغير الفهري الفاسي (تـ 1134هـ)[3] وعلي بن أحمد الحريشي الفاسي (تـ 1148هـ)[4] ومحمد بن أحمد الجزولي الحضيكي (تـ 1189هـ)[5]، وعبد الرحمن بن إدريس العراقي (1234هـ)[6]، وكل من هؤلاء الأربعة قد قام باختصار كتاب "الإصابة" للحافظ ابن حجر.

(1) المصدر نفسه، ص 219.
(2) المصدر السابق، ص 174.
(3) المصدر السابق، ص 36.
(4) المصدر السابق، ص 36.
(5) المصدر السابق، ص 37.
(6) المصدر السابق، ص 37.

وقد اختصر عبد الرحمن بن إدريس أيضا "لسان الميزان"[1] كما أن الحريشي اختصر كذلك كتاب "اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة" للإمام السيوطي[2]. واختصر كتاب الرشاطي في الأنساب.

واختصر الحضيكي شرح القسطلاني لصحيح البخاري[3]. واختصر محمد الكبير بن محمد السرغيني (تـ 1164هـ) صحيح مسلم[4].

وسوف نرى أن أبا الحسن الدمنتي كان ممن اختصر حواشي السيوطي على الصحاح الستة، وكتاب المنذري في "الترغيب والترهيب".

ثالثاً : أصحاب التعاليق والحواشي

ومن أصحاب التعاليق والحواشي والتقاييد والأمالي الشيخ أبو العباس أحمد زروق البرنسي (تـ 899)، وله تعليقات على صحيح البخاري[5]، وكذلك محمد بن عبد الملك المنتوري (تـ 834) صاحب البرنامج المشهور وكتاب "الأمالي في الأحاديث العوالي".

وكذلك الإمام ابن غاز (تـ 919هـ) واضع "الحواشي على صحيح البخاري" و"إرشاد اللبيب إلى أحاديث الحبيب"[6]. والشيخ محمد بن ناصر الدرعي (تـ 1080هـ)، صاحب التعاليق والهوامش على الصحيحين وعلى سنن أبي داود، واللغوي الشهير محمد بن الطيب الشرقي (1170هـ) الذي وضع حاشية على شرح القسطلاني لصحيح البخاري[7]. وكذلك الشيخ محمد بن زكري القاضي (1144هـ) وله تعليق على صحيح البخاري[8]. وكذلك الشيخ محمد التاودي بن سودة (تـ 1202هـ) صاحب التعاليق على صحيح البخاري وعلى شمائل الترمذي[9]. وأحمد بن عجيبة الأنجري (1224هـ) الذي وضع حاشية على "الجامع الصغير"[10]. ومحمد بن الشريف العلوي (تـ 1302هـ)، وله تعاليق على موطإ الإمام مالك وعلى صحيح البخاري[11]، والمكي البطاوري (1356هـ) وله تقييد على الموطإ[12].

(1) المصدر السابق، ص 39.
(2) المصدر السابق، ص 39.
(3) المصدر السابق، ص 174.
(4) المصدر السابق، ص 248.
(5) المصدر السابق، ص 107.
(6) المصدر السابق، ص 42.
(7) المصدر السابق، ص 131.
(8) المصدر السابق، ص 130.
(9) المصدر السابق، ص 108.
(10) المصدر السابق، ص 132.
(11) المصدر السابق، ص 107.
(12) المصدر السابق، ص 112.

ومن هؤلاء أيضا المحدث أحمد بن محمد العمراني الفاسي (تـ 1370هـ)، الذي وضع تعاليق على "الترغيب والترهيب"، وله تقييد في الأحاديث الصحيحة التي لم يعمل بها الإمام مالك، كما قام بتخريج أحاديث "المدونة الكبرى" حسبما ذكر ابن الفاطمي السلمي في كتابه "إتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ"[1].

رابعاً : أصحاب الأنظام

ومنهم علي بن عبد الواحد السجلماسي (تـ 1054هـ)[2] وعبد الله بن طاهر العلوي (تـ 1045هـ)[3] لكليهما نظم في مصطلح الحديث.

وقام كل من الشيخ عبد القادر الفاسي وابنه عبد الرحمن بنظم لـ"نخبة الفكر في مصطلح الحديث" لابن حجر. وقد نظمها أيضا محمد بن سعيد العباسي السوسي[4].

وللسلطان عبد الحفيظ العلوي نظم في الشمائل النبوية[5] ونظم في مصطلح الحديث[6].

ولمحمد بن أحمد مياره الحفيد (تـ 1144هـ) نظم "اللآلئ والدرر في اختصار مقدمة ابن حجر"[7]. ونظم الحافظ محمد بن جعفر الكتاني (تـ 1345هـ) نظم "المتناثر من الحديث المتواتر"[8].

خامساً : أصحاب الدراسات المتعلقة ببعض الأحاديث

وهذا مما برز في المدرسة الكتانية والصديقية، ولقد كان لمدينة فاس الحظ الأوفر في خدمة علوم الحديث إذ نشأت في أحضانها زوايا وجامعات أشرف عليها أئمة أعلام، نشروا المعارف في مدارس رائعة في فنها المعماري ورائقة في مستواها العلمي، واشتهرت منها بيوتات علمية كان لها صيتها العالي في الأوساط العلمية العالمية.

(1) المصدر السابق، الصفحات 48-82-175-159-160.

(2) المصدر السابق، ص 287.

(3) المصدر السابق، ص 287.

(4) المصدر السابق، ص 289.

(5) المصدر السابق، ص 288.

(6) المصدر السابق، ص 289.

(7) المصدر السابق، ص 288.

(8) المصدر السابق، ص 289.

ومن الأئمة الذين نهضوا بعلوم الحديث نورد مجموعة بارزة من علماء فاس مع إدراج المحدث الكبير علي الدمناتي الذي يعطي مثالاً عن إسهام الجنوب المغربي في النهضة الحديثية في المغرب، ومن أعلام المحدثين في فاس.

1. عبد القادر الفاسي : أبو السعود عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي (تـ 1091هـ)[1]، يقول القادري في كتابه "مطلع الأشراق" : إن رئاسة الحديث في فاس انتهت إلى رضوان الجنوي ثم إلى تلميذه القصار ثم إلى تلميذه أبي زيد عبد الرحمن بن محمد العارف الفاسي (تـ 1086هـ)، ثم إلى عبد القادر بن علي الفاسي.

والشيخ رضوان بن عبد الله الجنوي (تـ 991هـ) هو إمام وقته ومسند عصره، كان ملازما لسقين العاصمي وخلفه في الإقراء، وقال عنه القصار : لو أدركه أبو نعيم لجعله من رجال "الحلية".

أما القصار فهو أبو عبد الله محمد بن قاسم الفاسي (تـ 1012هـ) الإمام الجليل الذي قيل عنه :

قد حاك أشتات العلوم أئمة وكسوا بها بالفضل من هُو عار

رقت حواشيها وراق طرازها لكنها تحتاج للقصار

والثالث من هؤلاء الأعلام هو أبو زيد عبد الرحمن الفاسي، مؤلف "تشنيف المسامع ببعض فوائد الجامع"، وهو من أصحاب الحواشي على صحيح البخاري، وله طرر على شمائل الترمذي.

وقد تزود الشيخ عبد القادر من علم عمه وعم أبيه، إذ قرأ على أبي زيد وأبي حامد محمد العربي الفاسي (تـ 1052هـ) مؤلف "الطرفة في ألقاب الحديث"، وناظم "نخبة الفكر" ثم شرح نظمه له.

أما عم أبيه فهو الحافظ الكبير أحمد بن يوسف الفاسي (تـ 1021هـ)، شارح "عمدة الأحكام" لعبد الغني الدمشقي، ومؤلف "الدرر الحسان في الكلام على ليلة النصف من شعبان"، وله أيضا حاشية على صحيح مسلم. وهو الذي قال محمد بن أبي بكر الدلائي في حقه : «إن حفاظ المغرب ثلاثة : حافظ ضابط ثقة، وهو سيدي أحمد بن يوسف، وحافظ ضابط غير ثقة، وحافظ غير ضابط، وغير ثقة». وقد سماهم أبو عيسي المهدي بن طاهر الفاسي، فقال :

(1) الأعلام للزركلي، ج 4، ص 41.

ثـلاثـة قـالوا حفاظ المغرب	المقري والفلالي قل لمغربي
ثـالثـهم أبـو العبـاس أحمـدُ	بـالعـلـم والسـر لـه تـفـرد
فالضبط في المقري ولا تبالي	والحفظ لا غيره في الفلالي
وفي ابن يوسف له قد جمعا	الضبط والثقة منه صدعا
هذا الذي روينا عن أعيان	أشياخ وقتنا زهر الزمان

والملاحظ أن تجريح المقري غير مسلم عند جمهور العلماء. ومن أشهر من أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي وولداه الشيخ عبد الرحمن (تـ 1096هـ) ناظم "إستطابة التحديث بمصطلح أهل الحديث"، و"استنزال السكينة لتحديث أهل المدينة"، و"مفتاح الشفا". وأخوه الشيخ محمد بن عبد القادر شارح حصن الحصين.

ومن أعلام المحدثين من هذه الأسرة أبو حفص عمر الفاسي وعبد الحفيظ بن محمد.

2. إدريس العراقي : هو أبو العلاء إدريس بن محمد بن حمدون العراقي الحسيني الفاسي (تـ 1184هـ)[1]، أخذ عن والده وعن الشيخ محمد المسناوي، حفيد محمد بن أبي بكر الدلائي وعن ابن زكري وميارة الصغير، وروى عن أبي الحسن علي بن أحمد الحريشي الفاسي، وعن المحدث الشهير أبي القاسم أحمد بن سليمان الأندلسي الفاسي، وعن أبي العباس أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي، وعن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني ومحمد بن قاسم جسوس، وعن أبي العباس أحمد بن مبارك اللمطي.

قال عنه ابن عمه العلامة أبو محمد الوليد بن العربي العراقي إنه كان إماما في علم الحديث انفرد بذلك في وقته، فكان لا يقاومه فيه أحد، وقد لقب بسيوطي زمانه، وقال عنه أبو حفص عمر الفاسي إنه أحفظ من ابن حجر، له عليه استدراكات فيما فات على ابن حجر من المدلسين. وأنه استدرك على السيوطي خمسة آلاف حديث في "الجامع الصغير"، وقد نوه به شيخه أحمد بن عبد الله العربي، إذ يقول إنه في المحل الأعلى والموضع الأعز الأحلى، حفظا واتقانا وتمييزا لحال المتون ورواتها، ويقول عنه أبو الفيض مرتضى الزبيدي المصري إنه حافظ العصر، الذي اعتنى بعلم الحديث حفظا وضبطا ورواية ودراية.

وممن أخذ عنه المحدث محمد بن الصادق بن ريسون وولداه عبد الله وعبد الرحمن وكلاهما كان عالما محدثا، وقد أكمل أولهما شرح والده للثلث الأخير من الصغاني وقام باختصار "الحلية" لأبي نعيم، واختصر الثاني كتاب الإصابة لابن حجر.

---

(1) الأعلام للزركلي، ج 1، ص 280، وقد ذكر مؤلفاته ومصادر ترجمته.

مؤلفات الإمام العراقي :

1. "اختصار الكامل" لابن عدي.
2. تخريج أحاديث الشهاب القضاعي.
3. تخريج الرقائق للحضرمي.
4. تعليقات على صحيح البخاري.
5. "تكميل المباني وتوضيح المعاني لما أغفله شارح الصغاني".
6. "الدرر اللوامع في الكلام على أحاديث جمع الجوامع".
7. شرح "الجامع الصغير" للسيوطي (شرح منه مائة حديث).
8. شرح شمائل الترمذي.
9. الفتاوي الحديثية.
10. "فتح البصير بالتعريف بالرجال المخرج لهم في الجامع الكبير".
11. "المستدرك على الجامع الكبير".
12. موارد أهل السداد والوفا في تكميل مناهل الصفا للسيوطي في تخريج أحاديث الشفا.
13. نبذة يسيرة في أحاديث البسملة والحمدلة.

3. محمد الطيب بن كيران (تـ 1222هـ)[1] : مؤلف "الكواكب المنتثرة في الأحاديث المشتهرة"، واهتم أيضا بمجموعة من الأحاديث ذات مغزى خاصة، منها حديث : إذا حدثتم عني بحديث يوافق فخذوا به حدثت به أم لم أحدث به. وقد قال يحيى بن معين إنه من وضع الزنادقة، ومنها أيضا حديث : ماء زمزم لما شرب له، وأحاديث حول البسملة والصلاة والحمدلة.

وسوف نرى أن هذا النوع من الأحاديث استأثر باهتمام كبير عند علماء الحديث في المغرب.

4. علي بن سليمان الدمنتي (1306هـ)[2] : وهو أبو الحسن علي بن سليمان الجمعوي المحدث الفقيه الموسوعي، أخذ في المغرب عن الشيخ التمجدشتي السوسي

---

(1) الأعلام للزركلي، ج 6، ص 178، وقد ذكر مؤلفاته ومصادر ترجمته.

(2) فهرست الفهارس للكتاني، ج 1، ص 176 وما بعدها، وقد ذكر هناك ثبته، وقال إنه مطبوع بمصر وذكر بعضاً من مؤلفاته وأسانيده في روايتها.

وأبي العباس أحمد بن عمر الدكالي، وفي المشرق عن عبد الغني الدهلوي المدني وحسن بن إبراهيم الأزهري المكي، وله ثبت مشهور، ذكر فيه شيوخه وإجازاته، واشتهر باختصاراته لحواشي السيوطي على كتب السنن، فألف :

- "روح التوشيح على الجامع الصحيح"، اختصار حاشية السيوطي على البخاري.
- "درجات مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود"، اختصار حاشية السيوطي على السنن.
- "نفع قوت المغتذي على جامع الترمذي".
- "نور مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه".
- "وشي الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج".
- "عرف زهر المرئ على المجتبى للنسائي".

وله أيضا منظومة في المصطلح، وقد قام بشرحها. وله "ترتيب أحاديث الجامع الصغير"[1] و"اختصار الترغيب والترهيب" للمنذري[2]، وله كذلك :

- الفيض المتفجر في لفظ درر ابن حجر.
- لسان المحدث في أحسن ما به يحدث.

5. المدرسة الكتانية ومشاهير علمائها :

أ) محمد بن جعفر الكتاني (تـ 1345هـ) : اشتهر والده الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني[3]، وله حواش على البخاري والترمذي، لم تتم، وتأليف في حديث : «إن الله يبغض أهل البيت اللحميين»، وكانت أعماله بمثابة بذرة، أنبتت كثيرا من الأشجار، وتفرعت غصونها، وأينعت ثمارها، غير أنها احتفظت بميزتين اثنتين إحداهما : التوسع في معرفة كتب السنة، والثانية العناية بمفردات الأحاديث، وكان مؤسس هذه المدرسة

(1) ذكر له التليدي في تراث المغاربة إلى جانب الترغيب والترهيب، كتاب جوامع الكلم الحسنة المنتصرة في لوامع حكم السنة المختصرة، وذكر أنه رتب فيه أحاديث الجامع الصغير للسيوطي حسب مراتبها اعتماداً على رموز السيوطي المثبتة على نسخة عتيقة، وقف عليها بتمكروت وجعل كل نوع على حدة، ص 128.

(2) يعرف بالترغيب والترهيب في اختصار الترغيب والترهيب، انظر فهرست الفهارس للكتاني، ج 1، ص 771، قال : «في سفر رباعي ضخم» وذكر باقي مؤلفات علي بن سليمان الدمنتي.

(3) انظر ترجمته في الأعلام للزركلي، فقد ذكر مؤلفاته ومصادر ترجمته.

هو المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني. فكان له الفضل في وضع مناهج هذه المدرسة ورسم اتجاهاتها، كما أرسى لها أربع دعائم، وهي : 1. العناية بمواضيع مفردة، 2. إبراز مجموعة من الأحاديث الموضوعة، 3. تخريج أحاديث بعض المصنفات، 4. بيان تصانيف الكتب الحديثية. وله :

1. "الأقاويل المفصلة في حديث الابتداء بالبسملة".
2. "الدعامة في أحكام سنة العمامة".
3. "تعجيل البشارة للعامل بالاستخارة".
4. "شفاء الآلام والأسقام بما يكفر ما تقدم وما تأخر من الذنوب والآثام".
5. "جلاء القلوب من الأصداء الغيبية ببيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية".
6. "بلوغ المرام ببيان ما تنفر منه الملائكة الكرام"،
7. "المطالب العزيزة الوفية في تكلمه صلى الله عليه وسلم بغير العربية".
8. طرر على شرح الطرفة لمحمد بن عبد القادر الفاسي.
9. تخريج أحاديث الشهاب القضاعي.
10. الرسالة المختصرة فيما لا يسع المحدث جهله من كتب السنة.
11. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة.
12. نظم المتناثر من الحديث المتواتر ضمنه ثلاثمائة حديث من المتواتر لفظا أو معنى، واستدرك على السيوطي في "الأزهار المتناثرة" أكثر من مائتي حديث.

ب) عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني : (تـ 1382 هـ)[1]، يذكر هذا العالم الفذ أن المسند عفيف الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله بلفكية (المتوفى سنة 1266هـ). قال في "بذل النحلة" : «أكاد أجزم أنه لا يوجد كتاب مشهور أو مهجور في علم من العلوم منثور أو منظوم من فروع أو أصول مما تلقته أئمة الدين بالقبول، أو خرقة مشهورة أو غير مشهورة أو تلقين أو بيعة أو غير ذلك من اصطلاحات أهل التمكين إلا ولي فيها اتصالات أكيدة من طرق عديدة»)[2]، كما أورد قول الشيخ مرتضى الزبيدي عن نفسه في ألفية السند :

(1) انظر ترجمته في الأعلام للزركلي، فقد ذكر مؤلفاته ومصادر ترجمته، ج 6، ص 187.

(2) فهرست الفهارس للكتاني، ج 1، ص 247 وما بعدها.

وقل إن ترى كتابا يعتمد إلا ولي فيه اتصال بالسند

أو عالما إلا ولي إليه وسائط يوقفني عليه

وهذا القول ينطبق على مؤلف "فهرس الفهارس".

وكتاب "فهرس الفهارس"[1] بمثابة موسوعة شاملة في كتب الأسانيد، كمعاجم الشيوخ، وأثباتها، ومشيخاتها، وقد أتى فيه المؤلف بكثير من الفوائد الغريبة، وترجم فيه لعدد كبير من المحدثين، في كل قطر من أصقاع العالم الإسلامي. نورد من ذلك بعض أسانيده.

أسانيده :

والمطالع لها قد يتملكه العجب مما جمع هذا العالم من روايات وإجازات عن كل مسند في عصره وفوائد مهمة ونوادر جمة، ومنها :

سند المغاربة : وله عن علماء المغرب روايات لا تدخل تحت الحصر، نذكر منها ما قال إنه أعلى سند له عن ابن غازي، وهو عن القاضي أبي العباس أحمد بن الطالب بن سودة عن مصطفى بن الكيابطي عن علي بن الأمين عن الشيخ التاودي بن سودة عن ابن عبد السلام بناني على أبي السعود الفاسي عن ابن أبي النعيم عن أبي مجبر عن ابن غاز، صاحب "التعلل برسوم الإسناد بعد ذهاب أهل المنزل والناد"[2].

سند الجزائريين : وتتصل رواياته بالعالم الجزائري الكبير المحدث أبي القاسم البوني من طريق أبي محمد عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن بن الأمين الجزائري عن مصطفى بن أحمد سادات القسمطيني عن السيد محمد المكي قاضي قسمطينة عن عبد الملك الراشدي عن عمه القاضي عبد القادر بن محمد الراشدي، عن محمد بن علي الجعفري، وهو إسناد مسلسل بالقسمطنيين عن البوني. وذكر أن عبد القادر الراشدي من أشياخ مرتضى الزبيدي.

سند علماء تونس : ومن أسانيده عن علماء تونس ما رواه عن الشيخ محمد الطيب النيفر والشيخ سالم بو حاجب، كلاهما عن بيرم الرابع، وهو عن أبيه بيرم الثالث العلامة المسند المتوفى سنة 1259هـ، وهو عن أبيه وشيخه بيرم الثاني (تـ 1248هـ)، وهو عن أبيه وشيخه بيرم الأول (تـ 1240هـ). وذكر أن مدار أسنادهم على ثبت أبي

(1) فهرست الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، منشورات دار الغرب الإسلامي، باعتناء د. إحسان عباس.

(2) فهرست الفهارس للكتاني، ج 1، ص 288 وما بعدها.

السعود عبد القادر الفاسي، عن طريق إجازة المكودي لبيرم الأول، وإجازة أحمد بن مبارك المكودي، وقال إنه قد فاتهم أن ابن المبارك كان يروي عن أبي عبد الله المسناوي. والمسناوي الدلائي كان يروي عن أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي والتاجمعتي والعطار المراكشي، ثلاثتهم عن عبد القادر الفاسي.

سند علماء الحجاز : يذكر اتصاله بمحدثي الحجاز عن طريق كتاب "الإرشاد" لمحدث الهند الشيخ ولي الله الدهلوي، الذي يتصل سنده بعلماء الحجاز أمثال : الحافظ محمد ابن العلاء البابلي (تـ 1022هـ)، وأبي مهدي عيسى الثعالبي الجزائري المكي (تـ 1082هـ) وحسن العجيمي (تـ 1113هـ)، الذي كان من أَجَلِّ أصحاب الثعالبي، والحافظ أبي العباس أحمد النخلي (تـ 1130هـ)، صاحب "بغية الطالب". كما أورد أسانيد أخرى متعددة من علماء مكة التي كانت تجبى إليها ثمرات أعمال المحدثين من كل مكان في العالم أمثال قطب الدين النهروالي، وعبد الله البصري، مؤلف كتاب الإمداد بمعرفة علوم الإسناد، والحافظ إبراهيم بن حسن الكوراني المدني (1101هـ) صاحب "الأمم لإيقاظ الهمم".

سند المصريين : لقد ذكر أسانيد كثيرة توصله إلى الحافظ ابن حجر، ورواياته المتعددة عن أبي الفيض مرتضى الزبيدي، مؤلف "ألفية السند"، التي يقول فيها :

ضمنتها ما لي من الإسناد   عن الشيوخ السادة الأمجاد

وفي حديثه عن أبي الفيض مرتضى الزبيدي أسهب في طرقه عنه التي تجاوزت العشرات، ومنها رواية عبد الله السكري عن مسند الشام الوحيد عبد الرحمن بن محمد الكزبري عن الزبيدي، وإلى ابن حجر برواية الزبيدي عن أحمد سابق بن رمضان الزعبلي عن البابلي عن محمد حجازي الشعراوي عن علي الأجهوري عن الشمس الرملي عن زكرياء الأنصاري عن ابن حجر.

ومن غرائب ما ذكر في رواياته عن ابن حجر ما عزاه للعلامة الأديب المؤرخ محمد الأمين الصحراوي الشنقيطي القائل : «حدثني العلامة الصوفي سيدي الحاج أحمد بن سوده ونحن بدكالة عام 1284هـ، أنه رأى أيام موسم الحج رجلا من الحبشة وله من العمر نحو ستمائة سنة»، ويقول الكتاني ولعل الحبشي هو الذي أخبر أحمد الشريف السنوسي الخطابي أنه أخذ عنه إجازة عن ابن حجر. وأن هذا المعمر اسمه عبد العزيز وأنه عاش أزيد من خمسمائة سنة، وتوفي في صفر سنة 1276هـ.

سند أهل اليمن : وذكر اتصاله بابن الوزير اليمني (تـ 840هـ)، وذلك عن طريق ابن العجلي اليمني الإمام الضرير عن يحيى بن مكرم الطبري المكي، عن عبد العزيز بن فهد عنه، بواسطة ثبت الإمام محمد بن علي الشوكاني. ويروي الشيخ الكتاني هذا الثبت

من عدة أسانيد منها ما ذكره عن محمد بن سالم بن هارون التريمي عن السيد عيدروس بن عمر العلوي عن عبد الله بن الحسين بلفظه عن الإمام الشوكاني. كما يذكر أنه يتصل به عن طريق الشهاب أحمد بن صالح السويدي عن محمد بن سِنّة عنه.

سنده عن علماء السودان وبلاد التكرور : ذكر رواية عن محمد بن سنة الفلاني، وقدم له ترجمة مفصلة. وقال إنه ولد سنة 1042هـ، وإنه دخل شنقيط وتيشيت وولاتة، وأروان وتينبكتُ واتوات ومراكش وفاس، ولازم مولاي الشريف محمد بن محمد عبد الله الولاتي، وأنه قد أجازه علماء عصره في الحرمين، ومن أهل اليمن وأهل مصر والمغرب، وذكر أن الشيخ صالح الفلاني الذي ذكر له أكثر من تسعمائة شيخ، قد لازمه أربع سنين وأنه هو أجل شيوخه، وأنه قد توفي سنة 1186هـ، وقد روى عنه الكتاني بوسائط عدة، منها روايته عن محمدي بن أحمد بن بدي العلوي الشنقيطي، عن والده محمدي عن الشيخ محمد الحافظ العلوي الشنقيطي عن صالح الفلاني عن محمد بن سِنّة.

سنده عن علماء الهند : ومن رواياته عنهم في كتاب "الباقيات الصالحات في المسانيد والأوائل والمسلسلات" لمحمد قيام الدين اللكنوي الهندي، وذكر أنه أخذ عن شيخيه محمد حيدر الأنصاري وعبد الباقي اللكنوي، وأن قيام الدين تفرد بالأخذ عن عين القضاة اللكنوي والشيخ محمد حسين الاله آبادي، ومن غرائب رواياته روايته لنيف وأربعين حديثا عن جده المعمر محمد عبد الرزاق اللكنوي عن القاضي مهنية الجني الصحابي عن النبي صلى الله عليه وسلم[1].

6. مدرسة أبناء الصديق :

ومن مشاهير هذه المدرسة :

أحمد بن الصديق الغماري : لقد تزعم هذا المحدث الكبير مدرسة حديثية جديدة، جددت رسوم المنهج الذي رأيناه عند الكتانيين في تناول مجموعات من الأحاديث المشتهرة، والبحث في طرقها وتصحيحها، فأنشأوا بذلك نوعا من النقد الحديثي التفصيلي، وهكذا اعتاد العلامة أحمد ابن الصديق أن يتناول هذه الطرق إجمالا مثل "إرشاد المربعين إلى طرق الأربعين"، وكتاب "الإشراق على طرق الأربعين المسلسلة بالإشراق" لعبد الحي الكتاني، و"نيل الطالب ما يرجوه من طرق حديث : اطلبوا الخير عند حسان الوجوه"، ومنها أيضا "المهم بطرق حديث" "طلب العلم فريضة على كل

---

(1) انظر هذه الطرق في الأسانيد والتراجم في فهرست الفهارس للكتاني، ج 1، ص 33 وما بعدها.

مسلم″. و″رفع المنار بطرق حديث : من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار″، ومنها المناولة بطريق حديث المطاولة، وهو يعني قوله صلى الله عليه وسلم : أولكن لحوقا بي أطولكن يدا″. وكتاب ″الهدي المتلقى في طريق حديث : أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا″.

ومن هذا القبيل عنايته بتصحيح بعض الأحاديث أو تضعيفها منها الاستعاذة والبسملة من صحح حديث البسملة، وهو يعني ما نسب إليه صلى الله عليه وسلم من قوله : «كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بالبسملة...».

ومن الأحاديث التي يرى أنها موضوعة، ما قال في ″إسعاف الملحين ببيان وضع حديث : إذا ألف القلب الإعراض عن الله ابتلي بالوقيعة في الصالحين″، و″إظهار ما كان خفيا من بطلان حديث : لو كان العلم بالثريا″، وله أيضا ″تعريف المطمئن بوضع حديث : دعوه يئن″ الذي رواه الديلمي في ″الفردوس″. وله كذلك ″إياك والاغترار بحديث : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا″.

ومما قام به من تخريج أحاديث بعض المؤلفات كتابه في تخريج أحاديث ″الشفا″ للقاضي عياض، وتخريج أحاديث ″بداية المجتهد″ لابن رشد الحفيد، كما ألف ″منية الطلاب في تخريج أحاديث الشهاب القضاعي″، وكتاب ″نيل الزلفة بتخريج أحاديث التحفة″.

وقد قام أيضا بنوع آخر من التخريج لا يتناول إسناد الأحاديث إلى المدونات الأصلية، وإنما هو استخراج الدلائل الحديثية للأحكام الفقهية، مثل تخريج الدلائل في رسالة ابن أبي زيد.

هذا وقد استقصى الباحث النابه الأستاذ التليدي في كتاب ″تراث المغاربة″ مؤلفاته التي جاوزت التسعين في شتى مواضيع الحديث[1]، وقد نحا نحو الشيخ أحمد إخوته العلماء مثل الشيخ عبد الله الذي أفرد له الدكتور فاروق حماده مؤلفاً خاصاً عن حياته العلمية، ومؤلفاته الحديثية[2]، والثاني من أخوته المحدثين الدكتور الباحث المتعمق إبراهيم بن الصديق، مؤلف كتاب ″العلل عند ابن القطان″[3].

(1) تراث المغاربة في الحديث الشريف وعلومه لمحمد بن عبد الله التليدي، أرقام كتب 2-3-65-59-67-75-80-103-108.... وغيرها. انظر فهرست الكتاب، ص 367.

(2) صدر عن دار القلم في دمشق ضمن سلسلة ″علماء ومفكرون معاصرون″.

(3) علم العلل بالمغرب، للدكتور إبراهيم بن الصديق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1995.

الفصل الرابع : علوم الحديث في المحاضر الشنقيطية

تمهيد

مع مستهل القرن السادس الهجري، بدأ الحديث عن أول العلماء في شنقيط، الذين بنوا الحواضر القديمة في هذا القطر وأسّسوا المدارس لتعليم الثقافة الإسلامية.

ويذكر من بين هؤلاء الرواد اثنان من تلامذة القاضي عياض، وهما الشيخ صالح الإدريسي (تـ 536هـ) الذي أنشأ مدينة تيشيت والحاج عثمان الأنصاري (570هـ)، مؤسس مدينة وادان[1]، وبعدهما بُناة مدينة شنقيط وهم : يحيى وأعمر من العلويين ومحمد الأبيض جد قبيلة الأقلال.

وقد كان في هذه المدن الثلاث نشاط علمي كبير إلا أن علوم القرآن والفقه استأثرت باهتمام الدارسين بحثا وتأليفا، وكانت دراسة كتب الحديث تكاد تقتصر على التبرك والتعبد. ولم تظهر العناية بعلوم الحديث بعد القرن الحادي عشر، ولعل أول ما يطالعنا فيها هو العلامة الحسن بن آغبدّي التيشيتي المتوفى سنة (1123هـ)[2]، ومحمد بن المختار بن الأعمش (1107هـ)[3] العالم الشهير والمذكور في سند إجازات القرآن والحديث عند العلماء الشناقطة وأحمد بن محمد بن الفقيه بن أبي بكر بن أحمد الفقيه التيشيتي (1178هـ) ومحمد بن حبيب الله المجلسي (تـ 1170هـ)[4]، والمختار بن سيد الأمين الجكني (1220هـ) الذي قيل إنه كان يحفظ الصحيحين لا يلتبس عليه موضع "أخبرنا من حدّثنا"[5].

وهكذا ظل الاهتمام بالحديث بمعزل عن قضايا الأحكام الشرعية حتى أن المُحدّث الأول في بلاد شنقيط سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم لم يستثمر نتائج

(1) الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، لمحمد الحافظ بن المجتبى، ص 29 المطبعة السريعة، ط 2، 2003.

(2) نفسه، ص 135.

(3) نفسه، ص 54.

(4) نفسه، ص55.

(5) نفسه، ص 68.

معارفه الحديثية في نوازله الفقهية بقدر ما استثمر فيها معلوماته الأصولية، بينما كان الفقيه محمد يحيى الولاتي في شرحه لصحيح البخاري أقرب منه إلى التقريب بين الأصول الحديثية والفروع الفقهية.

أما المنحى العام للفقهاء فقد بقي متمثلا في هذه التفرقة اعتبارا أن الاستدلال بنصوص الكتاب والحديث من اختصاص المجتهد المطلق، ويقول ابن الحاج إبراهيم :

مَنْ لَمْ يكُنْ مُجْتَهِداً فالعَمَلُ ... مِنْهُ بِمَعْنَى النّصّ مِمّا يُحْظَلُ

والاجْتِهَادُ فِي بِلادِ المَغْرِبِ ... طَارَتْ بِهِ فِي الجَوِّ عَنْقاً مُغرب

ولم يبق للعلماء الشناقطة سوى رتبة التقليد، ومن جاوزها فإنه لم يبلغ سوى مستوى المجتهد في المذهب، وهذا هو رأي كبار العلماء أمثال محنض بابه بن إعبيد الديماني، ومحمد بن محمد سالم المجلسي، وحبيب الله ابن القاضي، وأحمد بن العاقل، وحرمه بن عبد الجليل والشيخ محمد المامي.

ومن الذين دافعوا عنه بشدة القاضي محمدّن بن محمذّن فال بن أحمدُّفال التندغي[1]، الذي يقول :

والفِقْهُ أخْذُهُ مِنَ الحَدِيثِ لاَ ... يَصِحُّ إلاّ بِاجْتِهَاد كَمُلاَ

وقد فرق هذا العالم بين السنة والحديث وذلك في قوله إن معنى السنة التي تقابل البدعة، واضعا ضابطها الأساسي في العمل ذاكرا إن عالم الحديث قد يكون جاهلا للسنة التي تستلزم أن يكون الحديث مصحوبا بالعمل به، ويقول :

فرُبّ عالمِ حديثٍ جَهلا ... لِسُنّة لِجَهْلِ مَا قَدْ عُمِلا

فالفَرْقُ بينَ عالِمِ السنة والْـ ... ـحديث عِرْفَانُ الّذي بِهِ العَمَلْ

فَسُنّةٌ مَا لَيْسَ بِدْعَة فَقَدْ ... يرَى الحَدِيثَ دُونَهَا مَنْ يَنْتَقِدْ

إذْ عَمَلٌ مِنَ الحَدِيثِ أثْبَتُ ... مُقَدّمٌ لَو الحَدِيثُ يَثْبُتُ

فَعَمَلٌ يستلزم الحَدِيثَ وَالْـ ... حَدِيثُ لَيْسَ لاَزِماً مِنْهُ العَمَلْ

غير أن اتجاه المقلدين الذين لا يجيزون لغير المجتهد الاستدلال بالحديث، لقي معارضة قوية من مجموعة من العلماء كان من رُوّادهم محمد حبَّ الله المجيدري اليعقوبي، الذي ثار على التقليد الضيق في مجال العقيدة والفروع ودعا إلى التمسك

---

(1) نفسه، ص 433.

بالأصول من القرآن الكريم والسنة، ونبذ التقليد غير المتبصر، وكان من أنصاره في هذا المنحى العالم الأديب المأمون اليعقوبي، الذي جدّد صنيع منذر بن سعيد البلوطي، حين قال :

فَإِنْ قِيلَ أَدْرَى بالأحَادِيثِ مَالِكٌ فَمَا لَهُمْ فِي فَضْلِهِ مِنْ مُعَانِدِ
هُوَ النّجم، نَجْمُ السنة المُهْتَدى بِهِ إذَا اشتبهت فِيهَا وُجُوه المَوَارِدِ
ولَكِنّه نَادَى بِنَبْذِ كَلامِهِ إذَا خَالَفَتْهُ سُنّةٌ قَوْل قَاصِدِ

ويقول باكيا على رسوم الحديث :

رَبْعُ الحَدِيثِ يَبَابٌ مَا بِهِ أَحَدُ إلاّ رُسُوماً خَلَتْ مِنْ حِلْيَةِ السّنَدِ
فَقِفْ بِه مُنْشِداً والعَيْنُ باكيةٌ يَا دَارَ مَيّةَ بالعَلْيَاء فالسّنَدِ

ويقول الشيخ محمد المامي في رثائه :

رَبْعٌ تَقَاصَرَ دُونَهُ التبيانُ وَيَمُوتُ دُونَ تُرَابِهِ المرجَانُ
يا رَبْعُ لو نبت الحديث ببلدَةٍ نَبَتَ الحَدِيثُ عَلَيْكَ والقُرآنُ

وقد سار على نفس هذا الاتجاه الشيخ سيد المختار الكنتي الذي يقول :

وإيّاك ترضى باقتناص فُرُوعِهَا بغير ارتشاف من مناهلها العَذْبِ
فَمَنْ لم يُقيّد بالكتاب عُلُومَهُ بَغَى وطَغَى واستبدل البر بالرّطبِ
ومن حاد عن نصّ الحديث سفاهةً فقد أبدل الجياد بالحمر الحُدْبِ

وكذلك الأمين بن الحاج الشقروي ومحمد النابغة القلاوي، ووجدت هذه الطائفة دفعا قويا في آراء الشيخ بابه بن الشيخ سيدي في كتابه المشهور "إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين"[1]. وقد ناصره والدنا محمد فال بابه في قصيدة يقول فيها :

على الشيخ قد عاب الفتى بجهله تتبع أقوال النبي وفعله

إلى أن يقول :

وقولة سفيان الحديث مضلة لغير فقيه الاجتهاد من أهله
مقالة صدق وهي في حق قاصر يحل صريح اللفظ غير محله
ولم يدر ما موضوعه وصحيحه ويخطئ في وضع الحديث وحمله

(1) ذكره محمد الحافظ بن المجتبى في كتابه الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، ص 86، وذكر أنه مطبوع دون ذكر مكان وزمان وتاريخ طبعه.

وقد تابع الشيخ بابه كذلك حفيده العالم المحدث الأستاذ محمد بن أبي مدين الديماني، مؤلف كتاب "الصوارم والأسنة في الذب عن السنة"[1]، وشارح ألفية العراقي.

وإذا كانت سَوْرَةُ هذا الجدال قد عرفت نوعا من الهدوء، فإن أصداءها ما زالت تتردد إلى اليوم، ومن أواخر من تناوله الإمام بداه بن البوصيري في تآليفه عن التقليد والاجتهاد.

غير أن وفرة كتب الحديث اليوم وانتشار المذهب السلفي في موريتانيا ساعد على تراجع التعصب المذهبي، وبروز الانفتاح على مناهج دعاة مذهب أهل الحديث، ولو كان الأمر قد يؤدي في بعض الأحيان إلى اعتقاد العوام أن لهم الحق في الاستغناء بالنصوص الأصلية عن تفسير الفقهاء.

وإذا ما حاولنا أن نُقدّم حصيلة أعمال علماء بلاد شنقيط، فإننا سنلاحظ أنهم فعلا قد اعتنوا بمجمل علوم الحديث. غير أن جل هذا الإهتمام انصب على مسائل المصطلح اعتمادا على كتبه المعروفة، فكانت "طلعة أنوار" للمحدث الكبير سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم[2] اختصارا لألفية العراقي التي كان يدرسها، ويقول عنها :

نُظِمَ فيه رَجز العراقي   مُشَيّد البناء والمراقي

وقد حظيت أرجوزته بعناية خاصة سوف نتحدث عنها فيما بعد. ونذكر بأن ألفية العراقي هذه ظلت من مراجع المحدثين الشناقطة وآخر من قام بشرحها المحدث محمد بن أبي مدين الديماني[3]. وسنرى أن العلاّمة الحسن بن آغبدّي الذي يُعتبر طليعة من ألف في مصطلح الحديث كان أول عمله نظم "نخبة الفكر" لابن حجر، وفي ذلك يقول :

نظمه حسن الزيديا   فاجعله ربي صالحا مرضيا

ضمنته "النخبة" لابن حجر   سوى الذي تفصيله لم يذكر

---

(1) منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1402هـ، كما نشرته دار الكتب العلمية ببيروت، 1407هـ.

(2) الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، لمحمد الحافظ بن المجتبى، ص 147، المطبعة السريعة، ط 2، 2003، وذكر أن كتاب طلعة الأنوار في مصطلح الحديث هو نظم طويل يزيد عن ثلاثمائة بيت اختصر فيه ألفية العراقي التي تقاصرت الهمم عن حفظها، وذكر منها أبياتا وعلق عليها في الهامش.

(3) نفسه، ص 250.

ومن بين الذين تناولوا موضوع المصطلح العلامة محمدن بن أحميّد الديماني الذي نظم "تقريب النواوي"[1] لما أعوزه الحصول على ألفيتي العراقي والسيوطي، وعلى كُتب سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي ويقول في ذلك :

هذا وإني خادم بقدري	حديثه الأسنى العظيم القدر
بنظم ما أودعه النواوي	تقريبَه لكي يُفيد الراوي
وربما نقصته يسيرا	كي لا يكون حجمه كبيرا
نظمته لأنني لم أجد	نظم العراقي الرشيد السيّد
ولا الغطمطم السيوطيَّ ولا	نظما لعبد الله سيّد الملا

وقد كان معاصره الأديب أحمد بن حبله أحسن منه حظا، فكانت بحوزته أرجوزة السيوطي وقام بوضع شرح عليها سوف نستعرض أمثلة منه.

ونذكر من هؤلاء العلماء، اعتمادا على الجهود التي قام بها الدكتور محمد الحافظ بن المجتبى في كتابه الحديث وعلومه وعلماؤه في بلاد شنقيط[2] :

1. الحاج الحسن بن أغبدي الزيدي التيشيتي (تـ 1123هـ) : إنه كما يقول مؤلف "فتح الشكور"[3] : من أعلام الدين المشهورين والأئمة المذكورين، قد بلغ الغاية القصوى في العلم، وكانت له خزانة حصلها بالاكتتاب والنسخ بخط يده. اعتبره الشناقطة ثالث ثلاثة من العلماء الذين سموا بالحسن، وهم : الحسن البصري، واليوسي والزيدي، وقيل في اليوسي :

من فاته الحسن البصري يصحبه	عليه بالحسن اليوسي يكفيه

وقيل في الزيدي :

من فاته الحسن اليوسي يصحبه	عليه بالحسن الزيدي يكفيه

ولعله أول من ألف في علوم الحديث في القطر الشنقيطي.

---

(1) نفسه، ص 250، وذكر تأليفه المسمى جالبة الفلاح وقال فيه : «وهو نظم في مصطلح الحديث يضم ألف بيت نظم فيه تقريب النووي في علم الحديث».

(2) منشورات المطبعة السريعة، 2003.

(3) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، لأبي عبد الله الطالب محمد بن ابي بكر الصدي الولاتي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981، تحقيق إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، ص 87.

والموجود من مؤلفاته : أرجوزة قصيرة نظمها سنة 1110هـ في مصطلح الحديث، بعنوان "الكامل"، و"روضة الأزهار فيما اصطلح عليه من الآثار"، وله عليها شرح سماه "قرة الأبصار" :

وله أيضا نظم في ضبط المشتبه من الأسماء والكنى الواردة في الصحيحين، وقد أورد د. محمد الحافظ بن المحتبى قطعة منه[1].

وفيما يلي نماذج من هذا النظم :

بدأت باسم الله ذي الجلال	هو الذي يطلب في الآمال
مصليا على الرسول المصطفى	وآله وصحبه ذوي الوفا
وبعد أَوْلَى ما به المرء عُني	تَعَلُّمٌ لكل ما في السنن
من صحة الأخبار والموضوع	من كذب مختَرَع مصنوع

ثم يقول في تعريف أنواع الخبر :

والخبرُ أعلمن له أقسام	أربعةٌ يُجلى بها الظلام
فالأول المفيدُ لليقين	تعددت له بلا تعيين
كثيرةٌ من طرق الرواة	من غير حصر عدد الرواة
وهو الذي سمي بالتواتر	مع كونه مجانف التهاتر
وإن يكن عدهم محصورا	ما فوق الاثنين فقل مشهورا
وذاك قد رُوِي مستفيضا	عن بعضهم مصاحبا تمريضا
وإن تكن محصورة في اثنين	فقل عزيز ذا بغير مين
وليس ذاك للصحيح شرطا	خلاف من عن الصواب حطا
وإن تكن محصورة في واحد	سمِّ غريبا ذا بغير زائد
وسَمِّ غيرَ أولٍ آحادا	إذ بعضها قُبِلْ وبعض رُدَّا
لما في الاستدلال من توقف	بها على بحث بأحوال يفي

(1) الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، لمحمد الحافظ بن المجتبى، ص 135 وما بعدها، المطبعة السريعة، ط 2، 2003.

ثم يقول في تعريف أنواع الانقطاع في الحديث :

وحيثما الرد له تحققا　　للسقط لا للطعن قلْ معلقا
إن كان ذاك في مبادي السندِ　　فافهم نظامي بالسداد ترشد
وإن يكن مؤخرا عن تابع　　فسم مرسلا بلا تنازع
وإن يكن ذاك بغير ذَيْنِ　　وكان حاصلا إذاً باثنين
فصاعدا أعني مع التوالي　　فَسَمٍّ معضلا ولا تبالي
وإن يكن من غير ما توالي　　فَسَمٍّ ذا منقطع الأوصال
واضح الانقطاع أيضا يَثبُت　　بعدم اللقي لذاك أثبتوا
تؤرِّخ الأعصار والأزمان　　ليُظهروا فضائح البهتان
وإن يكن خفي الانقطاع　　فَسَمٍّ تدليسا بلا نزاع
وقد رووا بصيغة تحتمل　　ليوهموا كَعَن وقال يا فُلُ
كذلك المرسل حيث خفيا　　من المعاضد الذي لم يلقيا

ثم قال في ختام النظم :

قد انتهى نظما بحمد الله　　ذي الطّوْل والمجد بلا تناه
في عام عشر بعد ألف ومائه　　من السنين قد مضت للهجره
نظمه حسن الزيديا　　فاجعله ربي صالحا مهديا
ضمنته النخبة لابن حجر　　سوى الذي تفصيله لم يذكر
سميتها بروضة الأزهار　　فيما اصطلح عليه في الآثار

2. سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (1233هـ)[1] : لقد عرفت بلاد شنقيط في عهد هذا العالم الكبير تحولا نوعيا في الدراسات العلمية، التي كانت قبله تكاد تقتصر على علوم التجويد والفقه والنحو.

لقد كان من رواد المؤلفين الشناقطة في علم أصول الفقه، واعتبارا لكون هذه المادة تتطلب من المختصين فيها معرفة أساسيات علوم اللغة والبيان لتوضيح قواعد استنباط الأحكام في النص القرآني الذي هو الأصل الأول لأحكام الشريعة، وكذلك معرفة مباحث السنة التي هي الأصل الثاني من أصول التشريع.

(1) جمع له المجتبى في كتابه الحديث وعلوم ببلاد شنقيط ترجمة واسعة، وأورد ذكر مؤلفاته وعنايته بالحديث الشريف، من ص 147 إلى 179.

ونظرا لمقتضيات هذا الوضع، فقد أولى سيدي عبد الله اهتماما بالغا لعلوم البيان ولمصطلح الحديث، وصنف فيهما كتبا جيدة وجديدة، بدأ أعماله من الحدود التي انتهت إليها مصنفات أسلافه من علماء قطره، فجدد رسم البيان في "نَوْرِ الأقاح"، وصعد "مراقي السعود" في الأصول، وأبرز "طلعة الأنوار" في علم الحديث، وأبان "غرة الصباح" ليضيء بها الطريق إلى صحيح البخاري، وسعى إلى "هدي الأبرار" في شرح طلعته، وإلى "نيل النجاح" في صباح غرته.

ولقد نالت مصنفاته قبولا من جمهور العلماء وإقبالا من جموع الطلبة وشروحا من مهرة الباحثين.

نظم "غرة الصباح" :

ومن أشهر أعماله نظمه "غرة الصباح" الذي خصصه لصنيع الإمام البخاري، فجاء اختصارا لمقدمة ابن حجر، وشرحه بمؤلف سماه "نيل النجاح في غرة الصباح" ويقول في مقدمة هذا النظم :

"بعد الحمد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

وبعد فاعلم أن نهج المصطفى	يرشد كل حائر له اقتفى
وخير ما صنف فيه الجامع	صنفه محمد المُطالع
وهذه أرجوزة فيها يغوص	على ثمينه الذي يهوى الفصوص
أبين فيها ما له الحاج تَمَسْ	مثل الصنيع والذي فيه التبسْ
سميته بـ "غرة الصباح"	لمبتغي النجاح والفلاح"

ويقول عن شرط البخاري :

شرط الإمام سيدي البخاري	الإخراج عن موثق الأخبار
من أول السند للصحابي	بالاتفاق أو على الصواب
ولا يقول قال لي لكن ذا	ليس إجازة فراع المأخذ
وعدم الشذوذ والتعليل	ذي القدح في المنتهج الجميل
وأن يجيء ذا سند متصل	والثقة المسلم ذو الصدق الجلي
عدل كذاك ضابط وقد عدم	لمطلق الزيغ لدى من قد فهم
كذاك لا يكون ذا تدليس	أو اختلاط خذ بلا تلبيس

وكل من دون الصحابي عددا	من عنه يروون فخذ ما سددا
وإن تكاثر طبقات للإمام	فالحافظ المتقن من طول المقام
وما يلي معلق في الأكثر	ثالثها معلق في الأندر
وغير ذا فمن قوي معتمده	وأن يبين له تفرده
ولم يخرج غيره بلا اعتضادْ	بشركة فيه لغيره تزادْ
ومسلم كهو سوى الذي اشترط	من اللقيِّ في المعنعن فقط
ومثل أولى الطبقات الثانيه	في شرطه والشيخ منه نائيه

وفي حديثه على شرطي البخاري ومسلم، اعتمد على أقوال محمد بن طاهر المقدسي في كتابه عن شروط الأئمة الستة، ومحمد بن موسى الحازمي في كتاب "شروط الأئمة الخمسة".

ثم أورد مقارنة بين الصحيحين وذكر فيها كل ما امتاز به أحدهما، مرجحا تفضيل صحيح البخاري المعروف عند جل علماء الحديث اعتبارا لكون شرطه أشد صارمة لأنه يشترط اللقاء بين الرواة في العنعنة بينما يكتفي الإمام مسلم بالمعاصرة.

وقد رأينا دفاع الإمام مسلم عن نظريته هاته في مقدمة صحيحه.

ولقد سار سيدي عبد الله على طريق بعض المحدثين في تفضيل صحيح البخاري على موطإ الإمام مالك مستدلا بوجود أنواع المنقطع في الموطإ واحتجاج الإمام مالك به، دون أن يركز هنا على الضوابط التي وضعها الإمام مالك في العمل بالأحاديث المنقطعة، ولكي يظهر الفروق بين ما يتضمنه الموطأ من الأحاديث المرفوعة، وبين الآثار وأقوال الصحابة التي ساقها الإمام مالك في معرض الأحكام الفقهية.

وقد يكون من الأكمل أن يقارنها بتراجم الإمام البخاري ومعلقاته، والحقيقة أن لكل من الكتابين قيمته الذاتية وميزاته، مما يجعل مسألة المفاضلة الإجمالية لا تستكمل فيها عناصر المقارنة الدقيقة.

ويعتبر ما كتبه العلامة محمد حبيب الله بن مايابه ردا على الشيخ سيدي عبد الله، انتصارا لموطإ الإمام مالك.

وليس من المستغرب أن تلقى مؤلفات سيدي عبد الله إقبالا منقطع النظير، نظرا لما تمتاز به من تحرير في بحوثها ونقولها، ولأنها تناولت مواضيع جديدة على الثقافة الإسلامية في مجالات علم الحديث والأصول والنوازل والبيان، ولكونه استقطب في

المنطقة التي أسس فيها محضرته مجموعة كبيرة من العلماء والطلبة لأنه كان إماما في العلم وقدوة في السلوك، فنشروا آرائه، وتناقلوا كتبه وشرحوا نصوصه، وما زال هذا الإقبال والاعتناء متواصلا، ونخص بالذكر بعض ما دار حول كتابيه في علم الحديث، أعني "طلعة الأنوار"، و"غرة الصباح".

ومن الذين عنوا بنظم "طلعة أنوار" سيدي عبد الله العلوي العالم محمد الأمين بن باريك العلوشي الولاتي، وهو من تلامذة محمد يحيى بن سليمه، وقد اختصر أرجوزة سيدي عبد الله في نحو مائة وعشرين بيتا، يقول في أولها :

وقال من يعينه المتين	الباركي محمد الأمين
حمدا لمن يعين من سعى إلى	إحياء ما من العلوم أهملا
تلك التي منها علوم المصطلح	للخبر الذي زمانا انطرح
حتى الإمام العلوي فيه نظم	لكن بدا لطوله فيه السأم
هذا ولما كان ما كان انبرى	عزمي إلى نظم له مختصرا

وبعدما استعرض بإيجاز أهم مواضيع المصطلح الواردة في "طلعة الأنوار"، قال أخيرا :

وكل ما حوته هذي الخاتمه	من "طلعة الأنوار" كنت ناظمه
مختصرا له بحذف ما يرى	عنه غنى دون فساد ظهرا
وبالصلاة قد ختمت والسلام	على النبي وذاك أطيب الختام

وقد شرحها أيضا العلامة أحمد محمود بن يدّادّ الحسني شرحا مختصرا قام بتحقيقه الأستاذ محمد بن الشريف أحمد.

وسنكتفي بتقديم نموذج من منهجه، بإيراد بعض الملاحظات والهوامش التي وضعها على شرح القسطلاني لصحيح البخاري والتي اكتشفها الباحث النابه محمد الأمين بن محمد الحافظ بن فتى العلوي، الأستاذ في محضرة النباغية، وهي أمثلة تبين سعة علمه ودقة نظره، وهي ملاحظات كثيرة تناولت قضايا النحو والبيان وعلم المعاني والبديع، ومنها في علوم الحديث.

أ) السيرة :

علق على ما ذكر القسطلاني بأن أصل الصفا والمروة رجل وامرأة زنيا فمسخهما الله تعالى حجرين فنصبا على الصفا والمروة، ثم حولهما قصي وأمر بعبادتهما. وكتب

ما نصه : «ما ذكر في أمر قصي بعبادتهما أظنه غير صحيح لأن التحقيق أن أجداده صلى الله عليه وسلم كلهم مسلمون».

ب) المصطلح : وله فيه ثلاث ملاحظات :

الأولى : كتب سيدي رحمه الله تعالى على قول القسطلاني في كلامه على المدرج : كحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أسبغوا الوضوء، فإن أبا القاسم صلى الله عليه وسلم قال : ويل للأعقاب من النار[1]، فأسبغوا الوضوء من قول أبي هريرة والباقي مرفوع.

كتب ما نصه : كونه بهذه الصيغة مدرجا ليس بصواب بل الإدراج في قوله : قال صلى الله عليه وسلم : أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار، إلخ. وهذا اللفظ في شرح الألفية.

يعني أن التمثيل للمدرج إنما يصح باللفظ الذي في شرح الألفية وهو برواية أبي قطن وشبابة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار، لأن فيها رفع الجملتين مع كون الأول من كلام أبي هريرة كما بينه جمهور الرواة عن شعبة واقتصر بعضهم على الثانية.

أما اللفظ الذي ذكر القسطلاني فلا إدراج فيه وإنما فيه تبيين للإدراج في اللفظ المتقدم كما يدل له كلام العراقي في شرح الألفية والله تعالى أعلم.

الثانية : كتب سيدي رحمه الله تعالى على قول القسطلاني في كلامه على حديث: إنما الأعمال بالنيات[2]، إنه مشهور بالنسبة إلى أوله نعم المشهور ملحق بالتواتر عند أهل الحديث غير أنه يفيد العلم النظري، إلخ.

كتب ما نصه : قوله المشهور ملحق إلخ، بل المعروف عند أهل الأثر أن المشهور أعم من المتواتر من حيث الذات وكذا من حيث الفائدة، إذ المشهور قد يفيد الظن وقد يفيد القطع والمتواتر مفيد للقطع دائماً.

أقول : ما ذكره سيدي رحمه الله تعالى هو الذي في مقدمة ابن الصلاح وألفية العراقي وغيرهما، ولكن ما ذكره القسطلاني عزاه السيوطي في "التدريب" إلى ابن حجر،

---

(1) رواه مسلم في كتاب الطهارة.

(2) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي.

فقد قال إن المشهور هو ما له طرق محصورة ولم تبلغ حد التواتر، لكن يمكن الجمع بين القولين بأن المشهور أعم بالنظر إلى الأصل وأما بالنظر إلى الاستعمال فصار غالبا في غير المتواتر ويدل لهذا كلام الزرقاني في شرح البيقونية، فليتأمل والله تعالى أعلم.

الثالثة : كتب سيدي رحمه الله تعالى على قول القسطلاني في آخر كتاب الإيمان، في صدر الباب، قبل باب فضل من استبرأ لدينه في حديث ابن عباس، قال : أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال سألتك هل يزيدون أو ينقصون، إلخ، أنه استشكل من جهة الاستدلال بقول هرقل مع كونه غير مؤمن وأجيب بأن هرقل لم يقله من قبل رأيه وإنما رواه من الكتب السالفة، إلخ.

كتب ما نصه : قوله إنما رواه عن الكتب لا ينهض حجة لأنه رواية كافر وهي لا تصح إجماعا ولو روى عنه صلى الله عليه وسلم فضلا عن الكتب التي وقع فيها التحريف فلا يعتبر منها إلا ما ثبت شرعا فلو أثبتنا شرعنا بها لكان فيه الدور.

ج) الأصول :

كتب سيدي رحمه الله تعالى في كتاب أحاديث الأنبياء في الباب الذي صدره بالآية : ﴿ **وأذكر عبدنا داود** ﴾ فيما روى عن مجاهد قال : قلت لابن عباس أتسجد في سورة ص ؟ فقرأ : ﴿ **ومن ذريته داود وسليمان** ﴾ حتى أتى ﴿ **فبهداهم اقتده** ﴾، فقال نبيكم صلى الله عليه وسلم ممن أمر أن يقتدى بهم على قول القسطلاني ناقلا عن الكرماني أن في الاستدلال مناقضة إذ الرسول صلى الله عليه وسلم مأمور بالاقتداء بهم في أصول الدين لا فروعه لأنها هي المتفق عليها بين الأنبياء إذ في المختلف لا يمكن اقتداء الرسول صلى الله عليه وسلم بكلهم ولا يلزم التناقض.

كتب ما نصه : يجاب عن التناقض بأنه أمر بالاقتداء فيما لم يختلفوا فيه من الفروع ولم ينسخه شرعه بناء على أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ.

3. العلامة محمد بن محمد سالم المجلسي : إنه زعيم المحضرة الذائعة الصيت في غرب بلاد شنقيط، وقد تخرج منها جل علماء المنطقة، وقد اشتهرت بتدريس الفقه المالكي، وبالخصوص البحوث المتعلقة بمختصر خليل ابن إسحق. وقد اشتهر شرحه الكبير الموسوم بـ "اللوامع الدرر في فتح مخبئات المختصر"، وهو موسوعة من تأليف شيخ المحضرة محمد بن محمد سالم، وقد اتبع إبنه عبد القادر نهجه فصنف "ثمان الدرر في شرح المختصر"، لكن أعمال والده لم تقتصر على المؤلفات الفقهية، فقد كتب أيضا كتابه "الريان في تفسير القرآن"، وكتاب "النهر الجاري في شرح صحيح

البخاري"، وهو مؤلف يقع في سبع مجلدات يبلغ كل منها نحو سبعمائة صفحة من الحجم الكبير.

وقد استهله بمقدمة من أربعة فصول تناول فيها فضل أهل الحديث وتاريخ تدوين الحديث ومسائل من مصطلحه والتعريف بالإمام البخاري.

ويبدو أنه اعتمد فيه "فتح الباري" لابن حجر وشرح القسطلاني، وقد أورد د. محمد الحافظ بن المجتبى من هذا الشرح أمثلة من صنيعه في كتاب "العلم".

ومن كلامه في الجزء الأول من هذا الشرح بعد المقدمة قوله :

(كتاب العلم) : أي بيان ما يتعلق بالعلم وفضله وذم كتمه وغير ذلك، وحده، صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض في الأمور المعنوية، واحترزوا بقولهم لا يحتمل النقيض على مثل الظن، وبقولهم في الأمور المعنوية عن إدراك الحواس، لأن إدراكها من الأمور الظاهرة قاله القسطلاني.

ثم قال (باب فضل العلم) : أي هذا باب في فضل العلم، أي شرفه وجلالته عند الله تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾. ولله در الشيخ الشريف عبد العزيز الدباغ رحمه الله حيث يقول : ومن الأسباب الموصلة إلى الله تعالى تعظيم العلماء الذين هم حملة الشريعة، ولو يعلم العامة قدر العالم عند الله تعالى لما تركوه يمشي على وجه الأرض، ولحملوه على أعناقهم. وقال ابن عباس : درجات العلماء فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين الدرجتين خمسمائة عام. وفي الحديث : فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة البدر. وفيه : فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم. وفي الحديث أيضا : يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء. اهـ.

ثم قال : باب : بالإضافة إلى ما بعده أي هذا الباب : (من سئل علما) أي استفهم عنه معلما منصوب بنزع الخافض أي عن علم. ويحتمل أن يكون مفعولا ثانيا. وسئل حينئذ بمعنى : طلب (وهو) أي المسؤول عن العلم، مبتدأ وخبره (منشغل في حديثه)، أي منشغل باله إلى ما يقوله مستمر فيه. (فأتم) أكمل (الحديث) كلامه. ثم بعد أن أكمل الحديث (أجاب السائل) أي أخبره على وفق ما هو له. قوله (وهو منشغل...إلخ) جملة حالية، وصاحب الحال نائب سئل وعطف (أجاب)، بثم لتراخي الجواب.

قال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن سنان، بكسر السين المهملة وبالتنوين، أبو بكر البصري، حدثنا فليح، بضم الفاء وفتح اللام وسكون المثناة

التحتية، وهو لقب له، واسمه عبد الملك، إلى أن انتهى من التعريف بالسند على هذا الوجه. قال الأعرابي : (متى) أي وقت تكون (الساعة فمضى) أي استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقطع حديثه.

فقال بعض القوم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال الأعرابي، فكره ما قال، أي كره سؤاله عن وقت الساعة إلى أن قال عليه الصلاة والسلام مجيبا الأعرابي : (إذا وسد الأمر) أي أسند الأمر المتعلق بالدين كالخلافة والقضاء والإفتاء، (إلى غير أهله) أي بسبب ولاية غير أهل الدين والأمانات. والمعنى أن الله تعالى إئتمن الأئمة على عباده، وفرض عليهم النصح، وإذا قلدوا الأمر لغير أهل الدين ضيعوا الأمانة، وفي هذا الحديث أن الساعة لا تقوم حتى يؤتمن الخائن. وهذا إنما يكون إذا غلب الجهال وضعف أهل الحق عن القيام به ونصرته. وفيه وجوب تعليم السائل لقوله عليه الصلاة والسلام : أين السائل. وفيه مراجعة العالم عند عدم فهم السائل لقوله : كيف إضاعتها. وهو ثماني الإسناد. ورجاله كلهم مدنيون، مع التحديث بالإفراد والجمع والعنعنة. وقال ابن حجر : مناسبة هذا الحديث لكاتب العلم أن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل وارتفاع العلم. اهـ.

ويلاحظ في هذه النماذج اختياره في حدّ العلم للجانب المنطقي إذ جعله من باب اليقين مقابل الظن. كما يلاحظ أيضا اعتناؤه بالإعراب والتعريف برجال السند. وفي كلامه عن فضل العلماء لم يتعرض لتصحيح الأحاديث التي احتج بها في الموضوع[1].

4. الفقيه محمد يحيى الولاتي (1259-1330هـ)[2] : كان من أجل علماء عصره، وأرفعهم صيتا، وأوفرهم إنتاجا. تذكر له المصادر أكثر من مائة مصنف ألفها في شتى فنون العلوم الإسلامية. وأغلبها في مجال الفقه وأصوله، حتى صارت صفة الفقيه علما له، يمتاز بها عن سائر نظرائه.

لقد تربّى في ولاتة، مدينة العلم العريقة المشهورة بأعلامها العلماء، ومكتباتها النفيسة، وبعدما استقى من معين بلدته، قام برحلة إلى الحج، مرّ أثناءها بحواضر

---

(1) الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، لمحمد الحافظ بن المجتبى، ص 185 وما بعدها، المطبعة السريعة، ط 2، 2003.

(2) المصدر نفسه، ص 197 وما بعدها.

المغرب، وتونس ومصر، أتاحت له أسباب نشر علمه، وتبادل البحوث مع علماء هؤلاء الأقطار واستكمال ما قد يحتاجه من كتب.

ومن أشهر مأثوره ما صنف حول مدونات الأصول السائدة في منطقته، فقد شرح "مراقي السعود" لسيدي عبد الله العلوي، و"مرتقى الأصول" لابن عاصم، وبصفته أصوليا متبحرا، فكان لزاما عليه الاهتمام بعلوم الحديث اعتبارا لأهمية السنة في مباحث أصول التشريع. وهذا ما جعله يؤلف كتابين في علوم الحديث أحدهما شرح البخاري والثاني في المصطلح.

شرح صحيح البخاري :

وشرح صحيح البخاري : كتاب حافل سماه "نور الحق الصحيح في شرح الجامع الصحيح"[1]، وبيّن أن اهتمامه في هذا الكتاب ينصب على الجانب الفقهي، فقال :

«أما بعد فإن علم السنة المحمدية بعد كتاب الله هو أجل العلوم قدرا وأفضلها وأشرفها أصلا وموضوعا لأنها شرح للكتاب العزيز وتبيان له. ومنها أخذت قواعد الأحكام الشرعية وفروعها. هذا وإن العبد الذليل الفقير إلى مولاه، الغني به عما سواه، محمد يحيى بن محمد المختار ابن الطالب عبد الله عفا الله عنه وغفر له ما جنت يداه، أراد أن يشرح الجامع الصحيح للإمام البخاري، شرحا يبين فيه ما في بعض تراجمه وبعض أحاديثه من الفقه، نقلا واستنباطا معتمدا في النقل على "فتح الباري" للإمام الحافظ ابن حجر، و"إرشاد الساري" للقسطلاني، و"بهجة النفوس" للعالم بالله ابن أبي جمرة. وربما من "الكوكب المنير على الجامع الصغير" للإمام العلقمي. ومن "التوشيح" للإمام السيوطي على البخاري. وربما نقلت من كتب الفروع في مذهب الإمام مالك، لمختصر خليل وتوضيحه، وشرح بهرام عليه، وشرح الدرديري وحاشية الحطاب. ولا أتكلم على شيء من علوم الحديث إلا فقهه. فهو المقصود بالذات عندي في هذا الشرح. وإن تكلمت على غيره نادرا فبحكم التبع. وأميز ما كان لي من الاستنباطات بصيغة قلت. لأن ذلك من الصدق في العلم مخافة أن يلتبس ذلك بفقه غيري في الحديث».

---

(1) قال محمد الحافظ بن المجتبى : «يتكون من أربع مجلدات كبيرة مخطوطة موجودة بمكتبة المرواني ابن سيد محمد ابن الفقيه محمد يحيى الولاتي وقد وقفت على المجلد الأول من هذا الشرح عن طريق المراسلة ... ويضم حوالي ثمانمائة صفحة من الورق المتوسط ومعظم خطه واضح». ونقل فقرات من مقدمة الكتاب تبين محتواه ونهج مؤلفه فيه، ص 198 من كتاب الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط لمحمد الحافظ بن المجتبى، المطبعة السريعة، ط 2، 2003.

كتابه في المصطلح :

أما المصنف الثاني فإنه ملخص لقضايا المصطلح يمكن أن يطلق عليه "ما لا يسع الأصولي جهله من علوم الدين"، وسماه "مهيع الرشد والصواب الموصل إلى مصطلح حديث النبي الأواب"[1].

بدأه، بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، بذكر ما يشترك فيه القرآن والحديث، وقال إن الحديث قسمان : نبوي ورباني، والرباني هو ما يعرف بالحديث القدسي، ثم تناول ألقاب الحديث وأعطى لكل واحد منها مثالا، معتمدا في ذلك على ما جاء في مقدمة ابن الصلاح وألفية العراقي، ولكن صنيعه كان يتسم بالاختصار والوضوح، مع التركيز على ما يجب العمل به ويجوز به الاحتجاج.

أمثلة من بيان أنواع الحديث :

ومن أمثلة ما أورده :

في باب في بيان ضوابط صحة الحديث، وهي بحسب القوة والضعف ثلاثة: صحيح وحسن وضعيف. وبحسب غير ذلك كثيرة.

والحديث في عرف الشرع هو ما يضاف إلى النبيﷺ من قول، وفعل وتقرير وهَمٍّ، لأنهﷺ لا يهم إلا بحق، ومن وصف ككونهﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير.

والسنة والخبر والحديث ألفاظ مترادفة في عرف الشرع الصحيح، وهو قسمان : صحيح لذاته وصحيح لغيره فالأول هو ما تعرف فيه خمسة شروط :

الأول : أن يتصل سنده والمراد باتصال السند أن يعبر الراوي في روايته عن شيخه بصيغة صريحة في السماع منه، كحدثني، أو ظاهرة فيه كعن، والسند هو الطريق الموصلة إلى المتن والمراد بالطريق الرجال الذين نقلوا الحديث. والمتن هو ما ينتهي إليه السند من كلامهﷺ إذا كان الحديث مرفوعا، أو كلام غيره إذا لم يكن مرفوعا والله أعلم.

الثاني : أن يكون الحديث سالما من الشذوذ في متنه وسنده، وسيأتي الكلام على الشذوذ في تفسير الشاذ.

الثالث : أن يكون سالما من علة قادحة في صحة الحديث كإرسال خفي في الموصول أو وقف في المرفوع أو وهم واهم بإبدال ضعيف بثقة أو بإدراج وكالاضطراب والله أعلم.

---

(1) ذكره محمد الحافظ بن المجتبى في كتابه الحديث وعلومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، ص 210 وقال : «هو تأليف صغير في علم مصطلح الحديث يبلغ 82 صفحة من الورق المتوسط، ونقل منه نصوصا كثيرة من المقدمة والوسط والخاتمة».

الرابع : أن يكون كل واحد من رواته في غاية الضبط، أي الحفظ للحديث احترازا عما في سنده راو كثير الخطإ وإن عرف بالصدق والعدالة، فإن روايته ليست من الصحيح.

الخامس : أن يكون كل واحد من رواته معدلا، أي مزكى، بأن يكون عدل رواية احترازا عما في سنده فاسق أو مجهول العين أو الحال أو العدالة، فإنه ليس من الصحيح، والعدالة ملكة تمنع من ارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة بحيث تغلب على حسناته. ومن الرذائل قال ابن الصلاح إن الحديث المستوفي لهذه الشروط الخمسة، هو الذي يحكم عليه بالصحة بلا خلاف بين أهل الحديث.

والثاني من قسمي الصحيح هو : الصحيح بغيره وهو الحديث الحسن لذاته الذي روى من طرق متعددة، فإنه يحكم عليه بالصحة لانجبار النقص اليسير فيه مثاله حديث : لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة، فإنه رواه محمد بن عمر وابن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومحمد بن عمر مشهور بالصدق إلا أنه ليس في غاية الحفظ والضبط حتى ضعفه بعضهم لسوء حفظه ووثقه بعضهم لصدقه، فحديثه حسن لذاته لكنه لما روي من وجه أخر جبر النقص الذي كان فيه وصح إسناده، فهو صحيح لغيره. قاله العراقي في شرح ألفيته. والله أعلم.

الحسن وهو قسمان : حسن لذاته وحسن لغيره. فالأول هو الحديث الذي توفرت فيه شروط الصحيح، إلا أن رجال سنده ليسوا في غاية الحفظ والضبط بأن قصروا كلهم أو بعضهم في الحفظ والضبط مع اتصافهم بمطلق الحفظ والضبط.

والثاني : هو الحسن لغيره، هو الحديث الذي في سنده رجل ضعيف، إذ تابعه أي وافقه حديث رجل معتبر يزيل ضعفه، فحسنه بمجموع الطريقين لا لذاته، ومن الأمثال "ضعيفان يغلبان قويا"، وإنما يكون الضعيف حسنا لغيره بانضمام ضعف المعتبر إذا كان ضعفه لسوء حفظ راويه أو اختلافه أو سترة من لم تعرف عدالته ولا فسقه أو كان ضعفه لإرسال أو تدليس لا إن كان ضعفه لاتهامه بالكذب أو الشذوذ فهذا لا ينجبر ضعفه بانضمام معتبر إليه، والمعتبر هو الذي يكتب حديثه للاستشهاد به، وهو من ذكر في المرتبة الرابعة أو الخامسة مراتب التجريح. وغيره هو من ذكر في المراتب الثلاث الأول : ولا يستشهد بحديثه.

ويحتج بالحديث الحسن بقسميه، كما يحتج بالصحيح إلا أن الصحيح بقسميه يقدم على الحسن عند التعارض، ويقدم الأول من قسمي الصحيح على الثاني عند التعارض، كما يقدم الأول من قسمي الحسن على الثاني عند التعارض، كما يقدم الأول

من قسمي الحسن على الثاني، والجميع حجة شرعية بانفراده الصحيح الحسن، أي الحديث المتصف بالصحة والحسن معا، وفيه تفسيران : أحدهما أنه الحديث الذي تنوع سنده إلى طريقين إحداهما صحيحة والأخرى حسنة، فعلى هذا فهو أقوى من الصحيح لذاته. الثاني : أن الحديث الذي سنده واحد لكن تردد إيمة الحديث أي اختلفوا في وصف رواته أو أحدهم فوصفهم بعضهم بوصف رجال الصحيح ووصفهم بعضهم بوصف رجال الحسن، وعلى هذا فهو أحط مرتبة من الصحيح لذاته لكنه فوق الحسن لذاته.

أنواع الضعيف :

الضعيف : وهو ما فقد منه شرط من الشروط المشترطة في الحسن، بإن كان غير متصل السند أو كان في سنده فاسق، أو كثير خطإ، أو كان فيه علة قادحة أو شاذ. وهو قسمان : ضعيف ومضعف.

فالأول : هو ما اتفق أئمة الحديث على ضعفه، وهو الذي يجب بيان ضعفه إذا كان واردا في العقائد كصفات الله تعالى، وما يجب عليه وما يستحيل عليه، أو في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، أو في الأحكام الشرعية التكليفية أو الوضعية، ولا يحتج به فقها، ولا يعمل به، وإنما كفضل أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما.

ويشترط للاحتجاج به في فضائل الأعمال أن يكون مندرجا في عموم أصل صحيح ليكون ذلك الأصل هو المستند، وأن لا يعزوه المحتج به إلى النبي صلى الله عليه وسلم. مثال العمل بالضعيف في فضائل الأعمال، أن يرد حديث ضعيف فيه أن من فعل كذا كان له كذا وكذا من الأجر، فتعمل به رجاء ذلك.

ونقل الولاتي عن بعض علماء المالكية : لا يجوز العمل بالضعيف من الحديث مطلقا، لا في فضائل الأعمال، ولا في غيرها. قال : لأن الفضائل إنما تلقى من الشرع فإثباتها بالضعيف اختراع شرع لم يأذن الله تعالى فيه، ورد بأنه ليس اختراع شرع، وإنما هو ابتغاء فضيلة بإمارة ضعيفة من غير ترتب مفسدة عليه، وروى عن الإمام أحمد بن حنبل جواز العمل بالحديث الضعيف مطلقا أي في الفضائل وفي الأحكام الشرعية إذا لم يوجد غيره في المسألة، فقد روي عنه ضعيف الحديث أحب إلى من رأي الرجال، قال الشهاب في شرح الشفاء، وذكر ابن حزم الإجماع على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث أولى عنده من الرأي والقياس، إذا لم يجد في الباب غيره. انتهى.

الثاني : ما لم يجمع العلماء على ضعفه، بل في متنه أو سنده تضعيف لبعضهم وتقوية الآخرين، وهو الذي يدعى مضعف، وفي الصحيحين من الأحاديث المضعفة عشرة

ومائتان للبخاري منها أقل من ثمانين، والباقي لمسلم، وفيهما من الرجال المضعفين ثمانون للبخاري ولمسلم مائة وستون، وكل ما نسب من الحديث للعقيلي أو لابن عدي في "الكامل" أو للخطيب أو لابن عساكر في تاريخه، أو للديلمي في "مسند الفردوس" أو للحكيم الترمذي في "نوادر الأحوال" أو للحاكم في تاريخه، فهو ضعيف لا مضعف.

5. محمد فال بن محمذن (ببّها) ومعجم الصحابيات[1] : ومن الذين ألفوا في رواة الصحابة العلامة الشهير القاضي محمد فال بن محمذن بن أحمد بن العاقل الديماني. وهو عالم جليل نشأ في بيت علم وأدب وصلاح. و له معجم طريف في الصحابيات من حملة الحديث. ذكر منهن ثلاثا وأربعين صحابية[2].

* **ففي حرف الهمزة :** ذكر أسماء بنت أبي بكر التي قال لها النبيﷺ : صِلِي أمك، وأسماء بنت عميس، زوج جعفر بن أبي طالب، وأسماء بنت يزيد بن السكن التي استشهدت يوم اليرموك، وأمامة بنت حمزة بن عبد المطلب التي زوجها رسول اللهﷺ بسلمة بن أبي سلمة، وحفيدتهﷺ أمامة بنت أبي العاصي بن أبي الربيع، التي كان يحملها في الصلاة، وقد تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة بنت رسول اللهﷺ.

* **وفي حرف الباء :** ذكر أم أيمن، والدة أسامة بن زيد، وأسمها بركة بنت ثعلبة، ومولاتهﷺ بريرة الذي يذكر الفقهاء أنها كانت سببا لإيراد ثلاث سنن، وهي أن للزوجة الخيار بعد العتق إذا كان زوجها عبدا، وأن الولاء لمن عتق، وأن الصدقة على أحد قد تكون هدية لغيره.

* **وفي حرف الحاء :** ذكر حليمة السعدية، وذكر القول إنها أسلمت وهاجرت وتوفيت في المدينة المنورة.

* **وفي الخاء :** خولة بنت ثعلبة التي نزلت فيها آية المجادلة في قصتها مع زوجها أوس بن الصامت الذي ظاهر منها، وخولة بنت حكيم بنت الهذيل بن وهب التي تزوجها النبيﷺ وتوفيت قبل أن تصل إليه.

---

(1) انظر ترجمته في كتاب الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، لمحمد الحافظ بن المجتبى، ص 215 وما بعدها، المطبعة السريعة، ط 2، 2003.

(2) قال محمد الحافظ بن المجتبى في الكتاب أعلاه : «وهو تأليف مفيد وندر من نوعه ذكر فيه بعض الصحابيات حسب الحروف المعجمية، ويذكر لكل منهن بعض ما اشتهرت به في الإسلام مع ذكر حديث أو حديثين أو ثلاثة من مروياتها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد جاء هذا التأليف بـ 136 صحابية»، ص 216، ثم ذكر أشهرهن لبيان صنيع الشيخ الفيه محمد فال بن محمذن في كتابه.

* **وفي باب الدال**: ذكر درة بنت أبي لهب التي كانت من المهاجرات، وعندما آذاها الناس بذكر والدها، قال عليه الصلاة والسلام: مالي أوذى في أهلي، فوالله إن شفاعتي لتنال بقرابتي.

* وذكر **في باب الراء**: الرُّبيّع بنت معوذ بن عفراء، وهي من المبايعات ببيعة الرضوان في المدينة، وأورد حديث الجواري اللواتي كن يندبن قتلى بدر، ولما أتاها النبيﷺ قلن: «وفينا نبي الله يعلم ما في غد»، فأمرهم أن يقلن ما كن يقلن، وقد قيل لها إن تصف النبيﷺ فقالت: لو رأيته لرأيت الشمس طالعة. كما ذكر في نفس الباب الرُبيِّع بنت النضر التي أقسم أخوها أن لا تكسر ثنيتها، فقال عنه النبيﷺ: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره، ورفيدة الأنصارية التي كان سعد بن معاذ في خيمتها بعدما جرح، والرميصاء: وهي أم سليم، والدة أنس بن مالك، وزوج أبي طلحة، وريحانة بنت شمعون التي كانت مولاة له، واختارت أن تبقى أمة.

* وذكر **في باب الزاي**: زائدة، مولاة عمر بن الخطاب، وقيل إنها رأت الخضر عليه السلام وهي تحتطب، وأمرها أن تبلغ سلامه إلى النبيﷺ، وزينب بنت حنظلة التي كانت عند أسامة بن زيد، وقال عليه الصلاة والسلام بعد طلاقها: من يتزوج زينب بنت حنظلة وأنا صهره، فتزوجها نعيم بن عبد الله بن النحام، وزينب بنت علي بن أبي طالب، وزينب بنت مظعون، أم عبد الله بن عمر وحفصة أم المؤمنين.

* **وفي باب السين**: ذكر سبيعة الأسلمية التي انتهت عدة وفاتها لما وضعت حملها بعد ليال، وخادمته سلمى، مولاة صفية بنت عبد المطلب.

* **وفي باب الشين**: ذكر الشفّاء بنت عبد الله بن عبد شمس العدوية، التي أمرها النبيﷺ أن تعلم أم المؤمنين حفصة رقية النملة[1]. والشيماء بنت الحرث، أختهﷺ من الرضاعة.

* **وفي باب الصاد**: ذكر صفية بنت عبد المطلب، أم الزبيربن العوام.

* **وفي باب الضاد**: ضباعة بنت الحرث الأنصارية، المعروفة بأم عطية، وهي التي غزت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات.

* **وفي باب العين**: ذكر عاتكة بنت خالد الخزاعية، وهي أم معبد، صاحبة حديث وصفهﷺ في نزوله عندها في أثناء هجرته. وذكر العالية بنت ظبيان الكلابية

---

(1) الهامش ص 235.

التي تزوجها النبيﷺ وطلقها قبل الدخول، فلذلك لا تحسب من أمهات المؤمنين.

* **وفي باب الفاء:** ذكر الفارعة بنت أسعد بن زرارة. وقد كان النبيﷺ وصيها بعد وفاة والدها النقيب النجاري، وفاطمة بنت أسد الهاشمية، أم علي بن أبي طالب، وقد قال عنها عليه الصلاة والسلام : هي أُمِّي بعد أُمِّي، وفاطمة بنت عبد الله، أم عثمان بن أبي العاص الثقفي، وهي التي شهدت معجزات ولادته عليه الصلاة والسلام، وفاطمة بنت قيس الفهرية التي نصح لها رسول اللهﷺ أن تتزوج أسامة بن زيد بن حارثة، وهي التي روت أن المبتوتة لا سكنى لها ولا نفقة، ولم يقبل عمر بن الخطاب روايتها، وفريعة بنت معوذ بن عفراء، وهي صاحبة حديث الرخصة في الغناء يوم العيد، وفتيلة بنت قيس الكندية، أخت الأشعث بن قيس، تزوجهاﷺ قبل وفاته بشهر، وتوفي قبل أن تقدم عليه، وقد تزوجها عكرمة بن أبي جهل، ولما علم أبو بكر بذلك قال : هممت أن أحرق عليهما بيتهما، فقال عمر إنها ليست من أمهات المؤمنين، وهي ليست صحابية لأنها لم تر رسول اللهﷺ.
* **وفي باب الكاف:** ذكر كبشة بنت رافع الأنصارية وهي أم سعد بن معاذ.
* **وباب في اللام:** تحدث عن لبابة بنت الحرث الهلالية، أم أبناء العباس وأخت أم المؤمنين ميمونة، وقيل إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة بنت خويلد.
* **وفي باب الميم:** ذكر مارية القبطية، أم إبراهيم عليه السلام، وقال إنها توفيت في خلافة عمر بن الخطاب، كما ذكر معجنة السوداء التي كانت تقوم بتنظيف مسجدهﷺ. وذكر مولاته ميمونة بنت أبي عنبسة التي روت حديث دعاء الاستشفاء، وهو قوله لمن طلبت منه الدعاء : ضعي يدك اليمنى على فؤادك فأمسحي وقولي : باسم الله داويني بدوائك، وأشفيني بشفاءك، وأغنني بفضلك عمن سواك. ومولاته ميمونة بنت سعد، وقد روت فضل الصلاة في بيت المقدس.
* **وفي باب النون:** ذكر نسيكة أم عمر بن الحلاس، وهي التي روت أنهﷺ دخل على عائشة وقد ذبحت شاة لم يبق عندها منها إلا ذراع، فقال لها عليه الصلاة والسلام : بل بقيت كلها إلا هذا[1].

ولا يخفى ما في هذا المؤلف من فوائد وطرائف.

---

(1) الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، لمحمد الحافظ بن المجتبى، ص 197 وما بعدها، المطبعة السريعة، ط 2، 2003.

6. محمد حبيب الله بن مايابا الجكني[1] : وهو عالم من أبرز المحدثين الشناقطة، ينتمي إلى بيت علم مشهور. وقد هاجر في مستهل القرن الرابع عشر إلى المشرق، وأقام في القاهرة وفي الحجاز. وقام بنشاط مستنير في مجال علوم الحديث، فألف كتابه الموسوم بـ "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم"، وهو مطبوع ومتداول[2]، ثم شرحه بمؤلف سماه بـ "فتح المنعم في شرح زاد المسلم".

وكانت له عناية خاصة بموطإ الإمام مالك، فكتب مصنفه المسمى "فتح القدير المالك في شرح موطإ الإمام مالك"، ونظم ألفية عنوانها "دليل السالك إلى موطإ الإمام مالك" وشرحها بـ "تبيين المدارك"[3]، ثم اختصر هذا الشرح بـ "إضاءة الحالك في ألفاظ دليل السالك"[4].

وفي مجموعة هذه الكتب سعى أولا إلى توضيح صنيع الإمام مالك، ثانيا إلى إقامة الأدلة على تفضيله على سائر المدونات الحديثية رادا على من يقول إن أول من ألف في الصحيح هو الإمام البخاري.

أمثلة من دفاعه عن موطإ الإمام مالك :

والأمثلة التالية تبين أسلوب المؤلف في نظمه، ومنهجه في الدفاع عن كتاب الموطإ.

يقول في أول هذا النظم :

قال ابن مايابا حبيب الله ... المالكي بعد بسم الله

الحمد لله القوي المُوطيء ... لديننا بصحة الموطإ

صلى وسلم على من اتصل ... إسناده بربه عز وجل

محمد وآله الأخيار ... وصحبه الأجلة الأبرار

هذا ولما جهل المُبَطّا ... عن الصواب صحة الموطّا

وكان أعلى كتب الديانه ... بعد كتاب الله ذي الصيانه

---

(1) انظر ترجمته في كتاب الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، لمحمد الحافظ بن المجتبى، ص 324 وما بعدها، المطبعة السريعة، ط 2، 2003.

(2) منشورات دار النشر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، في ست مجلدات.

(3) انظر ذكر هذه المؤلفات في كتاب الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، لمحمد الحافظ بن المجتبى، ص 324 وما بعدها، ولم يشر إليها مخطوطة أو مطبوعة.

(4) قال محمد الحافظ بن المجتبى : «وهو مطبوع مع النظم طبعة قديمة»، ص 325، من الحديث الشريف وعلومه وعلمائه ببلاد شنقيط.

وقيّد البعضُ مقال الشافعي ... فيه بقول بالرواج ذائع
وهو أن قوله من قبل أن ... جاء الصحيحان بتصحيح السنن
أردت أن أذكر في ذا النظم ... ما صح فيه عن وُعاة العلم
أحييت فيه ذكر عِلْم دارس ... أرجو به الدعاء في المدارس
فقلت طالبا من المعين ... عونا على التحقيق والتبيين
أول من ألف في الصحيح ... مالك الإمام في الصحيح
كما له ابن حجر قد رجَّحا ... في نكت كان لها قد جنحا
فألف الموطأ المنقحا ... فهذب العلم به ونقحا
فكان للأمة نوراً يُهتدى ... به ونهجا جامعا كل الهُدى
رتبه بأحسن الترتيب ... ففاق في التبويب والتهذيب
فبدأ الأبواب بالأخبار ... وعضد الأخبار بالآثار
وما به عُمِل في المدينه ... من ذاك فاستكمل كل زينه
وحيث كان أولا قد صنفا ... من مخلص حاز بذاك الشرفا
فما اعتنى الناس بكالموطَّا ... فقد تدارسوه رهطا رهطا

ثم يقول في باب صحة ما في الموطإ من الأحاديث :

وكل ما إسناده به اتصل ... كيف رواه عنه مَن عنه نَقل
أخرجه الشيخان وفقا أو أحد ... ذين فكل واحد قد انفرد
إلا ندورا كحديث الشهدا ... وهو صحيح باتفاق عهدا
وربما أخرجه الجميع ... إذ الموطَّا ملجأٌ رفيع
وقد تتبع ابن عبد البر ما ... من البلاغ فيه كان علما
وشبهه فأسند الجميع لا ... أربعة فما عليها حصلا

قال الناظم في آخر نظمه هذا :

وقد أجيب عن جميعه ورد ... ونقدهم على الصحيحين ورد
وكان "ميل" من شيوخ الجعفي ... عند الرواية لحال الضعف
والضعف "قص" من شيوخ مسلم ... جناح كل صقر علم علم

ومسلم مع البخاري نظرا | في صحة العزو ففات النظرا
واشتريا التقديم حين باشرا | صحته متفقين في شرا

ثم يقول في المقارنة بين صنيع الإمام مالك والبخاري في كتابيهما :

فإن تقل ما جرد الصحيحا | بحتا فأدخل به الترجيحا
رأيا وأدخل الذي قد انقطع | مع المراسيل التي فيه تقع
قلت كذلك البخاري ذكر | لدى التراجم كثيرا اشتهر
مع التعاليق التي لا تنكر | لكونها متن الصحيح تذكر
وَجْهُ احتجاج مالك بالمرسل | كذا البخاري بالمعلق جلي
والأبهري قال حوى الموطأ | قدرا كبيرا فيه خطا
جملته ألف وسبعمائة | من بعد عشرين فستمائة
فيه بإسناد ترى متصله | واثنان مع عشرين تلفى مرسله
مع مائتين والذي منه وقف | ثلاثة عشر بخاء تأتلف
وفيه من قول الذين تبعوا | عدوا ثمانين بخمس تتبع
ومائتان ذا الذي قد انتسب | للأبهري المالكي وانتخب
وقيل غير ذا ومن كان جمع | كل الروايات على الكل وقع

ثم يقول في بيان صنيع مالك الخاص به في موطئه :

أي في الموطإ وما قد حرره | ومالك عادته المقرره
أو لحديث الصادق الأواب | أن يسند الحكم إلى الكتاب
أو يسند الحكم إلى الإجماع | أو الصحابة أو الأتباع[1]

7. **أحمدو بن دهاه العلوي** (تـ 1361هـ)[2] : لقد كان أديبا شاعرا، وفقيها ماهرا ومحدثا امتاز بين أقرانه بالاعتناء بعلوم الحديث والحرص على اقتناء أمهات كتبه، والبحوث في مصطلحه ورواته وناسخه ومنسوخه. وألف فيه أربعة كتب منها شرحه لألفية السيوطي في المصطلح، وكتابه عن الناسخ والمنسوخ الذي سماه "إتحاف

(1) الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، ص 326 وما بعدها.

(2) انظر ترجمته وذكر أخباره ومؤلفاته في كتاب الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، ص 285 وما بعدها، حيث نقل نصوصاً من مقدمات كتبه في الحديث.

ذوي الرسوخ على ناسخ السنة والمنسوخ"، وله أيضا نظمان أحدهما في رواة الحديث ورواياتهم وسماه "مكنون الدرر"، ويقول فيه :

سميته بمكنون الدرر	فيما لصحب المصطفى من الخبر
معتمدا فيه على تهذيب	الأسماء واللغات والتهذيب
للعالمين النووي والأثري	والعسقلاني حافظ ابن حجر
وما روى الأُبِّيُّ في إكمال	الإكمال من فضائل الرجال

وفيات علماء السنة :

والثاني في تاريخ وفيات المحدثين، سماه "مشارق الدجنة في وفيات علماء السنة"(1)، ويقول فيه :

قال العبيد ذو القصور أحمد	ربا عليه دائما اعتمد
الحمد لله منير الزمن	من ظلمة الجهل بشمس السنن
ثم الصلاة والسلام أبدا	على الذي من هديه عم الهدى
دونك يا من يعتني بالسنن	وناقليها نظم در حسن
سميته مشارق الدجنه	في وفيات علماء السنه
مسبوكة بقالب التوريه	رموزه بألطف التعميه(2)
لكنها كامنة في الخبر	مثل كمون النار وسط الحجر
محجوبة عما سوى الأكفاء	في الخدر بين أحرف الهجاء
لكنها لغز فأدر أصلها	وفصلها قل بغاة وصلها
لأنها موضوعها تاريخ من	وثق أو أسند في علم السنن
وذاك علم صار في ذا المغرب	منشده منشد عنقا مُغرب
واعتيض من مسندها المسلسل	وعذب وردها الروي السلسل
آراء قوم ضاع منها السند	قُلِّد في الدين بها المقلَد

(1) قال محمد الحافظ بن المجتبى : «وهو نظم ذكر فيه تاريخ وفيات المحدثين على سبيل التورية، وذلك أنه يرمز لوفاة المحدث بنقط الحروف الهجائية مركبة في لمة تدل على بعض المناقب الحسنة لهؤلاء المحدثين، وقد ضاع معظمه، وقد وقفت على أبيات منه»، وذكرها في ص 294 وما بعدها.

(2) الكلمات التي بين مزدوجتين تعبر عن تاريخ الوفاة حسب ما تمثله حروفها من أرقام فكلمة ملك : م = 40، لـ = 30، كـ = 20، المجموع 110.

فاليبك سنة النبي العاقب ... وليندبنها كل ندب نادب

يا صاحبي لاحى في ذا الوادي ... وليشد في الربوع منها الشادي

قام لصونها من الدخيل ... أول من بالجرح واهتم التعديل

فابن المسيب سعيد "ملكا" ... أزمة التحرير بل لن يدركا

والأعمش الإمام بعده "محق" ... به المدلس وقد فاز المحق

وشعبة "قص" كذاك أثَرَهْ ... منتهجا لنهج تلك الخِيَره

ومالك "قطع" كل حجه ... تلفى لغير واضح المحجه

كذلك الثوري سفيان العلم ... "قاص" مداه في العلوم والحكم

كذا الإمام الليث نجل سعد ... "قادع" أنف الجهل واري الزند

وقد مضى إمامنا الأوزاعي ... "قنو" التثبت والإتباع

وابن المبارك الإمام العلم ... "فاق" الأولى من قبله تقدموا

وابن عيينة الإمام "قوضا" ... أبنية الباطل والحق أضا[1]

وأما الذين اهتموا بالناسخ والمنسوخ في الحديث فجلُّهم من المعاصرين، ومنهم :

8. محمد محمود بن الشيخ سعد بوه الشريف الملقب أباه بن مولاي هاشم (تـ 1385هـ)، وهو من خريجي محضرة العلامة لمرابط بن محمد الأمين، وله نظم في الناسخ والمنسوخ من الحديث بدأه بعد الحمد والصلاة على النبيﷺ بقوله :

وبعد فالمقصود نظم زين ... لما له جمع فخر الدين

أعني علي بن النجاري مما ... من الأحاديث لنسخ ينمي

إحدى وعشرون بها قد احتمل ... ما صح نسخه وما له احتمل[2]

9. ومنهم أيضا الطيب بن سيدي التنواجيوي : وقد تعلم أولا في محضرة العلامة حمود بن المرابط التنواجيوي، ثم صحب الشيخ أباه بن محمد الأمين اللمتوني، وشرح نظمه في الناسخ والمنسوخ الذي قدمنا تلخيصه آنفا[3].

---

(1) الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، ص 295 وما بعدها، وهو يشير بأرقام الحروف في الكلمات المقوس عليها للوفيات وذلك فيما يعرف بحساب الجمل.

(2) الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، ص 410 وما بعدها.

(3) الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، ص 419 وما بعدها.

10. ومحمد عبد الله بن محمد المختار الفقيه محمد يحيى الولاتي وكتابه في الناسخ والمنسوخ : وهو من مواليد مدينة شنقيط، وقد أخذ العلم عن والده، وهو مشارك في سائر العلوم، وكان أديبا شاعرا، وفقيها ماهرا، وله نظم في ناسخ الحديث ومنسوخه[1]، وقد قام بشرح هذا النظم العلامة سيدي محمد بن باب عينين سيداتي.

والأحاديث التي ساقها في النظم هي :

1. النهي أن يبول الرجل قائما ونسخ بفعله عليه الصلاة والسلام المروي عن حذيفة بن اليمان.
2. النهي عن استقبال القبلة أو استدبارها عند قضاء الحاجة بما رواه ابن عمر مستقبلا بيت المقدس ومستدبرا الكعبة.
3. الانتفاع بجلد الميتة، وقيل إنه نسخ بالنهي عنه، والأشهر فيه نفي النسخ.
4. الوضوء مما مسته النار.
5. ونفي نقض الطهارة من مس الذكر، ونسخ بحديث بسرة بنت صفوان.
6. حديث إنما الماء من الماء، ونسخ بحديث التقاء الختانين.
7. النهي عن صلاة النافلة بعد العصر.
8. وضع المصلي يديه بين ركبتيه عند الركوع، ويعرف بالتطبيق ونسخ بندب وضع اليدين على الركبتين الوارد في حديث سعد بن أبي وقاص.
9. ورد السلام في الصلاة الذي كان معمولا به ونسخ بما رواه ابن مسعود وزيد ابن أرقم.
10. وحديث الأمر بالقيام للجنازة ونسخ بحديث العلم على أنه قام لها وقعد.
11. حديث فساد صوم من أصبح جنبا وعورض بحديث عائشة في هذا الباب. وإذا صح حديث أبي هريرة بفساد الصوم، فيكون حديث عائشة ناسخا له.
12. وحديث أفطر الحاجم والمحجوم، وقد نسخ بحديث ابن عباس في آخر فعله ﷺ.
13. وأمره بصوم عاشوراء ونسخ بالتخيير، مع بقاء الندب.
14. الإذن في نكاح المتعة وتحريمها.

---

(1) انظر ترجمته في كتاب الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، ص 464، وقد ذكر فيها أبياتا من نظمه في الناسخ والمنسوخ، ص 465 وما بعدها.

15. جواز أكل لحوم الحمر الأهلية والنهي عنه في غزوة خيبر.

16. النهي عن كتابة غير القرآن والإذن فيه بعد ذلك.

17. النهي عن قتل النساء والولدان، وكونه من قبيل النسخ فيه نظر لعدم وجود نص ينسخ أصله.

18. ومثله النهي عن الحرق بالنار.

19. وعدم قبول هدية غير المسلم.

11. بداه ابن البوصيري :

ومن الذين تناولوا منسوخ الحديث وناسخه الإمام محمدو التندغي المشهور ببداه ابن البوصيري، وهو من نجباء تلامذة شيخ الشيوخ يحظيه بن عبد الودود، وله عدة مؤلفات في علوم القرآن والأصول والحديث، ومنها تلخيصه لكتاب "الإعتبار للناسخ والمنسوخ من الآثار" لمحمد بن موسى بن حازم المتوفى سنة 584هـ، رتبه على أبواب الفقه، وذكر في آخره النهي عن الرقيا ونسخه، والنهي عن سدل الشعر ونسخه بالفرق، والنهي عن دخول الحمام، وعن القران بين تمرتين، وعن قول ما شاء الله وشئت[1].

12. القاضي محمدن ابن حمدّفال :

والقاضي محمدّن بن محمذن فال بن أحمدُّو فال التندغي من علية علماء عصره، ورث علمه عن والده العلامة الكبير، وحافظ على تراثه ومحضرته، وامتاز بتنوع الإنتاج، والتآليف في مختلف العلوم الإسلامية، وذكر له د. محمد الحافظ بن المجتبى نظمين في علوم الحديث، أحدهما في المصطلح وتاريخ الرواة أعطى منه نموذجا[2]، وهو الذي يقول في أوله :

والفقه أخذه من الحديث لا يصح إلا باجتهاد كملا

والثاني حول غريب الحديث والقرآن، ونورد منه المثال التالي :

واصلةُ هي التي بالشعَر تصل رأسها لكثره تُرى

من طلبت وصلا هي المستوصِله فاعل ذا وما تلاه اللعن له

والمتفلجات من تفلج أسنانها كيما بحسن تبرج

---

(1) انظر ترجمته في كتاب الحديث وعلومه وعلماؤه ببلاد شنقيط، ص 504 وما بعدها.

(2) الحديث وعلومه وعلماؤه ببلاد شنقيط، ص 384 وما بعدها. وقد نقل كثيرا من أقواله وأبياتا من مما نظم في المصطلح وتاريخ الرواة.

قلت كذا نافجة وهي التي … تنمي العجيزة لتلك العلتي

منافج هي التي تعظم … بها النساء العجز ثم تعظم

أسنِمة البُخت التي في الأثر … تغطية النِّسا لها بالخُمُر

أو القلانيس فتشبه السنام … كيما يرى الرجال رفعها الحرام

أو هن ينظرن إلى الرجال … رافعة الرؤوس في ممال

مثل السنام حيث شحمه كثر … مال فبالوجهين أوِّل الخبر

صرف وعدل في الحديث نفل … والفرض أو بالعكس صرف عدل

أو توبة وفدية أو وزن … كيل وفي القاموس ذا إن تعنوا

والصرف في الآية قبل النصر … لحيلة أي عذبوا بالقهر

وقيدن منع التناجي بمكان … يعدم من صاحبه المرء الأمان

إذ سارر النبي فاطمَة عن … بعض نسائه بذا الجواز عن

13. محمد المختار بن الدّاه العلوي ونظم الغريب :

وفي غريب الحديث، أسهم اللغوي والأديب **محمد بن محمد المختار بن أحمدفال العلوي** (تـ 1375هـ) بنظم بديع في موضوعه وأسلوبه[1].

لقد كان محمدٌ هذا نابغة دهره في الذكاء والحفظ والشعر، درس على والده محمد المختار المشهور بالعلم والورع، كما قرأ على والدنا محمد فال بن بابه وعلى شيخنا محمد الأمين بن بدِّ. وعليه قرأ ابن أخينا العلامة أباه بن عبد الله، شيخ محضرة النباغية.

وفيما يلي نماذج من هذا النظم[2] :

الحمد لله القديم الأحد … الواحد الفرد العظيم الصمد

صلى وسلم على النبيّ … وآله عدد كل شيّ

وبعد فاللهج بالحديث … قد فاز في القديم والحديث

ومن يكن في شأنه ذا ضبط … فليشتغل بما له من ضبط

---

(1) انظر ترجمته في كتاب الحديث وعلومه وعلماؤه ببلاد شنقيط، ص 342 وما بعدها. وقد ذكر كتابه في غريب الحديث المسمى "نبراس السنة المستضيء بضياء السنة" وقال : «وهو نظم يضم 1544 بيتا عظيم الفائدة التزم فيه ضبط كلمات الحديث الغريبة مع شرحها، وقد رتبه على حروف المعجم مع عزوه لكتب الغريب والحديث»، ونقل جملاً من أبياته.

(2) لقد قامت الدكتورة زينب بنت الخرشي بتحقيق هذا النظم في رسالة للدكتوراه، دار الحديث الحسنية، الرباط.

ولاحن الحديث بيْن الجلسا قد قابل الظُّبا وما إن ترَّسا

وربما يدخل فيمن كذبا عمدا على خير الأنام المجتبى

وقد نظمت منه ما تيسرا نظما يسيرا رائقا محررا

ملتزم الضبط على تحرير مفسرا ما احتاج للتفسير

وكل ضبط صح لم التزم بل لفصيح الضبط فيه أعتمي

وربما قد أُهمل التيسيرا للوزن أو لكونه شهيرا

إلى الحقيقة أميل وأميل طورا إلى المجاز باللفظ الجزيل

وربما ملت إلى المجاز وللحقيقة لدى مجازي

مرتبا على حروف المعجم إلا قليلا لج في مزدحم

وما عزوته عزوته وما لم أعزه إلى النواوي انتمى

وربما انتمى إلى الإرشاد وقد نرى للمجد ذا إرشاد

أو للنهاية وربما نمي إلى الثعالبي الإمام العلم

أقول ذا وقد غدا علم الأثر تنكر الأعلام منه واندثر

واستعجم المعروف من أخباره وصدح الأبوام في أوكاره

أقوى خِلاف أهلِه حتى غدا تحكي رسومه رسوم ثهمدا

سميته نبراس أهل السنة للمستضيء بضياء السنة

باب الهمزة

وقبس الإيمان بالإقرار مع اعتقاد وحدة الجبار

وما أتانا من صفاته العظام قامت بشأنه ذوو علم الكلام

وبالملائك والأنبياء واليوم الآخر بلا امتراء

والكتب العظيمة المنزله كما أتت مجملة مفصله

وقدر الله وكل نومن به أدامنا عليه المؤمن

جامعه تصديق دين الهادي أحمد بالقول والاعتقاد

* * *

لتزن الأرّيس بالشرّيب تظفر بقول صادق مصيب

وربما يوزن بالظريف وذاك قول ليس بالضعيف

واضطربت في لفظه أقوال   وللنهاية بدا أنقال
وإن ترد معناه فالأكّار   معناه أو معناته العشّار
وربما بخادم يفسر   أو ملك وكل ذا محرّر
وفسر الأكار بالفلاّح   فجاء معناه بالاتضاح

14. وممن اهتم بالأحاديث المشتهرة والبحث في صحتها، العلامة الورع الصالح **الشيخ محمد سالم بن ألما** (تـ 1383هـ)[1]، مؤلف كتاب "نفي الجهل والعمى"، ذكر فيها أحاديث مشتهرة ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات، واستدرك عليه السيوطي في بعضها، ومنها :

1. إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، قال ابن الجوزي : وا عجبا من الدارقطني كيف روى حديثا لا يصح، وقال السيوطي : بل عجبا من المؤلف في رده حديثا ثابتا.
2. حب الوطن من الإيمان : وقال السيوطي في كتاب "الدرر" لم أقف عليه.
3. خير الأمور أوسطها : أخرجه البيهقي.
4. من أكل مع مغفور له غفر له : قال ابن الجوزي هو كذب موضوع، لا أصل له.
5. نية المؤمن أبلغ من عمله : وراه العسكري والبيهقي، وقالا لا يصح. وللحوادث شواهد منها أن من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة.

(1) انظر ترجمته في كتاب الحديث وعلومه وعلماؤه ببلاد شنقيط، ص 375 وما بعدها.

الخاتمة

علم الحديث بحر لا ساحل له، ضم فروعاً كثيرة، واستأثر باهتمام عشرات آلاف العلماء، وكتبت عنه آلاف المصنفات، وامتلئت ببحوثه مئات المكتبات والجامعات.

وأمام تراثه الضخم، ينتاب الباحث في تاريخه شعور بالعجز والقصور، لاستحالة تقديم تصور صحيح عن جهود العلماء في هذا الفن. لكن من المألوف القول بان ما لا يدرك كله، لا يترك بعضه.

ولقد تضاعف في نفسي هذا الشعور، لما طُلِب مني أن أكتب عن تاريخ علوم الحديث، على غرار ما سبق أن كتبت عن تاريخ النحو العربي، وتاريخ القراءات، فكانت إجابتي بالرفض القاطع، لخوض غمار موضوع بضاعتي فيه مزجاة، مع ما أعاني من تبعات الشيخوخة، وما يواكبها من علل وضعف.

ولست أدري حقاً ما هي الدوافع التي جعلتني ذات يوم أعدل عن رأيي الأول، وأن أصمم على تجشم الطريق الوعر، وأن أحاول كتابة مؤلف في تاريخ علوم الحديث في المشرق والمغرب.

ولقد مكثت سنوات عدة، بين مراجع هذا العلم أطالع ما استطعت، وأقيد بعض ما استفدت، وأفكر فيما كتبت.

وحينما وقفت على شاطئ محيط هذا العلم، وتنورت أبعاده الشاسعة، وآفاقه الواسعة، التي تنقلب الأبصار خاسئة أمام أبعادها، أدركت أنني أحاول الإبحار في عُبَابٍ لا ساحل له؛ فما كان علي إلا أن أعترف بالعجز، وأن أتوقف عن المشروع، لقول الخليل الحكيم :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ولست أدري أيضاً ما هي الأسباب التي حملتني على الإصرار في هذا العمل بالرغم من جميع الصعوبات التي كانت تعوقني في إنجازه.

فكم مرة كتبت أوراقاً كثيرة، ثم مزقتها بعد قراءتها، وكم مرة جمعت نقولاً من مصادر مختلفة ثم رميتها بعدما صعب علي التاليف منها أو إعادة صياغتها.

وكم مرة فكرت في رسم خطة للعمل، ثم عدلت عنها بعدما تبين لي خللها.

وأخيراً استسلمت لما هو كائن، وعرفت أن ليس في الإمكان أبدع مما كان.

وتجرأت على تقديم نتائج عمل أقرّ صادقاً أنه دون المستوى المرضي. غير أني بذلت ما في وسعي، لأطلع المهتمين بعلم الحديث على بعض المعطيات التي تجعل من قرأ هذا الكتاب يتمثل أهمَّ مكونات هذا العلم.

ولقد كان حتماً علي أن التزم بحدود تفرض نوعاً من الاقتصار جملة هذه العلوم، ولو كانت الاختيارات، أياما كانت مبرراتها، لن تسلم من الاعتباط والتحيز.

ولقد اعتمدت في أسس هذا الاختيار أن أفرض ضرورة انتقاء النماذج التاريخية لما لا يسع المحدث جهله. وفي هذا الإطار تندرج أمثلة خاصة منها في نشأة علم الحديث والكلام من المكثرين من علماء الصحابة، وأبرز تابعيهم من الأئمة المشهورين، ولو كان التحيز يظهر في اختزال تختفي بسببه مجموعة من الأعمال الحديثة التي لم تنل نصيبها من التعمق والاستقصاء في البحث، وقد تكون أجمل مهمة لمؤرخ العلوم أن يقدم إلى الجمهور حقائق أغفلتها المباحث التقليدية والمتداولة، إنها مهمة قصر عنها باعي وضاق عليها وقتي.

ولقد فرض عليه كذلك هذا القصور، وما نتج من اقتصار عدم الوفاء بما تستحقه بعض الظواهر البارزة في هذه العلوم، والتي لم تنل إلى الآن ما تستحق من تنويه وإشادة، ومنها جهود علماء الهند في إقامة نهضة حديثية واسعة، كان من حسناتها مؤلفات موسوعية جبارة، وطباعة نوادر مدونات الحديث، والقيام بدراسات متخصصة جد قيمة، وهي جهود لا يعرفها إلا ذوو الاختصاص.

ومن نتائج هذا الاقتصار كذلك عدم التطرق إلى ظاهرة التحقيق العلمي التي برز فيها مجموعة من الجنود المجاهدين في سبيل إحياء كتب السنة، تخصصوا في إصدار المدونات القديمة، وفقاً للمناهج العلمية الحديثة، فكان لهم الفضل في تسهيل مطالعة هذه المدونات، وتقريب فهمها وتصحيح نسخها، والتعريف برجالاتها.

هذه نماذج قليلة من المسائل الكثيرة التي يتطلبها موضوع هذا الكتاب، وإن لم يتأتَّ الإتيان بها للأسباب المذكورة من قبل.

صعوبة أخرى واجهتني في إعداد الخطة لهذا الكتاب، إذ كان تصوري العام أن أسير مع مراحل تطور علوم الحديث عبر فترات تاريخية متوالية، أو متوازية في بعض أطواره، غير أنه كان لزاماً علي من جهة أخرى، أن أفرد باباً خاصاً لجهود علماء الغرب

الإسلامي في هذا الميدان لأسباب أوضحتها في المقدمة، وهناك اصطدم التاريخ بالجغرافية، ومن أجل ذلك اختل النظام الذي يعتمد العصور الزمنية.

وهذا أمثلة قليلة من الثغرات الكثيرة التي لم تتح لي الفرصة الكاملة لسدها ورأب اختلالها؛ ذلك بعد سنوات من الجهد المتواصل استسلمت لإخراج ما استطعت القيام به في ظروف لم أك أثناءها متمتعاً بكامل الصحة والفراغ.

وفي الختام فإني أضرع إلى الله الكريم، أن يتقبل منا صالح الأعمال، وأن يتجاوز عن الهفوات والآثام، إنه سميع مجيب والله ولي التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فهرس المصادر والمراجع

ـ اختلاف الحديث للشافعي، تحقيق محمد أحمد عبد العزين، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1986.

ـ الاستذكار لابن عبد البر، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، منشورات دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، 1993.

ـ أسد الغابة لابن الأثير، طبعة دار الفكر، بدون تاريخ.

ـ أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق ودراسة محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى، نشر مركز إحياء التراث الإسلامي، سنة 1409هـ.

ـ الإعلام بسنته عليه السلام، لعلاء الدين مغلطاي، تحقيق كامل عويضة، منشورات مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1419هـ/1999.

ـ الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، لأبي العباس إبراهيم، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1976.

ـ الأعلام للزركلي، منشورات دار العلم للملايين، ط 7، 1986.

ـ إكمال تهذيب الكمال لعلاء الدين مغلطاي، تحقيق عبد الرحمن عادل بن محمـ، وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، منشورات دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط 1، 2001.

ـ ألفية السند لأبي الفيض الإمام محمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار البشائر الإسلامية، 2005.

ـ الإلماع للقاضي عياض، تحقيق السيد أحمد صقر، منشورات دار التراث بالقاهرة.

ـ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، لابن عبد البر، منشورات مكتبة القدسي، القاهرة، سنة 1350هـ.

ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، للضبي، منشورات دار الكتاب العربي، 1967.

ـ بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام، لأبي الحسن القطان الفاسي، تحقيق الحسين آيت سعيد، منشورات دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 1997.

ـ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

ـ التجريد لكتاب التمهيد لابن عبد البر، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 1350هـ.

ـ تحرير أحوال الرواة المختلف فيهم بما لا يوجب الرد (دراسة نقدية لكتاب : من تُكلم فيه وهو موثق) تأليف عمرو عبد المنعم، المكتبة التدمرية، 1426هـ.

ـ تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي، للمباركفوري، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1984.

ـ تدريب الراوي للسيوطي، طبعة 1، دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق أحمد عمر هاشم.

ـ تذكرة الحفاظ للذهبي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـ تراث المغاربة في الحديث الشريف وعلومه، لمحمد بن عبد الله التليدي، منشورات دار البشائر الإسلامية، ط 1، 1995.

ـ ترتيب المدارك للقاضي عياض، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1965.

ـ التعديل والتجريح فيمن روى عنه البخاري في الصحيح، دراسة وتحقيق د. أحمد لبزار، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، 1991.

ـ التقييد والإيضاح، شرح مقدمة ابن الصلاح، للحافظ العراقي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، طبعة دار الفكر.

ـ تقييد العلم، الخطيب البغدادي، تحقيق يوسف العش.

ـ التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار، منشورات مكتبة الخانجي بمصر، بدون تاريخ.

ـ التمهيد لابن عبد البر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1977.

ـ التنبيه على الأوهام الواقعة في صحيح مسلم، لأبي علي الغساني، دراسة وتحقيق محمد أبو الفضل، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، سنة 2000.

ـ تهذيب التهذيب لابن حجر، منشورات دار صادر، بدون تاريخ.

ـ تهذيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للذهبي، تحقيق غنيم عباس غنيم وأيمن سلامة، منشورات الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط 1، 2004.

ـ جامع بيان العلم وفضله، ابو عمر بن عبد البر، باب ذكر كراهية كتابة العلم وتخليده في الصحف، ص77، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، 1995.

ـ الجامع الصغير للسيوطي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط 4، بدون تاريخ.

ـ جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس للحميدي، تحقيق إبراهيم الأبياري، منشورات دار الكتاب اللبناني، ط 2، 1983.

ـ جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، لمحمد بن سليمان الروداني، تحقيق أبو علي سليمان بن دريع، منشورات دار ابن كثير ودار ابن حزم، ط 1، 1998.

ـ جمع النهاية في بدء الخير والغاية، صدر عن دار ابن حزم ببيروت، بتحقيق مروان محمد الشعار، 1993.

ـ الحديث الشريف علومه وعلماؤه في بلاد شنقيط، لمحمد الحافظ بن المجتبى، المطبعة السريعة، ط 2، 2003.

ـ حركة الحديث بقرطبة، خالد الصمدي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1993.

ـ الديباج المذهب لابن فرحون، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، منشورات دار التراث بالقاهرة، بدون تاريخ.

ـ الذيل والتكملة لابن عبد الملك، تحقيق الدكتور محمد بن شريفة، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1984.

ـ الرسالة المستطرفة في بيان كتب السنة المشرفة، للكتاني، منشورات دار البشائر الإسلامية، ط 4، 1986.

ـ رسالة أبي داود إلى أهل مكه في وصف سننه، تأليف أبي داود سليمان بن الأشعث، تحقيق وتعليق محمد بن لطفى الصباغ، بيروت، دمشق، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1405هـ.

ـ سراج المهتدين في آداب الصالحين، لأبي بكر ابن العربي، تحقيق أبو أويس محمد بوخبزة، طبع بتطوان سنة 1992.

ـ سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، منشورات مؤسسة الرسالة، 1981.

ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن مخلوف، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، 1349هـ.

- صلة الخلف بموصول السلف لمحمد بن سليمان الروداني، تحقيق محمد حجي، منشورات دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1988.

- الصلة لابن بشكوال، منشورات الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.

- علم العلل بالمغرب، للدكتور إبراهيم بن الصديق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1995.

- غريب الحديث لابن قتيبة، تحقيق نعيم زرزور، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1988.

- غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، ص 48، ج 1، منشورات دار الفكر بدمشق، ط 1، 1982.

- غريب الحديث لأبي عبيد، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شرف وعبد السلام هارون، منشورات الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1984.

- الغريبين، لأبي عبيد الهروي، تحقيق محمود محمد الطناحي، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، 1390هـ.

- الغنية للقاضي عياض، منشورات دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1982.

- الفائق للزمخشري، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، بعناية الحسن بن أحمد النعماني، ط 1، 1324هـ.

- فهرس الفهارس للكتاني، منشورات دار الغرب الإسلامي، تحقيق د. إحسان عباس، ط 2، 1982.

- فهرسة ما رواه عن شيوخه، لابن خير، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

- قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر، للشيخ المحدث صالح بن محمد العمري المسوفي الشهير بـ : الفلاني رحمه الله، تحقيق عامر حسن صبري، طبع دار الشروق، الطبعة الأولى، 1405هـ.

- الكاشف في من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، منشورات دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن بجدة، بعناية ومراجعة محمد عوامة، 1992.

- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لشمس الدين محمد بن يوسف الكرماني، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، منشورات مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، 1414هـ.

ـ لسان الميزان لابن حجر، تحقيق العلامة عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م.

ـ ما روي في الحوض والكوثر، بتحقيق ابن عطا الصوفي، وقد صدر الكتاب عن مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، في طبعته الأولى سنة 1413.

ـ المحدث الفاصل للرامهرمزي، تحقيق عجاج الخطيب، منشورات دار الفكر، ط 3، 1984.

ـ محمد بن وضاح القرطبي، مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس مع بقي بن مخلد الدكتور نوري معمر، منشورات مكتبة المعارف بالرباط.

ـ المدخل إلى الإكليل، تأليف الإمام أبي عبد الله محمد بن عبدالله الحافظ البيِّع الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة 405، منشورات دار الكتب العلمية، على هامش كتاب المنار المنيف لابن القيم رحمه الله.

ـ مدرسة الحديث في الأندلس، مصطفى محمد احميداتو، منشورات دار ابن حزم، ط 1، 2007.

ـ مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي، خالد الصمدي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 2006.

ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض، تحقيق أحمد يكن البلعمشي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، 1982.

ـ معجم شيوخ عبد الرحمن بن مخلد، منشورات مطبعة الهداية بتطوان، 1996.

ـ معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري، باب ذكر أول نوع من أنواع علم الحديث، طبعة دار إحياء العلوم، بيروت، ط 1، 1986.

ـ المعلم بفوائد مسلم للمازري، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، منشورات دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1992.

ـ المغني في الضعفاء لشمس الدين الذهبي، تحقيق حازم القاضي وأسامة عبد المجيد، في جزئين، ط 1، دار الكتب العلمية، سنة 1997.

ـ المفهم شرح مختصر صحيح مسلم لأبي العباس القرطبي، تحقيق الحسيني وآخرين، منشورات دار الكتاب اللبناني، بدون تاريخ.

ـ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، لعبد العزيز بن عبد الله، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1976.

ـ الموضوعات لابن الجوزي، تحقيق نور الدين بن شكري بن علي بن بويا جيلار، منشورات مكتبة أضواء السلف، ط 1، 1997.

ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، منشورات دار الكتب العلمية، ط 1، في 7 مجلدات.

ـ نزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

ـ النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر العسقلاني، ط 1، سنة 1994، تحقيق مسعود عبد الحميد السعدني، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري، منشورات المكتبة الإسلامية، تحقيق طاهر أحمد الزازي ومحمود محمد الطناحي، بدون تاريخ.

ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

فهرس الموضوعات

الباب الأول

نشأة مدارس الحديث فيما قبل عصر التدوين

الباب الثاني

حركة التدوين

الباب الثالث

غريب الحديث ومشكله ومختلفه

الباب الرابع

علم مصطلح الحديث

الباب الخامس

الموسوعات

الباب السادس

جهود علماء الغرب الإسلامي في علوم الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

يسعدني أن أجدد أصدق عبارات الشكر والامتنان لمعالي الدكتور الأستاذ عبد العزيز بن عثمان التويجري، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - الذي كان له الفضل في إصدار أول طبعة لهذا الكتاب، تبعاً لما تقدم به قبل ذلك من نشر كتابي تاريخ القراءات وتاريخ النحو العربي. كما أعرب لمعاليه عن كامل تقديري للجهود التي يقوم بها في منظمة الإيسيسكو من خدمة للإسلام والمسلمين في كل صقع من أصقاع العالم.

هذا وأقدم كذلك شكري وعرفاني للأستاذ العالم الجليل الدكتور خالد الصمدي الذي شارك في إخراج هذا الكتاب، وقرأ مسودته، وأعان على تصحيحه ووضع إحالات قيمة لتراجم المشاهير، وقام بتخريج جل الأحاديث الواردة في هذه التراجم.

كما أعرب عن جزيل الشكر والامتنان للخبيرين العالمين : الدكتور الأستاذ شوقي بنبين، مدير المكتبة الملكية، الذي تفضل بقراءة المسودة وأسهم في تصحيح الأخطاء المطبعية والأوهام الواردة في تواريخ مواليد الرواة ووفياتهم.

والدكتور الحجة محمد الراوندي، أستاذ علوم الحديث في دار الحديث الحسنية، الذي راجع هذا العمل وأولى عناية خاصة بتصحيح الأغلاط الإملائية، وقدم ملاحظات قيمة حول الكتاب، ونبه إلى بعض الثغرات التي يجب تداركها.

وإنني أيضاً مدين بالعرفان لكل الذين أسهموا في هذا العمل في جميع مراحل إنجازه، فجزاهم الله كل خير، والله ولي التوفيق.